tamima nabil : الكاتبة (٣٩) لعبتي جنون عشقك

ها قد فعلتها مرة اخرى
وكنت قد اقسمت الا ابيع روحي
ثانية !!
تطلعت الى صورتها فى المرآة فلم
ترى سوى صورة باهتة لجسم بلا
روح و عيون هربت منها الحياة فأبت
ان تذرف دموع لا تستحقها. فلقد
نضبت من عينيها دموع الشفقة
على الذات
نظرت الى صورتها بفستان الزفاف.
طبعا اليست هى الليله عروس
ارتسمت على شفتيها ابتسامة
مريرة
(عروس.....)

www.rewity.com
رواية

ها قد فعلتها مرة اخرى .. وكنت قد اقسمت الا ابيع روحى ثانية
تطلعت الى صورتها فى المرآة فلم ترى سوى صورة باهتة لجسم
بلا روح و عيون هربت منها الحياة فأبت ان تذرف دموع
لا تستحقها فلقد نضبت من عينيها دموع الشفقة على الذات
نظرت الى صورتها بفستان الزفاف
طبعا ليست هى الليلة عروس
ارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة قاسية
(عروس -)
لعنتي ... جنون عشقك
TAMIMA NABIL
تصميم كاردينيا73
www.rewity.com
رواية

المقدمة

"ها قد فعلتها مرة اخرى ... وكنت قد أقسمت الا ابيع روحى ثانية

تطلعت الى صورتها فى المراة فلم ترى سوى صورة باهتة لجسم بلا روح و عيون هربت منها الحياة فأبت ان تذرف دموع لا تستحقها فلقد نضبت من عينيها دموع الشفقة على الذات

نظرت الى صورتها بفستان الزفاف

طبعا اليست هى الليلة عروس

ارتسمت على شفتيها ابتسامة مريرة قاسيه

"عروس.."

لكم راودتها احلام هذا اليوم الابيض الذى تصبح فيه اميرة ليأتى اليها حبيبها و يخطفها على جناحه

لكن كما يقال " احذر مما تتمناه " فها هي عروس للمرة الثانية

ولكن بالتأكيد ليست اميرة بل هى سلعة كما المرة السابقة

لكن هذه المرة اعلى ثمنا و احط قدرا

اظلمت عينيها

وهدر صوت فى اعماقها

و من احط قدرا من نساء الراشد

ايثار

..سابين .. حلا .. و سما الراشد

لعنة نساء الراشد

الفصل الاول

أفاقت من أفكارها المريرة على صوت باب غرفة النوم و هو يفتح بلا استئذان و طالعتها فى المرآه صورة مشتريها يقف باب الغرفة

.....وحش آل مهران .....

ينظر اليها بقسوةٍ و لمحة من الازدراء الخفى و لكن ما انطلق بوضوح من أعماق عينيه هى الرغبة.....

عادت الى ذاكرتها تلك الكلمات السوداء وهي تنطق بضحكةٍ بشعة يتردد صداها في أذنها الى الآن ....بالرغم من مرور خمس سنوات الا أنها تتذكر تلك الكلمات

"ألم تري الرغبة في عينيه حين ينظر اليكِ .....ألم تشعري بها في لمساته ...لن تكوني ابنة ايثار الراشد اذن إن لم تفعلي....."

الآن فقط تستطيع أن تراها .... ترى نظراته التي تتعمق و تلمع لرؤياها .....كيف لم ترها منذ سنين , وكيف ستتحملها من الآن

خوفا دائما ما كانت تحاول اخفاؤه .وكانت تظن أنها قد دفنته منذ سنين عديدة عاد خوفها القديم ليدب فى أعماقها بأشد صوره

.....

جميلة .....جميلة .....لم يرَ أجمل منها أبدا ..... و جه ملاك يشع براءة ..... براءة هى حتما لم تعد تمتلكها .....

حلا .. لكم انطبق أسمها عليها ..... و من أحلى منها .....

عيناها بركتان من العسل الصافى المختلط بخضار البحر فى ساعة الغروب . شعر عسلى حريري داعب أحلامه , لكم تمنى أن يدفن وجهه فى الخصلات الحريرية الطويله الا أنه الآن مقيد بتصفيفة معقدة تستفز أصابعه لتجذبها من شعرها بما يعتمل في نفسه من مشاعرعنيفة غاضبة تهدد بالتفجر فى أية لحظة

جسمها الشبيه بالتماثيل الاغريقيه الرخامية البيضاء التف بأغلى و أرقى فستان زفاف صمم خصيصا لها بناءا على أوامره و كما توقع جعلها كأميرة هاربة من كتب الأساطير .....

الا أنه متأكد أنها حتى لو ارتدت قفطان من أرخص المواد لاستثارت مشاعره بنفس القوة التى تستثيره بها الآن .....داخلها سحر وديع ينهش أعماقه الرجولية.....

مشتريها ... أو اللفظ الأكثر رقيا .....زوجها و الذى عقد قرانها عليه منذ ساعات قليله

ادهم مهران سليل عائلة مهران أو الأصح امبراطورية مهران العريقة الأصل و النسب .....الوحش الأسمر الذى لا يتحداه الا مجنون

اسم ترتجف له الأبدان فى عالم الأعمال معروف بقسوته و انعدام الرحمة من قلبه

المشترى الذى دفع ثمنا باهظا ليحصل عليها لتزين قصر مهران من جديد

نظراته الجائعة بعثت الرعب فى أعماقها و خوفا من أن تستسلم لنوبه من نوبات الهيستيريا القديمة اتبعت أسلوب الهجوم

"ماذا تفعل فى غرفتى .. يجب أن تعلم من البدايه أننى أقدس خصوصيتى "

ساد صمت مرعب فى الغرفة بعد أن انطلقت جملتها الحمقاء . لم يتحرك تعبير وجهه الا من انقباض عضله صغيرة بجانب فكه . لم تدرى ما الذى أصابها و جعلها تتحدى الجانب الشيطاني بداخله

اقترب منها ببطء فتراجعت حتى اصطدمت بالطاولة خلفها . توقف على بعد خطوة منها و عيناه المرعبتان تأسران عينيها . انزلقت نظراته الى صدرها و الذى أخذ يرتفع و ينخفض بسرعه , اشتعلت عيناه بنيران سوداء مما جعلها تشهق شهقة مكتومة

غرفتنا يا عروسي الصغيرة ".....انطلق صوته العميق القوى النبرات و كأنه مطرقة ضربت أعماقها المرعوبة.. ".

لم تعرف كيف خرج صوتها المرتعش من شفتيها المرتجفتين

"لا أفهم .. ما معنى غرفتنا "

"معناها انها غرفتى و أنتِ حبيبتى حللت عليها بصفتك زوجتى "

تجاهلت الرعشة التى أصابتها من لفظة حبيبتى و حاولت التركيز على صدمة ما قاله

شعرت أن ساقيها بدأتا فى التهاوى من تحتها . وكان مجرد بقائها واقفه يعتبر معجزة

تحشرج صوتها

" لم نتفق على البقاء فى غرفة واحدة "

ظهرت ابتسامة تسلية خطيرة على زوايا فمه

"لا يحتاج الرجل الى اتفاقٍ مسبق للحصول على زوجته فى غرفته"

رفضت أن تصدق المعنى المبطن لعبارته , و بصوت مرتعش دب الرعب جليا به

"لكن يا ادهم ..... أنت تعلم أن زواجنا ليس ....."

لم تستطع أن تكمل الجمله ليست واثقة تماما مما يقصده

سأل بسخريهٍ وقد أعجبه اتجاه الحوار

"ليس ماذا؟ ....."؛

ارتبكت و تشوش عقلها وقالت بخفوت

"أنت تعلم أن زواجنا يقتصر على الظهور أمام مجتمعك العالى . أنت أردت زوجة مناسبة لا تتدخل بتفاصيل حياتك مقابل مساعدتى أى أنه زواج صورى"

أضافت الكلمة الاخيرة بصوت أشد خفوتا و قد التهبت وجنتاها بلونٍ أحمر قان

انتظرت أن تسمع منه استهزاءا بما أخطات فهمه الا أنه قال بصوت واضح

"لست واثقا أننى ذكرت أن زواجنا سيكون صوريا فى أى مرحلةٍ من مراحل اتفاقنا "

شعرت أن جدران الغرفة قد أطبقت عليها و نشب الذعر مخالبه فى قلبها , لقد كان يقصد فعلا ما فهمته و بهلع حاولت تذكر أنها أفهمته بصورةٍ غير مباشرة

عدة مرات بأنها غير مهتمة بالناحية الزوجية أو أى شىء خاص قد يجمع بينهما صحيح..... لم تذكر ذلك مباشرة ..... خجلها منعها من قولها صراحة أمامه الا أنها كانت واثقة أنه فهمها و لاقى هذا الاتفاق توافقا مع شروطه

شعر ادهم بقبضةِ تعتصر صدره وهو يراقب اهتزاز عينيها بما تعانيه من عذاب صامت يفترسها .....لقد حاولت بالفعل أن تذكر ذلك وتفهمه عدم رغبتها ..... و قد فهم .....و أوهمها بموافقته الا أنه كان ينتظر أن تكون حمامته ملكه و بقفصه فلقد تعب كثيرا حتى وصل اليها ولن يتركها الآن .....

ارتعاشها . تنفسها السريع, كلماتها القليله الخافته فى هذا الوضع الحميم..... كل هذا يلفه ويكاد يفقده سيطرته و إرادته مهددا بانقضاضه على حمامته و افتراسها بعد أن أصبحت ملكه.....

لكن وبكل هدوء لا يقارن بما يجيش بداخله قال بمنتهى الوضوح

"دعينى اذن أوضح .... أنك أصبحتِ زوجتى و ستشاركيننى فراشى ايفاءا منك بشروط زواجنا .. هل أصبحت واضحا الآن حلا الراشد؟"....

شعرت أنها ماتت فى هذه اللحظة ألف مرة

يا ربى كيف فعلت هذا بنفسى..... ها هو مشهد عذابي يتكرر من جديد .

الفصل الثاني

تيبست ساقاها و هى تراه يقترب منها بخفة الفهد الذى يستعد للانقضاض على فريسته , بالكاد صدرت عنها صرخة مخنوقة

"ابتعد .....لا تقترب منى"

لكن ظل يقترب ببطء لا يبعد عيناه عن عينيها ..... فصرخت بحماقة وتهور كلمات كانت محفورة في ذاكرتها بحروف نطقها لسانِ بغيض منذ سنوات

"أعلم جيدا أنك دائما ما كانت أفكارك قذرة تجاهي , لطالما شعرت بيديك على جسدي .....لطالما رأيت نظراتك الوقحة الي "

تسمر مكانه فجأة .....واشتعلت عيناه وحشية زادتها رعبا و كأنه لم يتخيل يوما أن يسمع ما نطقت به للتو ..... هي حلا .....دونا عن الجميع .....

لم يستطع بعد لحظة سوى الهمس بصوتٍ خطرٍ كالفحيح

" لقد أخطأتِ ..... لقد أخطأت للغاية يا حلا .... ولم يكن عليكِ اثارة غضبي الليلة تحديدا , فقد كنت أنوي أن أكون رقيقا معك صدقيني "

اتسعت عيناها و فغرت شفتيها بأنفاسٍ تخرج متهدجة من هولِ ما سمعت .....لقد أيقظت الوحش .....

حاولت الهرب فى لحظة فزع الا أنه انقض عليها و انتشلها من خصرها بين ذراعيه ملصقا ظهرها بصدره , أخذت تتلوى و تطوح بساقيها و ذراعيها بدون أن يؤثر ذلك على شيئا من قوته

صرخت .... صرخت عاليا برعب وقد بدأ جسدها في الإنتفاض بشدة , وفى لحظة استطاعت الفكاك من بين ذراعيه ليعود و يجذبها اليه مرة أخرى . مد يده و انتزع طرحتها و رماها أرضا و بدون أن ينطق بحرف واحد و بينما هى تتلوى بين ذراعه الفلاذية أخذ يجذب دبابيس شعرها لتتساقط خصلات شعرها وحدة تلو الأخرى حتى انتهى ثم تركها لتهرب جريا الى باب الغرفة الذى اكتشفت أنه قد أغلقه بالمفتاح , استدارت بسرعة ملصقة ظهرها بالباب تحدق به برعب و بعيون دامعة متسعة و صدر يخفق فى عنف بينما خصلات شعرها الحريري متناثرة بهمجية حول وجهها وصولا الى خصرها . لم يرى فى حياته منظرا أجمل مما يراه الآن و كأنه اقتحم مملكة أحلامه و سبى ملكتها و ها هى أمامه و ملك يديه لن يثنيه عنها شيئا يكفيه ما ضاع منه سابقا ، لقد كان مغفلا ! مغفلا وهو يظن ان براءة روحها لن تدنس . اقترب منها ببطء شديد متأملا كنزه الغالى , صاحبة السحر المجنون حتى وصل اليها ولامس صدره صدرها الخافق وقف للحظة واحدة فقط ثم اعتقل خصرها بين ذراعيه مكبلا حركتها

..... ببطء شديد حتى لامس فمه دفء عنقها هبط وجهه اليها

شعرت بالهلع و لم تستطع منع صرختها لكن هيهات فمن سيسمعها في هذا القصر المنيف و حتى إن سمعوها فمن المجنون الذى سيجرؤ على التدخل بين الوحش و زوجته

حاولت الصراخ مرة أخرى الا إنه كتم صراخها بشفتيه , كانت قبلة صادمة لها أودعها مشاعر غريبة عليها..لم تشعربمثلها من قبل , و فى غمرة ذعرها عضت شفته السفلى بأسنانها الصغيرة

تأوه و مسح الدم من شفته بظاهر يده ثم نظر اليها و ابتسم هامسا

"لازلت تحتاجين الى التأديب يا حلا الصغيرة ..... يبدو انني لم أحسن تربيتك "

شعرت بنفسها تسقط الا أنه تلقاها بين ذراعيه و حملها في حركة واحدة ...نظرت اليه بعينين متسعتين مرتعبتين تستجديه بهيستيرية

"أرجوك يا ادهم ارحمني .... أنا أعتذر ... أعتذر ..... لن أغضبك مجددا "

تترجاه بعينيها أن يتركها اكراما لعمرها الذى قضته أمام انظاره .....الا إنه لم يقابل نظراتها المستعطفة سوى بنظرات قاسية لمحت بين زواياها ظلال الألم .....هل هي تتوهم .... لماذا سيشعر ادهم مهران بالألم ... ولماذا سيشفق على ابنة ايثار الراشد و يمنحها الرحمة .....

حين أنزلها الى الفراش .. اتسعت عيناها اكثر و ازدادت هلعا .... ما المصير الذى ستواجهه الآن .....إن كان ماشهدته سابقا يعد عذابا فما الذي ستراه من وحش آل مهران الآن ؟.....

ظلت تهذي و قد بدأ الدوار المعتاد يلفها و الأنفاس تتسابق لتخرج من صدرها دون أن تعود

" أرجوك .....أرجوك لا تؤذني "

راقبته بأنفاس مجهدة يفتح أزرار قميصه بنفاذ صبر أدى الى تمزق معظمها , خلع قميصه و رماه أرضا أغمضت عينيها بشدة و ازداد هذيانها ....فشعرت بيديه تمتدانِ اليها ....فشهقت عاليا وانهمرت الدموع من عينيها المحكمتين بشدةِ ورعب

سمعت فجأة صوته يهمس في أذنها

" شششش.....لا تخافي , لن أؤذيكِ أبدا ..... فقط ثقي بي "

بدأت مقاومتها تتلاشى من شدة الدوار و الإجهاد

لامست شفتيه أذنها و هو يهمس

""سأجعلك تنسينه ...بل سأجعلك تنسين كل رجل وقعت عليه عيناكِ الجميلتان, ستنسين زواجك البائس السابق و ستتذكرين اسما واحدا فقط .....ادهم ... مهران "

ازداد انهمار دموعها الصامتة من بين جفنيها المطبقين بشدة و أومأت برأسها في طاعةٍ تامة خوفا من بطشه .....وفعلت ما أجادته لسنين طويلة .... الاستسلام

...فقد ينقذها هذه المرة من الجحيم .....الاستسلام وانتظار الشروق .....

لكن ابواب الجحيم هذه المرة لم تفتح ! كانت تقاوم شيء آخر لاتستطيع فهمه .....مشاعر غريبة انتابتها من ذلك الوحش المصر على جذبها الى عالمه ..... بسحرٍ لم تعرفه من قبل .....وكان هذا السحر هو أخر ما شعرت به قبل أن تتنهد مستسلمة لدوامةِ لفت عقلها و سحبتها بعيدا قبل أن تعرف الى أين سيؤول مصيرها .....

ظل يحدق طويلا بصغيرته الراقدة أمامه بلا روح ولا تزال الصدمة مرتسمة على ملامحه .. مد أصابعه المرتجفة و أبعد خصلة من شعرها مبتلة بدموعها , شعر بالإختناق فابتعد بعنف مغادرا الغرفة التى

شهدت اغتيال روح صغيرته.....أخذ يدور و يدور فى شرفة القصر محاولا استنشاق نسيم الليل المظلم ليهدىء صدمته.....كيف لم يلحظ نظرة الخوف الساكنة بأعماق عينيها , ارتعاشة جسدها وكأنها لاتدرك ما يحصل فعلا !

لكن كيف ؟ كيف وقد كانت زوجة غيره

كانت زوجة ابن عمه !!

طلال مهران

الشاري الأول , اسمه انبعث من ماضٍ حاولت دفن ذكرياته الأليمة

منذ أن أفاقت من غيبوبتها الحتمية ... علمت بأنها أصبحت وحيدة ..... وحين تحركت بضعف شعرت بأن هناك ما قد تغير بها ولن يعود كسابق عهده أبدا .....لقد أصبحت زوجة أدهم مهران بالفعل ..... هل كان الأمر مرعبا الى تلك الدرجة ؟..... لا تتذكر .... لكن الألم لديها متمثلا في ماضيها الحقير .....أما ماحدث بينها و بين أدهم .....

سمعت صوت فتح باب الغرفة و صوت خطوات واثقة بطيئة تقترب منها , تسمرت وهي لا تزال متكورة أسفل الغطاء..... ثم شعرت بقبضةٍ من حديد تقبض على ذراعها و تجذبها بقسوةٍ لتستلقى على ظهرها

لتواجه عينيه اللتين تستعران بنيران الغضب

"كيف ؟....." كلمة واحدة انطلقت بسؤالٍ غاضب بين طياتها

لم تستطع الإجابة

"كيف؟ ....." أعاد السؤال بقوةٍ أكبر وصوتٍ أعلى بينما اشتدت يده على ذراعها

أدارت وجهها الى الناحية الاخرى , الا أن يده قبضت على ذقنها و أدارت وجهها اليه

"بقيت متزوجة من طلال لمدة ثلاث سنوات "

ثلاث سنوات !!!..... يا الهى شعرت أنها عمر طويل طويل

سنوات من عذاب لا مفر منه ..... طبعا لا يحق جوارى نساء الراشد بالفرار من قدرهن

وفى الوقت الذى استسلمت لقدرها كان القدر رحيما بها

افاقت على صرخته الوحشية

"لماذاااااا لم تخبرينى ؟....."

"أيتها الغبية الحمقاااااء ..... هل هذا هو انتقامك الحقير منى؟"

نظرت اليه بعدم تصديق هز قلبه

انتقام؟!!!!! هل هى من انتقمت منه منذ قليل؟!!!!!!

لم أفهم ..... لم أفهم ..همست لنفسها

عاد صوته المتوحش يزأر

"هل شعرتِ أن هذا هو أفضل عقاب لي ..... "

"أن توصميني طول العمر بختم الدناءة ""هل أنتِ راضية الاااااااان"

"تحملتِ الألم و الرعب فى سبيل معاقبتى"

"هل وصل حقدك عليا الى حد أذية نفسك""اجيييييييينى"

كل صرخة من صرخاته كانت ترافقها هزة قوية من يده الممسكة بذقنها

أخذت تهمس الى نفسها "يااارب اجعل هذه الليلة تنتهى يااارب لطالما انقذنى شعاع الفجر"

الا إنها لم تجرؤ على التفوه بحرف

اشتدت قبضته على ذقنها و اقترب وجهه منها وهدر فى أذنها بهمس الوحوش

"لقد ذهب تحملك هباءا فاذا كنتِ قد هنتِ على نفسك فلماذا تهونى علي....."

"لقد دفعت الكثير وقد جاء الوقت لأسترد ثمن ما دفعت "

دفع ذقنها بقسوة و قام مغادرا الغرفة تتبعه حمم غضبه الأسود

ماذا فعلت بنفسي ؟؟؟؟.....يا الهي ما ذا فعلت؟؟؟.....همست برعب لنفسها

لم يكن يعلم أن في قلبه لا يزال هناك مكان للمشاعر , كان يعتقد أنه دفن كل ما يتعلق بها منذ باعت نفسها الى طلال

هدر الغضب القديم بداخله . لم يستطع تصديق أنها استسلمت لزيجات نساءالراشد المدبرة المشروطة

و لما لا..... اليست منهن , ورثت جيناتهن و جمالهن , عندما علم بزواجهما كان مستعدا لقتلهما معا ثم قتل نفسه

الجشعة الصغيرة .. لم تكن أكبر من مراهقة , إن لم تكن طفلة

اللعنه عليكِ ايثار الراشد مستعد لقتلك الف مرة بما تستحقين

رمى نفسه على الكرسي مسندا رأسه الى الخلف مغمضا عينيه ... كيف فعل ما فعل .... إنها حلا .... حلاه الصغيرة .... حمامته البيضاء التى تربت تحت أنظاره .....كيف سمح لنفسه بأن يجعلها تحيا لحظاتِ الرعب تلك .... لكن رعبها كان أفظع منذ البداية

شيئا ما قد أصاب حلا في ما مضى .... شيء أسود فظيع ..... لم يكن خوفها وهذيانها طبيعيا .....

صحيح أنه رأى عينيها تنظرانِ اليه بغرابةِ قبل أن تستسلم لإغمائها .... وكأنها تسأله عما تشعر به .....عما لم تعرفه من قبله ....

الا إنه لن يستطيع أن يغفر لنفسه أبدا .... مهما كان .... كان يجب ألا يرعبها الى هذه الدرجة .....لكن ماذا يفعل وهو من آل مهران .....حين يصلون الى نقطة الجنون .....تكون هي النهاية .....

"آه يا حلا لقد أبعدتنى عنكِ بانتقامك الغبى مسافات و مسافات .....حمقاااااء.....حمقاء و قد حررتِ الوحش الكامن في أعماقي"

يا الهى كم اريدك يا حلا

الفصل الثالث

اشرقت الشمس و القت باشعتها الذهبية على خصلاتها المتشابكة الهمجية المتناثرة على وسادته , اخذ يتاملها طويلا , لا يشبع من النظر الى جمال وجهها ابدا, مد اصبعه ليمر به ببطء على وجنتها الناعمة نزولا الى فكها فعنقها الابيض الطويل,

استمر اصبعه فى النزول وهو مغمض العينين , وسيطرته على نفسه تهدد بالانهيار.

فتح عينيه حين شعر بها تتململ من سباتها.

فتحت عينيها ببطء شاعرة بخدر غريب فى كل انحاء جسدها , اخذت تتمطى حتى اصطدمت عيناها بعينين قاسيتين تنظران اليها نظرة غريبة نشرت الذعر فى اوصالها.

شهقت بصوت عالى و انتفضت جالسة فسقط الغطاء الى خصرها ,فرفعته فى هلع الى عنقها و رفعت ركبتيها الى صدرها و انكمشت ملتصقة بظهر بظهر الفراش مرتعشة و متسعة العينين.

امتدت لحظات الصمت بينهما و هما يحدقان ببعضهما , اغلقت عينيها منتظرة ما سيوقعه بها,

انتظرت ... انتظرت

فتحت عينيها لتجده لا يزال ينظر اليها الا ان يداه انقبضتا فى قبضتين اظهرتا بياض مفاصل اصابعه من شدة ضعطه عليها.

"جهزى نفسك للنزول وتناوا الفطور معى"

ثم قام من على حافة الفراش وغادر الغرفة مغلقا الباب خلفه ,ظلت تنظر الى الباب طويلا وهى لاتعلم انه مستند عليه من الناحيه الاخرى مغلقا عينيه

"كم اكرهك يا حلا .....يا حبيبتى يا احلا النساء"

راها قادمة الى الشرفة بخطوات متعثرة , يا الهى كم بدت مراهقة بريئة بثوبها الابيض و شعرها المربوط.

هذه الجميلة هى ملكه , احساس كاسح بالمتلاك اجتاحه ,جلست ببطء و تردد على الكرسي الوحيد والموجود بجواره , لم ينطق اي منهما بكلمة , ظلت هى مطرقة براسها و ظل هو ينظر اليها لا يشبع منها.

عادت به ذاكرته الى يوم راها اول مرة

نظرات عسلية بريئة , شفاة كرزية وجنتان كالتفاح و ابتسامة ملاك و ضفيرتان بلون الذهب , لم يرى طفلة اجمل منها يوما.

كائن خرافى ذهبى يقفز و يدور مقهقها فى بهو قصرهم . لم يدرى كم بقى يراقبها ينهل من الوهج الذهبى الذى تثيره حولها.

نزل درجات السلم ببطء حتى وقف خلفها و هى لا تزال تقفز , انطلقت منها صرخة طفولية حين التفتت لترى هذا العملاق الاسمر خلفها ينظر اليها من علو بنظرات صارمة.

شعر بالتسلية و هو يرى ما اثاره من رعب لديها.

سالها بصوت قوى "من انت ؟"

بقيت صامته فاغرة الفم و قد عجزت عن النطق

ارتفع صوته قليلا ؛"سالتك سؤالا.."

صدرت منها همسة طفوليه لا تسمع

انطلق صوته مرة اخرى

"لم اسمع "

"حلا" كلمة واحدة وصلته بالرغم من خفوتها

"و من تكونين يا انسة حلا ؟.."

اطرقت راسها مرة اخرى و لم ترد

"حلاااا"ارتفع صوته بنداء اشد و اعلى نبرة و اكثر صرامة

وصله صوتها الخافت

"حلا الراشد"

وكانت بداية دخول لعنة نساء الراشد الى حياة رجال مهران

ايثار الراشد

اسم جلب لعنة اصابت حياتهم ,ولم يستطيعوا الفكاك منها الى اليوم

ايثار .. ذات سحر اسود يسبى كل من يراه ليجعله اسير محرابها ,يوم دخلت ايثار قصرهم و راها عرف ادهم انها لن تخرج منه ابدا,

عينيها قاسيتين بلون الفيروز تسبيانك و تركعك تحتهما, شعر اسود طويل كليلة لا تنتهى , قوام كلحن فاجر يابى ان يحرر من ينظر اليه

"ادهم ...ايثار زوجتى"

جملة لن ينساها ابدا شلت اطرافه وقتها جملة صدرت من امبرطور عائلة مهران.

ادرك ادهم ان صاحبة السحر الاسود قد فعلت المستحيل و اسقطت الامبراطور من عليائه,

دخلت ايثار الراشد القصر تصاحبها ثروتها الصغيرة

سابين طفلة فى السادسة من يراها يجزم انها سترث سحر ايثار الاسود الذى ستسبي به كل من يراها

نفس الخصلات السوداء المجنونة , نفس النظرة الفيروزية الفجة

سما , دمية صغيرة عيناها بلون السماء الصافية تحمل براءة بعيدة عن نظرة اختها , وخصلات شقراء ملفوفة كشعر دمية

و اخيرا حمامته الذهبية التى تحمل كل معانى الجمال فى نظرتها التى تمتزج فيها البراءة بالشقاوة بوهج ذهبى خاص بها تشعه على كل من يراها

اين ذهب هذا الوهج الذهبى حمامتى , اين اختفى شعاعك الذى كان ينفذ كالسهم الى قلبى و انا اسقط بكل استسلام لسحر احدى بنات الراشد.

افاق من ذكرياته على صوت تحطم شيء على ارضية الشرفة الرخامية , نظر اليها و قد اوقعت فنجانها من بين اصابعها المرتجفة.

جثت على ركبتيها عند قدميه تجمع القطع المكسورة .وهو ينظر اليها من علو , لحظات و نزل جالسا القرفصاء بجانبها و استمر فى النظر اليها و هو يكاد يلتصق بها , ارتجفت بشدة من قربه ولم تستطع رفع عينيها اليه , و من شدة ارتجافها جرحت اصبعها

باحدى القطع المكسورة , تساقطت القطرات الحمراءعلى فستانها الابيض , امسك اصبعها بيده و رفعه الى فمه وعيناه لاتحيد عنها , ظلت تنظر الى الارض بينما قلبها يكاد يقفز مذعورا بداخلها من حركة فمه.

عادت المشاعر الشرسة اليه لتنشب مخالبها باعماقه و تفقده ما تبقى من سيطرته

امسكت قبضته القوية فكها بعنف و امتدت يده الاخرى لتجذب رباط شعرها محررة الخصلات الطويلة من قيدها ,جذب راسها اليه ليلتهم شفتيها فى قبله كان ينتظرها من ساعات

لم تعرف كم استمرت قبلته ,لحظات ,دقائق لن تعرف ابدا احست بالدوار يلفها و يفقدها ما تبقى لديها من قدرة على تمييز اى شىء

جذبتها ذراعيه من خصرها كقضبان من فلاذ لترتكز على ركبتيها بدون ان يحرر شفتيها من اسر شفتيه.

امواج تبلعها و تلقيها بدوامة تدووووور و تدووووور.

"سيدى لق.....اه... انا اسفه .....اسفه جدا "

رفع راسه ببطء وهو يشتم و يلعن بداخله , لينظر الى الخادمة المذعورة امامه

"اذهبى الان زينب "قالها بهدوء لا يناسب البركان العاصف بداخله

انطلقت الخادمة المسكينة مهرولة و كان شياطين الارض تلاحقها

نظر ادهم الى وجه حلا المرتفع اليه وهى مغمضة العينين ولا تزال بين ذراعيه

"حلا .."

لم ترد بل يعتقد انها لم تسمعه اصلا , ربت على وجنتها باصبعه "حلا.."

ايضا لا رد

ضرب باصابعه اقوى قليلا على خدها "حلا افيقي..."

ارتفع جفناها ببطء لتنظر اليه عينان غلب عليهما خضار البحر فى اخر لحظات الغروب ,اول مرة يرى صغيرته وقد عصفت المشاعر بعينيها التى لطالما نظرت اليه فى خوف

يا الهى لقد كبرت صغيرته و اصبحت امرأة خلابة , لم يعرف متى كبرت ولا كيف اضاعها لتعود فى النهاية الى مكانها الطبيعى المقدر بين ذراعيه

"وعدا منى و لنفسى ... لن اضيعكى ثانية ابد الدهر.. يا حلا الراشد"

كانت تجلس على كرسي مكتبها بداخل احد فروع امبراطورية مهران

واضعة ساق فوق الاخرى باناقة , وكعب حذائها الرفيع الشديد الطول يطرق بانتظام سريع على ارضية الغرفة.

"هناك شى خاطىء ..... استشعره بداخلى "

مرت عدة ايام و لم يهاتفها كعادته , منذ ان ابلغها انه سيتغيب عن العمل لعدة ايام فى مكالمة مقتضبة رسمية لا تشبه مكالماته العاطفية الطويلة التى كان يمطرها بها بعد العمل وكان بقائهما معا ساعات العمل لا يكفيه

“اين انت مازن مهران .. يستحسن ان يكون لديك عذرا قويا “

“لست انا مازن مهران “

ظلت تحدق امامها بصمت هائج

كانت سارحة فى افكارها و لم تشعر بدخول احدا الى الغرفة الا بعد ان رات جدارا بشريا يعيق مجال الرؤيا امامها تماما

تاملت نظراتها الجدار البشرى الضخم العضلات ببطء شديد صعودا الى اكتافه ثم الى وجهه.

وجه وسيم وسامة رجولية سمحة لكن ايضا قوية الشكيمة , شعرا اسود قصير انتشرت به الشعيرا الفضية و ازداد انتشارها على جانبي وجهه لتعطيه جاذبية غير موجودة عند الكثير من الشباب الشديدى الوسامة ,

اما عيناه فهى قصة اخرى فهى للوهلة الاولى عينان بنية طيبة رقيقة انتشرت بعض الخطوط الدقيقة على جانبيها .الا انك حين تطيل النظر اليهما تجد باسا و صلابة تثير الرعشة فى الجسد.

استمرت فى النظر الى وجهه و هى مستندة الى ظهر كرسيها ممسكة بقلم تلعب به باستهانة بين اصابعها المصبوغة بلون احمر قان.

لم تنزل حتى ساقها من على الاخرى احتراما.

وقحة , كان يعلم انه سيجد فى هذا الكرسي اكثر النساء وقاحة , الا انه حين راها على الحقيقة اشتدت نيران الغضب بداخله من شدة وقاحتها.

حتى شكلها شديد الوقاحة . شعر اسود مجنون يحاول الصمود فى قيد ربطته خلف عنقها البيضاء الطويلة .,شفتان مكتنزتان اكتنازا يكاد يكون غريبا و مصبوغتان بلون احمر قان يتناقض مع النظارة العملية ذات الاطار الاسود التى تغطى عينيها بدون ان تخفى لونهما الغريب , لون فيروزى داكن يختلط فيه الاخضر الداكن بشظايا زرقاء لاهبة

عينان جميلتان تشبهان الاحجار الكريمة الا انها اشد قسوة منها

همس لنفسه

"ها قد جئت اليكِ .. و ساذيقك اياما اشد ظلمة من ليل شعرك الطويل ... يا سابين الراشد"

الفصل الرابع

استمرت سابين فى النظر بتسلية الى الكائن المفرط الرجولة و جاذبية امامها و قد ارتفع حاجبها الايسر قليلا وهى حركة ملازمة لها تقديرا لاى جاذبية رجولية ما ان تستشعرها.

ارتفعت زاويتي شفتيها المكتنزتين قليلا و قالت بصوت عميق ناقوسي ذو بحة غريبة سقط فى هواها اشدالرجال "نعم؟..!"

كلمة واحدة قليلة الحياء من فتاة وقحة مغرورة لا تليق ان تكون صاحبة مركز مهم مثل منصب مديرة مكتب مازن مهران.

ظل لحظات واقفا امامها كالجبل الشامخ و يديه فى جيبي بنطاله , عيناه لا تحيدان عن عينيها فى اختبار لقوة الارادة بينهما , استمرت اللحظات البطيئة حتى سرت بجسدها رعشة خفية جعلتها تطرف بعينها , فقط طرفة واحدة هو لاحظها و انتصر وظهر انتصاره فى عينيه مما اشعل غضبها .كانت حربا شعواء مدتها لحظات قليلة استشعرت فيها ما له من باس و صلابة جديدين عليها, وكان تاثير ذلك عليها يماثل غضب سنين و قرون.

"من فضلك يا انسة اتبعينى الى المكتب لنناقش امور العمل"

.....عبارة مهذبة بصوت رجولى عميق صادرة من الكائن البشري الضخم امامها.

فغرت شفتيها الجميلتين لحظة لتعود وتزمهما لتمنعهما من قول ما لا يحمد عقباه.

"هلا تتكرم سيادتك و تشرفنى بمعرفة هويتك"قالتها بسخرية شرسة

ارتسمت سخرية قاسية على زوايا فمه و قال

؛"الان وقد سالتى بادب ... اعرفك بنفسي .انا احمد مهران مديرك الجديد".

.....

.....

كانت جالسة على فراشها تضم ساقيها الى صدرها و تؤرجح نفسها الى الامام و الخلف فى حركة رتيبة بينما عيناها لا تريان امامها , منذ ان فرت من امامه صباحا الى غرفتها لم تخرج منها.

انها مرهقة , مرهقة جدا هذا كثير عليها فى اقل من عشرين ساعة شعرت انها تموت و تحيا الف مرة . يا الهى اقل من يوم و ها انا اكاد ان انهار كيف ساكمل هذا الاتفاق اللعين.

ترى هل سياتى اليها الليلة .. اذا جاء ستكون مستعدة له , الليلة الماضية اخذها غدرا اما الليلة فهى جاهزة لان تنشب مخالبها فى عينيه القاسيتين اذا حاول لمسها

احمر وجهها بشدة و زاغت عيناها و تسارعت انفاسها واخذت حالة الفزع القديمة فى الظهور تدريجيا , و ازداد تارجحها الى الامام و الخلف سرعة و تدافعت الصور امام عينيها ,عينان سوداوان بشعتان تحملان كره العالم لها ...الم ..الم شديد احساس بروحها تكاد تخرج منها لتعودااليها مرة اخرى ابية ان تريحها من العذاب.

فجاة اخذت العينان السوداوان فى التباعد لتختفى و تحل محلهما نظرة من عينين اخرتين رماديتين , نظرة لطالما رافقتها من طفولتها , لطالما شعرت بمراقبة هاتين العينين لها حتى دون ان تراهما اماها .نظرة لم تفهمها قبلا.

اخذت تهدا قليلا و يعود تنفسها لسرعته العادية

"الن ياتى ...؟" همست لنفسها باحباط

اخذت حالتها الهيستيرية فى التباعد و عاد وجهها الى لونه الطبيعي

"ما الذى اخره ..الن ياتى ؟".

هل سيستجوبها من جديد بشان طلال ..يا الهى .....طلال كنت مؤذيا و انت حى ولا زلت مؤذيا حتى بعد مماتك.

اظلمت عيناها للذكريات البشعة.

"الم .الم وطعم الدم فى فمهاوصوتها المرتجف لم يكن هذا ضمن اتفاقنا ارجووووك "

ظلام يحيط بها .ليال لا تنتهى مرات و مرات ....و الخلاص بالظلام المعتاد ليعود شعاع الفجر لايقاظها لتعود وتنتظر مصيرها المحتوم.

تذكرت انها همست نفس الكلمات الليلة الماضية الا ان ما تلاها كان بركانا من حمم لاهبة ثم اعقبها نفس الظلام.

"اكره حياتى . اكره عائلة الراشد و نساؤها و اكره عائلة مهران جميعهم لم ارى منهم سوى الالم .....و اكرهها هى .....اكرهها اكثر من كرهى لاى الم اصابنى"

"ما الذى اخرك..؟"همست ثانية

.....

.....

كان واقفا على الشرفة التى شهدت فقدانه لسيطرته صباحا يحاول تهدئة نفسه "اهدا يا ادهم و استعد سيطرتك التى كانت مصدر قوة لك , لن تاتى طفلة و تفقدك اياها فى نهاية المطاف "

حتى لو كانت طفلة ناعمة بيضاء ذهبية فى رقة النسيم و جمال الورود المتفتحة تثير فيك ال.....

لا لا يا ادهم انت تحيد عن المسار . استعد تركيزك فكر بشيء اخر اى شى

لكم يتمنى الصعود اليها و اخذها بن ذراعيه ليتركهها تبكى على صدره الى مالا نهاية , ولكنه يعلم انه ان وضع يده عليها لن يتركها . وهى ليست مستعدة بعد و هو يريد هذه المرة ان يبدا معها بالطريقة الصحيحة . لقد افسد الامر معها , افسده تماما ليس هذا ما كان يتمناه , كان يتمنى ان تتلاشى به كما تلاشى هوبها ...يريد ان تاتى اليه برغبتها ....."امممممم حسنا لا داعى لان يتمادى فان انتظرها حتى تاتى اليه سيكون عليه الانتظار للابد.يكفى فقط ان تكون مستعدة له و سيريها هو الى اى افق من الافاق سيصل بها".عند هذه النقطة شعر بقلبه يكاد يتفجر فى صدره وهو يتذكر المشاعر التى عصفت بعينيها صباحا , هل شعرت ولو

بقطرة مما شعر هو به , لا بالتاكيد لا يجب ان يخدع نفسه ليحصل على ما يريد , كل ما فى الامر ان هذا التقارب كان جديدا عليها.

لقد ضيعها طلال فى ضباب مجهول بالنسب له.صباب اسود عملاق يحيط بها

هو متاكد ان طلال اذاها بشدة ولو كان لا يزال حيا لكان قتله بنفسه , ولكنه لن يلح عليها فى معرفة التفاصيل الان ليس بعد, اه يا ادهم لايزال الطريق امامك طويلا.....

"الى متى ساظل اتعذب يا حلا ,تعالى اليا يا حلاي ...اخرجى من ظلامك و انقذينى من عذابى "

....

اخذت بضع لحظات تنظر اليه بدون ان يرمش لها جفن.

اخيرا نطقت بصوتها المبحوح العميق كصوت الناقوس.

"بالتاكيد انت الان تنتظر ان اصاب بالهلع و الصدمة .... لكن احب ان اطمئنك ان ذلك لن يحدث ابدا ...فهلا تكرمت و عرفتنى بنفسك."

رغما عنه شعر ببعض الاعجاب بالصلابة الفذة المنطلقة من عينيها . الا ان شيئا لم يظهر على تعبيرات وجهه حين قال بصوته الرخيم

"احمد مهران يا انسة .... و الان الحقينى الى المكتب "

ودخل الغرفة الرئيسية الملحقة بمكتبها بدون ان ينتظر منها رد

.....

"احمد مهران"

اذن هذا هو احمد مهران القضب الثانى فى الامبراطورية مع ادهم مهران و المتولى فرع العمل بالخارج.

كانت تعلم انه سياتى اليها مهما طال الوقت , لقد بدات الحرب و انتهى زمن عبثها مع ال مهران.

لا بد ان الامور استعصت اخيرا على دارين لتلجا الى رجل المهمات الصعبة احمد مهران.

قامت ببطء من على كرسيها , فردت ظهرها و رفعت ذقنها و سارت بإباء تتقاطع ساقيها باناقة على ارضية الغرفة ,فتحت الباب ودخلت و قد ارتسمت على فمها ابتسامة الاستهانة بكل شيء سواها.

وقفت امامه تنظر اليه فى غرور و علياء و هو جالس فى كرسي مازن مهران , ثم اتجهت الى الكرسي المواجه له و جلست عليه بحركات مدروسة واضعة ساقها فوق الاخرى , ولا تزال نفس الابتسامة المستفزة على شفتيها.

رفع راسه من الاوراق الموجودة امامه لحظة دخولها و اخذ يراقبها حتى جلست امامه.

امرأة فارعة الطول ذات قوام مكتنزملفوف باستدارة يشبه قوام ممثلات الستينات, قوام لا يخفى سحره الزى الرسمى الاسود الشديد الاناقة الذى ترتديه ويصل الى ركبتيها ولكنه ارتفع عنهما لحظة جلوسها.

صحيح ان زيها ليس مصمما للاغراء , الا ان هذه المراءة تشع اغراء و سحرا اسودا ليس مبعثه ملابسها او زينتها بل هو سحر ينبعث من داخلها , سحر مغوي يسبى ناسك.

نظر اليها بعد ان جلست.

ثم قال بلهجة ذات باس شديد يهز اشد الرجال

"قفى .....لم اسمح لكِ بالجلوس"

اتسعت عيناها قليلا فى اول تعبير بشرى لها منذ راها

انزلت ساقها ووقفت منتظرة التالى من الجبل الشامخ امامها.

قال بنفس اللهجة الصلبة الصارمة

"و من اليوم لا تدخلى هذا المكتب الا بعد ان تطرقى الباب و تسمعينى اسمح لكِ بالدخول ..هل كلامى واضح..... "

حاولت الكلام قائلة "ولكن قبلا كنت..... "

قاطعها بصوت اشد لهجة واقوى صرامة

"واااضح؟"

اجابت بصوتها الناقوسي المغوي الذى اخفى تحت ذبذباته بوادر اللهب الاسود

"واضح بالتاكيد"

ثم سالته

"الا يمكننى ان اعرف على الاقل اين مازن "

انه لا يصدق وقاحة هذه المراءة وشدة انحلالها و جراتها على ان تساله هو بالذات عن مازن مهران,الا انه لم يسمح لاى من مشاعره بالظهور و اجابها باتزان

"السيد مازن قرر تولى العمل بفرعنا فى الخارج و ساتولى انا العمل هنا "

لم يفتها كيف شدد على كلمة سيد ولكنها سالته

"هل سيعود للعمل هنا مرة اخرى ؟"

قال فى نفسه "اقسم بالله انى سانهض لاصفعها ان لم تتدارك نفسها "

ولكنه اراد ان يوضح لها ما جاء من اجله و يضع النقط على الحروف

"السيد مازن سافر مع عائلته و سيستقر بالخارج "

ساد الصمت بعد عبارته الاخيرة , اخذ ينظر اليها ليرى تاثير عبارته عليها , الا انها ظلت واقفة امامه بدون ان يظهر عليها انها سمعته مما استفزه و جعله يتابع قائلا

"مازن اراد ان تلد دارين بالخارج"

صمت.....صمت

قالت اخيرا بصوت متباطىء

"هل دارين حامل؟"

ها هى قد عادت الى صفاقتها و قلى حياؤها.

"نعم اختى حامل . .هل هناك ما يضايقك انسه سابين "

ظلت صامته قليلا تحاول استيعاب ما سمعته . ثم قالت اخيرا

"حسنا فلنناقش ما اردت من امور العمل"

نظر اليها نظرة فلاذية و قرر ان يكون اكثر وضوحا معها فقال

"استطيع ان اتفهم انكى كنت معتادة على العمل مع السيد مازن و الان اذا كنتى تجدين الامر مربكا لك , فلك كامل الحرية فى البحث عن مكان اكثر ملاءمة لك و لقد ترك السيد مازن خطاب التوصية لك "

.....ران صمت قاتل فى الغرفة.

تحركت ببطء شديد امام انظاره و ساقيها تتقاطع حتى وصلت الى حافة المكتب فانحنت واضعة كفيها على سطحه و اصبح وجهها على بعد سانتيمترات من وجهه , و همست بصوت قد يسبب ازمة قلبية لاصحاب القلوب الضعيفة

"قديما فى العصور الوسطى حين كانو يريدون احالة صاحب منصب هام يحمل معه كل اسرار الدولة للتقاعد ,كانوا يقومون باعدامه بلا تردد

لذا فان كنت تريد التخلص منى فالافضل ان يكون لديك سلاحا محشوا . لاننى احمل كل اسرار امبراطورية مهران"

للحظة تاهت نظرته فى شفتيها القرمزيتين و هما تتحدثان بهذا الهمس الاجش.

الا انه استعاد سيطرته فى جزء من الثانية قبل ان يظهر عليه شيئا

"هل استشعر رائحة تهديد انسة سابين!"

رسمت على وجهها معالم دهشة مبالغ فيها و هى تهمس بدون ان تتحرك من مكانها

"تهديد ؟!!! يا الهى كيف فهمت ذلك ..بالتاكيد لا فانا ولائى الاول و الاخير لمؤسسة مهران ,و الان بعد اذنك ساذهب و احضر ملفات اخر معاملات للفرع لنناقشها".

راقبها و هى تستقيم و تسير مبتعدة بمشيتها المتقاطعة , استسلمت عيناه لحظة لمتعة محرمة فى النظر الى قوامها الخلاب حتى خرجت من الغرفة , الا ان صوت انغلاق الباب افاقه و جعله ينتبه الى نظرته فاستغفر الله بداخله

"الان عذرتك يا مازن فن اين لك القوة لمقاومة هذه الشيطانه صاحبة السحر الاسود"

استعاد صوت بكاء شقيقته منذ عدة شهور و هى تاتى اليه مستنجدة بان مازن على علاقة مع مديرة مكتبه سابين الراشد , من وقتها و هو يقوم بتحرياته عنها و حين واجه مازن بالامر انهار و لم ينكر فلطالما كان مازن يسهل الايقاع به.

و قد حاول ان يمتص الموضوع و ينبهه الا انه مع مرور الوقت شعر بخطورة الموقف و استلزام تدخله شخصيا خاصة بعد معرفته بحمل دارين.

فلجا الى الشدة مع مازن ثم التهديد حتى تمت تسوية الوضع و استقرار مازن و دارين الا ان وضع مازن مخيفا حتى الان فهو يبدو شخصا مهووسا مصابا بلعنه تفقده صوابه لا يعلم متى سينجو منها ..هذا ان نجا اصلا.

استعاد فى ذهنه صوتها وهى تهمس بتهديدها الخفى الحقير لذا قرر فى لحظة واحدة استبقاؤها فى العمل و بالتاكيد ليس خوفا من تهديدها الاحمق ,فهو قادرا على ان يسحقها كحشرة ان استلزم الامر . لكنه الان و بعد ان واجهها لن يستطيع ان يترك الامور عند هذا الحد

"لكم سيطيب لى تعذيبك يا سابين بقدر ما سببته من الم حولك"

.....

لايعلم كم من الوقت ظل ينظر اليها و هى نائمة , انها تشبه الملاك بكل جدارة , ملاك معذب يئن كل لحظة ممزقا نسيج قلبه.

مد يده ليوقظها من نومها و يريحها من عذابها . الا انه عاد و سحب يده غير متاكد من صواب الفكرة.

"يا حلا يا حلاي كيف اريحك من عذابك ..و من يريحنى انا من عذابى "

ازداد انينها و اخذت تصدر نشيجا يمزق القلب و بدات الدموع تنهمر من تحت جفنيها المنغلقين , عندها لم يستطع التحمل اكثر فادخل ذراعيه تحت ظهرها و رفعها حتى ضمها الى صدره وهى جالسة و اخذ يهدهدها بين ذراعيه بينما كانت ذراعيها مفرودتين وساقطتين الى جانبيها و وجهها مدفون فى كتفه الصلبة تبلله بدموعها و هى لاتزال نائمة , اخذ يتعالى نشيجها قليلا فاعتصرها بين ذراعيه اكثر و اكثر و هو يهمس فى اذنها "هششششششش.....هششششش"و استمر ضاما اياها الى صدره حتى هدات الا انه لم يتركها و ظل يؤرجحها بين ذراعيه ,فجاة احس بقلبه توقف ثم عاد لينبض بعنف مهددا بالانفجار حين شعر بيد صغيرة تلامس صدره , امسك بذقنها و رفع وجهها اليه فوجد جوهرتين عسليتين مخضرتين تنظران اليه فى استسلام و ارهاق, ظل ينظر اليها و هى تنظر اليه فى صمت , وبدون ان يشعر اخذ يميل بها حتى استلقت بظهرها على الفراش وهى لاتزال بين ذراعيه بينما فمه يلتهم فمها.

كان يعلم انه لن يستطيع منع نفسه , لن يلوم نفسه اكثر من هذا فهو يسترد حقه , يسترد ما سلب منه . عند هذه النقطة اغلق عقله و غاب بها فى بحر لا قرار له .

الفصل الخامس

شعر باشعة الشمس تداعب وجهه ففتح عينيه و تمطى بكسل كاسد اشبع جوعه للتو , لم يعرف يوما شعورا اروع من ذلك يشعر انه عاد لبيته اخيرا , التفت ليبحث عن شمسه الذهبية ليتلاشى بها مرة اخرى الا انه لم يجدها بجانبه . استوى جالسا بسرعة يجول بعينيه فى انحاء الغرفة فلم يجدها , نهض من الفراش و اتجه الى الحمام الملحق بالغرفة وفتح بابه ولكن لم يكن لها اثر.

اتجه بنظره الى بابي الشرفة المفتوحين على مصرعيهما و الستائر الرقيقة تتطاير بنسمات الهواء الباردة , فاتجه ببطء الى الشرفه و هو لا يعلم لماذا انتابه فجاة شعورا بالصقيع جمد قلبه و بعث رعشة فى جسده ,وصل الى الشرفة و خطا خطوة واحدة اليها.

تجمد فى مكانه مذعورا وقد توقف قلبه رعبا و اتسعت عيناه ارتياعا , فهناك على سور الشرفة كانت حلا تجلس عليه بقميص نومها و ظهرها اليه بينما ساقيها تتلاعبان خارج السور و شعرها الطويل يتطاير مع الهواء الذى يضرب وجهها!

بقى لحظات متسمرا فى مكانه كتمثال حجرى و قد فقدت ساقيه القدرة على الحركة.

ان غرفتهما بالطابق الثالث من القصر و اسفلها توجد السلالم الرخامية لمدخل القصر فان سقطت فستقتل فى الحال.ابيض وجهه و ارتجفت تفتاه لا يعلم كيف يتصرف فهى ان سمعته حتما سينتابها الذعر و ستسقط.

اتخذ قراره بسرعة و قد حركه اندفاع الادرينالين بجسده فسار حافيا على ارضية الشرفة خطوة خطوة و هى لا تشعر به حتى صار على بعد خطوة واحدة فقط منها , وفى هذه اللحظة و كانها شعرت بوجوده فالتفتت الى الوراء و ما ان راته حتى شهقت مذعورة فاختل توازنها ,لم يعرف كيف تحرك فى جزء من الثانية و بسرعة الفهد و لف ذراعه الحديدية حول خصرها بعد ان انزلقت قليلا من حافة السور , فسحبها بذراعه بعد ان تلقت عدة خبطات فى السور الحجرى , حتى وصلت الى صدره ثم حملها بكلتا ذراعيه و ادخلها من السور و هى متعلقة بعنقه بشدة و مغمضة عينيها , و ما ان اطمان انها داخل الشرفة حتى انزلها على قدميها و فك ذراعيها من حول عنقه بشدة.

و لم يدرى الا وهو يرفع يده عاليا و يهبط بها على وجهها بصفعة قاسية اسقطتها ارضا , اتسعت عيناها رعبا و اخذت تزحف على الارض حتى وصلت بظهرها الى جدار الشرفة وضمت ركبتيها الى صدرها و رفعت ذراعيها الى وجهها اتقاءا لمزيد من العنف.

جلس امامها على ارضية الشرفة مستندا بظهره على الجدار المقابل و هو لايزال يلهث بعنف غير قادر على التقاط انفاسه ,بعد عدة لحظات نظر اليها و هى منكمشة امامه تغطى وجهها بذراعيها وتشهق بكاءا.

هدر فيها صارخا "بامكانى قتلك الاان"

لم تنطق بكلمة و ازداد نحيبها و ارتعاشها.

قام من مكانه بحركة واحدة ووصل اليها فجذبها من ذراعها بقسوة رافعا اياها ثم ضمها بين ذراعيه بقوة كادت تحطم اضلاعها . اخذت تقاومه بضعف و قد ابقت راسها مطرقة لا تجرؤ على رفعها فمد يده الى شعرها و جذبه لترفع وجهها اليه ثم انقض على شفتيها

بقبلة عنيفة حملت كل ما اعتمل فى نفسه من رعب اللحظات السابقة.

ازداد بكاءها و ارتعاشها بدرجة مرعبة فرفع راسه و نظر الى وجهها الذى اصبح يحاكى الاموات فى شحوبه فما كان منه الا ان مد ذراعه تحت ركبتيها وحملها داخلا بها الى الغرفة ثم وضعها على الفراش , بقى ينظر اليها لحظات ثم اتجه الى الحمام.

اخذت تبكى وتبكى وقد اخفت وجهها بين يديها المرتعشة وقد تعالت شهقاتها.

كان فى الحمام يحضر المعقم و القطن وهو يسمع شهقاتها الا انه لم تاخذه بها لحظة شفقة واحدة , فقسما بالله ان اعادتها لسوف يضربها حتى يكسر عظامها الى ان يحررها من جنونها.

عاد اليها و هى لا تزال تبكى ,فمد يده وابعد يديها عن وجهها بجفاء و جلس بجوارها على حافة الفراش و اخذ يمسح الجرح الموجود بزاوية شفتها و حين انتهى مد يده و رفع قميصها و اخذ يمسح الخدوش و الجروح التى اصابت ساقيها و خصرها اثناء تخبطها على حافة السور.

كانت تنظر اليه وقد هدات شهقاتها قليلا.

"انا اسفة ..." وصلت هذه الهمسة المرتجفة الى اذنيه ,فتوقفت يده لحظة ثم عاد لينظف جروحها بدون ان ينظر اليها.

"انا اسفة..." قالتها مرة اخرى بهمسة اكثر خفوتا جعلته يشك فى انه سمعها اصلا.

رفع راسه ببطء و الجفاء لا يزال مرتسما على وجهه وقال بتجهم

؛"لو كنتى قد سقطتى ..لكنت نزلت اليكى و خنقتك بيدى "

ارتسمت ما يشبه ابتسامة ضعيفة على شفتيها الزرقاوين لكنها كانت كافية لان يبعد ما كان يحمله و يجذبها بين ذراعيه ضاما اياها الى صدره و ظل هكذا طويلا وقد سند ذقنه على قمة راسها.

اغمضت عينيها و قد بدات تشعر براحة غريبة لم تشعر بها منذ وقت طويل طويل جدا

ظل يمشط شعرها باصابعه حتى بعد ان نامت

"ماذا بك يا حلا ....اين ذهبت ذهبيتى الصغيرة التى كان شعاع البهجة يقفز من عينيها ناشرا السعادة حولها".

....

استمرت جلسة العمل بينهما لاربع ساعات متواصلة , لم يكن يظن ان المغوية الوقحة من الممكن ان تكون حوت عمل بهذه المقدرة الفذة , حتى الفترة التى ترك فيها مازن العمل سار كل شيء كالساعة و تم انهاء كل المعالات فى مواعيدها نظرا للسلطة الممنوحة لسابين الراشد.

فرد احمد ظهره و هو يشعر بتشنج فى عضلاته . بينما سابين تجلس امامه باناقة تتحدى تعب الساعات السابقة.

؛"حسنا ..يمكننا التوقف الان " قالها بصوته الجاف.

رفعت عينيها من الاوراق و حاسبها المتنقل امامها ثم رفعت نظارتها الى اعلى راسها مبعدة بها بعض الخصلات الحريرية المجنونة المتساقطة , تركت نظارتها علامات حمراء بين عينيها فاخذت تدلكها باصبعيها

وهى مغمضة ,فتحت عينيها ببطء و ارهاق لتجده ينظر اليها عاقدا حاجبيه.

للحظة سرت رعشة غريبة فى جسدها و قد تعلقت عيناها بعينيه فى اتصال غريب لم تستطع تفسيره.

كان ينظر اليها وهو يشعر بمشاعر غير ملائمة , فلو كان يشعر بالاغواء لكان هذا طبيعيا بالنسبة لسابين الراشد لكن يسري احساس بالتعاطف بداخله فذلك ما لم يستطع تفسيره.

انها المرة الاولى التى ترفع فيها نظارتها منذ راها و ها هو ينظر الى الحجرين الكريمين المحاطين ببركتين حمراوتين من الارهاق , لم يكن هناك ماهو اكثر جمالا بالرغم من الهلات الزرقاء التى بدات بالظهور تحت عينيها ,اما شفتيها فكانتا قصة اخرى فلقد قارب اللون القرمزى القانى الذى يصبغهما على الاختفاء لحركتها المستمرة بلعقهما كل فترة ,وتبقت فقط شفتيها وردية تبدو شديدة النعومة .وقد فقدتا ارتفاعهما الساخر لتتساقط زاويتيهما بتعب و لمحة حزن خفية ,كل هذا جعلها مثالا للانوثة الناعمة .وهى صورة مختلفة تماما عن التى راها بها صباحا.

استمر الصمت بينهما لحظات مشحونة و عيناهما غير قادرة على التحرر من اسر بعضهما البعض .قطع هذا الصمت فجاة بصوت محتد قليلا شديد الصلابة.

"اخرجى الان لقد انتهينا "

اهتزت حدقتاها للحظة ثم انتصبت واقفة بسرعة وكبرياء جامعة اوراقها و حاسبها ثم تحركت خارجة من الغرفة دون ان تنطق بكلمة مغلقة الباب وراءها بهدوء.

ظل ينظر الى الباب المغلق و هو يتسائل ما الذى يحدث له الان ليجد شعورا بالذنب يطل بداخله , انها ساحرة مشعوذة هذا هو السبب الوحيد , انها تجيد اصول اللعبة هذا هو كل ما فى الامر و هو لن ينخدع بسحرها مهما بلغ سلطانه.

بعد ان انتهى من العمل لساعة متاخرة خرج من مكتبه ومشى مارا بها ليجدها تنظر امامها جالسة على كرسيها و قد هاله ما ارتسم على ملامحها من حزن عميق , هل اللعبة انقلبت عليها ؟ هل يعقل ان تكون قد احبت مازن ؟

ياالهى ما هذا الذى يقوله القد القت عليه تعويذتها بالفعل ...يجب ان يخرج من هنا حالا قبل ان يفقد عقله اكثر من ذلك.

وقف امامها وقال بلهجة فظة

؛"لا تتاخرى غدا ..فان كان هناك ما لا اطيقه فهو عدم احترام المواعيد "

رفعت نظرها اليه مجفلة ,لتعود و تقسو عيناها و تزم شفتيها و تعود الى سابين التى عرفها صباحا

قالت بصوتها الناقوسي المبحوح

"؛ملاحظة غريبة من شخص جاء متاخرا بساعتين عن مواعيد العمل"

نظر اليها لا يصدق نفسه من شدة وقاحتها

"يبدو انك تنسين يا انسة اننى الان مديرك و صاحب العمل ..لذا فانا احذرك التزمى حدودك سابين"

خرج مسرعا قبل ان يفقد اعصابه و يتحامق عليها اكثر من ذلك ,بقيت جالسة فى مكانها غير قادرة على الحركة .

سرحت عيناها "اذن فدارين حامل ....الوغد الخائن ..اليست هى دارين التى عذبته بغرورها وتفاهتها حسب قوله الم يخبرها انهما منفصلان من شهور و يبقيان على زواجهما فقط من اجل المظاهر."

لماذا تتعجب اليس رجلا ككل الرجال . كانت تظنه مختلفا كان رقيقا و عاطفيا لابعد الحدود ,نظرته خالية من الشهوة المقرفة الموجودة فى عين كل من يراها.

"حسنا سابين ....ستفتقدين شخصا استطاع اضحاكك يوما".

.....

انها تحتاج الى المساعدة و تحتاج اليها بسرعة, ان كان هناك من يستحق الصفع فسيكون هو بكل جدارة , كان يعلم انها ليست مستعدة بعد لكل هذا الارهاق العاطفى , كانت تظهر عليها الهشاشة بوضوح و الضياع ينطق من عينيها.

لقد كان نذلا انانيا لا يختلف كثيرا عن طلال , انتابته قشعريرة اشمئزاز حين قارن نفسه بطلال.

ترى هل هى السبب ؟ هل هى من تلقى لعنة على كل من يعرفها لتجعله يرغب باذيتها.

لا....لا انه ليس بهذه الدناءة انه مستعد لان يحرق حيا لتعود حلا القديمة صاحبة الوهج الدافىء.

منذ ما حدث صباحا و هو يجلس بجوارها على الفراش حتى بعد ان نامت لا تواتيه الجراة ليتركها لن يتحمل قلبه رعبا كالذى شهده صباحا ولو اقتضى الامر سيترك العمل لمن ينوب عنه و يبقى هو بجوارها ليراقبها فلن يتردد.

لكن ليس هذا هو الحل , انها تحتاج الى المساعدة و بسرعة و ليستطيع ان ياتى لها بالمساعدة التى تحتاجها لابد ان يعرف ما اصابها و اطفأالشعلة بداخلها.

طلال ابن عمه و يعرفه جيدا منذ طفولتهما و هو يعرف ميوله العدوانية العنيفة , و يعرف نظرة الجنون بعينيه لكن ابد لم يرى نظرة رغبة واحدة منه الى حلا و الا لكان قتله بنفسه ,اذن لماذا تزوجها هل لمجرد انه كان يعلم برغبته هو فيها.

لطالما استشعر الغيرة القاتلة من ناحية طلال منذ ايام شبابهما الاولى وكان دائما يتلقى منه طعنات الغدر بالظهر مهما حاول التواصل معه بناءا على رغبة والده فلقد كان طلال مفضلا دائما من عمه وكانت بينهما امورا خفية لم يحب ادهم يوما ان يعرفها لثقته انه لن يعجب بما سيعرف الا انه كان متاكد من امرا واحد وهو ان طلال كان رجل المهام الغير نظيفة فى الامبراطورية وليس هناك غيره من ابناء عمومته من يقبل بهذا المنصب ولهذا كان مهما لدى والد ادهم و هو امبراطور ال مهران.

و الضربة القاضية حدثت حين عاد يوما من رحلة عمل لصدم بخبر زواج حلا و طلال و سفرهما لقضاء شهر العسل.

اظلمت عيناه لا يريد ان يتذكر ما شعر به وقتها من خيانة كل من حوله واولهم والده الذى كان يعرف برغبة ادهم لحلا ,الا انه فضل ان يهديها للحقير طلال او بمعنى اصح اشتراها له من سليلة الشيطان ..ايثار

يا الهى لقد حطموا قلبه ولم يستطع مسامحتهم يوما.

هز راسه بعنف دافعا سيل الذكريات البائسة ليركز الان على حلا وكيفية استعادتها لنفسها مرة اخرى.

.....

عادت سابين الى شقتها الانيقة البسيطة بعد هذا اليوم الحافل ..و المؤلم

ما ان دخلت حتى قذفت حذائها العالى بعيدا و فكت رباط شعرها ليتدفق حتى خصرها و مشت ببطء و تثاقل الى الداخل

؛"لقد تاخرتى .." جاء هذا الصوت المبحوح باعثا قشعريرة الغضب المعتادة بداخلها.

التفتت ببطء لتواجه المراة الممدده على الاريكة الصغيرة و ساقيها الملفوفتان مستريحتان تحتها باناقة ,ذكرتها فى جلستها بفهد اسود لامع يتمدد بكسل و غرور.

نظرت سابين اليها وقالت بصوتها الناقوسي الساخر

"الا تعتقدين اننى كبرت قليلا على طلب الاذن بالتاخير"

نظرت اليها صاحبة السحر الاسود الذى يتحدى معالم الزمن المتمثلة فى بعض الخطوط الدقيقة حول عينيها ,و قالت

"لا تبالغى فى الاستقلال ..سابين"

مشت سابين ببطء حتى وصلت الى الاريكة و لفت خلفها ثم انحنت الى اذن المراة المهيبة و همست

"غير مسموح لك بالتدخل فى حياتى ابدا ..ايثار "

ثم استقامت و سارت مبتعدة الا انها وقبل ان تختفى التفتت و قالت بابتسامة متشفية

"على فكرة ..لقد سافر مازن و سيستقر هو ودارين بالخارج..وهى بالمناسبة حامل"

غضب اسود قد يحرق العالم غطى ملامح الساحرة السوداء و اصبحت عيناها فجاة بالرغم من جمالهما بشعتان تبعثان الرجفة فى الجسد,

و لقد اصابت هذه الرجفة جسد سابين رغما عنها.

.....

دخلت سابين غرفتها و اغلقت الباب خلفها لتكون بداخل منطقتها الخاصة الممنوعة, رمت نفسها على الفراش و اخذت تتطلع الى سقف الغرفة

"حسنا يا ايثار ..ضاعت صفقتك الغالية ..تكفيكي الصفقتين السابقتين يا ايثار .. اخرجينى انا من حساباتك الدنيئة "

داهمتها فجاة عينان بنيتان صلبتان نتظران اليها بقسوة فابتسمت قليلا بالرغم من ان حاجبيها معقودان

رن جرس هاتفها المحمول ليقطع افكارها الغريبة , فاخرجته من حقيبتها و ما ان طالعها الاسم المحبب الى قلبها حتى ابتسمت برقة و ضاعت كل القساوة من عينيهاثم ردت سريعا

"؛اهلا حياتى الصغيرة ..كيف حالك حبيبتى"

انساب الصوت الناعم من الهاتف محدثا ايها بكل رقة ليملا قلبها بشوق جارف للصغيرة الغالية, و بعد محادثة صغيرة لطيفة , سالتها سابين بجدية

"اجيبينى الان.....كيف حالك حقا؟"

وصلها الصوت الناعم يخفى تحته بعض ذبذبات الالم

"انا بخير سابين ...حقا لاتقلقى."

.....

جلست ايثار مكانها وعيناها محمرتان من الغضب

"الغبية ...الغبية لم تنجح فى الايقاع به , كل من يراها يؤكد انها هى انا .....الا اننى اعرف ..اعرف جيدا انها متمردة و ستظل تتمرد علي دائما, بالتاكيد لم تاخذ الغباء منى . فقط الصلابة و القوة اورثتها اياها الا انها دائما ما كانت تستعملها ضدى..

كانت تتسلى بعبث مازن .. رغم كل تخطيطى لها وايهامها لى بانها تسير بكل نجاح الا اننى كنت اعلم انها تتسلى بالعبث مع المهران و لن تحقق ما اريده ابدا , الغبية تسكننى هذه الشقة الوضيعة و اقصى احلامها الغبية هى التقدم فى منصبها فى مؤسسة مهران "

اظلمت عينا ايثار "لم استطع تحطيمها ...لكن انا لها .. و ساجعلك تبكين دما على الغالية دارين "

.....

خرجت سابين من غرفتها و قد ارتدت ملابسها المريحة لتجد ايثار جالسة بنفس الوضع منذ تركتها , اتجهت اليها و ارتمت على الكرسي المجاور لها غير مبالية بنظرة الاجرام فى عيني ايثار بل تشعر بداخلها بسعادة وحشية لانها سبب هذه النظرة ثم قالت بدون مقدمات

"لقد اتصلت سما الان."....

لم يرمش جفن لايثار فتابعت سابين

"هل تتذكرين ..كانت لديك ابنه صغيرة اسمها سما"

ثم فجاة مالت الى الامام فى حركة شرسة سريعة قد ترعب احدا اخر لكن ليست ايثار و صرخت فى وحشية

"سما .....سما يا ايثار هل تتذكرينهاا...."

ظلت ايثار تنظر امامها و قد عادت اليها ذكرى عمرها ثلاث سنوات,

حيث كانت تجلس امام زوجها امبراطورال مهران يلعبان الشطرنج , و بلا مقدمات قال بنبرة قاطعة

" اريد سما..." ولعب دوره على رقعة الشطرنج

لم يظهر اى انفعال على وجهها وهى تنظر الى اللعبة وتفكر فى حركتها التاليه وقالت بصوتها المغوى المبحوح

"وضح كلامك.." ثم قامت بحركتها

"اريدها لفارس.. "

انتظرته ايثار ان يلعب و هى تنظر اليه و قالت بصوتها المبحوح

"الا تظن انها لا زالت صغيرة "

"ليست اصغر كثيرا من حلا و ها انا اخذتها لطلال...."ثم قام بحركته

قالت بصوتها المبحوح المغوى

"لكن انظر ماذا حدث لحلا....."

قال بكل هدوء "دعينا نلعب بوضوح ....كنت تعلمين ايثار فلا تنكرى "

صمتت وقد ظهرت القسوة فى عينيها بينما تابع هو

"ثم هل تقارنين طلال بابنى فارس...."

نظرت اليه و عيناها تلعبان لعبة تحدى مع عينيه

"لكن فارس"صمتت قليلا".....ما الذى يجعلنى اقبل لسما بهذا....."

قال بنبرة قاطعة

"الثمن.....العبي" .

الفصل السادس

خرجت سابين من مكتب احمد مهران و كعبي حذاؤها يطرقان على الارض معلنان عن الغضب الهمجى لصاحبتهما , وصلت الى مكتبها و رمت ملف اوراقها عليه بعصبية و انحنت واضعة كفيها على سطح المكتب و اخفضت راسها تحاول ان تتنفس ببطء و تعد للعشرة فهى مستعدة فى هذه اللحظة لان تقتل احدهم.

كان ظهرها الى باب مكتب احمد منحنيه بهذا الوضع وتطرق الارض بكعب حذاؤها الايسر بعصبية ,لم تلحظ انها نسيت ان تغلق باب المكتب و هى خارجة .فبعد ان هدات قليلا و التقطت انفاسها استقامت و التفتت لتذهب الى كرسيها , ففوجئت باحمد مهران يقف بباب مكتبه و قد دلت نظرته الجامحة على انه كان يلتهمها بنظرته و هى منحنية بهذا الوضع.

لم تدرى لماذا انتابها شعور احمق لا تدرى له اسما سبب سخونة غريبة بوجنتيها ,لطالما نظر اليها الرجال بمختلف انواع الرغبة و الاعجاب , الا ان نظرته هو ... طرقت احساسا غير مالوف بالاستجابة لديها.

استعادت سيطرتها على نفسها بقوة ارادة منقطعة النظير و فى لحظة واحدة رسمت ابتسامة حملت اغواء العالم , ابتسامة قد تسقط اعتى الرجال تحت سحر هاتين الشفتين المكتنزتين المصرة ان تصبغهما باللون القرمزى ,رفعت حاجبها الايسر الساخر و سالت بصوتها الناقوسي المبحوح

"هل يعجبك ما تراه ؟....."

ارتفع حاجبيه و اتسعت عيناه و قد شهدت هذه الغرفة معجزة ارتباك احمد مهران و عدم قدرته على ايجاد الكلمات المناسبة.

تابعت سابين بنفس الصوت الساحر

"ان كان يعجبك ما تراه .. فانا اسمح بهذا فى سبيل صالح العمل "

ازداد اتساع عينيه حتى قارب الذهول

تلعثم قائلا "ماذا؟....."

اقتربت منه بهدوء و هو يراقب ساقيها تتقاطعان حتى وصلت الى خطوة منه و رفعت عينيها الى عينيه و اسرتها ... و قالت بنعومة الدنيا

"طالما يعجبك رؤيتى غاضبة ... ساسمح لك باغضابى متى شئت"

احس فجاة كمن سقط عليه دلوا من المياه الباردة و هو يسير فى طريق مزدحمة.

ظل على ذهوله لحظة ثم بدا الغضب يستشري به تدريجيا حتى احمر وجهه لدرجة انها بدات تخشاه و تخشى عليه فى نفس اللحظة, فتح فمه يريد ان يصب جام غضبه عليها الا انه عاد و اغلقه و التفت عائدا الى مكتبه صافقا الباب خلفه بعنف ناسيا ما كان اتيا لقوله.

اتسعت ابتسامتها و هى تفكر ان هذا هو ما يستحقه بعد كل التعنت و التسلط الذى مارسه عليها منذ الصباح الباكر.

همست لنفسها" لقد وقعت عقد اخضاعك للتو احمد مهران ... و لكم سيطيب لى اخضاعك."

الحقيرة .... اللعينة .....مغوية الرجال , كانت تعلم ما تفعله , انها لا تليق بالعمل هنا فى المؤسسة بل الاجدر لها العمل فى.....

استعاذ بالله من الشيطان و غرز اصابعه فى شعره مغمضا عينيه

"ما الذى يحدث لك يا احمد .....لم تكن يوما ممن ينظرون الى النساء بهذه الطريقة .....فما الذى حدث الان "

اخذ يهدىء نفسه هامسا

"انه رد فعل طبيعي .... لقد مر وقت طويل منذ...هذا هو كل ما فى الامر , لقد تصادف ان يتقاطع طريقك مع ساحرة تسبي القلوب ...الامر فى منتهى البساطة "

"استعد تركيزك يا احمد ...لن تفقدك اياه مجرد لعينة جميلة العينين و ال....."

تافف بصوت عالى وعاد الى اوراقه يحاول ابعاد غباء اللحظات السابقة عن تفكيره.

....

داعبت انفه رائحة الياسمين الناعمة فاستنشقها بكل هدوء.

انها هنا تراقبه من جديد لا تكل و لا تتعب , رائحة الياسمين الرائعة تسبقها دائما وتصل اليه لتداعب حواسه , تنفس ناعم يصل الى مسامعه قد لا يسمعه غيره , تقف ما يقارب الساعة او ساعتين تراقبه وتظن انه لا يشعر بوجودها .لقد اختارت الجانب الامن بدلا من اظهار نفسها و تحمل جام غضبه وسلاطة لسانه الشبيه بجلد السياط التى كان يمطرها به.

انه غاضب ...غاضب بشدة يريد ان يقتلها , لا يتحملها و لا يتحمل رفرفتها الناعمة حوله

الا حين تتاخر نسائم الياسمين فى الوصول الى انفاسه وقتها يشعر برعشة خوف من ان تكون قد استسلمت و رحلت بلا رجعة ,فما الذى سيبقيها الان فمن اشتراها له قد رحل و بقي هو . الا انها لم ترحل.

المقاتلة الصغيرة الى متى ستتحمله ,متى ستطالب بحقها من الحياة لتنهل منه.

لم تعد طفلة انه يشعر بذلك بالرغم من انه لم يراها ابدا ,لقد تغير صوت المراهقة المتلعثم ليصبح ذو بحة رائعة , تغير صوت الخطوات الخرقاء لتصبح خطوات متزنة رقيقة ناعمة تكاد تلامس الارض من حوله.

انه متاكد من ان الوردة الصغيرة قد تفتحت الان و هى فى انتظار من يتذوق رحيقها.

اندفعت الدماء الغاضبة فى اوردته و عادت اليه الرغبة الشيطانية فى ايذائها , اعتصر الكأس الكريستالى بشدة حتى تحطم جارحا يده و فى لحظة واحدة سمع رفرفة الخطوات الناعمة بجانبه وشعر بلمسة كاوراق الورد على يده تحاول ابعاد قطع الزجاج المكسرور عنها, الا انه جذب يده بعنف وصرخ

"ابتعدى ايتها اللعينه .....الى متى ساظل احذرك من ان تلمسيني"

سمع شهقة ناعمة عكست كل الام العالم فما كان منه الا ان قام بعنف من كرسيه متناولا عصاه مبتعدا بسرعة عنيفة متعثرة و خرج من الشرفة التى اعتاد الجلوس بها وحيدا تاركا خلفه عينان مجروحتان نديتان بلون زرقة السماء الصافية و لم يصله همسا مبحوحا

"الى متى ستعذبنى بقسوتك....."

دخل الى غرفته صافقا الباب خلفه بعنف شديد واتجه الى الحمام و وضع يده تحت الماء و هو ينظر الى المراة بدون ان يرى قسوة عينيه الشيطانية.

يا الهى نسائم الياسمين مرة اخرى ..انها حقا لاتستسلم , ظل صامتا متباعدا يستمع الى خطوات خائفة تقترب منه بحذر , انه يستشعر خوفها فى خطواتها ,خوفا من ان تضربها يده بقسوة كما فعل مرارا.

وصلت اليه وسمع نبرتها المرتجفة الهامسة

"ارجوك يا فارس دعنى انظف جرحك ....انا هنا لاخدمك فلما تعترض"

ظل صامتا وملامح وجهه تشبه الصخور فى صلابتها .شجعها صمته على مد يدها لتتناول يده ثم اخذت تنظف جروحه بكل رقة.

كانت قمة راسها تلامس ذقنه , انه يشعر بالخصلات الحريرية تداعبه ,انقبضت يده بشدة يحاول السيطرة عليها حتى لا يغرزها فى شعرها ,لقد فعلها قبلا متلمسا نعومة شعرها يومها اندلعت النيران بقلبه من لمسة شعرها و خوفا من ان تلاحظ ما انتابه من ضعف جذب شعرها بشدة فصرخت الما بينما اسمعها هو كلاما حقيرا صارخا بكل ما استطاع ان يؤلمها به.

هذه الذكرى تشعره بالم عنيف كلما تنشق عطر شعرها كما يفعل الان , ابعد رأسه عن ملمس شعرها محاولا ابعاد رائحة الياسمين عن عقله.

انتهت من تنظيف جروحه وتضميدها وقالت بصوت رقيق

"ان موعد الطبيب بعد ساعتين ... هل تحتاج الى شىء الان "

احمرت عيناه و عاد شيطانه ليسيطر عليه فمد يده بسرعة خاطفة لم تستطع تداركها فقبض على ذقنها بشدة شعرت معها انه يكاد يقتلع فكها السفلى من شدة الالم الذى شعرت به ,الا انها لم تنطق بكلمة واغمضت عينيها بشدة منتظرة ان يصب عليها كلامه المسمم الذى اعتادت سماعه ما ان تذكره بموعد متابعته مع الطبيب.

اقترب فمه من اذنها و همس همسا اجشا مرعبا

"هل تحبين ان اؤلمك ؟ الن تبتعدى عن طريقى ام انك متشوقة لما سانزله بك "

ارتجف جسدها بشدة خوفا من بطشه و تابع هو كلامه وهو يشد على ذقنها اكثر

"الى متى ستظلين هكذا ؟ ماذا تنتظرين ؟ هل تتوقعين ان اقع فى حبك ؟هل هذا ما تاملين ان يحدث ؟ هل صور لك غبائك انه من الممكن ان اشعر باى شىء .....اى شىء ناحيتك سوى الاحتقار؟

انت هنا فقط لان والدى اشتراكى لخدمتى و لقد قبضت امك الثمن فلا تطيري باحلامك لابعد من ذلك "

شعر بقطرة سائلة سقطت وانسابت على يده الممسكة بذقنها فاحس بقلبه يكاد ينفجر من مشاعر قاسية لا ترحم و بالكاد سمع همسا ضعيفا منها

"انا اعرف مكانتى جيدا يا فارس و احاول تنفيذ ما جئت من اجله وانا لا اتطلع لاى شىء انا فقط اقوم بخدمتك "

جذب ذقنها بشدة لاعلى و اقترب فمه من فمها الرقيق حتى اختلطت انفاسه بانفاسها فاخذ قلبها يخفق بعنف حتى خشيت ان يسمعه.

شعر هو بارتجاف انفاسها على وجهه ,لقد كان هذا هو رد فعلها دائما عندما يقترب منها , فان كان لا يراه فانه يشعر بتغير سرعة تنفسها على وجهه و ارتجافها مما يمنحه احساسا خياليا بالرضا و الغرور , وما ان شعر به الان حتى همس بشراسة

"هل تعتقدين ان بامكانك خداعى ؟هل تظنين اننى لا اشعر بارتعاش انفاسك و شدة خفقان قلبك كلما اقتربت منك ؟هل تظنيننى قليل الخبرة حتى لا استشعر رغبة انثى بي و ارتعاشها بين ذراعى ؟.....خاصة و ان كانت غبية صغيرة مثلك"

هبط قلبها بين قدميها متحطما , لقد حطم قلبها للتو كما حطم الكأس منذ قليل.

يا الهى لم تعرف الما او خزيا كالذى تشعر به الان , كلماته كانت اشد وجعا من كل ما اسمعها سابقا , ازداد جريان دموعها لتتساقط انهارا صغيرة على يده

استطاع ان يسمع نحيبا هامسا جلد قلبه , الا انه عاد و قساه حتى لا تاخذه الشفقة بها ,طفلة صغيرة جشعة باعت نفسها من اجل ان تكون واحدة من زوجات ال مهران تماما كامها و شقيقتها , و الان تريد ان تعيش مشاعر جديدة و تشعر بانوثتها حتى وان كانت معه هو.كان يعرف كم يعرف الجميع قدرة نساء الراشد على التلاعب بصفقات الزواج الا انه لم يتصور ان ياتى اليوم الذى سيصبح فيه فارس مهران رجلا عليلا لا يجد من ترعاه ليلجا والده الى شراء مراهقة صغيرة من ال الراشد لتقوم على خدمته و اشباع غرائزه.

بعد ان كانت القلوب الهائمة تتساقط عند قدميه و كان هو يقذفها و يتلاعب بها , جاء يوما اصبح فيه

يحتاج الى من تقوده بعد ان هربت منه كل العاشقات و الصديقات و الانسانة الوحيدة التى احببها و تمنى ان يتزوجها تهربت منه بعد اصابته , و حتى الممرضات و الخادمات فلا احد استطاع تحمل عنفه و سلاطة لسانه

'

حتى حاول يوما الانتحار بقيادة سيارتة و اصابته بحادث ترك عرجا خفيفا بقدمه الى الان , وقتها حان تدخل امبراطور مهران بنفسه , فليس ابنه من يهرب منه الجميع و يحاول الهروب من حياته بهذا الضعف و الجبن.

فكان ان اختار مراهقة صغيرة يملك زمام امرها بيده لتكون الدواء لابنه ليفرغ بها كل شحنات غضبه المكبوت ,الصغيرة سما التى لا تعرف معنى الرفض ,و التى تتلاعب بها امها كعرائس الخيوط ,كانت سما الاختيار الامثل لتهدئة الاسد الاعمى.

حين عرض عليه والده الامر ثار و انتفض محطما كل ما حوله لما وصل اليه حاله , الحد الذى جعل والده يلجأ لشراء زوجة خاضعة له تقوم بخدمته وتنفيذ رغباته.

الا انه و بعد ان اخبره والده بموافقة امها و قبضها الثمن الذى يجعلها تضحى بابنتها هدر الغضب و الاحتقار فى نفسه فقرر فى لحظة اعصار عاصف ان هذه الجشعة الغبية الصغيرة تستحق كل ما سيصيبها و كل ما سيوقعه بها من هوان طالما انها ارتضت بيع نفسها.

لم يكن قد راها سابقا حيث كان يعيش بالخارج معظم حياته و حتى الان , وقتها لم يصله سوى ان والده قد تزوج ايثار الراشد وجاء بها الى القصر هى و بناتها الثلاث.

الا انه لم يهتم يومها , كان متاكدا انها نزوة طارئة للامبراطور بعد سنوات العمل الطويلة بدليل انه اختار

ايثار الراشد متجاهلا العداء القديم بين عائلتى مهران و الراشد , لكن بعد مرور السنوات لا يستطيع ان يجزم ان كانت نزوة او انها تكملة للانتقام القديم.

لا يستطيع ان يؤكد ان كانت نزوة او ان الامبراطور قد سقط بالفعل تحت لعنة ايثار الراشد

فقد كان تلاعبه بحياة الفتيات الثلاث قاسيا لم يستطع فارس ان يفهمه يوما, بالرغم من ان حلا و سما تستحقان كل ما اصابهما بعد ان قررتا السير على نفس نهج ايثار الراشد,

وكانت سما الصغيرة من نصيبه هو, لم يراها لكنه سمع صوتا لا تزال الطفولة تداعبه و هى تدلى بموافقتها اثناء عقد القران ,منذ ثلاث سنوات

ثلاث سنوات هى الفيصل بين مراهقة تكاد تكون طفلة سافرت معه للخارج لتلعب دور زوجة فارس مهران و بين شابة بدأت تشعر باحتياجات الانوثة.

كان يظن بعد ان تزوجها لن تتحمل خلال شهر واحد و ستهرب عائدة الى امها بعد ان اخذتا ما يكفيهما ,كما هرب كل من عرفه واولهم حبيبته.

الا ان المقاتلة الصغيرة الى الان لا تزال تقوم بكافة ما يطلب منها و ما يملى عليها و ما يقتضيه دورها فى حياته مظهرة صلابة غريبة على فتاة فى عمرها.

مهما اهانها و ذلها و قسا عليها تعود لتقوم بكل ما يتوجب عليها من مراعاة كل شؤونه و مواعيد الاطباء و الادوية و مرافقته فى كل مكان , و حتى حين انفجر فيها لكى لا تبقى كظله ,اختارت ان تراقبه من بعيد كام

تراقب طفلها الوحيد باعثة بنسائم يسميناتها الى انفاسه لتشعره بوجودها.

عاد من ذكرياته الى صوت رقيق ارتعش ببكاء صامت وهى تهمس

"لقد جهزت لك الملابس الت سترتديها ووضعتها لك على الفراش "

ترك ذقنها من يده فجاة و ابتعد بعجز وعنف , صمت لحظة يحاول ان يسيطر على شياطينه العمياء التى لا تهدأ بداخله ثم قال بقسوة

"لا تنسي ان تنظفى الحذاء ...لا اريد ان تبعثى باحذيتى لاحد لكى ينظفها كالمرة السابقة ...ستنظفينها بيدك ...احذيتى خطا احمر"

ان كان ينتظر تمردا فقد خاب امله بالتاكيد حين ردت هامسة

"لقد نظفته بالفعل و هو على الارض بجوار الفراش"

سمع وقع خطواتها مبتعدة و سريعة فاعلمته سرعتها انها ستركض الى غرفتها لتنفجر فى البكاء كما تفعل كل يوم و كل ليلة ,فهو ما ان تتركه و تتجه الى غرفتها و تغلق الباب خلفها يتجه اليها و يقف خلف الباب ليستمع الى بكائها كل ليلة.

لا يعلم لماذا شعر فجأة بيأس كئيب نهش صدره , زفر بعنف و هو يغرز اصابعه فى شعره يكاد يقتلعه من جذوره وهمس لنفسه

"لماذا دخلتى حياتى البائسة ؟.....لماذا؟"

ارتمت سما على فراشها و اخذت تبكى و تشهق و هى تهمس

"غبية .....غبية ...كيف كشفتى نفسك و كشفتى مشاعرك الحمقاء امامه , تعالت شهقاتها فترة ثم اخذت تهدأ تدريجيا حتى صمتت متنهده بأسى

رفعت نفسها من على الفراش لتنظر الى صورته الموضوعة بجانب فراشها لاتفارقها ابدا.

لم ترى من هو اشد وسامة منه قبلا ولم ترى عينان اجمل من عيناه التى انطفأ نور الحياة منهما , عيناه رائعتان لونهما اخضر داكن عاصف مشبع بالرمادى يذكرها بالعواصف الساحلية الشديدة محاطته برموش بنية طويلة رائعة لا تمل النظر الى عينيه ابدا.

وشعره بني داكن ناعم بنعومة لحيته الخفيفة التى يطلقها لتزيده وسامة . مسحت دموعها بيدها الصغيرة وهمست يا الهى ما اشد جمالك وما اشد حبى لك

نظرت الى ساعة يدها فانتفضت من فراشها غسلت وجهها و ارتدت ملابسها بسرعة ثم اتجهت بخطوات سريعة مرتعشة الى غرفته.

كان باب غرفته مفتوحا فوقفت بالباب و قد وجدته جالسا على حافة فراشه و هو يحاول ارتداء حذاؤه.

علت شفتيها ابتسامة رقيقة حانية و استندت برأسها الى اطار الباب بدون ان تصدر صوتا ,راقبته بحب و هو يتلمس حذاؤه اللامع,

اتسعت ابتسامتها قليلا و هى تفكر بداخلها

هذا الوحش القاسي يحب احذيته و يهتم بها للغاية

,لا احد يراه بهذا المظهر غيرها ,هى فقط من تراه و هو يهتم بأشياء بسيطة ويعلو وجهه المتجهم اهتمام طفولى بريء,لقد سمعت ان فارس مهران سابقا كان مولعا بسياراته الفارهة و خيوله الاصيلة بجانب عمله وصفقاته.

الا ان فارس حبيبها الموجود امامها الان ,الوحش ذو الطفل الصغير بداخله و الذى يهتم بأحذيته لدرجة الهوس , والذى يهوى حفر الخشب لصنع منه تماثيل خشبية غاية فى الروعة قامت هى برصها فى غرفتها على الرفوف , وهو يظن انه يرميها بعد ان ينتهى منها , لا يعلم انها تعود لتأخذها وتضمها الى مجموعتها الغالية .

راقبته بعد ان انتهى يقوم وهو يحاول تزرير قميصه تنهدت بصمت و همست لنفسها " لقد زرره بطريقة خاطئة .....انه دائما ما يفعل ذلك حين يكون شارد الذهن "

انها هنا ....لقد وصلت نسائم الياسمين اليه ..انها هنا وتقف بالباب الذى تركه مفتوحا.

قام من على الفراش و هو يحاول اغلاق قميصه ,ثم تعمد ان يزرره بطريقة خاطئة وفكر انها ستقترب الان .

و بالفعل سمع الخطوات الناعمة وهى تقترب منه , ثم شعر بيدين صغيرتين تقوم بفتح ازرار قميصه واحدا تلو الاخر باصابع صعقت صدره بلمستها الناعمة

وبعد ان فتحته توقفت لحظة , لحظة واحدة سمع فيها صوت تسارع انفاسها التى تضرب صدره العارى

فتدفق الرضا الشرس بداخله , ثم شعر بيديها تعيد تزرير قميصه مرة اخرى بطريقة صحيحة حتى انتهت.

جثت على ركبتيها امامه لتعدل من رابطة حذاؤه و ما ان انتهت حتى وقفت وهمست

"هيا لننزل .....لن يذهب السائق معنا سأقود انا "

....

اخذت تبكي بضعف , جالسة على فراشها و هى تراقبه يثبت قفلا متينا على شباك الشرفة مغلقا اياه بدون ان يهتم ببكائها.

استطاعت النطق اخيرا من خلال دموعها

"ارجوك يا ادهم لا تغلق الشرفة .....هل من العدل ان تسجننى فى هذه الغرفة"

قال ادهم بجفاء مصطنع يداري به تمزق قلبه

"لقد امرتك اكثر من مرة الا تخرجى الى الشرفة بمفردك و لم تنفذى ما امرتك به "

قالت وهى لاتزال تبكي

"لقد قتلنى الملل ....كنت فقط اريد الخروج الى الشرفة قليلا ....انت لا تسمح لى بالخروج من هذا القصر .....ارجوك"

قسى قلبه المتوجع وقال

"حين اكون معك تستطيعين الخروج الى الشرفة و نستطيع الخروج من القصر معا متى شئت ..لكن بمفردك ..فلا ..ابدا"

ازداد بكاؤها بشدة وهى تقول

"لم اكن انوى الانتحار يا ادهم ..اقسم لك اننى لم اكن انوى الانتحار يومها .....انا فقط كنت..... "

لم تستطع اكمال كلامها من شدة بكائها

التفت اليها بعد ان انهى عمله وقال بقسوة

" اذن ماذا كنت تنوين ؟..... هل تستطيعين معرفة ما احسست به حين وجدتك جالسة على سور الشرفة .....هذا بالتاكيد ليس تصرف انسانه متزنة حتى و ان كنت لا تنوين الانتحار "

دمره الالم الذى ظهر فى عينيها لكنه تابع قائلا

"اسف يا حلا لكن لا استطيع المجازفة ..... ساخرج الان لان لدى القليل من العمل

,ساضطر لاغلاق باب الغرفة ولكن لن اتاخر عليك وحين اعود سافتح الشرفة

و ان احببت يمكننا ان نخرج لتناول العشاء فى اى مكان تفضلينه "

سار ناحية الباب عدة خطوات لكن اوقفه صراخها فجأة

"هل تعتقد انك بحبسي فى هذه الغرفة تستطيع منعى ان كنت اريد الانتحار "

توقف و توقفت انفاسه و التفت ببطء اليها بينما تتابع هى بشراسة متوحشة جديدة عليها لم يعهدها فيها من قبل

"هل تستطيع اخفاء كل ما هو حاد او مدبب , هل تستطيع منعى من طرق رأسي بالحائط , هل ستغلق الحمام ايضا فقد اغرق نفسي به .....هل تستطيع كل هذاااا....."

علا صراخها فى جملتها الاخيرة حتى خشى ان يصيبها مكروه وهو يراها قد احمر وجهها بشدة و تهدجت انفاسها و اخذت ترتعش بقوة وتنتفض.

استمر الصمت بينهما لحظات لا يقطعه الا صوت شهقاتها العالية التى فقدت السيطرة عليها.

قال اخيرا بصوت مخيف بعث الرعشة بجسدها

"حسنا انت ربحت الان يا حلا ...لن اخرج انا ايضا"

ثم مشى الى الباب واغلقه بالمفتاح وعاد اليها وهو يتابع

"لكن عقابا لك سنظل انا و انت فى هذه الغرفة الى الصباح و لن نخرج منها "

جلس بجانبها وهى تبكى وحاول ان ياخذها بين ذراعيه فاخذت تقاومه بشراسة وهى تصرخ

"اكرهك .....انا اكرهك "

استطاع التغلب على مقاومتها بسهولة فانهارت على صدره تبكي وتبكي وهو يشدد من احتضانه لها ولا يتردد فى ذهنه سوى عبارة واحدة

"اسف حبيبتى .....اسف حبيبتى"

الفصل السابع

نظرت اليه وقد علت شفتيها ما يشبه ابتسامة صغيرة , راقبته جالسا امامها على الفراش و قد خلع سترته و شمر كمي قميصه ليظهر ساعديه العضليين الاسمرين , ممسكا باوراق اللعب بين يديه ناظرا اليها وقد بانت على ملامحه علامات التفكير العميق.

انه يبدو الآن اصغربكثير من سنوات عمره الست والثلاثون , انه بالتاكيد لا يشبه ادهم مهران الذى عرفته معظم سنوات حياتها و الذى كانت دائما تلقبه بالشيطان الاسمر من شدة خوفها منه , ولكنها الآن فى هذه اللحظة لا تشعر بأي خوف منه

من يراه الآن لا يصدق ان وريث امبراطورية مهران العديم الرحمة قد ترك عمله و هو الآن يجلس امامها و يلعب باوراق اللعب و قد بان عليه التفكير العميق و كأنه يقوم بإحدى صفقاته.

منذ ساعات قليلة انهارت على صدره و هى تبكى , حاولت السيطرة على نفسها الا انها فشلت تماما, كانت تنشج وتسعل وتكاد تختنق.

يا الهى لقد اصابتها الحالة الهيستيرية المعتادة امامه ,لا تستطيع تخيل منظرها عندما تصيبها تلك الحالة.انها تعلم جيدا ان منظرها كان يرثى له بوجهها الاحمر و انفها السائله و شفتيها اللتين تتورمان عند بكائها.

لقد ابقاها على صدره و هى تبكي لا تستطيع التوقف , الا ان ما زاد من بشاعة الموقف هو اصابتها بنوبة الغثيان التى تصاحب انهيارها دائما , و حين احست انها لن تصمد الى ان تصل للحمام , كل ما نجحت فى فعله هو انها رمت نفسها من بين ذراعيه منقلبة على بطنها

ثم اخذت تتقيأ بشدة على الارض بجوار الفراش وهى مستلقيه عليه , واستمرت حتى لم يعد هناك ما تخرجه من معدتها , الا ان التشنجات استمرت حتى احست ان روحها تكاد تخرج منها , لم تشعر انه كل هذا الوقت كان بجوارها يدلك ظهرها بيده و يطلب منها التماسك لتهدأ تشنجات معدتها.

استمر يضغط على ظهرها برفق حتى هدأت قليلا و بدأ تنفسها يعود الى طبيعته,

لم تؤاتيها الجرأة على التحرك من مكانها و مواجهته بعد هذا الموقف المخزى فظلت مستلقية على بطنها ,احست بعد لحظات بيديه على ذراعيها ترفعانها برفق حتى استوت جالسة ثم رافقها الى الحمام و غسل لها وجهها و كأنه يتعامل مع طفلة صغيرة , وبعد ان جففه لها تركها ليملأ حوض الاستحمام بالماء الساخن ووضع به سائل الاستحمام الخاص بها ثم التفت اليها قائلا

"لقد اعددته لك .....اخلعي ملابسك و استرخى به ..سيفيدك هذا "

احمر وجهها بشدة فنظر اليها مبتسما بالرغم من الالم العميق الساكن بعينيه وقال

"حسنا .. احمرار وجهك الان افضل بكثير من شحوبه الشديد منذ لحظات "

صمت قليلا وقد ظهرت فى عينيه نظرة غريبة لم ترَها سابقا , نظرة حنان عميقة لم ترَها فى عين اى انسان عرفته قبلا.

تحولت ضحكته الى ابتسامه شاردة ثم قال

"استمتعى بخصوصيتك ايتها الخجولة .....لكن لا تغلقى الباب "

ثم خرج من الحمام تاركا اياها تحاول السيطرة على خفقات قلبها.

خلعت ملابسها و دخلت الى حوض الاستحمام و استلقت فيه بهدوء ثم اغمضت عينيها , يجدر بها الشعور بالكره و النفور من هذا الشيطان الاسمر و ليست هذه الراحة الغريبة التى لم تعرفها منذ وقت طويل.

شعرت فجأة بلمسة خفيفة تتجول على كتفها ففتحت عينيها و هى لا تعلم متى غفت , طالعتها عينا الصقر و هى تلتمع بمشاعر عاصفة صارت مألوفة لديها.

انتفضت جالسة و قد عاد اليها وعيها بالكامل ثم كتفت ذراعيها على صدرها و قد احمر وجهها بشدة,

اتسعت ابتسامته الجائعة , الا انه قال بصرامة مصطنعة لا تتلائم مع الجوع النابع من نظراته

"كنت اعلم اننى لن استطيع الوثوق بك ..... و ها انتِ تنامين فى الحوض بمنتهى الغباء "

اتسعت عيناها لاهانته الصريحة لها ثم عادت فاخفضتهما غير قادرة على الرد و فجأة احست بفمه يلامس اذنها و هو يهمس

"لا تخافي يا حلا ..... لن ادعك تغرقين , و لن اسمح بسقوطك من اي شرفة ولن تغيبي عن نظري للحظة واحدة .....فانا احمي ممتلكاتي بقوة "

ارجعت رأسها للوراء وهى مغمضة عينيها ثم تنهدت بعمق وهى تفكر

انه يحاصرني .....يقيدني .....لا يمنحني الفرصة لانهض على قدمي .....متى سأتحرر

ربما لن اكون ابدا ممن قدر لهم بالعيش احرارا.

عادت من شرودها لتنظر اليه و هو يقول

"دورك.....العبي"

ابتسمت قليلا ثم انزلت ورقتها الرابحة . راقبته بمرح و هو يعبس و يشتم هامسا ثم يرمي اوراق اللعب من يده.

رفع نظره اليها فصدمته ابتسامتها المرحة التى لم يرَها منذ .....يا الهى انه حتى لا يتذكر متى كانت اخر مرة يراها تبتسم.

شعر بقلبه يختلج بصدره كمراهق فحاول السيطرة على انفعالاته و قال لها

"سعيدة انتِ بالطبع لهزيمة ادهم مهران "

ارتجفت ابتسامتها قليلا و قالت بعد لحظة صمت

"لا اظن ان هناك من يستطيع هزيمتك"

اه لو تعلمين انكِ قد هزمتِني من سنوات طويلة يا صغيرة.

لم تخرج هذه الكلمات من شفتيه , بقي فقط يتطلع اليها لا يمل النظر الى وجهها ابدا.ثم قال بصوت عميق يحمل معانٍ اعمق.

"انا لم افعل ذلك لايلامك يا حلا....."

اتسعت عيناها و هى تسمع ادهم مهران بنفسه يحاول ان يرسل اليها ما يشبه الاعتذار , شلها اعتذاره والجمها.

قالت بعد لحظات بصوتٍ خافت

"كنت اكثر الناس تعايشا مع الألم يا ادهم فلا تهتم "

ساد صمتا قاتلا . صمتا كان كدوي المدافع بأذنيه . قتلته عبارتها ..حطمته تماما الا انه حاول ان يقاوم مشاعره ليتمسك بهذا الخيط و لا يتركه ابدا.

فهى للمرة الاولى تحاول التلميح للماضي و هولن يترك هذا التلميح دون ان يحاول الوصول الى شيء .....اى شيء يستطيع به الدخول الى قوقعتها الصلبة.

قال بحذر و كأنه يسير بحقل الغام

"اخبريني..... "

كلمة واحدة , لم يجد سوى كلمة واحدة وكأنه لا يملك الجرأة لينطق بغيرها , استمر الصمت طويلا ..طويلا و هو يغلى بداخله و هى صامته مطرقة برأسها يشعر انها بعيدة عنه اميالا و اميال.

اخيرا قالت بصوت متقطع بالكاد وصل اليه

"هناك .... اشياء ....حدثت لى.... "

صمتت وهى لا تملك القدرة على المتابعة . تاركة اياه يتعذب بدوي قلبه الا انه لن يسمح لها بالتراجع الآن لكنه لم ينطق بحرف فقد خاف ان سمعت صوته تعود لقوقعتها مرة اخرى.

انتظر و انتظر مقاوما مشاعر شرسة لا ترحم , ثم وصله صوتها الهامس المتقطع

"هناك اشياء.....لن تس....لن تسرك ابدا ..معرفتها ..ستتمنى موتي الف مرة ...ان عرفتها "

اتسعت عيناه وظهرت بها وحشية الحيوانات المفترسة و مد يديه الى اعلى ذراعيها يمسكها بقوة يهزها قليلا وهو يقول بهمسٍ شرس

"لقد اخبرتك اننى احمي ممتلكاتي بقوة يا حلا ..وتمني الموت لك لا يعتبر جزء من هذه الحماية ,هل فهمتِ هذا جيدا"

ظلت صامته و قد انسابت دموعها انهارا على وجهها بصمت مزق نياط قلبه.

ثم همست فجأة مرة واحدة

"يكفى فقط ان تعلم انه ليس هناك اى شيء ..اى شيء مهما بلغت بشاعته لم يحدث لى.."

سقطت يداه من على ذراعيها وهو ينظر اليها بعينين مذبوحتين و قلبه ينزف دما و قد تلاحقت فى عقله صورا بشعة صورها له خياله دون ان يستطيع ان يمنع نفسه.

جملتها رسمت ماضٍ اسود احاط بها و اغرقها فى بحر من الآلام . ولم يكن هو هناك لينقذها ..ظل يراقبها معظم سنين عمرها و حين احتاجت انقاذه ,كان هو بعيدا يداوي جروحه بمنتهى الانانية.

كانت تحتاجه ..طفلته التى كبرت تحت انظاره ,كانت تحتاجه وهو لم يهب لانقاذها ,تركها تواجه مصيرها الذى اختارته لها الشيطانه ايثار.

الا انها لم تكن اكبر بكثير من طفلة ,حكم عليها بقسوة و تركها لآلامها ,لم يسأل , لم يبحث عنها ,لم يحاول معرفة ان كانت سعيدة ام لا.

شعر فى هذه اللحظة انه هو من ليس مستعدا بعد ..ليس مستعدا لان يسمع ..احس انه لو سمع سيموت وهو يريد ان يعيش , يحتاج لكل قوته , يريد ان

يحميها من العالم ومن نفسها ,يريد ان يبقى كظلها ولو اقتضى الامر ان يرهن حياته لهذا .انها حلا....حلا.

افاق من آلامه المبرحة على صوتها وهى تهمس برقه تذيب الجبال وقد ادارت وجهها الى النافذه الكبيرة

" لقد اطل الفجر ....انا احب الفجر جدا "

نظر اليها بحبٍ يهز العالم ثم قام من مكانه ووقف وجذبها من يدها لينهضها على قدميها وهو يهمس

"تعالى ....سنراقب الشروق معا من الشرفة "

خرجت معه ووصلت الى سور الشرفة ووضعت كفيها على السور الحجري البارد وهى تنظر الى السماء الممتدة امامها.

احست فجأه بغطاء خفيف يلتف حولها من الخلف بذراعين قويتين ,لم يبعد ذراعيه عنها بل ظل يلفها بهما و هو يضم ظهرها الى صدره ,دافنا وجهه فى شعرها يتنشق عطره.

اخذت تراقب الألوان الرائعة التى ماجت بها السماء لتعلن عن مولد الشمس الحمراء من جديد.

همست فجأة "ادهم.... "

همهم وهو يدفن وجهه فى عنقها "هممممم....."

تابعت هى تقول بخفوت

"اعتقد .....ان هذه الليلة كانت جميلة جدا.... "

توقف فمه عن تقبيل عنقها و تصلب وجهه وهو يشعر بقلبه يكاد يقفز من بين اضلاعه ,حتى انه كان متاكدا انها شعرت بخفقاته المجنونة على ظهرها.

قال بصوت خافت خوفا من ان يبدد روعة هذه اللحظات.

"اما انا فاعتقد انها كانت رائعة... "

ضحكت قليلا وهى تقول

؛"الم أُثر اشمئزازك ..بعرضى المخزى "

ضحك هو ايضا وهو يزيد من ضمها اليه وقال متشدقا بتملق

" هيا يا حلا ...ان كل ما يصدر منك هو غاية متعتي "

ضحكت برقة اذابت قلبه بجمالها وقالت

"لا اصدق انك نظفت الارض بنفسك....."

قال بحزم رقيق وفمه يلامس اذنها

"سأقوم دائما بكل ما يخصك .....لن ادع احدا يتدخل باى شأن من شؤونك "

ارتعشت رغما عنها و اختفت ابتسامتها و قد بدى خوف اعمى يتسرب اليها وهى لا تدري لماذا اخافتها جملته.

....

وضعت سماعة الهاتف على اذنها و هى مغلقة عينيها من شدة الملل و الغضب تستمع الى صوته من الطرف الآخر وهو يملي عليها تعليماته بمنتهى الصلف و التى سبق وان نفذت معظمها قبل ان يتفضل هو عليها ويتنازل بان يوجهها الى ما تستطيع ان تتقنه اكثر من اى شيء آخر فى الدنيا وهو عملها

بعد ان انتهى قال بصرامة

"هل فهمتِ ما سوف تنفذينه ؟"

ردت بصلابة و اختصار

"لقد سبق ونفذته "

سمعت تأففه من الناحية الاخرى ثم قال بفظاظة

"انا الان بقسم الشؤون القانونية ..و سأصعد بعد ساعة , اريد الرسائل التى طلبتها على مكتبي حين اصل .... هل فهمتِ "

قالت بصوتها الناقوسى المغيظ

"هل من اوام....."

لم تكمل حيث سمعت صوت اغلاق الخط

ظلت تنظر الى السماعة وهى رافعة حاجبيها ,ثم اخذ غضبها يتفاقم و يتصاعد , وضعت السماعة مكانها بعنف وقامت من كرسيها تدور فى المكتب لتهدىء نفسها و اخذت تقول بعنف مكبوت

"الفظ ..الوقح...لا يعلم ابسط قواعد التعامل مع النساء .....المتعنت ,شديد التسلط ....اكرهك يا احمد مهران "

"يبدو انه اغضبك للغاية.... "

التفتت سابين بسرعة و هى تسمع هذا الصوت الصغير ينبعث من باب مكتبها

رفعت حاجبيها وهى تنظر بدهشة الى طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها ست سنوات تقف ضاحكة بالباب , طفلة ذات شعر بنى محمر ناعم له لفائف رائعة وعينان بنيتان بريئتان تشعان ذكاءا وجرأة.

اخذت سابين تستوعب لحظة وجود طفلة صغيرة تتجول فى مؤسسة مهران حتى تصل الى مكتب احمد مهران نفسه.

تابعت الطفلة بعفرتة ولا تزال ضحكتها تغطى وجهها البرىء

"ماذا فعل هذا من اسمه احمد مهران ليغضبك هكذا؟ "

اقتربت سابين منها ببطء مخيف حتى وصلت اليها ثم انحنت حتى واجهت عينيها الفيروزتين القاسيتين معقودتي الحاجبين عيني الطفلة البنيتين العسليتين الصافيتين امامها وقالت بصوت خفيض صلب حاولت جعله مرعبا على قدر الإمكان.

"من انتِ ؟.... "

الا ان الطفلة ظلت تنظر الى عيني سابين المخيفة , بقوة فذة دون ان يرف لها جفن او ان تخاف من تلك المرأة امامها و التى تشبه الساحرات الشريرات الجميلات الموجودات بالقصص الخيالية التى تسمعها

قالت الطفلة ذات الابتسامة الواسعة

"انا ....ابنة احد العاملين هنا "

ظلت سابين منحنية عاقدة حاجبيها عيناها لا تحيدان عن عيني الطفلة و قالت بصوت مخيف مرعبا لشدة خفوته وقسوته

"هل تعلمين انكِ هنا فى مكتب احمد مهران صاحب هذا المكان كله , وانه من الممكن ان تتسببى فى طرد والدك من العمل "

لم تتأثر الطفلة ولم تختفى ابتسامتها المرحه الواسعة وقالت بمرح

"يبدو انه مخيفا جدا احمد مهران هذا..... "

اومأت سابين برأسها وهى لا تزال عاقدة حاجبيها و قالت بصرامة

"نعم انه مخيف جدا ومن الممكن ان يضربك ان رآكِ هنا "

اتسعت ابتسامة الطفلة وقالت بضحكة

"انا لا اخاف من احدٍ ابدا.... "

تابعت سابين بنبرة اعلى قليلا وقد بدأ الغضب ان يستبد بها

"اخرجي من هنا حالا قبل ان يأتى "

قالت الطفلة بسعادة لا تنضب

" سأخرج إن اخبرتني لماذا اغضبك "

زفرت سابين بعنف و استقامت ثم مشت الى مكتبها و رمت نفسها على كرسيها بغيظ , هذا ما كان ينقصها , ان يأتى احمد مهران ليجد لديها طفلة تلعب فى مكتبه , اكيد سيسمعها المزيد من كلامه الغبي الذى يمطرها به دائما.

تسائلت بحنق عن الأحمق الذى يأتى بطفلته الى العمل و يتركها لتلعب بحرية فى كل مكان.

ادارت وجهها الى الطفلة و قالت بصرامة

"ان اخبرتك ستخرجين من هنا حالا ..مفهوم ؟ "

اومأت الطفلة الضاحكة برأسها

تنهدت سابين و قالت "لقد اغلق الخط وانا اكلمه على الهاتف "

اتسعت عينا الطفلة بدهشة و قالت

"هل فعل ذلك ؟ !! هذا تصرف خاطىء للغاية "

قالت سابين بتأفف و نفاذ صبر

"نعم خاطىء للغاية ....هيا اخرجى "

لكن الطفلة اتجهت الى مكتب سابين و قفزت لتجلس على سطحه امامها تواجهها وقالت

"لا بد انكِ فعلتِ ما اثار غضبه "

رفعت سابين عينيها الى السماء وهى تطلب الصبر ثم نظرت الى الطفلة الجالسة على حافة مكتبها وقالت بملل

"نعم لقد حاولت سرقة شيئا يخصه "

ضحكت الطفلة وقالت "لا اصدقك "

قالت سابين بجمود "انتِ حرة ,لكن هذه هى الحقيقة "

ثم نظرت الى الطفلة و قالت لها

"اليس من المفترض ان تكونى بالمدرسة الآن ؟ "

ردت عليها الطفلة بصبر

"انا انقل اوراقى الى مدرسة جديدة و سأذهب اليها بعد فترة "

قالت سابين بفظاظة وهى تمط شفتيها

"و هل أمك مشغولة للغاية لدرجة ان ترسلك مع والدك الى عمله ؟ "

ردت الطفلة بهدوء

"امي متوفية "

صمتت سابين وقد احست بالغباء لا تدرى ماذا يمكنها ان تقول فى مثل هذه المواقف فهى لا تجيد عبارات التعاطف المملة , الا ان هذه الطفلة لا يبدو انها تحتاج لمثل هذا النوع من التعاطف الزائف.

فما كان من سابين ان قالت بهدوء و بساطة

"حسنا اذن فلتتقبلى اعتذارى "

ردت الطفلة بنفس البساطة

" قبلت اعتذارك "

اخذت سابين تطرق بقلمها على سطح المكتب و هى شاردة , ثم سمعت الطفلة تقول

"انا لا اتذكرها , لقد توفيت وانا عمرى سنتان "

رفعت سابين نظرها الى الطفلة وظلت صامته لا تجد ما تقوله , لكنها احست ان هذه الطفلة تنتظر منها ان تكمل معها هذا الحوار , بينما هى لا تجيد ابد التحاور مع الاطفال

قالت اخيرا بدون تفكير "قد تكون وفاتها خيرا لك "

اتسعت عينا الطفلة فأدركت سابين انها قالت ما يعتبر منتهى الغباء فلم تستطع سوى ان تكمل قائلة

:"لا تعلمين حقا ما هو الافضل لك , فاحيانا يحميك القدر مما لا تدركينه "

ظلت الطفلة صامته تنتظر من سابين ان تتابع , فقالت سابين بنظرة شاردة

"احيانا قد يكون وجود بعض الامهات نقمة فى حياة اطفالهم "

ردت الطفلة

"لا اعلم ...ممكن ...لكن ما سمعته عن امى هو انها كانت طيب للغاية و محبوبة جدا .....لا يوجد من عرفها و لم يحبها .....لقد تحطم والدى بعد وفاتها "

نظرت سابين الى هذه الطفلة الغريبة وقالت

"الناس لا يتحطمون لفراق بعضهم البعض ....صدقيني "

هزت الطفلة كتفيها و كأنها لا تستطيع ان تحكم فى هذا الموضوع

انزلت سابين نظرها و عادت تطرق على سطح مكتبها وتشرد من جديد

ظلت الطفلة تنظر الى ملامح سابين وهى مبهورة من شدة جمالها , ثم قالت باعجاب

"هل تنظرين كل يومٍ الى مرآتك و تسألينها ان كانت هناك من هى اجمل منكِ ؟ "

رفعت سابين نظرها الى الطفلة و عقدت حاجبيها بعدم فهم

فتابعت الطفلة تشرح لها

"قصة بياض الثلج المشهورة .....كانت زوجة ابيها الشريرة شديدة الجمال و كانت تنظر كل صباح الى صورتها فى مرآتها السحرية و تسألها ان كانت هناك من هى اجمل منها "

مطت سابين شفتيها و قالت بامتعاض

" رائع ..... وقد ذكرتك انا بزوجة الاب الشريرة .....هل من المفترض ان اشعر بالاطراء "

قالت الطفلة وهى تبتسم

" لم اقصد اغضابك .....فانا احب الشخصيات الشريرة فى القصص "

نظرت اليها سابين و هى ترفع حاجبيها و سألتها

"لماذا؟!....هل انتِ معقدة ؟ "

اتسعت ابتسامة الطفلة وردت بما يفوق عمرها بكثير

"لست معقدة .... لكننى دائما احب ان اتخيل ماذا سيحدث لو اعطينا الشخص الشرير فرصة ..... كانت نهاية القصة ستختلف بالتاكيد"

ظلت سابين تنظر الى هذه الطفلة الغريبة و تشعر ان هناك بعينيها البنيتين ما يحيرها

تابعت الطفلة تقول

"كل انسان بداخله الخير و الشر وهو يختار اى من الطريقين "

قالت سابين

"هناك من هم ولدوا اشرارا انها غريزة وقد تكون وراثة "

هزت الطفلة راسها علامة النفى وقالت

"والدى يقول ان كل انسان مهما بلغ شره لا بد من ان نعطيه فرصة واحدة فقط , فان ضيعها فسيحكم عليه ان يبقى شريرا للابد"

ابتسمت سابين لسذاجة هذا الاب الذى لا يعيش فى العالم الواقعى.

استقامت سابين فى كرسيها و قالت بكل حزم

"حسنا يكفى كلاما ....اخرجى الان فورا قبل ان ياتى احمد مهران "

ابتسمت الطفلة الصغيرة و قالت

"هل تخافين من هذا احمد مهران"

ابتسمت سابين هى الاخرى و رددت نفس الجملة التى قالتها الطفلة منذ قليل

"ان لا اخاف من احد ابدا "

اتسعت ابتسامة الطفلة وقالت

"جيد لا يجب عليكِ ان تخافى سوى من خالقك"

نظرت سابين الى هذه الطفلة التى لم تلوثها شرور الدنيا بعد ثم قالت بكل حزم وصرامة

"هيا ايتها الصغيرة اخرجى الآن ..... فانا لااطيق الاطفال اصلا "

ظلت الابتسامة مرسومة على وجه الطفلة بدون ان يظهر عليها اى جرحٍ للمشاعر من عبارة سابين الفظة .ثم قفزت من على سطح مكتبها و اتجهت الى الباب وهى تلوح بيدها لسابين.

قالت سابين فجأة قبل ان تخرج الطفلة من الباب

"لم تخبرينى ما اسمك "

التفتت الطفلة اليها وقالت بوداعة " تالا "

اومأت سابين ثم صرفتها بحركة صلفة من يدها وهى تقول

"اخرجى الآن تالا ولا تعودى هنا مرة اخرى "

ضحكت الطفلة السعيدة ثم انطلقت خارجة بمرح وكأنها كانت للتو فى مدينه احلام الاطفال !

وضعت كفيها الصغيرين على باب غرفته وهى تستمع الى اصوات تحطم و ركلات ثم تأوه مكتوم و اطلاق لعنات و شتائم بذيئة.

كانت دموعها تنهمر على وجهها و هى تنشج بصمت ثم عادت لتطرق على الباب بخوف وهى تناديه باكية

"افتح الباب يا فارس ارجوك ....ارجوك .....دعنى فقط ادخل اليك "

صمتت تخنقها شدة البكاء ثم عادت لتطرق الباب مرة اخرى و تنادى

"فارس ....سادعك تفرغ شحناتك بي ....انا اقبل لكن ارجوك دعنى ادخل اليك "

سمعت صوت تحطم عالٍ بعد كلماتها ,اعلى من كل الاصوات السابقة, فاخذت تطرق بقوة اكبر وقد انتابها الهلع وهى تصرخ

"فارس .....فاااارس "

ساد الصمت داخل الغرفة تماما فاصابها ذعر شديد و اخذت تطرق بكلتي قبضتيها و تستمر فى صراخها.

فتح الباب فجأة بعنف و اطل منه وهو بهيئة شيطانية تلقى الرعب فى النفس , الا انها لم تشعر فى هذه اللحظة سوى بالراحة العميقة لرؤيته واقفا بخير امامها , تنهدت و هى تزفر بعمق من رعب اللحظات السابقة .

مدت يديها الاثنتين و اخذت تمررهما على ذراعيه وصدره واكتافه و ظهره تتفحصه ان كان قد اصابه مكروه حتى وجدت ان قبضة يده ممزقة و تنزف بغزارة , شهقت برعب و هى تهتف " ماذا فعلت ؟ "

دخلت الى الغرفة بسرعة فوجدت ان المرآة الكبيرة التى تحتل مساحة حائطا باكمله متكسرة الى شظايا قاتلة على الارض فعلمت انه حطمها بقبضة يده .عادت اليه

بسرعة و سحبته من يده الاخرى و التى ضمدتها صباحا بعد ان كسر الكأس

اتجهت به الى الحمام و اخذت تنظف الجرح و تطهره وهى تدعو الله الا يكون بحاجة للتقطيب.

لم تأبه لصمته الذى تعلم جيدا انه يسبق عاصفة شعواء ستهب لتقتلع رأسها من جذورها.

بعد ان انتهت رفعت وجهها اليه و قالت بقوة بينما الدموع تغطى وجهها

"لن نستسلم يا فارس ..... هل تسمعنى لن نستسلم .....الجراحة التى يؤيدها الطبيب تبدو ....آآآآآه "

تأوهت وهى تشعر بقبضته تجذب شعرها بعنف لترجع رأسها للوراء , و رأت ملامحه المتوحشة وهى تنظر اليها بكره و هو يكاد يفتك بها و قال وهو يكز على اسنانه

"لا تتدخلى فى قراراتى .....حتى لا اؤلمك اكثر من هذا هل تفهمين "

أومأت برأسها برعب لكنها عادت وتذكرت انه لا يراها فقالت بخوف

"نعم فهمت "

ارتخت قبضته قليلا ليسمعها تقول بسرعة

" الجراحة هذه المرة مبشرة جدا "

ثم اغمضت عينيها منتظرة ما سيحل بها , الا ان شيئا لم يحدث ففتحت عينيها و هالها نظرة الام العميقة المطلة من عينيه الجميلتين المظلمتين.

آه يا حبيبي المسكين هذا ما يحدث كل مرة بعد متابعة الطبيب , لا تقدم يذكر ليعود الطبيب و يقترح ان الجراحة التالية ستكون مبشرة الا انه لا يستطيع تاكيد ذلك.

احيانا كثيرة تشعر بإحساس فظيع بالذنب يقطعها اربا لانها تشجع تعرضه لهذا الكم من الجراحات والآلام , انها تشعر بكل ما يتكبده و يعانيه من آمال و توقعات ثم احباط و فشل و جراحة تدمر روحه قبل ان تدمر عينيه.

همست بصوتٍ خافت

"ارجوك يا فارس لا تيأس ..... ارجوك انا محتاجة لقوتك لتمدنى بها ..... انا لا استطيع الصمود بدون قوتك .....انت الوحيد الذى استند عليه فى هذه الدنيا فلا تخذلنى ارجوك "

علت فمه ابتسامة ساخرة مريرة اعقبتها ضحكةٍ عالية مليئةً بالاسى وصرخ

"تستندين على رجلِ اعمى .....اذن فانتِ غبية و تستحقين ان تقعى لتدقى رأسك اليابس العنيد"

حاولت ان تمتص غضبه و المه وهى تقول

"نعم ...نعم انا استحق كل ما سيصيبنى ....هذا قرارى و هذه حياتى ....فارجوك لا تبعدنى عنك "

اغمض عينيه بشدة و اندفع عائدا الى غرفته صارخا

"لا اريدك.....هل تسمعيننى لا اريدك "

تعثر وهو يمشى على غير هدى بطرف البساط فسقط على الارض وضربت رأسه بحافة الفراش , اندفعت سما ناحيته و هى تبكى من شدة اليأس , جثت بجواره على الارض و اخذت تنظر الى الجرح الجديد فى جبهته.

آه يا الهى انت تجرح نفسك كل يوم . الا تكفيك جروح نفسك لتجرح جسدك.

ابعد يدها بعنف و هى تتلمس جبهته وقال وهو يلهث

" لماذا لا تستسلمين ... هل ستعيشين حياتك كلها راهبة .... الا ينتابك الفضول لمعرفة ما هو شعور ان تكونى امرأة..... "

سكت قليلا ثم تابع كلماته الوقحة البشعة

"سينتهى بك الامر الى خيانتى يوما ما ...هل هذا هو ما تنوينه ...لاننى مهما فعلت لن اجعلك زوجتى ابدا ...ادخلى ذلك بعقلك اليابس "

قال جملته الاخيرة وهو يضرب جانب راسها بسبابته

اغمضت عينيها لا تصدق بشاعة ما سمعته

,ثم فجأة اخذت نفسا عميقا واستقامت على ركبتيها, احاطت وجهه بكفيها و استندت بجهتها على جبهته وقالت وهى تلهث هى ايضا

" لن اتركك ولن اخونك ....ليكن هذا واضحا لك يا فارس مهران ...اذن فلتستسلم انت لاننى لن استسلم ابدا..... فانت لا تعرف بعد ما يمكن ان تفعله امرأة من نساء الراشد حين تتمسك بما هو لها. "

امتدت فجأة ذراعا حديدية التفت حول خصرها النحيل و جذبتها اليه ليسحق شفتيها بشفتيه الجائعتين و هو يقبلها بعنف خرج من عقاله

انها المرة الاولى التى يقبلها , ان طعمها كقطعة الحلوى ,اخذ يقبلها ويقبلها وهو يشبع جوعا كان كامنا بداخله لم يشعر به الا الآن.

استسلمت بين ذراعيه وهى تشعر بالدوار و الذهول , انها قبلتها الاولى, اذن هذا هو السحر الخفى الذى يتحاكى عنه الناس على استحياء و يتغنى به الشعراء ,انها نارا تعصف بكيانها تقلبه راسا على عقب.

وقعا على الارض معا فجذبها فوقه ليتساقط شعرها الحريري العطر على وجهه بينما يديه تجريان على جسدها لتشعل به نارا ذائبة كالحمم البركانية.

استمر جنون اللحظات العاصفة بينهما وهما لايدريان كم مر من الوقت.

لكنه فجأة دفعها لتسقط على الارض , استقام جالسا و قال وهو يلهث بعنف

" اخرجى من هنا "

نظرت سما اليه بذهول وهى تلهث بشده تكاد تموت من شدة انفعالها و قالت متلعثمة

"مم...ماذا ؟!!"

صرخ فيها بشراسة

"اخرجى ..... قلت اخرجى"

قامت سما من على الارض و خرجت راكضة من الغرفة ولم تخلف ورائها سوى صدى شهقاتها.

دفن رأسه بين كفيه

ما الذى فعلته , لقد اشعلت نارا وكيف سأطفئها ,كيف سأقاومها بعد الآن , كيف سأقاوم اغراء زوجتى الصغيرة التى لم تصبح بعد زوجتى !

الفصل الثامن

كان الظلام يحيط به من كل اتجاه و الصمت الشديد يدوى باذنيه يكاد ان يصمها , كان يسير على غير هدىٍ متعثرا فى اللا شىء , يمد يديه ليجد ما يستند عليه و قد يرشده , الا انه لا يجد سوى الفراغ.

فراغ واسع ممتدا امامه لا ينتهى , و الظلام تزداد كثافته حتى شعر به يكاد يجثم على صدره و يخنقه.

و فى غمرة ضياعه قفز اسم واحد الى عقله , اسم واحد يبحث عنه ولا يجده . اسم واحد هو الوحيد القادر على ارشاده الى الطريق.

الا انه حين حاول ان ينادى بهذا الاسم وجد ان صوته لا يخرج من شفتيه.

فجأة سمع همسا يطير ناعما فى تجويف اذنه

"لم اعد استطيع .....لم اعد استطيع .....سارحل للابد "

حاول ..... و حاول .....لكن لا صوت له اخذ الرعب يستبد به و هو يحاول مستميتا ان ينادى.

حاول ..... و حاول .... اخذ يختنق و يختنق,

وفجأة خرج صوته صراخا مدويا

:"سماااا ..... سمااااااا".

اخذ يمد يديه من حوله , فتحسس فراشه و هو جالسا عليه بعد ان افاق من نومه مذعورا.

كان يلهث بشدة و قد اخذ صدره يعلو و يهبط بسرعة و قد غطى العرق البارد جبهته . حاول السيطرة على

نفسه و اخذت انفاسه تهدأ قليلا حين ادرك انه عاد لعالم الواقع

الا ان خوفا آخر استبد به فجأة . هناك شيئا خاطئا.

انه الصباح يشعر باشعته الدافئة على وجهه ..... لكن لا نسائم ياسمين .. اخذ يستنشق بعمق علها تصل اليه , لكن لم يصل صدره سوى هواءا باردا جافا خاليا من نسماتها.

لقد مرت الليلة بدون ان تاتى لتطمئن عليه كالعادة ..... ومن سيلومها .... لقد جرحها جرحا لن يستطيع تضميده ابدا كما تفعل هى مع جروحه.

عادت اليه ذكرى قطعة الحلوى التى تذوقها ... انها تقطر عسلا ..... من كان يخدع.....

كان يمطرها بكلاما مسمما عن عدم رغبته بها . الا انه كان فى الواقع يحاول اقناع نفسه . كان يخبىء جوعا عنيفا لها .... جوعا لم ينهشه الا بالامس حين تفجر كل عالمه فجأة.

يا احمق ..... ما ان لفظت كلمة الخيانة على لسانك حتى دبت النار بصدرك ونشب الغضب خالبه بقلبك.

سما الصغيرة الناعمة مع رجلا اخر .....يعلمها الحب ..... يفتح لها ابواب دنيا لم تدخلها بعد,

دنيا كان يجب عليه ان يشدها هو اليها حتى ولو رغما عنها .....اليست ملكه .... لقد دفع ثمنها فلما لم يستفد بمزايا صفقته.

بقايا من ضمير انسانى موجود باعماقه كانت تمنعه عن مراهقة صغيرة سافرت معه لترعاه.

لم يحاول حتى ان يفكر بحقه فيها , بالرغم من جشاعتها هى و امها.

الا انه لم يكن يتصور ان تقوم المراهقة الصغيرة بخدمته كالعبيد نهارا , ليأتى ويشبع حاجته فيها ليلا , لم يكن قد وصل بعد الى هذا القدر من الدناءة , بالرغم من ان هذا هو كان هدف الامبراطور ذو القلب الحجرى.

ان يهديه الوسيلة التى يشبع فيها عنفه المكبوت و الذى يهدد بان يفقده ابنه الاصغر.

الليلة الماضية ..... لم يعد متأكدا من اى شىء .....شعر الليلة الماضية انه ليس واثقا من صواب حكمه.

لقد كبرت قليلا و صارت امرأة صغيرة ناعمة تفيض بالانوثة ووحشية التملك التى تظهر حين تحاول التمسك برجلٍ يخصها .. لقد افقدته البقية الباقية من سيطرته على نفسه.

وفى اللحظة الاخيرة استعادها قبل ان يفعل ما يندم عليه فى الصباح.

وها هو الصباح .... من المفترض ان يشعر بالفخر لتماسكه , الا انه لا يشعر الا بالخوف ..... فارس مهران يشعر بالخوف لمجرد انه لم يستنشق نسمات الياسمين الى الآن.

اخذ قلبه يخفق بسرعة شديدة ..... اين هى ...هل تعاقبه ؟ ... اختلط خوفه بغضبٍ هادر ....هل تعتقد انه يحتاجها .....فلتذهب للجحيم ..... هل رحلت .....هل استسلمت ورحلت.

صرخ فجأة بصوتٍ وحشى

سمااااا .....سمااااااااا

.....

صراخه يمزق قلبها يقطعه اربا ..... تريد ان تطير اليه .

لا تعلم كيف استطاعت ان تقسي قلبها و لا تزوره ليلا لترى ان كان يحتاج شيئا كما تفعل كل ليلة.

لكنها لا تستطيع تخيل مواجهته بعد الذى حدث , لقد استسلمت له بطريقة مخزية , لم تنطق كلمة اعتراض واحدة ..... و كيف تعترض و قد انهارت روحها قبل جسدها بين يديه , لم تعرف مثل هذه المشاعر من قبل , احست انها مستلقية على سحابة تطير فى سماء واسعة .

لكن حين رفضها ..... حين رفضها .... شعرت انها وقعت على الارض و تناثرت شظايا قلبها.

استمر صراخه يناديها فوضعت كفيها على اذنيها و هى تبكي لا تدرى متى ستعود اليها القوة لتواجهه.

مهما طال وقت هروبها لا بد ان تذهب اليه فى النهاية , لن تتركه ابدا .. لن يستطيع التصرف فى اى شيء بدونها.

ظلت لحظات صامته و الدموع تنهمر على وجهها , ثم قررت فجأة انه لا مفر من مواجهة المحتوم.

قامت من فراشها و اتجهت الى الحمام ..طالعتها فى المرآة صورة عينان مخيفتان من شدة حمارهما و تورمهما , انهت حمامها بسرعة و ارتدت ثيابها ثم سارت ببطء متجهه الى غرفته كالمحكوم عليها بالاعدام .

وقفت بباب الغرفة المفتوح ثم اخذت نفسا عميقا و خطت داخلها.

.....

نسائم الياسمين .....انها هنا .....لم ترحل , انها هنا , شعر فجأة و كأن حجرا مدببا يقف بحلقه.

سمع وقع رفرفتها الناعمة حتى وصلت اليه وقالت همسا

"آسفة ..... لقد اطلت النوم "

هل يجب ان تكون بهذه القسوة ..... لو اهانته , لو جرحته لما كانت بنفس قسوتها وهى تعذبه بقوة احتمالها و جلدها.

ظل صامتا يحاول اخذ انفاسه و تهدئة لهاثه .ثم قال بصوتٍ اجشٍ جاف

"اشعر بصداعٍ فظيع "

قالت هامسة

؛"لحظة واحدة "

ثم غابت فى الحمام لحظات و عادت باقراص الدواء , امسكت بيده وفتحتها ووضعت بها القرص وهى تدعو الله الا يلاحظ ارتعاشها للمسها اياه.

يدها ناعمة ..ناعمة للغاية , هل كانت بهذه النعومة من قبل , ام ان اليوم حدث ما زادها نعومة ....هل جسمها بنعومة يدها ..... ام اكثر نعومة.

غبي ...غبي ها انت تنجرف مرة اخرى , هل القت عليك لعنة ام ماذا؟!!

افيق .... انها سما ....سما الصغيرة , متى اصبحت ملكة الإغواء لتشعرك بما تشعر به الآن.

شعر بلمسة اوراق الورد على جبهته فانتفض و سمع همسا حنونا

"الا زال الصداع شديدا ؟"

احس بحافة الفراش تنخفض عند جلوسها برقة بجواره .وكأن هذا ما كان ينقصه.

احتاج لكل قوته كى لا يمسك بها ويرميها على الفراش بجواره ,اخذ نفسا عميقا مرتعشا ثم قال بصوتٍ اجش

"املت ان تكونى قد رحلتِ...."

رفعت عينيها المجروحتين اليه فاقدة الامل فى الحياة نفسها.

احست انه جاء وقت السؤال الذى تساله لنفسها كل يومٍ فسالته همسا

"لماذا لا تطلقنى ؟....."

احست وهى تنطقها و كأنها تنطق الحكم باعدامها وسالت نفسها بهذيان ما الذى سيمنعه الآن من نطقها .... لقد اعطته السلاح ليقتلها و سيصوبه نحوها الآن , اغمضت عينيها منتظرة مصيرها المحتوم.

لقد اصابته برصاصةٍ طائشة .... نعم هذا هو ما يشعر به الآن , لقد بدأت تستسلم واول الاستسلام هو السؤال الذى لن يعرف اجابته يوما

جشعة وضيعة كأمها فلماذا لايخرجها من حياته , هل لانه يحتاج اليها ؟ ...يحتاج لخدمتها له ...لرعايتها ,بعد رفض الجميع له ,هل اصبح عاجزا لهذا الحد.

الا انه الليله الماضية لم يكن مع ممرضته ..... لم يكن مع خادمته.....لم يكن مع سائقته .....كان ... كان مع امرأته.

لم تكن مجرد شهوة كان احساسا فظيعا بالتملك لم يستطع تفسيره.

اخيرا قال بجفاء وفظاظة

"لقد دفعت ثمنا باهظا "

اغمضت عينيها بالم وسالت هامسة

"اذن لماذا تدفعنى لكى ارحل "

شعر انه يدور فى حلقةٍ لا يفهمها و لا يستطيع الخروج منها .....احس انه يريد الهروب ..... الهروب ام العودة ؟.....

قال فجأة

"اريد العودة "

رمشت بعينيها و سألت

"العودة ؟.....العودة لأين؟!!"

قال بشرود

"اريد رؤية ادهم "

ارتعش قلبها حين لفظ كلمة رؤية , ثم وعى عقلها لما قاله ....العودة ...ادهم

هل يقصد ان يعودا بعد غياب ثلاث سنوات ....ثلاث سنوات لم ترى فيها سابين .....فقط تسمع صوتها على بعد الاف الاميال ....هل من الممكن ان تراها اخيرا

قالت بصوتٍ مرتعش

"هل سنعود فعلا يا فارس ؟....."

ظل صامتا لحظات ثم قال

"نعم ..... نعم سنعود"

اغمضت عينيها و تنهدت بعمقٍ ..... ارتسمت شبه ابتسامة على شفتيها وهمست

" سابدا باجراءات السفر حالا "

ثم رفعت يدا مرتعشة مترددة الى فكه و لمسته برقةٍ وهى تقول

"و ستكون فرصة لتتخذ قرارك بشأن الجراحة "

مد يده و امسك ذقنها بقوةٍ وهو يقول بصوتٍ اجش

"انا لا اريد ان اؤلمك فلا تدفعينى لذلك يا سما"

لا يريد ان يؤلمها .....لا يريد ان يؤلمها .....تكفيها هذه الجملة ,انها افضل كلمات سمعتها منه منذ ان تزوجها وهى تكفيها , و ستكون درعها فى الايام المقبلة , ارتسمت على شفتيها ابتسامة عشق حزينة . بينما هو يتسائل ان كانت هذه هى النهاية ..... ان تعود الى الافعى

.....

.....

كانت جالسة امامه تنظر الى الاوراق بيدها ,تؤرجح ساقا فوق الاخرى , تطرق بظهر قلمها على جانب فكها ,نظارتها ذات الاطار الاسود فوق عينيها القاسيتين الرائعتين , شعرها الاسود الحريري مجموعا فى عقدة انيقة خلف عنقها

شفتيها المكتنزتين القرمزيتين تتحركان ..... تتحركان ؟ ..... ماذا قالت ؟

"ماذا قلتِ؟....." قال بصوتٍ جاف

رفعت نظرها اليه رافعة حاجبيها ثم اعادت سؤالها

"سالتك هل تريد ان تضيف احدا الى قائمة المدعوين ؟"

ظل ينظر اليها بقسوةٍ لحظة ثم قال

"لا .... القائمة مكتملة "

نظرت اليه ثم اومات برأسها وهى تعيد النظر الى اوراقها

"الى اى مدى وصلت علاقتك بمازن ؟"

انطلق هذا السؤال فجأة ليجعلها ترفع رأسها كالسهم تنظر اليه رافعة حاجبيها لا تصدق ما سمعته

قالت بصوتٍ هادىء شابه الصقيع

"ماذا قلت ؟"

قال بقسوةٍ تهز البدن

"لقد سمعتنى "

ظلت تنظر اليه و البرود فى عينيها تتزايد به الشراسة التى تسيطر عليها بمهارة

ثم قالت اخيرا بمنتهى البرود

"لماذا لا تسال مازن ؟ "

اجابها وعيناه تقيد عينيها

"سالته ...."

ردت عليه " وبماذا اجابك ؟"

سكت لحظة ثم قال "لن تعجبِك الاجابة "

اظلمت عينيها وعصفت بلونٍ داكن ثم قالت

:"اذن لماذا تسالنى ؟ "

ظل صامتا ينظر اليها لا يملك ردا , لكنها اعفته من الرد وهى تقف باناقة ناظرة اليه من علو و ملامحها الجميلة متصلبة لا تعبير لها ثم قالت بصوتها الناقوسي الذى اعتاده فى الآونه الخيرة

"لن يعجبك ردى انا ايضا يا سيد احمد .....لكنك لا تملك محاسبتى , فلست انا من تخصك "

التفتت مبتعدة بكل رشاقة بدون ان ترى نيران الغضب التى اشتعلت بعينيه و قبضتيه المضمومتين بقوة

ولم يرَ هو نظرة عينيها.....

.....

.....

كان الحفل السنوى لرجال الاعمال المقام على شرف تولى احمد مهران رائعا منظما شديد الرقي , حضره نخبة رجال الاعمال وصفوة المجتمع و زوجاتهم.

الوقحة ..كان من الضرورى تواجدها قبل حضور المدعوين , الا انها لم تظهر الى الآن ستظل شديدة الوقاحة وهو لا يدرى الى متى سيستمر صبره.

كان فى منتصف حديثه مع رجلا من رجال الاعمال حتى توقفت كلماته فجأة وهو ينظر باتجاه الباب ... ليراها تدخل وهى تتهادى ناظرة حولها بلا مبالاة.

كانت ترتدى فستانا اسود طويل يلتصق بقوامها التصاقا ساحرا , فتحة رقبته الوسعة وقحة لكن دون ان تكشف عن الكثير , كان يحتضن جسدها ليظهر ارتفاع صدرها و نحافة خصرها ثم يهبط ليظهر اكتنازا مغريا.

و شعرها .. اول مرة يراها مطلقة لشعرها اسودا حريريا متموجا بجنون ,طويل يصل لخصرها ومجموعا على كتفا واحدة.

شفتاها المكتنزتان مصبوغتان بلون احمر قانٍ اشد من الذى اعتادته

ذراعاها المكشوفتان ناعمتان بلون بياض اللؤلؤ , كانت مدمرة , ساحرة.

ظلت تتهادى لا تهتم للنظرات المصوبة ناحيتها و لا الهمسات التى التى اعتادتها بينما عينيها العابثتين تتسليان الى ان التقت بعينيه.... اختفت الاصوات من حولها فجأة وظلت اسيرة النظرات القاتلة .... كانا ينظران الى بعضهما البعض وهناك حربا معلنة بين اعينهما اسقطتهما اسيرين.

ظلت تسير باتجاهه وعيناها لا تحيدان عن عينيه حتى وصلت اليه.

ظلا صامتين لحظات حتى تنحنح الرجل بجوار احمد مهران ليتناول يد سابين ويقبلها بوقاحة.

نظرت سابين الى الرجل بصلفٍ وغرور وكأنه عبدا من عبيدها , كانت تعرفه جيدا وهو من اكثر الرجال سماجة

كانت عيناه تنهشانها كلما جاء لمازن مهران , ملمس شفتيه على يدها اثار قشعرة اشمئزاز بجسدها.

حركت نظرها الى احمد فلم يطالعها سوى تصلب ملامحه الا انها كانت واثقة من انها رات لمحة ازدراء قوية بداخل عينيه

رفعت حاجبها الايسر و رسمت ابتسامة استخفاف على شفتيها الجميلتين.

سمعت صوته المقزز وهو يقول

"لقد بدات الموسيقى ..فلتفتتح الرقص سيد احمد مع مديرة مكتبك الساحرة "

لم يلتفت احمد اليه و ظلت عيناه مثبتة عليها و هو يقول بقسوة

"انا لا ارقص "

شعرت بالغضب الاعمى يهيج فى اعماقها .... من هو ليرفض سابين الراشد .. لم يفعلها رجلا قبله.

وقبل ان ترد عليه بما يليق به ضاربة بكل الاصول عرض الحائط , قال الصوت المقزز

"اذن فلتسمح لى انا بهذه الرقصة "

لم يتنازل حتى للرد , فما كان منها الا ان نظرت اليه باستعلاء و سمحت لهذا السمج بان يسحبها من يدها ليبتدآ الرقص.

حين استدارت طالعه ظهرا مكشوفا شديد البياض اثار حنقه عليها اكثر واكثر بعد ان سمحت لرجلٍ لا تخفى عليها نظرته التى تكاد تعريها من ثيابها ان يمسك بها بين ذراعيه.

وقف فى مكانه بجمود يراقبهما يرقصان و هذا الرجل الفظ يضع يده على ظهرها العارى ,محاولا قدر الامكان السيطرة على الغضب المتصاعد بداخله و الموجه الى تلك اللعنة المسماة سابين الراشد.

حين تزايد عدد المتوافدين للرقص احست سابين به يجذبها تدريجيا اليه , فحاولت الابتعاد قدر الامكان.

القذر ..... القذر اول مرة يصل تطاوله الى هذا الحد.

شعرت بيده اللزجة تتحرك ببطء على ظهرها ,فحاولت دفعه بقبضتها و قد بانت الشراسة بعينيها , الا انه لم يهتم و تابع ضمه الوقح لها . فما كان منها الا ان همست همسا هادرا لا يسمعه الا هذا القذر وهى تكز على اسنانها

"ابتعد "

لكنه ضحك بخفة و قال بابتسامة صفراء

"لا تفتعلى فضيحة يا سابين , فاحمد مهران لن يعجبه ابدا ان تثيري غضبى "

استمرت فى دفعه بطريقة خفية حتى لا يلاحظ من حولهم من الراقصين و همست بعنف

"لا اهتم بك او به .... ابتعد والا فقسما بالله ساثير فضيحة لم يشهدها وسطكم القذر من قبل "

اتسعت ابتسامته و هبطت يده زاحفة الى خصرها ثم تابعت نزولها.....

عند هذه اللحظة دفعته دفعة قوية بكلتا قبضتيها , و قبل ان يصب غضبه عليها و الذى ظهر بحدقتيه الزائغتين , سمع صوتا رجوليا صلبا منخفضا يبعث الرعب فى النفس و هو يقول

"امامك دقيقة واحدة لمغادرة هذا المكان و الا فلا تلم غير نفسك "

نظر الى احمد مهران و الذى فجأة بدا و كأن قناع التهذيب فارقه ليظهر بمظهر رجل الكهف .. فقط من نظرة عينيه المتوحشة

قال بصوتٍ مرتعش وهو يحاول ان يظهر بقوةٍ زائفة

"انت لا تعرفها بعد سيد احمد , انها سابين الراشد انها ....."

امتدت يد احمد كقبضة حديدية لتمسك به من عنقه و هو يقول بصتٍ يدوى بالرغم من خفوته

"كلمة واحدة اخرى و سترى نفسك ملقى على الارض تحت قدميها "

ارتعش بجبن و هو يلاحظ الفرق بين قامته القصيرة الممتلئة و بين الحائط البشرى المفتول العضلات امامه , فما كان من الا ان حاول تعديل ربطة عنقه بذلٍ و ارتباك بعد ان تركه احمد , ثم سار مبتعدا متعثرا بين المدعوين اللذين لفت نظرهم ما حدث بدون ان يسمعوا الحوار الذى دار بين الرجلين والمرأة شديدة الجمال بين الراقصين.

امتدت يد احمد ووضعها بحزمٍ على خصرها بدون ان تشعر فعليا انه لمسها , و بيده الاخرى القوية امسك يدها وهو يهمس بقسوة

"ارقصى..... "

كانت سابين لاتزال فى حالة من الذهول مما حدث لتو , وضعت يدها على كتفه و اخذا بالكاد يتحركان بينما تشعر ان عاصفة قد اصابتها.

استمرا يرقصان لحظات وهى شاردة تائهة لا تشعر به يلمسها و مع ذلك تشعر بان كل من حولهم قداختفوا فجأة ليبقى فقط صوت الموسيقى الناعمة و رائحة الرجولة المعطرة المنبعثة منه , وكتفه الضخمة التى حجبت الرؤية عن عينيها.

فجأة سمعت همسا هدر فى اذنها

"ما الذى تستفيدينه من امتهان نفسك ؟ "

رفعت عينيها اليه بصدمة بعد ان انتزعها من العالم الذى تعيشه , فقالت بقسوة

"و لماذا تدخلت طالما اننى اخترت ان امتهن نفسي "

قال بعنف

"لست انا من اترك امرأة تحاول التملص من بين يدين قذرتين ... ايا كانت هويتها "

اخفضت نظرتها واغلقت فمها . لاول مرة احست انها لا ترغب فى الرد , فقط تريد ان تكمل هذا التمايل الرائع , وصمت هو ايضا و كأنه كان اسيرا لهذا التناغم و الانسجام لجسدين أبيا ان ينصاعا لحربا بين عقلين ليس لهما مكانا فى هذه اللحظات.

وقد غاب عنهما ما اثاراه من اقاويلِ ستثار شهورا وشهور .

كان ينظر اليها وهى نائمة , انها تبدو كحمامة بيضاء يقوم بتربيتها , ظهرت على فمه ابتسامة صغيرة و هو يتلمس وجهها وعنقها برقة , انها تبدو شديدة البراءة , تبدو طفلة وليست امرأة تزوجت مرتين.....

تبا.. لماذا يتطرق عقله دائما الى هذه النقطة السوداء بحياته , حاول نفض هذه الافكار المظلمة من عقله ليركزعليها هى.

اخذت اصابعه تتخلل شعرها ليمشطه على الوسادة.

كم يوما مر منذ ان لمسها آخر مرة . يشعر انه قد مرت سنين ....كم يريدها و كم يمارس على نفسه اقسى درجات السيطرة لكن الى متى , هو واثق انه لو ايقظها الآن و اخذها بين ذراعيه فلن تمانع , فبعد ليلة زفافهما الشعواء استسلمت له تماما مما اصابه بغرورٍ وسعادةٍ لا توصف , ليستيقظ صباحا و يفاجأ بحالتها الغير طبيعية ابدا ,ولو استسلمت له الآن فماذا ستكون ردة فعلها التالية.

آه يا حلا ستظلين سبب شقائى دائما

لم يستطع تمالك نفسه اكثر و اقترب منها وهبط بفمه ليقبل شفتيها الناعمتين بلمسة رقيقة حتى لا يزعجها , الا انه حين تصاعد شغفه اخذت قبلاته تزداد عمقا و

حرارة , ففتحت عينيها الناعستين وهى لا تدرى ماهى القوة الغريبة التى ايقظتها.

نظرت اليه فابتعد عنها لينظر الى عينيها و انفاسه لاتزال متسارعة و الرغبة العمياء تعصف به.

قال لها مبتسما بهدوء لا يتناسب مع ما يعانيه

"صباح الخير "

ردت عليه برقة و هى ترمش بعينيها

"صباح الخير "

قال بصوتٍ خافت بطيء

"انتِ تنامين كطفلة "

ارتبكت قليلا وقالت

"هل كنت تراقبنى "

اتسعت ابتسامته ليقول بهجة مستفزة

"نعم ظللت اراقبك طويلا فهل لديكِ مانع ؟"

اخفضت نظرها لا تدرى ماذا تقول فتابع

"شعرت انه من حقى ان اشبع من رؤيتك طالما اننى سأغيب عنكِ طوال اليوم "

انتبهت فجأة انه يرتدى حلته الانيقة كاملة فقالت بدهشة

"هل ستخرج ؟"

"نعم ساذهب للعمل لكن ساحاول الا اتاخر "

كانت مندهشة لانه قرر فجاة الاستسلام من محاصرتها وبهذه السهولة

ظلت صامته فسالها بامل خفى

"هل تريدينني ان ابقى معك"

قالت بسرعة و لهفة دون ان تستطيع ان تمنع نفسها

"لا تكن سخيفا ....لابد ان تذهب الى عملك لقد اطلت البقاء جدا"

اصابته لهفتها فى الصميم فاختفت ابتسامته و تجمدت ملامحه لكنه لم يتكلم

اثار جموده الخوف فى نفسها فحاولت ان تقول متلعثمة

"انا اقصد ... اننى لا اريد ان تتعطل اعمالك بسببى "

ظل صامتا لحظات شعرت فيها ان قلبها سقط بين قدميها , فلم تجرؤ على رفع نظرها اليه

اخيرا تكلم بصوتٍ هادىء متباعد

"حسنا ساذهب الآن هل تحتاجين لأى شىء "

اشارت برأسها علامة النفى بدون ان تنظر اليه .فما كان منه الا ان جذبها بين ذراعيه بقوة و التهم شفتيها بين شفتيه فى قبلة عاصفة حاول قدر الامكان الا يظهر غضبه بها , ثم تركها فجأة ليقوم سريعا تاركا اياها ترتجف.

كان يقود سيارته و هو يشعر بإحباط شديد , كان يظن انه اقترب منها , كان يظن انها اصبحت تحتاجه الا انها بجملة واحدة اظهرت له انها لا تطيق صبرا للابتعاد عنه .

زفر بشدة و هو يشعر انه كلما اقترب منها خطوة تبعده عنها خطوتين.

.....

.....

تمطت فى فراشها بدلال و هى تفكر باثارة ,ماذا يمكنها ان تفعل الآن؟ لديها قصرا واسعا تستطيع ان تفعل به ما تشاء.

انها حرة بدون مراقبة حتى ولو لساعاتٍ قليلة . بعد تفكير قصير قررت انها ستترك ما ستفعله بداخل القصر للغد او بعد غد , فبما انه عاد الى عمله فأكيد سيخرج كل يوم تاركا لها بعض المساحة لتحاول بناء حلا جديدة .

فكرت انها ستخرج للحديقة , لو كانت تستطيع القيادة لكان بامكانها ان تخرج بالسيارة الآن , لكنها لم تتعلم القيادة يوما , ترى هل لو طلبت منه تعلم القيادة سيقبل ؟ , تخيلت نفسها وهى تقود سيارة بسرعة و شعرها يطير مع الهواء شعرت بالابتهاج و الاثارة سيكون هذا اول شيء تطلبه منه وهو سيقبل بالتاكيد , ابتسمت برقة ثم قفزت من الفراش , تحممت و ارتدت فستانا منقوشا بالوان طفولية فاتحة , نزلت على السلالم راكضة.

وصلت الى باب القصر و قبل ان تمد يدها اليه سمعت صوت مدبرة المنزل من ورائها

"هل تنوين الخروج سيدتى "

التفتت حلا بسرعة اليها و ابتسمت برقة وهى تقول

"نعم سيدة اسراء .... ساخرج الى الحديقة قليلا "

اومات السيدة متوسطة العمر بأدب وهى تقول

"تفضلى سيدتى "

فتحت حلا الباب العملاق و خرجت لتملأ صدرها بالهواء الرائع , وبعد ذلك خطت عدة خطوات لتفاجأ بالسيدة اسراء وراءها تماما فالتفتت اليها وهى تسأل بريبة

"هل تريدين شيئا آخر سيدة اسراء"

قالت مدبرة المنزل

"لا سيدتى لكننى هنا لمرافقتك "

حاولت حلا الا ترتعب وهى ترد

"شكرا سيدة اسراء ..... لكننى لااحتاج لمرافقة الآن "

لم يظهر اى تعبير على جه السيدة الجامد وهى تقول

"السيد أمر بمرافقتى لكِ خارج القصر سيدتى "

حاولت حلا التنفس وهى تشعر ببدء ظهور حالتها الهيستيرية وقالت بتشنج

:"شكرا سيدة اسراء ادخلى انتِ وانا سأتفاهم مع السيد "

ظلت السيدة اسراء واقفة مكانها لم تتزحزح وهى تقول

"اعتذر سيدتى.... هذا غير ممكن "

ظلت حلا تنظر اليها وصدرها يعلو ويهبط بانفعال ثم قالت اخيرا بارتعاش

"سيدة اسراء .....انا سيدة هذا المكان الآن والاهم اننى سيدة نفسي وانا اقول لكِ اننى لا احتاج لمرافقة "

ظلت السيدة اسراء على جفائها وهى تقول

"آسفة سيدتى .....لا بد ان يعطيى السيد تعليماته بهذا "

شعرت حلا ان غضبها انفلت من عقاله فاندفعت قائلة

" انا سأخرج .....اخبرى السائق ان يجهز السيارة "

واندفعت الى الامام لكن اوقفها صوت السيدة اسراء الاجش المتصلب

"اعتذر سيدتى لكن غير مسموح لكِ بمغادرة بوابة القصر "

صعقت حلا وصرخت

"هل انا سجينه هنا؟.....!!"

ظلت السيدة صامته لا ترد , فما كان من حلا الا ان اندفعت راكضة نحو بوابة القصر العملاقة وهى تصرخ

"لا احتاج الى السيارة .....سأخرج على قدمي و سأرى من يستطيع منعى "

ظلت تجرى بعنف و شعرها الطويل يتطاير خلفها ووجهها شديد الاحمرار بسبب الانفعال, لم تكن تدرى انها بدت شديدة الجمال و قد اختلطت فيها الرقة و الضعف بالعنف.

وصلت الى بوابة القصر فأوقفتها ذراعا بشرية مفتولة العضلات وصوتِ اجش يقول

"آسف سيدتى هذا غير مسموح "

نظرت وهى تلهث الى كتلة العضلات المسماة حارس الأمن وصرخت بهياج

"ابتعد عن طريقي "

لم يتحرك من مكانه ففقدت ما تبقى من سيطرتها و اخذت تدفعه بقبضتيها وهى تصرخ ويعلو صراخها بينما الكتلة البشرية ثابتة مكانها لا تهتز.

رجعت خطوة الى الوراء لتحاول التقاط أنفاسها وهى لا تعلم متى بدأ نحيبها , فتعثرت بحجرٍ ناتىء خلفها فسقطت على الارض ,سندت رأسها على ركبتيها وأخذت تبكى بصوتِ عالِ.

امتدت ذراعى حارس الأمن لترفعها , الا أن صوتا هادئا اوقفه حين قال

"ابتعد انت "

"سيدتى اعطنى يدك من فضلك "

رفعت وجهها الاحمر المغطى بالدموع لترى امامها شابا من عمرها وسيم الملامح يرتدى بنطالا من الجينز الممزق و قميصا مقفلا بسيطا لا يخفى قوة جسده بالرغم من نحوله.

مد يده اليها وهو يتابع

"انهضى سيدتى "

أخذت تنظر الى اليد الممتدة امامها وهى لا تتحرك , فجلس القرفصاء امامها وهو يحاول اقناعها

"تعالى سيدتى ... سيكون كل شىء على ما يرام "

نهض وسحبها برفق من ذراعها حتى انهضها , ترنحت قليلا فاسندها بذراعه القوية , اخرج من جيب بنطاله منديلا نظيفا وناولها اياه

"تفضلي... "

نظر الى السيدة اسراء وقال لها بأدب

"تفضلي انتِ سيدة اسراء ..و انا سأرافق السيدة الى باب القصر بنفسي "

وقفت السيدة لحظة لا تدرى ما هو التصرف الأمثل فشجعها الشاب بلهجةٍ ذات مغزى

"لحظات وستكون السيدة بداخل القصر "

هزت السيدة اسراء رأسها باستياء من كل هذا العرض السيىء ثم التفتت عائدة الى القصر

ظلت حلا واقفة مكانها تشعر بالخزى من هذه المعاملة التى تلقتها , سمعت صوت الشاب يأتى اليها هادئا و هو يسألها

"هل انتِ بخير سيدتى ؟"

ظلت صامتة وكتفاها تهتزان بنحيبٍ صامت.

شعر بالغضب الشديد من الوحش عديم الضمير الذى اسر هذه الأميرة الرقيقة و أغلق عليها الأبواب و سمح لخدمه بمعاملتها بهذه الطريقة المهينة.

لطالما سمع عن قسوة ادهم مهران الشبيه بوالده , لكنه لم يكن يتصور ان يوجه قسوته تجاه تلك المخلوقة البديعة التى تبدو وكأن نسمة الهواء ستكسرها , نظر اليها بعطفٍ وقال

"ما رأيك ان نمشى قليلا لتهدئ "

التفتت عائدة تسير ببطء دون ان تنتظره , ظل يسير بجوارها صامتا ثم قال فجأة قبل ان تصعد السلالم الرخامية لمدخل القصر

"ما رأيك ان اريكى حوض الورود .....لقد زرعتها بنفسي "

توقفت مكانها دون ان تلتفت اليه , فدار هو حولها الى ان واجهها و ظل واقفا حتى رفعت عينيها اليه , فشعر ان سهما نفذ الى قلبه.

صمتها وتوقفها اخبره بموافقتها فمد ذراعه و هو يقول

" انه هناك "

سارت معه ببطء الى حديقة صغيرة خلف القصر بها حوضا كبيرا من الورود المختلفة الالوان لكنها مزروعة بتصميم معين.

اخذت تنظر الى هذا الحوض و الذى بدا وكأنه لوحة فنية احتاجت الى فنانٍ عظيم ليصممها بهذا الشكل.

تقدمت ببطء الى هذا الحوض الرائع ثم انحنت على ركبتيها لتغمر وجهها المحمر فى وردة بيضاء كبيرة متفتحة.

فى هذه اللحظة عرف ان هذه الصورة لن تخرج من عقله ابدا , صورة فنية رائعة دخلت عقله..... و مست قلبه

صورة لسيدة القصر الأسيرة.

.....

.....

شد قبضته على الهاتف بشدة و هو يكاد يصرخ

"لم اعد احتمل .....اريدها ..... اريدهاااا هل تسمعيننى

قلتِ انكِ ستساعدينني للحصول عليها ..... انها تسكننى ..... وجهها رفض ان يعتقنى "

كانت تستمع الى هذيانه و ابتسامة الافعى مرتسمة على شفتيها المكتنزتين , قالت بصوتها المبحوح

"كان كل شيء يسير على ما يرام الى ان افسدت كل شيء بفعلتك الغبية "

صمت قليلا لتسمع صوت تحطم عالٍ ثم سمعته يصرخ فاضطرت الى ابعاد الهاتف عن اذنها

"ارجووكِ ..... انها لاترد على اتصالاتى..... اريد فقط ان اشرح لها "

ظلت ابتسامة الانتصار على شفتيها و هى تهمس

"حين تخرج سابين احدا من حياتها .... فانها لا ترجعه ابدا "

صرخ فيها

"انا لن ادعها ...انها ملكى ..ملكى انا , لقد كنت غبيا حين ابتعدت عنها , ايثار ارجوك لوطلبتى النجوم سأجلبها لكِ لكن ارجوكِ ساعدينني على استعادتها "

التمعت عيناها الشبيهتين بعيني افعى , سكتت لحظات ثم قالت بصوتٍ ساحر

"حسنا .... فلنبدأ من جديد , لكن هذه المرة غير مسموح بأى أخطاء , مفهوم " .

الفصل التاسع

كان عائدا من عمله يقود سيارته بسرعة يسابق الأميال للوصول اليها.

منذ ان هاتفته السيدة اسراء و اخبرته بما حدث وهو يشعر بتقافز اعصابه , وخاصة وانه لم يتوقف بعدها عن الدوران فى سلسلة من الاجتماعات المؤجلة منذ يوم زواجه.

اخيرا وحين انتهى من آخرها , هب من مكانه متنفسا الصعداء , منطلقا اليها.

أول يوم يذهب فيه الى عمله بعد زواجه وهذه هى النتيجة ... انهيار آخر من انهياراتها التى لا تنتهى , ضرب المقود بقبضته وهويشتم.

ما هو المعقد فى الأمر ؟!!.....انه يريد ان يعرف ما هو الأمر الذى يصعب عليها فهمه ؟!..... كل هذا الانهيار لأنها لا تريد مجالسة السيدة اسراء !!!!..... ثم الى اين كانت تنوى الذهاب ؟!!! .....لقد أتلفت اعصابه تماما حين اخبرته السيدة اسراء بنيتها فى الخروج من القصر.....

الى أين كانت ستذهب ؟ ..... هل كانت تنوي الذهاب لايثار ؟

أطل الغضب الأعمى من عينيه و شعر بمشاعر سوداء تكاد تظلم الدنيا من حوله.

الى متى سيمنعها من رؤية امها ..... ولماذا تريد رؤيتها اصلا .....فلو كانت تلك الحقيرة تمتلك أدنى قدر من مشاعر الأمومة لكانت جاءت بنفسها لرؤيتها.

الا ان تلك الأفعى السامة , و منذ ان وافقت حلا على الزواج منه , قطعت علاقتها بحلا نهائيا

ابتسم بسخرية سوداء ..... بالطبع فزواج حلا به ليست صفقة ايثار ... لن تنال منه شيئا , لانها تعرفه جيدا وهو يعرفها جيدا ايضا .

زواجه من حلا كان صفقة حلا بنفسها , حين عرض عليها الهروب من مخططات ايثار الجديدة لها.

فكان ان اختارت الصفقة الاكثر تحملا لها ..... زواجٍ صورى اوهمها هو به ....لن يتطلب منها سوى الظهور فى المجتمع بصورة زوجة ادهم مهران.

علم ان ايثار ثارت بشدة و آذتها بشدة ..... الحقيرة ...تعلم جيدا ان هناك فرق بين مهران سيدفع لها الثمن و بين مهران آخر لن تحصل منه سوى الاحتقار , وكان هذا هو السبب فى رجوح كفة طلال مع كفته .فبالرغم من انها كانت تعلم جيدا برغبة ادهم مهران بنفسه فى حلا الاانها فضلت القبول بصفقة تزويج حلا لطلال,

ادهم مهران من القوة بحيث لا يحتاجها هى للحصول على المرأة التى يريد و بالتالى لن تنال منه شيئا , لذا قامت بالتخطيط مع زوجها امبراطور مهران فى ابقاء الأمر سرا عن الجميع وخاصةِ ادهم حتى انتهزوا سفره فى عملٍ مهم و تم تزويج حلا لطلال فى فترة لا تتعدى شهورٍ قليلة وقبل رجوع ادهم.

اما بعد موت طلال , ظل هو منتظرا فى الخفاء .. يراقب كل تحركات حلا , يعد كل نفس من أنفاسها , منتظرا الفرصة حين تنهار حلا تماما.... فيتلقاها هو .....و هذا هو ماحدث.

عاد اليه الشعور القهرى بالدناءة .... حين تذكر مخططات ايثار الجديدة لحلا بعد موت طلال.

فقد كان هو مخطط كل شيء ..... خادعا تلك الافعى السوداء.

شاريا جديدا شديد الثراء يأتى من طرفه هو ,لينسج الخطه و يوهم ايثار برغبته فى حلا منذ ان كانت متزوجة و يعدها بالكثير مقابل الحصول على حلا.

و طبعا تنهار ايثار تحت أقدام هذا الشارى الجديد غير مصدقة حظ حلا الرائع فى المكسب الرابح مرة اخرى بعد فترة قصيرة من موت طلال .وخاصة بعد رحيل الأمبراطور فجأة تاركا اكبر طعنة لايثار بخروجها من القصر خالية اليدين الا من الذى نالته من زواجى حلا وسما والذى لم يتحمل فى يدها الكثير فاضاعته ثقة منها فى المزيد و المزيد بعد موت الامبراطور.

الا انها نسيت انه امبراطور مهران ..... لا يعطى الا ما يريد بالقدر الذى يريده.

وحين جاء هذا المشترى الجديد كان فرصتها الجديدة للثراء ,فضغطت بكل انواع الضغوط النفسية و الجسدية على حلا التى كانت تهدد دائما بالانتحار ان حدث و تزوجت مرة اخرى.

ظل ادهم يراقب هذا الوضع من بعيد تاركا حلا تنهار اكثر واكثر

ثم ظهر هو ..... عارضا عليها صفقة زواجهما لتتحرر من الضغوط القاتلة من حولها , ففى الاخير هو ادهم الذى تربت ببيته وتحت انظاره وهو لن يرغمها على ما لن تحتمله.

و كما توقع تماما ... كانت حلا منهارة نفسيا تماما , فسقطت أسيرة عرضه دون اى مجهود يذكر من قبله.

و قد حصل عليها اخيرا.....

لن يشعر بالذنب ابدا .....حلا ملكه ...منذ ان كانت تلعب فى بهو القصر .....هى ملكه ..... وهو لم يفعل سوى استرداد ما يخصه.

عاد يتساءل اين كانت تريد الذهاب هذا الصباح .....هل ارادت رؤية سابين , هو يعلم انهما لم تكونا يوما على وفاق . لم تظهر عليهما مظاهر الأخوة ابدا , فسابين لا تصلح لأن تكون اختا , دائما كانت انسانة قاسية عابثة لم يستطع ان يفهمها يوما ولا احبها ابدا.

تذكر محادثة وحيدة فقط بينه وبين سابين ..... كانت اول حديث حقيقي بينهما , وكان ذلك بعد ان اعلنت حلا عن موافقتها على الزواج به ... ففوجىء بسابين تأتى الى مكتبه دون موعد.

تذكر جلوسها امامه بمنتهى الصفاقة واضعة ساقا فوق الأخرى و هى تنظر اليه باستعلاء.

تذكر كلماتها بوضوح و دون مواراة " لا تتزوج حلا ....."

نظر اليها يومها دون ان يرمش له جفن , فتابعت دون ان تنتظر رده

"انها ليست مناسبة لك " ثم اكملت بقسوة

"انها ضعيفة للغاية و سلبية لدرجةٍ بائسة"

صمت قليلا ثم قال بكل هدوء

"سأتزوجها يا سابين ...و سأرى من يستطيع منعى"

يومها ظلت تنظر اليه نظرة لم يفهمها و سألت بكلمة واحدة

"و لماذا تأخرت"

وقبل ان يفهم ما كانت تقصده قامت من مكانها و قبل ان تخرج التفتت اليه وقالت بقسوة

"انت لا تختلف كثيرا عنه"

ثم غادرت و لم تتدخل فى موضوع زواجهما مرة أخرى.

عاد وعيه الى الطريق أمامه وكلماتِ تدور بذهنه

انت لا تختلف عنه كثيرا ..... انت لا تختلف عنه كثيرا .....انت لا تختلف عنه كثيرا

تطلع امامه بغضبٍ و هو يقبض بشدة على المقود و هو يشتم هذه الأسرة المجنونه من اكبرهم لأصغرهم.

وصل الى القصر و نزل من السيارة بسرعة و اخذ يلتهم السلالم الرخامية كل درجتين معا , وهو غافل عن عينين غاضبتين تراقبانه بحنق من بعيد.

اخذ يصعد السلالم بسرعة يتسابق مع درجاتها حتى وصل الى غرفته , اخذ نفسا عميقا ثم فتح الباب و دخل.

وجدها مستلقية على الفراش و ظهرها اليه وهى ضامة نفسها كالجنين.

التف حول الفراش حتى واجهها ثم جثا على ركبتيه بجوار الفراش و اصبح وجهه على بعد سانتيمترات قليلة من وجهها , مد يده و أزاح شعرها الذى يحجب عنه عينيها.

وجد عينيها مفتوحتين لكنها لا تنظر اليه .... نادى برقة ..... "حلا .." لكنها لم ترد عليه

أعاد مرة اخرى برقة اكثر و ابتسامة " حلا .... ردى علي "

لم يظهر عليها انها سمعته اصلا فنهض واقفا و خلع سترته ثم اندس بجوارها و لف ذراعيه حولها ضاما ظهرها الى صدره و اخذ يهمس فى أذنها

"كلمينى حلا ...." وحين لم ترد اكمل

"كنت اظن اننا اقتربنا من بعضنا جدا , فما الذى حدث الآن"

احس بارتعاشها و قد اخذت تهتز بنحيبٍ صامت , شدد من ضمها اليه اكثر ثم قال

"اخبرتنى السيدة اسراء انكِ ترفضين الطعام منذ الصباح"

احس بعضلاتها تتشنج حين ذكر اسم مدبرة المنزل الصارمة , فقال برقة

"حلا ... انها سيدة طيبة و لم تقصد ان تغضبك"

استمر بكاؤها الصامت الذى اثقل قلبه فتنهد بتعب ثم حاول مرة اخرى ان يصل الى داخل قوقعتها

"حلا ..... لا زال الوقت مبكرا على خروجك بمفردك"

صدر عنها صوتٍ مختنق و هى تهمس

"انا لست مريضة".....

كاد ان يعتصرها بين ذراعيه و هو يشدد من ضمها اليه و الالم يعصف بداخله . ثم قال بعمق

"انتِ لستِ مريضة يا حلا ... انتِ فقط تحتاجين الى المساعدة فى الوقت الحالى"

همست بتحشرج

"اريد ان..... اساعد نفسي"

همس باذنها وهو يلامسها بمداعبة

"الا تحتاجيننى يا حلا ؟".....

ثم اكمل بصوتِ اعمق ومداعباته تتعمق اكثر

"لكن انا احتاجك ... و بشدة"

اخذت تهدأ تدريجيا بين ذراعيه حتى سكنت تماما و بعد لحظات قليلة كادت ان تطيح بعقله , تحركت ببطء حتى استلقت على ظهرها وهى لا تزال بين ذراعيه.

اخذ ينظر اليها و هى تنظر اليه باستسلام و كلا منهما يحاول العبور للآخر ,جمالها الضعيف اصابه بالجنون ثم اخذ يميل عليها و فمه يقترب من فمها . وفجأة همست بسرعة قبل ان تفقد شجاعتها

"أدهم .... اريد ان اتعلم القيادة"

توقف فمه على بعد لحظة من فمها , لحظة واحدة وكان سيفقد نفسه فى دوامة حبها مرة اخرى

هز رأسه و هو يحاول استيعاب ما قالته

"تريدين .... ماذا؟"

ابتلعت ريقها وهى تدعو ان يوافق ثم قالت بتلعثم

"اريد ان اتعلم القيادة"

سألها بصوتِ أجش

"وفيما تحتاجين القيادة .... يستطيع السائق اخذك الى اى مكان تريدينه"

انعقد حاجبيها وهى تقول بجفاء خافت

"ليس هذا ما حدث اليوم"

نظر الى هذه القطة الغاضبه منه فاجتاحه الحنان و ابتسم

"اين كنت تنوين الذهاب"

لم تجد ما تجيبه به فقد تصرفت بمنتهى الحماقة بعد ان جرفتها الحماسة صباحا , ظلت صامته و قد احمر وجهها احراجا و لم يضغط هو عليها اكثر فقد علم ان لا اجابة لديها , ستظل هى حلا دائما .....منطلقة فى هذه الحياة على غير هدىٍ.

نزل برأسه وقبلها برقةٍ تذيب الأحجار , دون ان يستسلم لمشاعرِ مجنونه هذه المرة , حين رفع رأسه نظر الى عينيها اللتين تحولتا الى لونِ بحرٍ عاصف , ثم قال برقة

"حين اشعر انكِ مستعدة , سأعلمك بنفسي"

تابع و الابتسامة تغطى وجهه

"هل ستأكلين الآن"....

ظلت تنظر اليه بيأس دون ان ترد ..... لكن و بالتأكيد بعد دقائق كانت هناك طاولة طعام صغيرة امامها على الفراش وهو يطعمها بيده وهى تأكل ببطء ...بصمت.....باستسلام.

افاقت صباحا على أشعة الشمس الدافئة , لكنها لم تشعر بدفء الذراعين الحديديتين من حولها كعادتها كل يوم , ادارت وجهها الى الناحية المجاورة من الفراش فلم تجده , لكن لفت نظرها ورقة صغيرة مطوية بجوارها على الوسادة,

تناولتها بارتعاش ..... رسالة ..... رسالة منه , فتحتها ببطء وهى تتساءل ماذا يمكن ان يقول لها

"لقد ذهبت الى العمل ..... حاولى الا تفتعلى المشاكل يا صغيرة"

ظلت تقرأ الكلمات طويلا وهى لا تشعر بشىء .....ماذا انتظرت ..... هى نفسها لا تعلم ماذا كانت تنتظر.

قامت من فراشها ببطء ... شتان بين ما كانت تشعر به حين اسيقظت بالامس وبين ما تشعر به الآن , اتجهت الى النافذة و أطلت منها لتستنشق الهواء بعمق.....

لفت نظرها حركة بالأسفل فى الحديقة .... نظرت ففوجئت بشابٍ يمسك خرطوما يروي به الحديقة و هو يرقص بحركاتٍ غربية سريعة و مضحكة للغاية وهو يطوح خرطوم المياه معه قافزا من حوله واضعا سماعاتٍ فى اذنيه

ابتسمت بمرحٍ وهمست لنفسها

"من هذا الأحمق ؟!"

انه يبدو مألوفا , أدارت وجهها الى طاولة الزينة لترى وردة بيضاء كبيرة بدأت فى الذبول قليلا ... شخصا ما أعطاها هذه الوردة بالأمس ...لكنها لا تتذكر ملامحه تماما , فعادة ما تنسى الكثير من التفاصيل بعد انهياراتها ..... ايكون هو

انحنت على النافذة و أسندت ذقنها على يدها و هى تراقبه مبتسمة.....

الا يخجل من نفسه ..... الا يخشى ان يراه احدا وهو بمثل هذه الحماقة

اتسعت ابتسامتها.....

كان منعزلا عن العالم و النغمات العالية تسد أذنيه وهو مغمضا عينيه .....فجأة دفعه شيئا ما لفتح

عينيه .....شعر انه مراقب فرفع رأسه لأعلى ليفاجأ بالأميرة تطل عليه من نافذتها ..... وهى تضحك!!!

سقط خرطوم المياه من يده و ظل ينظر الى جمالها المشرق .... يا الله ..... انها شديدة الجمال ..... شديدة الاختلاف حين تكون مبتسمة , تبدو و كأن شيئا ما يشع من داخلها.

ما هذه المرأة ... انها تجذب كل من حولها .. فى كل حالاتها ..غضبها ...ضعفها ....حزنها .....اشراقها ..... ابتسامتها.

انها ساحرة من نوعٍ ما.

ابتسم و لوح لها بيده .....استقامت فجأة بسرعة و اختفت ابتسامتها و قد ظهر عليها الارتباك من تلويحه لها ثم ابتعدت عن النافذة بعد ان اغلقت الستائر...

انها تبدو و كأنها لم تقابل احدا منذ ميلادها ....لا تعلم كيف تتعامل مع البشر , لا يتخيل كيف كانت حياتها الى الآن ...هل كان لديها أصدقاء؟ .....هل لديها أخوات؟ .....هل هى مدللة والديها ؟ .....هل كانت لديها حياة اصلا ؟.....

تطرق بكعب حذائها العالى.....تطرق .....تطرق

جالسة على كرسي مكتبها , تنظر الى باب مكتبه .....الأنغام الناعمة تأبى ان تترك أذنها .....الرائحة الدافئة لا تغادر أنفاسها.

رمت قلمها من يدها على سطح المكتب بعنف ..... ما الذى يحدث؟..... انها تبدو كأنثى بلهاء رقصت رقصتها الأولى.

اهدأى يا سابين ... استعيدى سيطرتك على نفسك , انه مجرد رجل فى النهاية وكل ما فى الأمر انه لا يسقط تحت قدميكِ..لا ينهار لكِ.

زفرت بعنف ,ثم اخذت اوراقها و قامت متجهه الى مكتبه برشاقة الفهد المستعد للوثب على فريسته.

طرقت الباب بهدوء ودخلت .....ظل نظره مثبتا على شاشة حاسوبه وهو يعمل لا يعيرها أى اهتمام , ظلت واقفة لحظات تنظر اليه نظراتِ شرسة ثم تقدمت الى المكتب ووضعت الأوراق أمامه وقالت

"هذه الأوراق تحتاج لتوقيعك"

التفت من الشاشة الى الأوراق امامه ..تناولها بهدوء و اخذ يوقعها واحدة تلو الأخرى

فجأة رن هاتفه الخاص وحين نظر الى الاسم ظهرت ابتسامة رقيقة على شفتيه اذابت تصلب ملامحه , ذهلت وهى ترى هذه الابتسامة على شفتيه لاول مرة

.

اجاب محدثه بصوتِ هادىء

"اهلا حبيبتى"...

ارتفع رأسها بسرعة و قد ضربتها هذه الكلمة البسيطة ,فانتبهت بكل حواسها تنصت اليه وهو يقول

"اشتقت اليكِ انا ايضا ....." صدمت

اعصابها تحترق ... احساس غير مرحب به اخذ فى التصاعد بداخلها

سمعته يضحك برقة و يقول بدلال

"اعرف انكِ تكرهين هذا العمل جدا".....

اخذ حاجباها يرتفعان بدهشة بينما عيناها تقسوان بشدة , لمن يسمح بأن تتذمر من انشغاله بعمله.

تابع يقول برقةٍ تذيب الحجر

"حسنا سيدتى ..... ماذا لو اخبرتك ان بامكاننا اطالة السهر معا الليلة فى المنزل".....

ضحك بحبٍ وهو يكمل

"نعم ....و سنفعل كل ما تطلبينه الى ان تسقطى نائمة ".....

صعقت ..صعقت تماما من صفاقة الحوار , الا يراها لا تزال واقفة .. الا يخجل من نفسه

تابع كلامه

"هيا حبيبتى ..اتركينى الآن لأنهى عملى و أعود اليكِ سريعا"

وضع هاتفه من يده مع انتهائه من آخر توقيع , ثم عاد ملتفا الى شاشته بدون ان يعطيها اى كلمة.

لمت الأوراق من أمامه بمنتهى الهدوء وخرجت تجبر نفسها على السير معتدلة حتى وصلت الى مكتبها فرمت أوراقها بعنفٍ عليه وهى تتنفس بحدة.

الوغد ....مدعى الفضيلة ....موزع الأخلاق و المبادىء

هى تعلم تماما ان احمد مهران غير متزوج ..... ويجرؤ على محاسبتها هى!!.

عاد البرود ليلفها .. انه يحاسبك من اجل دارين فلا تنسي هذا ابدا.

ارتمت على كرسيها عائدة الى عملها , تحاول السيطرة على غضبٍ هائج دون محاولة ايجاد تفسير له.

.....

كان يحرك عضلاته بتعب بعد جلسة العمل الطويلة جدا , لم يجد العمل متعبا هكذا من قبل و لا شديد الملل لهذه الدرجة

يبدو هذا اليوم طويلا..... طويلا جدا لا ينتهى , تنهد بعمق و هو يتسائل هل بدا يكبر فى العمر .. ولماذا لم يشعر بهذا الشعور الا الآن ما الذى تغير منذ زواجه ....ابتسم بسخرية .. هل ازداد عمرا منذ زواجه .....لا..... انه يشعر بانه يزداد عمرا حين يكون بعيدا عنها .....لكنه يعود و يصغر ليصبح فى مثل عمرها حين يعود اليها...الى نبض قلبه ....الى من قلبت حياته رأسا على عقب.

وهو الذى كان يظن انه سيرتاح اخيرا بعد امتلاكه لها .الا ان الراحة هى آخر شعور ممكن ان يشعر به الآن

انها تجعل حياته تبدو كسماء تنطلق فيها الألعاب النارية ...لا تهدأ ...ولا يتوقف الاحتفال.

ترى ماذا تفعل الآن ....هل اثارت المشاكل.....

ابتسم بمرحٍ و هو يتذكر صوت السيدة سراء الصارم المستاء و هى تخبره بالعرض الغير لائق الذى قدمته حلا بالامس فى الحديقة ...ازدادت ابتسامته اتساعا وهو يتذكر صوتها يزداد قسوة وحزم ناسية انها تخاطب ادهم مهران بينما تنبهه انها تصرفاتٍ لا تليق بالسيدة خاصة أمام الخدم والعاملين بالقصر , و أن السيدة وإن كانت صغيرة الا انها ليست طفلة لتتصرف بمثل هذا الانفعال المبالغ فيه

ظل ادهم يستمع اليها واعصابه تحترق من فقدان حلا لسيطرتها على نفسها مرة اخرى , لكن الذى طمأنه ان

السيدة اسراء تمكنت من اعادة حلا بهدوء الى القصر.....

فبما انها استطاعت امتصاص انفعالها الذى يدرك عواقبه جيدا فهذا يدل على خبرة السيدة اسراء ..حين رآى الوردة البيضاء على طاولة الزينة شعر بالتفاؤل ...فهذا معناه ان السيدة اسراء استطاعت تهدئتها فى نهاية الامر و ان حلا بدأت تستسلم لسلطتها وهذا ما اراحه فهو يحتاج الى شخصٍ حازم ليحل محله فى غيابه نظرا لحالة حلا النفسية.

ولقد تعب كثيرا حتى عثر على السيدة اسراء بعد توصية اسرة عريقة و اشادتها بالكفاءة

لكنه لم يخبر السيدة اسراء بأى تفاصيل عن حلا فقط نبهها الى احتمال حدوث ما قد يسوء من آن لآخر فلا تغفل عنها ابدا.

ترى ماذا تفعل الآن .....تساءل ثانية.

نظر الى صورتها الموضوعة على مكتبه و التى اخذت لهاو هى اصغر سنا ..قبل ان ...اللعنة ..ليس مرة اخرى

رجع بتفكيره الى الصورة.

كان دائما ما يسخر من رجالِ مهمين يدخل الى مكاتبهم ليجد صورا لزوجاتهم موضوعة بقربهم و يتسائل الا يكتفون منهن فى المنزل لتظل هذه الصور تطالعهم اثناء العمل تحمل ابتساماتِ ساذجة.

ابتسم الآن وهو يجد نفسه و قد اصبح زوجا تقليديا يضع صورة زوجته فى اطارٍ على مكتبه و هى تحمل نفس الابتسامة الساذجة ...ابتسم بحزنٍ وهو يتمنى من كل قلبه الآن ان تعود اليها هذه الابتسامة ..ليأخذ لها صورة جديدة وهى زوجته.

شعر فى هذه اللحظة انه يكاد يحترق لسماع صوتها فتناول هاتفه ليكلمها على هاتفها الخاص و الذى لا يحوى سوى رقمه فقط.

ظل الرنين المتصل يحرق اعصابه ..ان لن ترد حالا سيكلم السيدة اسراء على الفور بالرغم من انه كلمها مرتين الى الآن وقد اكدت له فى المرتين ان السيدة لا تزال بغرفتها.

بدأ الخوف البارد يعصف به .ثم فجأة سمع صوتها الساحر يرد عليه بهدوء فتنهد بعمق وقال

"مرحبا يا صغيرة"

"مرحبا"

"ماذا تفعلين"...

"مستلقية فى الفراش"...

تنهد بتعب وسألها

"لماذا لا تنزلين الى الحديقة ؟"

"وحدى؟"....

رد بحسم "لا"

"سأنام قليلا ..فانا متعبة " ثم اغلقت الخط دون ان تسمع رده,

ظل ينظر الى الهاتف وهو لا يصدق انها اغلقت الخط , عصف به غضبٍ اهوج ...يبدو انه كان متساهلا معا اكثر من اللازم

انتِ تدفعيننى كثيرا يا حلا ..وانتِ ليست لكِ القدرة على تحمل غضبى

عاد الى عمله حانقا و غضبه يهدد بقتل كل من سيقترب منه فى هذه اللحظة .. وبالفعل لم ينج من

غضبه بعض الموظفين المساكين .فاخذ الجميع يهربون من حوله يتحاشون غضب ادهم مهران.

بعد فترة رن هاتفه ليطالعه اسم السيدة اسراء فانقبض قلبه و هو يهمس "حلا"....

اسرع يرد عليها متوقعا سماع خبرا مروعا فهذا ما يشعر به كلما طالعه اسم السيدة اسراء على الهاتف , الا ان السيدة اسراء كان صوتها هادئا وهى تقول بنبرة عملية

"سيدى هناك ضيوف لك فى القصر ....السيد فارس و السيدة زوجته "

اخذ يقود سيارته بسرعة وعقله لا يستوعب ..هل فارس هنا حقا .. بعد غياب ثلاث سنوات ... اكيد هناك خطء ما ....هل فعلا عاد فارس بمحض ارادته ..و هل سما جاءت معه بالفعل ..... وهل قابلت حلا

ظلتا واقفتين.....صامتتين .....تفصل بينهما عدة خطوات الا انها تبدو كأميال.....

لا تزال حلا كما هى ... صامته , متباعدة .. كلما نظرت اليها تخفض حلا نظرها الى الأرض و كأنها مذنبة , لطالما ظهرت بهذا المظهر الخاضع منذ ان تزوجت طلال مما يقارب الخمس سنوات.

فبعد زواجهما وسفرهما لقضاء شهر العسل .. عادت حلا بحالة غريبة و كأنها لا تعى شيئا فى هذه الدنيا .. خاضعة بشكلٍ غريب , فاقدة الاحساس بكل شيء.

لم يطل بقاء سما .. فبعد ان تزوجت حلا بسنتين , تزوجت سما بفارس .. فى هاتين السنتين لم تستطع سما التواصل مع حلا و لم يستطع احد ...فقد اختارت هذا

التباعد عنهم جميعا بعد زواجها واحيانا كانت تختفى تماما لفترة طويلة دون حتى ان تهاتفهم لتعود متباعدة مسلوبة الارادة بشكلٍ اكبر وكان طلال هو الوحيد الذى يستقون منه اخبارها .لا يعرف احدا شيئا من تفاصيل حياتها او اسباب اختفائها.

وبعد ان سافرت سما مع فارس بسنةٍ واحدة , سمعت بخبر موت طلال...

هى لا تعلم ما الذى حدث لها .. الا انها واثقة من ان حظ حلا كان اسوأ بكثير من حظها هى ... فهى فى النهاية موجودة مع حبها المستحيل.

لا يبدو ان زواجها بادهم قد غيرها ابدا ... و بالنسبة لسما لم تندهش ابدا لخبر زواجهما , كان هناك يقينا بداخلها ان حلا مصيرها فى النهاية لوحش آل مهران

لم تشعر أيا منهما بحاجتها للاخرى يوما , هى تحب حلا بالطبع فهى اختها كسابين تماما .... الا ان زيجتيهما هما الاثنتين ارسلتهما الى مفترق الطرق ... و نظرتيهما الى بعضهما تشعرهما بالخجل لكل ما عانتاه ...بينما قبضت غيرهما الثمن

تم بيعهما هما الاثنتين .... وها هما الآن واقفتان تتحاشيان النظر الى بعضهما بحرج.

لم تجد سما بدا من ان تبدأ هى بالكلام

"كيف حالك يا حلا".....

رمشت حلا بعينيها وهى تقول بتلعثم

"بخير ..... و أ..وأنتِ سما ؟"....

اومأت سما برأسها وهى تقول بابتسامة مطمئنة

"انا بافضل حال .....لقد اشتقت اليكِ"

صمتت حلا قليلا ثم قالت بخفوت

"وانا ايضا".....

عاد الصمت بينهما طويلا ثم قالت سما وهى مبتسمة بشقاوة

"اذن.....فقد تزوجت ادهم"!!

اومأت حلا و قد احمر وجهها .....فابتسمت سما وهى تفكر

ستظل حلا طفلة دائما ..... مهما حدث لها

فتح ادهم باب القصر بسرعة ودخل .....ثم توقف حين شاهد فارس واقفا امامه .....انه فارس حقا..

اندفع اليه بعد طول فراق معانقا اياه بلهفه ويهتف

"فارس..... لا اصدق انك عدت اخيرا"

شعر فارس بمعانقة شقيقه و الذى كان دائما بمثابة حصنه ... مهما طال دورانه فى هذا العالم الا انه يعود فى النهاية الى هذا الجبل العالى ادهم مهران.

تنهد فارس بعمق ...لقد عاد ...آن الاوان لجروحه ان تلتئم .....و ليقف على قدميه مرة اخرى.

كان ادهم لا يزال معانقا فارس يلكمه على صدره ممازحا حتى سمع صوتا عذبا من خلفه يقول

"كيف حالك يا وحش آل مهران"

التفت بسرعة ليفاجأ بالشابة الأنيقة الواقفه خلفه ,فرق قلبه وهتف غير مصدقا

"سما".....

ذهبت اليه جريا و احاطت عنقه بذراعيها ,ضمها ادهم اليه بحنان ....لطالما كان هناك رابطا قويا بينه وبين سما التى جاءت الى هذا القصر و هى لا تتعدى العامين من عمرها ..... كانت مدللته دائما ..بعكس حلا التى كان يراقبها من بعيد.

لم يرَها منذ زواجها بفارس .... لقد اخرج نفسه تماما من هذه الصفقة.. كان وقتها لايزال كالبركان الثائر بعد زواج حلا يدمر كل من يعترض طريقه .حين صعق تماما بقرار الامبراطور فى أخذ سما الصغيرة لفارس ..انفجر هائجا لتلاعب والده بحياة اخرى مثلما فعل مع حلا ... الا ان هذه المرة كانت الصفقة اشد قسوة ...سما الصغيرة ..كيف لها ان تتحمل عبء زواج مضنى كهذا.

وعقد العزم على محاربة الجميع ليوقفوا هذا العبث.....ويتركوا سما الصغيرة لحياتها و دراستها.

الا انه عاد وانتابته نزعه انانية ...ففارس كان فى اشد حالات الانهيار وقتها و كادوا ان يفقدوه اكثر من مرة فى غمرة غضبه.....

شعر ادهم فى داخله ان سما هى بالفعل الحل الوحيد لتهدئة الأسد الأعمى .....كان يعلم ان سما انسانه غير عادية , فهى تحمل قوة بداخلها تكاد تكون اقوى من سابين نفسها ..... وتحمل رقة تعادل رقة حلا.

وهذا هو المزيج الذى يحتاجه فارس .....كان انانيا نذلا مثلهم جميعا , يشفع له خوفه على فارس.

والآن وهو نظر اليها يشعر بتأنيب ضمير فظيع , فهو و ان كان يريد راحه شقيقه الوحيد فارس فهذا لا يمنع انه يعلم علم اليقين انها تتعذب فى صمت ....عذابٍ لا يتناسب مع عمرها ابدا فهى فى سن الحرية و الانطلاق .....هل هذا ما يمنحه لحلا ؟....نحى اجابة هذا

السؤال عن تفكيره حاليا, فحلا لها ظروف خاصة مختلفة تماما عن سما.

عاد ينظر الى سما الصغيرة امامه تبتسم برقة وعيناها تدمعان مما هز قلبه تجاهها.

اخذ ينظر اليها من قمة رأسها وحتى اصابع قدميها ثم قال بدهشة وهو يضحك

"لا اصدق انها انتِ فعلا .....لقد كبرت للغاية و اصبحتِ جميلة بشكلِ خلاب"

قالت سما ضاحكة

"ليس الى هذه الدرجة ..... فانا لم اغادر من هنا طفلة !!"

عاد اليه الاحساس بالذنب و هو يفكر , بلى يا صغيرة....لم تكوني الا طفلة,

لكنه قال بمداعبة

"هل ازداد وزنك ؟.....لقد كنتِ كعيدان الكبريت"

دفعته فى كتفه وهى تضحك .....سما الوحيدة المسموح لها بالتساهل معه و ستظل مميزة عنده دائما .

مد فجأة ذراعا واحدة و احاط بها خصرها النحيل و رفعها لأعلى وكأنها دمية لا تزن شيئا وهو يقول ضاحكا

"لكن هذا لايمنع ان احملك مثلما كنت افعل دائما .....آآآآه لقد اصبحتِ ثقيله فعلا"

اخذت سما تضحك وهى ترجوه ان ينزلها

سمعا فجأة صوت تحطم عالٍ اوقفهما عن الضحك , فالتفتا بسرعة ليجدا ان فارس واقفا ممسكا بعصاه

كالأسد المستعد للهجوم , و بجواره على الأرض اناءا زجاجيا ضخما محطما شر تحطيم,

اتجه ادهم اليه بسرعة يسأله ان كان بخير غافلا عن ملامح وجهه الهمجية ,..... وحدها سما لاحظت الروح الشيطانية التى ارتسمت على وجهه و هى تعرف جيدا هذه الملامح ....انها بداية غضبٍ همجى سينقلب عليها فى نهاية المطاف

ما الذى حدث واغضبه ..... لم تكد تمر عدة ساعات على وصولهم فهل بدأ غضبه المعتاد بهذه السرعة ,كانت تظن ان عودته الى الديار والى ادهم سيكون لها تاثير رائع عليه , الا ان هذا ليس ما تراه الآن , فهو يبدو وكأنه مستعدا للانقضاض على احدهم.....

اقتربت منه و همست له

"هل ارهقك السفر"

لم يجبها بل ظل ينظر امامه بعينين متوحشتين .... شعرت بانفاسه الساخنة الملتهبة تضرب وجهها و كأنه سينفث لهبا كالتنين.

سمعت صوت ادهم يقول من خلفها

"ستصعدان الآن الى الغرفة التى سيتم تجهيزها لكما لكى ترتاحا...."

التفتت سما الى ادهم وهى تقول بارتباك

"و انا اين سأ.....آه":

تأوهت حين شعرت بأصابع حديدية تنغرز فى لحم ذراعها , و فارس يقاطعها بصوتٍ أجش

"سيكون هذا رائعا يا ادهم , فانا بالفعل متعب جدا"

ظلت سما صامته بخوفٍ وهى تتساءل عما ينتويه , بينما ذهب ادهم ليأمر بتجهيز الغرفة

التفتت سما الى فارس و قالت بصوتٍ خافت

"فارس ..... هل حدث ما اغضبك"

رد عليها بقسوة

"اصمتى"...

اخذت تنظر اليه بقلبٍ خافق , ثم قالت بصوتٍ مرتجف

"سأصعد لأعد ثيابك"

ثم سارت مبتعدة بسرعة يلاحقها هسيس انفاسه الغاضبة.

دخل أدهم غرفته ثم أغلق الباب خلفه بقوةٍ .... وجد حلا جالسة على الكرسي أمام طاولة الزينة تحدق الى صورتها فى المرآة بشرود ..... التقت عيناها بعينيه فى المرآة فجمدتها الصلابة المنبعثة منهما.

ظلت تنظر الى المرآة و هى تراقبه يخلع سترته ثم يرميها على الفراش , يفتح ازرار قميصه ببطء ليلحق بالسترة ..ظلت عيناه الصلبتان تأسران عينيها.

ابتلعت حلا ريقها بصعوبة وهى تشعر بالرهبة.

انطلق صوته بحزمٍ يقول

"لماذا لستِ مع سما".....

ظلت تنظر اليه و حدقتاها متسعتان , فاكمل بقسوة حين وجدها صامتة

"كان من واجبك ان تظلى معها و تأمرى بتجهيز الغرفة لها بنفسك"

قالت اخيرا بصوتٍ مرتجف

"سما لا ..... لا تحتاج لذلك ... هى تستطيع تدبير أمورها بنفسها"

قست نظراته اكثر وأكثر وهو يقول

"لم ترَك منذ ثلاث سنوات , فهل من المناسب ان تتركيها لتظلى هنا بغرفتك"

قامت من مكانها وهى تحاول الظهور بمظهر الشجاعة قائلة ببرود

"لست بحاجة لأن يملى علي أحدا كيف أتصرف مع سما".....

مرت من جانبه تحاول مغادرة الغرفة بعد ان غادرتها الشجاعة الزائفة , و ما ان صارت بمحاذاته حتى امتدت يده كالقيد الحديدى ممسكا ذراعها بشدةِ آلمتها.

رفعت رأسها اليه برعب و قد اتسعت عيناها .....فقال بهدوء خادعٍ مرعب اثار الرجفة بجسدها

"اياك .....اياك ان تخاطبيننى بهذه الطريقة مرة أخرى ,و اياك ان تغلقى الهاتف وانا احادثك , فقد لا اكون صبورا معكِ المرة القادمة"

ظلت تنظر اليه برعب لا تصدق ان هذا هو نفسه ادهم الذى ترك عمله و أمضى معها ليلة كاملة يهدىء من روعها و يسليها

تابع بنفس الصوت الخادع بهدوئه

"و الآن ..... ستنزلين بكل أدب لتقومى بدور زوجة ادهم مهران ان لم يكن كأخت سما ..... لا تنسي ما اتفقنا عليه فى عقد زواجنا ياحلا مفهوم؟".....

أومأت برأسها وقد فقدت القدرة على الكلام

ترك ذراعها ففرت من أمامه بسرعة دون ان تراه وهو يزفر بعمق و كأنه تعب من كل شيء.

كانت جلسة العشاء فاشلة تماما سادتها كل المشاعر المشحونة التى تهدد بالانفجار مطيحة بكل الجالسين.

فقد كان ادهم متصلبا تبدو الصرامة على وجهه , الا انه يحاول ان يكون لبقا مع فارس و سما متجاهلا حلا تماما , و بالنسبة لها كانت حلا فى حالةِ يرثى لها . فلم يخف عن الجميع ارتجاف اصابعها التى اوقعت عدة اشياء عن المائدة , كما اراقت العصير على ثوبها وهى تحاول الشرب .... بينما وجهها شديد الشحوب و شفتاها ترتجفان و حدقتاها تهتزان بعدم تركيز.

اما فارس فهو يشعر بـأنه على وشك ان يضربها ... انها تحرجه بطريقة غبية ..تعامله كالأطفال .... غبية لا تعلم انها يجب ان تفرق بين ما تفعله له حين يكونا وحيدان و حين يكونا وسط اشخاص آخرين .... بالرغم من ان هذه هى المرة الوحيدة تقريبا التى يتواجدان فيها مع اشخاصِ آخرين.

لا بد ان ادهم الآن يبدو مصعوقا من منظر اخيه العاجز وزوجته تصب له الماء .. تسكب له الطعام , بل وتجرأت ان تقطع بعض الطعام له حتى لا يتعامل مع السكين.

وجهه يزداد احمرارا من الغضب الذى يعصف بداخله يشعر بأنه سيرتكب عملا احمقا الآن ... انه يحاول جاهدا الظهور بمظهرٍ متمدن مهذب أمام ادهم .. وهو الذى نسى معنى التهذيب طوال سنوات عجزه ... انه الآن يجلس الى مائدةِ مجبرا على الاستماع الى احاديثِ سخيفة.

يضطر الى مجالسة الحمقاء الأخرى ابنه ايثار الراشد و التى يبدو انها إما خرساء و إما مختلة من كثرة اسقاطها للأشياء و قرقعتها لأدوات المائدة بشكلٍ يؤدى الى الجنون.

أما تلك الصغيرة بجانبه فهى تحاول جاهدة لعب دور الأم مع إن هذا ما تفعله دائما حتى بات لا يستطيع التصرف بدونها.

الا انه يشعر بالغضب الأحمق لظهوره بهذا الشكل أمام البشر.

ثم سرح خياله لهذه الليله ..كيف سيبقى معها فى غرفةٍ واحدة انه امرا لم يحدث منذ زواجهما ... فكيف سيفعله الآن

هاجت مشاعر غير محمودة العواقب بداخله ....لماذا سمح بمثل هذا الوضع المجنون , الجميع يعلمون ان سما زوجته ... ورجولته لا تسمح بأن يظهر لهم عكس ذلك بإبقائها فى غرفةٍ اخرى ..... لكن الآن ماذا سيفعل ....كيف سيستمع لأنفاسها طوال الليل و يستنشق يسميناتها دون ان يتذكر لحظاتٍ طار فيها لعالمٍ من الجنون مع تلك المجنونة الصغيرة.

هل حملها ادهم فعلا اليوم ... انتفخت اوداجه من شدة غضبه الذى عاد يعصف به مجددا .. كان على وشكِ ان يلكمه ويصفعها .. الوقحة قليلة الحياء.

أحس فجأة بملمس أوراق الورد و هى تمسح باصبعها زاوية فمه !!!.....فلم يشعر بنفسه الا وقد انتفض صارخا

"ابعدى يدك يا غبية"

ساد صمت قاتل و قد اتسعت العيون كلها من حوله فى صدمة .سكت فارس تماما وصوت انفاسه فقط يتعالى ... ما الذى فعله ؟...

همس صوت سما بعد لحظات الصمت الطاحنة الطويلة

"لم اقصد اجفالك ... حبيبى"

انفجر قلبه حين سمع ما قالته و لم يجد ما يجيب به محاولا استيعاب كلمتها الأخيرة .. بينما اكملت سما بصوتٍ مهزوز

"لقد انهكنا السفر جدا"....

قال ادهم بعد لحظة صمت محاولا السيطرة على غضبه من فارس

"من الأفضل ان تصعدا لترتاحا"

و لم ينطق احدا أى حرف بعد هذه الكلمات و الجميع يتمنى ان تنتهى هذه الجلسة العقيمة

كانت جالسة على حافة الفراش ترتجف لا تعلم ماذا تفعل ..... تسمع صوت المياه الجارية داخل الحمام .....انها فى الغرفة .....الغرفة التى ستضمهما معا لأول مرة منذ زواجهما .... أين ستنام , ليس عندها شك انه سيأمرها بان تنام على الأريكة الصغيرة المكونة من مقعدين فقط .... لكن هذا غير مهم .. المهم الا تضطرب انفاسها.

ترى ماذا سيسمعها الآن ؟.....هل سيكمل صب غضبه عليها لجرأتها اثناء العشاء .....هى نفسها لا تصدق كيف واتتها الجرأة لتمد اصبعها و تمسح شيئا ما عند زاوية فمه ..... حقا يا سما؟!!! ... انتِ حتى لم تستخدمى محرمة !!!...متى كنتِ بمثل هذه الصفاقة.!!!

سمعت صوت باب الحمام يفتح , فتوقفت أنفاسها و هى تراه يدخل الى الغرفة متعثرا لعدم تعوده على خطواته فى هذه الغرفة الجديدة.

اتسعت عيناها بارتياع وهى تشاهده يلف منشفة حول خصره ... بينما يظهر صدره العارى .....رائعا....تعقلى يا سما !! ما بكِ اليوم ؟!!

كانت مراتٍ عديد قد رأته بهذا المظهر عند خروجه من الحمام وهى تقوم بتحضير ثيابه الا انها كانت تخجل من منظره فتخرج من الغرفة سريعا تتبعها ضحكته الساخرة . أما الآن فهى لم تخرج و لم تتحرك من مكانها و لم ترفع عينيها عن صدره المفتول العضلات .. اخذت تتامله .. و انفاسها تتسارع و تتصارع و صدرها يعلو ويهبط ... ما الذى ينتابها...

انه وسيم .... وسيم جدا .... لم أرى رجلا اكثر منه جمالا .....ظلت تراقبه وهو يتناول بنطال منامته الذى وضعته له على الجانب الايسر من الفراش كما اعتاد دائما ليستطيع الوصول الى ملابسه بسهولة.

ذهلت حين وجدته يمد يده الى عقدة المنشفه ينوى فكها فاغمضت عينيها بشدة بعد ان خرجت منها صرخة مخنوقة لم تستطع كبتها ...سمعت ضحكة خشنه صغيرة.....

فتحت عينيها ببطء لتجده واقفا ينظر اليها مباشرة و كأنه يراها .. عيناه كانتا تلمعان بشدة .. و ابتسامته جائعة مفترسة تداعب زاوية فمه . شهقت بعنف وقد عجزت ساقيهاعن انهاضها من مكانها ....لا تعلم كيف ستمر هذه الليلة .....ستبقى نور الغرفة مضاءا ..هو لن يلاحظ ..لكنها لن تستطيع البقاء معه فى الظلام ابدا.

اقترب ببطء حتى لامست ساقه حافة الفراش بجانبها , فانحنى و جلس بجوارها ....اخذت ترتعش وهى تنظر امامها بعيون متسعة و لا تنظر اليه.

مد يده ببطء حتى وصلت الى وجهها فاخذ يتلمسها بأصابع خشنة تتنقل على كل جزء من وجهها الناعم ... جبهتها العريضة ...حاجبيها الرفيعين الناعمين ... عينيها الواسعتين ذات الرموش الطويلة .... وجنتين ساخنتين للغاية و فى نعومة الورد ..... انفها المستقيمة الطريفة ....شفتيها ....آآآه ...شفتين شديدتى النعومة .... اخذ يمرر اصبعا واحدا عليهما مرة بعد اخرى و كأنه لايصدق وجود شيئا بمثل هذه النعومة ....هبط باصابعه الى ذقنٍ صغيره ذات كبرياء ..... ليهبط اكثر الى عنقٍ ناعمة طويلة ... اكتافٍ ناعمة مكشوفة معلق عليها شريطين رفيعين من الحرير ..... استمرت يداه

هبوطا .....حتى انتفضت صارخة فاحاط ظهرها بذراعٍ قوية بسرعة قبل ان تهرب.

اخذت ترتعش بقوة و كأنها محمومة ... مد يده الاخرى ووضعها على قلبها الذى يكاد يقفز من مكانه .فقال بصوتٍ اجش من العاطفة

"انتِ ترتجفين بشدة .....اهدأى قليلا سما"

لم تستطع فهم ما يحدث لها ولا ما يقصده من اقترابه منها الى هذا الحد بعد الذى حدث بينهما آخر مرة.....

قبض على ذقنها فجأة بقوة ليرفع رأسها .... ثم انهال على شفتيها بشفتيه الجائعتين دون مقدمات.....

تاهت ..... ضاعت .....دار العالم من حولها .... نسيت كل شيء .. نساء الراشد و رجال مهران ولم تتذكر سوى

انها عادت لمكانها الطبيعى بين ذراعيه و الذى لم تعرفه سوى مرة واحدة.

اخذ يميل بها الى ان استلقت على الفراش و شفتيه لا تفارقانها ...رفع رأسه عنها فجأة و نظر اليها لحظة ثم همس "ياسميناااا"...

ثم عاد يقبلها مرة اخرى دون ان يعطيها الفرصة لتفكر من هى ياسمين تلك.....

اخذت يداه تزدادان جرأة و هى تزداد ارتعاشا ..... حتى اصطدمت عيناها بصورتهما فى المرآة الضخمة المقابلة لها .....اتسعت عيناها بشدة وهى غير قادرة على التصديق انها هى نفسها الموجودة فى المرآة.....

ظلت لحظات تنظر الى صورتهما معا بينما فارس غافلا تماما عن ذهولها و هو يعيش عالمه البدائى

همست فجأة بدون تفكير

"أريد أن اطفىء الأنوار"...

وكانت هذه غلطة ..... غلطة كبيرة جدا

كان ينظر الى المجلة الموجودة بيده و هو عابسا بشدة ... منذ متى اصبحت مجلات المجتمع و رجال الاعمال تهتم بمثل هذه الاخبار الصفراء.

ظل ينظر الى الصورة العريضة بغضب ... كيف اخذت هذه الصورة لهما ,كيف تبدو ملامحهما ذائبة لبعضهما البعض , منذ متى كان ينظر اليها بهذة الطريقة

يرقصان .. يحيطها بذراعه ... وجهها مرتفعا اليه و هو ينظر اليها .... نظرة تملك لم يعرفها منذ وقتٍ طويل

قرأ الكلمات الموجودة تحت الصورة و التى قرأها الى الآن عشر مرات....

"و المشوق فى الامر انه دار شجارا بين رجلى الاعمال الشهرين احمد مهران و "---" على الجميلة سابين الراشد و الذى انتهى بانسحاب رجل الاعمال الشهير بعد تطاول احمد مهران عليه باليد وعودته الى جميلة الشهيرة ليرقصا رقصة الصلح بينهما"

طبعا سيقاضى هذه المجلة و يطارد اصحابها الى ان يغلقها تماما ... لكن ما حدث قد حدث وهاتفه لايتوقف عن الرنين للتاكد من صحة العلاقة .... وهو فى غنى عن مثل هذه الفضائح التى لن تطوله وحده.

ارتفع رنين هاتفه يقاطع افكاره الصاخبة ..... نظر الى الاسم على الشاشة فتنهد وهو يقول "ليس الآن"...

اجاب الهاتف و هو يقول "مرحبا دارين".....

اخذ يستمع طويلا ... طويلا الى اصوات بكائها , مازن لم يعد يهتم .... مازن لا يتوقف عن الاتصال بها ....مازن سيتركها ..... مازن يخطىء فى اسمها....

ظل يسمع طويلا .... طويلا يشعر بالملل؟ ام بالغضب؟ ام.....

اخيرا قال بصوتٍ قاطع...

"دارين ... اطمئنى لقد انتهى كل هذا .....لأن"....

نظر الى المجلة مرة اخرى ثم قال بقوة

"لأننى خطبت سابين....."

الفصل العاشر

ليلة .... ليلة طويلة جدا ..... مشحونة بكل انواع المشاعر الهوجاء المجنونة .... هل من الممكن ان يكون الانسان فى لحظة و كأنه طائرا فوق السحاب ... يكاد يلمس السماء ..... يكاد ان يطول النجمات .....ان يكون الانسان فى لحظةٍ محاطا بوهجٍ ذهبى يغشي نظره و يدفىء قلبه ..... ان يتسائل فى كل لحظة كيف سيكون لو.....كيف سيشعر لو.....لتأتى الإجابة لتفوق كل التصورات و الخيالات ..... تكاد تطيح بقلبِ عاشقٍ يدور فى دوامة حبه ... يدور .... يدور.

ثم تأتى لحظة اخرى .....مجرد لحظة .....لحظة واحدة .....يرتكب فيها غلطة ....غلطة غبية لتقذف به من فوق السحاب ليسقط متحطما على صخور الكراهية و يتحطم لشظايا تنزف الما ... حبا ...ندما على لحظاتٍ لن تعود ابدا.

تحول فى لحظةٍ واحدةٍ الى وحشٍ همجى تطل النيران الشيطانية من أعماق عينيه لتصيب اعماقها برعبٍ لا مثيل له.

كانت لاتزال مستلقية وهو كالمارد حولها حين شعرت بمخالبٍ تنشب فى ذراعها تزداد ضغطا و غرزا فى بشرة ذراعها الرقيقة حتى لم تعد قادرة على كبت صرخة انطلقت من اعماقها ... كانت تشعر برعبٍ هائل وهى تراه على وشكِ ان يلتهمها كوحشٍ آدمى.

امتدت يده فجأة لتقبض على عنقها الرقيقة الهشة بقوةٍ كادت ان تحطمها و اقترب وجهه من وجهها و أنفاسه المشتعلة تكاد تحرق وجنتيها

أخيرا قال بصوتٍ كالفحيح

"لا تستطيعين المتابعة؟.....هل شعرتِ بالنفور ؟.....أم ماذا ؟....."

ظلت صامته عيناها متسعتان برعب وهى تحاول رفع حمالات قميص نومها و هى تهز برأسها علامة النفى , بينما هو يكمل وصوته يزداد وحشية

"ام هل ؟..... ام شعرتِ بالخجل ؟.....هل هذا هو السبب سما .....هل شعرتِ بالخجل ؟.....اذن دعينى اطمئنك "

و بحركة واحدة سريعة لم تسمح لها حتى بأن ترمش بعينيها , استقام فوقه ومد يديه وقبض على جانبي قمة قميص نومها ليمزقه من اوله وحتى خصرها بصوتٍ عالٍ جعلها تصرخ بشدة , بينما صرخ هو ايضا فى نفس الوقت

"لا داعي للخجل ..... فأنا لاأستطيع أن اراااك "

ظلت سما تصرخ وهى تتلوى بين ذراعيه برعبٍ لايوصف وهى تبدو كسمكة وقعت بين كفي دبٍ شرسٍ ضخم .... هبط فارس برأسه كالصقر و اخذ ينهل من شفتيها كاتما صرخاتها ..مكبلا مقاومتها بذراعيه.

لم تستطع تصديق ان الحب ممكن ان يكون فى لحظة كنارٍ ذائبة تسرى فى عروقها لتذيبها عشقا و فى لحظة اخرى يتحول الى تعذيب نفسي لايحتمل , شعرت انها على وشك الانهيار من هذه المعاملة التى لم تعرفها قبلا و حتى من فارس نفسه ..... وبعد مرور دقائق طويلة فقدت كل أمل فى التحرر منه.

انسابت دموعها بمرارة على وجهها وهى تعلم انه بعد لحظاتٍ قليلة سيقتل حبها له للأبد.....

شعر برطوبة لامست وجهه ... فتوقفت انفاسه لحظة ....اخذ يحرك ذقنه على وجنتيها ليتأكد مما يشعر به ..... توقف تماما .... لتلتقط آذانه صوت نشيجٍ منخفض

و شعر بجسمها يرتجف بدرجةٍ مرعبة لم يشعر به الا الآن ..... فجأة مد أصابعه و اخذ يتلمس دموعها....

ابتعد عنها ببطء وهو يسمع شهقاتها التى أخذت تتعالى بعد افاقتها من الصدمة و التى كانت الدليل الوحيد له على ما كاد ان يقترفه .....ما الذى اصابه .... كيف استطاع ان يتصرف بهذا الشكل القذر.....

منذ وقتٍ قليل دخل الغرفة و هو يحيط نفسه بمظهرٍ هادىء . ليفاجأ ان خلف هذا المظهر بركانا على وشكِ ان يطيح بهما معا ....لم يشعر بنفسه حين سمع جملتها الخرقاء ... أحس وكأنها اشمأزت منه فجأة .... بعد ان اصبح الأمر واقعيا وليس مجرد خيالا عاطفيا فى ذهنها المراهق.

كانا وحدهما تماما بالخارج اثناء سنواتِ زواجهما .... لم تقابل الكثير من الرجال سوى الأطباء ....لم تكن لهم اية حياة اجتماعية ...لذا لم تجد سواه لتحلم بحبه ....اما الآن ....فما الذى حدث ؟.....

هل تكون رؤيتها لادهم و شعورها بان هناك من يستطيع ان يطرى جمالها قد انعشها و اشعرها بانوثتها ..... بالطبع.

ثم جاء هو الآن ليشعرها بالفرق بين رجلا يراها ... و رجلا يكاد يموت رغبة من مجرد استنشاق نسائم الياسمين التى كادت ان تطيح بعقله منذ لحظات ..... بالتاكيد المقارنة لم تكن فى صالحه ..... عليه اذن ان يتحمل نتيجة قراره .... فهو من جاء بها الى هنا ...الى عالمها القديم ... الى الناس .... و لن يكون هو محور عالمها بعد الآن.....

لقد بدأت نهاية الرحلة يافارس ..... و قد كان هذا قرارك ..... فتحمله...

اصوات بكائها تكاد تمزقه.....لماذا لا تزال تستلقى بجانبه ... لماذا لا تهرب الآن ... ماذا تنتظر بعد ... انها تكاد تحرقه رغبة فيها و حزنا عليها....هل يمكن ان يجتمع الشعوران .....نعم فهذا ما يشعر به الآن .....ندمٍ لايمنع رغبة جارفة .....دناءة وتملك لايمنع ..... ماذا ؟.....

بعد ثلاث سنواتٍ من كبت احتياجاته كرجل ٍ لايقبل ان يستغل مراهقة صغيرة اخطأت الاختيار بسبب جشعها و أمها .. فتاة صغيرة تقوم على رعايته ليل نهار ..... ليأتى اليوم و يدمر كل قناعاته بتصرفه القذر .... وهذا مجرد اليوم الاول من عودتهما .... اذن مالذى سيحدث بعد ذلك ؟.....

اخذت انفاسها تهدأ تدريجيا , مدت يدها لتمسح دموعها ببطء ثم اخذت تلملم اجزاء قميص نومها و هى تستوى جالسة بارهاق , لكنها فجأة شعرت بيدٍ كالقيد الحديدى على ذراعها و هو يستوى جالسا بسرعة ثم يقول بعنف

"الى اين انتِ ذاهبة ؟....."

ارتجفت بشدة دون ان تستطيع النظر لوجهه و هى تجيب بصوتٍ هامس

"سأذهب للحمام.... "

ظل صامتا لحظاتٍ دون ان يترك ذراعها و كأنه لن يسمح لها بذلك .... اخيرا دفع ذراعها عنه بقسوةٍ وهو يقول بعنف

"اياكِ ان تفكرى بمغادرة هذه الغرفة....."

صدرت عنها شهقة بكاء صغيرة ثم انطلقت تجرى الى الحمام موصدة الباب خلفها ..و ما ان اغلقته حتى استندت بظهرها اليه و اخذت تهبط منزلقة عليه حتى

جلست على ارض الحمام وهى تبكى و تشهق دون ان تهتم ان كان يسمعها ام لا.....

بينما كان هو واقفا خلف الباب مستندا عليه بكفيه مخفضا رأسه يستمع الى نحيبها العالى .... وهو يعلم انها ستبيت ليلتها هناك

همس لنفسه بالم "ستذبلين قربي ..ياسمينا!!!"....

.....

....

ظل الليلة كلها ساهرا بجوارها يتلمسها وهى نائمة .. يتلمس وجهها .. يتلمس خصلات شعرها الطويلة التى تغطى كل مكان بجانب وجهه .... ما اجمل شعرها ...كالذهب و العسل معا ...طويل ...طويل ....اخذ يتخلل خصلاته الطويلة باصابعه و يدنيها من وجهه ليتحسس نعومتها ... الى متى ...الى متى سيظل يرضى بأقل القليل منها .....الى متى سيتعذب ... و الى متى سيعذبها....

كان يظن ان بامتلاكه لها سيجعلها ملكة على عرش قلبه , الا انه لا يرى الآن سوى الحزن و الالم المحيطان بها...

لقد افزعها اليوم وهويعرف ذلك ...لكنه ايضا كان على وشكِ الانفجار من شدة غيظه ... من شدة حنقه .... ومن شدة رغبته فيها .... انه يشعر بان بركانا يغلى باعماقه ...بركانا لن يرحمه من حممه اللاهبة الا هى ....

اقترب منها ببطء ليقبل عنقها الناعمة المكشوفة له , كما يفعل كل ليلة بينما هى لا تشعر به , لكن ما ان اقترب منها حتى احس بها تتقلب و تئن ...ها هى من جديد... تسقط فى بئر احلامها السوداء ...تنهد بعمقٍ

وينحنى ناويا اخذها بين ذراعيه ليهدئها كما يفعل دائما ...

الا ان انينها اوقفه و جعله يعقد حاجبيه .. فقد كانت تنشج هامسة "طلال.... طلال"

ليس هذا ما اجفله , ولكن ما اجفله هو الطريقة التى كانت تنادى بها اسم طلال .... كانت و كأنها.... وكأنها تستنجد به ..... بل هى بالفعل تنادى على طلال مستغيثة به.

ابتعد عنها ببطء وهو ينظر اليها بقسوةِ ..... وظل ينظر اليها دون ان يغمض له جفن.

.....

....

فتحت باب الحمام ببطء و خرجت منه تجر اقدامها و هى لا تعرف كيف ستواجهه...

كان منظرها مرعبا ... و لاول مرة تشعر بالارتياح لانه لن يراها بهذا المنظر ... فقد كانت ترتدى روب الحمام الذى يبدو وكأنه سيبتلعها ... وجهها شديد الشحوب كالأموات ... و عيناها حمراوان كالدم مخيفتان للغاية .... و عنقها تحمل علاماتِ حمراء ....اما شفتيها ....آه كيف ستنزل ليراها الجميع بهذا الشكل ..... شفتيها متورمتين مجروحتين , و لن يحتاج احدا للذكاء ليستنتج ما حدث بينهما.

دخلت الى الغرفة ترتجف , فلم تجده فيها , اخذت تدير عينيها بسرعةِ حولها لتتأكد من عدم وجوده بالفعل .. فجأة احست بالخوف ..اين ذهب؟.. المكان مختلف هنا عليه ....هل استطاع هبوط الدرج وحده؟....

بالامس ارتطم بالاناء الزجاجى الضخم فاسقطه متحطما ,فماذا سيحدث اليوم حين يتجول بمفرده ..اخذت تدعو الله ان يكون ادهم مستيقظا ليساعده عند نزوله , فهى لن تستطيع مواجهة احد بمنظرها المخزى هذا.....

فجأة سمعت صوت طرقات ناعمة على الباب و قبل ان تجيب , فتح الباب ... اندهشت لدخول حلا ببطء الى الغرفة

وقفت امامها لحظة صامتة تنظر اليها ثم قالت بصوتٍ خافت...

"انا و ادهم ننتظرك لتشاركينا الافطار "

لم تجب سما و ظلت مطرقة برأسها تتمنى ان تبتلعها الارض من شدة خجلها.

تابعت حلا حين لم تجب

"ادهم مصر على نزولك "

ظلت سما صامته لحظات ثم قالت اخيرا بصوتٍ لايكاد يسمع

"اين.....اين فارس؟"

صمتت حلا لحظة و هى تتفحصها بنظراتها ثم قالت

"رفض تناول الافطار معنا و اصر على الجلوس فى الحديقة وحده "

صمتت سما وهى تنظر الارض دون ان تجيب , فاستدارت حلا لتخرج من الغرفة بعد ان يأست من ردها , لكن بعد عدة خطوات التفتت اليها مرة اخرى ثم عادت اليها ببطء و تردد وقالت بصوتٍ خافت

"هل آذاك؟....."

رفعت نظرها الى حلا بسرعةٍ ثم هزت رأسها علامة النفى سريعا , الا ان حلا ظلت تنظر اليها بعدم اقتناع ثم قالت اخيرا

" سما انا اكثر شخص فى الدنيا يستطيع ان يميز الاذى حين يراه ..... فلا تكذبى "

رفعت سما عينين متسعتين الى حلا ..... لا تعلم بماذا تجيبها فلاول مرة منذ سنوات تشعر ان حلا من الممكن ان تهتم باى شيء يخصها ...لكن هل اهتمت هى ؟.....هل اصرت على معرفة ما حدث لحلا الجميلة التى كانت تضيء الدنيا بضحكتها....

وفجأة شعرت بأن كل شيء ضغط عليها دفعة واحدة .... حلا الرقيقة الواقفة امامها كأختٍ لم تراها منذ سنوات طويلة .....انهيارها العاطفى مع فارس .....و ما تبع ذلك من ذلٍ و رفض .....كل هذا فاق احتمالها فلم تشعر بنفسها الا وقد انفجرت ببكاء عالى يمزق القلب وهى تندفع لتحيط عنق حلا بذراعيها مخفية رأسها بحضنها كطفلةٍ صغيرة لم تعرف ما معنى ان تجرى لحضن امها يوما.....

ظلت حلا جامدة لحظات ... مصدومة لا تعرف كيف تتصرف ... ثم اخذت عضلاتها المتشنجة تسترخى تدريجيا ... و رفعت يدا بطيئة و اخذت تتلمس شعر سما ببطء و قد بدأت عيناها فى الامتلاء بالدموع.....

ظلتا واقفتين طويلا تشعران بحاجتهما لاحضان بعضهما اكثر من الحاجة للكلام .... ثم قالت حلا اخيرا بصوتٍ متحشرج

"يجب ان تنزلى ..... والا سيصعد ادهم بنفسه "

ثم اكملت بما يشبه المزاح بينما الدموع تغطى وجهها

" حين امرنى ان اصعد اليكِ ....شعرت من لهجته ان بامكانى اعتبار نفسى مفصولة من العمل اذا لم تنزلى معى "

ضحكت سما ضحكة صغيرة من بين بكائها و هى تحاول اسكات شهقاها ... ثم قالت اخيرا بصوتٍ مرتجف و هى تشير الى وجهها

"لن استطيع مواجهة ادهم بهذا المنظر... "

اخذت حلا تفكر قليلا ثم سحبتها من يدها وهى تقول

"تعالى الى غرفتى ..انا ساتصرف "

نظرت فى الممر يمينا و يسارا و حين لم تجد احدا جريتا على اطراف اصابعهما حتى وصلتا الى غرفة حلا ..... بعد وقتٍ قصير كانت بالفعل سما تكاد تكون طبيعية تماما بفعل الزينة التى وضعتها حلا و التى غطت تورم وجهها و احمرار عنقها.

التفتت الى حلا و قالت لها بابتسامة رقيقة

"شكرا حلا ...انا ...انا فعلا لم ....." لم تستطع ان تكمل كلامها من شدة انفعالها

وضعت حلا اصبعها على شفتي سما و هى تقول

"اياكِ ان تبكى .....فسيتلف كل مافعلناه .... هيا الآن اذهبى لإرتداء ملابسك بسرعة قبل ان يأمر ادهم بإعدامى "

أومأت سما برأسها ثم استدارت لتغادر ..... لكن حلا امسكت بيدها فجأة قبل ان تتحرك و لفتها لتواجهها ثم قالت

"سما ... لم يعد هناك ما يجبرك على الاحتمال ...انا سأساعدك ....لن أخاف من ادهم .....أستطيع مواجهته "

نظرت سما اليها و ابتسمت برقة ِ وعينيها تحملان عطف العالم تجاه حلا المسكينة , فمنظر حلا و هى تتكلم بدا و كأنها تحاول اقناع نفسها وليس اقناع سما.

اخيرا قالت سما بحزم

"بلى يا حلا هناك ما يجبرنى .....أنا احبه "

ثم استدارت وخرجت من الغرفة بسرعة قبل ان تعطى حلا فرصة للرد

ظلت حلا واقفة مكانها ... تحدق أمامها و صدى كلمة سما يتردد فى عقلها

انا احبه ..... انا احبه

.....

.....

كانت حلا جالسة على مائدة الإفطار شاردة تماما .. غافلة عن نظرات ادهم المسلطة نحوها طوال الوقت , لم تفارقها تقريبا.....

كانت تشعر بالإرهاق ....لقد انتابها نفس الحلم الأسود ليلة أمس ... أسوأ كوابيسها على الإطلاق.....

حين ترى الوجه المقززينظر اليها و العينين الزائغتين تكاد تعريانها من ثيابها .... و صوت لهاثه القذر و هو ينظر اليها بينما يدين منتفختين قصيرتي الأصابع تمتدان لتمسحا على جسدها و هى تحاول ان تصرخ ..... ذارعين كزوجين من الأفاعى تمتدان لتحاوطها وتكادان تمتصان روحها و كانت هى تحاول ان تناديه لتستنجد به اثناء مقاومتها المستميتة ....طلال ..... طلال

الا انه لا يجيبها ....تشعر بالاختناق من انفاسٍ مقرفة مختلطة برائحة السكر و صوتٍ كالفحيح يقول

"لن يجيبك .....طالما انا هنا " و بعدها ضحكة حيوانية بشعة صمت اذنيها .... وهى تحاول مرة اخرى طلال .... طلاااااال

"حلا ..... انا أكلمك "

انتفضت حلا بشدة حين قاطع هذا الصوت الصارم افكارها السوداء لتنظر بسرعة الى ادهم الذى كان يحدق بها عابسا...

ظل صامتا لعدة لحظات ثم قال اخيرا

"لقد كلمتك مرتين و لم تجيبي.... "

أجابت بارتباك و هى مدركة لعيون سما المراقبة لهما

"آسفة .... كنت شاردة قليلا... "

شعرت بالخوف من نظرته القاسية و هى لا تعلم ماذا فعلت لتغضبه الآن منها .... اجاب بوجوم اخيرا

"سألتك ان كنتِ تريدين الذهاب مع سما.... "

اجفلت حلا قليلا و هى ترمش بعينيها قائلة

"أذهب معها ....الى أين ؟....."

تنهد ادهم بغضبٍ شديد , فسارعت سما تقول لتتدارك الموقف

"لقد اخبرت ادهم الآن برغبتى فى زيارة سابين "

اتسعت عينا حلا و أدارت وجهها الى الناحية الأخرى و هى تجيب بسرعة

" لا لن اذهب ..... ربما مرة اخرى "

تنهدت سما وحاولت مرة اخرى

"ارجوك يا حلا..... ستكون مفاجأة رائعه لها ....ان ترانا معا "

نظرت حلا لادهم و كأنها تطلب نجدته الا ان تعبيرات وجهه كانت متصلبة بشدة .... عادت حلا تنظر لسما مترددة ثم قالت اخيرا

"ربما .....مرة اخرى "

يئست سما من اقناعها فقامت من مكانها و هى تقول

"اذن سأذهب انا الآن.... "

لكنها ظلت واقفة مكانها مترددة ثم قالت لادهم بتردد

" فارس.... "

قاطعها ادهم فى الحال قائلا بخشونة

"لا تقلقى عليه انا ارغب فى التحدث معه و لن اتركه حتى تعودى..... "

أومأت سما برأسها شاكرة لادهم ثم ابتسمت لحلا و انطلقت بسرعة يدفعها شوقها المهلك لسابين

ظل ادهم وحلا جالسين صامتين ... هى تنظر فى كل مكان الا هو ...و هو لا يرفع عينيه عنها الى ان قام اخيرا منسحبا من الغرفة دون ان يعيرها اى اهتمام.....

زال توترها بعد ذهابه .....الا ان احساسا آخر طاف بداخلها .... احساسا فظيعا بالخواء.

قامت من مكانها بعد فترة و اخذت تمشى فى القصر على غير هدىٍ حتى وصلت الى غرفة الجلوس الضخمة فدخلتها ... الا انها ما ان دخلت حتى تصلبت مكانها حين شاهدت فارس واقفا فيها يوليها ظهره ووجهه الى النافذة وكأنه ينظر منها ..... لم تكن تعلم انه دخل الى

هنا و الا كانت صعدت الى غرفتها .....حاولت الانسحاب بصمتِ ... الا ان صوته اوقفها فجأة

"لماذا تنصرفين يا حلا..... "

تسمرت فى مكانها لحظات ثم قالت اخيرا بصوتِ متلعثم

"كيف عرفت .. انها ..انا "

اجاب بنبرة ساخرة "رائحتك.... "

عقدت حاجيها وهى تردد "رائحتى ؟.....!!"

اجابها بنفس النبرة الساخرة " رائحتك كالتفاح.... "

سألته بوجوم "هل تتعرف على كل الناس من روائحهم ....."

التفت اليها وعلى وجهه ملامح بدائية ثم اجابها

"ليس دائما .... فاحيانا من الاصوات التى يصرونها... "

سألته رغما عنها بينما قدميها تتحرقان لتخرج من هذا المكان الذى اصبح خانقا فجأة

"كيف؟...!!"

اخذ يقترب منها ببطء و هويقول بقسوة

" انتِ مثلا .....خطواتك متعثرة خرقاء "

صمتت وقد اتسعت عيناها بينما هو يقترب منها اكثر قائلا

"انتِ تكرهيننى ...اليس كذلك ؟.... استطيع سماع الكراهية فى صوتك "

ظلت حلا صامتة تشعر انها على وشكِ الاختناق من اقترابه البطىء منها خطو خطوة ...ثم اندفعت فجأة لتقول بعنفِ و هى غير قادرة على التحمل اكثر

" اكره ما تفعله بها....."

توقف عن السير فجأة و ضاعت السخرية من وجهه وملامحه تتصلب بشدة اثارت رعبها ... ثم قال ببطء بعد لحظات وقد عادت اليه السخرية السوداء

"هذا اهتمام مفاجىء ..... بالرغم من انكِ لم تسألى عنها لمدة ثلاث سنوات "

لم تعرف بماذا تجبه الا انها لن تسمح له بالانسحاب بعد ان وصلت الى هذه المرحلة فقالت بعنفٍ يخالطه الخوف

"لقد آذيتها ليلة أمس ....وكان هذا ظاهرا بآثاره على وجهها "

إن لم تشاهد عرقا نبض بعنفٍ فى رقبته لقالت انه تحول الى تمثالٍ حجرى ... ظل ينظر امامه حتى بات الوقوف امامه مخيفا ..لكنها صرخت به فجأة وهى تشعر ببدء فقدانها السيطرة على نفسها

"كيف تفعل بها ما فعلته .....الا يكفى انك تسجنها بقربك "

شعرت انها رمت قنبلة فى الغرفة و بدا الصمت المحيط بها كدوى المدافع فى اذنيها .....شاهدته برعبٍ وهو يعود للاقتراب منها فتراجعت تنوى الهروب من الغرفة ...الا ان مع اول خطوة سريعة منها كانت خطواته اسرع فوصل اليها وقبض على ذراعيها بقسوة و هو يديرها ناحيته ثم اخذ يدفعها الى ان حشرها فى زاوية الغرفة ..ظلت واقفة امامه تلهث بشدة بينما قال هو اخيرا و تعبير شيطانى يظهر على وجهه

"اذن فقد اظهرتِ مخالبك اخيرا ... كنت قد بدأت ان اشك انكِ ابنة ايثار الراشد " اظلمت عيناها بشدة بينما هو يتابع

"تمتلكين شجاعة فائقة بالنسبة لمن تزوجت من طلال مهران "

اخذت الدنيا تدور من حولها و هى تشعر بالهواء يسحب من رئتيها....

كان قد بدأ يتكلم بهدوء قائلا "لقد حاولت الوصول اليكِ فلم.... "

الا انها وضعت كفيها على اذنيها و هى تصرخ بشدة اجفلته و قطعت كلامه.....

لم تكن تدرى انها بدأت تبكى بشدة و تصرخ بصوتِ عالى ....صدم فارس تماما من شدة بكائها , لم يكن يعلم انه آذاها الى هذا الحد و خاف ان يصيبها مكروه ِ

فمد يديه الى ذراعيها مرة اخرى يحاول تهدئتها ... الا انها كانت قد عبرت حاجز الواقع و انفصلت تماما عن كل ما حولها و قد بنت بشهقاتها جدارا يحميها مما حولها...

فجأة شعر فارس بقوةِ هائلة تدفعه بشدةِ ليرتطم بالحائط المقابل ... وصوت ادهم يصرخ كالمارد يهز ارجاء القصر

"ابتعد عنها يا فارس .....اياك و الاقتراب من حلا "

ظل فارس واقفا مكانه صامتا ينظر امامه ... يكره نفسه اكثر و اكثر

اقترب ادهم من حلا التى كانت لا تزال تبكي بشدة و حاول جذبها بين ذراعيه الا انها ظلت تقاومه بشدة فماكان منه الا ان حملها بين ذراعيه بقوة و خرج من

الغرفة صاعدا الى غرفتهما .. وبعد ان وضعها برفقٍ على الفراش استلقى بجوارها و ضمها بشدة بين ذراعيه الى ان استسلمت تماما منخطرة فى بكاء شديد .....ظل يهمس فى اذنها بكلماتٍ رقيقة و هو يهدىء من روعها حتى راحت فى سباتٍ عميق و هو يتخلل شعرها باصابعه لا يريد ان يتركها ... شعر فى هذه اللحظة انه لو انفصل عنها فستاخذ معها قطعة من قلبه....

نزل ادهم بعد فترة ٍ طويلة ليجد فارس واقفا فى بهو القصر وما ان اقترب منه حتى سأله فارس بصوتٍ اجش

"كيف حالها..... "

اجاب ادهم بايجاز "ستكون بخير.... "

قال فارس بعد لحظات دون مقدمات

"لن نستطيع ان نبقى هنا اكثر من هذا ...سننطلق انا وسما الى منزل الشاطىء مؤقتا "

حاول ادهم الكلام بعد ان فوجىء بقرار فارس

"فارس لا داعى..... "

قاطعه فارس بلهجةٍ حاسمة

"هذا قرارى النهائى ادهم ....انا لم اعتد العيش مع احد منذ وقتٍ طويل "

سأله ادهم " وماذا ان ارادت سما البقاء هنا.... "

شعر فارس بضربات قلبه تزداد بعنف ....اصبحت سما الآن وسطهم و بامكانها الاختيار مع من تفضل البقاء .... كان يجب ان يعلم ان هذا ما سيحدث ما ان يأتى بها الى هنا ..... من ستختار الآن .....و هل ترك لها الخيار ؟ .... فبعد ليلة أمس.....

ابعد هذه الافكار عن ذهنه ... سما لن تتركه وحيد ابدا ...ستذهب معه لآخر بقاع الارض ان ذهب .....كانت لتتركه منذ وقتٍ طويل لو استطاعت .....الا انها لا تستطيع .... هناك ما يربطها به و يربطه بها .....وهو لن يشغل باله بمعرفة هذا الرباط الذى لن ينفصم ابدا ....سما ملكه ..... وستظل ملكه دائما....

افاق من افكاره على يد ادهم تربت على كتفه وهو يقول

"سيظل بيتك فى انتظارك دائما يا فارس "

اوما فارس براسه شاردا ثم قال بعد تردد

"ادهم ..... لم اقصد ايذاء حلا .... لكن يبدو ان هذا فقط ما استطيع فعله .... ايذاء من حولى "

اجابه ادهم بهدوء

"لكل شيء بداية مهما كانت صعبة ... و البداية هنا يا فارس"

ظل فارس صامتا قليلا و قد شعر ادهم ان هناك ما يريد قوله ..ثم قال اخيرا مترددا

"طلال...."

ارتفع رأس ادهم بحدةٍ وهوينتبه بكل جوارحه ... اكمل فارس

"قبل الحادث كانت تصلنى بعض الاخبار عنه.... كما حاول هو بنفسه التقرب منى اكثر من مرة ... الا انك تعلم ان الاقتراب منه شبهة فى حد ذاته .... وفى يومٍ علمت انه قد تم توقيفه هو و رجلا آخر بسبب.....بسبب ضربهم لامرأة ضربا مبرحا بالغ السوء ادى الى اصابتها باصاباتٍ خطيرة .... وبعد التحقيق تبين ..... انها كانت زوجته "

كيف يمكن ان يكون الكلام كنصال خناجرٍ مسمومة ... كيف يمكن لكلماتٍ مهما بلغت قساوتها ان تعمى القلب وتشعل فتيل الغضب القاتل

ظل ادهم صامتا يحاول استيعاب ما قاله فارس وصدره يعلو ويهبط بشدة ..... كان يعلم ان الحقير آذاها...كان قد استنتج انه آذاها جسديا ..عرف من تشنجها ومن خوها من الناس ومن الاقتراب منهم كردة فعل تلقائية ..... لكن ان يصيبها لدرجة دخولها الى مشفى ...هو و....رجلا آخر ؟؟.....!!!

"من هو الحيوان الآخر ؟...."

انطلق السؤال كسهمٍ طائش من ادهم الذى بدا فى هذه اللحظة وكانه شيطانا خارجا من الجحيم

ظل فارس صامتا لحظات احترقت فيها اعصاب ادهم بشدة ..ليقول فارس ف النهاية

"رجل عصابات شهير الخارج يقوم باعمالٍ تغطى فى الباطن عملياته المشبوهة وقد تورط طلال معه فى عدة عمليات "

ابتلع ادهم ريقه بصعوبه وهويحاول السيطرة على اعصابه الى ان يفهم ما يقوله فارس ثم قال بصعوبة

"وما.....علاقة..... "

لم يكمل سؤاله لكن فارس فهم ما اراد قوله فاجابه بخفوت

"تقرير المشفى الحقيقى ذكر تعرضها لمحاولة..... "

"كفى ...." صرخ ادهم بشدة وهوغير قادر على التحمل اكثر و اخذ يدور فى الغرفة كالاسد الهائج و لم يشعر بنفسه الا وقد ضرب زجاج النافذة بقبضته ليتحطم بدوي عالٍ فصرخ فارس

"ادهم ...."""ادهم ..... اجبنى "

قال ادهم بصوتٍ صارم

"متى كان هذا ؟.."

تنفس فارس بعمقٍ واجاب "قبل زواجى من سما... "

صرخ ادهم "ولماذا لم تخبرنى....."اجابه فارس

"تدخل والدك ... ...جاء على وجه السرعه و انهى الموضوع وبعد شفاء ح....بعد شفائها عادت لطلال مرة اخرى بامرٍ من والدك منعا للفضائح ... لم اكن اعلم وقتها انك س....."

صمت فارس مرة اخرى غير قادر على المتابعة صرخ ادهم وهويضرب الحائط بقبضته

"كيف عادت اليه ...كيف"

ظل فارس صامتا لا يملك اجابة فصرخ ادهم بصوتٍ اعلى

"وكيف لم اعلم بكل هذا....."

اجابه فارس بخفوت

"انت تعلم اننى منت بعيدا تماما عن كل شؤون العائلة حتى عملى كان مستقلا ... لا اعلم تماما كيف لم يصلك ما حدث لكن اعتقد ان والدك له دخل كبير فى عدم معرفتك بالامر ..... لقد علمت فيما بعد انه قد تم اخفاء التقارير الطبية الحقيقية و تعديلها الى اصاباتٍ ناتجة عن سقوطٍ او شيء كهذا .....حاولت الاتصال بها وقتها و بايثار الا اننى لم استطع الوصول اليها ابدا ... اما ايثار فابلغتنى ان الموضوع قد تم احتوائه

فلم يكن بيدي التدخل بشيء خاصة بعد ان عرفت بموافقتها على العودة اليه "

اللعنة عليها ... الحقيرة ...سليله الشيطان ايثار الراشد .... ستظل ملعونة لآخر ايام حياتها

اغمض ادهم عينيه بشدة وهو يشعر بالم لم يعرف مثله من قبل ..... كيف استطاع المقاومة ..... كيف تحملت كل ما تعرضت له ....كيف لم تنهار الى الآن .....انه يرى الآن انها بنفس قوة سما وسابين ....آه يا حلاى كيف سأنسيكِ ياقلبي ما مررتِ به

كانت لاتزال امورا كثيرة غامضة بالنسبة له ... الا انه اقسم على ان يصل اليها .... وعدا منى يا حلا.....

.....

....

نعم انها هى ...هى بكل جمالها و سحرها... جالسة خلف مكتبها باناقة ...النيران الزرقاء المنبعثة من عينيها الكريمتين ....الشعر الليلي الطويل

"سماااا....."

صدرت هذه الهمسة من شفتيها القرمزيتين و قامت من مكانها ببطء لا تصدق ما تراه و قالت مرة اخرى

"سماااا..... يا الهى..."

اندفعت اليها فى نفس اللحظة التى جرت فيها سما اليها .. جذبتها سابين الى صدرها بشدة بينما انفجرت سما ببكاء شديد وهى تتعلق بعنق سابين....

ابعدت سابين وجه سما بيديها لتنظر اليه و تشبع عينيها التى حرمت منه لثلاث سنواتٍ طويلة ثم همست اخيرا

"لا اصدق ... لا اصدق انك هنا فعلا... "

عادت سما الى احضانها مرة اخرى و هى تستنشق عطرها بقوة ... لا تريد ان تنفصل عنها ابدا...

قالت سابين بعد فترة طويلة ...طويلة جدا

"لقد عدت يا صغيرة .... لا شيء آخر يهم ....لقد عدت اخيرا "

كانتا غافلتين عن عينين بنيتين تراقبان هذا المشهد غير قادرة عن الإشاحة عن تلك الساحرة الوقحة التى تظهر عليها العواطف االنسانية لاول مرة

ظل يراقبها مستمتعا برؤية سما بين احضانها الناعمة ..... ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه و هو يفكر ..... خطيبتى.....

دلف الى المكتب باتزان وهو يقول "السلام عليكم... "

ارتفع الرأسان اليه بسرعة بعد ان فاجأهما صوته العميق

رمشت سما بعينيها و هى تقول باندهاش "سيد احمد ؟...!!"

رد عليها بمودة "كيف حالك يا سما...و كيف حال فارس"

اجابته بسرعة "بخير..... شكرا لك ... لكن ماذا تفعل هنا "

رد عليها وعيناه مثبتتان على ساحرته السوداء المندهشة ايضا .. بشدة

"لقد تسلمت فرع العمل هنا .. بينما انتقل مازن للخارج .. لقد كان هذا من سوء حظه , لكن من حسن حظى بالتاكيد "

لمعت عينا سابين بشدة و هى لا تعلم الى ماذا ينوى بايماآته الغريبة الا انها ظلت تبادله النظر دون ان يرف لها جفن ثم رددت نفس كلماته باغراء هز العالم من حوله

"وحسن حظى بالتاكيد... "

ظلت العينان البنيتان تلاعبان العينان الفروزيتان بتحدى دون ان تكل ايا منهما ... بينما سما تنقل نظرها بحيرةٍ بينهما شاعرةٍ بذبذباتٍ غريبة حولها

قالت سابين اخيرا بنعومة

"لم اكن اعلم انِ قابلتِ السيد احمد مهران "

قالت سما بمودة

"لقد زارنا السد احمد عدة مرات فى الخارج ..و كان دائما موجودا حين احتاج اليه "

ثم التفتت اليه وسألته بحنان

"وكيف حال تالا ... لقد اشتقت اليها جدا "

لم تسمع سابين الاجابة ...فقط علق الاسم برأسها ....تالا؟!!.....تراءت لها عينان بنيتان صغيرتان تحملان نفس التحدى ....بالطبع ...كيف لم تستطع التمييز قبلا ....للحظة واحدة جمعت كل الخيوط برأسها

ارمل... له ابنة صغيرة ....ومن كان يكلم فى الهاتف ... آها .. انها تالا بالتاكيد .. من ستسهر معه فى المنزل غيرها ...شعرت بفورة انتصار عند هذه النقطة....

ثم اندفعت اليها جملة من زاوية ذاكرتها ....لقد تحطم والدى عند وفاتها ... انها ليست كلمات طفلة صغيرة ... لقد سمعتها حتما من حولها .... احمد مهران تحطم لفراق امرأةٍ ما...

ذهبت فورةالانتصار ادراج الرياح ... و داخلها احساسِ سقيم لا تعلم سببه...

"سابين ... سابين فيما شردتِ "

افاقت من افكارها المجنونة على صوت سما الهامس بينما عينا احمد مهران لاتزالان مثبتتان عليها تنظران اليها ب....

هل علم بما كانت تفكر به ... هل قرأ افكارها .....ما الذى يحدث لها...

عادت الى سما مبعدة احمد مهران عن تفكيرها فتكفيها سما حاليا ... ابتسمت لها برقة و مدت يدها لتشعث مقدمة شعرها بحنان

وهى تقول "لقد كبرتِ يا صغيرة.... "

ابتسمت سما بمرح ... بينما اشتعلت العينان البنيتان بشدة لهذا المنظر الذى لم يره قبلا....و لم يرى بجماله ابدا.....

دخل احمد مهران الى مكتبه وجلس على كرسيه مستندا بظهره مغمضا عينيه يسترجع صورة ساحرته الوقحة و هى تحتضن سما بحنان ..... قفز فجأة سؤال مجنون الى ذهنه .....هل ستكون سابين الراشد أما يوما ما ....ابتسم بوحشية و هو يتخيل طفلة صغيرة بشعرِ اسود و عيونِ ذات لهبِ ازرق...

قاطع رنين وصول رسالة الى هاتفه اشد افكاره جنونا .. التقط هاتفه على مضض وما ان قرأ الرسالة حتى اختفت ابتسامته و اظلمت عيناه بشدة ثم همس لنفسه بقسوة

"اذن فهو آتِ.....سنكون فى انتظاره.... "

القى هاتفه على سطح المكتب بغضب و هو يفكر.....
لا بد من التحرك بسرعة

كانت سابين تتابع عملها بعد رحيل سما منذ لحظات حين استدعاها احمد مهران الى مكتبه ... قامت من مكانها و هى تشعر بالنار التى اصبحت مالوفة لديها تدب فى اعماقها .....سارت متمهلة حتى وصلت الى مكتبه فطرقت الباب بهدوء ثم دخلت ..... ظل يراقبها وهى تتجه نحوه بخفة الفهد و ساقيها تتقاطعان برشاقة و عيناها لا تحيدان عن عينيه ... وصلت الى مكتبه ووقفت منتظرة....

قال لها بعد فترة من تامله لها بوقاحة

"اجلسي سابين... "

ارتفع حاجبيها قليلا وهى تشعر بالتوجس من هدوءه الغريب الا انها جلست باناقة امامه و اضعة ساقا فوق الاخرى..

ظل ينظر اليها بينما هى على وشك الاحتراق فى داخلها منتظرة امرا خطيرا على وشك الحدوث ...قال اخيرا بصوت عميق

"اريد ان اعرض عليك عرضا"

ظلت صامتة و فضولها يهدد باحراق المكان .. اخيرا قال ببطء جعلها تفتح عينيها على اقصى اتساع حين سمعته يقول

"اريد ان اعرض عليك الزواج..... "

احمد مهران اصبح ملكها اخيرا ....ستعذبه وستجعله يدور فى فلكها ... المهم انه اصبح ملكها.....

.....

.....

استنشق عميقا .... ما اجمل ما يشعر به الآن ...ما اجمل ما يستنشقه ...رائحة البحر مختلطة بنسائم الياسمين .....استنشق مرة اخرى حتى ملأ صدره برائحة عطرها المشبعة بماء البحر .... لقد جاءت معه ....لم يحتاج الى ان يسألها مرتين ...تبعته دون نقاش , انها ملكه وستظل ملكه طلما هناك نفسا يتردد بصدره ... لن تكون لغيره ابدا

"هل تشعر بالبرد...." قطع همسها الناعم سيل افكاره ... لم يرد عليها , ظل واقفا مكانه و اقدامه العارية تداعب رمال الشاطىء

كانت الشمس مستعدة لان تغرق فى عمقِ البحر تاركة خلفها مزيجا رائعا من الالوان الارجوانية و الذهبية....

التفت اليها ببطء ثم قال اخيرا بصوتٍ اجش

"كيف حملك ادهم.... "

فغرت فمها و هى تنظر اليه مصدومة ثم قالت بتلعثم

"م...ماذا؟....!!!"

لم يجبها بل لف ببطء حتى وقف خلفها تماما ثم امسك بذراعيها ... ارتعشت و تعالت انفاسها و هى تشعر بانفاسه الدافئة على عنقها ...وفجأة و بسرعة خطفت انفاسها انحنى لأسفل و ادخل رأسه بين ساقيها لينهض رافعا اياها فوق اكتافه و هو ممسكا بيديها

صرخت سما بشدة و قد دارت الدنيا من حولها و اخذت تناديه

"ماذا تفعل .... انزلنى .... فارس انزلنى...."

اخذت تتخبط حتى كادت ان تقع الا انه امسكها باحكام ثم قال بصوتٍ عالى ليعلو فوق صوت امواج البحر

"لن يحملكِ غيري ابدا .....هل فهمتِ "

ثم سار بها الى البحر و اخذ يدخل اليه و هى لاتزال تصرخ به لينزلها ... وما ان احس بالماء يلامس خصره حتى امسك بساقيها يرفعهما ليلقى بها من على ظهره فى الماء .....غرقت لحظة ثم صعدت الى السطح وهى تسعل بشدة بينما هو يضحك بصوتٍ عال

حاولت ان تصرخ به

"ما الذى.... "

الا انها لم تكمل .. فقد امسك بمؤخرة رأسها بيدٍ قوية و جذبها اليه كاتما بقية كلماتها بشفتيه .....التفت ذراعيها حول عنقه بينما الامواج تغمرهما بدفئها.....

الفصل الحادى عشر

افاقت من نومها لتجد نفسها وحيدة فى الفراش كعادتها فى الايام الاخيرة.. تنهدت ثم قامت من فراشها و اتجهت الى المرآة ثم اخذت تمشط شعرها ببطء وهى شاردة .... ما الذى حدث له .... انه لم يعد يهتم ... يعاملها بأدب .. يراعيها فى كل شىء ...احيانا تفيق من نومها ليلا وهى تنتفض اثر كابوسٍ مزعج لتجد نفسها بين ذراعيه و هو يهدهدها .....الا انه لا يتكلم ابدا ... يستمر فى تخلل شعرها باصابعه الى ان تعود للنوم مرة اخرى .. وكانها طفلة رضيعة , يرجعها الى النوم مرة اخرى ....لم يسألها ابدا عن احلامها

نظرت الى وجهها فى المرآة بشرود وسألت هامسة ..... وان سألك ... فهل ستجيبي .....بالطبع لا ....الموت عندها اسهل من اخبار ادهم باى شىء ..... انه لايحتاج لان يعرف اى شىء ....لو عرف ....آه لو عرف...

زوجة ادهم مهران .... لن يقبل باقل من ذلك ...لكن ماذا لو علم ان زوجة ادهم مهران كانت يوما ما ارخص من.....

هزت رأسها بشدة و هى تنتفض و تهمس لنفسها ....سأنسى....سأنسى....سأنسى .....و سأكون كما يجب ان تكون زوجة ادهم مهران

اغمضت عينيها لحظة و كتفت ذراعيها و اخذت تتذكر لحظاتٍ قليلة جعل منها زوجته حقا ....حركت يديها تتلمس ذراعيها ... تكاد تشعر بلمساته ..مر وقت طويل لم يلمسها فيه ... يلمسها حقا..... كليلة زواجهما و بعدها ....لماذا لم يعد يقترب منها.....

منذ حركتها الحمقاء بجلوسها على سور الشرفة و هو لم يعد يقترب منها .... لابد و انه ظنها مجنونة ...لقد شعر بالنفور منها بالتاكيد ..لكنه ظل رقيقا معها ... احيانا تشعر بحاجتها ل... انها تحب رقته ,لم تكن تظن ان الشيطان الاسمرسيكون رقيقا معها لهذا الحد و لا حاميا لها لهذه الدرجة الخانقة .... لم يحميها احدا ابدا من قبل لا بهذه الدرجة ولا بأى درجة.....

لكنها احيانا تشعر ان هناك ما ينقصها ...لقد حملها معه الى عالمٍ لم تكن تعرفه قبلا ,..... ثم تركها ... رغم رقته معها الا انه ايضا قاسٍ فى بعده عنها ...الم يعد يريدها ...هل كانت رغبته فيها ضئيلة الى هذا الحد ام انها لم تستطع ان ترضيه .... بالتاكيد.... فهى لا تستطيع ان ترضى احدا ... هى تعلم انها دمية بلا روح ... ورجلا كادهم لن يشعر بالرضا الا مع امرأة متفجرة بالحياة و الاثارة ..... كسابين مثلا ..... لطالما اعتقدت ان سابين ستكون لادهم يوما ما ... هما يليقان ببعضهما للغاية

تذكرت حين حاولت سابين منعها من الزواج بادهم .... يومها صرخت حلا بوجهها قائلة لها انها تفعل ذلك لانها تريده لنفسها , بعدها امتنعت سابين تماما عن التدخل فى اى شىء يخصها.....

لا تدرى حتى هذه اللحظة لماذا فعلت ما فعلته ..... كانت فى هذا الوقت فى حالة يرثى لها ولم تتحمل اى ضغط آخر فهربت الى احضان ادهم ما ان اشار لها .... لم تكن تظن ان الشيطان الاسود من الممكن ان يفكر بها يوما , كانت تخافه دوما و تتجنبه ..... الا انها لم تفكر مرتين بعد ان عرض عليها الزواج .....هى باعت و هو اشترى .....مجرد صفقة كسابقتها ... لماذا هى الآن تتحرق على صفيحٍ ساخن

ماذا تريد بعد...هل هى ابنه ايثار الراشد فعلا كما قال فارس .... لا يملا عينيها الا التراب ....مالذى ينقصها بعد ان تزوجت ادهم مهران .... الا تكفى حمايته لها ....تضيق بحمايته الخانقة و تتمنى .... وتتمنى ان .... ان يشعرها بما أشعرها به سابقا .... لم تكن تعلم انها امرأة قبل ان تتزوجه .... وبعد ان علمت ....ابتعد عنها

ايكون زواجها الماسوي الاول يظل يدور فى رأسه لينفره منها ..... اذن ماذا سيفعل لو عرف التفاصيل القذرة ..... ستكون ملعونة لو تركته يعلم اى شيء من ماضيها ....لاتريده ان يبتعد اكثر..... منذ متى وهى تشعر بالحنين اليه ؟!!!.....هى نفسها لاتعلم

تنهدت بالم و هى تفكر ان عودة فارس كانت لها تاثيرا مدمرا عليها ..... تذكرت اياما سوداء قضتها سجينة الجدران البيضاء و جسدها لا يحوي جزءا واحدا سليما .... علمت انهم سيوقعون بها مرة اخرى .....

فاستطاعت باعجوبة ان ترسل لفارس رسالة من مجهول لتخبره بما حدث لها .... كان الوحيد الذى تعرفه و الموجود معها بنفس البلد ..... اخذت تدعو كل ليلة ان ياتى اليها ..... الا انه لم ياتى ابدا ...حمقاء هى ان ظنت انه سوف يساعدها.....

لو كانت تعلم ان ادهم مهران على هذه الدرجة من الحماية و الروعة لكانت استنجدت به ..... الا انها لم تكن تظن يوما انه ممكن ان يهتم بما يصيبها.....

تنهدت مرة اخرى بعمقٍ و الم اقوى .....ماذا لو اخبر فارس ادهم بما كان فى الرسالة ..... غبية ..غبية كيف لم تفكرى فى هذا من قبل ...آه يالهى لو عرف ادهم فسيرميها من حياته على الفور....

اخذت تدعو همسا ان يكون فارس قد نسى هذه الحادثة كلها .....و الا ستكون نهايتها , لن يرحمها

ادهم ابدا ان علم انه اقترن بمن لها مثل ماضيها المخزى

....

مسحت دمعة وحيدة انزلقت على و جنتها ثم مشت الى صديقتها الوحيدة لتنظر منها....

ها هو نفسه .... يرقص مرة اخرى امام نافذتها....

ضحكت بصوتٍ عالٍ و كأنها كانت تنتظر اي شيء ليضحكها .... اى شيء .... ها هو يلوح لها من جديد , الا انها هذه المرة لم تجفل بل ابتسمت برقةٍ و هى تدير نظرها عنه ..... لمحته بطرف عينها , و هو متسمرا مكانه مذهولا من ابتسامتها.....

هل هى كئيبة الى هذا الحد ... لدرجة ان يذهل حين تبتسم .....اتسعت ابتسامتها اكثر و هى تقرر انها ستبتسم كثيرا منذ اليوم.....

.....

....

اخذ يراقبها بصمتٍ وهى منحنية بجواره تناوله بعض الاوراق ..... وجهها قريبا منه للغاية .... خصلة سوداء حريرية طويلة ساقطة على جانب وجهها , بينما عطرها المسكر يلفهما معا بجوٍ من السحر الغامض

بعد ان انتهت استقامت فى وقفتها ...ضامة ملف الاوراق الى صدرها , ثم منحته اجمل ابتسامة رآها فى حياته وقالت بصوتها الناقوسي الرائع

"أية اوامر اخرى ؟...."

لم يجبها بل ظل ينظر اليها بطريقةٍ اربكتها بينما ظهرت ابتسامة على زاوية شفتيه ثم نقل نظره الى الاوراق و اتسعت ابتسامته اكثر

ما باله اليوم ... سألت نفسها . من يوم ان عرض عليها الزواج و هو لا يرفع عينيه عنها و كأنه لم يرى نساءا من قبل.....

حين لم يرد استدارت برشاقة مدروسة استعدادا لمغادرة المكتب.....

"لم تعطني ردك سابين..... "

انطلق هذا الصوت العميق ليزلزل اعماقها , التفتت ببطء ثم نظرت اليه من فوق نظارتها لتقول بصوتٍ واثق مغرى

"و انت لم تذكر سبب رغبتك فى الزواج منى..... "

نظر اليها لحظة بغموض ثم قام من مكانه متجها ناحيتها ببطء دون ان تترك عيناه عينيها,

ظلت متمسكة بسيطرتها على نفسها بقوةٍ تثير الاعجاب حتى وصل الى بعد خطوةٍ منها , و فجأة رفع يده و انتزع نظارتها من فوق عينيها قبل ان تستطيع منعه ... طوى نظارتها بهدوء ثم وضعها فى جيب سترته الداخلى....

ظلت تنظر اليه مبهورة لحظة ثم استطاعت النطق اخيرا بصوتٍ مبحوحٍ رائع

" اعد نظارتى الى مكانها.... "

اجابها و الابتسامة تداعب شفتيه

"حين تجيبين طلبى.... "

ردت عليه وهى تقترب منه نصف خطوة

"حين تطلعنى على السبب.... "

اقترب وجهه من وجهه حتى كاد ان يلامسه و ما ان شعرت بانفاسه الساخنة تلفح بشرة وجهها حتى اغلقت عينيها و رفعت وجهها تلقائيا و هى تنهل من رائحته العذبة ... مرت عدة لحظات لم يحدث فيها شيء ففتحت عينيها ببطء لتجده يبعد وجهه عنها و على شفتيه ابتسامة انتصار ثم قال بصوتٍ عميق

"هذا هو السبب.... "

ظلت للحظاتٍ طويلة متسمرة تنظر الى عينيه ليست واثقة مما يقصده ثم قالت اخيرا مخرجة تنهيدة مع كلماتها الناعمة

:"لم افهم..... "

ابتسم وقال بصوتٍ خافت

"تزوجينى و انا سأعمل على ان تفهمى جيدا..... "

ارتجفت بقوة و هى تشعر بساقيها لاتكادان تحملانها ثم اخفضت رأسها لاول مرة امامه و كانت هذه معجزة فى حد ذاتها .... قالت اخيرا بصوتٍ خافت

" لدي شروط... "

" بالطبع....."

رفعت نظرها اليه لتتاكد من سخرية قد سمعتها فى نبرته الا انها لم تواجه الا تعابيرٍ مبهمة ,فما كان منها ان قالت

"لن اترك عملي ابدا...."

لم يرد للحظاتٍ حتى احترقت اعصابها ثم اخيرا اومأ برأسه ... فقط ايمائة ... لكنها كانت اكثر من كافية لها

"لن نتكلم عن مازن ابدا.... "

قست عيناه لوهلة لدرجة انها ظنته سيضربها.....الا انه قال بابتسامة قاسية

"من هو مازن اصلا..... "

ابتسمت برقة تذيب الاحجار و اسبلت رموشها لاتصدق ان احمد مهران اصبح عابدا فى محرابها الى هذا الحد .. لكن لماذا ظنت انه سيختلف اليست سابين الراشد .... لكنها لاول مرة تشعر بالزهو لكونها هى سابين الراشد التى اسقطت احمد مهران عند قدميها ..اسقطت المارد....

افاقت على صوته القريب من اذنيها و هو يقول هامسا

" ماهى باقي شروطك..... "

واجهت عيناها عينيه بكل تحدى و هى تقول بلهجة ملكة تخاطب حاشيتها

" لن اقبل التدخل فى حياتى .. باى شكل من الاشكال , ستظل لي شقتى و سيظل عملى موجودا , لن اكون زوجة خاضعة لاحد ابدا.... "

ظل وجهه مبهم بدون اى تعبير ثم قال اخيرا

"هل اعتبر الآن انك اصبحت خطيبتى..... "

اخذت نفسا عميقا وامالت رأسها جانبا و هى تقول بتفكير مستفز

"اريد مهلة قصيرة لاقرر..."

ثم بدون مقدمات ادخلت يدها الناعمة الى داخل سترته و تمهلت وهى تلتقط نظارتها .... شاعرة مضخة تضرب بعنف تحت اصابعها , مما جعلها تبتسم بانتصار و هى تفتح نظارتها و تضعها على عينيها باغراء لا تملكه غيرها ثم ابتعدت برقة وهى تقول

" بعد اذنك سيد احمد ساعود لعملى الآن..... "

سارت الى الباب دون ان تنتظر رده ثم خرجت مغلقة الباب خلفها دون ان ترى ابتسامته التى اختفت و ملامحه التى تصلبت بقسوة

.....

.....

.....

عادت الى شقتها بعد يومٍ طويل متعب ..... ومشحون بالمشاعر المجنونة....

ما ان خطت عدة خطوات ٍ حتى جاءها صوتٍ كالفحيح من خلفها اوقفها مكانها

"انتِ تلعبين بالنار..... "

التفتت ببطء لتلتقى عيناها بعينين ذات لهبٍ ازرق ..لطالما كرهت تشبيه الناس لعينيها بهاتين العينين القادرتين على احراق من يتحداهما

قالت بصوتٍ كالجليد

"فلتحرقنى اذن .... انا المسؤولة "

اشتعلت عينا ايثار مهددة بفقدان سيطرتها ثم قالت

" ستفقدين كل شيء يا غبية ... احمد مهران مستحيل ان يسلم لكِ بهذه السهولة "

اتسعت عينا سابين بحدة و اقتربت من ايثار الواقفة امامها بتحفز و قالت ببطء خادع

" ماذا تقصدين بالضبط... "

ارتفع صوت ضحكة قاسية من فم ايثار لتقول لها

" لا تخبرينى ان واحدة فى ذكائك قد وقعت فى فخ عرض الزواج الزائف هذا.... "

لو كانت النظرات تقتل لكانت ايثار قد سقطت الآن قتيلة السهام التى اصابتها من عيني سابين التى قالت تتهجى ببطء اكثر

" من اخبرك بعرض الزواج..... "

صمتت ايثار لهذه الخطوة الغير محسوبة منها ثم قالت اخيرا

" لا تغيري الموضوع..... "

قاطعتها سابين بصوتٍ كالسوط اللاسع

" لم تجيبي ايثار..... "

اخيرا قالت ايثار ببطء وبصوت الفحيح

"دعى ذكائك يخبرك ... فقد تقتنعين وقتها... "

ظلت سابين صامتة تحاول السيطرة على نفسها لا تريد ان ترتكب عملا دنيئا كضرب تلك الواقفة امامها والتى لا تستحق ان تحتقر نفسها بسببها .....فما كان منها الا ان تركتها واقفة لتدخل غرفتها سريعا و هى تعلم انها لن تحصل على اجابة لسؤالها

تقدمت من مرآتها بغضب و استندت بكفيها على سطح طاولة الزينة و هى تاخذ نفسا عميقا لتهدىء نفسها.....

كيف علمت؟!!..... لا يعلم بهذا العرض الا هى و احمد مهران ... اذن من اخبر هو ..... وكيف وهى لم تعطيه موافقتها بعد....

عادت اليها الكلمات الخبيثة ترن فى اذنها.....

"لا تخبرينى ان واحدة فى ذكائك قد وقعت فى فخ عرض الزواج الزائف هذا"....

نفضت سابين رأسها بسرعةٍ وهى تفكر .....انها لن تستطيع انكار الذبذبات التى تنطلق حولهما حين يكونا معا ... هى ليست طفلة او ساذجة كيلا ترى تاثيرها عليه .....وهو ليس من النوع الذى يحاول الحصول على غايته بطريقٍ غير الزواج....

انه يريدها بشدةٍ .... وهذا ما هى متأكدة منه تماما .....

نعم هى ذكية لدرجة انها تعلم بكرهه لها ..... نعم هى تعلم انه يكرهها .... لكنه سقط اسيرها ولا طريق امامه الا الزواج بها .....فهل تقبل هلى هذا الاساس؟.....

ولما لا اليس هذا حالها ايضا ؟.....لكن لماذا يختلط شعورها بالانتصار بشعورٍ آخر من الخواء لا تستطيع تفسيره.....

و من مكانٍ لا تعلمه , انطلقت نفس الجمله تطوف فى رأسها

لقد تحطم والدى عند وفاتها .....لقد تحطم عند وفاتها ..... لقد تحطم.....

رفعت عينيها لتنظر الى صورتها فى المرآة ..ثم مدت يدها لتحل عقدة شعرها لينساب كالامواج الليلية على ظهرها و حتى خصرها....

هل كان شعرها طويلا كشعري ؟.....هل كان يتخلله باصابعه ؟.....

ظلت سارحة بافكارها الغريبة و هى تميل برأسها قليلا وتلف خصلة طويلة حول اصبعها.....

ابتسمت فجأة حين تذكرت السؤال السخيف من تلك المخادعة الصغيرة تالا وهى تقول

"هل تنظرين الى مرآتك كل يوم لتسألينها ان كانت هناك من هى أجمل منكِ....."

اتسعت ابتسامة سابين وهى تتذكر تالا الصغيرة ... كم تشبه والدها .....وكيف لم تلحظ هذا التشابه من قبل .....لا تعلم لماذا ذكرتها تالا بسما .... بينهما تشابه غريب مع انه ليس فى الشكل ابدا .... الا انهما تشتركان فى شيء ما لا تعلمه.....

ظلت تنظر الى نفسها مبتسمة تتأمل جمالها و كأنها لم تره من قبل.....

"ستظلين الأجمل دائما....."

انطلقت هذه الجملة من خلفها فجأة لتجعلها تستدير شاهقة غير مصدقة عينيها وهى تراه واقفا بباب غرفتها المفتوح يتاملها بعيونٍ شرسة تكاد تلتهمها التهاما

"مازن ....." انطلقت صرختها القوية المذهولة و هى لا تصدق ثم حاولت الكلام

" كيف دخلت الى هنا ؟..... متى عدت اصلا ؟....."

لم يجبها بل ظل يقترب منها و هو ينظر اليها بعينين جائعتين شرستين ..... لم ترَ عينيه بهذه النظرة ابدا , كان دائما ينظر اليها بخفة روح ولطف و هو يحاول اضحاكها دائما و كأن هذا هو واجبه فى الحياة ..... اذن من هو هذا الكائن امامها و ماذا يفعل هنا و كيف دخل.....

صرخت به بشدة

"اخرج من هنا حالا .. كيف دخلت "

وصل اليها فى لحظة و امسك بذراعيها بقسوة آلمتها ثم هزها لترفع رأسها الى عينيه المتوحشتين و قال بهجومٍ شرس

" هل ستتزوجينه حقا... "

يا الهى ما هذا الجنون هل اصبح الناس جميعا يعرفون بزواجها من احمد مهران حتى قبل ان تعطيه موافقتها ....اشتعلت السنة النيران الزرقاء بعينيها الهمجيتين وهى تصرخ به و تقاومه بشدة

"وما شأنك انت .....اخرج من بيتى حالا ...اخرج قبل ان استدعى لك الشرطة "

ضحكة بسخريةٍ فجة و هو يقول بهمسٍ وقح

"وماذا ستقولين لهم ... ارض الغرفة انبتت رجلا فجأة دون ان اعرف كيف دخل "

اخذت تقاومه بشراسة و هى تصرخ

"ايثار .... ايثاااااار "

الا ان احدا لم يجيبها فظلت تقاومه وهى تشعر بانفاسه تحرق وجهها و تسمعه يهمس فى اذنها

"لن تكونى لغيري ابدا سابين .... انتِ ملكى ... هل نسيتي ما كان بيننا.... "

اخذت تصرخ بجنون لا تصدق ان الحقير يحتجزها بهذه الطريقة

"لم يكن هناك شيئا بيننا ابدا ايها الاحمق.... "

ترك ذراعيها ليعتقل خصرها بسرعةٍ و بقوةٍ كادت ان تقسمها نصفين و هو يقول امام شفتيها

"اعلم انك غاضبة منى لأننى تركتك .... الا اننى لن اكررها ابدا ... و ساتركها لأجلك حبيبتى "

اخذت تتلوى وهى تبعد وجهها عن مرمى شفتيه يمينا و يسارا بينما يديها تضربانه على كتفيه دون جدوى وهى تصرخ

" ايها الحقير .. تتركها الآن وهى تحمل طفلك....اين كنت تخبىء وجهك القذر هذا "

اخذ يهذي فى تجويف عنقها بينما هى تقاومه بشراسة

"سابين .... انا سأحقق لك اكثر احلامك جنونا ..... سأعطيك اكثر مما قد تحلمين به يوما .....كل ما املك سيكون ملك يديك ....فقط كونى لي..... "

حين وجدت انه لا سبيل للخلاص منه بكرامة .....رفعت ركبتها بسرعة لتعاجله بضربة قاضية بين ساقيه وهى تصرخ

"انا لست للبيع ايها الحقيييير....."

جحظت عيناه الما وتأوه بصوت مكتوم .....لكن قبل ان يسقط ارضا .....جذبته قوة عظمى من كتفه ليفاجأ بلكمة اصابت فكه ليسقط ارضا كالثور.....

اتسعت عينا سابين وهى ترى احمد مهران ينحنى نحو مازن بعد ان لكمه ليسحبه من ملابسه سحبا خارجا به من غرفتها.....

ما الذى حدث للتو ؟!!.....هل كان احمد مهران هنا فى غرفتها منذ لحظات ..... كيف جاء فى هذا التوقيت بالذات و كيف دخل هو ايضا ..... انه اشد الايام جنونا فى حياتها....

كانت لاتزال فى حالة صدمة حين دخل احمد مهران الى الغرفة.... يالهى ... اول مرة تراه بهذا الشكل ... متوحش ,همجى ..مستعدا لان يقتل من يقف امامه الآن .....يلهث بشدة بينما ينظر الى ازرار قميصها التى تفتح معظمها ..... نظرة ارعبتها فأخذت تحاول اغلاقها بأصابع مرتجفة.....

تقدم منها بخطواتٍ سريعة ثم جذبها من ذراعها بقسوةٍ نحوه ليرتطم صدرها بصدره الذى لازال يعو ويهبط بعنف ....ثم صرخ فيها بقوة

" هل ستعطيني ردك الآن..... "

ظلت تنظر اليه بعينيها اللاهبتين المتسعتين ذهولا ... ثم بدون ان تنطق بكلمة أومأت برأسها

ترك ذراعها وهو يزفر بشده بينما لم يتبدد غضبه الأعمى بعد.....و دون ان يسألها ان كانت قد أومات بمعنى أنها نعم سترد عليه , أم نعم موافقة على الزواج منه .....قال

" سنعقد قراننا بعد يومين.... "

ثم تركها مذهولة ليخرج دون ان يضيف حرفا آخر ...وسمعت هى صوت باب الشقة يصفق بعنفٍ هز أرجائها.....

.....

....

كانت تذرع غرفة الجلوس ذهابا وعودة دون ان تهدأ .... الى ان سمعت باب الشقة يفتح.....

نظرت اليها بعيونٍ حمراء من شدة الغضب واتجهت ناحيتها وهى تقول بصوتٍ شرس

"أين كنت ....؟"

بادلتها ايثار النظر بهدوء دون يرف لها جفن ثم قالت "كنت اريد شراء شيئا.... "

ابتسمت سابين بشراسة و هى تقول

"وهل تتركين الباب مفتوح خلفك حين تخرجين ؟..."

رفعت ايثار حاجبيها بدهشة وهى تهمس

"هل تركت الباب مفتوحا ... يالهى ..مالذى يحدث لى.... أنا أنسى كل شىء هذه الأيام"

ثم ابتسمت بسحرٍ وهى تمد اصبعا ناعما لتمرره على وجنة سابين وهى تقول بصوتٍ مبحوح ساحر

"المهم انكِ بخير يا جميلة.... "

نفضت سابين وجهها بعنف لتبعد إصبع ايثار عن وجهها ثم صرخت

"أى أم أنتِ ؟.....هل وصل جشعك الى هذه الدرجة ... هل وصل بكِ الحال الى تسليمى لمازن بهذه الطريقة بعد ان يئست من زواجى به"

ابتسمت ايثار باغراء وهى تقول بصوتها الناعم

"مالذى تقولينه حبيبتى ؟.... وهل أنا بهذا الغباء لأسلمك له دون زواج ...سأكون كما لو أننى أهديه اياكِ مجانا .....لا يا جميلة ... الزواج هو أساس كل شيءٍ "

ظلت سابين تنظر اليها لحظات محاولة استيعاب ما يحدث ... ثم همست دون تصديق

"هل اتصلتِ باحمد مهران ليأتى ؟....."

صرخت فجأة بشدة

"هل فعلتِ؟....."

لم تجِبها ايثار على الفور بل ظلت مبتسمة ابتسامة ساحرة ثم قالت اخيرا بهدوء

"أنا اريد مصلحتك .... هل رأيتِ الآن ؟ ...ها قد تركك أحمد مهران .... و مازن الآن هو المكسب الرابح و المضمون لنا.. "

ظلت سابين واقفة أمامها تنظر اليها بدون أى تعبير على وجهها ثم قالت أخيرا بابتسامة توازى ابتسامة ايثار سحرا

"هنئينى ... أنا سأتزوج أحمد مهران بعد يومين .....يا أمى "

لكن بالتأكيد لم تكن هناك تهنئة ... كانت هناك نيرانا زرقاء اندلعت نافثة الحقد حولها .... فها هى ثانى صفقاتها تضيع منها بعد ان سرق أدهم حلا بلا مقابل ...ليأتى المارد ويسرق سابين .... أيضا بلا مقابل .....أما من سبيلِ لها للخروج من هذا الجحر .....بعد ان كانت زوجة الامبراطور ... ينتهى بها الأمر لأن تصبح نكرة ....لا و ألف لا ...ستأخذ حقها الذى سلبه اياها الامبراطور و الذى راهن على حياة بناتها الثلاث فى لعبةِ واحدة كانت هى الخاسرة فيها .....فهل كبرت الصغيرات ليتحررن منها ؟.....هل هذه هى مكافئتها بعد أن غرزتهن فى امبراطورية آل مهران ؟.....بالفعل هن بناتها ... من يردن التخلى عنها فى نهاية المطاف بعد كل ما فعلته لهن.....

لن يكون الأمر بهذه البساطة ....هى زرعت وقد آن أوان الحصاد ....حسنا يا سابين افرحى قليلا ....ها قد عادت سما.....

.....

.....

هل يمكن أن يكون هناك سعادة على وجه الأرض اكثر من التى تعيشها ... ادمنت هواء البحر ... ادمنت عطره .. ابتسامته التى لم ترَها قبلا ... حنانا لم تعرفه منه ابدا ... حبيبها الذى يحاول ان يكون صديقها .....و هى ستكون أمه , أخته ,ابنته و اى شيء يريده حبيبها

كانت واقفة مكانها على الشاطىء مغمضة عينيها تستنشق نسيم البحر بعمق .... انه الشروق , لم تكن تعلم انه يحب الشروق ..كانت تظن أنه من محبى السهر ... ستظل تتعلم عنه شيئا جديدا كل يوم .....فجأة احست بيدين قويتين تمسكان بذراعيها و شعرت بالأنفاس الحبيبة قرب أذنها ..... كيف يستطيع تحديد مكانها بهذه الدقة ؟..... فى الأيام الأخيرة ظلت كثيرا تبتعد عنه قليلا لتجده كالطفل الذى لازال يتعلم المشى .. يمشي خطوة خطوة حتى يصل اليها و يمسك بها دون ان تصدر أى صوت ...كيف يفعل ذلك ... هل يناديه قلبها ... هل يشعر قلبه بنداء وليفه.....

فتحت عينيها و ابتسمت برقة و هى تشعر بتحرك يديه على بشرة ذراعيها الرقيقة ..... اقترب فمه من أذنها وهمس صفى لى شكل الشروق.....

اتسعت ابتسامتها و همست برقة

"البحر هادىء للغاية كبركة زيتية ... و السماء لاتزال رمادية لكن هناك شعاعٍ صغير يتسرب ليلون اجزاءا منها بدرجاتٍ وردية و برتقالية ..... وهناك طائر نورس يطير امامنا تماما .... انتظر "

ابتعدت عنه قليلا ثم عادت اليه بسرعة لتضع شيئا صلبا باردا على اذنه سمع همس امواج البحر بداخله .. ابتسم وقال

"هل هى صدفة جميلة؟....."

ابتسمت بسعادة وهى تقول

"انها رائعة للغاية.... كبيرة بيضاء موشحة بخطوطٍ صغيرة ارجوانية "

اتسعت ابتسامته و همس و هو يعود ليمسك بذراعيها

"صفى لى شكلك.... "

ارتبكت و ذهلت من طلبه لكنها قالت

"لا احد يستطيع ان يصف نفسه.. "

"هل أنتِ جميلة ؟....."

ضحكت بعصبية و قد احمرت وجنتيها ثم قالت

"لو قلت لك اننى جميلة فسأكون حمقاء... "

ضحك بخفة ولم يرد عليها بل سألها

"هل انتِ سمراء .... وشعرك ناعم أسود كالليل وعيناكِ عسليتان واسعتان...."

اتسعت عيناها و هى تقول بدهشة

"هل هكذا ترانى؟.....":

غبية ....غبية ...ها أنتِ أخطأتِ مرة أخرى ....الا ان للعجب لم يغضب أبدا بل على العكس ابتسم بشرود وقال

"هكذا اشعر بكِ ... قوية دافئة "

قال كلمته الأخيرة هامسا ... مما جعلها تشعر بالالم فقالت له بحب

"سأكون كما تريدنى أن أكون..... "

لم يستطع التحمل اكثر من هذا فسحبها بقوة بين ذراعيه ليلتهم شفتيها من جديد بشفتيه ...وبالطبع لم

يجد سوى الاستجابة الناعمة منها ...غابت عنهما الدنيا طويلا.... طويلا حتى سحبها معه ليستلقيا على الرمال الباردة بينما الاشعة الدافئة بدأت فى الظهور لتشاركهما بدفئها.....

لم يتوقف الايام السابقة عن تقبيلها ابدا ,,و كأنه كان ينتظر طيلة ثلاث سنوات ليتفجر هذا البركان بينهما .....ما الذى فعلته به هذه الساحرة الصغيرة التى لم يرَها ابدا ..... ما مقدار السحر الذى تمتلكه فتاة صغيرة بالضافة الى صوتٍ كالنغم و رائحة الياسمين

ازداد الهوى بينهما حتى كاد ان يفقد نفسه فيها ... هنا ... على رمال الشاطىء ... وحين شعر بقرب فقدانه السيطرة على نفسه , ابتعد عنها لاهثا محاولا استجماع انفاسه ..... وهذا هو ما يحدث دائما ....لن يفقد سيطرته على نفسه معها ابدا ثانية بعد ما فعله بها آخر مرة ..... سيقترب منها تدريجيا حتى تستريح لقربه .....حتى تذوب به ..... ثم ستكون له .....لن يحصل عليها غيره ابدا.....

عاد يقبلها لكن برقة ليطفىء النار التى اندلعت بداخله .... وظل يلامس شفتيها بشفتيه حتى هدأت انفاسهما أخيرا ....تنهد ضاحكا برقة وهو يقول

"أنا اعتمد عليكِ يا صغيرة فى مراقبة المكان حتى لا يرانا أحد.... "

احمرت وجنتاها بشدة و هى تشهق بصوتٍ خافت فازدادت ضحكته عبثا و هو يعود ليقبلها مرة أخرى

قاطعهما رنين هاتف سما فجأة ليخرجهما من جوهما الحالم .... عقد حاجبيه وهو يبتعد عنها ليتساءل من سيكلمها فى مثل هذا الوقت المبكر .....بينما شعرت هى بالأسى لضياع اللحظات النادرة بينهما , لكنها لم تجد بدا من التقاط هاتفها من جيب بنطالها و هى

ترى فارس يكاد ان يفترسها لمعرفة المتكلم ..... تنهدت وهى تجيب برقة لتفاجأ بصوتٍ لم تسمعه منذ ثلاث سنوات فهتفت مصعوقة

"أمى....."

أغمض فارس عينيه بشدة .....كل الظروف تسحب سما منه .....لكن قسما بالله لن يترك أحدا يأخذها منه أبدا .....

.....

....

صعد سلالم القصر بتعبٍ شديد وهو يشعر بارهاق لم يعرف مثله ابدا .....كانت الأيام السابقة كالجحيم .....كان يدور فى حلقاتٍ مفرغة .....فرقة كاملة أوكل لها عملية البحث السرية ..... الا ان الامر ليس هينا أبدا

حادثة منذ اربع سنوات .... تقارير مشفى معدلة بينما الحقيقية اختفت تماما .....الحقير الذى يلاحقه و يجمع عنه كل ما يمكن من معلوماتٍ حتى تأتى الفرصة و يقتلع عنقه بيده.....

كل هذا الارهاق النفسي ليعود فى النهاية ليستلقي بقربها و هى نائمة .... يشعر بدفء جسمها و رائحتها العطرة و شعرها الهمجى الطويل و الذى تصر على ان تطلقه وهى نائمة ليلامس وجهه.....

كم يتوق اليها و كم يريدها ..... الا ان كل شيء تعقد فجأة و علاقتهما ستحتاج وقتا لتتداوى اكثر مما كان يظن ..... بالتأكيد هى الآن مرتاحة من رغباته التى فرضها عليها يوما ... لا تشعر بما يعانيه من عذابٍ بقربها ... على الأقل يعود ليجدها نائمة كل ليلة و يخرج باكرا قبل أن تستيقظ ..... كان ينتظر منها ان تطلب منه البقاء أو تشعره بحاجتها اليه ... لكان ترك

الدنيا كلها لو فعلت ..... لو فعلت ....لكنها لا تريد منه سوى الحماية ..... كانت صريحة معه عند زواجهما .... الحماية فقط ... و هو بالتأكيد يعذرها بعد كل ما مرت به ..... لكن هو من سيعذره ؟!!

تنهد بتعبٍ و هو يفتح باب الغرفة و يدخل.....

لم يصدق عينيه حين رأها واقفة أمام النافذة تنظر منها .....فقال بسرعة

"حلا .... لماذا لا زلت مستيقظة .... هل انتابتك الكوابيس مرة اخرى..... "

التفتت اليه برقة ..... يا الهى انها رائعة ... مدمرة ... هذا اقل ما يمكن ان توصف به ... كانت ترتدى قميص نوم رائعا لم يره عليها من قبل لونه نبيذى دافىء ...طويل يحدد انسيابية جسدها الناعم ... بينما صدره مخرم يظهر اكثر مما يستطيع احتماله.....

انها تنوى قتله بالسكتة القلبية لا محالة .... كيف سيقاومها الآن و هى واقفة أمامه بهذه الروعة .. تنظر اليه بعينين تغويان قديس

ابتسمت برقة وهى تقول

"لا انا لم أنم بعد .... كنت انتظرك "

خفق قلبه بشدة حتى كاد ان يتوقف منه و هو يقول بصعوبة

"لماذا حبيبتى ..... هل تحتاجين شيئا "

اهتز قلبها حين سمعت كلمة حبيبتى التى صدرت منه بعفوية ثم اقتربت منه ببطء عاقدة العزم على عدم التراجع حتى وصلت اليه وهى تضع يدها برقة على صدره وهى تقول

"انت تبدو متعبا للغاية.... "

ظل ينظر اليها بلا تعبير على وجهه مما افقدها الثقة التى ظلت تجمعها طوال فترة انتظاره ..... قالت اخيرا

"انا لم اعد اراك كثيرا.... "

شده العذاب الذى يعانيه جعله يجيبها بحدة غير مقصودة

" كنت لا تكادين تصدقين متى ساخرج من هنا ..... حددى موقفك يا حلا لاننى لا افهمك "

ابتعدت عنه بسرعة آخذة معها قطعة من قلبه ثم قالت بصوتٍ خافت

"آسفة لم اقصد ازعاجك..... "

لم يستطع التحمل اكثر من ذلك هذا كثير عليه ..... فليكن ما يكن .... انها زوجته و ستظل زوجته .... غدا سيعالجها اما الليلة

جذبها من ذراعها بشدة حين استدارت ... لتعود اليه مرتطمة بصدره بينما هو يلقى بسترته على الارض ليسحب حلا بين ذراعيه مقبلا اياها بكل شغف الايام السابقة.....

ها هى عادت الى مكانها بين ذراعيه .... الشيطان الاسمر .... موطنها الدافىء ..... جدارها القوى....

حملها بين ذراعيه بنفاذ صبر ليلقى بها على الفراش ليعود اليها حاملا اياها لعالمٍ غابا فيه و قد تركا خلفهما كل ما حدث سابقا .... ليقلقا عليه صباحا ..... وليس الليلة .....

الفصل الثاني عشر

كان يضمها بين ذراعيه و هى مستلقية على صدره , يده تداعب بشرة ذراعها بحنان بينما ترتسم على فمه ابتسامة نمر نجح فى اصطياد فريسته ..لامست شفتاه خصلة الشعر الساقطة بنعومة على جبهتها ثم همس فى اذنها

" هل آلمتك حبيبتى ؟....."

احمر وجهها بشدة فدفنته اكثر بصدره و هى تهز رأسها علامة النفى ,ضحك برقة وهو يزيد من ضمها اليه مستمتعا بخجلها الذى يلهب مشاعره..

انه لا يصدق ما حدث ... منذ ساعات قليلة كان فى أسوأ حالاته المعنوية و كان جحيم شوقه اليها يهدد بحرقه حيا ... لم يكن يتخيل ان تنتهى هذه الليلة بهذا السحر الذى فاق كل توقعاته و كل جنون خياله....

لا يصدق تدفق عاطفتها الذى كاد ان يصيبه بالجنون .. لقد ذابت بين ذراعيه فى لحظةٍ واحدة ليذوبا معا كنارٍ سائلة احرقتهما معا...

من كان يظن ان صغيرته حلا قد كبرت و اصبحت امراءة غاية فى الروعة و السخونة ..... بالرغم من كل ما حدث لها.....

اللعنة هاهو يعود للواقع الأليم مرة أخرى .....تنهد بعمق يريد ان يبعد هذا الواقع عن ذهنه المخدر بها حاليا.....

شعر بشفتين ناعمتين تلامسان صدره مرة بعد مرة فخفض نظره اليها مذهولا بما تفعله , لكن لم يستمرذهوله للحظتين حتى اندلعت نيران الرغبة فى

داخله من جديد ليدفعها لتستلقى على الفراش ناظرة اليه مذهولة من عمق النيران المشتعلة بعينيه , ليغيبها من جديد فى عالمٍ مجنون أسرهما معا بجنونه.....

أخيرا ابتعد عنها قليلا لينظر لعينيها و هولايزال يلهث من عمق ما تشاركاه للتو .....فطالعته عيناها النجلاوان تنظران اليه باستسلام شتت أعماقه.....

يا الهى ... ما أجملك يا حلا .... وما أعذبك ....ما تلك العاطفة المجنونة التى كنتِ تخبئينها بجدارِ الماضى القاسى.....

استلقى بجانبها لا يفصله عنها نفسا واحدا .. يريد ان يعتصرها حتى تدخل صدره .....تنهد مرة أخرى و هو يقول هامسا ضاحكا برقة

" أنتِ رائعة حبيبتى ..... رائعة للغاية "

على قدر ما أشعرتها جملته بالخجل الفظيع الا أنها أشعرتها أيضا بسعادةٍ لا توصف , و احساسٍ بثقةٍ لم تكن تظن أنها ستشعر بها يوما ....نظرت اليه بجرأة لم تعرف أنها تمتلكها و ابتسمت له باستحياء....

ظلا ينظران الى بعضهما البعض و عيونهما تتبدلان حوارا هما نفسهما لايسمعانه.....

انها غاية فى الروعة .... لا ينقصها شيء ابدا ... انها مثالية فى هذه اللحظة ...اذن لماذا لا يترك الأمور عند هذه النقطة ليبدآ بداية جديدة تماما ....الا انه لا يستطيع , بداخله يعلم انها تحتاج لمساعدة .. والا فسيظل مرعوبا عليها لآخر يومٍ فى حياته....

ناداها برقة "حلا ...." فأجابته بعذوبةٍ خجولة

"نعم... "

أخذ يداعب ذراعها برقةٍ ثم قال

" هناك خبرا لا تعلمينه بعد.... "

نظرت اليه متوجسة بتساؤل فأكمل

"سابين ستتزوج بعد يومين.... "

استقامت جالسة بسرعة و هى تسحب غطاء الفراش الى صدرها و تقول مصعوقة

"ماذا ؟!!..... من ستتزوج ؟..."

أجابها بهدوء و هو يلامس ظهرها بنعومة ليهدىء من انفعالها

"ستتزوج أحمد مهران.... "

ظلت تنظر اليه مذهولة لا تدرى ماذا تقول ...أحمد مهران ابن عمة أدهم ؟!!.... القطب الثانى فى الامبراطورية؟...!

...مع انه خبرا منطقيا ان تتزوج سابين من رجلٍ غير عادى كأحمد مهران ... انهما يليقان ببعضهما للغاية .....بينما هى.....!!

جلس ادهم هو ايضا و هو يلاحظ وجومها فأمسك بذراعيها و هو يقبل كتفها برقة ليعيد اليها الوهج الدافىء الذى كانت تعيشه بعيدا عن اى توتر , لكن حين لاحظ تصلبها ابتعد قليلا و هو يقول بقلق

" حلا ... ماذا بك حبيبتى "

نظرت اليه باستسلامٍ ضعيف مزق قلبه ... لوهلةٍ شعر بما تشعر به و احس بأوجاعها الصامتة القديمة ,

فجذبها الى احضانه بحنانٍ وهو يربت على شعرها حتى ترتاح ثم اكمل بصوتٍ خافت

"سأكون انا و فارس شاهدين على العقد .... ثم بعد عدة أيام سيقيمان حفل الزفاف "

ظلت حلا مختبئة بأحضانه و هى تفكر أن سابين تستحق الأفضل ... واحدة مثلها تستحق أدهم ...وهو يستحق واحدة مثلها , فهل يشعر بالندم على ضياعها منه .. و فوز أحمد مهران بها.....

افاقت من افكارها المريضة على صوت ادهم وهو يقول بينما يشدد من احتضانها

"بالطبع سنحضر الزفاف ... ستكون اول مناسبة نحضرها كزوجين "

انتابها الهلع من هذا الموقف الغير متوقع .... تحضر زفافا كهذا ... سيحضره كل من عرفوها وعرفوا طلال .... سينظرون اليها ....قد يكون هناك من يعرف ما كان عليه طلال .... قد يكون هناك من سمع عن الحادثة القديمة .....لا ... لا ... لا ...لن تستطيع مواجهة احد ابدا.....

قالت فجأة بدون مقدمات

" لا اريد الحضور... "

تنهد ادهم وهو يعلم ان هذا هو الرد الذى توقعه .. وهو حقا لا يهتم لحضور زفافهما كثيرا و خاصة أنه زفاف سابين التى اوقعت باحمد مهران بهذه السرعة بمقدرةٍ فذه ذكرته ب..... اقشعر بدنه وهو يتذكر الافعى السوداء

الا ان المهم لديه الآن هو ان لا يكون لدى حلا اى خوفٍ من اى شيء .... لذا فهو يريد منها الحضور بكل ثقة متحدية مخاوفها ... و سيرى من سيجرؤ على الاقتراب منها .....آآآه فقط لو كان موجودا وقتها ... لقد كان بعيدا عنها آلاف الأميال .... وهم جميعا عملوا على إخفائها اكثر و اكثر .... وكان هو من النذالة بان يتركها لهم بهذه البساطة....

اجل الجدل معها عن حضور الزفاف حاليا ليفاتحها فى الموضوع الأهم و الذى اخره طويلا حتى الآن .... قال بصوتٍ خافت حتى لا تجفل

" حلا .... سنذهب غدا انا و انتِ ....لمكانٍ ما "

رفعت رأسها اليه بسرعة و هى تنظر اليه بقليل .. قليل من الحماسة المتوجسة و هى تشعر بأنه قد يكون اعدد لها مفاجأة ممتعة فهمست بسرعة

"اين ؟...."

تنهد ادهم بقلق وهو ينظر الى الحماسة المنبعثة من عينيها الضعيفتين و التى مزقت قلبه لانه يعلم انه سيبدد حماستها حالا....

ثم لم يجد بد من ان يقول ببطء شديد

" الى الطبيب.... "

ظلت تنظر اليه بعدم فهم و بدون اى تعابير على وجهها.....فتابع وهو يدعو الله الا تنفعل

" طبيب ... سيتحدث معكِ قليلا .... و... قد تحكين له ما يضايقك.... "

لم يتغير اى شيء ولم تتحرك عضلة واحدة فى وجهها و هى تنظر اليه .... ثم فجأة صرخت

"هل تظننى مجنونة.... "

امسك ادهم بها بقوةٍ وهى تقاومه بضعفٍ و ارهاق بينما اخذت الدموع تنساب على وجنتيها

" حلا ..... اسمعيني اولا... "

ظلت حلا تقاومه و قد بدأ صوت بكائها يتعالى و هى تقول بصوت متقطع

" انا لست مجنونة ... انا فقط ... احتاج لبعض الوقت .... ان كنت تشعر بالنفور منى فلماذا....."

قطع باقى كلماتها الحمقاء بشفتيه يقبلها بكل مايحمله من ضغوطٍ تكاد تخنقه ...و استمر يقبلها باجتياح حتى هدأت تماما بين ذراعيه ....اخيرا رفع رأسه وهويصرخ من بين أنفاسه المتقطعة

" هذا هو ما أشعر به من نفورٍ نحوك..... "

ارتمت على صدره وهى تبكى تكاد ان تنهار بعد كل هذا الارهاق العاطفى الذى تعرض له فى الساعات القليلة السابقة .....اخذ ادهم يهدهدا وهويهمس فى اذنها مطمئنا لها و مؤكدا بأن كل شيء سيكون عل ما يرام .....

تشبثت به بقوةٍ تستمد منه كل ما تستطيعه من قوةٍ وحماية ... ثم اخذت تهمس بضعف متقطع

" لا تجبرنى على الذهاب يا ادهم ارجوك ..... ارجوك .... سأكون كما تريدنى ان اكون ..... سأكون كما تتمنى ان تصبح زوجتك .... لكن لا تجبرنى .... ارجوك "

"هششششش ..... كفى ... كفى .... لن اجبرك على شيء ابدا ..... سننتظر حتى تكونى مستعدة "

هدأت بين ذراعيه فسحبها معه ليستلقيا على الفراش مدثرا اياها بالغطاء .... واضعا رأسها على كتفه حتى نامت اخيرا و لاتزال دموعها على وجنتيها.....

ظل ينظر اليها وهى نائمة .... وهو يتحسر على اللحظات الساحرة التى ضيعها بيده فى غمرة موجة العقل و الحكمة ....تبا فليذهب العقل للجحيم.....

.....

.....

.....

استقظت حلا من نومها ... وحيدة فى فراشها مرة أخرى ... كانت تتمنى ان يوقظها قبل ان يذهب الى عمله , كانت تظن ان بعد الليلة السابقة ستختلف حياتهما معا .... الا انه تركها وحيدة مرة اخرى .... لكن اليست هى السبب , هى من دفعته دفعا للعودة الى حياته ... لم تكن تعلم انها من الممكن ان ..... تشتاق اليه قليلا ..... كما تفعل الآن.....

نظرت جانبها فلاحظت ورقة مطوية ..... رسالة منه مرة اخرى ... تناولتها وهى لا تعقد امالا كبيرة .....قرأتها ببطء و قلبها يخفق بسرعة

"اضطررت للذهاب للعمل باكرا ..... شكرا على ليلة من الأحلام حبيبتى "

ابتسمت ببطء ورقة ..... ها استطاعت اسعاده حقا ؟!!..... ما الذى يجده فيها ؟... هل هى حقا الوحيدة فى حياته الآن ؟.....

لم تعرف لما شعرت باحساسٍ جارح عند هذه النقطة ..... وحتى ان كانت الوحيدة الآن ..فهى مسألة وقت لن يستطيع التمسك بإخلاصه لها طويلا.....سرعان ما سيجد امراءة قوية آسرة .....تسلب عقله و حينها

يقارن بينها وبين زوجته الضعيفة ذات الماضى البائس و التى لم تستطع تحقيق أى نجاح يذكر بحياتها.....

عادت بتفكيرها الى سابين وزواجها من احمد مهران ....انها تستحقه .... بل كانت تستحق ادهم ..... انها مرأة مستقلة تحمل كل ما يتمناه الرجل .... بعكسها هى.....

أغمضت عينيها متألمة ..... وهى تعود للشعوربالكره لكل حياتها ....ولكل من آلموها و قهروها .....متى ستنسى .... متى ستنسى....

شعرت أنها تكاد تختنق فى هذه الغرفة المسجونة بها ليل نهار .... تكاد تعد الأيام الباقية على نهاية حياتها .....

قامت من مكانها ببطء عازمة على النزول للحديقة ..... حتى لو احتملت رفقة السيدة اسراء سيكون افضل من بقائها هنا اكثر من ذلك...

اخذت حمامها و ارتدت بنطالا من الجينز و قميص طفولية قصيرة بيضاء و جمعت شعرها الرطب على هيئة ذيل حصان طويل...

نظرت الى صورتها فى المرآة فابتسمت بحزن وهى لا ترى صورة ترقى لمستوى زوجة ادهم مهران ابدا .... نفضت رأسها من افكارها التى كادت ان تصيبها بالجنون .... تريد الهرب من ضغط زوجة ادهم مهران ..... انها الآن حلا فقط.....

نزلت على درجات السلم درجة ..درجة .. منتظرة ان تسمع صوت السيدة اسراء الصارم ... اخذت تسير ببطء ناحية الباب الضخم ...لم تشعر بها بعد ....

فتحت الباب بهدوء تحاول الا تصدر صوتا ... ثم خرجت ..... ها قد نجحت و اجتازت الباب وحدها.....

اخذت تستنشق الهواء الرائع ملىء رئتيها .....نزلت درجات المدخل بسرعة ثم انطلقت تمشى فى الحديقة ..... لم تدرى الا وقدماها تقودانها الى الحديقة الخلفية و التى لم تزرها الا مرة واحدة .....مشوشة بالنسبة لها , الا انها تبحث عن حوض ورود رائع لايزال يداعب مخيلتها الى الآن .....سارت ببطء حتى وصلت اليه ..... ها هو..... ما اجمله , انه رائع كما رأته أول مرة .....

ذهبت اليه وانحنت لتدفن وجهها فى وردة جميلة .... تماما كأول مرة .... لم تستطع مقاومة جمالها فقطفتها لتستنشق عطرها الرائع....

"لقد قطفتى وردة من ورودى.... "

استقامت بسرعة و هى تستدير ناظرة اليه بعد ان قال جملته بحزم.....

شعرت باحراج بالغ و هى تمسك بالوردة فى يدها لا تعلم ماذا تفعل بها .....بينما ظلت مطرقة لا تستطيع الرد.....

كان مستمتعا للغاية برؤية خجلها و ارتباكها .... لم يكن يظن ان زوجة ادهم مهران من الممكن ان تحمر خجلا و توترا بهذه الدرجة الساحرة ..... يا الهى ما اجملها ... انها تبدو كطفلة رائعة الجمال....

قال لها مبتسما مقررا ان ينهى ارتباكها

"أنا امزح معك ..... الحديقة كلها ملكك سيدتى.... "

ابتسمت ابتسامة صغيرة بخجل .... ثم قالت بصوتٍ خافت

"ورودك ..... رائعة "

رد عليها بصوتٍ اجش منخفض

"نعم .... رائعة للغاية "

تجرأت و رفعت نظرها اليه فوجدته يحدق بقسماتها فازداد احمرار وجهها بشدة الا انها لم تستطع الا ان تلاحظ وسامته المحببة و عيناه الصافيتين بلونٍ اخضر فاتح .... شعرت بأن نظرته ودودة للغاية ..... لا يشبه باقى العاملين هنا بالقصر ....انه غريب للغاية .... غريب لكن طريف .... تشعر بالرغبة فى الابتسام كلما رأته.....

سألته بتردد وهى لا تصدق قدرتها على ان تتكلم مع شخص غريب ..... لكن للعجب انها احبت هذا الشعور

"هل تعمل هنا منذ وقتٍ طويل... "

اجابها مبتسما برقة

"فقط منذ عدة أشهر... "

ابتسمت اكثر وهى تقول برقة

"اذن لم تسبقني كثيرا فى المجيء الى هنا... "

اتسعت ابتسامته من روعة ابتسامتها و هو يقول

"نعم ... لقد جئت فى الوقت المناسب تماما... "

لم تفهم تماما ما كان يقصده الا انها آثرت عدم الاهتمام وتشاغلت بالنظر حولها بينما هو لا يفارقها بعينيه ثم قال محاولا الا يغلق باب الحوار معها

" طالما انك ِ احببت الورود ... لماذا لا تنزلين هنا كثيرا "

ظلت صامتة مترددة فادرك انه ضايقها بسؤاله فاكمل كلامه

"لو احببت .. تستطيعين زراعة ورودك الخاصة من الآن.... "

رفعت رأسها اليه بسرعةِ و هى تقول بلهفة ِ طفولية

"حقا.. "

ابتسم ليبعث الثقة بداخلها وهو يقول مؤكدا

"بالتأكيد ... لقد أخبرتك ان الحديقة كلها ملكك سيدتى .."

صمتت لحظة ثم قالت بتردد

"لا احب... كلمة سيدتى ..ابدا"

رد عليها برفق

"اذن بماذا استطيع ان اخاطبك "

قالت له بصوتِ خافت

"انا ..حلا "

رد عليها مبتسما

" وانا ... هلال .. تشرفت بمعرفتك ...يا حلا "

أومأت برأسها مبتسمة و هى ترد بخفوت

"و أنا أيضا .....هلال "

.....

.....

.....

كانت تقف بباب الغرفة كعادتها دائما تراقبه وهى تشعر بذبذبات غضبه تتردد فى ارجاء الغرفة ....آه يا حبيبى .... كيف أستطيع ان أريحك ... ماذا افعل الآن ....

اقتربت ببطء من الاريكة التى يجلس عليها و هو يستند بذراعيه على ركبتيه بينما ملامحه الشرسة متصلبة لا تعرف معنى الهوادة..

وصلت اليه ثم جثت على ركبتيها أمامه واضعة يديها الصغيرتين على ذراعيه و هى تهمس

" الا زلت غاضبا منى... "

شعرت بأنفاسه الملتهبة تضرب قمة رأسها بينما بدا لها و كأنه يحاول جاهدا السيطرة على غضبه ... فانهار قلبها له , لم تعهده يحاول السيطرة على غضبه منها أبدا .... لكن الآن....

قالت محاولة الوصول الى داخل قلبه

" فارس .. انها أمى و هى تحتاجنى "

رفع رأسه بشراسة و عيناه المحتدتان تكادان ان تحرقانها و هو يقول بعنف يكاد ان يكون صراخا

" أمك ؟....أمك التى باعتك لرجلا أعمى و أنت لازلت فى الثامنة عشر ؟..... أمك التى لم تسأل عنك لمرة واحدة لمدة ثلاث سنوات كاملة ؟....."

طعنها الألم بشدة فأغمضت عينيها لا تريد ان تبكي الآن من اهانته الغير مقصودة لها ...حاولت ان تأخذ عدة أنفاس ثم همست

" هى لاتزال .....أمى "

مد يديه بسرعة و أمسك وجهها بقوة جاذبا اياه ليقترب من وجهه ثم همس أمام شفتيها

؛"اذن اذهبى للجحيم ....ولا تعودى "

لم تخف منه هذه المرة ... ليس بعد كل ما تشاركاه الأيام السابقة.....حررت وجهها منه ببطء ثم أدخلت نفسها بين ركبتيه لتحيط عنقه بذراعيها الناعمتين واضعة خدها بنعومة على ذقنه الجارحة .....وحين شعرت بتغير سرعة أنفاسه همست بأذنه

" لن اذهب للجحيم .... و لن أذهب اليها ان كنت لن تعود معى "

قال بخشونة وهو يحيط خصرها بذراعيه بتملك سافر

"أنتِ تعلمين جيدا اننى لن أعود.... فمن تختارين ؟؟...."

تنهدت بعمق ثم همست

"أنت تعلم جيدا...من أختار دائما "

لم يستطع التحمل اكثر فجذبها اليه بشدة ليلتهم شفتيها بشفتيه و كأنه يريد ان يثبت تملكه لها و يثنيها عن التفكير بأى شىء سواه....

آآآآه.... ما اجمل استجابتها ... يكفى فقط ان يلمسها لتذوب بين ذراعيه ....آآآه يا قطعة الحلوى ما أعذبك .. و ما أحلا من مذاقك...

الى متى يا سما .... الى متى ستظلين محرمة علي ... ولماذا اشعر انه ليس من حقى لمسك بعد.....

حاول رفع رأسه الا انها استمرت فى جذبه اليها و قد ضاعت تماما كما تضيع كل مرة .... ابتسم ببهجة تحت شفتيها و هو يشعر بلهفتها المتزايدة .....انها تماما كما يجب ان تكون وردة فى مثل عمرها ..... انطلاقها العاطفى لا حدود له .... وهذا ما يشعره بانه ما يزال حيا يتنفس....

لكن بالطبع حين شعر ببدء فقدان سيطرته على نفسه ابعدها عنه برفق و هو يتنفس بصعوبه ثم قال بصوتِ متحشرج

"هيا لنسبح فى البحر.. "

نظرت اليه بصمتِ و لم تستطع ان تجيبه لعدة لحظات .....ثم اخيرا همست باحباط

"لكن ... قد يكون ماء البحر باردا قليلا الآن "

ابتسم بشرود ثم قال لها بصوتِ مغوى

"انا سأدفئك.... "

ظلت صامتة تظر اليه .... لماذا يبتعد عنها كل مرة ... أ لايزال يتلاعب بمشاعرها ؟.... لا ... بالتاكيد لا....لكن لماذا يذيقها حبه ثم يبتعد عنها .... الازالت طفلة بالنسبة اليه ؟..... لكن مايظهره نحوها يؤكد انه لايراها طفلة ابدا ..... لكن هل يراها حقا ؟....

انه يراها بشكلِ مختلف عنها تماما .... ولا يزال يناديها بين حين وآخر ب "ياسمينا .." شعرت بطعنة الألم لدى تذكرها لهذا الأسم الذى لا ينطق به الا وهما فى غمرة الهوى ... لم تواتيها الجرأة لتسأله عنها .... اتكون هى حبيبته التى تركته بعد اصابته ....الايزال يتذكرها .. ويتخيلها بين ذراعيه حين يكونا....

اغمضت عينيها لا تريد ان تخرب روعة ما يحدث بينهما .... ولن تدع ذكرى قديمة تستولى على حبها ابدا .....فارس لها ... فارس طفلها الذى لن تتركه لغيرها ابدا .....

تنهدت بعمق ثم قالت بحزم

"سأذهب لأعد نفسي ...."

كانت فى غرفتها بعد ان جهزت نفسها للسباحة مع فارس , فانتهزت الفرصة لتهاتف سابين ... ففارس لا يكاد يفارقها لحظة واحدة و حتى و قتا متأخرا من الليل لا يترك لها الفرصة لتكلم ايا من حلا او سابين ابدا

ما ان سمعت صوت سابين على الهاتف حتى هتفت

"سابين ... كيف حالك لقد اشتقت اليكِ جدا "

سمعت صوت سابين يأتى عاتبا

" يكفيكى فارس يا سما ....لا اصدق ان بعد عودتك بثلاث سنوات كاملة تعودى لتختفى معه مرة اخرى ... حتى اتصالاتى لا تردين عليها "

كانت سما تستمع لكلام سابين الغاضب و هى صامتة مطرقة برأسها ... تعلم تماما انها محقة .... فهى لا تفكر مرتين حين يتعلق الأمر بفارس ..... ستكون كاذبة ان قالت ان فارس ليس محور حياتها و ان لا شيء آخر يوازيه أهمية عندها .....الا ان ذلك لا يمنع انها تشتاق لسابين جدا ...جدا

قالت سما بصوتٍ منخفض بعد ان انهت سابين كلامها

"انا آسفة جدا سابين .... اعلم انكِ غاضبة منى ... لكن انتِ تعرفين ظروفى ... لم أستطع ترك فارس يأتى الى هنا وحيدا .... انه يحتاجنى "

قالت كلمتها الأخيرة بصوتٍ يكاد يكون همسا .... وفى المقابل سمعت زفرة سابين الغاضبة ثم صوتها الاشد غضبا

"الى متى يا سما ... الى متى ستظلين جاريته "

قاطعتها سما بسرعة وبصوتٍ عالى للمرة الاولى

"لا تقولى هذه الكلمة سابين .... فارس يفعل كل ما يستطيع ليسعدنى "

قالت سابين بصوتٍ هازىء

"نعم بالتأكيد ... استطيع سماع السعادة فى صوتك .... كما استطيع تخمين مقدار ما تشعرين به من سعادة فى حبسك الانفرادى... "

أغمضت سما عينيها .... ليس الآن سابين .... ليس الآن .... لا تحبطيني الآن ... ليس بعد ان بدأت أشعر بالقليل من السعادة .... بعد سنواتٍ طويلة من الحرمان....

أخيرا تكلمت سما همسا بصوتٍ مجروح

" سابين ... كيف حال أمى "

ساد صمتٍ مطبق فى الجهة الاخرى حتى كادت ان تشعر به يخرق اذنيها .... ثم قالت سابين اخيرا بصوتٍ كالفحيح

"لقد حاولت الوصول اليكِ اليس كذلك... "

سكتت سما قليلا ثم تنهدت وهى تقول

"سابين ... أمى اخبرتي انها مريضة ... وهى تحتاج للرعاية و أنا ....أنا لا أستطيع المجىء حاليا "

سمعت ضحكة عالية ساخرة من سابين بينما تقول بشراسة

“مريضة ؟!!.... نعم بالتأكيد ... انها فقط تنتظر ان تأتى اليها و حينها ستمتص دمك قطرة قطرة “

حاولت سما الاعتراض الا ان سابين قاطعتها بحزمٍ وهى تقول

“ اتركى موضوع أمك الآن , انا استطيع ان اتكفل بها ..... لدى خبرا هاما جدا حبيبتى ..... أنا سأتزوج “

صرخت سما باندهاش

“ماذا ... كيف .... من ؟!!!!”

سمعت ضحكة سابين الناعمة و قبل أن تجاوبها هتفت سما مرة أخرى بصوتٍ اكثر انفعالا

“أنه أحمد مهران ... اليس كذلك ؟؟”

جاءها صوت سابين مندهشا بشدة

“كيف علمتِ ؟!!!....ايثار اخبرتكِ اليس كذلك “

الا ان سما ضحكت عاليا وهى لا تزال مصعوقة

“بالتأكيد لا ... هل تمزحين ؟!!..... لقد شعرت بالذبذبات العالية التيار بينكما .... بالكاد تستطيعان ابعاد يديكما عن بعض “

سمعت صوت سابين يأتى متوترا

“تأدبي سما....”

ظلت سما تضحك عاليا بينما سابين تحاول اخبارها بالتفاصيل و بأنهما سيحضران الزفاف هى و فارس الذى سيشهد على عقد القران مع أدهم....

كانت سما تضحك بسعادة من أجل سابين ... هل سيكتب لواحدة من نساء الراشد السعادة أخيرا.....

فجأة اجفلت بشدة حين فتح باب غرفتها بعنف و رأت فارس يدخل بنظراتٍ مشتعلة .... قال لها بعنف

"مع من تضحكين... "

نظرت سما اليه بدهشة ثم قالت بصوتٍ متوتر

"انها سابين.... "

ظهر عليه الارتباك لحظة الا انه عاد يقول بحنق

"انا انتظرك منذ وقتٍ طويل.. "

همست سما بسرعة و هى تدرك ان سابين بالتاكيد سمعته

"حاضر.... حاضر "

اعادت وضع الهاتف على اذنها وهى تهمس لسابين

"سابين سأكلمك فى وقتٍ آخر..... "

هتفت سابين بغضب

"سما لا تسمحى له ب....."

قاطعتها سما بسرعة تخشى ان يصل صوت سابين لفارس الذى بات ملتصقا بها ينظر ناحيتها بغضبٍ سينصب عليها لاحقا

"ليس الآن سابين .... اعدك سوف اكلمك مرة أخرى "

ثم اغلقت الهاتف بسرعة وهى تأخذ نفسا عميقا استعدادا للمواجهه ... التفتت الى فارس الذى ينظر اليها أمامه بقسوةٍ ثم قال بعنف

"هل اصبحت فجأة شديدة الأهمية .... كل الناس يريدونكِ بجوارهم ..... "

ظلت سما تنظر اليه لا تعلم سبب غضبه منها .... كل هذا لأنها كلمت سابين ؟!!.....الا انها قالت بهدوء

"انا آسفة ... اردت الاطمئنان عليها و على أمى "

لم تزل القسوة عن وجهه بعد الا ان غضبه بدأ فى التراجع ثم قال أخيرا

"هل تنازلت ايثار عن فكرة الاستيلاء عليكِ؟....."

نظرت اليه متعجبة من كلمة استيلاء .... انها امها ... حتى لو لم تكن أما مثالية الا انها أمها فى النهاية.....

لكنها قررت تغيير هذا الموضوع الذى يثير غضبه.... فقالت بهدوء

"سابين ستتزوج أحمد مهران ..... و سنذهب أنا و أنت لتشهد على العقد مع ادهم "

اخذت ملامحه تتبدل من دهشة الى استهجان الى سخرية و ازدراء ... كل أنواع المشاعر العدائية التى لا تحمل أى نوع من الفرحة الخالصة .... ولقد أغضبها هذا حقا منه ... اليس من حق سابين الفوز برجلٍ رائع ... اليست السعادة من حقها ككل الناس.....

ظلت تنظر اليه مجروحة من قسوته الموجهه لسابين الرائعة ..... ثم سمعته يقول بإستهزاء

" اذن فقد اوقعت ايثار بأحمد مهران و أدهم مهران .... حقا يتزايد إجابى بمقدرتها الفذة يوم بعد يوم "

كانت القسوة بدأت تزحف الى قلبها بعد أن تكلم عن أمها أمامها بهذا الشكل المهين .... كانت لتتهاون مثلما كانت تفعل سابقا .... لكن الآن بعد هذه الأيام الرائعة بينهما ... شعرت انهما متجهان لنقطة الصفر من جديد , فها هى نظرته المتوحشة تعود لعينيه من جديد ... بعد ان تركتهم جميعا لتتبعه الى هنا .... و هى التى لم تشبع شوقها إليهم بعد.....

غضبها جعلها تقول ببرود

"نسيت أن تذكر أنها أوقعت بك أيضا..... "

رأت برعب يده وهى ترتفع فظنت للحظة أنه سيضربها مثلما كان يفعل دائما .... الا أن دهشتها كانت عظيمة و هى تراه يغمض عينيه ويضم قبضته بينما يحاول أخذ أنفاس عميقة بطيئة و كأنه يحاول السيطرة على غضبه و تهدئة نفسه

أخيرا فتح عينيه وقال وهو يتنفس بصعوبة و يمد يده اليها

"لماذا نسمح لهم أن يسرقوا من وقتنا معا يا سما..... "

ذاب قلبها بسرعةٍ خرافية ورقت عيناها ..... وعادت الى محور كونها من جديد ... وهى تتسائل بداخلها ....نعم حقا لماذا؟....هل هى بمثل هذا الغباء؟.....!!

فارس حبيبها وعشقها المستحيل .... يقف مادا اليها يده ينتظرها , بينما هى تجادله بكل غباء ..... هل نسيت أياما كانت تستجدى منه كلمة واحدة ..... تهفو لرؤية ابتسامه حتى وان كانت لغيرها....

ابتسمت بعشقٍ يملأ قلوب المحبين جميعا ....ثم اقتربت منه خطوة و مدت يدها الصغيرة لكفه الممدودة التى أغلقت على يدها بقوةٍ ما أن شعرت بملمسها الناعم .....

جذبها اليه بقوةٍ فارتمت على صدره و هى تشعر بيديه تبدآن رحلتهما التى إعتادتها فى الأيام الأخيرة على ذراعيها و خصرها و أكتافها

لكنها لاحظت فجأة عبوسه و هو يتلمس أكتافها المكشوفة .... ثم انتقلت يديه الى ظهرها العارى حتى خصرها.....

عندها اتسعت عيناه بوحشية و هو يحرك أصابعه صعودا و نزولا على ظهرها و كأنه يريد التأكد أن ما يشعر به حقيقة.....

أخيرا همس بشراسة

"ماذا ترتدين؟...."

ابتلعت ريقها وقد دب الخوف بداخلها من جديد فقالت متلعثمة

" ثو.... ثوب ...سباحة "

عقد حاجبيه و قد بدت عليه الهمجية بينما أمسك بذراعيها بشدة و هو يهتف

"ثوب سباحة؟!!..... من أين جئتِ به ؟..... كنتِ تسبحين بملابسك الأيام الماضية.....هل ارتديتيه قبلاا ؟...."

سأل سؤاله الأخير وهو يكاد يصرخ كالمجنون فاجابته وهى ترتعش بينما تلعن هذه الخطوة المجنونة

" كان عندى منذ وقتٍ طويل .... الا اننى لم أرتديه يوما ... اقسم لك يا فارس "

أخذ يتنفس بغضب .....ثم قال أخيرا بحنق

"وكيف تجرأتِ ولبسته الآن ؟...."

قالت بارتجاف

"المكان هنا مهجورا نوعا ما فى هذا الوقت من العام ....."

عاد اليه غضبه و هو يهتف

"نوعا ما؟!!..... ما الذى أستطيع ان أفهمه من جملة " نوعا ما " هذه "

ظلت صامتة ترتجف بين ذراعيه .... وهى لا تعلم اى شيطان حثها على ارتداء مثل هذا الثوب ... فكرت انها قد تنجح فى اغرائه ما ان يأخذها بين ذراعيه بين الأمواج كما يفعل دائما ..... الا انها اثبتت سذاجة منقطعة النظير و قد فشلت خطة الإغراء تماما قبل حتى ان تبدأ....

حين شعر بارتجافها بين يديه راجع غضبه قليلا...الا انه لم يهدأ بعد ... لم يصدق اصابعه وهى تتجول على جسدها العارى .... جن جنونه حين تخيل ان احدا قد يراها بهذا المنظر ..... جن جنونه حين تخيل منظرها اصلا ..... لابد و انها تبدو رائعة كملمسها وكرائحتها.....

زفر بغضبٍ متخاذل ثم قال اخيرا بفظاظة

"بدلى ملابسك حالا.... "

ردت بصوتٍ هامس مرتعش

"حاضر... لن استغرق اكثر من لحظات"

انتظرت منه ان يتركها .. الا انه لم يتحرك من مكانه ... ظل متمسكا بها بين احضانه.....

راقبته و هو يبتسم تدريجيا و يشدد قليلا من احتضانه لها ثم قال لها بصوتٍ خافت

"هيا ماذا تنتظرين ؟.... لقد تأخرنا... "

رفعت حاجبيها محاولة الاستيعاب بعد ان اصابتها موجة من الغباء المفاجىء ..... ثم قالت اخيرا بمغزى لعله يفهم وحده

"حسنا....."

ظل واقفا مكانه لا يتحرك ولا تغادر الابتسامة شفتيه ... ثم قال بعد لحظاتٍ

"انتِ لا تتحركين سما....."

افلتت منها ضحكة صغيرة لم تستطع السيطرة عليها فما كان منه الا ان اتبعها بضحكةٍ مماثلة منه

ظلا واقفين لا يتحركان ... بينما قلبيهما يضربان بعضهما البعض بعنف .... ثم همس اخيرا و هو يبتعد عنها قليلا

"هيا سما....."

همست وهى تكاد تموت خجلا

"لا أستطيع.... "

اقترب من اذنها وهو يهمس "سما ...لا أستطيع ان اراكِ "

نظرت الى عينيه التى تلمع بشدة تكاد ان تلتهمها اكثر من أى مبصر فى العالم .....ثم همست أخيرا مبتسمة

"حسنا اذن ..... لكن ابتعد الى نهاية الغرفة "

اتسعت ابتسامته و هو يهمس

"قاسية..... "

الا انه اخذ يبتعد بظهره الى ان ارتطم بجدار الغرفة فاستند عليه بظهره و كتف ذراعيه وهو يراقبها مبتسما .....

ظلت تنظر اليه مبتسمة.....ثم اخذت تنزل حمالتى الثوب .... تشعر بخجلٍ لم تشعر بمثله فى حياتها كلها .....

.....

....

ها قد أصبحت زوجته .....نظرت اليه و نظر اليها ..... بعد لحظاتٍ من عقد القران و قد غاب عنهما كل من حولهم

تم عقد قرانهما فى قصر ادهم مهران بناءا على طلبه .... ولم يحضر الا هو وحلا وفارس وسما .... وتالا الصغيرة بالطبع التى بدت و كأنها قبضت على نجمة من نجوم السماء فاخذت تقفز مبتهجة بين الحين و الآخر .. لا تصدق ان الساحرة الخيالية قد خرجت من كتاب الحكايات و ستقيم عندهم ....وستكون لها.. تلعب معها كما تشاء...

اقتربت سما من سابين وهى تكاد تقفز من السعادة ثم تعلقت بعنقها وهى تقبلها .....ابتسمت سابين حين لاحظت ان سما و تالا تحملان نفس الانفعال الطفولى و هما الوحيدتان اللتان تظهر عليهما مظاهر السعادة ..... بينما تسود حالة الوجوم الشديد على جميع الحاضرين ...الا انها لم تهتم....

يكفيها فقط انها اصبحت زوجته ..... عادت لتنظر اليه فوجدت عيناه مثبتتان عليها بدون ان يبدو اى تعبير على وجهه.....

لقد اهتمت كثيرا بمظهرها بالرغم من قلة عدد الحاضرين ....فصففت شعرها على هيئة ضفيرة معقدة رائعة تنساب على كتفٍ واحدة وخصلة ناعمة منسابة على جانب وجهها....

وكانت ترتدى ثوبا غاية فى الروعة ... منسابا على جسدها الطويل بنعومة ...ذو لونٍ ازرق داكن لامع يجعلها تبدو كحجرٍكريمٍ نادر الجمال.....

لاحظته يقترب منها ببطء فاخذ قلبها ينتفض بشعورٍ غريبٍ عليها .....ظلت نظراتهما مثبتتان ببعضهما حتى

وصل اليها ....فرفعت رأسها تنظر اليه و قد انفرجت شفتيها مخرجة نفسٍ ساخن ناعم.....

اقترب وجهه منها ثم مد يديه القويتين ليمسك بوجهها ..... ثم انحنى ليطبع قبلة دافئة على جبهتها .... اغمضت عينيها و آهٍ صغيرة تخرج من فمها لم يسمعها الا هو فابتسم برجولة ٍ تقطع الأنفاس.....

نظرت اليه بعينيها الناعستين كعيني قطة مدللة و هى تفكر .....ان كان هذا هو مذاق قبلته على جبهتى ... فكيف هو مذاق قبلته الحقيقية ..... ارتعش جسدها عند هذه النقطة فأسبلت رموشها مبتسمة بسحر ٍ يأسر الحجر.....

"أبى هذا يكفى .....انه دورى .. اريد ان أرى العروس ....."

انطلقت هذه الجملة من شفتى تالا الصغيرة التى أخذت تقفز وتصفق بانفعالٍ لم تستطع السيطرة عليه .....

ابتعد احمد مبتسما بحنانٍ كاد ان يذيب سابين من روعة ابتسامته .....ثم استدار الى تالا و انحنى ليحملها بين ذراعيه ليصبح وجهها مقابلا لوجه سابين.....

اخذت تالا تلامس ضفيرة سابين بانبهار طفولى.....بينما تظاهرت سابين بالعبوس وهى تقول

"اهلا بالمخادعة الصغيرة.... "

ضحكت تالا باحراج وهى تقول

"لم استطع ان اتوقف .... كنت اريد ان اعلم ماذا ستقولين عن ابى دون ان يعلم.... "

ابتسمت سابين وهى تنظر الى احمد الذى عقد حاجبيه مندهشا .....ثم قالت

"وهل أخبرته ؟....."

ضحكت تالا بمرحٍ وهى تقول

"لا .... سيكون هذا سرنا الخاص "

قال احمد متعجبا

"هل تعرفان بعضكما..... "

ردت سابين باغراء قاتل

"بالتأكيد ..... هل لازلتِ تحبين الأشرار تالا ؟...."

أومأت تالا بسرعة وهى مبتسمة ثم قالت

"نعم .... لذلك اشعر اننى سأحبك جدا.... "

قال احمد بحزم

"تالا ... لا يصح ما قلتهِ لسابين ....اعتذرى لها "

لم تفقد تالا ابتسامتها بينما ردت سابين بصوتها الناقوسي

"لا داعى للاعتذار انه سر خاص بيننا .... نحن فقط نفهمه "

نظر احمد اليها متعجبا لا يصدق انها سابين الوقحة ...واخذ يتسائل بقلق

ما الذى اقحمت تالا بهِ؟.....

استدارت سابين حين شعرت بلمسة ناعمة على ذراعها ....نظرت بصمتٍ الى حلا الواقفة أمامها لا تعلم ماذا يمكنها ان تقول فى ظرفِ مماثل.....

أعفتها سابين من وقفتها التى لا تعنى شيئا و هى تقول ببرود

"الن تهنئينى يا حلا..... "

أومأت حلا برأسها .... استنتجت منها سابين انها تهنئة من نوعٍ ما ....ثم عادت حلا مسرعة الى ذراع ادهم الممدودة لتندس فى حضنه الدافىء.....

فجأة انبعث لحن ناعم للغاية من ركنٍ من اركان القصر فنظرت سابين مستفسرة .....لتجد سما تنظر اليها مشجعة .....عبست سابين مؤنبة لسما .....ثم شعرت فجأة بيدٍ رجولية تلمس ظهرها , فانتفضت مستديرة لتجد احمد ينظر اليها نظرة ذوبتها .... وهويقول

" هيا لنرقص.. "

لم تشعر بنفسها و هو يسحبها بين ذراعيه بدفء قاتل ... وقد اخذ جسداهما يتمايلان فوق السحاب

همست سابين

"اظن انك اخبرتنى مرة .... انك لا ترقص "

همس باذنها

"لم تكونى زوجتي وقتها... "

همست بدلال

"لكنك راقصتنى يومها....."

رد عليها بصوتٍ أجش

"لم يكن ذلك رقصا....."

ثم شعرت بيديه تتحركان بنعومةٍ على خصرها وهو يجذبها اليه اكثر بينما ارتفعت ذراعاها لتعقدهما خلف عنقه وهى تريح وجهها على كتفه ..... ثم همست

"نعم ... لم يكن رقصا "

ظلا يتمايلان و قد ضاعت الدنيا من حولهما و اختفت النظرات الفضولية و لم يبقى الا هما .....و الالحان الناعمة.....

كان الوقت متأخرا حين أوصلها الى بناية شقتها الصغيرة ....فاوقف السيارة و التفت اليها و هو ينظر اليها فى الظلام الذى لا ينيره الا ضوء القمر .... وضوء عيونها المشتعلة....

تاهت نبضاتها منها و هى تنظر الى قوته الرائعة و عينيه التى تأسر عينيها بصمتِ هدد باحراقهما....

حررت عينيها من أسر عينيه لتلتفت قليلا الى المقعد الخلفى والذى استلقت تالا عليه ثم همست

"لقد نامت تالا..... "

لم يجبها ...ظل فقط ينظر الى جمالها الرائع الذى لا مثيل له .....ثم مد يده فجأة ليقبض على ذقنها بينما هبط بوجهه على وجهها كالصقر الذى ينقض على فريسته.....

شعرت بدوارٍ وردى دوخها فى دوامته .... نعم ... هذا ما تخيلته ... الا انه اروع .... اروع بكثير

ظل يقبلها ويقبلها وهو يشعر بالجنون من تجاوبها الخجول.....

رفع رأسه اخيرا وهويتنفس بصعوبة .... ثم استطاع ان يهمس

" سأنتظر زفافنا بصعوبة.... "

همست بسحر

"و انا ايضا... "

اقترب منها مرة أخرى ....الا انها وضعت اصبعها بنعومة على شفتيه لتهمس

"قد تستيقظ تالا ...اراك غدا "

ثم فتحت الباب قبل ان تفقد القدرة على الخروج الى الأبد ... وهربت مبتعدة تطرق الارض بنغمة كعبيها العاليين

ظل ينظر الى طيفها المتمايل المبتعد الى ان اختفت تماما ..... حينها ... تلبدت ملامحه ثم ضرب المقود بقبضته بشدة و هو يشتم ...الا انه سكت تماما حين شعر بتالا تنتفض وهى نائمة .....

الفصل الثالث عشر

كانت تشعر بأنفاسه الدافئة على وجهها .. تستنشق رائحته الرجولية الرائعة .. شعرت بلمسات أصابعه على وجنتيها ...وهو يقترب بوجهه من وجهها ببطء ثم....

أيقظها صوت رنين هاتفها لتفتح عينيها بحنق و هى تلعن من ايقظها من هذا الحلم الرائع .... الا أنها ما أن رأت الإسم الفذ أمامها حتى هبت جالسة فى فراشها وهى تلتقط نفسا عميقا ... ثم أجابت بصوتٍ يكاد يسحر قلوب أعتى الرجال ببحته المميزة

"نعم"...

اجابها بصوته العميق النبرات دون مقدمات

"أمامك عشر دقائق و سأكون تحت بنايتك لأقلك معى".....

هتفت بجذل

"عشر دقائق ؟!!!..... أنت تمزح"

رد عليها بحزم

"عشر دقائق سابين ..... ثم أصعد لآخذك كما أنتِ "....

ضحكت بإغراء وهى تقول

"وقتها ستثير فضيحة فى العمل .....فقد أكون لا أزال ملتفة بالمنشفة"

شعرت بالسعادة العابثة وهى تسمع صدى أنفاسه المتحشرجة و التى وصلت سخونتها اليها عبر الهاتف .....ثم رد عليها أخيرا بصوتٍ أجش

"عشر دقائق سابين"....

ثم أغلق الخط دون أى كلمة أخرى ....ففقزت سابين من فراشها فى لحظة واحدة لتتسابق مع الزمن ... بينما الابتسامة العابثة الواسعة تغطى شفتيها الجميلتين .....

بعد عشر دقائق تماما سمعت رنين هاتفها لينبئها عن وصوله فالتقطت حقيبتها و حذائها و انطلقت تجرى .....

أخذ ينظر اليها و هى قادمة نحوه وهى تقفز على قدمٍ واحده بينما تعدل حذاءها العالى الكعب فى قدمها الأخرى .....ما أجمل رشاقتها ...وقوامها ...إن ساقيها تذكرانه بساقى البيانو الموجود فى بيته..... وابتسامتها ..... ها هى تنظر اليه الآن ...و تبتسم ابتسامة قد تسحر قديس من روعتها.....

اخذ يراقبها تقترب منه بعد ان اعتدلت و هى تسير بطريقة عارضات الازياء ... بل و افضل منهن ايضا .... ليس من العدل ان تمتلك امراءة واحدة كل هذا القدر من السحر .....من حقها اذن ان تكون بكل هذا القدر من الأذى.....

كتم أفكاره حين فتحت الباب و جلست برشاقة بجواره ..... التقت عيناها بعينيه حاملة معها كل قدر الإغواء الذى تستطيعه .....ابتسمت و هى تشعر ببدء اقترابه منها فأغلقت عينيها مترقبة و هى ترفع رأسها قليلا لأعلى.....

"لقد اشتقت اليكِ جدا".....

انطلقت هذه الجملة من خلفها فا نتفضت سابين شاهقة بصدمة فى نفس اللحظة التى قفزت فيها تالا مظهرة نفسها بعد ان كانت مختبئة.....

رمشت سابين عدة مرات تستوعب وجود تالا معه ....بينما كان احمد يراقبها مبتسما باستفزاز ثم قال اخيرا حين لم ترد سابين على تالا

"لقد اصرت تالا على تمضية اليوم كله معكِ فى العمل .... انها متحمسة للغاية"

لحظة ... لحظة ... ماذا ؟!!!! .... من سيمضى اليوم مع من ؟!!!.....لا.... لا .... بالـتأكيد لن يحدث .... انها لا تتحمل ان تكمل كلمتين مع اى طفل فكيف بقضاء يومٍ كامل معه .... وفى العمل أيضا ؟.....!!!

ظلت سابين صامتة تحاول التظاهر بالابتسام .... بينما هى بداخلها تغلى غضبا منه ..... انه اول يوم بعد عقد قرانهما ... كيف يفكر ؟!!!!

ابتسم بخبث ثم ادار وجهه لينطلق بالسيارة ..... بينما هى تتميز غيظا ..... و شوقا.....

تنهدت سما بعمق .... مغمضة عينيها ,جاثية على ركبتيها بينما تمسح برأسها على حجر ايثار والتى اخذت تمسد شعر سما بنعومة ....تنهدت سما مرة أخرى ثم همست

"لقد اشتقت اليكِ يا أمى ..... اشتقت اليكِ جدا"

ابتسمت ايثار بسحرٍ رائع و هى تقول بدلال

"نعم اشتقتِ الي .... و الدليل انكِ منذ عدتِ لم تأتي لزيارتي الا الآن وبعد ان طلبت انا منكِ"

اخذت سما تطبع قبلاتٍ حانية على ركبتي ايثار ... ثم همست بحزن

"انا آسفة ..... آسفة جدا أمى ..... كانت ظروفى .....صعبة قليلا"

قالت ايثار بصوتٍ اودعت به كل حزنها

"كنتِ دائما اكثر بناتى عطفا علي ..... الا انكِ تغيرتي منذ ان تزوجتِ من فارس"

ارتبكت سما ثم قالت وهى تهمس بحزنٍ عميق

"انتِ تعرفين ظروف فارس يا امى ..... انه يحتاج الى كل ما يمكننى من رعاية"

ثم تابعت بهمسٍ فيه ظل عتاب خجول

"لم تهاتفيني مرة واحدة أمى ..... كنت فى امس الحاجة اليكِ ... حاولت مكالمتك لكنك"....

صمتت و قد اختنق صوتها بدموعها التى بدأت تترقرق فى عينيها ..... قالت ايثار بصوتٍ هامس

"هل كبرتِ يا سما و اصبحتِ تحاسبيننى"....

اغمضت سما عينيها بعد ان سقطت منهما دمعة وحيدة على وجنتها ... وهى تحاول نسيان ايام كانت تظل ليلتها ساهرة تبكي من قسوة حبيبها عليها .... من وحدتها .... من غربتها .... و كانت وقتها فقط تهفو لكلمة من أمها .. او حتى ان تسمع صوتها حتى لا تشعر بمثل ما كانت تشعر به ..... لطالما كانت سابين هى القلب الذى تلجأ اليه دائما لكنها لم تستطع ابدا ان تستفيض فى اخبارها بما يحدث لها لمعرفتها بشدة سابين و بأنها لن تسكت على ما يصيبها فتبدأ باشعال الحرب على فارس ووالده الذى كان قادرا على سحق سابين لو عارضت مخططاته .... الوحيدة التى كانت تعلم هى امها .... وكانت تنتظرها يوما بعد يوم ليرق قلبها و تأتى اليها فى منفاها البعيد لتؤنس وحدتها .... كانت بحاجة اليها بشدة ...لكنها لم تأتِ ابدا ..... وقد كسر هذا قلبها كما كسره فارس مرارا.....

لكنها الآن ما أن ارتمت فى حضن أمها حتى شعرت بأنها قد نسيت كل آلامها و أحزانها....

استمرت ايثار فى مداعبة شعر سما ثم قالت بصوتٍ خافت

"ان فارس يمنعك من رؤيتى اليس كذلك ؟"....

اسرعت سما بالنفى سريعا و هى لا تعلم انها لا تستطيع الكذب ابدا ..... فابتسمت ايثار برقة وهى تقول

"هل يعلم انكِ هنا الآن ؟".....

رمشت سما بعينيها ..كما تفعل عندما تكذب دائما ....فابتسمت ايثار اكثر وقالت

"هذا ما كنت اظنه".....

ارتبكت سما ثم قالت وهى تنظر الى ايثار

"انه لا يقصدك انتِ شخصيا .... لكنه لا يجعلنى اختلط بالناس كثيرا"

اتسعت ابتسامة ايثار و لمعت عيناها بشدة كالنجوم و هى تهمس بشرود

"يبدو انه متعلق بكِ بشدة"....

لم ترد سما بينما شردت هى الاخرى بعيدا .... بعيدا عند حبيبها .... هل حقا هو متعلق بها بشدة .... هل باتت مهمة لديه ام انه مجرد امتلاك ..... هل يحتاجها هى ام يحتاج رعايتها.....

ظلت عيناها الجميلتان شاردتان بعيدا وهى لا ترى الابتسامة الظافرة لايثار التى تراقبها دون ان يفوتها اى تعبير خرج من قلب سما الصغيرة ....لطالما كنتِ المفضلة لدى يا سما .... لم اشعر ناحية حلا و سابين بما

اشعر به ناحيتك ..... و بالتاكيد انتِ من ستنقذنى حبيبتى.....

ارتفع رنين هاتف سما لتنتفض من شرودها حين طالعها اسم فارس فارتجفت بشدة و هى تعلم عمق المصيبة التى ستلقى عليها ....ابتلعت ريقها ثم ردت عليه بهمسٍ

"ن...نعم فارس"...

صرخ فيها من الجانب الآخر

"اين انت؟".....

ارتجفت سما بشدة و قالت متلعثمة

"أ...أنا ....ك...كنت"....

قاطعها صوت صراخه من جديد ليهز الهاتف فى يدها بذبذباته

"انتِ عندها اليس كذلك ؟..... اجيبينى عليكِ اللعنة .... ذهبتِ دون ان آذن لكِ ....خرجتِ دون ان اعلم ....حسابك سيكون عسيرا يا سما"...

كانت دموعها قد بدأت فى رسم خطوطا بيضاء على وجهها و اخذت ترتعش بشدة و هى غافلة عن ايثار التى تراقبها بصمت هازىء

حاولت سما الكلام وهى تهمس

"فارس لم يحدث".....

قاطعها كالمجنون دون ان يعطيها فرصة للكلام

"اصمتى ... دقائق و اجدك امامى ...هل تفهمين"....

هدأت سما تماما و صمتت للحظاتٍ بينما جفت عيناها تماما ثم اخذت نفسا عميق و قد بدأت تحس باحساس

غريب يسري فى عروقها ليبعث سخونة فى اعصابها .... دفعتها هذه السخونة الى القول بمنتهى الهدوء

"سأبقى ... فارس"

ساد صمتا قاتلا فى الجهه المقابلة و لم تسمع الا انفاسا هادرة تكاد تحرق اذنيها .... ثم بعد عدة لحظات سمعت صوته يأتى منذرا بهبوب عاصفة هوجاء

"ماذا قلتِ ؟.....لم أسمعك جيدا"....

ردت بمنتهى الهدوء

"قلت اننى سأبقى فارس .... أمى تحتاجنى الآن و سأعود بعد ان انتهى من مساعدتها"

ساد نفس الصمت القاتل للحظات ثم همس فجأة

"اذا لم تأتِ حالا فلا تزعجى نفسك و تأتِ ابدا".....

صمتت هى و صمت هو ..... بعد ان القى قنبلته و التى اصابتها فى مقتل و لم تتحدث الا انفاسهما المصدومة

تمكنت اخيرا من النطق همسا

"حسنا اذن .... ان كان هذا هو قرارك"

لم يجبها .... لم يستطع .... لم يستطع ان يصدق انها سما التى تكلمت الآن ..... مالذى حدث ؟.... كيف استطاعت ان تنطقها ... ولما الآن ؟....

سنين وهو يجرحها و يدفعها دفعا لتركه ... الا انها كانت تقاتل بشراسة لتبقى بجواره مهما فعل .....فما الذى حدث الآن ؟؟.....من اول مرة ترى فيها ايثار .... تنقلب عليه لتتخلى عنه بمنتهى البساطة....

نعم ... نعم .... ما كان يخاف منه قد حدث ... وها هى سما تتسرب من بين اصابعه .... بعد ان كانت تتشبث به كأمٍ تأبى التخلي عن طفلها.....

اغلق الهاتف دون ان ينطق بكلمة ثم اغمض عينيه و هو يشعر لأول مرة بألمٍ كاسر ينهش اعماقه .... الما فاق الالم الذى شعر به حين فقد بصره ... و الذى شعر به حين فقد حبيبته .... و اى الم شعر به يوما ما

فالتى فقدها الان هى..... سما.....

سقط الهاتف من يد سما وهى لا تشعر بنفسها الا وقد بدأت تشهق بعذابٍ لا يمكن وصفه .... اخذت تبكي وتبكي حتى سحبتها ايثار الى احضانها الناعمة و هى تمسد شعرها .... ثم همست فى اذنها

"لا تقلقى ...سيأتى اليكِ حبيبتى ... لن يستطيع الاستغناء عنكِ ..ومن ذا الذى يستطيع تركك ؟.....سيأتى بعد ان يكون عرف قيمتك فى حياته .....وحينها.....وحينها تستطيعين املاء شروطك"

الا ان سما لم تكن تسمع شيء الا صوت بكائها بعد ان انهارت فى احضان امها

.....

.....

.....

اخذت حلا تتسلل على اطراف اصابعها حتى وصلت الى السيدة اسراء و التى لم تشعر بوجودها بعد , الا حين شعرت بذراعين تلتفان حول اكتافها من الخلف و قبلة ناعمة انطبعت على وجنتها وصوت حلا الرقيق يهمس

"صباح الخير سيدة اسراء"

ابتسمت السيدة اسراء ابتسامة صارمة يتخللها بعض الحنان ثم قالت

"صباح الخير سيدتى"...

ابتسمت حلا و هى تلف حولها لتواجهها ثم قالت بصوتها الرقيق

"لقد قلت لكِ سيدة اسراء الف مرة لا احب كلمة سيدتى هذه ابدا .....انا حلا ...حلا فقط"

عبست السيدة اسراء بعدم اقتناع و هى تقول

"هذا لا يليق ابدا سيدتى"....

تنهدت حلا بيأس من هذه السيدة التى اختارها ادهم لحمايتها .... لا تعلم من ماذا تحديدا ... فهى الآن تشعر بأنها فى احسن حالة ...لا ينقصها شىء ابدا .... تستطيع النسيان ..... بل ستعمل جاهدة على ان تنسى.....

لكن اولا يجب عليها ان تجد طريقة للتعامل مع السجن الذى فرضه عليها ادهم .... و اول اركانه هو السيدة اسراء التى تعمل على استمالتها اليها منذ عدة ايام لكن باستجابة ضئيلة جدا من السيدة اسراء التى لا تعرف التهاون ابدا ..... اذن سيكون عليها التحايل ... ابتسمت بحزنٍ بداخلها .....وهى تتذكر اياما بعيدة جدا ... جدا .... كان التحايل هو لعبتها المفضلة ..... حين كانت تتحايل على سابين و تجعلها تركض ورائها فى اروقة هذا القصر و هى تصرخ من شدة غيظها .... حتى يأتى هو ..... لينقذها من مخالب سابين المتوحشة ....كان يكلم سابين دائما بلهجةٍ جافة و هو يخبرها انها هى الاكبر سننا فيجب عليها الا تخيفها بهذا الشكل .....

تذكرت مرة حين انصرفت سابين من أمامه بغضبٍ تضرب الارض بقدميها و هى تشتم بلسانها السليط .. وما ان اختفت حتى حاولت حلا الجرى هاربة من الوحش الضخم الذى يرهبها بالرغم من دفاعه عنها دائما .... الا انها شعرت به يمسكها فجأة ليرفعها عاليا حتى اصبحت عيناها تواجه عينيه .... اصابها الرعب و اخذت تتلوى لتنزل الا انه امسكها باحكام و هو ينظر اليها عاقدا حاجبيه ثم قال بقسوةٍ

"الن تكفى عن مقالبك ....." ظلت صامته مرعوبة منه بينما تابع هو بنفس القسوة "انا اعلم انكِ عبثتِ باشيائى الخاصة امس"

لا تزال تتذكر كيف اصابها الرعب وقتها و هى تواجهه العينين الرماديتين القاسيتين ..... عادت الى لحظاتها الحالية الى نفس العينين الرماديتين التى لازالت ترهبها لكن..... لكن ..... لكنها رهبة مختلفة .....اصبحتا قادرتين على اشعال النار بداخلها لتسيل دمائها كحممٍ بركانية داخل عروقها .... احمر وجهها بشدة حين تذكرت ليلتهما السابقة معا.....

عادت الى السيدة اسراء نافضة سطوته الحديثة على عقلها .....ثم ابتسمت بسحرٍ و قالت برقة

"ماذا تفعلين سيدة اسراء؟".....

اجابتها بأدب

"اسجل ما نحتاج اليه , و احدد مهمات زينب و أمل وهدى لأوزعها عليهم .. بينما ارى ما لم يتم انجازه بالامس لاعيد اضافته الى اعمال اليوم"....

كادت حلا ان تتثاءب الا انها منعت نفسها فى آخر لحظة و هى تحاول التظاهر بالاهتمام مومئة برأسها

....وحين انتهت السيدة اسراء من سردها الطويل .....
نظرت الى حلا من فوق نظارتها بتركيز ثم قالت بحزم

"انتِ لم تستمعى لأي شيء مما قلته اليس كذلك ؟....
حسنا سيدة حلا انتِ تردين قول شيئا ما فما هو ؟"...

ابتسمت حلا بدلالِ مقصود وهى تحاول استرجاع
سحرها القديم وهى تقول باحراج

"آآآ.... أريد النزول الى الحديقة قليلا"...

أومأت السيدة اسراء برأسها وهى تقول بينما تجمع
اوراقها

"حالا سيدتى"....

قالت حلا بسرعة وهى تحاول السيطرة على نفسها

"لا داعى لأن تتركى ما بيدك سيدة اسراء .... لن يحدث
ما يسيء ثانية ... أعدك"...

لكن حين رأت علامات الرفض التى بدأت فى الظهور
على وجه السيدة اسراء المتصلب قالت بسرعة و هى
تجلس على الكرسي المقابل لها

"سيدة اسراء ... انا اعلم ان لديكِ ابنة متزوجة من
سنى .... ماذا سيكون شعورك حين ترين ابنتك مسجونة
مثلي بهذا الشكل"...

تجهمت السيدة اسراء قليلا ثم قالت بتذمر بعد
لحظات

"انتِ لستِ مسجونة .... السيد ادهم قلق عليكِ
فحسب"...

حاولت حلا الابتسام الا ان ابتسامتها جاءت مرتجفة
بينما قلبها يصرخ عاليا من القلق وهى تقول بتلعثم

"هل ... اخبر...هل قال لكِ ...اى"...

قاطعتها السيدة اسراء قبل ان تكمل

"لم يقل سوى انه يخاف عليكِ بشدة"...

ابتسمت حلا بضعف و هى تفكر فى هذا الوحش الرقيق الذى يأبى ان يطلق سراحها .... اصبحت الآن فى الخامسة و العشرين و سيظل هو كظلها دائما .... حتى دون ان يكون موجودا.....

همست حلا اخيرا بضعفِ يمس القلب

"انت لن تدعيننى اخرج وحدى ابدا اليس كذلك ؟".....

تنهدت السيدة اسراء ثم قالت باستسلام

"اسبقينى انتِ .... حتى اذهب لاحضار الافطار للسيد فارس ..و الاطمئنان عليه كما طلبت منى السيدة سما قبل ان تغادر..... فهو لم يتوقف عن ركل الجدران منذ الصباح الباكر"

ابتسمت حلا بسعادة مشرقة للمرة الاولى منذ ان عرفتها السيدة اسراء ...ثم قامت من مكانها بسرعة لتطبع قبلة ثانية على وجنتها و ابتعدت تكاد تجرى الى الحديقة بسعادة جعلت السيدة اسراء تعبس و هى تتسائل ... هل رفقتها مملة الى هذا الحد.....

لكن بعد لحظة من عودتها لاوراقها رفعت رأسها و هى تفكر ..... لماذا لا أشعر بالارتياح ..... اشعر ان اعصارا على وشكِ الهبوب مطيحا بالاخضر و اليابس .....وانا قلبى لم يخذلنى من قبل ابدا.....

.....

.....

.....

اقتربت منه ببطء و هى تكاد تضحك من منظره و هو يرقص نفس رقصته الغبية .... مغمضا عينيه واضعا السماعات باذنيه ,منعزلا عن العالم كله .... لكنها الآن وهى قربه انه لا يرقص فقط بل يغنى اغنية غربية ... بصوتٍ اقل ما يقال عنه ..... انه الصوت الاكثر نشازا من بين الاصوات....

ظلت واقفة خلفه تضحك و هو يروى الجزء الذى يقف فيه بالخرطوم و هويراقصه فى نفس الوقت .... ثم فجأة دار دورة سريعة و هو لا يزال يرقص مغمضا عينيه فاغرقتها المياه الباردة جاعلة اياها تشهق بصدمة عالية من برودة الماء ....فقفزت يمينا و يسارا لتتفادى الماء وهى تصرخ به ان يتوقف الى علا صوتها عن صوت الانغام الصاخبة فى اذنيه ..ففتح عينيه و احتاج لحظة ليستوعب ما فعله ..فترك الخرطوم على الفور و ازاح السماعات عن اذنيه ... وظل واقفا امامها لحظة لا يدرى ماذا يقول .... حتى انفجرت ضاحكة فجأة و هى تمسح الماء عن عينيها ....ابتسم من ضحكتها الرائعة وظل لحظاتٍ قليلة مستمتعا بهذه الضحكة الناعمة .... ثم قال اخيرا

"صباح الخير يا حلا"....

توقف عن الضحك ببطء و هى لاتزال تشهق ثم تمكنت اخيرا من القول بعبوسٍ زائف

"صباح الخير يا هلال .... على فكرة انت احمق"!!

اتسعت ابتسامته ثم قال بسعادة

"انا اعتذر حقا ... لم اشعر بوجودك"

ابتسمت برقة تذيب القلب ثم قالت بهدوء

"هلال ... اردت ان اخبرك بشىء منذ فترة طويلة ..... انت ترقص بشكلٍ فاشل"

ضحك بخفة وهو يقول "اعلم هذا ..... انا لست اعد نفسي لمسابقة رقص"

قالت تبتسم "اذن لماذا ترقص ؟".....

اجابها بهدوء "لاننى احب ذلك"....

قالت حلا "وهل تفعل كل ما تحب دون ان تهتم باحد ؟".....

اجابها بخفة "ولما اهتم باى احد ؟.....المهم ان افعل ما يرضيني"

خفضت عينيها تشعر بقرب دموعٍ آ تيه من اعماقها ... الا انها هزت رأسها قليلا و هى تهمس بداخلها

....سأنسى ...سأنسى ... حياتى رائعة و مكتملة .....

سأنسى ....سأنسى

راقبها وهو يشعر بتصارع غريبٍ للانفعالت على وجهها البرىء الذى لا يخفى شيئا مما بداخلها .....و لا يدرى لماذا يشعر بشعورٍ غريب يتملكه ... يريد ان يستحثها لتصرخ .... فقط ان تصرخ بصوتٍ عالى ....يشعر انها ستكون بخير ان فعلت هذا ..... لا يعلم لما يخبره احساسه بهذا.....

ظل ينظر الى شعرها الطويل المتطاير حولها بهمجية متناثرا فى كل مكان ..... يا الهى ما اجمله انه يلمع كالذهب رائحته الناعمة تصل الى انفه لتداعب قلبه .....

قال لها فجاة دون مقدمات "ماهو لون عينيكِ حقا ؟.....عسليتان ام خضراوان"

ارتفعت عينيها المتسعتين بدهشة اليه و هى لا تعلم ان كان من المناسب ان يسال مثل هذا السؤال ..... الا

انها شعرت بداخلها انه يبدو شخصا لطيفا لا ضرر منه .....ظلت صامتة مترددة ... فقال هو بعد لحظات

"انهما مزيجٍ غريب بين اللونين ... لكن يتغير تمازجهما بتغير ما تشعرين به"

ظلت تنظر اليه فاغرة فمها قليلا .. ثم رمشت بعينيها و هى تقول محاولة تغيير مجرى الحديث بينما هى ترتجف قليلا

"لقد اخبرتني ان بامكانى زراعة ورودي الخاصة"....

لمعت عينيه لحظة ثم قال "بالتاكيد تستطيعين ..... لكن اولا اذهبي لتغيير ملابسك المبتلة ....لا نريد ان تصابي بنوبة رئوية"

نظرت الى نفسها فذعرت من منظر ملابسها الملتصقة بها فاستدارت بسرعة لتجري و هى تقول

"لحظاتٍ و اعود لن اتاخر"....

و انطلقت عائدة الى القصر و هى تتسابق مع الوقت لتعود الى حوض الورود الذى يكون لها فيه وردة باسمها قريبا....

كانت تنزل درجات السلم بسرعة لتعود الى الحديقة بعد ان بدلت ملابسها .... لكنها اصطدمت بالسيدة اسراء فى طريقها ....فحاولت الكلام الا ان السيدة اسراء سبقتها الى الكلام وملامح القلق تبدو عليها

"السيد فارس .... فى حالة فظيعة لقد حطم كل ما بغرفته ...انه يبدوعلى وشكِ ارتكاب عملا متهورا"....

لم تكد تكمل كلامها حتى وصلت الى اسماعهما صوت لعناتٍ و صراخ ... رفعت حلا و السيدة اسراء انظارهما الى اعلى السلم ليجدا فارس يحاول نزول السلم وهو فى حالة من الهمجية و الوحشية مما جعل منظره مرعبا

بملابسه المشعثة و لحيته النامية اكثر من المعتاد و عيناه الحمراوان المتسعتان بوحشية تطل منهما ... نزل عدة درجاتٍ بتعثر فسارعت السيدة اسراء الى الصعود مرة اخرى حتى وصلت اليه لتحاول مساعدته الا انه دفعها حتى اوشكت على الوقوع ..... بينما هو يصرخ

"سأذهب لآتى بها ..... حتى لو اضطررت لأن اجرها من شعرها"

تمكن من نزول درجات السلم مرورا بحلا التى ما ان اقترب منها و هو بحالته الشرسة حتى صرخت مبتعدة عن طريقه دون ان تحاول مساعدته....

لكنها استطاعت القفز جريا الى غرفتها لتتناول هاتفها و طلبت ادهم باصابعٍ ترتجف و ما ان اجابها حتى استطاعت بالكاد النطق ببعض الكلمات المتعثرة و هى ترتجف بشدة من الرعب الذى حاق بها منذ لحظات و تحاول فى نفس الوقت التقاط انفاسها بصعوبة و هى تشعر بالدوار يحيط بها و يجمع سحابة سوداء على ادراكها .....لكنها استطاعت سماع صوته الصارم و هو يتخلل الضباب المحيط بها..

"حلا .... حلا ....استمعى الي جيدا .. حاولى اخذ نفسا عميق حالا ... لا داعى للذعر حبيبتى ... انا تحركت منذ ان تكلمتِ لحظات و سأكون عندك .... فقط خذى نفسا عميقا ببطء ....و لاتتحركى من مكانك ...ابقى مكانك يا حلا هل تسمعيننى حبيبتى"...

ظلت ترتجف بشدة و هى تهمس بغير وعى

"سيقتلها... ستقفز من النافذة ... لو"...

وصل اليها صوت ادهم و قد بدأ يعلو محاولا اقتحام الحواجز التى تبنيها بسرعة على حواف ادراكها

"حلا ... لا تخافى حبيبتى انا هاتفت حارس المدخل الآن و سيمنعه من الخروج الى اى مكان ..... خذى نفسا آخر و ابقي معى على الخط حتى اصل اليكم"...

استمرت المكالمة بينهما ... من طرف ادهم فقط الذى اخذ يبعث اليها بكل الكلمات المهدئة التى تعلمها يوما .... اطمئن قليلا الى ان صوت انفاسها اخذ يهدأ تدريجيا بالرغم من انها لم تتكلم ... المهم الا تقوم بعملٍ متهور ...اللعنة يا فارس متى ستتعقل ...حتى الاطفال لا يتصرفون مثلك....

وصل ادهم الى بوابة القصر ....لكنه لم يرى اى مما توقعه من قتالٍ بين فارس و حارس المدخل ... بل كان الهدوء المقلق يسود المكان ...ما ان دخل بسيارته حتى استقبله الحارس ... فسأله ادهم عن فارس ... اشار الحارس برأسه بعلامة ذات مغزى الى باب القصر فوجد ادهم فارس جالسا على السلالم الرخامية للمدخل بينما اغرق رأسه بين كفيه ..... فما كان من ادهم الا ان دخل بسرعة وهو يعيد الهاتف الى اذنه و يقول بهدوء

"لقد وصلت يا حلا .... فارس لا يزال هنا و لقد هدأ تماما ... اغلقى الخط الآن حبيبتى ... دقائق فقط و أكون عندك"....

لم يغلق حتى سمع صوت تنهد ناعم من حلا ثم سمع همستها اخيرا

"الحمد لله ..اخيرا"

بالرغم من كل قلقة على فارس و كل الضغوط التى يعانيها ... الا ان همستها كانت لها تأثيرها عليه اشد من تأثير كل كلام الغرام الذى سمعه يوما ... ولم يشعر ان ظل ابتسامة ظهرت على شفتيه.....

وصل الى فارس ... الذى لم يرفع رأسه ... فجلس ادهم بجواره على السلالم و ناداه بهدوء ... الا ان فارس لم يرد و لم يرفع رأسه .. فمد ادهم يده ليربت على كتف فارس و هو يناديه مرة اخرى .... ظل فارس صامتا عدة لحظات ثم قال اخيرا بصوتٍ مهزوم

"لم استطع الوصول الى بوابة القصر يا أدهم ..... ظللت ادور و ادور و لم استطع الوصول اليها"....

شعر ادهم بتمزق قلبه و لم يستطع الرد على فارس و هو يراه بمثل هذا الانكسار .... لحظاتٍ وصرخ فارس فجأة

"لما ستبقى معى ؟.....اخبرنى يا ادهم ما الذى سيجعلها تبقى معى" ...

رد عليه ادهم بصوتٍ هادىء واثق

"ستبقى لأنها تحبك"....

ارتسم الألم بكل صوره على وجه فارس الذى اغمض عينيه ... ثم قال بعذاب

"تحب رجلا ... ظلت طوال معرفتها به تقوده من مكان لآخر".....

قال له ادهم بعنف " لا تكن اعمى يا فارس .... الا تستطيع ان ترى حبها لك ... ان كنت لا تراه فانت فعلا اعمى"...

ظل فارس صامتا يحاول تصديق ما يراه الجميع و يشعر به فى داخله ..... لكن ان كانت تحبه فلما ليست هنا الآن بجانبه ....قال اخيرا لأدهم بعنف

"لقد اختارت البقاء مع ايثار يا ادهم ..... من أول مرة تذهب اليها .. اختارت البقاء معها ...الحقيرة التى لم تأتى مرة لزيارتها"

اقشعر جسد ادهم و نبض الغضب برأسه حين سمع الاسم الملعون .... الاسم الذى دمر حبيبته شر تدمير لا يعلم كيف يصلحه الى الآن

قال له ادهم يصرخ بصوتٍ خافت حتى لا يفقد اعصابه

"وهل ستتركها لها .... هل ستتركها يا فارس ... اياك ... هل تسمعنى ... اياك ان تقع فى نفس الخطأ الذى وقعت انا به حين تركت حلا ..... هل ترى كيف اصبحت حلا .... هل تتخيل ما الذى ممكن ان تفعله بسما ... والتى ستكون املها الوحيد الآن فستفعل كل ما فى وسعها لتستطيع السيطرة عليها"....

صمت ادهم قليلا يحاول التقاط انفاسه بعد الغضب الاعمى الذى اطاح بعقله ... ثم قال بهدوء صارم

"لقد قامت سما برعايتك طوال الفترة السابقة يا فارس ..... لقد آن الآوان لأن ترعاها انت الآن" ...

هدر فارس و قد انتقل غضب ادهم و خوفه اليه على سما الصغيرة

"هذا ما كنت انويه يا دهم ... كنت اريد الذهاب لآتى بها .... ولو بالقوة"...

تنهد ادهم بنفاذ صبر وهو يقول حانقا

"لا تكن احمقا .... الا تتعلم ابدا ....سما لن تأتى بالقوة ابدا ....تغلب على ايثار يا فارس .. لا عطها الفرصة ابدا"...

ظل فارس صامتا للحظات ثم قال اخيرا بتصميم

"ادهم هل تقلنى اليها ؟"....

ابتسم ادهم برفق وهو يقول

"بالتاكيد ... لن ندع سما لها ولو لليلة واحدة"....

صمت لحظة وهو ينظر لاعلى ثم قال

"سأصعد لأطمئن على حلا قبلا .... لقد اثرت رعبها .... فارس سأحطم اسنانك لو اخفت حلا مرة اخرى"....

ابتسم فارس شبح ابتسامة و هو يقول

"ومن الذى يجرؤ على الاقتراب من زوجة وحش آل مهران".....

ابتسم ادهم و هو يصعد بسرعة الى حبيبته ... وهو يفكر .. فليفكر اى احد من الاقتراب من زوجة الوحش لينتهى عمره .....

رن جرس الباب فى شقة سابين ... فذهبت سما بتعب الى الباب و هى تتسائل ان كانت سابين قد نسيت مفتاحها .... لكن ما ان فتحت الباب حتى تسمرت مكانها و فتحت عينيها المتورمتين من شدة البكاء و نسي قلبها ان يخفق عدة مرات و هى ترى عشقها الوحيد وسبب عذابها واقفا امامها شامخا كفارسٍ مغوار اتى ليخطفها على حصانه ... ما هذه الابتسامة التى تغمر وجهه ... هل جاء ليجرحها ... هل جاء ليلقي الكلمة القاتلة ليغتالها بها بعد مافعلته صباحا ....هل جاء ل.... كيف جاء اصلا ؟.... قاطع صوته الهامس الحازم افكارها اللاهثة و هو يقول

"ياسمينااا".....

اصابها الاسم فى مقتل ليعيد تمزيق جروحها فصرخت و هى غير قادرة على التحمل اكثر

"انا لست ياسمينا يا فارس .... انا سما ... اسمى سماااا ... اذهب الى ياسمينتك.. هى ليست هنا"

انفجرت فى البكاء بعد انفجارها المجنون و الذى جعل عينيه تتسعان بدهشة من كلماتها المجنونة ثم تلمعان بشدة بينما انفاسه تتسابق للخروج من صدره فهمس اخيرا

"لكن انتِ هنا يا سما .... وانا لن اذهب بدونك"....

توقفت عن البكاء تماما وهى ترى العزم على وجهه بينما عيناه تلمعان بشدة .. لكنها ابت ان تستسلم فقالت بهمس

"لكن انا مصممة على المجىء لمساعدة امى".....

لم ينفعل لدهشتها و لم يظهر على وجهه اى تعبير حتى قال بهدوء

"لن امنعك عنها ... ستأتين لمساعدتها .... طالما ستعودين معى فى النهاية"...

لم تصدق ما تسمعه ... ما الذى حدث له منذ الصباح الى الآن ... الا انها لم تستغرق سوى لحظة واحدة لتفكر فى الامر ثم قالت اخيرا

"دوما سأعود معك يا فارس".....

تحرك الى الامام فى خطوة واحدة الى داخل الشقة دافعا سما للخلف بينما اغلق الباب خلفه ... ثم فى اللحظة التالية جذبها اليه مودعا كل انفعال هذا اليوم المجنون فى قبلته التى سحق بها شفتيها .....بينما طوق خصرها بذراعيه الحديديتين ليرفعها اليه قليلا ..... ارتفعت ذراعيها تلقائيا لتحاوطا عنقه بلهفة وهى تجاوب قبلته العنيفة بقبلاتها الناعمة حت كاد ان يفقد صوابه.....

"انا آسفة ..... انا آسفة ...." اخذت تهمسها بين شفتيه مرة بعد مرة حتى تأوه و هو يشدد من ضمها اليه ثم همس على بشرتها الناعمة

"هيا يا سما الآن حالا .... اريد ان اكون معكِ وحدنا ...."

"ما اجمل هذا ....." انطلقت هذه الجملة من خلفهما بصوتٍ مبحوح جعل ذراعى فارس تتصلبان حول سما فى حين تشنجت عضلاته وهو يرفع رأسه عن سما ببطء.....

احمر وجه سما بشدة و حاولت التملص من بين ذراعى فارس الا انه كان كالقيد الحديدي حولها فأبى تركها مما ضاعف من احمرار وجهها فحاولت على قدر ما استطاعت ان تبتعد قليلا ثم قالت

"امى لقد جاء فارس ليأخذنى معه الآن ... لكننى سآتى اليكِ باستمرار"

قالت ايثار بصوتها الخافت الساحر

"اذن فقد رضى فارس عنى اخيرا .....رائع حبيبتى"

قال فارس لسما بهدوء محاولا عدم الانفعال

"اذهبى و جهزى نفسك يا سما لقد تأخرنا على ادهم هو ينتظرنا فى السيارة"

قالت سما بعد ان تركها فارس وهى قلقة من الجو المتوتر حولها

"فقط لحظة ... لن اتأخر"...

وما ان اختفت حتى قالت ايثار بصوتها المخادع

"لقد مر وقت طويل منذ رأيتك آخر مرة يا فارس"....

قال لها بسخرية ٍ حاقدة

"منذ يوم زواجنا انا و سما ..... كما لم تري سما من وقتها"

ردت عليه بهدوء قاتل

"كنت مطمئنة من انها تحت رعايتك".....

لم يفته تشديدها ال خفى على كلمة رعايتك .....الا ان ملامح وجهه المتصلبه لم تظهر اى شيء من حقده الدفين نحوها ثم قال اخيرا بهدوء يماثل هدوءها

"على العموم ... سوف تجدينني امامك باستمرار .... فانا وسما لا نفترق طويلا"....

ابتسمت ايثار ثم همست " ان هذا يسعدنى بالتأكيد ".....

جاء صوت سما وهى تكاد تجرى من شدة لهفتها للعودة مع فارس " انا جاهزة" .....

مد فارس ذراعه فاتجهت سما اليه بتلقائية لتتعلق به و هى تقبل امها ثم ينطلقان معا ..... تاركين خلفهما عينين زرقاوين داكنتين تشتعلان نارا.....

.....

.. ..

اغمضت سابين عينيها و هى تحاول السيطرة على حنقها الشديد بينما تنقر بظهر قلمها على سطح مكتبها محاولة التركيز على الاوراق امامها .... الا ان صرخة اخرى من تالا جعلتها تزفر بغضب ثم قالت بحدة

"تالا .... كفى لا استطيع التركيز ابدا"

ضحكت تالا بمرح ثم قالت

"الن تكفى عن هذا العمل الممل ....لن يغضب منك ابي ...هو اراد منك ان تجالسيننى , قال ان هذا سيكون عملك الاهم"...

رفعت سابين رأسها تحاول ان تستوعب ما سمعته ... ثم قامت من مكانها ببطء و اتجهت الكرسي المقابل لمكتبها و جلست امام تالا لتسألها ببطء خادع

"اعيدي الي ماذا قال والدك ؟".....

قالت تالا ببراءة وهى تؤرجح ساقيها بسعادة

"قال ان هدفك الاول سيكون الاعتناء بي .....ولن يشغلك عملك عنى ابدا"....

لم تتغير تعابير وجه سابين و لم ترمش حتى بعينيها ثم حاولت استدراج تالا اكثر وهى تقول

"وماذا قال والدك عنى غير ذلك ؟".....

ابتسمت تالا بخبث و ترددت مماجعل اعصاب سابين تحترق اكثر ... ثم قالت تالا

"حين قلت له انك تبدين ..... اقصد انك لست كصورة امى"....

استحثتها سابين اكثر بابتسامة تسحر اى طفل

"ماذا قال تالا ؟..... سيكون هذا سرنا الخاص"

اتسعت ابتسامة تالا بسعادة و قد وقعت فى الفخ بسهولة فقالت

"قال ...انه ليست هناك من هى مثل امى ابدا".....

رجعت سابين الى ظهر الكرسي ببطء بينما شعرت فجاة ببركانا من الغضب طاف فى اعماقها ... مالذى يحدث لها ؟..... كيف ان كلمة ساذجة من طفلة سخيفة تقلب كيانها الى هذا الحد ..... انها كلمة طبيعية منه لطفلة يتيمة نسيت امها ..... لكن لماذا هذه النيران المشتعلة فى اعماقها .....هل حقا هذا ما يراه....

قالت سابين بنعومة " اخبريني يا تالا هل أمك جميلة ؟".....

ردت عليها تالا بحماس " انها رائعة الجمال".....

شعرت سابين بالتحفز اكثر و اكثر ..... ثم قالت مرة اخرى و هى غير قادرة على التوقف

"و هل والدك".....

"ماذا به والد تالا ؟".....

انبعث هذا الصوت العميق الذى اعتاد ان يرسل الذبذبات الى اعماقها من باب مكتبها ..... راقبته سابين و هى ترفع حاجبها الايسر قليلا من منظره الضخم الرائع و هو يدخل الى المكتب كبطلٍ من الابطال بينما عيناه تجريان عليها بشغفٍ اثارها فى الحال

وصل اليهما بينما قفزت تالا لتتعلق به ....ثم قالت سابين بصوتٍ كصوت القطط الناعمة

؛"لقد وصلت اخيرا".....

ابتسم احمد بخبث و هو ينظر اليها بشغف ثم قال

"هل تأخرت عليكما".....

ردت سابين بابتسامة ساحرة زائفة وهى تهمس

"لا ....ابدا .... فقط اليوم كله تقريبا".....

اجابها احمد و هو ينظر الى تالا المشعة من السعادة و المرح

"هل سببت تالا لكِ اى ازعاج ؟".....

نظرت تالا الى سابين منتظرة اجابتها .... بينما ظلت سابين صامتة عدة لحظات ثم اجابت

"لم يكن هناك ازعاج على الاطلاق ..... فهذا هدفى الاول"....

نظر احمد الى تالا بعتابٍ مازح ثم قال اليها

"حسنا ايتها الواشية الصغيرة ..... يمكنك النزول للعب فى قسمك المفضل حتى نأتى و نصطحبك"....

انطلقت تالا تجرى الى الباب و هى تلوح لسابين قائلة " لا تتأخرا".....

لوحت سابين الى تالا بصمت ثم قامت من مكانها لتعود الى كرسي مكتبها وتقول بعملية

"امامك القليل من الوقت لتنجز اعمال اليوم معي ".....

عبس احمد و هولا يزال مبتسما ثم سار حتى وصل الي سابين التى تتظاهر بتجميع اوراق العمل بينما كل اعصابها تلتهب من وجود هذا الكائن المفرط فى الرجولة و الذى يطل عليها من علو .... ثم لم يلبث ان انحنى عليها و همس فى اذنها

"يبدو ان الجميلة غاضبة مني".....

لم يظهر اى انفعال على وجه سابين وهى ترد عليه ببرود

"ولما اغضب سيد احمد".....

ضحك احمد ضحكة مغوية تغلغلت الى اعماقها لتقلبها رأسا على عقب ثم استقام و هو يقول

"حسنا آنسة سابين احضرى الاوراق و تعالي الى مكتبي ....."

ثم سار مبتعدا الى مكتبه وما ان اختفى حتى ابتسمت سابين ابتسامة ساحرة بينما قلبها ينتفض ثم سارعت الى لملمت بعض الأوراق دون ان تأخذ حاسبها .... فالعمل ليس فى تفكيرها حاليا .....وهما بالتاكيد لن يضيعا وقتهما فى شيء ممل مثل العمل.....

سارت الى مكتبه و دخلت بهدوء لتراه جالسا على كرسيه ..... شعرت باحساسٍ غريبٍ عليها من حنان لم تشعر به سوى تجاه شخص واحد فى حياتها و هى تراه يسند رأسه الى كفيه و قد بان عليه التعب.....

سارت بهدوء هى تعلم انه يسمع نغمة كعبي حذائيها العاليين .... التفت حول مكتبه ووضعت الأوراق عليه بلا مبالاة .... ثم دارت حول كرسيه لتصبح خلفه وهى تضع يديها على كتفيه و تبدأ فى تدليكهما ..... شعرت في البداية بعضلاته تتشنج تحت اصابعها ثم استرخى تماما وهو يتأوه بصوتٍ خافت ..... ظلت دقائق طويلة تمسد عضلات كتفيه و تصعد اصابعها الى عنقه .....بينما شعرت بأن صوت انفاسه بدأ يعلو قليلا مما جعلها تبتسم .....الا ان الابتسامة لم تلبث الا ان اختفت و حلت محلها الصدمة حين سمعت سؤاله الفظ دون حتى ان يرفع رأسه

"هل كنتِ تفعلين ذلك مع مازن ؟".....

تركت اصابعها اكاتفه فى لحظةٍ و كأن نارا احرقتها بينما تصاعد الغضب فى داخلها كالاعصار .....ثم لم تلبث ان ابتعدت تنوي الخروج الا انه لم يسمح لها سوى

بالتحرك خطوة واحدة قبل ان يرفع رأسه و يمد يديه الحديديتين ليمسك بها من خصرها و يجذبها الى حجره رغم مقاومتها الواهية

صرخت سابين به وهى تتلوى "اتركني احمد".....

رد عليها بصرامة وهو يحكم امساكها "ليس قبل ن تجيبينني".....

كفت عن المقاومة و هى تنظر اليه بشراسة ثم قالت بعنف كنمرة " لقد اتفقنا الا نذكر اسم مازن بيننا ابدا ".....

رد عليها بنفس الشراسة وهو يشدد على خصرها بيديه " اجيبيني سابين".....

اخذا يتنفسان بسرعة كمصارعان فى الحلبة و عيناهما لا تحيدان عن بعضهما البعض .... ثم قالت سابين اخيرا "وهل ستصدقني".....

اجابها بكل ثقة " نعم سأصدقك ....." اصابتها كلمته البسيطة فى الاعماق فهى تقريبا لم تسمعها من غيره قبلا.....

ردت عليه بعد عدة لحظات بمنتهى الوضوح " لم يلمسني مازن يوما و لم المسه انا ايضا".....

ظل ينظر الى اعماق عينيها دون ان يظهر عليه انه سمعها .... ارادت ان تعيد ما قالته الا انه لم يمهلها فمد يده و سحب نظارتها من على عينيها ليرميها على سطح مكتبه بإهمال .....ثم يمد نفس اليد ليجذبها من ذقنها اليه و يلتهم شفتيها بشفتيه .....غابت عنهما الدنيا .... وغاب عنهما مازن كأنه اصبح شخصا وهميا.....

نزلت اصابعه بعد عدة لحظات من الجنون الى عنقها تلامسه برقة ثم تابعت نزولها .... وما ان شعرت به

يحاول العبث بأول ازرار قميصها حتى ابعدته بسرعة و هى تلهث .....ثم قالت بصوتٍ مرتجف

"لقد نسينا اين نحن".....

رد عليها بصوتٍ عميق بينما صدره يعلو و يهبط " لقد انسيتني نفسي".....

ابتسمت برقةٍ بينما تشعر بداخلها بأعاصير السعادة .... احمد مهران بنفسه يطلق هذه الجملة ... شعرت فى هذه اللحظة بأنها مدت يدها و استطاعت لمس نجوم السماء.....

.....

.....

.....

كانت خرافية ..... اسطورة .... اسطورة اغريقية قديمة ..... ساحرة خرجت من كتب الاساطير ... لم يكن هناك عروسا وجدت اكثر منها جمالا وسحرا .... خطفت اليها الأنظار و سبت القلوب بروعتها ....و تعالى الهمس من حولهما و هو يراقصها و هى بفستان زفافها .....كان المكان مظلما نوعا ما ... لا يضيئه الا انوارا ضعيفة اظهرت روعة العروسان وهما يرقصان على انغامٍ ناعمة

همس و فمه يلامس اذنها :" لا أصدق اننى امسك شيئا بهذه الروعة بين ذراعي".....

رفعت نفسها لتلامس فكه الصلبة بأنفها و هى تستنشق رائحه التى اسكرتها.....بينما اخذ هو يضمها اليه اكثر غير مبالي بنظرات مئات المدعوين فى هذا الزفاف الأسطوري....

بعد لحظاتٍ لا تعلم ان كانت طويلة ام قصيرة شعرت به يتصلب بين ذراعيها و هو يرفع رأسه و ينظر خلفها .... لكن قبل ان تستدير سمعته يقول بصوتٍ اجش...

"اذن فقد تمكنتِ من الحضور ؟".....

التفتت سابين تنظر خلفها لترى امرأة مهيبة ... وقورة تبدو عليها العظمة وآثار جمالا قديم ابى ان يفارقها .....ثم سمعتها تجيب بصوتٍ مهيبٍ خلاب تتذبذب فيه رقةٍ تأسر الروح

"لم اكن لافوت زفاف ابني الوحيد".....

صدمت سابين تماما حين وجدت نفسها امام والدة احمد مهران و عمة ادهم وفارس .... كان هناك لهذه السيدة روعة خفية تجعل من يقف امامها يفقد القدرة على النطق او التحرك فى محرابها .....ثم همست السيدة المذهلة

"كما اننى كنت اتحرق شوقا لرؤية عروسك الجميلة ".....

اقتربت اكثر من سابين .... ثم مدت اصابعها لتتلمس وجه سابين بنعومةٍ افقدتها القدرة على النطق و هى ترى ملامح السيدة المأسورة بها .....و التى همست اخيرا

"قال الجميع انكِ نسخة من أمك ..... الا اننى الآن ارى صلابة والدك تنبعث من داخل عينيكِ".....

اتسعت عينا سابين و هى تهمس "أبي".....

بينما لم ترَ الملامح الشيطانية لأحمد من خلفها .....

الفصل الرابع عشر

كان اليوم منذ الصباح الباكر , يوما مشحونا متوترا لدى الجميع .... بل قد يكون يوما لمثار فضول و احاديث البلدة لها .... فاليوم زفاف احمد مهران من امراءة شديدة الجمال تدعى سابين الراشد ... لمن لا يعرفها....

الجميع ينتظر حفلة الزفاف الأسطورية فى المساء ..... حفلا تم الاعداد له بمعجزة خلال ايام معدودة .... فستان زفاف تم طلبه من الخارج ليأتى للعروس على جناح السرعة ..... الوردود و الطعام تم توصيلهم صباحا من الخارج ايضا.....

الجميع على احر من الجمر يتنظرون حلول المساء لحضور هذا الحلم ... . من لا يعرفها يتسائل من هى وهل هى على هذا القدر من الجمال الذى يحكى عنها ..... ومن يعرفها يمط شفتيه ليتسائل كيف استطاعت ان تسقطه بهذه السرعة و السهولة وهى التى لا تحمل نفس الاصل و النسب .... مجرد موظفة فى مجموعته حتى وان كانت تملك سلطة اكبر من حجمها فى المجموعة فمهما كان ستظل موظفة و من عائلة الراشد .....

ومن يعرف انها ابنة ايثار الراشد تحديدا ..... يصدم صدمة عمره من قدرة الابنة على الايقاع بالمارد بعد ان اوقعت امها بالامبراطور .....و من يعرفهم جيد ... لا يندهش كثيرا ... فهذه هى الحلقة الناقصة فى سلسلة وقوع رجال مهران فى فخ ثلاث فتيات ... هن بنات زوجة الامبراطور.....

مشاعر مختلفة لدى قلوبٍ عديدة من اثارة... فضول..... غيرة ....و قد تكون حقد..... الان المشاعر الايجابية التى تحمل فرحا صادقا قد تكون منعدمة .....

اللهم الا صغيرة جميلة اسمها سما .... وطفلة لا تختلف عنها كثيرا اسمها تالا.....

و هذا الصباح..... فى قصر آل مهران كانت المشاعر المشحونة على أشدها.....

....

.....

" لا أريد الذهاب يا ادهم ..... أرجوك "

خرج صوتها الرقيق يحمل نعومة ِ محتالة.....تجعل قلبه يشتعل نارا وتثير فيه همجية الرجل البدائى الذى يرغب فى الانقضاض عليها و التهامها كلها دفعة واحدة .....

نظر اليها و هى مستلقية على صدره كقطة بيضاء ناعمة ..... ما اجمل الاستيقاظ وهى بين ذراعيه .....لقد اغرقها ليلة امس فى بحر مشاعره الهوجاء مرارا ..... حتى خاف عليها اخيرا و قرر تركها....

منذ ان استسلم لها و استسلمت له تلك الليلة و هو لا يكتفى منها ابدا ..... اصبحت تجري فى عروقه و تتداخل مع انفاسه ....الا ان هناك فى داخله همسا يطل برأسه القبيح ليسأله ان كان ما يفعله صحيحا او ان استسلامها المطلق له طبيعي.....

شعور من تأنيب الضمير يمزقه .... فهو ينهل من نبع السعادة معها..... او بالاصح منها , و يؤجل الأمر المحتوم الى ان يشبع منها ... الا ان الظاهر امامه انه لن يشبع منها ابدا .... فالى متى سيؤجل علاجها.....

لو كان الأمر يقتصر على كوبيسها ليلا .... وعلى الذعر الذى ينتابها فى الكثير من المواقف المخيفة بالنسبة اليها ..... لكان حاول ان يخدع نفسه.....

الا ان ما يقلقه هو انها أحيانا كثيرة تنسى بعض التفاصيل من الانهيارات التى تصيبها ..... احيانا اخرى تهذى بكلمة ٍ او بأخرى دون ان تدري .... كحين اتصلت به و هى فى حالة ذعر من غضب فارس ..... اعتقدت ان سما ستقفز من النافذة حين تواجهه غضبه .....لكن حين ذكرها بما قالته , انكرت تماما.....

لكم هو خائف عليها .... يذهب الى عمله كل يوم تاركا روحه بجانبها تحرسها من أشباحها ..... هل من الممكن ان تؤذى نفسها ؟...

لا يظهر عليها ذلك , فهى تبدو و كأنها تحاول استجماع قطع حياتها المكسورة تحاول جاهدة ان تعود لإشراقها القديم .... تحاول رسم ابتسامة ترميم على شفتيها باستمرار ..... تحاول ان تسعده .....آآآآآه ولكم تسعده .... لا .... انها تلقيه فى فوهة بركانٍ من البهجة و السعادة ..... لو مات من نوبة قلبية قريبا , فستكون هى السبب بالتأكيد.....

عاد يتطلع اليها مبتسما و هو يقول بحزمٍ يداخله الضعف من دلالها الماكر عليه

" بل سنذهب يا حلا ..... لن يكون من اللائق ابدا الا نحضر زفاف احمد مهران "

اخذت حلا نفسا عميق و هى تحاول عدم الاستسلام

" اذهب انت ..... فلست انا من يهم وجودى "

زفر ادهم و هو يقول بحزمٍ اكثر

" اخبرتك اكثر من مرة يا حلا بما يتوجب عليك كزوجة ادهم مهران .....لقد آن الأوان لتتحملى المسؤلية "

انقبض قلبها و هى ترى الطرق تغلق امامها .... لن تستطيع ... لن تستطيع مواجهة هذا الجمع الضخم

من البشر .... لن تستطيع و لاتريد .... لحظاتٍ وقالت مرة واحدة بصوتٍ متشنج عالى وصارم

"لن أذهب و هذا قراري النهائي... "

نظر اليها بدهشة وهو لا يصدق نبرتها التى خاطبته بها ..... يمكن للمرة الأولى , صمت قليلا و هو يشعر بانفعالين متناقضين احدهما الغيظ منها ومن جدالها فى امورٍ غير مقبولة على الإطلاق و الغضب من لهجتها الحادة التى لا يجرؤ احد على مخاطبته بها ..... وشعورٍ خفيٍ آخر نبع فى داخله فجأة بالسعادة من فورة الشجاعة المفاجئة التى واتتها لتواجهه بهذه النبرة ....

كتم الشعور الثانى بداخله و قال بلهجة حاول ان يودعها بعض الحسم

" لا تخاطبينني بهذه اللهجة يا حلا..... "

زمت شفتيها و هى تعبس كالأطفال بينما شعر بقلبها يضرب بشدة تحت يده كأرنبٍ مذعور .....لم يستطع مقاومة حلاوتها و هى عابسة ترفض النظر اليه ..... فانكب عليها فجأة بقبلة جائعة متوحشة قبل حتى ان تستطيع اخذ نفسا قبلها .... ظل يقبلها و هو يحرك شفتيه فوق شفتيها يمينا و يسارا حتى كادت ان تختنق بين ذراعيه فدفعته بضعف لتحاول التقاط انفاسها.....

تركها على مضض ليتنفس هو الآخر بصعوبة بينما استغلت هى الفرصة لتقفز من الفراش بسرعة و تلتقط روبها وترتدية تحت انظاره العابثة حتى جرت الى الحمام و اغلقت الباب خلفها .....الا ان بعد لحظة واحدة سمعته من خلف الباب يقول بلهو

" لا تتأخرى حلاى ....اريد ان ..... اهمس لكِ بشيء سري "

ابتسمت بخجل و هى غير قادرة على التنفس بشكل طبيعي بعد...

سمعت صوته الذى يزداد عبثا يقولبعد فترةٍ ليست بطويلة

" افتحى الباب يا حلا و الا فلا تلومى الا نفسك..... "

ضحكت ضحكة صغيرة خائفة قليلا وهى تعض على شفتها السفلى متخيلة بماذا يريد ان يهمس لها ..... اخيرا سمعته يقول بصوتٍ بان فيه الجفاء

" حسنا ..... انا خارج ابقي انتِ كما تشائين "

ثم سمعت وقع اقدامه الغاضبة و هى تبتعد .... شعرت ان قلبها سقط بين قدميها .... لقد غضب مني... وسيذهب....

فتحت الباب ببطء وخرجت و هى تشعر باحباط فظيع .... كانت تحاول ان تمزح معه فقط ....لكنها صرخت بشدة حين شعرت بذراعٍ حديدية تلتف حول خصرها و ترفعها لأعلى و صوته القوى يهمس فى أذنها

"اهدئى حبيبتى .... انه انا "

اخذت تتنفس بسرعة محاولة السيطرة على ضربات قلبها بينما اخذ هو يقبلها اسفل اذنها برقةٍ حتى هدأت تماما و استسلمت له وهو يهدهدها بين ذراعيه ثم لم لبث ان ادارها لتواجهه و رفعها مرة أخرى بين ذراعيه لتصبح عينيها المشعتين تواجهه عينيه ظل صامتا عدة لحظات ينظر فى عمق عينيها بينما هى تبدو كالمنومة مغناطيسيا .... الى ان قال لها أخيرا

"هل تثقين بي ؟....."

أومأت برأسها بصمت .... فابتسم و السعادة ترفرف بداخله من هذه الايمائة الغالية عليه ثم قال بثقة

" اذن سنذهب معا ... و سنواجهه العالم كله "

همست بصوتٍ مرتجف و هى مطرقة ٍ برأسها

" لم اواجه احد منذ ما يقارب العامين ..... ان تعرف احدا علي الآن س..... "

قاطعها بحزم و هو يقول "لن يجرؤ احد على مس شعرة منكِ حبيبتي "

اقتربت بوجهها منه ببطء ثم اخذت تلامس ذقنه النامية بشفتيها الناعمتين ثم همست بإغواء تحاول اتقانه

"ولما لا نبقى نحن الاثنين .....هنا وحدنا "

تأوه وهويضحك ضحكة صغيرة ..... مدركا ابعاد لعبتها و التى تحاول ان تلعبها هذه الايام كثيرا حين تريد شيئا ..... وهو ببساطة يريد الوقوع فى خداعها اللذيذ لأبعد الحدود ..... بطيب خاطر وهو مفتوح العينين .... الا انه قاوم نفسه و هو يأخذ نفسا عميقا ثم يقول

" بل سنذهب ..... زوجة ادهم مهران لا يجب ان يخيفها اى شيء فى هذه الدنيا ..... وحتى ان لم اكن على قيد الحياه اريد ان تعديننى ان تظلى دائما..... "

انمحت باقي كلماته تحت صدمة شفتين ناعمتين انفرجتا برقةٍ على شفتيه ..... لكن قبل ان يذوب بها تماما سمعها تهمس بعذاب متوتر

"سأذهب .... طالما لن تتركنى "

همس بوحشية و هو يعتصرها اكثر بين ذراعيه " ابدا .... ابدا يا حلا ...طالما فى صدري نفسا يتردد"

ثم همس بعنفٍ لها بعد لحظات من الشوق العاصف بينهما وهو يضع ذراعه تحت ركبتيها و يرفعها ليتجه بها الى الفراش

" و الآن اخبريني ..... ماالذى كنتِ تنوين فعله ان بقينا هنا هذه الليلة "

تعلقت بعنقه وهي تعبس بشقاوة ثم تقول

" هذا غش .....نحن لن نبقى "

مال بوجهه عليها بينما يده تعبث بربطة روبها ثم يقول بلهو

"كان يجب ان تفكري مرتين قبل ان تعبثي مع الوحش ....."

ثم لم يعد هناك مكانا لأي كلام بينهما.....

.....

.....

.....

وفى غرفة اخرى من غرف القصرتعالى هتافا حانقا نافذ الصبر

"لن أذهب ..... لا أريد الذهاب لأكون التسلية الجديدة لهذا الوسط "

اقربت سما ببطء من خلف هذا الطفل الصعب المراس و هو ينظر من النافذة عاقدا حاجبيه زاما شفتيه بحنق .... فمدت ذراعيها لتحيط خصره و تسند خدها الى ظهره تتنهد بيأس ثم همست برقة

" وهل سأهون عليك يا فارس لتتركني اذهب بمفردي ؟....."

اخذ يهز ساقه بعصبية و هو يعانى من صراعا بداخله ثم قال بعصبية

" لا تذهبي .... ابقي معي "

رفعت سما رأسها بسرعة وهتفت بجزع

" لا يا فارس ارجوك ..... انها سابين ... انه زفاف سابين , انا احترق لرؤيتها بفستان الزفاف .... "

وحين لم يرد زادت من ضم خصره اليها و هى تهتف

" ارجوك يا فارس ..... ارجوك ....ارجووووووووك "

لم ترى وهى خلفه ابتسامته الحانية التى لا تظهر الا نادرا ..... ثم قال بصوتٍ اجش

" الن تخجلى من مرافقة رجلا اعمى الى حفلا كهذا ....."

ادارته اليها و هى تنظر اليه بدهشة ثم قالت بقسوة

" اخجل منك ؟!!! انت فارس مهران ..... اياك ان تنسى هذا ابدا ... انا لن اسمح لك بأن تنسى حتى و ان اردت انت..... "

ظل ينظر اليها و صوتها ينفذ الى اعماقه ليفجر ذكرى قديمة لفتاةٍ اعطاها قلبه و البسها خاتمه ..... كان صوتها حين سمعه لآخر مرةٍ يهمس بخجلٍ " انا آسفة يا فارس ..... انا آسفة حقا .... لا استطيع مواجهه مجتمعي بزوجٍ اقل من المستوى الذى رسموه لي ....انا لست بهذه القوة ..... لكن سأظل احبك دائما ..." ثم شعر وقتها بأصابعها تلمس يده وتفتحها لتسقط فيها شيئا معدنيا باردا عرف انه خاتمه....

و كان يظن ان قلبه تحطم وقتها ..... الا انه عندما ظن ان سما تركته و اختارت ايثار .....عرف حينها معنى الموت حيا ....صغيرته ..ملكه ... لن يتركها ابدا.....

مد يده الى وجهها الناعم و اخذ يتحسسه برفق ليرى الملامح التى حفظها بيده آلاف المرات.... ما اجملها .... الصغيرة المقاتلة....

قال اخيرا و ظل ابتسامة يلوح لى شفتيه

" ماذا ستدرتدين ؟....."

نظرت اليه فاغرة فمها دهشة من استسلامه السريع ... و لحظة واحدة ثم استطالت لتتعلق بعنقه شاهقة و هى تقفز من السعادة بينما هو يضحك بخفة شاعرا ان كل مايحمله من همومٍ قد القى من على ظهره و لو مؤقتا.....

.....

.....

.....

؛" لا اصدق هذا ..... لا استطيع تصديق انك تمكنت من اقناعي باصطحابك معي.....!!!!"

نظر اليها فارس ببراءة و هو يقول

" وما العيب فى ان يصطحب زوج زوجته لشراء فستان ..... الا يحق لى ان ابدي رأيي ؟....."

نظرت اليه عابسة ثم تطلعت حولها لترى ان كان هناك من يراقبهما ..... ثم قالت هامسة بغضب

" بهذه الطريقة ؟!!!!..... فارس ما تفعله غير لائق على الاطلاق..... "

ابتسم بخبث و هو يمرر يديه على طول جسدها ليستطيع رؤية الثوب الحريري الذى ترتديه .... الا انه اضطر ان يعيد ما يفعله للمرة الثالثة نظرا لأن الثوب هو آخر ما يفكر به ..... ماهذا القوام ؟.... متى كبرت بهذه الطريقة المتفجرة ؟..... هل يراها الجميع بهذه الأنوثة المتفجرة الا هو ..... شعر بالنار تشتعل فى اعماقه من كل عين نظرت اليها قبله .....كبت شعوره الخانق بداخله حتى لا يظهر على وجهه فيخرب فرحتها .....

لقد آن الأوان ..... لم يعد يطيق الإنتظار اكثر .... الليلة .... الليلة سيجعل منها زوجته , وما المانع فى ذلك ؟ .... انها تبدي نحوه استجابة تذيب الحجر ..... من الذى يستطيع مقاومة هذه المهرة الجامحة.....

لقد قضي الأمر و ستصبح ياسمينا ملكه الليلة ..... انها فى حالة عاطفية متوهجة بسبب زفاف سابين وهذا سيخدم هدفه ..... اخرجه من تفكيره صوتها الهامس و المختلط بضحكة خفية غاضبة و هى تقول

" يا الهى لن اتعجب ان طردونا من المتجر الآن ..... لقد نظرت الينا سيدة رفيعة المستوى باشمئزاز للتو يا فارس "

اجابها بسرور " دعكِ منها ..... انسيتي انكِ مع فارس مهران .... استطيع جعل صاحبة المكان تطرد جميع الموجودين ..... وتغلق علينا المتجر ..... لأجعلك تقيسين كل ثوب موجود هنا "

احمر وجهها بشدة و هى تقول :" كفى عبثا يا فارس ..... لم اكن يوما بمثل هذه الصفاقة "

تظاهر بالتفكير لحظة ثم قال مبتسما بمكر

" استطيع تذكر بعض المناسبات كنتِ فيها اكثر صفاقة بكثير..... "

اصبح وجهها الآن بلون الكرز و هى تعلم تماما اي المواقف يقصد ..... المخادع ..... تذكرت حين اقنعها بتغيير ثوب السباحة امامه .... كيف كانت بمثل هذا الغباء ففعلت ما طلب ..... فما ان انتهت من خلعه بصعوبة وتعثر تحت انظاره التى لا ترحم و المصوبة تجاهها بدقة السهم , حتى رأته برعبٍ يقترب منها ببطء و عينيه كعينا دبٍ مفترس ..... وقفت لحظة ذاهلة ثم صرخت

" لم انتهى فارس عد الى مكانك ..... "

الا انه لم يعد بل ظل يقترب منها دون ان تختفى الابتسامة المفترسة من على شفتيه ..... تمكنت لحظتها من الجرى يمينا تبتعد عنه الا انه غير اتجاهه يلحق بها ..... فصرخت مرة اخرى " فارس توقف هذا ليس مضحكا..... "

فضحك بعبثٍ و هو يتجه نحوها محددا اتجاهها بكل دقة ..... فجرت الى ناحية اخرى و هى تصرخ " فارس .... لقد وثقت بك "

اجابها ضاحكا " اذن فهى غلطتك ..... كيف تثقين فى رجل يرى امامه..... "

لم يكمل كلامه ... بل اندفع مرة واحدة ليعتقلها بين ذراعيه وهو يضع يده تحت ركبتيها و يرفعها اليه مقبلا اياها بشغفٍ قاتل و هو يدور بها ..... يدور و يدور وقبلاته لا تتوقف ..... حتى ظنت انها فى دوامة وسط بحرٍ هائج ..... و هى التى كانت تظن انها فشلت فى اغواءه.....

لكن كالعادة تركها و هو يلهث مبتعدا عنها و هو يخبرها انه سينتظرها فى الخارج ..... بعد ان كادت تذوب به تماما.....

عادت من افكارها لتنظر اليه بغضبٍ يخالطه الاحباط ..... الى متى سيظل يتلاعب بها و يعطيها دروسا فى الحب غير مكتملة.....

ابعدت يديه عنها بحزمٍ وهى تقول بعد ان عاد اليها الاحباط " توقف يا فارس..... لقد احرجتنى للغاية "

ابتعد عنها حين لاحظ تغير مزاجها ..... و هو يشعر تماما بمثل ما تشعر به , بل لا يقارن به اصلا .... لكن صبرا ياسمينا فالليلة ستكونين انتِ العروس صغيرتي .... ابتعد اكثر عند هذه النقطة حتى لا يفقد اعصابه هنا فى هذا المكان.....

قال اخيرا بصوتٍ اجش من العاطفة " يبدو انكِ قد اخترتى الثوب اخيرا..... "

قالت عابسة " لم اختره انا فهذا هو الوحيد الذى لم تبدي اعتراضك عليه..... "

سألها و هو يبدو مهتما " صفيه لي..... "

قالت له " اطمئن فكما تكفلت بنفسك و تأكدت .... هوحريري طويلا يصل الى الأرض لكن اكمامه شفافة قليلا تصل المرفقين و عليها تطريز رقيق .... هو ضيق حتى الوركين ثم يتسع اتساعا بسيطا الى اسفل..... "

سألها بهمس اضعفها " ما لونه ؟..... "

قالت له برقة و الابتسامة بدأت فى الظهور مرة اخرى على شفتيها من اهتمامه الجدى هذه المرة

" انه مزيج بين الذهبي و الوردي ..... لون رائع لم أره من قبل "

قال بهمسٍ حزين مزق قلبها " لابد انكِ تبدين كالحلم ....."

اقتربت منه و هى تحاوط عنقه بذراعيها وتهمس فى اذنه

" اذا كنت حلما فستستطيع و قتها ان ترانى..... "

ضمها اليه مسندا ذقنه على رأسها يتنشق عطرها الناعم بينما تبدو هى بضغطها على صدره كالضماضة على جروحه الأزلية.....

.....

.....

.....

نظرت سابين الى صورتها فى المرآه .....لم تتخيل فستان زفاف ابدا بمثل هذه الروعه من قبل ..... لم يطرأ على بالها فستان زفاف ابدا ..... حتى مع مازن لم تتخيل نفسها ترتديه ابدا.....

لكنها حين تنظر اليه الآن تشعر انه صنع خصيصا لترتديه هى ..... كان فستان ملكة بحق....

كان محكما تماما على نصفها العلوى و قد غطته الماسات اللامعة تماما حتى بات كالثريا من شدة لمعانه بينما ينزل من اسفل خصرها بقليل ليلتف قماشه الحريري حول وركيها باحكام ثم يتسع فى طبقاتٍ تظهر كل واحدة منها خلف الأخرى حتى تنتهى بالطبقة الأخيرة و التى يصل اتساعها الى درجة ان تغطى دائرة من الأرض حولها تتسع لشخصين معها .....بينما تم التوصية فى وقتٍ قياسي على سترة قصيرة تصل الى اسفل

الكتفين فقط لتغطى الاكتاف المكشوفة للفستان بناءا على رغبة العريس الغيور للغاية.....

ابتسمت سابين و تتذكر صوته الصارم حين سألها ان كان فستانا يظهر منها اي شيء ..... ضحكت وقتها و هى تفكر بداخلها انه شخصا غريب يعيش فى عالم أغرب لم تعرفه من قبل ..... الا انه و ياللغرابة يشعرها بأنوثتها اكثر من اى عالم عاشته من قبل.....

تشعر انه يريد ان يخفيها عن اعين الناس التى تلتهمها ..... ابتسمت بعبث و هى تعاود النظر الى صورتها و تفكر ..... لا مانع لديها ابدا فى ان يخفيها عن اعين الناس فلنقل الشهر القادم على الأقل.....

الا انه بعدها عليه ان يتعلم العيش مع نظرات الناس اليها فهى ستعود الى حياتها الطبيعية المستقلة و عليه ان يتقبل ذلك ..... لكن بعد ان تكون قد اشبعت شوقها و جوعها اليه ..... فى شهر العسل الذى يعد سرا حربيا الى الآن يرفض البوح به.....

قاطع رنين هاتفها افكارها فالتقطته من على طاولة الزينة لترى الاسم المثير يضيء ليضىء اعصابها معه , اشارت الى الفتاة التى تهتم بزينة وجهها ان تنتظر قليلا .....ثم ردت عليه باغوائها المعتاد هامسة

" ماذا تريد الآن ؟..... الا تعلم اننا نسابق الزمن "

رد الصوت العميق عليها

"اشتقت اليكِ ..... المكتب كان مظلما اليوم "

ارتفع حاجبيها بصدمة وهى تقول

"هل ذهبت الى العمل اليوم ؟....."

ساد الصمت بينهما عدة لحظات ليقول أخيرا بتملق

"كان لابد ان اذهب لأنهى آخر شيء ممكن ان يعطلني في شهر عسلنا..... "

احمر وجهها و هى تشعر بسخونة فى خديها من الصور المتلاحقة فى رأسها .....لتهمس أخيرا

" لن اسمح بأى شيء يشغلك عنى .....سأكون انا فلكك الذى تدور به الشهر المقبل "

ساد الصمت مرة أخرى محرقا اعصابها لتسمع صوته يأتى اليها بارد و هو يردد كلماتها

" ستكونين فلكى الذى ادور به الشهر المقبل..... "

صمتت وهى تتنهد بصمتِ ثم قالت بعد لحظة بصوتِ ساحر

" دعنى الآن لأنتهى ..... و سأراك قريبا "

همس بصوتِ أجش " بالتاكيد ستريننى قريبا .... قريبا جدا "

اغلقت الهاتف و هى تعض على شفتها من الاثارة ..... هل يمكن ان تكون الحياة اجمل من هذا....

بينما العريس كان واقفا هو الآخر ينظر الى نفسه فى المرآة لكن بوجهِ متجهم و عينين قاسيتين ..... كم شخصا سيدمر فى طريقه ؟..... لم يبالى بأي احد .... الا صغيرته تالا التى تبدو وكأنها تعلقت بسابين لدرجةِ مقلقة .....لم يكن يتصور ان تحبها تالا ابدا .... ماهذا السحر فيكي يا سابين اليس هناك شخصا على وجه الأرض لا تسبينه بسحرك.....

ارتفع رنين هاتفه لينظر اليه و هولا يزال بيده فقطب جبينه حين نظر الى الاسم ..... رد بهدوء بعد ان اخذ نفسا عميقا

"كيف حالك أمى..... "

وصله الصوت الناعم الذى عشقه من صغره

" كيف حالك حبيبي .....هل لازلت عند قرارك ؟"

زفر بغضب ثم قال و هويحاول السيطرة على صوته

"أمى انا الآن ارتدى بدلة العرس ..... باقي وقتٍ معدود على حفل الزفاف "

سمع تنهدها المرتجف ثم صوتها الحزين و هى تقول

"فكر قليلا يا احمد .... ليس من العدل ان تحاسبها هى على مافعلت انا فى الماضى..... "

قاطعها احمد بحزمٍ وهو لا يريد الاستماع لأى شيء من الماضى المؤذى

" أمى انا لن احاسب احدا ..... انا اتزوج الم تكن هذه هى امنيتك منذ ان رحلت..... "

لم يستطع نطق اسم حبيبته الغالية فشعر بغصةٍ فى حلقه تمنعه الكلام.....

تكلمت أمه بصوتٍ تخالطه الدموع الصامته و هى تشعر بحزنه المتجدد والذى لم يندمل بعد.....

" انا الآن فى طريقي اليك حبيبي .....اتمنى ان استطيع الوصول قبل انتهاء الحفل "

اخذ احمد نفسا عميقا و هو يشعر بحلول كارثه لدى حضور أمه الى الحفل الا انه لا يستطيع منعها .....فليحدث ما يحدث .....

"واااااو ..... لا اصدق هذا , عفوا سيدتى الجميلة , لكنك تشبهين فتاة صغيرة حملتها و عمرها عامان

اسمها سما ..... الا انك سيدتى تبدين كملكة من ملكات الجمال ..... فلا يعقل ان تكونى انتِ سما الصغيرة يبدو اننى اخطأت..... "

ضحكت سما بخجل من غزل ادهم الرقيق لها وهم يقفون فى مدخل القصر مستعدين للتوجه الى حفلة الزفاف ثم قالت باحراج

" هل ابدو جميلة حقا يا ادهم ..... لا تمزح "

قال لها ادهم بدهشة ضاحكا " الم تنظري الى نفسك فى المرآة سيدتى الجميلة ؟..... ستحطمين ثقة كل المدعوات الليلة ... وقد يغطى جمالك على جمال سابين ..... لكن احذري من مخالبها "

اخذت سما تضحك و هى تتصور منظر سابين ان سمعت كلام ادهم.....

" الن نكف عن هذا العبث ..... انا اصلا اقنعت نفسي بالكاد ان اذهب ..... لاجد نفسي وافقا استمع الى احاديثِ سخيفة "

انطلق صوت فارس متجهم حانق كطفلِ مدلل يريد احد اخذ لعبته منه ..... فابتسم ادهم بخبث و هو يغمز بعينه الى سما التى احمرت خجلا ..... لكن حين استدار ليلتقط يد حلا فوجىء بها تنظر اليه عابسة هى الاخرى وهى تميل برأسها قليلا كأنها لا تصدق ما سمعته فارتفع حاجبيه من ردة فعلها الغريبة التى تبديها للمرة الأولى لكنه رفض ان يصدق املا زائفا انطلق بداخله.....

مد يده ليأخذ يدها بين يديه و يرفعها الى شفتيه يقبلها بنهم و هو يكلم سما دون ان يرفع عينه عن عيني حلا

" لكن اعذريني سما ..... فحلا الليلة فاقتكما جمالا بلا منازع..... "

ضحكت سما بسرور و هى تقول " لا مانع عندي على الاطلاق ..... لطالما كانت حلا الأحلى كما كان يقول الجميع سابقا..... "

استمر ادهم فى النظر الى حلا و هو يقول بهدوء صلب

" كان هذا سابقا ..... فليجرؤ احد على قول هذا الآن عنها .... لتكون آخر حياته "

ابتسمت حلا قليلا و هى تخفض عينيها بينما احمر وجهها بشدة ..... تطلع ادهم اليها بشغف و هو يراجع نفسه فى الذهاب بها و هى على هذا الشكل الرائع ..... فقد كانت ترتدى ثوبا كثوب الأميرات بلون السماء الشاحبة الزرقة ....خصره مرتفعا الى اسفل صدرها بشريطٍ حريري ثم يهبط مسترسلا هفهافا الى كاحليها يتطاير حول ساقيها بنعومة كلما تحركت ..... بينما تركت شعرها الطويل مسترسلا براقا بنعومة على ظهرها بعد ان رفعت بعض خصل من جانبي وجهها بمشبكين ماسيين اضاءا و جهها.....

اقترب منها ببطء و هو يرفع شالها الذى سقط عن كتفيها بنعومة ....ليعيده مكانه ثم ابقى يديه على كتفيها و هو يقول بصوتٍ منخفض " احرصي ان يظل هذا مكانه و الا ساجعلك ترتدين سترتي طوال الحفل ....."

اومأت برأسها بكل أدب ووداعة مما جعله يرغب فى اكلها دفعة واحدة ..... تنحنح يجلي حلقه ثم قال بهدوء

" هيا حتى لا نتأخر..... "

ثم امسك يدها الصغيرة و التى كانت باردة كالثلج و هى ترتجف .... فقبضت بأصابعها على يده تتشبث بها و هى غير قادرة على التحرك من مكانها و قد تصلبت ساقيها فنظر ادهم الى و جهها و همس فى اذنها دون ان يسمعه فارس و سما

" الا تثقين بي ..... لن اتركك لحظة واحدة "

أومأت على مضض بينما قلبها يرتجف من الخوف و الذى ظهر جليا بعينيها ثم مدت يدها الأخرى لتتعلق بذراعه ..... ثم يتجهون جميعا الى السيارة ..... فى رهبة لا يعلم احد سببها.....

.....

.....

.....

كان ادهم يراقص حلا تحت الأضواء الخافته و هى مستندة برأسها على كتفه ... مغمضة عينيها تحاول ايهام نفسها بأنهما معا فى القصر ..... وحدهما ....لا يراقبهما هذا الجمع الغفير من البشر بينما ادهم يتمايل معها مسندا ذقنه على قمة رأسها و هو يفكر فى هذه السعادة التى اهدت له دون ان يدري

.....

وكذلك سما كانت متعلقة بعنق فارس الذى بدا و كأنه يحترق من شوقه لإنتهاء هذه الليلة ليحمل عروسه بعيدا ... بعيدا جدا.....لتصبح له بعد عذاب السنوات السابقة .....قاطع تفكيره صوت سما المشع و هى تهمس بأذنه فجأة

" ما اجملها يا فارس ..... لن تستطيع ان تتخيل مدى روعة سابين فى فستان الزفاف .....و الحفل ايضا ...

الورود و الشموع ....كل شيء رائعا يا فارس ..... عروسا كسابين تستحق كل هذا "

شعر و كأن احدا قد غرز خنجرا مسموما بصدره فجأة ..... انسحبت ذاكرته الى الصوت الطفولى الذى ابدى موافقته على عقد القران منذ ثلاث سنوات فى مكتب والده لينسحب بعدها خارجا تاركا الجميع خلفه بمن فيهم الزوجة الطفلة التى سميت باسمه للتو.....

ولاول مرة منذ سنواتٍ عديدة حدثت معجزة ان تبللت عينيه بدمعةٍ لم تسقط منها ابدا و لم يشعر بها غيره ..... همس لها بصوتٍ مختنق

"صفى لي شكل سابين..... "

نظرت اليه بدهشة تتعجب من نبرة الألم فى صوته و من اهتمامه المفاجىء بسابين .... لكنها اخذت تصفها له بصوتها الناعم الذى ينافس فى نعومته نعومة الأنغام التى يتمايلان عليها.....

كان ادهم يتحدث الى احد رجال الاعمال بينما تقف حلا بجواره صامتة متعلقة بيده لا تتركها ابدا و هى تعد اللحظات ليعودا الى القصر .... ملجأها الآمن.....

فجأة شعر بمخالبٍ كمخالب قطةٍ صغيرة تتشبث بكفه حتى جرحتها من شدة ضغطها عليه .... فنظر بسرعةٍ اليها فهاله شحوب و جهها الذى بدا كالقطن الأبيض و هى تنظر مرعوبة أمامها.....

فنظر تلقائيا الى ما ارعبها الى هذا الحد فوجد رجلا يقف فى زاوية بعيدة من القاعة و هو ينظر اليها ايضا لكنه ادار وجهه بسرعة ما ان لمح نظرات ادهم المتوحشة اليه ..... لحظاتٍ قليلة بعدها و كان اسم هذا الرجل لديه ..... فالتقط هاتفه فى غفلةٍ وحيدة

من حلا و هو يقول لمحدثه " الاسم الذى سأمليه عليك ..... اريد عنه كل المعلومات الممكنة , و فى اسرع وقت ....."

ثم اخذ يبحث عن حلا بسرعة فهاله الا يجدها فى اي مكان اخذ يدور فى القاعة بهياج يبحث عنها حتى وجد فارس يقف وحيدا فاتجه اليه على الفور و سأله عن حلا فاخبره فارس بقلق انها منذ لحظات اخبرت سما بشعورها بغثيان فذهبت سما معها على الفور الى حمام السيدات.....

تركه ادهم حتى قبل ان يكمل كلامه و هو يسرع الخطى الى حمام السيدات ففتح الباب دون استئذان و دخل يبحث عنها و هو يسمع الصرخات المستاءة من السيدات دون ان يبالي بها , حتى وصل الى الحجرة الصغيرة المفتوحة فى النهاية حيث تقف سما مرعوبة وهى تحاول مساعدة حلا الجاثية على ركبتيها و هى تتقيأ فى المرحاض امامها بشكلٍ افزع الموجودات اقترب ادهم منها بسرعة و جلس القرفصاء بجانبها و هو يضعط على ظهرها مبعدا شعرها عن وجهها برفق بيده الأخرى.....

بينما اخذت سما تعتذر للسيدات عن وجود ادهم نظرا لحالةٍ طارئة .....و بعد لحظات كان ادهم يوقف حلا على قدميها و يغسل لها و جهها و هى لا تتوقف عن الارتجاف ..... وما ان انتهى ادهم حتى اخذها بين ذراعيه و هو يهمس بأذنها " لقد تكفلت بكل شيء .... لا تخافى....."

اغمضت حلا عينيها وهى تدفن وجهها بصره , لا تريد ان تنفصل عنه ابدا ..... الماضى ... الماضى ... سيظل يلاحقها الى ان تموت .... لن تجد منه مهربا ابدا.....

خرج ادهم من حجرة السيدات و هو ممسكا بحلا التى تحاول جاهدة السيطرة على نفسها و هى تحاول الا تنظر حولها حتى لا تجده أمامها.....

همس ادهم فى اذنها " هيا لننصرف يا حلا..... "

ظلت صامتة عدة لحظات ثم قالت بارتجاف

" لقد وعدتك يا أدهم ..... و سأبقى "

لم يصدق تلك القوة التى تحاول التمسك بها ..... فامسك وجهها بين كفيه يرفعه اليه وهو ينظر فى عمق عينيها المعذبتين قائلا

"الم اخبرك قبلا كم انت رائعة ..... وكم انا فخور بك "

ابتسمت قليلا و هى تنظر الى وحش آل مهران .... وحشها المغوار ....وهى تتسائل متى سيتركها , هى و كل ماضيها بكل سواده.....

وصلت سما اليهما و هى تحتضن حلا بشدة و تقول

" الحمد لله انك بخير يا حلا ..... لقد ارتعبت "

ابتسمت حلا و هى تربت على شعر سما قائلة بضعف

" لا تخافي سما ..... هذه المواقف تحدث لي كثيرا "

دمعت عينا سما و هى تشدد من احتضان حلا التى بدت مثالا للعذاب و الألم .....وصلت اليهما اصوات الموسيقى الناعمة لتخرجهم من جوهم الحزين فانتهز ادهم الفرصة ليقول مبتسما

" اعذرينا الآن يا سما .....سآخذ هذه الجميلة لأرقص معها "

لكن حلا قالت بضعف " لن استطيع الآن يا ادهم حقا ....."

لكن قبل ان يرد عليها سمع سما تسأله " ادهم من هذه السيدة التى تحدث سابين ؟....."

التفت ادهم لينظر الى احمد وسابين .....و السيدة التى تقف معهما فقال بدهشة وهو غير مصدق " عمتى ؟.....!!"

لينبعث صوتي سما و حلا فى وقتٍ واحد هاتفتين بدهشة اكبر " أمى ؟.....!!"

.....

.....

.....

همست سابين تسأل السيدة الجميلة الواقفة امامها ..... والدة زوجها ....تلك الهالة الناعمة البيضاء التى تجلت أمامها فجأة كالملكة الأم

" هل قابلتِ أبي قبلا ؟....."

بان حزنا دفينا فى اعماق عينيها الرماديتين الحانيتين والتى شردتا بعيدا .... بعيدا عنها و عن احمد الذى كادت نظراته ان تقتلهما معا الا ان سابين لم تكن تنظر اليه ..... كانت تنظر الى والدته مبهورة و التى تبدو و كأنها فتنتها..... تماما كما فتنت هى تالا الصغيرة.....

لكن قبل ان تسمع جوابها سمعت صوتا مبحوحا ساحرا بنعومة الافاعي جعل جسمها يقشعر غضبا يقول

"بالتاكيد قابلته حبيبتي ..... فهى كانت السبب فى ترك والدك لنا و الذهاب للموت فى احضانها "

اغمضت سابين عينيها من هول ماقالته تلك المرأة التى لن تتوقف عن اذيتها ابدا .... لكن ان تتجرأ و تأتى الى زفافها لتهين والدة احمد امامه بأكاذيبها الفجة ..... لقد

اتت لتفسد زفافها و قد تأكد لها هذا حين سمعت صوت احمد يقول من خلفها بنبرة خافته جعلت الدماء تتجمد فى عروقها

:" ان لم تحترمى من هم أعلى منكِ شأنا , فمن الافضل ان تغادري حالا ..... و الا فلا تلومي غير نفسك "

التفتت والدة احمد ببطء دون ان تهتز منها شعرة واحدة لتقابل بعينيها الرماديتين الصافيتين , عينا ايثار ذات اللهب الازرق الحاقد.....

ثم قالت بكل هدوء ووقار " لن تتغيري ابدا ايثار ..... ستظل روحك الحاقدة تحرقك الى ان تقضي عليكِ فى النهاية "

قالت ايثار بهمسها الأجش " تماما كما قضيتِ انتى على والد بناتى..... "

اندفع احمد هادرا بغضب صاعق " هذا يكفي .... اخرجي من هنا حالا..... "

كاد ان يمسك بذراعها ليلقي بها خارجا .... الا ان سابين تشبثت به بقوة ِ تقول " ارجوك يا احمد لا اريدها ان تخرج بهذه الطريقة..... "

نظرة احمد اليها ارعبتها و سمرتها مكانها .... لكن من يلومه فايثار الليلة لم تكن لتفعل احقر من هذا ابدا .....لكنها بالرغم من ذلك تتكلم بثقةِ و كأنها تحكي الحقيقة ..... ما الذي يحدث هنا .....شعرت سابين بالدوار من هذا الكابوس الذى تعيشه خاصة و ان معظم المدعوين الآن قد لفت نظرهم ما يحدث من فضائح العائلة الكريمة .....و اخذت اضواء الكاميرات تغمرهم حتى كادت ان تغشي عينيها.....

وصل اليها صوت ادهم الحانق المتوحش من خلفهم وهو يقول

" كيف تجرأت على الظهور هنا .... قسما بالله ان لم تخرجي حالا فلسوف القي بكِ خارجا بنفسي "

هذا ما كان ينقصني همست سابين فى داخلها بغضب ...ان يتدخل ادهم الآن ليفسد الموضوع اكثر و اكثر ..... لكنها التفتت اليه و قد فجرت كلماته الغضب الذى تحاول كبته فهتفت به

" ادهم لا تخاطبها بهذه الطريقة .... "

وصلت سما الي ايثار و اخذت تجذبها من ذراعها و هى تهمس بتضرع من شدة رعبها من الخراب الذى احدثته من حولها

"أمي ارجوكِ اخرجى معي الآن ..... ارجوكِ "

الا ان ايثار و والدة احمد ظلتا تنظران الى بعضهما و الماضي الأسود يندفع من بينهما ليعود بكل شروره مدمرا كل من حوله.....

قال ادهم مرة اخرى محاولا السيطرة على غضبه من تلك الأفعى التى ذبحته فيما مضى

" اخرجي الآن ايثار بما تبقى لكِ من كرامة..... "

و جاء صوت احمد و هو يقول بقسوة " سيأتى من يصحبك خارجا الآن ثم سيقلك حتى باب بيتك..... "

ظلت ايثار واقفة مكانها و لحظاتٍ قليلة الى استسلمت جاذبة ذراعها بقسوة من يد سما لتندفع خارجة تلحقها شياطينها الحاقدة.....

تساقطت دموع سما مما حدث لايثار امامها بينما ظلت سابين متسمرةِ مكانها تظر الى الارض وهي تقبض

عل تنورة ثوبها بشدة حتى ابيضت مفاصل اصابعها و قد انحنت كتفيها من هول ماحدث لها فى هذا اليوم ..... ما الذى يمكن ان يحدث اسوأ من ذلك.....

وصل نادلا قلقا متوترا الى ادهم الذى لا يزال و اقفا قرب عمته بعد انصراف ايثار ليهمس فى اذنه

" سيدي .... السيد شقيقك يمسك بعنق مدعوٍ من المدعوين و يكاد يزهق روحه "

التفت ادهم اليه مصعوقا يسأله "اين ؟....."

اجابه النادل بقلق " فى الحمام سيدي..... "

نظر ادهم الى السماء وهو يتسائل بغضب ..... متى سينتهي هذا الزفاف المشؤوم.....

اخذ ادهم يدفع الجمع المتجمهر امام باب الحمام الى ان استطاع اخيرا ان يدخل ليفاجأ بفارس جاثما على شخصٍ ملقى على الأرض و هو يمسك بعنقه لا يريد افلاته بينما اثنين من الأمن يحاولان سحب فارس و تخليص الرجل من قبضته دون جدوى ..... اتجه ادهم اليه بسرعة و هو يمسك به من ثيابه ليشده و هو يصرخ

" كفى فارس ..... كفى ستقتله "

تمكن ادهم بمساعدة الامن من خليص الشاب بأعجوبة من يدي فارس ..... و الذى ما ان تحرر حتى قفز واقفا وهو يمسح الدم من زاوية شفتيه و هو يهدد ان والده سيدمر العالم من حولهم.....

اشتعل فارس مرة اخرى و هو يحاول الوصول اليه لكن ادهم و الحارسين امسكا به بشدة .....و صرخ ادهم

:" ماذا فعل يا فارس ليستحق كل هذا..... "

هتف فارس الذى بدا فى هذه اللحظة كحيوانٍ مفترس همجى

"كان الحقير يتحدث هو و آخر عن سما ..... لقد سمعتهما وانا بالداخل "

صرخ به الشاب يستفزه من خلف ادهم " انا اتكلم عن من تحلو لي ايها الأعمى..... "

حاول فارس الهجوم عليه مرة اخرى و هو يصرخ الا ان ادهم و الحارسين تشبثوا به مرة اخرى بكل قوتهم و صرخ ادهم

" كفى فارس ..... لا تنزل الى مستواه "

ثم لم يلبث ان استدار بسرعة ليلكم الشاب لكمة اسقطته ارضا و هو يكمل لاهثا

"دعني انا انزل بالنيابة عنك..... "

اندفع ادهم خارجا و هو يسحب فارس معه الى الخارج امام الأعين المذهولة بينما يتعالى من خلفهما صراخ الشاب الأحمق الذى اوقعه غبائه بين براثن اثنين من آل مهران.....

قال ادهم لفارس بغضب " من اين علمت انه يتحدث عن سما نفسها..... "

قال فارس بصوتٍ لاهثٍ خافت " كان يسأل صديقه ان كان رأى الشعلة الأنثوية التى تجر الأعمى خلفها ....."

صمت ادهم لحظاتٍ ثم قال له " هيا بنا لنرحل .... لم اعد اطيق ان اظل هنا لحظة واحدة .....كان يجب ان اتوقع كم المآسي التى ستحدث فى زفاف الكارثة المسماة سابين.... "

وصلا الى سما التى صرخت حين شاهدت وجه فارس المكدوم الا ان ادهم اشار اليها لتصمت حاليا ثم اتجه الى حلا التى كانت الدموع تغطي و جهها راسمةِ خطوطِ سوداء على وجنتيها فأخذها بين ذراعيه و هو يهمس

" لقد انتهت الليلة حبيبتي .....انا آسف لأننى عرضتك لكل هذا "

دفنت و جهها فى صدره و هى تبكي ثم سمعها تقول

:" لماذا لم تكتب السعادة لأي منا يا أدهم..... "

اندفع الألم حادا فى اعماقه وهو يتسائل.....الم تجدي سعادتك بعد يا حلا ؟.....

.....

.....

.....

كان يقود السيارة و لا يضيء وجهه الا الانوار الضعيفة الآتية من الليل الممتد حولهما ... فلم تستطع ان تتبين ملامح وجهه جيدا....

الا انها كانت متأكدة ان ايثار نجحت فى مسعاها بكل اقتدار ..... يالها من ليلة ... ويالها من فضيحة ستظل الأجيال تتحدث عنها .... الا انها لم تكن تهتم لكل هذا .... فقط تتمنى ان تدخل الى عقله الآن لتعرف فيما يفكر....و كيف يشعر تجاهها الآن.....

عادت اليها كلمات ايثار التى القتها كالقنبلة الليلة ..... ماذا كانت تعنى بانها السبب فى ترك والدها لهن .... وأنه مات فى احضانها....

كيف هذا ؟..... هناك فرق فى العمر بين والدة احمد وبين ايثار ..... هذا يبدو جليا , فايثار تبدو وكأنها لازالت شابة فكيف تعرفان بعضهما ....وما علاقة والدها بكل هذا.....

نظرت الى احمد مرة اخرى .... لقد بدا الليلة و كأنه كان يعلم عما قالته ايثار .....و لكنها لم تكن لتجرؤ على سؤاله الآن.....

وحين شعرت انها لن تستطيع احتمال الصمت اكثر همست بصوتٍ ساحر حتى فى حزنه

" اخبرني على الأقل الى اين نتجه ؟....."

التفت اليها الا ان ملامحه ظلت مختبئه فى الظلام ..... ثم قال اخيرا بصوته العميق

" ستعرفين حالا ..... اتمنى ان تعجبك مفاجاتي "

ابتسمت بدلالٍ وقد ارتفعت روحها قليلا ثم مدت يدها ووضعتها على فخذه بنعومة و هي تهمس مبتسمة

"بالتأكيد ستعجبني ما دمت معى.... "

التقط يدها بيده و رفعها الي شفتيه و هو يهمس

"دوما سأظل معكِ .....من هذه اللحظة وحتى آخر عمري سابين "

القت راسها على كتفه و هي تتنهد بارتياح بعد هذه الكلمات الآسرة التى سحبتها معها الى عالم الاحلام بعد هذا اليوم القاتل.....

شعرت بأصابع حانية تتجول على و جنتها ثم تلتها ملمس شفتين رقيقتين اخذتا تمسحان شفتيها برفقٍ

لتوقظها من نومها العميق .....صوته يخرج هامسا بين شفتيها

" سابين استيقظي ..... لقد وصلنا "

اخذت تتمطى بين ذراعيه التى اشتدتا عليها .... ثم ارتفع جفنيها ببطء لتطالعها عيناه اللامعتان المفترستان والتى جعلت قلبها يتفجر بألعابٍ نارية و مفرقعات.....

همست له بنعومة " مرحبا..... "

رد عليها يهمس و هو يلامس شفتها السفلى بسبابته "مرحبا..... "

ظلا ينظران الى بعضهما و قد ابتلعهما الظلام من حولهما تماما سامحا لهما فقط بالنظر لأعين بعضهما .....

اخيرا همس احمد مرة اخرى " لقد وصلنا..... "

انتبهت للمرة الأولى انه توقف بالفعل ..... فاستقامت بقدر ما سمحت لها ذراعاه ..... تنظر حولها , الا انها لم ترى سوى خيالات مبنى ضخم مغرق فى الظلام .....شعرت بالخوف فجأة لا تعلم ما سببه..... فهمست مرتجفة

"اين نحن؟....."

نظر الى نظرة الخوف التى لم يراها فى عينيها مطلقا من قبل ..... كم بدت جميلة و ناعمة و صغيرة ..... كطفلة تقريبا بالرغم من انها فى السابعة و العشرين .....الا انها تصغره بتسع سنوات كاملة.....

كتم شعورا بالانقباض بداخله و رسم ابتسامة رقيقة على شفتيه .....ثم قال بهمسٍ اجش

"لقد احضرتك لقلعة الوحش ..... لالتهمك بمفردي "

احمر و جهها بشدة و اسبلت جفنيها ....شعر وقتها انه على وشك ارتكاب عملا احمقا , فتركها بسرعة لينزل من السيارة و يدور حولها ليفتح الباب المجاور لها , ثم مد يده يلتقط يدها و يسحبها اليه.....

و قفت سابين تحاول تبين المكان المظلم من حولها .... الا انها لم ترى سوى منزلا ضخما فى منطقة منعزلة لم تتعرفها.....

قال لها احمد بغموض

" اعرف انك تشعرين بالاحباط ..... فربما كنت تودين السفر الى احد المتنجعات الراقية "

رفعت نظرها اليه و اهدته اشد الابتسامات سحرا و هى تهمس

" بل افضل تماما ان نكون وحدنا,,,,,, "

شعرت فجأة باختفاء الأرض من تحتها حين مد ذراعيه و حملها بسرعة.....فشهقت ضاحكة و هي تقول

" احمد ...هذا الفستان يحتاج الى اربعة اشخاص ليتمكنوا من حملي..... "

ضحك احمد ثم قام بقذفها لأعلا لعدة سانتيمترات ثم التقطها مرة اخرى و هى تصرخ ضاحكة .....ثم اتجه بها اخيرا لتلك القلعة الغامضة.....

حين دخل احمد وسابين .....اخذت تنظر الى ذلك المنزل الضخم الذى يفوح منه رائحة الماضي المثيرة ..... بتصميمه الاثري و اثاثه القديم لكن فى نفس الوقت رائع ..... اللوحات الزيتية الضخمة .... الثريات الفخمة المتدلية ..... السجاد العتيق و الوانه التى يتداخل بها الأحمر الياقوتي الدافىء

صعد بها احمد مباشرة على السلالم الرخامية الى الطابق العلوي .... بينما اخذ قلبها يصرخ بشدة مما ينتظرها .....

دخل بها الى غرفة نوم ضخمة .... ذات فراشٍ ضخم يعتبر تحفة فنية فى حد ذاته بالستائر الشفافة التى تحيط به من كل جوانبه.....

انزلها على قدميها ..... فاخذت تدور حول نفسها مغمضة عينيها فاتحة ذراعيها ..... لا تصدق السحر الذى تعيشه .....اخذت تدور وتدور .... الى ان شعرت بذراعيه يعتقلان خصرها بشدة ...فارتفعت اقدامها عن الارض قليلا و فمه يلتهم فمها بقسوة بينما اخذ يكمل الدوران هو وهويحملها .....وظلت سابين مغمضة عينيها لتعيش كل لحظة من هذا الحلم.....

لحظاتٍ بعدها و كانت قدميها تقفان على الارض مرة اخرى بينما يده تمتد لتنتزع ترحة الزفاف و تلقيها بعيدا ..... لتشعر بعد ذلك بسحاب ثوبها يهبط ببطء كاد ان يحرقها.....

و بعد صراعٍ مع هذه الكومة الضخمة من الحرير ..... حملها اخيرا الى الفراش و القاها عليه .....ثم هجم عليها ليقضى على عذاب الأيام التى عرفها فيها ..... بينما ضاعا تماما و ضاع الماضى و المستقبل و كل شيء الاهما و اللحظات التى يعيشونها.....

فتحت سابين عينيها على صوتٍ اخترق نومها الهش لينتزعها من احلامها الرائعة ..... فقفزت جالسة و هى تحاول التأكد من الصوت الذى سمعته ..... وحين نظرت الى الجانب الخالي بجوارها ..... قفزت من الفراش و هى تجر اغطيته اليها لتلف بها نفسها ثم جرت الى النافذة و هى تحاول التبين من الظلام الذى

لا زال يسود الدنيا بالخارج .....الا ان ما لم تخطئه
ابدا .....هو سيارة احمد الذى انطلقت بسرعة ٍ
محدثة صوتا عنيفا و مخلفة و رائها الرماد الهائج
..... وعروسا تقف فى النافذة مذهولة و هى لاتزال
ملتفة بغطاء الفراش .....

الفصل الخامس عشر

كان شعاع الضوء الشاحب يتسلل من بين الستائر العتيقة ليرسل بعض الأمل الى الغرفة الصامتة المهيبة والتى تجعل من يدخلها يشعر بأنه دخل الى زمن العصور الوسطى .....بستائرها المخملية الداكنة الحمرة و المرايا ذات الاطارات المذهبة و السجاد البارز رسومه

والفراش الضخم بأعمدته النحاسية المزخرفة و ظهره المغطى بلوحة مشغولة على الحرير ..... و الستائر الشفافة المتطايرة تحيط بهذه الاعمدة.....

وكانت اغطيته وو ساداته المبعثرة فى كل مكان هى الدليل الوحيد على وجود حياة فى هذه الغرفة ..... وعلى المعركة الطاحنة التى دارت به منذ ساعات قليلة .....

بينما فى ركن من اركان هذه الغرفة الاسطورية و لتكتمل لوحتها الخيالية .... كانت تجلس على الارض امراءة رائعة الجمال , ملتفة بغطاء حريري رافعة ركبتيها الى صدرها .....و شعرها الاسود الهمجي ينساب متموجا على اكتافها وظهرها حتى كاد ان يلامس الارض التى تجلس عليها.....

لا تتحرك ..... لا ترمش , بعيناها التى تشبه الاحجار الكريمة ليس فقط فى لونها بل ايضا فى صلابتها و هى تنظر امامها بلا اى تعبير يدل على انها حية تتنفس .....

مشاعر ميته .... فراغ .... فراغ هائل بداخلها يجعلها لا تكاد ترى ما حولها.....

"لا تخبرينى ان واحدة فى ذكائك قد وقعت فى فخ عرض الزواج الزائف هذا ...." عادت هذه الجملة تطل

بصوتِ الافاعي الناعم الى عقلها ..... كما ظلت تتسرب اليها طيلة الايام السابقة و هى تحاول اخمادها و ابعادها عن ذهنها بكل غباء.....

كيف فعل ما فعله ؟..... هنا تركها وحيده فى هذا المنفى .....بعد الليلة السابقة , كيف استطاع ان يكون معها بكل هذه الروعة و الصبر حتى حررها من كل حواجزها لتدخل عاصفته المهلكة و تذوب منه وفيه ..... كيف نجح فى منحها هذه السعادة بينما كان ينوي تركها على هذا النحو.....

ماهى ابعاد خطته الجهنمية ..... هل ظهور ايثار بالامس هو السبب .... ام كلامها البشع .... ام ان يكون قد خطط لانتقامه منذ وقتِ ابعد ..... انقاذا لزواج دراين مثلا ؟..... هل وصل به الغباء لهذه الدرجة السوداء ؟.....

متى سيظهر ؟..... هل ينوي تركها هنا لتموت ؟..... ابتسمت ابتسامة مريرة و هى لا تتعجب ان فعلها ..... فانتقامه كان اسوأ من القتل الف مرة.....

حين نظرت اليه من النافذة و هو يطير مبتعدا ..... جرت فى لحظة تبحث عن هاتفها الا انها تذكرت انها تركته فى السيارة , فجرت تجر غطاء الفراش خلفها لتخرج من الغرفة و تهبط السلالم جريا و هي تبحث عن اي هاتف حتى و جدت هاتفا لا تتذكر انها رأت مثله الا فى الأفلام القديمة لكن حين رفعته الى اذنها بلهفة لم يواجهها الا الصمت المطبق الذى كاد ان يخرق طبلة اذنها ..... فانزلت السماعة عن اذنها ببطء شديد و هى تنظر امامها و هى تشعر بالفخ الذى ُنسج لها ..... فاخذت نفسا عميقا تحاول تهدئة نفسها ثم صعدت السلالم مرة اخرى متجهة الى الغرفة ثم فتحت الدواليب الضخمة بعنف .... فلم تفاجأ كثيرا بانها

فارغة تماما تنبعث منها رائحة ماضي غريب .....اغلقتها بعنفٍ وهى تصرخ بصرخةٍ شرسة تردد صداها فى ارجاء هذا المنزل العملاق.....

لقد اخذ حقيبة ملابسها التى كانت اعدتها لقضاء شهر العسل و تركتها بسيارته ..... تركها وحيدة عارية فى مكانٍ مجهول بلا اى وسيلة مواصلات , ما كل هذا الكره الذى كان يحمله بداخله تجاهها ليفعل بها هذا ..... كيف استطاع ان يرغبها مع كل هذا السواد بداخله ..... استندت بظهرها الى الحائط و نزلت ببطء تجلس على الارض غير قادرة على التحرك بعد ان تكسرت الى الف شظية ..... ومن وقتها و هى تجلس بهذه الحالة ... حتى تسرب الشعاع الفضي من النافذة.....

.....

.....

.....

كان مستلقيا على فراشه و اضعا ذراعه على عينيه كأنه يحاول محو الصور المتلاحقة لسابيةٍ همجيةٍ آتيةٍ من العصور السحيقة.....

تحاوط عنقه بذراعيها.... تتأوه و تتنهد بدفء ..... شعرها الأسود الهمجي يتناثر من حوله كستارة حريرية مظلمة تلقى على وجهه لتسحب منه و هى تلسع بشرته بنعومتها.....

كان يظن نفسه دائما من النوع المتزن المسيطر على نفسه ..... لا تهزمه مشاعر او رغبات ..... كل شيء كان يقوم به باعتدال الى ان عرفها.....

كما لم يظن ان تكون ناعمة الى هذه الدرجة المجنونة ..... و لا ان يكون بداخلها هذا النبع من البراءة التى ظهرت عليها لتجعلها تتجمد قليلا و تظهر عليها

معالم عدم الثقة وهى تنظر اليه بعينين متسعتين فى رهبة بينما كان وجهها احمرمثل الورود الحمراء

لكن ما ان اخذ يهدئها حتى استسلمت بين ذراعية و ذابت معه فى عاصفة مجنونة اطاحت بهما معا.....

رفع ذراعه عن عينيه ببطء ليقوم و يجلس على حافة الفراش ..... ثم التقط الصورة الغالية الموضوعة بجوار الفراش ..... اخذ ينظر اليها طويلا .....حبيبتى اشتقت لعينيكِ الحنونتين ..... اشتقت ليديك التي كانت تمسح تعبي ..... صوتك ..... ابتسامتك.....

اخفض رأسه حتى لامس الصورة بجبهته ..... ثم همس

"سامحيني يا ليال ..... سامحيني حبيبتي "

وضع الصورة مكانها ..... ثم اخذ نفسا عميقا و مسح وجهه بيديه لتعود القسوة و البأس الى ملامحه ..... ثم نظر الى ساعة يده لحظة قال بعدها بهمسٍ شرس

"لازل اليوم امامك طويلا يا زوجتي ..... فانعمي بوحدتك قبل ان اصل اليكِ ايتها الشرسة "

.....

.....

.....

في نفس الوقت من الصباح الباكر الذى يتسلل شعاعه الفضى على غرفة اخرى حيث كانت تلاعب خصله شارد من شعره و هي مستلقية بجواره تستند على مرفقها و تنظر الي وجهه المجروح المتجهم .....همست له اخيرا

" تكلم معي يا فارس ..... مالذى يغضبك الى هذه الدرجة ؟...."

ظل مستلقيا على ظهره ناظرا امامه و ملامحه متصلبة لا يظهر عليها اي تعبير سوى القسوة ..... حاولت سما الكلام معه مرة اخرى فاقتربت منه و قبلته برقة على جبهته و هى تهمس

" لماذا لا تكلمني هل فعلت ما يغضبك ؟....."

ارتجفت عضلة بجانب فكه الا انه لم يتحرك او يتكلم معها فقالت فى اسى

" اذا كنت قد اغضبتك فانا اسفة .....اصرخ بي كما تشاء لكن لا تصمت هكذا "

انسابت دموعها بنعومة على وجهها وهى لا تدري لها سببا .....بلى تدري ..... تدري اسبابا عديدة لدموعها.....انها كانت تظن انهما اقتربا من بعضهما كثيرا فى الايام السابقة ..... اقتربا كثيرا جدا ليطلعها على كل شيء يؤلمه.....

تبكي لانها كانت شبه لانها لا تتحمل رؤيته يعود الى انعزاله و يعاود الالم للظهور بعينيه من جديد ..... بعد ان كانت بدأت ترى ابتساماته و ضحكاته.....

تبكي لأنها تغار من حلا ومن سابين ..... شهقت شهقة صامته و هى تغص بدموعها حتى لا يسمعها .....

الليلة و هي تنظر الى كلا من حلا و سابين ..... كانت تشعر بالغيرة ..... ترى كيف ينظر ادهم الى حلا .... كيف يتشوق الى ان يقبل وجهها ..... كيف يبتسم لها .....كيف يتحين الفرص ليحيط خصرها بذراعه ..... و منذ يومين كانت واقفة فى الحديقة فى الظلام فى ركنٍ

لا يراها احدا منه فشاهدت حلا واقفة فى شرفتها تستند بكفيها على سور الشرفة و هى تتأمل المنظر من امامها ..... ليأتي ادهم من خلفها ليفاجئها ثم اخذ يضاحكها .... الى ان حملها بين ذراعيه و دخل بها الى غرفتهما ..... ظلت تنظر الى شرفتهما طويلا و هى تشعر بتسارع دقات قلبها و سخونة فى خديها .....بينما اخذ الاشتياق ينهش اعماقها الى هذا الوحش الغبي بجوارها الذى يأبى ان يحرر انوثتها الى الآن ..... يذيقها حبه مراتٍ ومرات ثم يبتعد عنها ليتركها تحترق فى نار حبه التى اشعلها ..... لماذا يفعل بها هذا .....الازال يكرهها ..... هل يراها اقل من ان تصبح زوجة فارس مهران .....

سقطت دمعة من على وجهها بنعومة على وجهه ..... رمش بعينه مرتين ثم مد يده ببطء الى وجنتها يتلمسها و هو عاقدا حاجبيه ثم قال اخيرا بصوتٍ اجش

"لماذا تبكين ؟....."

ابتلعت ريقها و هى تصدر صوت بكاء منخفض بينما لم تستطع النطق .... فما كان منه الا ان ازداد عبوسا و جذبها بذراعه لتسقط على صدره ..... فلم تستطع ان تتحمل اكثر فاخذت تشهق باكية و هو يزيد من ضمها اليه دون ان يحاول تهدئتها ..... كيف يهدئها و هو لا يستطيع تهدئة نفسه.....

بعد ان بكت على صدره كثيرا تنهدت تنهيده كبيرة بعد ان هدأت قليلا من الاعصار المؤلم الذى اصابها ..... ثم رفعت نفسها بعد لحظات لتستند على مرفقها مرة اخرى وتعود الى النظر اليه ..... وحين شعرت ان قدرتها على الصبر نفذت اقتربت ببطء من وجهه لتلمس شفتيه بشفتيها الناعمتين برقة فشعرت به يتجاوب معها بخفة فتشجعت اكثر لتعمق قبلتها ..... شعرت به بعد لحظاتٍ يتشنج ثم امسك وجهها بكلتا

يديه ليبعدها عنه و هو يلهث , فتجهمت لا تصدق انه يبعدها عنه .... حتى قبلاتها اصبح لا يريدها ؟.....همست بتحشرج

" فارس ....لماذا تبعدني عنك ؟...."

صمت لحظة و انفاسه الغاضبة الساخنة تضرب وجهها بقسوة ثم قال لها بصعوبة

"انا لا ابعدك..... "

مدت يديها لتبعد كفيه عن وجهها ثم همست بجرأة

"اريد ان اقبلك..... "

ابتلع ريقه كأنه يسيطر على نفسه بمعجزة ولم يستطع النطق ..... فاقتربت من وجهه مرة اخرى لتقبل كل جزء من وجهه ..... وجنتيه ....عينيه ..... ذقنه .....لتنتهى بشفتيه مرة اخرى ..... هذه المرة جذبها اليه بشدة فوقه ليُسقِطها على الجهة الأخرى من الفراش و يميل فوقها وهو يغرقها بقبلاته الحارقة التى انسابت على عنقها و شفتيها .....و احاطت هى عنقه بذراعيها تتنهد بشوق و تحرك وجهها برقة يمينا و يسارا بتناغم مع وجهه ..... و بعد ان غابت تماما فى دوامه المشاعر التى تجمعهما , لم تشعر بنفسها وهى تهمس

" احبك .....احبك .....يا الهى كم احبك "

تجمد في مكانه فجأة , ما ان وصلت هذه الهمسات الملتاعة الى اذنيه .....رفع وجهه ببطء وهو ينظر اليها مذهولا ثم قال اخيرا

"ماذا قلتِ؟.....!!"

نظرت اليه برعب وهى لا تصدق ان الكلمات التى قالتها فى قلبها آلاف المرات قد تحررت منها اخيرا و

غادرت شفتيها ليسمعها هو .....قالت له مذعورة بتلعثم

" لم اق.....لم اقل شيئا....."

مد يده ليقبض على ذقنها و اقترب منها بوجهه و همس بعنف ولوعة

" ماذا قلتِ يا سما ؟.....اريد ان اسمعها مرة اخرى "

ظلت صامته ترتجف و هى لا تعلم ان كان غاضبا ام سعيدا ..... وان كانت تستطيع ان تعيدها لاذنيه ام تسكت حفاظا على حياتها

اقترب ابهامه و سبابته من شفتيها فضغط عليهما برفق و اقترب منهما وهو يهمس مرة اخرى

"قوليها يا سما .....قوليها"

همست بدون وعي "احبك.... "

تأوه بعنف ثم وضع شفتيه على شفتيها المفتوحتين و همس فيهما " قوليها.... "

همست بتحشرج لتخرج همساتها الى شفتيه مباشرة " احبك ..... احبك .....احبك.....احب .."

التهم كلمتها الأخيرة قبل ان تكملها .....وكاد ان يلتهمها هى كلها بينما يدور بها مرة اخرى الى الجانب الآخر دون ان يترك شفتيها ....مرت الدقائق المشتعلة بينهما و هو يدور بها من جانب لآخر حتى كاد قلبيهما ان يتوقفا من شدة صراعهما ..... وحين ظنا ان هذه هى نقطة اتحادهما اخيرا ....بعد عذابِ السنوات الفائتة.....

ارتفع صوت طرق صارم على باب الغرفة , ليأتي بعده صوت اكثر صرامة

"سيدتي .....السيد ادهم و السيدة حلا ينتظراكما على مائدة الافطار..... "

رفع رأسه عنها قليلا و هو يرتجف ثم اخذ يشتم بعنف بينما اخذت سما تعيد اكتاف ثوبها الى مكانها ثم وضعت اصابعها المرتجفة بسرعة على فمه لتكتم شتائمه البذيئة وهمست بسرعة وهى غير قادرة على التقاط انفاسها بعد

"اصمت يا فارس ستسمعك..... "

قال وهو يلهث تحت يدها المرتجفة "دعكِ منهما .....لن ننزل "

ثم عاد يقبلها بعنف يحاول استعادة اللحظات المجنونة بينهما , الا ان سما قالت وهى تتملص من تحته و تحاول الابتعاد عن مرمى شفتيه.....ثم استطاعت الهمس اخيرا

" ان لم ننزل سيعرفان ماذا نفعل..... "

ضحك فارس ضحكة صغيرة و همس وهو يهجم عليها مرة اخرى

"و ماذا نفعل ؟....."

احمر وجهها و قالت تترجاه و تحاول الابتعاد عنه " فارس ... ارجوك سيصعد ادهم ليطمئن عليك بالتأكيد ان لم ننزل "

قال لها بعنف وهو يزفر" الا يوجد اي خصوصية فى هذا المكان ؟ ....."

قالت له سما فجأة بجرأة وعنفٍ يكاد يماثل عنفه "لقد كنت موجودة بجوارك طوال الليل .....بل كنت موجودة طيلة ثلاث سنوات فماذا كنت تنتظر..... "

نظر اليها مذهولا مما سمعه بينما ادركت هي ما نطقت به .....فساد بينهما صمتا مطبقا قاتلا للحظات طويلة , انهاها فارس حين همس

"هل تريدين ان تصبحي زوجتي يا سما ..... زوجتي بالفعل "

احمر وجهها بشدة الا انها قالت بعنف "غبي....."

ثم قفزت من الفراش بسرعة وهربت الى الحمام بينما ظل هو بالفراش يبدو عليه الذهول من السرعة التي انتزع بها كل الاعترافات التى يريد منها .....ظهرت على شفتيه ظل ابتسامة اخذت تتسع تدريجيا حتى شملت وجهه باكمله , ثم همس لنفسه

"ستضطرين للانتظار لفترة اخرة يا سيدة سما ..... فترة بائسة قصيرة..... قصيرة جدا "

نظرت سما الى نفسها فى مرآة الحمام ..... ماهذا الذى قالته لفارس ..... كيف استطاعت ان تكون وقحة الى هذه الدرجة .....لقد ادى الكبت بها الى حافة الانهيار ..... ترى هل يشعر الآن بالنفور منها لأنها اعترفت له بهذه البساطة عما تريده ..... لكنه كان يعرف قبلا ان هذا ما كانت تنتظره ..... والا فلما كانت تسمح له بالاقتراب منها الى هذه الدرجة ..... الا اذا ..... الا اذا كان يتسلى بها فقط ...لا يريد التزاما .....لا .... لا .....فارس يريدها ..... هى تعلم بذلك .....حتى وان كان هو لا يعلم بعد انه يريدها زوجة ..... واما لاولاده.....

ابتسمت برقة و هى تتخيل اطفالا صغارا ...بنين وبنات .... يشبهون فارس ..... بكل جماله وروعته.....

آآآآه يا ادهم ..... هل كان من الضروري ان ترسل فى طلبنا الآن .....تنهدت باسى ..... ثم عاودت الابتسام وهى تفكر

انت لى يا فارس ..... مهما طال الوقت انت لي.....

.....

.....

.....

كانت تجلس ممددة على الاريكة ينساب شعرها الاسود الناعم على اكتافها تتخلله بعض الشعيرات الفضية .....الدليل الوحيد على مرور السنين على هذا الشعر الرائع .....بعض الخطوط الدقيقة تشق هذه البشرة الرائعة التى تهافت الرجال للمسها يوما ..... عيناها ذات اللهب الازرق و التى لم تظهر سوى الحقد و الاغواء ..... هما فقط ما عرفتهما طوال عمرها.....

اخذت تنظر الى الصور القديمة بين يديها .....تنظر الى ابتسامته..... لعينيه ..... كم مرت السنوات بسرعة على فراقهما ..... سنواتٍ هى من عمر سما تماما .... احدى وعشرون عاما.....

كان وسيما جدا ..... رجلا بحق بالرغم من فرق العمر بينهما .....الا انه كان وسيما رجوليا... جذابا لاقصى حد .....

ابن عمها ....عماد ..... كان فخر عائلة الراشد , اكثرهم طموحا و مثابرة .... اكثرهم بأسا وصلابة .....كانت جميع فتيات الراشد تتمناه ..... الا انه فى النهاية اصبح من نصيبها هى .....يوم زفافهما كانت تشعر بانها ملكة و هى تسير متعلقة بذراعه وهى تنظر الى نظرات الغيرة العمياء من كل الفتيات من عمرها و الاكبرعمرا ايضا.....

لقد تزوجته وهى من عمر سما حين تزوجت فارس .....فى السابعة عشر ..... بينما كان هو في السابعة والثلاثين .... الا انها لم تكن لتهتم بفارق العمر بينهما .....ففى عائلة الراشد لم يكن هناك اي رجل يوازيه فى المكانة.....

لقد تعبت كثيرا وهى فى هذه السن الصغيرة لكي تلفت نظره وتوقعه فى حبائلها .....الا انها لم تيأس ابدا .....الى ان استطاعت اخيرا جره الى فخ الزواج ..... وقد حدث هذا بعد ان تعمدت افتعال فضيحة كبيرة , اجتمع بعدها رجال العائلة و ارغموه على الزواج من ابنه عمه المراهقة التى اغراها بدون اى ضمير.....

الا ان الحقيقة كانت انها ظلت تلاحقه و تلاحقه وهو لا يلقي بها بالا ابدا .....بالرغم انها اعتادت منذ ان بدأت تشب عن الطوق على ان يقع الرجال أسرى لسحرها الفتاك .....و كان كلما اهملها , ازدادت شراسة فى ملاحقته و اغواءه .....الى ان حانت اللحظة الحاسمة حين بدأت تشعر اكثر من مرة ببدء استسلام رجولته تجاه حرب الإغواء القاتلة التى شنتها عليه , فتعمدت حينها الاختفاء لفترة قصيرة عنه حتى اصبح كالمجنون ..... وحين ظهرت له فجأة بكل ما استطاعت جمعه من اسلحة الأنوثة و مقوماتها .....حتى لم يتمالك نفسه , ليهجم عليها محاولا اشباع القليل من جوعه الرجولي الذى ظلت تنميه طوال هذه الفترة .....ليفاجأ بعدها .....بهجوم عائلي حوله من كل جهة .....ودموع التماسيح و الافاعي تسقط من عينيها الزرقاوين لتسترحمه و تستجديه.....

و حين اجتمع رجال العائلة لمواجهته و سؤاله عن نيته .....رد ردا قاطعا لا يقبل النقاش بأنه سيتزوجها .....يومها .....يومها نالت ايثار الراشد حلمها الأول

..... وعرفت من وقتها ان طريق تحقيق الأحلام المستحيلة ليس صعبا .....ليس صعبا ابدا.....

فلقد تغلبت على ارادة عماد الراشد..... وتغلبت فى لحظة على حبه القديم الذى استمر لمدة عشر سنوات قبل ذلك ..... والذى انتهى بفضيحة كبيرة لعائلة مهران .....فضيحة لم يغفرها ابدا آل مهران و كانت على وشك اراقة الدماء بسببها بين العائلتين.....

وقد انتهت بتحطم قلب عماد ليعيش على ذكرى اميرته الحبيبة لمدة عشر سنوات كاملة ..... الى ان ظهرت ايثار بكل انوثتها الفجة و اسقطته بعد كفاح مرير .....

و حين انجبا فتاة صغير ذات عيونٍ فيروزية كالاحجار الكريمة .....كانت الاميرة اصبح لديها ولدا فى التاسعة من عمره.....

رفعت ايثار عينيها من الصور القديمة و قد اشعل الحقد الاسود اللهب الأزرق فى عينيها لتطل النظرة المخيفة منهما ..... نظرة من يعرفها , يدرك ان هناك من سيتأذى أذى شديد.....

ليلة الأمس قررت انها لن تكون الخاسرة الوحيدة فى هذه الصفقة .... فتأنقت و اصبحت من الجمال بما يوازي جمال بناتها الثلاث .....و ذهبت بكل عزم الى زفاف سابين ..... لكن ما ان رأت أميرة القصة القديمة حتى احرقتها نيران الغضب الأعمى و لم تستطع تمالك نفسها فدخلت تلك الدخلة المسرحية التى افسدت كل شيء.....

لم تكن تتصور ان الأميرة ستظهر فى زفاف السابية التى سبت زوج ابنتها الوحيدة ..... كانت تظن انها ستظل بعيدة تتحسر على سقوط ابنها الوحيد فى نفس الفخ الذى سقط فيه زوج ابنتها ..... و اقد ارضاها هذا

الاعتقاد , ارضاها تماما , بالرغم من انها لن تستفيد شيئا من هذه الصفقة عكس ما كانت ستحصل عليه من زواج سابين بمازن ..... الا ان مجرد تخيل الاميرة القديمة تبكي وتتحسر و تحاول اقناع ابنها بالعدول عن هذا الزواج ..... ارضاها تماما و جلب الى نفسها سعادة وحشية.....

لكن حين رأت الأميرة بكل سيطرتها وهيبتها وطلتها الملكية .....وهى تتلمس وجه سابين بتأمل و كأنها تستعيد الماضى منه .....حتى اشتعلت ايثار و اندفعت لتلقي قنبلتها الموقوتة كما فعلت , لتخسر المارد الى الأبد.....

التقطت هاتفها و طلبت رقما ثم اتاها الرد المقتضب .....فسألته بصوتٍ خافت مخادع

" كيف حالها ؟..... انت لم تكلمني منذ فترة "

لم تغفل اذنها عن صوت تأفف خافت من الطرف الآخر .... ثم ساد الصمت قليلا ليأتى الصوت البارد ليقول

" انها بخير ..... لا تطورات حتى الآن , ان حدث أى شىء سأخبرك "

اغلقت الهاتف وهى تبتسم بسخرية ..... الأحمق , يبدو انه سقط فى حبها كما كنت اتوقع تماما .....ومن يعرفها عن قرب ولا يحبها ؟.....

لكن هذا يخدم كل مخططاتها ..... فليحبها اذن كما يشاء , لكن عليه الا يأمل كثيرا فهى ابعد اليه من النجوم .....لكن ماذا ان احبته هى ؟..... ستكون هذه هى الكارثة..... لا..... بالتاكيد لا .....لا داعي للقلق.....

تنهدت بسخط وهى تتطلع حولها .....جميع بناتى اصبحن يسكن القصور و انا هنا فى هذا الجحر

.....كتفت ذراعيها و اخذت تتلمسهما بكفيها وهى تتطلع حولها مرة اخرى ..... الصمت يخيفها ..... ها هي قد اصبحت وحيدة ..... الصغيرات لا يردنها فى حياتهن .....لكن ليس الامر بهذه البساطة .....هى السبب فى ما هن فيه الآن ..... هى من ادخلتهن الى مملكة آل مهران .....هى السبب فى انهن تربين فى القصور منذ صغرهن ..... و الآن يدرن ظهرهن اليها ..... لقد رحلت سابين دون تلقى بالا بها ..... تركت لها من المال ما تنفقه فى شهرٍ واحد فقط .....سما لم تأتي لخدمتها منذ فترة ..... الغبية ....تسلم دفتها الى فارس بشكلٍ ميؤوسٍ منه ..... لم تاخذ سما منها اي شيء .....انها ضعيفة للغاية .... تتحمل وتتحمل دون مقابل ..... لكن لن يظل الوضع هكذا طويلا .....ستدفع ديونك يا فارس .....لقد اخذت اغلاهن لدي .... ويجب ان تدفع ثمنها .....لقد دفعت قديما ثمن الطفلة التى حصلت عليها لترعاك ...اما الآن .....فقد حان الوقت لتدفع ثمن المرأة الدافئة التى تقدم اليك سببا لتحيا من اجله.....

ارجعت رأسها الى الوراء و هى تهمس ..... لابد انك تعيشين حلما اسطوريا الآن يا سابين .....لقد حظيتِ بكل ما تمنيته .....قد تكونين بالفعل اذكى منى ..... فأين انتِ و اين انا الآن.....

ظلت مكانها طوال اليوم تتحسر على أيامٍ ضاعت منها ..... على الرجل الأول فى حياتها و الذى تركها ..... على الامبراطور الذى لفظها بعد مماته من مملكته.....

وبعد وقتٍ طويل غفت مكانها على الأريكة التى لم تتحرك من عليها طوال اليوم ..... والصور القديمة مستقرة بين أحضانها....

.....

.....

.....

مضى اليوم سريعا وانتشر الظلام مرة اخرى ليحيط بقلعة المارد ليحيطها بجوٍ رهيب من الخيالات و الظلال التى تشبه الأشباح و الصمت الذى لا تتخلله الا أصوات الحشرات الليلية.....

ثم فجأة انطلق صوت إطارات سيارة تقترب بسرعة جهنمية من باب القلعة , لتقف مرة واحدة مصدرة صريرا صارخا....

صوت باب السيارة يفتح ثم يصفق بعنف .....صوت باب القلعة الضخم يفتح مصدرا صوت مزلاقه القديم من الصدأ ..... ثم صوته وهو يغلق ليهز ارجاء المكان.....

أقدامٍ سريعة تصعد الدرج ...درجتين ..درجتين .....تقترب وتقترب الى ان توقفت امام باب الغرفة لعدة لحظات ..... مقبض الباب يدور فى مكانه ببطء..... ليفتح الباب.....

سمعت صوت الأقدام تقترب منها بصمت على السجاد السميك ..... حتى وقفت هاتين القدمين أمامها مباشرة و هى لا تزال جالسة على الأرض ملتفة بغطاء الفراش ..... ناظرة أمامها بصلابة كتمثالٍ من الرخام.....

" كيف حال عروسي الساحرة..... "

انطلق صوته الذى تغير من الهمس العاشق ليلة أمس الى سخريةٍ هازئة ٍ الآن نفذت الى اعماقها لتطعنها فى صميم قلبها.....

ارتفع رأسها ببطء لتنظر اليه من مكانها دون ان تتحرك و دون ان تهتز عضلة واحدة بوجهها ..... ظلت عيناها

الفيروزيتان تسبران عمق عينيه البنيتين الصلبتين .....ثم أخيرا همست بصوتٍ لا تعبير له

" لماذا تزوجتني ؟....."

نظر اليها من علو ..... وسكت لا يملك الا الإعجاب بشدة بأسها و صلابتها .....لا يصدق انه لا يرى عينيها الجميلتين متورمتين من البكاء كما تخيلهما .....أى فتاة تستطيع ان تمر برعب الساعات السابقة وتظل بهذه الصلابة ؟.....

لا انهيار .... لا حالات هيستيرية .... فقط سؤالا باردا مسلما به ...دون ان تحاول ان توهم نفسها بآمالِ زائفة .....رغما عنه اعترف بأن هذه المقاتلة الشرسة , خصما لا يستهان به.....

انحنى ليجلس القرفصاء أمامها ..... ثم مد يده ليقبض على ذقنها ويرفع وجهها اليه ... ثم قال بعد لحظة بكل وضوح

"تزوجتك .... لأننى أردتك ان تكونى زوجتي "

جذبت ذقنها من يده بعنف و شراسة ثم قالت بغضبٍ أعمى

" دعك من التلاعب بالألفاظ و أخبرني عن خطتك الجهنمية ..... ماذا تريد منى ؟..."

نهض على قدميه ثم انحنى ليسحبها بعنفٍ من ذراعيها لتقف أمامه بينما ظلت تتلوى بشراسة كالنمرة بين يديه الى ان قال يتهجى كلماته ببطْء أمام وجهها

"أريد ان اطهرك..... "

سكنت تماما بين يديه لتنظر اليه بذهول محاولة استيعاب ما قاله للتو..... وحين وجدت أنه لا يمزح من الجدية المرتسمة على وجهه قالت تتأكد بصوتٍ خافت

" ماذا قلت ؟....."

اجابها بنفس الوضوح وهو يشدد قبضته على ذراعيها

" لقد سمعتني.....سأطهرك من كل الافعال السوداء التي قمتي بها فى حياتك المسمومة "

ظلت صامته لعدة لحظات ..... ثم فجأة و كأن بركانا من الغضب انفجر بعد كل هذا التماسك الصلب خلال الساعات السابقة ..... لتصرخ صرخة عالية دوت كصوت الرصاص ..... بينما اخذت تتلوي وتضربه بأقصى قوتها بقبضتيها على صدره .... ثم اخذت تصرخ به بكلماتٍ بالكاد فهمها و هو يحاول السيطرة على مقاومتها الوحشية

" ايها النذل .... ايها المتوحش ..... من تظن نفسك لتحاكمني بهذه الطريقة..... "

ظلت تصرخ وتصرخ حتى بدأ صوتها فى التحشرج مهددا بجرحٍ حنجرتها .....فاخذت تسعل قليلا وهى تقاوم ذراعيه بضعفٍ بدأ فى التسلل اليها حتى و قفت تماما تحاول التقاط انفاسها بصعوبة .....رفعت عينيها المجروحتين اليه و التى لا تزال الشراسة بهما تهدد بقتله .....وقف هو الآخر ينظر الى آثار الدمار الذى تسبب به ليحطم كيانها , لكنه لم يشعربأى نوع من أنواع الإنتصار ....بل على العكس الجرح الذى شاهده فى عينيها شتت عزمه ..... تماما كما حدث الليلة الماضية .... الا انه الآن لن يستسلم .....سيمضى معها الى نهاية الطريق .....قالت له اخيرا كفريسةٍ مجروحة

" ماذا تعلم عن حياتي لتقرر ان تحاسبني بهذه القسوة ؟..... "

شد على ذراعيها مرة أخرى و هو ينظر فى عمق عينيها ... ثم قال هامسا بشراسة

" انتِ ستخبرينني..... "

عقدت حاجبيها و هى تحاول الفهم الذى بات مستحيلا مع شدة التعب التى حلت بها ..... ثم همست تقول

" أخبرك بماذا..... "

تركت إحدى يديه ذراعيها لتقبض على فكها بقسوة و هو يصرخ بها بغضب

" ستخبريني بكل ذنبا ارتكبته يوما ..... كم رجلا اوقعتي فى حبائلك .... كم اسرة دمرتِ بعبثك .....كم رجلا ذاب فى حبك و اوهمتيه بأنك تبادلينه الحب بينما انتِ تتسلين به.....كم لعبة اغواء مارستها لتتقدمي في عملك و تصلي الى المكانة التى انتِ فيها الآن ..... ستخبريني بكل هديةٍ ثمينة تلقيتها فى حياتك و ما كان المقابل "

كانت تنظر اليه مشدوهة من صراخه بهذا الكلام البشع .... لكن الأبشع ان الكثير منه كان صحيحا و هو يريد قائمة بكل التفاصيل الدنيئة لم يمهلها لتنطق حرفا واحدا فاخذ يكمل بوحشية

" ستخبريني بكل تفاصيل اللعبة المحكمة التى لعبتها انتِ و أمك لتدمرا دارين .....او بالأصح تدمرا أمى تصفية لحسابات الماضي ....وفى نفس الوقت الحصول على الصيد الثمين الذى سيؤمن لكما المستقبل .... بالطبع من يكون غير مازن مهران "

صمت قليلا هو يحاول التقاط انفاسه ثم همس أخيرا

"لن تخرجي من هنا يا سابين الا بعد ان تعترفي بكل ما اقترفته من جرائم فى حق البشر فى سبيل مصلحتك الشخصية ..... و بعد ان تعترفي بها كلها .... سنجد الوسيلة التى تكفري بها عن جميع أخطائك المخجلة ....."

ظلت تنظر اليه برعبٍ مما يطلبه وما يعتقده..... غير قادرة على الكلام ..... لم تكن تظن انه يحمل كل هذا القدر من الضغائن لها..... لم يكن الأمر مجرد زواج دارين ..... ان الامور معقدة اكثر مما تخيلت يوما .....استطاعت أخيرا الهمس بتحشرج وهى تنظر اليه بجرحٍ عميق

" طالما ان هذه هى مخططاتك فلماذا الليلة الماضية ....."

لم تستطع ان تكمل كلماتها ..... بينما ظل هو صامتا و لم يجبها .....ففسرت صمته على الفور بالطريقة الوحيدة التى أوحت بها تصرفاته القاسية ..... فهتفت فجأة برعبٍ تسأله و هى تجيب قبل ان تسأل

"كنت تريد ان تتأكد .... اليس كذلك .... كنت تريد ان تتأكد ان المرأة الحقيرة التى تزوجتها لم يمسها غيرك .....اليس كذلك ؟...."

اخذت تنشج بضعف دون ان تسمح بسقوط دمعة واحدة من عينيها .....ثم صرخت بضعف

" أيها المنافق .....تتصور أنك حامي الفضيلة .... بينما انت منااااافق .... لست اكثر من منااااافق "

شدها من ذراعيها و صرخ بها " الزمي حدودك يا سابين .....لن اسمح لكِ ابدا فى تخطي الخطوط التى وضعتها بيننا.... "

ظلت تقاومه و هى تصرخ " لقد شهدت امام الله ان تكون زوجى ..... بينما فى ضميرك كنت تخطط لانتقامك القذر ..... الا تعلم ان هذا نفاقا أيها الفاضل ..... هل تخدع الله أم تخدع نفسك "

قال لها بهدوء بعد ان سمعها للنهاية " لا نفاق يا سابين ..... انتِ زوجتى ولا نية لدي للانفصال عنكِ .... لقد تعهدت بحمايتك , و سأحميكِ حتى من نفسك ....."

ترك ذراعيها ثم ابتعد عنها و هو يقول

" سأتركك الآن لتفكري فيما قلته لكِ ..... فانا كنت اتكلم بجدية "

استدار ليبتعد ...الا انه لم يلبث ان استدار مرة أخرى و هو يقول بهدوء

" يجب أن تكوني شاكرة يا سابين .....فلكل انسان مهما بلغ شره الحق فى الحصول على فرصة .....فان اضاعها.. حُكِم عليه ان يعيش مع شره للنهاية ..... وانا اقدم لكِ هذه الفرصة فلا تضيعيها "

سار عدة خطوات الا انها هجمت عليه كالنمرة لتحاول خدش وجهه بمخالبها و هى تصرخ.....الا انه كان اسرع منها فامسك بها بشدة ليحملها بوحشية .... ثم سار الى الفراش وهى تقاومه بكل قوتها , وما لبث ان القاها بكل قوته لتطير عبر ستائر الفراش الشفافة لتسقط عليه بعنف ..... و ما ان حاولت الجلوس حتى خرج هو مندفعا من الغرفة.....

قامت من الفراش و هى تحمل بيديها اطراف الغطاء الذى يلفها .....ثم جرت خلفه و هى تصرخ

" احمد ..... احمد..... "

كان هو بنهاية السلالم .... و هي تجرى خلفه و الغطاء الحريري و شعرها الهمجي الطويل يتطايران خلفها ..... اخذت تصرخ

" احمد لا يمكنك تركي هنا مرة أخرى ..... احمد "

وصل الى الباب فى نفس اللحظة التى وصلت فيها اليه ..... فجذبته من ذراعه بشدة و هى تكمل صراخها

؛" لن تخرج ..... اسمعتني .....لن تخرج و تتركني هنا "

ظلت تتشبث به بعنف وهو يحاول التخلص منها ..... الى ان حملها فى النهاية بذراعه من خصرها ليلقي بها بعيدا ..... فسقطت على الأرض تتأوه بضعف.....

قال لها اخيرا وهو يعدل سترته

" لا تنسي ان تأكلي شيئا ..... المطبخ مليء بالطعام .....وها هى حقيبة ملابسك بجوارك .....تصرفي بحرية فهذا بيتك ايضا "

ثم خرج دون ان يسمح لها بالنطق و هو يوصد الباب الضخم خلفه بصوتٍ زلزل أعماقها .....

كانو جميعا يجلسون الى مائدة الأفطار صباحا .....يسودهم الصمت و الوجوم و كأنهم لم يتعافوا بعد من أثارحفل الزفاف بمهاذله .....فقد كان ادهم و فارس متجهمين بشدة .... وحلا تعلو ملامحها الصدمة ..... أما سما فقد كانت تجلس متألمة و هى تمسك فى يدها مجلة من المجلات العديدة الموضوعة أمامها .... تنظر الى الصور العديدة التى التقطت لهم فى مواقف

متعددة من حفل الزفاف ..... ثم همست و قد تساقطت دمعة على و جنتها

" يا الهى لقد شوهوا الحقائق تماما..... "

اكملت وهى تختار بعض المقاطع من المجلة " حفل الزفاف الأسطوري يتحول الى مهزلة .....شجارخفي بين والدتي العريس و العروس ينتهي برحيل والدة العروس دون حضور باقي الحفل .....فارس مهران يضرب رجلا خلال حفل الزفاف .....ومن المواقف التى اذهلت المدعوات .. اقتحام ادهم مهران لحمام السيدات .....حيث فوجئت بعض المدعوات بوجود ادهم مهران مع زوجته داخل حمام السيدات..... "

سكتت سما غير قادرة على المتابعة من شدة صدمتها ..... و ظل الصمت مخيما عليهم عدة لحظات ..... الى ان انفجر فارس فجأة بالضحك , رفعت كلا من سما وحلا رأسيهما اليه وهما تعبسان من مزاحه فى مثل هذا الموقف ثم قالت سما بحنق

" فارس ..هذا ليس مضحكا "

لم يستطع فارس السيطرة على نفسه و ظل يضحك بصوتٍ عالى حتى دمعت عيناه و هو يقول من خلال ضحكه

" كان هذا رائعا ..... اقصد اقتحام ادهم لحمام السيدات , سيظل هذا الخبر يلاحقه لسنين عديدة "

انطلقت ضحكة ادهم تعقب ضحكات فارس بشدة .....فهتفت حلا به

" أتضحك الآن يا ادهم ..... بعد تلك الفضيحة التى تسببت بها ..... لهذا لجأت الى سما عين شعرت بالتعب .... كنت اعلم انك ستقوم بعملٍ متهور "

ظل ادهم وفارس يضحكان بينما كلا من حلا و سما تنظران اليهما بغضب .... الى ان قال ادهم و هو يضحك

" الموقف الحقيقي ليس مضحكا .... لكنهم صوروه و كأني حاصرتك فى الحمام .....و كأننا لم نستطع الصمود ضد اشواقنا "

احمر وجه حلا بشدة و هى تصرخ بينما علت ضحكات فارس اكثر

" ادهم .....توقف "

التقطت ادهم يدها برقة يقبلها وهو لايزال يضحك ثم قال

" و الحقيقة اننى اقتربت كثيرا من فعل هذا لولا تعبك ....."

سحبت حلا يدها بسرعة و هى تهتف حانقة " ادهم إن لم تتوقف ..... فسوف أغادر الآن "

ظل ادهم يضحك بشدة ثم جذب مقعدها ليجره اليه بكل سهولة وهى جالسة عليه حتى اصبحت ملاصقة له ....ثم احاط كتفيها بذراعه وجذبها اليه ليقبل زاوية فمها بكل رقة الى ان ذابت تماما و همست

" ادهم توقف نحن لسنا وحدنا..... "

همس لها فى اذنها دون ان يسمعهما فارس وسما " ما رأيك ان تسبقيني الى الحمام لنحصل على الخصوصية التى نريدها .....فلقد اغرتني الفكرة تماما "

احمر وجهها بشدة حتى اصبح بلون الكرز الشديد الحمرة فأدارت وجهها وهى تحاول الإبتعاد عنه قليلا هامسة

" ادهم ارجوك .....توقف "

الا أن ادهم لم يتركها وهمس مرة أخرى فى أذنها بصوتٍ اكثر انخفاضا و اكثر دفئا لتدخل أنفاسه الساخنة الى أذنها مباشرة

"للأسف أنا مضطر الآن للذهاب الى العمل ..... لكن حين أعود ..... لن نخرج من الحمام الى صباح اليوم القادم "

شهقت حلا آخذة نفسا عميقا وهى تكاد تسقط تحت المائدة من مشاعرها الهوجاء التى اشعلها ادهم بكلماته الخارجة عن إطار الأدب.....

كانت سما تراقب ادهم وهو يتهامس مع حلا بينما اصبح وجه حلا على وشك الأنفجار من شدة احمراره .... فتشوشت الرؤية أمامها فجاة بسبب غمامة الدموع التى غطت عينيها .....و هى تتذكر فارس الذى ما ان صعدا الى غرفتهما الليلة الماضية ..... حتى انقلب على جانبه موليا ظهره اليها وهو يتمنى لها ليلة سعيدة.....!!!

كان يجب ان تتوقع هذا .....لقد أفزعته باعترافها الأحمق بحبها له , انه الآن بالتأكيد يشعر بها حملا ثقيلا على أكتافه , لا يريد ان يلتزم به .....الى متى ستظل تتعذب بقربه منها على هذا النحو.....

" بماذا شردتِ ؟....."

نظرت سما الى فارس الذى همس لها بهذا السؤال .... فقالت بصوتٍ منخفض بعد لحظة صمت

" كيف عرفت اننى كنت شاردة ؟....."

قال لها بابتسامة رائعة سحرت عينيها

" انكِ تتشبثين بكفي..... "

اخفضت نظرها بسرعة لتفاجأ بأنها تمسك بيده الموضوعة على المائدة أمامها و هى غارزة اظافرها القصيرة فى باطن كفه بشدة دون ان تدري.....

تركت يده على الفور و كأنها لسعتها .....ثم ابتلعت ريقها وهى تقول بجفاء ٍ لم يخف على أذنه الحساسة

" كنت شاردة فى ..... لا يهم ..... شيئا لا أهمية له .....لا تهتم "

ابتسم و قد لمعت عيناه ببريقٍ مشتعل وهمس بداخله ..... صبرا ياسمينا ....صبرا.....

اقترب منها وهمس فى اذنها ....." يبدو انك غاضبة من شيء ما .....ان ظللتِ غاضبة لن اخبرك بالمفاجأة التى أعددتها لكِ "

التفتت اليه بسرعة و هى تهتف بتوهج " أي مفاجأة ؟....."

ارتفع رأسي ادهم وحلا ينظران الى سما التى هتفت بسؤالها بصوتٍ عالى دون ان تدرك .....فاحمر وجهها بشدة و صمتت تماما

فقال فارس مبتسما " لقد كنت اخبر سما عن المفاجأة التي حضرتها لها الليلة..... "

فابتسم ادهم وهو يقول بغموض " حقا ..... "

أوما فارس برأسه مبتسما ثم التفت الى سما يقول " الليلة ..... سنذهب لتناول العشاء في الخارج مع أدهم و حلا "

شحبت سما و بهتت ابتسامتها ... وظلت تنظر اليه طويلا و هى تشعر أنه القى عليها دلوا من الماء المثلج

..... المتبلد ... عديم الإحساس ....عشاء ؟!!!!..... ومع ادهم و حلا ؟!!!!!..... هل هذه هى المفاجأة التى اتعب نفسه فى تحضيرها ؟.....

بالطبع بالنسبة له يعتبر هذا عملا بطوليا و تضحيةِ لا مثيل لها .....فهو منذ اكثر من ثلاث سنوات تقترب من الأربع حتى الآن ....لم يخرج معها الى أي مكان .....لذا فهو الآن يعتبر نفسه قد قدم اليها نجمة من نجوم السماء.....

لم تشعر يوما بنفسها حانقة عليه كما تشعر الآن .....تريد ان ترفض ..... لكن نظرات ادهم و حلا المسلطتان عليها منعتاها من التفوه بكلمة.....

الا انه بدا وكأنه يريد أن يثير غضبها اكثر و اكثر .....فقال بتلهف ساذج

" الست سعيدة ؟.....كنت اظنك ستقفزين كما تفعلين دائما حين تتحمسين لشيء..... "

قال كلمته الأخيرة بصوتِ اكثر خفوتا و دفئا فاحمر وجهها بشدة حين تذكرت الأيام التى كانت تقفز فيها بأحضانه و هما وسط الأمواج الى ان يكبلها بذراعيه فيسقطا معا فى الماء.....

عديم الإحساس ..... عديم الاحساس .....يذكرها دون خجل بتلك الأيام التى اعطاها فيها دروسا غير كاملة فى الحب ليتركها تتلهف اليه اكثر واكثر.....

قالت ببرودِ غير قادرة على إخفائه " انا سعيدة ..... سعيدة للغاية ..... اكاد اطير من البهجة "

عبس فارس وهو يقول بعتاب " انا اشتم رائحة السخرية فى كلامك .....هل هذه هى المكافأة التى احصل عليها فى النهاية ؟....."

مكافأة ؟!!!.....مكافأة ؟!!!!.....هل يعتبر اناء العصير الثقيل هذا خطيرا اذا كسرته على رأسه ؟.....

اخذت نفسا عميقا و هى تحاول تهدئة نفسها ..... تُردد بصمت .....اهدئى .... انه فارس حبيبك .....يكفي انه يحاول ابهاجك حتى وان كان بشيء بسيط ..... الا تتذكرين اياما كنتِ تتمنين فيها وردة او حتى ابتسامة من شفتيه .....يكفي انه بجوارك ..... انه حبيبك فارس يكفي انه بجوارك لا يهم أي شيئا آخر .....لا يهم.....

التفتت تنظر اليه بعينين مجروحتين .... ثم ابتسمت اخيرا برقة حقيقية و هى تقترب لتقبل وجنته قائلة

" انا آسفة ..... لم أقصد اغضابك , انا حقا سعيدة .....شكرا لأنك فكرت بي "

مد يده ليغرز أصابعه في شعرها و هو يجذبها اليه ثم يطبع قبله قوية على خدها كادت ان توشمه من شدة قوتها ..... ثم قال اخيرا

"أنتِ تستحقين الأفضل..... "

لم تفهم ماذا يقصد .....و ما هو الأفضل ؟.....لكنها رفعت يدها لتلامس قبلته المطبوعة على خدها و التي كان تأثيرها يضاهى تأثير أشد قبلات الغرام

.....

.....

.....

.....

دخل ادهم مهران بكل هيبته و عنفوانه الى المكان .... فتوتر الجميع رهبة منه , تقدم الى الفتاة الجالسة على

المكتب و التى رفعت رأسها اليه مشدوهة من جاذبيته الخارقة .....وصلها صوته الرجولي العميق يسأل

" هل السيد أيمن وحده ؟....."

اجابت الفتاة بتلعثم "نعم وحده سيدى .... من نخبره ...."

الا انها لم تكمل سؤالها حيث فوجئت بأدهم يتقدم مباشرة الى المكتب المقابل بكل ثقة .... اندفعت الفتاة خلفه لتقول

"سيدي يجب ان تحدد موعد أولا .....سيدي لا يمكنك الدخول دون أن اخبر السيد أيمن "

كان ادهم قد فتح الباب بالفعل ودخل قبل ان تستطيع ايقافه .....اتجه ادهم الى الرجل المذهول الجالس خلف المكتب.....ووقف امامه ينظر اليه نظرة اثارت الهلع في نفسه من شدة بأسها.....

قال ادهم بكل ثقة وهدوء "اعتقد انه من الأفضل ان نتكلم بمفردنا....."

اشار الرجل المصدوم الى الفتاة بأن تخرج و تغلق الباب خلفها ..... و ما ان خرجت حتى قام الرجل من مكانه ليلف حول المكتب و يتقدم مادا يده ليصافح ادهم وهو يقول بتلعثم

" سيد أدهم ..... انه شرف كبير ان تأتي بنفسك الى مكتبي "

تجاهل ادهم يده الممدودة .....و قال بصوتٍ صلب

" اجلس..... هناك حديث بيننا و قد يطول "

جلس الرجل على احد الكرسيين امام المكتب بينما جلس ادهم على الآخر مستندا بظهره , واضعا ساقا فوق الأخرى بكل عظمة .....ظل ينظرلحظاتٍ قليلة الى الرجل المرتبك الجالس أمامه يتهرب من عينيه ..... ثم قال أخيرا بكل حزم

" دون أي مقدمات ..... أريد جوابا مباشرا على سؤالي .....من أين تعرف زوجتي ؟....."

اتسعت عينا الرجل و ارتبك اكثر واكثر ثم قال يتلعثم اكثر من الأول

" زو....زوجتك ؟!!..... انا لا اعرف ..... انا لا اعرف زوجتك سيدي "

تظاهر ادهم بالنظر الى سترته بلا مبالاة .... ثم قال بصوتٍ اكثر هدوءا

" فلنجرب بطريقةٍ اخرى..... "

فجأة انزل ساقه و هجم على الرجل الجالس امامه بسرعةٍ لم يتداركها .... ليجذبه بعنفٍ اليه من أعلى ربطة عنقه ليضيق الخناق على عنقه اكثر و اكثر حتى كاد الرجل ان يختنق و قد اتسعت عيناه على اقصى مدى .....فقال ادهم بنفس الهدوء

" حسنا الآن .....هل سأحصل على اجابة أم اثير فضيحة هنا انت فى غنى عنها ؟....."

أوما الرجل برأسه رعبا ..... فتركه ادهم بشدة ليسقط على كرسيه مرة اخرى ..... تحرك الرجل من مكانه يريد ان يستدعي الأمن الا ان صوت ادهم انطلق قاصفا

" اياك ان تفكر في التحرك من مكانك لأنك لن تستطيع الوصول سليما الى اي مكان..... كما احب ان اعلمك

بأن لدي ملفا قد يودي بك خلف القضبان لسنين عديدة.... بالتأكيد انت اعلم بهذا الملف اكثر مني ..... فانا أحبائي كثيرين وقد سرهم للغاية ان يخدمونني في هذا الموضوع "

عاد الرجل الى الاعتدال فى مكانه محاولا التقاط انفاسه ثم قال اخيرا بخوف

" ماذا تريد ان تعرف ؟..... لكن يجب ان تعطيني الأمان اولا..... فما ستسمعه لن يعجبك "

كتم ادهم الشعور المقبض بداخله ..... وظل وجه صارما بلا اي تعبير بينما اعماقه تغلي من التوجس وهو يقول

"اعطيتك الأمان ..... تكلم "

قال الرجل و هو يحاول السيطرة على نفسه متحاشيا النظر الى عيني ادهم المتوحشتين

" لا أعرفها حقا ..... فقط قابلتها مرة فى حفل منذ عدة سنوات..... حفلا كان يقام كل فترة .....لم اكن اعرف وقتها من تكون , كنت اظنها..... "

ابتلع ريقه وهو يخشى على حياته من الوحش الجالس أمامه و المستعد للإنقضاض عليه في أي لحظة ..... فماذا ان سمع الباقي ؟.....

اكمل يرتجف وهو لا يملك سوى ان يصل للنهاية

"حاولت ان اكلمها و قتها .....حين وجدتها تقف وحيدة , الا انها قامت بصدي بشدة ..... حينها اقترب مني احد أصدقاءنا وجرني بعيدا .... ليسألني ان كنت مجنونا لأتجرأ وأكلمها هي بالذات ..... فسألته عمن تكون اذا كانت موجوده فى مكانٍ كهذا..... "

ابتلع ادهم ريقه وهو يقول بصوتٍ خافت مرعب

" أي حفلا كان هذا ؟....."

اخفض الرجل رأسه غير قادر على الرد مرتعبا من هول ما سيحدث بعدها .....لكن حين شاهد ادهم يتحرك قال بسرعةٍ بلا تفكير

" حفلا ..... من الحفلات التي..... "

لم يجرؤ على الإكمال و هو ينظر يمينه و يساره بتوتر .....لكن ادهم فهم ....فهم و اصابته الحقيقة فى مقتل .... الا انه سأل محاولا الا يتحشرج صوته.....

" مع من كانت ؟....."

قال الرجل و أعماقه تتآكل من الخوف

" لم اكن اعرف وقتها .....الا ان صديقي الذى سحبني من جوارها قال ..... قال .....انها ملك لرجل من رجال عصابات كان يحضر مثل هذه الحفلات دائما وكنا نراه كل حفل مع امراءة مختلفة ....ومعظمهن من سيدات المجتمع , الا ان هذه الحفلات كانت تتسم بالسرية ..... وفي هذا الحفل تحديدا كان المقربون منه يعرفون انه جاء لينال هدفه اخيرا من سيدة شهيرة ..... زوجة رجل أعمال فى امبراطورية ضخمة .....و قد جاء معها زوجها ..... فهذه الحفلات ..... انت تعرف..... "

سكت وهو يعلم انه أعطى للرجل الجالس أمامه السلاح الذى سيقتله به .....ثم قال ادهم اخيرا دون أي تعبير

"وما الذى حدث بعد ذلك..... "

قال له الرجل بسرعة " أنا لا أعلم حقا باقي التفاصيل ..... فأنا ما أن سمعت اسم رجل العصابات هذا .. حتى ابتعدت عنها على الفور .....فهو كان رجلا لا

يرحم ..... ولا يتوانى عن سحق من يقترب من ممتلكاته .....وقد انصرفت على الفور مبتعدا عن مشاكل انا فى غنى عنها .....لكن ما سمعته بعدها .....ان هذا الحفل انتهى بنهايةٍ مأساوية ..... بسقوطها من النافذة !!!.....وقد ارعبني هذا , ان المرأة التى كنت أكلمها منذ عدة ساعات ... سقطت من النافذة !!!..... وقد دارت في خلدي كل القصص المحتملة من ان يكون سقوطها متعمدا أو تم القاؤها من النافذة .....كنت أظنها ماتت طيلة هذه السنوات ..... لذا فقد صعقت حين رأيتها مرة أخرى ..... ولم أخطئها ... فوجهها لا يُنسى بسهولة..... "

سقطتت من النافذة ..... سقطت من النافذة ..... لا لم تسقط .. لقد قفزت من النافذة ..... لقد نطقت بها حلا أمامه .... و هو اعتقدها تهذي ..... قام من كرسيه ببطء فقام الرجل خلفه لا يصدق بقاؤه على قيد الحياة حتى هذه اللحظة ..... كان خلف ادهم مباشرة حين استدار ادهم بسرعة ليقبض بكلتا يديه على عنق الرجل الذى جحظت عيناه بشدة ..... ثم قال ادهم بشراسة و قد تحول فى لحظةٍ الى شيطان

" ان انتشرت كلمة واحدة مما سمعت الآن ..... فستكون من عداد الموتى أفهمت ؟....."

أومأ الرجل مذعورا و قد أزرق وجهه من شدة الإختناق ..... ثم تركه ادهم أخيرا ..... الا أنه لم يتمالك نفسه ففقد السيطرة على أعصابه و لكم الرجل لكمة قاتلة اسقطته على الأرض مغشيا عليه ..... ثم اندفع خارجا وهو يحل ربطة عنقه بعنف..... يطلب هواءا نظيفا و هو يشعر بالإختناق من كل القذارة التى سمعها للتو.....

.....

.....

.....

أخذ يقود سيارته .....يقود و يقود .....بأقصى سرعة ..... انطلق كالسهم ناظرا أمامه بنظراتِ شرسةِ وحشية .....زاد السرعة أكثر ....حتى خرج من البلدة الى الطريق السريع ..... وظل يقود ويقود الى ان ابتعد كثيرا ..... اوقف السيارة فجأة الى جانب الطريق ... فدارت حول نفسها بعنفٍ اكثر من مرة محدثة صريرا عاليا الى ان توقفت تماما بعد هذا الجنون.....

خرج منها و هو يصفق الباب خلفه بعنفِ رج السيارة .....غرز اصابعه فى خصلات شعره يكاد يقتلعه من جذوره ..... ثم نزع سترته و القاها دون اهتمام فى الصحراء الممتدة امامه .... و تبعتها ربطة عنقه.....

ثم فجأة ترك كل سيطرةِ كان يتحلى بها .....فأخذ يصرخ .. و يصرخ ... صرخاتِ وحشية شيطانية ...وهو يركل اطارات السيارة بعنفِ مرات ٍ بعد مرات.....

وظل على هذه الحال الى ان هده الإرهاق .....فانحنى ممسكا ركبتيه بيديه مخفضا رأسه .... محاولا التقاط انفاسه بصعوبة شديدة.....

استقام اخيرا وهو يلهث ....ثم مسح وجهه بكفيه و نظر في ساعة يده ببطء و تثاقل ..... لابد أن يعود من أجل فارس .....لا يعلم كيف سيواجهها .... لكن لابد ان يعود الآن.....اخذ نفسا عميقا ثم دار حول السيارة ليركبها و ينطلقا عائدا من رحلة الموت التى خاضها.....

.....

.....

.....

ما أن دخل من باب القصر حتى واجهته حلا و هى تهتف

" ادهم ..... لقد تأخرت جدا .....هل نسيت موعدنا مع فارس و سما..... "

اندفع اليها بعنف ثم مد يده ليقبض على مؤخرة رأسها ليجذبها مقبلا شفتيها بقوةٍ أوهنتها و أضعفت ساقيها ..... ظل يقبلها و كأنه كان عطشانٍ وجد ضالته ليرتوي دون ان يكتفي.....

ابتعد عها أخيرا ليترك لها الفرصة لتتنفس ..... ثم همس لها

"لقد اشتقت اليكِ .....هل تدركين الى أي مدى ؟.....هل يمكنك تخيل ما أشعر به من شوقٍ مضني اليكِ ؟....."

نظرت الى عينيه بعينيها الجميلتين البراقتين اللتين عشقهما فى طفولتها .....ثم همست بقلق

" ماذا بك يا أدهم ؟.....انت تخيفني "

ضمها بين ذراعيه بقوةٍ حتى كاد ان يحطم أضلاعها .....ثم همس بقرب اذنها

" هل يخيفك شوقي اليكِ .....يجب ان تعتاديه حبيبتى .... فشوقي لكِ لن ينضب ابدا.... "

دفنت وجهها بصدره وهى لا تعلم لماذا شعرت فجأة بالرغبة في البكاء ..... ظلا يترنحان في احضان بعضهما قليلا الى ان حاولت حلا الابتعاد برفق وهى تهمس

" هيا يا ادهم لقد تأخرنا..... "

ظل ممسكا بها بشدة و هو يهمس " لا أريد تركك ..... أخشى أن اتركك لحظة واحدة فتضيعي مني للأبد ....."

عقدت جبينها و همست " أدهم ما بك اليوم ؟.....أنا لن أذهب الى أي مكان ...و لن أضيع منك أبدا فلا تقلق "

مدت يدها الصغيرة ولمست بها جانب فكه الغير حليق و نظرت الى معالم التعب و المعاناة المرتسمة على وجهه ثم همست مرة أخرى

" كيف أضيع و انا لم أعد اتمكن من التحرك بدونك .....لا أطمئن الا حين اتشبث بأصابعك .....لا أنام الا بين ذراعيك .....هل تعلم..... الليلة الماضية انتابني كابوسا فظيعا كما يحدث لي دائما ..... الا أننى هذه المرة أدركت انه كابوسا ... وانا لازلت بداخله اخذت أنادي عليك ....ايقظني ادهم .... ايقظنى "

ضمها اليه بشدة وهو يتأوه بصوتٍ عال ....ثم اخذ يهمس "سامحيني يا حلا .....سامحيني "

ابتعدت قليلا لتسأله بحيرة " أسامحك ؟..... على ماذا ؟.....!!"

لم يستطع ان يجيبها فصمت وهو يقبلها برقة ..... ثم قال بعد وقتٍ طويل بصوتٍ متحشرج

"معكِ حق لقد تأخرنا .....سأذهب لأستعد "

ثم تركها ليصعد السلالم جريا ..... وهى تنظر اليه بقلق .... و تسأل نفسها ان كان مريضا أو حدث شيئا أزعجه.....

.....

.....

.....

كانت سما تقود السيارة بهدوء تستمتع بالنسيم الناعم و هو يدخل من النافذة ليتتطاير شعرها بنعومةٍ معه .....كانت شاردة تماما فى احلام اليقظة التى أصبحت تراها دائما ..... أحلامٍ ورديةٍ رائعة تجمعها بحبيبها.....

تنهدت بعمق ووجهها يحمر من تخيلاتها المجنونة .....

" لماذا تتنهدين ؟....." وصلها صوت فارس ليقطع احلامها المبهجة فالتفتت تنظر اليه وهو جالسا بجوارها و تبدو على وجهه معالم الراحة و الانشراح ..... هل هو سعيد لأنهما سيخرجان معا للمرة الأولى منذ أن تزوجا .....هل لهذا أصر ان يأتيا بمفردهما فى السيارة وهى تقودها ..... اذن لماذا دعى ادهم وحلا ؟..... لماذا لم يخرجا للمرة الأولى بمفردهما.....

مدت يدها تمسك يده و هى تهمس " اتنهد لأننى سعيدة ....." ولم تكن تكذب ....سعيدة بالفعل لكن تتألم.....

ثم عاد الصمت يسودهما الى ان وصلا أخيرا .....ووصل حلا و ادهم فى نفس الوقت .....فوجئت سما بالمكان الشديد الرقي الذي حجزه فارس ..... انه رائع و عالى المستوى جدا .....يا حبيبي فارس كنت تريد اسعادي و انا اظل اتذمر .... لكن ماذا افعل و انا اتألم من شدة شوقي اليك.....

دخلو جميعا الى هذا المكان الراقي الخرافي في جماله ..... حتى وصلو الى طاولة مميزة أعدت لهم خصيصا .....لكن قبل ان يجلسوا قالت حلا وهي تمسك بيد سما

" اعذرانا قليلا .....سنذهب للحمام "

تنهدت سما باحباط اصبح لا فارقها مؤخرا ..... ثم قالت بوجوم

" اذهبي انتِ يا حلا .....لا اريد الذهاب "

سكتت حلا لحظة ثم همست في اذن سما " لا اريد الذهاب وحدي فقد اتعب مثل المرة السابقة "

تنهدت سما للمرة الألف منذ الصباح لكنها همست "حسنا ....هيا "

خرجتا من قاعة الطعام و سارتا معا فى ممرٍ طويل .....تضيئه الاضواء الخافته و قد سمعت سما صوت الحانِ ناعمةٍ من بعيد .... روعة المكان و سحره اثرا في سما بشدة و بسرعة امتلأت عينيها بالدموع ..... فتوقفت مكانها غير قادرة على التحرك....

التفتت حلا تنظر خلفها حين شعرت بسما تتوقف ...ففوجئت بسما تنظر اليها في أسى و عيناها مبللتان بالدموع ...فاقتربت منها حلا بسرعة وهمست لها

" ماذا بكِ سما .؟....."

شهقت سما شهقة صغيرة لم تستطع كبتها ثم قالت وهى تبكي

" حلا انا متعبة .....متعبة جدا..... "

سألتها حلا بقلق " بماذا تشعرين .....هل تريدين ان استدعي ادهم "

اشارت سما برأسها علامة النفى ....فمدت حلا يديها لتمسك بوجه سما و سألتها

"اذن ماذا بك ؟....."

ازداد بكاء سما و تحول الى شهقات معذبة ثم قالت وهي تنشج

" لم أعد أستطيع التحمل اكثر .....انا .....انا احب فارس جدا ....احبه جدا ..جدا"

عبست حلا بحيرة و قالت " اعرف انك تحبينه لكن لماذا تبكين ؟...هل آذاك مرة أخرى ؟....."

هزت سما رأسها مرة أخرى و صمتت ثم همست أخيرا بعجز

" حلا .... انا لم اصبح زوجة فارس بالفعل الى الآن ....."

ازداد عبوس حلا وهى تسأل " لا أفهم .....ماذا تعنين ؟....."

احمر وجه سما بشدة فاخفضته وهى لا تصدق أنها تتكلم مع حلا ..... فى هذا الموضوع الخاص ..... وهنا حيث من الممكن ان يسمعهما اي شخص .....الا انها لم تعد تملك القدرة على التحمل.....تريد ان تفضي بألمها الى أحد ..... ليت سابين كانت موجودة الآن.....

همست بعد عدة لحظات و هى تحاول السيطرة على بكائها

" فارس لم يقترب منى ابدا..... "

حسنا .... في الواقع .... لقد اقترب ..... و اقترب جدا .....لكنها لن تخبر حلا عن هذه التفاصيل ابدا ..... وخاصة حين ارتدت ثوب السباحة.....!!!!

ابعدت تلك الأفكار عن خيالها المجهد ....وظلت صامتة تنتظر ردة فعل حلا على ما قالته .....و بعد لحظات هتفت حلا بعدم تصديق

" هل لازلت ؟.....!!!!"

أومأت سما برأسها ببطء و بخجل .....لكن ما لم تتوقعه هو ان تنفجر حلا بضحكة عالية للغاية .....عبست سما ونظرت حولها ثم قالت بحنق

" حلا هذا ليس مضحكا .....انا اتألم و احتاج الى دعم وليس الاستهزاء "

حاولت حلا كتم ضحكاتها بصعوبة وهي تمسح الدموع من عينيها ثم قالت بذهول

" آسفة عزيزتي .....لكننى لا استطيع تصديق تشابه قدرينا بهذا الشكل..... "

سألتها سما بحيرة " ماذا تقصدين ؟....."

سكتت حلا لحظاتٍ وهي تنظر الى سما بشرود ثم قالت اخيرا وهى تمد اصابعها لتلامس وجنة سما بنعومة

" لا تهتمي حبيبتي فأنتِ بالتأكيد قدرك أهون من قدري "

ثم اكملت بحزمٍ رقيق " اذن فانت تبكين لأنك لم تصبحي زوجة فارس بعد .....لكن اعتقد ان هذا على وشكِ التغيير حبيبتي "

لم تفهمها سما لكن حلا سحبتها من يدها و اتجهت بها الى الغرفة الموجودة فى آخر الممر ..ثم فتحت الباب ودخلت امامها لتقول وهى مبتسمة بكل رقة ونعومة

"سيداتي .....لقد وصلنا "

ثم وقفت حلا على طرف الباب و مدت يدها بحركة دعوى لسما بأن تدخل من الباب و قالت " تفضلي ....."

دخلت سما بحيرة الى غرفةٍ انيقةٍ واسعة .... ففوجئت بفريقٍ من عدة فتيات ينظرن اليها مبتسمات فالتفتت لحلا تقول

" حلا انا لا أفهم ... ماذا يجري هنا "

ابتسمت حلا وهمست بنعومة " انظري خلفك ....."

نظرت سما خلفها ..... فوجدت فتاة من الفتيات يتمدد على ذراعيها فستانا .....فستانا أبيضا طويلا ..... استغرقت سما عدة لحظات لتدرك انه..... فستان زفاف.....

رفعت سما يديها الى فمها و هي تشهق بصوتٍ عالي .....

وضعت حلا يدها بخفةٍ على كتف سما و همست " لا وقت للصدمة الآن ..... فهناك عريسا وسيما ينتظرنا بالخارج .....فان تأخرنا قد يخطفك و يهرب "

.....

.....

.....

كان فارس واقفا في اول الممر ..... فارسا بحق ....يرتدي بدلة الزفاف .....وسيما ....وسيما جدا .....يبدو عليه الشوق و اللهفة والتوتر .....و بجانبه وقف ادهم ينظر مبتسما.....

سمع فارس صوت ادهم وهو يقول بانبهار

" يالهي .....انها تبدو..... "

قاطعه فارس بعنف " لا تكمل .....استحلفك بالله الا تكمل يا ادهم .....يكفيني انى لا اراها .....لا اتحمل ان يراها الجميع الا انا... "

ابتلع غصة فى حلقه و هو يشعر بأدهم يربت برفق على كتفه .....انها تقترب .... تقترب ....يسمع حفيف ثوبها وهي تجره خلفها على الأرض.....

وصلت اليه وهمست بتحشرج وهي تغالب دموعها

" انا هنا حبيبي "

سألها فارس برقة " هل أعجبتك مفاجأتي ؟....."

همست سما بضعف " وما أروع من هذا ؟....."

.مد يده لتصل الى خصلاتِ ناعمة انسابت كلها على جانبٍ واحد لتسترسل على كتفها و تغطيه حتى تصل الى منتصف ذراعها.....

مد يده الى الجانب الآخر فشعر بنعومة عنقها المكشوف تحت اصابعه .....رفع يده الى أعلى رأسها ليجد طوقا من الورود الصغيرة مثبتا على قمة رأسها لتنساب منه ترحة الزفاف الناعمة الخفيفة.....

مد لها ذراعه فتعلقت به على الفور .....ثم سارا الى قاعة الطعام التى خفتت انوارها و انسابت فيها الموسيقى الناعمة .....فوجئت سما بكل المتواجدين يصفقون بشدة و يصفرون لهما فاحمر وجهها بشدة .....فهمست لفارس

" فارس من هاؤلاء ؟....."

قال لها فارس مبتسما " انهم اشخاص ٍ جاؤا ليتناولوا عشائهم اليوم هنا..... "

قالت سما بدهشة "الم تدعو احدا ؟....."

اجابها ببهجة "لقد دعوت كل الموجودين هنا على العشاء..... "

ضحكت سما بذهول " لا أصدق ..... لا أصدق ..... انا احضر زفافي مع أشخاصٍ غريبة عنا متواجدين هنا بالصدفة "

ضمها فارس اليه وهو يهمس " انهم يحملون بداخلهم الآن مشاعرا حقيقية اكثر ممن نعرفهم..... "

لم تشعر انه قد بدأ يميل بها على أنغام الموسيقى الناعمة .....ظلا يتميلان فى أحضان بعضهما .....وهو يدفن وجهه فى عنقها لايتوقف عن تقبيله حيث لا يرى أحدا شفتيه ..... بينما تشعر هي بالنار الذائبة تسري في عروقها.....

وحين انتهت الموسيقى تعالا تصفيق الحضور .....لتفاجأ بفارس يتركها ثم ينحني ليجثو على ركبةٍ واحدة أمامها ثم مد يده الى داخل سترته ليلتقط شيئا ..... و سرعان ما أمسك يدها ليدخل بها خاتما رائع الجمال .....ثم همس بصوتٍ اجش

" نسيت ان أسألك منذ ثلاث سنوات .....أتتزوجيني ياسما ؟."

وقتها لم تحاول السيطرة على دموعها أو المحافظة على زينتها فأخذت تشهق باكية بصوتٍ عالي.....

عقد فارس حاجبيه ليسأل " هل هذه موافقة ؟....."

أومأت برأسها وهى لا تستطيع النطق ..... لكنه بالطبع لم يرها فتكفل جميع الموجودين بالهتاف انها موافقة.....

فنهض فارس ليحملها بين ذراعيه و يدور بها ..... بينما يطير فستانها حولهما.....

.....

.....

.....

جلس فارس بجوار سما فى السيارة بينما اخذت هى تلوح لأدهم وحلا .... فقال أدهم بعدم اقتناع

" لازلت غير مقتنع ان تقود سما السيارة الى بيت الشاطىء وهى بفستان الزفاف .....هذا لا يليق "

قال فارس بانفعالِ عاطفي

" بل ستأخذني قائدتي الخاصة الى هناك .....ولن أقبل بغيرها "

بعد ان ودعاهما انطلقت سما بالسيارة يتطاير شعرها ..... وترحة زفافها هذه المرة.....

مدت يدها لتمسك بيد فارس الموضوعه على فخذه ..... بينما أمسكت أعلى المقود بيدها الأخرى .....فقال فارس باثارة

"أنت تقودين بيدِ واحدة بمنتهى المهارة..... "

نظرت اليه ثم أعادت نظرها الى الطريق و هى تقول بعبث

"أنا ماهرة في كل شيء حبيبي..... "

اتسعت ابتسامته وهويقول بهمسِ اجش "سنرى مدى مهارتك ما ان نصل سيدة سما..... "

لم تستطع سما الرد عليه فاكتفت بأحلام اليقظة و التى ستتحول الى واقع الليلة ..... أخيرا .....

الفصل السادس عشر

مع كل دقيقة تمر تزداد خفقات قلبها جنونا .... حتى صارت فى النهاية دويا عميقا يعصف فى اذنيها ....و اخيرا انتهى الطريق و صفت سما السيارة امام المدخل ..... التفتت الى فارس الذى كان صامتا منذ فترة و سألت نفسها بما يفكر ..... هل يعيد أفكاره ....هل غير رأيه ..... لم تعد فجأة واثقة من نفسها ..... فثلاث سنوات ليست فترة هينة .... ثلاث سنوات افقدها فيها فارس ثقتها بنفسها تدريجيا حتى باتت معدومة .....حتى لحظات اقترابهما العاطفية , ظنت اكثر من مرة انه لا يفعل ذلك الا ليؤلمها بتركها بعد ان يرفعها لسماء المشاعر المجنونة .....لكن ما فعله الليلة ..... ما فعله الليلة كان حلما فوق الخيال ..... لم تشعر يوما بأنها سعيدة لهذا الحد المجنون ... الحد الذى اشعرها بالرعب .....الرعب من فقدان هذه السعادة .....آه يا فارس ... لا تفسد علي سعادتي .....ارجوك حبيبي لا تفسد علي سعادتي ..... قد اموت وقتها .... لم اعد استطيع التحمل اكثر ... لم اعد قوية بما يكفي.....

همس برقة و تردد

"لقد وصلنا يا فارس..... "

ظل صامتا لحظة غاص فيها قلبها رعبا ثم قال بصوتٍ يحاول فيه كبت الكثير

"هل انتِ مترددة ؟....."

اتسعت عيناها و هى لا تفهم سؤاله , او فهمت منه انه يتمنى ترددها ليظهر تردده هو الآخر .....فقالت وهى ترتجف

"ماذا تقصد ؟....."

اجابها بصوتٍ مكبوت و هو يحاول اخفاء انفعاله

"اسمع نبرة التردد فى صوتك ..... هل تعيدين التفكير فى علاقتنا ؟ لقد فاجأتك الليلة و لم اعطكِ الفرصة للتفكير فى تطور علاقتنا.... "

اخذ ارتجافها يتزايد و هى لا تصدق انهما جالسان فى السيارة يتحدثان بمنتهى الموضوعية فى أمرٍ كانت تظن انه بات جليا لديه.....

تنفست بصوتٍ مرتجف مسموع ثم سألته هامسة

" وهل تعطيني الآن الفرصة للتفكير بجدية ؟....."

مد يده و نزع حزام الأمان ثم فتح الباب المجاور له و هو يقول بصرامة

"انزلي..... "

ثم نزل و صفق الباب بعنف و انتظرها الى ان وصلت اليه ثم سحبها من يدها و اندفع الى مدخل المنزل متعثرا وهو يجرها خلفه تتعثر هى الاخرى فى فستانها الطويل و هى تقول لاهثة

" انتظر يا فارس ..... انتظر سنسقط معا "

حاولت التوقف و هى تقول بارتجاف

" انتظر على الأقل لأحضر حقيبة ملابسنا من السيارة ....."

قال لها بعنف " اتركيها..... "

حاولت جذب يدها منه مرة اخرى وهى تقول " لكن ليس لدينا..... "

الا انه جذبها من خصرها اليه بشدة و هو يقول ضاغطا على اسنانه

"قلت لك ِ اتركيها والا القيتها في البحر و بقينا هنا بدونها..... "

اخرج المفتاح من جيب سترته واعطاه لها وهو يقول بصلابة

" افتحي الباب..... "

فتحت الباب بعد عدة محاولات فاشلة من شدة ارتجاف اصابعها ثم شعرت به يدفعها أمامه بخشونة ..... الى ان دخلا ثم اغلق الباب خلفه بشدة و ما لبث ان التفت اليها ليمسك بكتفيها بقوة وهو يصر على اسنانه

" اذن ..... فانتِ تحتاجين فرصة أخرى للتفكير ؟.....بعد كل محاولاتك المستميتة لإغوائى ؟.....الآن .... الآن يا سما تترددين حين يصل الأمر الى نقطة اللا رجوع..... "

صمت لحظة وهو يلتقط انفاسه الهادرة ..... ثم اكمل بما يشبه الفحيح اللاهب و وجهه يقترب من وجهها ليلفحه بأنفاسه الساخنة

" ثلاث سنوات ..... ثلاث سنوات و انا مرتبط بكِ , مخلص لكِ , اسمع همساتك التى تزداد نعومة كل يوم . اشعر بخطواتك من حولي و كأنك ترقصين لي دون ان اراكِ ..... تخرجين من شرنقتك يوما بعد يوم لتتحولين الى فراشة ناعمة تطير من حولي فى كل مكان ..... تلقي بسحرها الأخاذ علي لتهدد السيطرة الهشة التى فرضتها على نفسي..... "

تركت يداه كتفها و امسكت بخصرها تشدها اليه بقسوة مما جعلها تشهق بشدة بينما حطت شفتاه على عنقها تداعبها وهو يأخذ نفسا عميقا منها ثم يهمس

"استنشق عطرك الذى تتعمدين اغراق نفسك به كل يوم .....ثلاث سنوات و انا امنع نفسى عنك .... لا اجرؤ على الاقتراب منك ِ وانتِ ملكى ..... "

تحرك وجهه ببطء ليمر بأنفه على صدغها و هولايزال يستنشقها بعمق و كأنه يتنفسها.....

"الى ان قررت ِ انتِ يا صغيرة لعب العاب الكبار .....منذ اشهر و انتِ تلعبين لعبة الإغواء والتى تجهلين قواعدها تماما..... "

اخذ فمه يقترب من فمها وهو يتابع همسه فوق جانب فكها

" هل تعلمين بماذا اشعر حين اجد تلك الصغيرة البريئة تحاول جاهدة استمالتي بكل الطرق الساذجة و البريئة التى تعرفها ..... و العجيب فى الأمر انها بكل سذاجتها اصبحت تشكل لي هوسا مع مرور الأيام ..... اصبحت اشد انواع جنوني ..... بت لا ارى غيرها ..... اتخيل نفسي معها , الامسها , اعلمها الحب كما تستحق , اذيبها بداخلي ..... اعلمها الا تعبث بلعبة الا ان كانت تدرك عواقبها .....عواقبها المجنونة ....جدا .....جدا "

كانت سما اثناء همسه الأجش تتنفس بصوتٍ يتعالى شيئا فشيئا حتى بات كشهقاتِ لا تستطيع السيطرة عليها ..... وقتها ابتسم فارس بوحشية و جذبها اليه بعنف يهمس فوق شفتيها

" اذن يا سيدة سما ..... هل تحتاجين فرصة لإعادة التفكير ؟.... لانك لو كنتِ تحتاجين اليها ..... فيؤسفني ان اخبرك ان وقت التفكير قد انتهى منذ زمن ..... وآن وقت الأفعال "

ثم لم يلبث ان انحنى وحملها بحركةٍ واحدة جعلتها تشهق بصوتٍ اعلى و سار بها محددا مكان غرفة النوم بمنتهى المهارة .....و ما ان دخل بها حتى انزلها على قدميها و مد يديه يتلمس ترحتها لينزعها عن رأسها و يلقي بها بعيدا .....ثم اعاد شفتيه الى الجانب المكشوف من عنقها و الذى يبدو انها تركته مكشوفا فقط ليقبله كما يشاء.....

شعرت سما بساقيها تذوبان من تحتها لا تقويان على حملها حين شعرت بيديه تجذبان طرفي الرباط المعقود اسفل ظهرها ثم تصعدان لتسحبان الرباط من عقداته المعقودة واحدة تلو الأخرى على طول ظهرها ..... ببطء شديد كاد ان يحرقها الى ان انزل الثوب عن كتفيها و نزل بشفتيه معه .....حينها فقد الوقت معناه لكلا منهما و باتت الدقائق تمر بهما لا يشعران الا ببعضهما .... الى ان فقد فارس صبره اخيرا و حملها مرة اخرى وهو يتأوه هامسا

" اين الفراش ؟....."

استطاعت سما النطق بصعوبة بصوتٍ لا يكاد يسمع وهى تنظر الى الفراش بعيونٍ زائغة

" بضع خطوات الى يمينك..... "

ابتسم فارس حين سمع موافقتها المستترة اخيرا ثم سار بها الى الفراش بسرعة الى ان اصطدمت ساقاه به فالقى بها فوقه وهو يسمع صرختها الصغيرة فاخذ يخلع سترته بعصبية ثم يلقي بها ارضا ... تلاها قميصه .....و اخيرا وصل اليها و هو يميل بوجهه عليها يلهث من العاصفة الطاحنة بداخله .....ظل صامتا لحظة واحدة ثم قال بشراسة

" انتِ صغيرة جدا يا سما ..... و بريئة جدا .....جدا .... لا اريد ان اؤلمك اكثر مما آلمتك سابقا ..... لكنى لا استطيع الانتظار اكثر من ذلك..... "

ثم هجم عليها ينهل من نبع حبها الذى حرم منه طويلا ..... طويلا ..... وظلت الغرفة صامتة لا يتعالى فيها الا اصوات تنفسهما و صوت امواج البحر الواصلة اليهما من النافذة التى ترسل بشعاع القمر ليغطيهما بوهجه الفضي.....

.....

.....

.....

افاقت من نومها على اشعة الشمس الدافئة التى تداعب وجهها و على لمساتِ كرفرفة اجنحة الفراشات تداعب كتفها و ذراعها .....رفعت يدها لتزيح شعرها الطويل عن وجهها ..... فرأت الوجه الحبيب يطل فوقها مبتسما بعبث ثم همس

" صباحا مباركا يا عروستي..... "

احمر وجهها بشدة وخيالات الليلة الماضية تطوف برأسها فى لحظةِ واحدة .....لم تستطع منع ابتسامة من الظهور فوق شفتيها فسألها

"لماذا تبتسمين ؟....."

اتسعت عيناها و قالت هامسة

"كيف عرفت اننى ابتسم..... "

اجابها وهو يضحك بخفة

" الآن عرفت..... "

ازداد احمرار وجهها و عبست بدلال ثم قالت " لن تتغير ابدا..... "

ازداد اقترابا منها وهو يجذبها اليه هامسا " الم اتغير ليلة امس عن فارس الذى عرفته قبلا..... "

شعرت ان وجنتاها ستنفجران من شدة اندفاع الدم اليهما و قالت بحنق " فارس ..... توقف عن هذا "

اخذ يقبلها على شفتيها بكل رقة الى ان ذابت تماما بين ذراعيه ثم قال بصوته الأجش

" هل كانت ليلة أمس كما تمنيتِها وحلمتِ بها ....."

عبست مرة أخرى وهى تقول ما بين الغضب و الخجل

"لم أتمنى شيئا ..... تجعلني أبدو يائسة "

اخذ يضحك بشدة و هو يقبل وجنتها و يقول

" نعم كنتِ شديدة اليأس و الإحباط ..... الا تعلمين اننى كنت استطيع تبين ذلك من صوتك الرائع بكل سهولة "

حاولت سما سحب نفسها منه وقد بدأغضبها يتزايد من مزاحه الثقيل و الذى احرجها بصدقه الا ان فارس ابى ان يتركها تبتعد عنه اطلاقا وهويشدد من تطويقه لها وهو يهمس لها بجدية

"لكني كنت اكثر منكِ يأسا و احباطا ..... هل كنت قاسيا عليكِ ليلة أمس ؟....."

اسبلت جفنيها بخجل و هى تهمس ب "لا " ناعمة دافئة جعلته يشعر بمشاعر غريبة بداخله فقال لها بوجوم

"لم ارد ان اؤلمك يا سما .....لكننى شعرت بتملك فظيع مؤلم لكِ .....انتِ تعلمين انكِ اصبحتِ ملكي اليس

كذلك؟.....كنتِ دوما ملكي الا انكِ اصبحت كذلك قولا وفعلا ..... ولم يعد هناك مجالا للتراجع الآن , لن تكون حياتك لغيري ابدا فهل انتِ مدركة لذلك ؟....."

ارتجفت بين ذراعيه مع ارتجاف قلبها ..... لقد قال كل كلمة تسعدها ....يملكها ...يريدها ....يراها ...الا انه لم ينطق بالكلمة التى تتمناها اكثر من أى شىء فى هذا العالم .....جعلها تقولها له و ترددها كثيرا كثيرا الليلة الماضية فى غمرة هواهما .....لكنه لم يرد بها كان يسمعها ترددها كل مرة ليزداد جنونه .....لكنه لم ينطقها ولو لمرة واحدة .....ولم ينطقها الآن بعد ان هدأ جنونه ..... هل من الطمع و الجنون ان تشعر بلسعة الم خفية فى احدى زوايا قلبها ؟.....بعد كل السعادة التى لم تعرفها قبله و جعلها تحياها ليلة أمس .....هل هى مجنونة .....ابعدت تلك الأفكار عن رأسها و حاولت تناسيها ثم نظرت لعينيه البراقتين الرائعتين و ما لبثت ان همست

"لطالما كنت ملكك يا فارس .....فكم مرة يجب ان أعيدها عليك لتصدقها ؟....."

ارتسمت ابتسامة شيطانية على شفتيه و هو يقترب منها بعينيه اللتين عادتا الى عبثهما من جديد و هو يقول

" ستكرريها للساعة الآتية..... "

دفعته فى صدره و هي تقول ضاحكة

"كفى عبثا يا فارس ..... هل تتكرم و تخبرني كيف سنخرج الآن بهذا الشكل لنحضر حقيبة ملابسنا من السيارة..... "

اخذ يضحك وهو يقبلها قائلا

"و من قال اننا سنخرج من هنا ؟....."

ابتعدت عنه تضحك بينما هو يشن هجوما جديدا عليها لينتهي بإسكات ضحكاتها تحت ضغط شفتيه المتوحشتين وهو يرفعها فوقه بحركةٍ سريعة و هو يعلمها الدرس الثاني من دروسه الفعالة.....الى ان غابت تماما عن العالم من حولها .....و بالتأكيد نسيا حقيبة الملابس تماما.....

.....

.....

.....

كانت تجلس معه فى الشرفة صباحا .....الافطار معدا امامهما لكنه لم يُمس من أيا منهما .....الصمت يسودهما و الهواء البارد يلفحهما و قد شرد كلا منهما بافكاره ..... هى بعيدا ...بعيدا جدا .....تمسك بالغطاء السميك الذى لفه حولها منذ قليل و كأنه حبل النجاة الذى تتشبث به.....

بينما هو شاردا بأفكاره فيها هى ...دون غيرها .....يراقب وجهها الاحمر من لمسات الهواء الباردة ....ينظر مفتونا الى شعرها الطويل الذى يطيره الهواء و يبعثه ليكاد يلمس وجهه.....

مرت عدة أيام منذ زفاف فارس وسما و من يومها و هو يعاني معاناة قاتلة .....يحاول اخفاء ما يعانيه عنها , الا انه متأكد تماما انها تشعر بتغيره لكنها لا تتكلم .....فقط تنظر اليه بين كلِ لحظةٍ و أخرى .... نظرةٍ متألمة و كأنها تسأله عما به لكنه يتظاهر بعدم ملاحظة نظراتها التى فى الحقيقة تقتله قتلا.....

لا يستطيع كلما نظر اليها الا ان يتخيل خيالات مؤلمة مرت بها طوال الفترة التى بعدتها عنه ..... مما يجعله كالمجنون لا يريد ان يفارقها لحظة واحدة.....

تقريبا طوال سنوات حياتها و منذ ان كانت في الخامسة و هى فعليا تحت حمايته .....حتى و ان كانوا جميعا لا يدركون ذلك , منذ ان كان صبيا فى السادسة عشر من عمره وهو يعتبرها ملكه ومسؤليته الخاصة اكثر من أختيها دون ان يدري لذلك سببا .....الى ان كبرت أمام عينيه سنة بعد سنة و أصبحت صبية رائعة تخطف الأنظار .....لتشعل الوحشية الفطرية بداخله و التى كان يحاول السيطرة عليها على مدار السنين .....و فى المرة الوحيدة التى غفل عنها .....ضاعت منه ,.....ضاعت لمصيرٍ أسوأ من الموت .....فكيف يحتمل ؟..... كيف يحتمل كل ما عرفه ؟.....وهو الذى يغلق عليها الأبواب لا يحتمل نظرة أى كائن بشري لها .....يخاف عليها من نسمات الهواء.....

أعاد نظره اليها ففوجىء بها تشهق دون أن تصدر أى صوت و خطوطٍ من دموعٍ صافيه ارتسمت بنعومة على وجنتيها .....شعر ان قبه قد تلقى لكمة من منظرها الصامت .....فاندفع من مكانه ليجثو القرفصاء أمامها ..... ثم أمسك بيديها الصغريتين اللتين اختفيتا تماما داخل كفيه الضخمتين ..... ثم سألها برقة حتى لا تجفل

" حلا حبيبتي .....لماذا تبكين ؟....."

نظرت اليه بحيرة و كأنها لم تفهمه ثم لم تلبث ان سحبت احد يديها منه لتمررها على وجنتها لتتأكد من وجود دموعٍ عليهما .....لم تدري بماذا تجيبه , لم تكن تدري أنها كانت تبكي ..... ها هي تثبت له من جديد

انها لا تزال شخصية غير متزنة كما قال لها ذات مرة .....لقد بدأ يتغير .... ومن يلومه .....انه ادهم مهران الذى يستحق الأفضل .....وهى بالتأكيد ليست الأفضل.....

نظرت اليه تحاول الابتسام ثم قالت باهتزاز

"هل تصدقني لو أخبرتك اننى اشتقت لسما ؟....."

نظر اليها بجموح يهزه ضعفها .....بالرغم من أنه متأكد ان هذا ليس سبب بكائها الا انه صدق اشتياقها لسما .....وهذه علامة جيدة ...جيدة جدا .....فابتسم لها برقة و مد يده ليمسح دموعها بنعومة كادت ان تذيبها ....فاكملت هامسة

"كنت قد بدأت أعتاد على وجودها بجانبي الأيام السابقة..... "

ابتسم ابتسامة رائعة ثم قال لها بجدية تكاد تكون صارمة

" ان كنتِ تحتاجين اليها فما عليكِ الا ان تقولي و سآمرهما بالعودة .....ولو رغما عنهما... "

ضحكت برقة وعذوبة وهى تقول

" كنت قد نسيت كم من الممكن ان تصبح وحشا ....."

ازدادت ابتسامته عبثا وهو يقول بهزل أجش

" نسيت بهذه السرعة ؟.....بإمكانى ان اذكرك كل ليلة حتى لا تنسي أبدا..... "

احمرت وجنتاها بشدة و اطرقت بنظراتها بعيدا عن نظراته المشتعلة اليها .....هو لا يعلم كم هى تريده ان يذكرها بهذا كل يوم و كل ليلة وكل لحظة .....حين

تكون معه .....حقا معه بين ذراعيه فى لحظاتهما المجنونة , تنفصل تماما عن واقعها وتنسى كل ما مر بها قبلا ....لذلك تتعمد اثارته دائما دون ان يشعر بتعمدها .....ليذهب بها الى عالم غير العالم الذى عاشته , والذى يبقى قابعا فى زوايا عقلها الى الآن .....آبيا ان يتركها لحياتها النظيفة التى لم تعرفها الا ببيته هنا.....

رفعت نظرتها اليه لتبتسم لعينيه اللتى تأكلها أكلا .....ثم همست

" انا لا أريد ان ازعجهما .....سما تستحق السعادة أخيرا لقد تألمت كثيرا هى أيضا..... "

شتمت نفسها بصمت حين شاهدت نظرته تتغير وتتصلب و تعود الى الغموض الذي يسكنها منذ أيام .....لماذا لم تفكر قبل أن تنطق كلمتها الأخيرة الغبية و التى عادت لتذكره بما لا يعرفه بعد عن ماضيها.....

رفعت يدها لتلمس خده برقة وهمست تحاول اعادته الى مشاعره الجامحة

"أدهم ابقى معي اليوم .....لا تذهب للعمل انا اشتاق اليك كثيرا "

ابتلع ريقه بصعوبة وهو لا يريد ان يضعف أمامها ثم قال بلهجة حاول ان يخفي الألم فيها

" انا اشتاق اليك اكثر و اكثر يا حلا .....لكن .....لكن لابد ان اذهب اليوم .....اسمعي ....لقد اخبرت السيدة اسراء ان تصطحبك الى المجمع التجاري ما رأيك ؟....."

اتسعت عيناها بدهشة لا تصدق ما يقوله فى لم تخرج منذ تزوجته الا لزفاف سابين و زفاف سما....ثم قالت مصدومة

" حقا يا ادهم هل ستسمح لي بالخروج ؟....."

اخذ نفسا عميقا وهو يتمنى ان يتراجع عن قراره ليعود ويغلق عليها ألف باب بألف مفتاح .....الا انه قوى قلبه ليقول لها بتأكيد لا يمتلكه

"نعم .....ستكون فرصة لكِ لتستمتعي قليلا , هل انتِ سعيدة ؟....."

بدت فجأة خائفة غير واثقة بالرغم من تمنيها سابقا للخروج من أبواب القصر .....ماذا لو حدث وقابلت اي شخص عرفها سابقا مثلما حدث في زفاف سابين .....وقتها لن يكون أدهم موجود لينقذها .....حاولت ان تهمس بتردد

" لما .....لما لا نؤجلها ليومٍ آخر ؟.....يوما تكون متفرغا به لتخرج معي "

اغمض عينيه وهو يتمنى بداخله ان يوافق على هذا الاقتراح الرائع .....لكنه اخذ نفسا آخر وقال بحزم

" سأخرج معكِ كثيرا يا حلا .....أعدك بذلك .....لكن اليوم اريد ان تخرجي قليلا .....اتفقنا؟....."

أومأت برأسها بتردد وهى تحاول الابتسام .....فقام من أمامها وهو يمسك بيديها ليجذبها لتقف معه .....ثم ترك يديها ليمسك بوجهها بين كفيه وينظر لعمق عينيها .....وظلا هكذا لحظاتٍ طويلة الى ان قال اخيرا

"اعتني بنفسك جيدا يا حلا .....أتعديني بذلك ؟...."

اومات براسها مرة اخرى وقلبها يهتز في اعماقها من لهجته القوية ِ الدافئة .....ثم انحنى عليها ليقبل شفتيها بقوة عاطفته المتقدة ثم ابتعد ليتركها قبل ان

يضعف من جديد .....و ظلت هى تنظر لظله المبتعد طويلا

.....

.....

.....

اخذ يراقبها وهى جاثية على ركبتيها ترتب التربة الناعمة حول النبتة التى زرعتها بيديها و هى وردة من عدة ورود زرعتها على مدى الايام السابقة.....

ان وقتها الذى تقضيه مع هلال كل يوم هو الاتصال البشري الوحيد الذى اصبحت تملكه بعد رحيل سما ....هذا باستثناء السيدة اسراء التى بدأت تعتادها و تألفها مع مرور الأيام .....الا انها تتوخى الحذر تماما حين تتكلم معها فى اى موضوع لانها تخشى انتقاله مباشرة الى ادهم.....

أما مع هلال فالوضع يختلف فهو وأدهم لا اتصال بينهم .....لكنها لم تستفيض معه فى الحديث كثيراعن أمورٍ تخصها فقط تستمتع بصحبته ....فى الأيام السابقة تكلما كثيرا عن كل شيء وعن أى شيء .....حكى لها عن دراسته ودهشت حين علمت تعليمه الراقي و انه يعمل هنا فقط لأنه أحب هذا العمل الى ان يحقق طموحه .....اخبرها عن سفره الى العديد من البلاد لا لشيء الا ليتعرف على بشرٍ جدد عليه .....لا شيء يفعله بحياته محسوبا او ذو هدف معين فقط يعيش بنفسه و لنفسه.....

الا انها كانت حقا تعتاد عليه بسهولة و سرعة بالرغم من خوفها من الجميع .....لا تعلم لماذا هل لأنه من سنها ام لأنه غريبا تماما عن عالمها الذى تريد الهرب منه لايعلم شيئا عن ماضيها ولا يثقلها بالاسئلة

.....أم لأنه يمثل كل العفوية والانطلاق و الحريةِ التى افتقدتها.....

ضحكا كثيرا ومرحا كثيرا حتى باتت شخصا منفصلا تماما عن حلا القديمة المخزية .....وعن حلا التى يعرفها ادهم و التى لا تعرف الا ان تذوب به وتستمد منه الحماية.....

لم يحاول عقلها التطرق ولو لمرةٍ واحدة لردة فعل ادهم ان علم بتساهلها مع احد العاملين بالقصر .....بالتأكيد سيغضب كثيرا لأنها لا تلقي بالا بمركزها الحالى لكنه لا يمكن ان يؤذيها .....ادهم لا يؤذيها ابدا .....حتى فى اشد حالات غضبه كان بسبب خوفه عليها

" ماذا بكِ يا حلا..... "

التفتت مجفلة الى هلال الذى يقف يراقبها بنظراته المتفحصة .....فسألته بوجوم

" ماذا بي ؟....."

أجابها وهو يقترب ليجلس على الأرض بجانبها

"انتِ شاردة اليوم اكثر من أى يومٍ آخر .....الم يحن الوقت لتخبرينى بما يؤلمك كنت اعتقد اننا اصبحنا اصدقاء ؟"

ظلت صامتة و هى تكمل عملها الذى ادمنته و احبته ثم رفعت ظاهر يدها لتزيح خصلة شعر سقطت على وجهها .....كان ينظر اليها مأسورا ببراءةٍ مختلط باغراء فطري لم تتعمده .....ما اجملها و ما اعذبها .....وما اشد رقتها حين تعلو نظرة الحزن عينيها كما هى الآن .....

كان خرطوم الماء على الأرض بجانبه تتساقص منه بعض قطرات فمد يده ليجمع القليل منها ثم قذف بها الى وجه حلا التى انتفضت مذعورة ثم صرخت بحنق

"هلال كف عن سخافاتك .....لا اريدها اليوم "

اجابها وهو يبتسم ببراءة

"اذن اخبريني ما بكِ ؟....."

تنهدت بحنق .....ها هو بدأ يسأل .....وهى لا تريد التحدث ابدا معه او مع غيره .....لا تريد الاعتراف ان ما يشغل بالها هو سبب التغير الذى طرأ على ادهم منذ عدة أيام .....لدرجة أنه سمح لها أخيرا بالخروج من القصر .....كانت تريد ان تتحرر من حمايته المفرطة وتخاف من سجنه .....فلماذا هى تعيسة الآن .....هل لأنها غير متزنة بالفعل ام .....أم لأنها تشعر ببدء هروب ادهم منها .....ان تركها ادهم تموت .....هو السبب.....هو الذى اذاقها الأمان الذى لم تعرفه قبله .....هو السبب .....لن تستطيع الحياة فى هذه الدنيا الواسعة المخيفة من بعده .....كيف يجرؤ و يتركها بعد ذلك .....هل تركها ؟!!.....هل سيتركها .....؟؟؟

" حلا ....." انتفضت مرة اخرى على صوت هلال فقالت بتذمر

"لقد أصبحت لحوحا جدا يا هلال..... "

رد عليها مبتسما " ردي علي لتتخلصي من الحاحي .....هل تريدين ان ارشك بالماء مرة أخرى , لكن هذه المرة سأغرقك بخرطوم الماء..... "

عبست ونظرت اليه نظرة املت ان تخيفه الا انها زادت من اتساع ابتسامته فقالت بصرامة

"يبدو انك تتناسى انك تتكلم مع زوجة ادهم مهران ....."

بهتت ابتسامته قليلا الا انه رد بهدوء " لا تلعبي هذا الدور يا حلا .....انه لا يليق بكِ "

اخفضت نظرتها بيأس .....نعم ....معه حق انها غير مقنعة تماما فى لعب دور زوجة ادهم مهران .....ان كانت لا تليق به شخصيا....

قامت من مكانها ببطء وهى ترجع شعرها الذى ربطته على هيئة ذيل حصان الى خلف ظهرها ثم اخذت تنفض بنطالها الجينز من الاتربة ثم ابتسمت برقة حزينة

" لم أقصد هلال .....اعذرني انا لست فى افضل حالاتى اليوم .....لكن قد يتغير هذا حين اخرج "

سألها بدهشة و بسرعة قبل ان يستطيع ان يمنع نفسه

"هل ستخرجين ؟.....أين ستذهبين ؟....."

نظرت اليه بدهشة فتدارك نفسه و قال " لم ارك تخرجين وحدك منذ ان اتيتِ الى هنا ....هل نسيتِ ما حدث حين حاولتِ الخروج سابقا "

احمر وجهها احراجا و اغتاظت منه حين ذكرها بهذا اليوم المحرج .....فقالت بارتباك

"كان هذا وضعا مؤقتا .....وها انا سأخرج "

قال لها بغضبٍ لم يستطع كبته " اذن فقد قرر فتح باب القفص لكِ قليلا .....ما أروع هذا "

رفعت عينيها اليه وقد ظهرت فيهما شراسة جديدة عليهما تماما .....ثم رفعت له اصبعا محذرا وهى تقول بصوتٍ خافت

"اياك .....اياك ياهلال ان تهين ادهم بكلمة أمامى .....قد اتساهل فى ما يخصني لكن أدهم مهران ....ادهم مهران فى منزلِ لن يصل اليها غيره ابدا..... "

ثم استدارت مبتعدة بخطواتِ غاضبة .....الا انه قام من جلسته بسرعة وهو يلحق بها , فأمسكها من معصمها ليديرها ناحيته .....لكنه فوجىء بها تصرخ و قد بان عليها الخوف و هى تنتزع معصمها من يده و تدفعه في صدره بكل ما تملك من قوة.....

رفع هلال يديه امامه وهو يقول بلهفة

"اهدئى يا حلا .....لم أقصد اخافتك , أنا آسف "

اخذت تنظر اليه متحفزة وهي تلهث بعنف .....فقال لها يرجوها

"صدقيني لم أقصد اخافتك .....حلا لقد اصبحتِ مهمة جدا لدي .....ألم تدركي ذلك "

نظرت الى عينيه الخضراوين الفاتحتين بتشوش وهى لا تدرك ما قاله للتو .....ثم استدارت دون كلمة ٍ واحدة لتنصرف تاركة اياه ينظر اليها بندم على تسرعه الاحمق .....قد يقضي ما فعله على نيته بتحريرها.....

كانت حلا تسير واجمة بجانب السيدة اسراء تتطلع الى واجهات المحلات بصمت .....كانت تظن ان الخروج لازال ممتعا كما كانت تتذكره منذ خمس سنوات .....بما كان يسمح به وحش مهران وقتها .....لكنها اليوم لا تشعر بالحماسة التى من المفترض ان تشعر بها .....

كانت السيدة اسراء تثرثر جاهدة محاولة الهاء حلا و كأن هذه هى المهمة الخاصة التى كلفها بها ادهم .....قاطع رنين الهاتف ثرثرة السيدة اسراء لتلتقط حلا هاتفها مبتسمة وهى ترد برقة

" ادهم انها المرة الثالثة التى تكلمني بها .....ولم تكد تمر ساعة منذ ان خرجنا من القصر "

وصلها صوته العميق الرائع وهو يقول بابتسامة سمعتها في صوته

" هل مللتِ من اتصالاتي ؟....."

اتسعت ابتسامتها وهى تخفض نظرها و ترجع خصلة ناعمة خلف اذنها .....ثم همست وهى تحاول الابتعاد قليلا عن عيني السيدة اسراء الحادة كعيون الصقر

"لم أمل منها .....لكن كنت افضل وجودك معي "

ساد الصمت عدة لحظات ليقول بعدها بصوتٍ أجش "حقا ؟..."

اجابته هامسة ذائبة من روعة صوته " انت تعلم هذا جيدا..... "

جاءها صوته يسأل برفق "هل تقضين وقتا ممتعا ....."

أجابته كاذبة لتسعده "نعم .....كثيرا , السيدة اسراء لطيفة للغاية "

اجابها بصوتٍ خشن " يبدو اننى سأبدأ فى الغيرة من السيدة اسراء المسكينة .....وعواقب ذلك لن تكون جيدة "

ضحكت بمرحٍ افتقدته منذ عدة أيام ثم همست "مسكين .....لا تشعر بالغيرة أبدا , سأعوضك حين تعود الليلة "

سمعت بابتهاج صوت جذبه الحاد لأنفاسه ثم أتاها صوته اكثر خشونة و هو يسألها "متى أصبحتِ بمثل هذه الوقاحة ؟....."

اجابته بجرأة وهى تضحك "منذ تزوجتك..... "

رد عليها بعنفوان "لازال لدي القليل من الوقاحة لأكسبها لكِ..... "

أخذت تضحك بأنوثة و قد تناست كل مخاوفها و هواجسها التى كادت ان تخنقها صباحا .....ثم سمعته يقول بصرامة

"لا تضحكي بهذه الطريقة وانتِ بالخارج أنسيت ان هناك ناس حولك.....ثم أخبريني ماذا ارتديتِ ؟..أياكِ أن تكوني قد أرتديتِ واحدا من بناطيلك الجينز التى تكاد تلتصق بساقيكِ ؟....."

اختفت ابتسامتها بسرعة و هى تخفض عينيها لتنظر الى بنطال الجينز الأزرق الذى ترتديه .....لكنه غير ملتصق بساقيها لهذه الدرجة , الا أنها لم تحاول استفزازه بقول ذلك .....لكنها سمعت صوته يهدر

" لقد ارتديته يا حلا اليس كذلك .....حين أعود ستودعينها لأننى سأحرقها جميعا "

حاولت استرضاءه فقالت بوداعة "انا ارتدى عليه معطفا يكاد يصل الى ركبتي .....أدهم ....أدهم لا تغضب مني "

سمعته يأخذ نفسا وقد شعرت به يهدأ ثم قال أخيرا بوجوم " حسنا لا أريد ان افسد لكِ نهارك .....استمتعي بوقتك لكن أريد منكِ ان تسيري كالعسكر..... "

عادت تضحك مرة أخرى من هذا الوحش رقيق القلب الى ان نبهها بصرامة "حلا ماذا قلت عن الضحك بالخارج ؟..... "

صمتت لكن ظلت ابتسامة جميلة تنير وجهها ثم سمعته يقول برقة خشنة " أراكِ الليلة .....حلا"

اجابته برقة "نعم "

ظل صامتا عدة لحظات ثم قال أخيرا " لا شيء حبيبتي .....استمتعي بوقتك "

همست برقة "سأفعل .....لا تقلق "

استدارت لتعود عدة خطوات جريا بسعادة الى السيدة اسراء التى كانت تراقبها باهتمام .....ثم تعلقت بذراعها بمحبة وهى تقول

" هيا سيدة اسراء فلنستمتع بوقتنا .....هذه أوامر السيد و لا يجوز الا ننفذها "

نظرت اليها السيدة اسراء بتعجب ثم قالت بابتسامة صارمة

" سبحان مغير الأحوال .....حسنا يبدو ان هذه المكالمة كان لها مفعول قوى "

ضحكت حلا بسعادة ثم تذكرت تنبيهات ادهم فاخفضت ضحكتها و ظلت تبتسم .....طوال الوقت

بعد قليل رن هاتف السيدة اسراء فاستاذنت من حلا و ابتعدت لتتكلم بانتباه .....ظلت حلا تراقبها وهى

تقترب منها وقد ظهرت على وجهها علامات الانزعاج .....فسألتها حلا بقلق

"ماذا هناك سيدة اسراء؟....."

أجابتها السيدة اسراء بتوتر " لقد تشاجرت ابنتى مع زوجها شجارا عنيفا .....سيدة حلا يجب ان اذهب اليها الآن "

قالت حلا "حسنا لا تقلقي هيا بنا..... "

أسرعت السيدة اسراء تقول " لا داعي لأن تأتي معي سيدة حلا ..... انها تسكن بالقرب من هنا سأذهب اليها أنا و أعود اليكِ بسرعة "

توترت حلا وشحب وجهها و هى تقول " لا .....لا أريد ان أبقى وحدي , دعي السائق يأخذني الى القصر "

قالت السيدة اسراء برجاء " و أنا كيف سأعود .....المسافة من هنا بعيدة جدا و انا لا احتمل "

تشنجت حلا وهى تنظر حولها الى المجمع الذى اصبح فجأة يبدو كعالمٍ شديد الأتساع و قد يحدث به أى شىء .....او أن تقابل أى شخص يعرفها .....فهمست

" سأعيد السائق اليكِ بعد ان يعيدني..... "

تنهدت السيدة اسراء و قالت بحزن " لا لن أقبل بهذا .....اذن لا مفر سأذهب و أعود بمفردي و أمري الى الله "

أخذت حلا تتردد بطيبة قلبها وهى لا تعرف كيف تتصرف و السيدة تبدو شديدة القلق على ابنتها التى من الممكن ان يكون زوجها المتوحش قد ضربها أو أصابها .....همست حلا أخيرا

" ادهم لن يعجبه أبدا ان أبقى هنا بمفردي..... "

نظرت السيدة اسراء لها بأمل و قالت بسرعة " لن أغيب عنك اكثر من نصف ساعة .....ولن يعرف السيد ادهم بما حدث "

اخذت حلا في السيدة اسراء الطيبة التى سمحت لها أخيرا بالنزول الى الحديقة بمفردها دون ان تخبر ادهم في الأيام السابقة.....

قالت لها أخيرا على مضض " حسنا هيا اذهبي .....لكن عديني ان تعودي سريعا ....سيغضب أدهم بشدة ان اتصل وعلم اننى بمفردي وأنا لا انجح في الكذب عليه طويلا..... "

أومأت السيدة اسراء بامتنان ثم قبلت حلا من وجنتيها بحنان .....فعادت حلا تقول بترجي

" أرجوك سيدة اسراء عودي سريعا .....لقد بدأت أشعر بالدوار من الآن..... "

غالبت السيدة اسراء قلبها و قالت بحنان " لا تقلقي حبيبتي .....ستكونين بألف خير "

ثم سارت مبتعدة بسرعة قبل ان تغير حلا رأيها .....ظلت حلا تنظر حولها بضياع ..... منذ متى لم تخرج بمفردها ....منذ نفس الخمس سنوات المشؤومة .....

ظلت تسير على غير هدى .....ترتعب حين يقترب رجلا منها ....لماذا لا تشعر بهذا النفور ناحية ادهم ....فقط ادهم .....و أين هو ادهم الآن .....تشعر بالخوف ,هل تتصل به .....لكن لو اتصلت به سيصب غضبه على السيدة اسراء المسكينة .....يكفيها ما هى فيه

ظلت تسير وهى تشعر باختناق من ذلك الاتساع العملاق وهذه الكمية من البشر .....الى ان اصطدمت فجأة بأمراءة كانت تسير فى الاتجاه المواجه لها.....

انتفضت حلا بشدة بينما اخذت المراءة تعتذر برقة وهي تقول " أنا آسفة .....آسفة حقا كنت أسير شاردة "

اخذت حلا تلتقط أنفاسها بارتجاف بعد ان ظنت للحظة انها اصطدمت برجل .....حسنا لا داعي للخوف انها شابة لا تخيف

نظرت حلا اليها فوجدتها شابة قد تكون في منتصف الثلاثينات ....طويلة, أنيقة ,جميلة القوام و جذابة للغاية بعينيها العسليتين و شعرها البني الناعم الداكن و المنسدل برقة حتى يلامس كتفيها .....كانت تبدو عليها معالم الرقي و الثقة بالنفس فشعرت حلا بارتياح لوجهها المبتسم برقة.....

تكلمت الشابة مرة أخرى و هى تمد يدها لتلامس ذراع حلا برفق

"هل انتِ بخير ....لقد أخفتك اليس كذلك "

هزت حلا رأسها بصمت ثم قالت بضعف

"مما أخاف ؟.....انا ايضا كنت شاردة , وداعا "

حاولت حلا الابتعاد قليلا الا ان هذه الشابة عادت لتلمس مرفقها وهى تقول ببشاشة

" هل انتِ متأكدة ؟.....تبدين شاحبة "

أبعدت حلا ذراعها بحدة عن يد الشابة و هى تدقق النظر لها لترى ان كانت عرفتها سابقا , لكنها واثقة انها

لم ترها ابدا من قبل ...لكن مع ذلك يجب عليها ان تنصرف فقالت مرة أخرى

"أنا بخير شكرا لكِ ... وداعا "

لكن الشابة قالت لها بود و كأنها لا تنوي تركها

"هل أنتِ وحدك ؟....لا أريد تركك "

قالت حلا بنفاذ صبر وهى تبعد ذراعها للمرة الثانية "لا انا لست وحدي ..... ومن فضلك انا لا أحب ان يلمسني أحد "

رفعت الشابة يدها سريعا و اعتذرت برقة " أنا حقا آسفة .....الجميع نبهوني الى هذه النقطة من قبل "

ندمت حلا على حدتها و قالت بصوتٍ أهدأ "أنا أيضا آسفة .....يبدو أننى متوترة قليلا اليوم "

ابتسمت الشابة و قالت " لا بأس ..... ما رأيك أن نجلس فى أى مكان لنشرب قهوة او شيئا ما , فأنا أيضا انتظر أصدقائي و يبدو أننى حضرت مبكرا و لا أحب ان أجلس وحيدة..... "

ترددت حلا ....مستحيل أن تجلس مع شخص غريب فقد تكون انسانة غير سوية بالرغم من منظرها الراقي ..... وهى تعلم جيدا عدد الاشخاص الغير الأسوياء الذين من الممكن ان يقابلهم المرء .....لكنها لا تريد ان تسير وحيدة مرة أخرى.....

انها تبدو لطيفة ....لا يمكن ان تكون خطيرة ....ثم ان السيدة اسراء قاربت على الوصول

أخيرا أومأت حلا برأسها قليلا وهى تقول بتردد " حسنا ....."

اتسعت ابتسامة الشابة ومدت يدها مصافحة الى حلا و قالت " أنا سمر.... "

ابتسمت حلا بتردد ومدت يدها وهي تقول بخفوت يكاد لا يسمع " و انا ح....حلا..."

.....

.....

.....

كانت واقفة أمام الجدار الأثري تنظر الى نفس الصورة التى تقف أمامها كل يوم .....صورة أميرة جميلة ذهبية الشعر بعينان رماديتان تبتسم برقة للفنان الذى رسم صورتها .....انها هى .... والدة أحمد مهران , لم تخطئها رغم مرور السنين على هذه الصورة ....لكن العينين و الابتسامة لا يمكن نسيانهما أبدا.....

انها جميلة الآن كما رأتها في حفل زفافها .... لكن فى شبابها .....كانت حلما ...أميرة حقا و قد اكتشفت ان اسمها أميرة ....لكم يليق بها...

اثناء الأيام السابقة كانت تتنقل فى هذه القلعة لتعبث بكل ما تقع يدها عليه ..... فتحت كل الدواليب التى فوجئت بوجود بعض الفساتين القديمة المخبئة بها .... فساتين رائعة من فساتين زمنٍ ماض ....بضع سترات لا تزال تحمل عطرا رجوليا أخاذ.....

فتحت كل الأدراج ....لتجد رسائل قديمة صفراء اللون من مرور الزمن عليها .....رسائل بث فيها عاشق ٌ كل حبه و هيامه للأميرة الحالمة .....صورا قديمة تآكلت أطرافها ....صورا عديدة للأميرة الصغيرة التى تضحك بولهٍ وهيام للعاشق الذى يصورها .....و بعض الصور جمعت الحبيبين .....الأميرة يلفها ذراع رجلا شديد الوسامة .....رجلا لم تره منذ اكثر من أكثر من عشرين

عاما ....لكن هذه الصور أخذت له و هو أصغر سنا ....بحوالي عشر سنوات .....هو العاشق الذى نقش اسمه فى نهاية كل رسالة غرام ....عماد الراشد .....

سمعت الصوت المعتاد لقفل باب القلعة و هو يفتح ثم صوت الباب الضخم وهو يغلق ليهز أرجاء المكان .....

" هل تنتظرينني يا زوجتي الجميلة ؟....."

وصلها صوته الساخر من خلفها .....ككل ليلة من ليالي الأيام السابقة ..... لكن الليلة.....

مدت يدها فى حركة خاطفة و امسكت بعنق المزهرية الثمينة الموضوعة على الطاولة الصغيرة أسفل الصورة الضخمة.....

ثم التفتت بسرعة قاذفة المزهرية بكل قوتها ناحيته وهى تطلق صرخة شرسه تردد صداها فى أرجاء القلعة .....

انحنى فى لحظة واحدة لتمر القذيفة الموجهة نحوه من فوق رأسه مباشرة لترتطم بالجدار خلفه و تتحطم الى عشرات القطع اللامعة....

اعتدل مرة أخرى دون ان يكلف نفسه بالنظر الى المزهرية المنفجرة خلفه .....بل تركزت نظرته المتوحشة على الجميلة الواقفة أمامه ترتدي بنطالا أبيضا خفيفا و قميصا تركوازية قطنية بحمالتين رفيعتين و قد انسدلت موجات شعرها المجنونة حول وجهها و أكتافها بهمجيه حتى وصلت الى خصرها .... بينما كانت عيناها تلمعان بشرٍ لا يمكن وصفه فى أقدم كتب السحر.....

اخذ يقترب منها ببطء شديد وعينيه لا تحيدان عن عينيها .....ثم قال بصوته العميق الخادع

" لقد كانت مزهرية قديمة ثمينة ذات ذكرى لا تقدر بثمن .....يبدو ان علي تلقينك درسا يا زوجتي العزيزة لتتعلمي الأدب "

ثم اندفع مرة واحدة ...فما كان منها الا ان صرخت مرة أخرى و اندفعت تجري الى السلم بأقصى سرعتها لتحتمي بأحد الغرف .....لكنه أدركها قبل ان تنهي آخر درجات السلم ليجذبها بعنف و يلقى بها على كتفه و يكمل صعود الدرج بينما أخذت تصرخ بشدة و هى تضربه بقبضتيها ..... وترفسه بساقيها التى احكم ذراعه حولها .....ظلت تضربه و تضربه الى ان شعرت بقبضته القوية تصفعها على مؤخرتها بقوة ....فازداد جنونها جنونا و هى تصرخ بكل الشتائم البذيئة التى تعلمتها يوما .....فما كان منه الا ان صفعها مرة أخرى

....حين وصل أخيرا الى الغرفة التى ضمتهما معا ذات ليلة .....و بعد ان دخل القى بها على الفراش بقوة حتى كادت ان تسقط على الأرض من الجانب الآخر لولا تمسكها بحافة الفراش .....استندت الى الفراش بمرفقيها وهى تحاول الجلوس وهى تلهث بعنف و تشتم بصوتٍ اشتدت بحته من كثرة الصراخ الى ان كاد يختفي تماما.....

راقبته وهو يخلع كنزته الصوفية من فوق رأسه ثم يلقي بها بعيدا , ثم اخذ ينزع ازرار قميصه واحدا تلو الآخر الى ان قذف به هو الآخر اتسعت عيناها لحظة وقد تسمرتا على عضلات صدره القوية و التى حبست أنفاسها اللاهثة في صدرها ....شاهدته يقترب منها بابتسامة ذئب ... فاستطاعت النطق بصعوبة بصوتٍ مبحوح مجروح من الصراخ

" ماذا تظن نفسك فاعلا ؟....."

هجم عليها ليمسكها بقسوة من كتفيها و هو ينفث لهبا الى وجهها ثم قال بوحشية

" ألم أخبرك أننى سألقنك درسا يا زوجتى الشرسة ....."

ثم لم يلبث ان هجم على شفتيها ليقبلهما بكل عنف ..... بينما أخذت تقاومه بشراسة نمرة فأمسك بقبضتيها و لوى ذراعيها خلف ظهرها ليكبلها بامساك معصميها بقبضةِ واحدةِ منه ....ثم جذبها اليه لترتطم بصدره و هو يعود ليكمل تعذيبه البطىء.....

مرت لحظاتِ لا تعلم أو دقائق .....و قد سكنت تماما بين ذراعيه و قد هدها التعب و الصراع ..... و الشوق المضني لرجلِ سحبها الى نجوم السماء ذات ليلةِ مقمرة.....

ترك شفتيها المتورمتين أخيرا و همس بأذنها و هو يتنفس بصعوبة

" أعترفي سابين .....وفري على نفسك كل هذا و اعترفي "

لم تصدق انه يعيد على مسامعها أمر كل ليلة .....عادت لتتلوى بعنف وهى تصرخ

"أيها الأحمق .... الغبي ....أيها..... "

كتم كلماتها البذيئة قبل ان تخرج من شفتيها لكن ليس بشفتيه هذه المرة بل مد سبابته و ابهامه ليطبقهما على شفتيها بشدة فاخذت تصدر أصواتا مكتومة و هو ينظر اليها ضاحكا .....ثم زال الهزل من عينيه ليقول بهدوء مخيف

" تعلمي الأدب حين تخاطبينني يا سابين فأنا لن أصبر عليكِ كثيرا..... "

ثم عاد ينظر لعمق عينيها الفيروزيتين اللتين تقدحانِ شرا و قال مرة أخرى

" اعترفي سابين ..... اعترفي بخطتك القذرة مع أمك لتحطيم أمي و دارين..... "

ظلت تنظر اليه بكرهٍ عميق فترك شفتيها ببطء ..... ليعود و يلتقطهما بشفتيه برقةٍ هذه المرة أذابت عظامها .....ثم مد يده ليزيح حمالة قميصها برفقٍ أهلكها .....أنزل الحمالة الأخرى و هى ساكنةٍ كقطةٍ وديعة.....

مال بها ببطء الى ان استلقت على الفراش و هو فوقها يقبل زوايا شفتيها ....فكها عنقها ....التجويف الناعم بين عظام الترقوة.....

" لقد رسمت هى الخطة لتحطيم قلب أمك .....و أنا نفذتها "

توقفت شفتاه عند مقدمة صدرها..... ليرفع رأسه ببطء و ينظر الى عينيها القاسيتين الجليديتين

.....

.....

.....

... .

دخل ادهم غرفته مساءا ليرى حلا نائمة فى الفراش تعطيه ظهرها الناعم الظاهر من قميص نومها الأسود الحريري .....على الضوء الخافت لمصباح الفراش

.....

نزع سترته ووضعها على الكرسي ثم اقترب منها ليستلقي بجوارها وهو يمسك بذراعها الناعمة .....ثم انحنى ليقبل كتفها برقة و هو يهمس

"حلا.... "

لم تجبه ...لكنه شعر بالاهتزاز الضعيف لجسدها ....فجذبها برفق لتستلقي على ظهرها ,فرآها كما توقع و الدموع تغطي وجهها بصمت

وهى تنظر اليه بعينيها المبللتين .....فهمست و بكائها يزداد :"ادهم....."

ضمها بين ذراعيه بقوة و هو يهمس "هششششش حبيبتي ..... ارتاحي"

دفنت وجهها بصدره وهى تبكي بألم .....لقد أخذت تحكي اليوم لإنسانة غريبة تماما أشياءا كثيرة .....لم تحكيها لأحد عن ذكرى قديمة لوالدها ..... و عن عنفٍ تعرضت له لكن دون تفاصيل و عن ماضٍ لا تعلم كيف تتخلص من ذكراه.....

كم ارتاحت لها وكم ظلت تسمعها و هى تبتسم لها متعاطفة دون ان تنطق بالكثير .....الى ان امسكت بيدها فى النهايه و اعطتها منديلا لتمسح دموعها ...ثم قالت أخيرا

" حلا .....لما لا نتقابل مرة أخرى , أشعر اننا أصبحنا للتو من أعز الصديقات "

اخذت حلا تشهق لتبلل صدره بدموعها وهى تعلم انها لن تستطيع ان تقابل صديقتها الجديدة مرة أخرى .....ادهم لن يسمح لها , هى لن تستطيع ان تخبره حتى لا يعلم انها ظلت وحيدة فى المجمع التجاري لمدة

ساعتين برفقة انسانة غريبة ..... سيجن جنونه لو علم بهذا و قد يعود لحبسها مرة أخرى.....

أنها متعبة ..... متعبة للغاية .... وحزينة للغاية.....

رفعت نفسها ببطء ليصبح وجهها أمام وجهه ثم مسحت دموعها بيدها و هى ترسم ابتسامة جميلة على شفتيها .....ثم اقتربت لتقبل شفتيه برقة وهى تطوق عنقه بذراعيها ..... همست أخيرا و هى تشعر به يحاول السيطرة على نفسه

" الم اخبرك اليوم أننى سأعوضك عن خروجي بمفردي ....."

استلقى على الفراش و جذبها اليه لتريح رأسها على صدره .....ثم اخذ يتخلل خصلات شعرها الطويلة بأصابعه وهو يقول

"نامي الآن حبيتي ..... تبدين متعبة جدا , التعويض الذى يكفيني أنكِ هنا فى بيتي ....آمنة بين ذراعي "

و كانت هذه آخر الكلمات التى سمعتها قبل ان يخطفها النوم بعيدا.....

الفصل السابع عشر

رفع رأسه عنها ببطء ..... وقد توقفت أنفاسه بعد أن كانت تتصارع منذ لحظة فوق بشرتها الحريرية .مد يديه الاثنتين ليستند عليهما على الوسادة من جانبي وجهها و قد اصبح وجهه فوق وجهها ينظر اليها .....بلا أى تعبير , و كأنه لم يسمع اعترافها منذ لحظة.....

ظلت مستلقية على ظهرها تنظر لعينيه المشرفتين عليها .....و قد تسمر كلاهما كتمثالين حجريين ....أو متصارعين يلعبان لعبة التحدي بالنظرات.....

قام فجأة ليجلس على الفراش ثم سحبها بوحشية من ذراعيها لتجلس أمامه هى الأخرى .....اخذت تنظر اليه وقد علت شبه ابتسامة مستفزة على زاوية شفتيها , و ارتفع حاجبها الايسر باستهتار أمام عينيه الجائعتين اللتين تحاولان التركيز على عينيها دون جدوى , ليعودا و يضيع منهما الطريق.....

ازداد الاستهزاء فى عينيها الوقحتين وهى تراه يحاول استعادة سيطرته ليركز على الاعتراف الاجرامي الذى طلبه ..... وقد حصل عليه.....

استطاع اخيرا النظر الى عمق عينيها ..... وما ان شاهد نظرة الاستهزاء و الابتسامة الساخرة حتى اشتعلت عيناه بنيران الحقد الدفين و لمعتا بالغضب الاسود فمد يده ليقبض على خصلة من مؤخرة راسها و يجذبها بقسوة الى الخلف لترجع راسها ..... اغمضت عينيها من شدة الألم , لكنها لم تنطق بحرف ..... ان كان يظنها ستستجدي منه الرحمة فهو اذن واهم.....

" أعيدي ما قلته..... "

ضربتها كلمتة المتوحشة وصدمتها بالكره الذى غلف كل حرف منها , لكنها سيطرت على الشعور المؤلم الذى طعن قلبها و قالت ببرود جليدي وهى لا تزال مغمضة عينيها راسمة نفس الابتسامة التى

" لقد سمعت ما قلته جيدا..... "

مد يده الحديدية ليقبض على فكها ويهزه بعنف وهو يهدر

" افتحي عينيك..... "

فتحت عينيها ببرود لتنظر لعمق عينيه وهى تحضر نفسها لرؤية حقده عليها والذى ما ان رأته حتى عضت باطن خدها دون ان يلاحظ هو سوى البرود المسيطر عليها.....

نظر اليها بازدراء مخفي داخل التوحش المندفع من عينيه .....اخذت حدقتاه تتحركان عى وجهها و كأنه يستشف الجواب من ملامحها الضعيفة بعد ان يئس من قراءة عينيها الباردتين القاسيتين .....ولم تفهم هى ماذا ينتظر قبل ان يبدأ تعذيبه لها , كانت تظن انها ما ان تلقي اعترافها اليه حتى يسارع الى رميها الى الجحيم , لكن ما لا تفهمه هو سبب لمحة التردد التى ظهرت حاليا لعينيها .....ألم يصدقها ؟.....مستعدة ان تهبه روحها ان اخبرها الآن انه لا يصدقها.....

" أمتعيني بكل التفاصيل القذرة..... "

غار قلبها و عاد ليندلع بنيران القهر.....القهر من ذلك المتوحش الذى خدعها برقته يوما .....ليذيقها ليلة من السحر المجنون و يشعرها بما لم تشعره مع غيره أبدا ..... علمها ما لم تعلمه من كل حياتها التى عاشتها لتعبث بقلوبِ العابثين ليخروا تحت قدميها

طالبين الرضا من صاحبة السحرالأسود ..... والتى كانت تركل قلوبهم دون أى شعور بالندم.....

و الآن جاء دورها .....لتشعر ببعضٍ مما اذاقته لعبيدها .....كيف سقطت له بهذه السهولة والغباء , كيف انخدعت بعاطفةٍ كاذبة أطلت من عينيه ..... حتى وان لم تكن حبا و كانت مجرد رغبَة وجنونا ,لكنها كانت تعتقده قد تقيد بها بسلاسل سحرها التى لم تخيبٌ هدفا ابدا .....لينجح هو في تكبيلها بسلاسلها .....

عاد ليرعد فيها بوحشية وهو يهز فكها اكثر حتى كاد ان يخلعه من وجهها " انطقي ايتها ال.....انطقي سابين وارحمي نفسك من غضبي ..... منذ متى قررتما تصفية حسابات الماضي لتكون دارين هى الضحية بينكما..... "

اغتاظت من لفظة ضحية ..... هل هو من السذاجة ليعتقد ان تحرٍر دارين من زواجٍ برجلٍ مثل مازن مهران يجعل منها ضحية.....

ذلك الوغد الحقير الذى كان لا يتورع عن وصفها بأقذع الالفاظ أمامها ....حتى تصورت أنه متزوج من انسانة لا يتحملها بشر ,لكن تصرفه الأخير جعلها تدرك كم هو حقير ..... و الكلام الفاسق الذى تعمد ايصاله لأحمد عن مدى تطور العلاقة بينهما جعلها تتأكد ان اى شيء مما قاله سابقا هو كذب حقير لمجرد ان يحصل على تعاطفها و بالتالى يحصل عليها فى نهاية الأمر ..... ولو بأى طريقة , بزواج او بغيره .....ولو كان هذا الغبي الجالس أمامها الآن يحاسبها على ضياع مازن مهران من شقيقته , سمع كلامه عن دارين لكان قتله بيديه .....بدلا من ان يعذبها هي تحت ادعاء ..... تطهيرها ..... المنافق .....المجنون.....

لم يظهر على ملامحها الرخامية الناصعة أيا من العذاب العاصف الذى يهيج بداخلها فى هذه اللحظة .....و ظلت تنظر اليه بمنتهى البرود ثم قالت اخيرا بصوتٍ قد يجمد اى رجل .....غير احمد مهران

" بماذا تهمك التفاصيل ؟.....أردت اعترافا و قد حصلت عليه "

ثم نظرت اليه نظرة الهبت كيانه وهى تضيف بفحيح " و أنا كلي شوق لأرى خطواتك الفذة لتطهيري من جرائمي..... "

تركت يده فكها الذى كان لا يزال ممسكا به الا إنه عبس قليلا حين شاهد أصابعه منطبعة بعلاماتٍ حمراء على خدها دون ان تظهر له انها كانت تتألم .....لكنه قال بقسوة متعمدة

" ليس الأمر بمثل هذه السهولة ..... ليس قبل ان أعرف .....كيف ..... ومنذ متى..... "

نظرت اليه وهى تبادله القساوة بقساوة اشد و اعلى وقالت وهى تشدد على كل حرف ليصله جيدا

" كيف ؟..... انت تعرف خطوات الخطة جيدا و التى انتهت بتدمير زواج دارين .... حتى وان كنت تتوهم بأنك أنقذت زواجها بزواجك مني !!.....لكنى فى الحقيقة سأظل بينهما طوال العمر , لن يتمكن مازن من نسياني أبدا .....فقد عملت على ضمان ذلك جيدا ....

أما منذ متى ؟؟؟..... فذلك أنت تعرفه جيدا ....منذ ان جعلت أمك والدي يترك زوجته و بناته ليرتمي في أحضانها..... "

لم تكد تمر لحظة منذ ان نطقت الحرف الاخير في كلامها البشع حتى شعرت بلسعة شديدة فى خدها بعد ان ارتفعت يده عاليا لتهبط مرتطمة بوجهها , في صفعة قوية القت بها على الوسائد خلفها.....

رفعت يدها ببطء لتتلمس اثار صفعته على وجهها و التى يبدو و كأنها انطبعت على قلبها ....هل هذا هو شهر عسلها ؟ ..... هل تلك هي الايام التى اخذت تعد اللحظات قبلها لتصل اليها ؟..... غامت عيناها وهى تنظر اليه بشرود دون ان تذرف دمعة واحدة.....

قام من مكانه بعنفٍ وهو يغرز أصابع يديه بخصلات شعره وهو يغمض عيناه هامسا

"يا الهي..... "

ظلت تنظر الى الصراع الذى يعانيه ..... جانبا منها يتلذذ بمعانته و كرهه لذاته لأنها تمكنت من إيصاله لذلك المستوى الذى بالتأكيد لم يصله مع غيرها أبدا .....

لكن جانبا آخر منها ..... مخفي عميقا بداخلها , كان يحثها لتنهض و تضربه و تصرخ بوجهه الا يصدقها ..... الغبي الذى لم يحركه نحوها الا انتقاما طويلا عمره من عمرهما معا , ولا ذنب لهما به.....

فتح عينيه بصعوبة لينظر اليها بأسى طويلا الى ان قال اخيرا بصوتٍ متعب

"اياكِ ان تدخلى أمي فى الحربِ بيننا سابين .....و قتها لن اضمن ردة فعلى تماما كما فعلت الآن "

همست وهى تنظر اليه بحقدٍ دفين

"انت الذى طلبت ادخالها .....انت من أحضرتني الى هنا .....الى صندوق ذكرياتها مع ابي "

استقامت و نهضت من الفراش لتندفع اليه وتواجهه وهى تكمل بشراسة

"لم تفكر الا بانتقامك انت ..... ليس لدارين فقط بل لتكن صادقا مع نفسك يا احمد بل انت تريد الانتقام مني بسبب الماضي الذى لم تستطع غفرانه او التعامل معه .....فكان زواج دارين المهدد هو فرصتك الذهبية لتنتقم من ذلك الرجل الذى أسر قلب أمك الى الآن .....حتى وان كان ميتا فابنته موجودة لتنتقم منها .....اليس كذلك ؟.....لم تفكر الا في غضبك أنت من الماضي ..... لم تفكر أنك لم تخسر شيئا حقا .....لم تفكر فى أنا .....أنا يا احمد ..... أنا من تركني والدي ..... أنا و إخواتي .....نحن من فقدنا والدنا ..... بسبب حبه الذى لم يستطع التغلب عليه ابدا .....سما التى كنت تساعدها فى الخارج بمنتهى الشهامة , تركها والدها وهى لا تزال رضيعة.... لم تعرفه ابدا ..... بسبب حبه .....بسبب تلك العاطفة الأنانية المسماة حبا .....و أنا .... أنا اتذكره جيدا , أتذكر ابتسامته , أتذكر حنانه علي أنا وإخوتي.....لكن أتذكر أيضا اننى رأيته يصفع امي ذات مرة ..... تماما كما فعلت أنت الآن .....لم تفكر بكل ذلك حين أحضرتني الى هنا بالذات ..... الى المكان الذى تعمدت ان أجد فيه تلك الذكريات عن ذلك الحب البائس الذى عرفت الآن أنه السبب في ترك والدى لنا .....سنوات وسنوات و أنا اسأل نفسي عن سبب اختفائه من حياتنا .....عما ارتكبناه من خطأ ليتركنا ..... اتذكر آخر مرة رأيته بها ..... حين قبل وجنتي وهو يقول لي انه آسف و ان لا خيار له سوى ذلك ..... ولم أفهم وقتها قصده... لم أعرف سوى أننى لم أره ثانية ....و الآن

.....الآن فقط عرفت .....قرأت رسائله لها ..... رأيت صوره معها .....و عرفت لما تركنا ....من أجلها ..... من أجلها هى..... "

كانت آخر كلماتها خرجت من شفتيها همسا حزينا مقهورا و قد أغمضت عينيها ..... و استدارت و هى غير قادرة على النظر اليه فى تلك اللحظة.....

أخذ ينظر اليها بعد انفجارها منذ لحظات وهو مشدوها مما سمعه ..... لقد قلبت كل الحقائق .....لقد قلبت كل زوايا الأمور بداخله .....لم يكن ينظر الى سابين التى عرفها من قبل ..... لم يعرف من هى تلك الطفلة الواقفة أمامه الآن بعد ان ضاع منها والدها .....

تمنى فى هذه اللحظة ان يأخذها بين ذراعيه لينسى أمه و والدها ....لينسى دارين وذلك الحقير مازن .....لينسى ايثار بكل الآلام التى سببتها لعائلته .....لكن ليس بعد ..... لازال هناك الكثير بينهما .....لازال يبعده عنها الكثير و الكثير.....

همس لها " سابين..... "

التفتت له بشراسة حين سمعت همسه باسمها و نظرت اليه نظرة أوقفته عن التحرك اليها .....ثم قالت له بكره لا حدود له

" لن أسامحك ابدا يا احمد مهران .....تذكر هذا حين تأتى الي تستجدي السماح .....و ستفعل..... وعدا مني ستفعل .....حينها تذكر اننى لن أسامحك ابدا..... "

تجمد فى مكانه و ملامحه لا تعبر عن اى شيء .....ثم عادت القسوة لتغلف نظرته وهو يقول بصوت منخفض

" لن يأتى هذا اليوم أبدا سابين .....فلا تنتظريه .....يا زوجتى "

انحنى ليلتقط كنزته وقميصه ثم اندفع مغادرا الغرفة صافقا الباب خلفه بكل عنف.....

نزل درجات السلم و شياطين الغضب تطارده ..... الغضب من الجميع , و الغضب من نفسه قبلهم جميعا.....

و عبارتها تتردد فى ذهنه ..... "الآن فقط عرفت .....قرأت رسائله لها ..... رأيت صوره معها .....و عرفت لما تركنا "

لم تكن تعرف ..... لم تكن تعرف ما حدث بالماضى ..... لم تعرف الا الآن ..... أى انه لم يكن هناك انتقامٍ من امه بسبب الماضي

.....

أخذ يخاطب نفسه بغضب .....ها قد حصلت على أول اجابة .....ولا تزال بقية الأجوبة التى يريدها و سيحصل عليها.....

كان قد وصل الى سيارته و هو ينهي ارتداء كنزته بعنف .....ثم حثه شيئا ما لرفع رأسه الى نافذتها .....ليراها تراقبه منها بملامحٍ استطاع ان يرى بها الشر الاسود .... وما ان التقت نظراتهما حتى شدت الستائر لتغلقها بعنف و هى تبتعد عن النافذة.....

هدرت أنفاسه بغضب وهو يتذكر اعترافها الغبي الزائف.....

لماذا تفعلين ذلك .....لماذا تصرين على إخراج اسوأ ما فيكي.....

وعاد اليه صوتها الذى خرج من عمق روحها و هى تقول بكل ثقة " تذكر اننى لن أسامحك أبدا..... "

سنرى هذا فى وقته يا سابين ....سنرى .....وحين شعر أنه على وشكِ الانفجار دخل الى سيارته و انطلق بها , يكاد لا يرى ما أمامه من شدة الجنون الذى يشعر به فى هذه اللحظة.....

.....

.....

.....

استيقظت سما صباحا من نومها الحالم على أصواتٍ مرتبكة آتية من المطبخ , و حين انتبهت و تيقظت تماما كانت نهاية هذة الاصوات هو صوت تحطم عالى أفزعها ..... نظرت بجانبها فذعرت حين وعت الى الفراغ الذى كان يحتله منذ ساعات .....فشهقت وهى تهمس " فارس..... "

اندفعت لتنهض من الفراش بسرعة .... واخذت القميص الملقى باهمال على حافة الفراش لترتديه وهى تغلق ازراره باصابع مرتجفة اثناء جريها باتجاه المطبخ ..... و ما ان وصلت الى بابه حتى فوجئت بالمنظرالماثل أمامها.....

فعلى أرض المطبخ كان فارس جاثيا على ركبتيه و هو يشتم هامسا بينما أخذت يداه تحاولان تلمس الاشياء المرمية امامه و من بينها العديد من القطع المكسورة .....

أمعنت سما النظر الى هذه الاشياء ففوجئت بوجود صينية كبيرة ملقاة على الارض ..... و بجوارها تناثرت العديد من قطع التوست المسخن.....بالاضافة الى كأسٍ

محطمة تماما و تحتها العصير المسكوب منها .....
وبعض قطع الحلوى المتناثرة كذلك .....وفى وسط هذه الاشياء استقرت وردة حمراء كبيرة تعرفها تماما كانت قد ذكرت لفارس مدى جمالها و هى مزروعة بالقرب من باب البيت.....

أمالت سما برأسها لتستند الى إطار الباب دون ان تصدر صوتا و هى تضع يدها على قلبها الذى يخفق بكل معاني العشق الموجودة فى هذا العالم.....

يالهى .....هذا الأسد الاعمى كان يحضر لها الفطور .....لقد جهز كل شىء بمنتهى المهارة .....حتى الوردة لم ينساها.....

دمعت عيناها وهى تشعر بغصةٍ فى حلقها .....لكم تتألم من أجله .....ولكم تحبه ...بل ان كلمة الحب تبدو بسيطة جدا بالنسبة الى ما تشعر به فى هذه اللحظة .....كانت تعلم ان هذا هو فارس الحقيقي ..... هذا هو حبيبها الذى راهنت على حبه رغم قسوته عليها .....كانت تعلم بان فارسها هو طفلها .....لم يخدعها قلبها ابدا .....انتظرته طويلا ليأتى اليها ..... حبها المستحيل .....حبها الصعب المستحيل .....

مدت يدها لتمسح دموعها بصمت ثم دخلت الى المطبخ وهى تسير حافية على الارض الناعمة الى ان وقفت بقربه.....

رفع فارس رأسه و هو عابسا ..عاقدا حاجبيه , ينظر أمامه بوحشية .....ثم همس بغضبٍ لم يستطع السيطرة عليه

" ما الذى أيقظك الآن ؟.....الا أستطيع الهروب منكِ للحظة ؟....."

ابتلعت ريقها ثم اخذت نفسا عميقا و هى تهبط ببطء لتجلس بجواره على ركبتيها , ثم مدت يديها وهى تلتقط الاشياء المتناثرة من امامه و تضعها فى الصينية ثم اخذت تجمع القطع المكسورة .....لكن حين حاول النهوض هتفت بصوتٍ منخفض

" انتظر لحظة يا فارس حتى لا تجرح نفسك ....."

زفر بحنقٍ ثم عاد ليجلس هو يخفض نظراته المتألمة .....بينما أخذت تمسح الارض من العصير و القطع المكسورة .و حين انتهت عادت لتجلس بجواره .....ثم همست بدفء

" هل كان هذا الفطور لي ؟....."

اجابها بحنق و هو يشعر بصدره يضيق

" إن لم يكن لكِ فلمن هو اذن ؟.....هل تجدين أحدا غيرنا هنا ؟....."

عادت عيناها لتدمع مرة اخرى ...بل هى لم تجف اصلا لكنها لن تسمح له بان يلحظ بكائها ..... مدت يدها لتلمس وجهه برقة ثم أخذت تحدد معالمه بأصابعها بكل نعومة حتى شعرت بعضلاته تستريح من تشنجها ..... الى ان استسلم متنهدا وهو يستمتع بملمس أصابعها .....حينها همست برقة

" لم يفعل أحدا هذا لى من قبل .....ماذا فعلت لأستحق كل هذه السعادة ؟....."

مد يديه ليجذبها من خصرها و يجلسها على ركبتيه و هو يستند بظهره الى الخزانات خلفه .....ثم همس وهويداعب شعرها

" بل ما الذى لم تفعليه الى الآن .....أنتِ تستحقين ان تكوني أميرة .... لا ان تتقيدين برجلِ أعمى لتظلي تخدميه دون مقابل "

أمسكت بوجهه بين يديها و هى تقول بغضب

" لا تقل هذا عن نفسك .....كف عن التذمر فأنت أفضل من الجميع في نظري و لن أسمح لك بقول هذا عن الرجل الذى أحب مرة أخرى..... "

ارتسمت الابتسامة على وجهه اخيرا فتنفست الصعداء و هى ترتمي بأحضانه لتنعم بدفئها .....بينما أخذ يمرر يده على ساقها الناعمة حتى وصل الى القميص فقال لها بعبث

" هل ترتدين قميصي ؟....."

رفعت رأسها قليلا لتنظر اليه ثم قالت بهزل رافعة حاجبها

" نعم ..... هل لديك مانع ؟...."

أجابها بشغفِ عابث

" المانع الوحيد هو أننى لا أستطيع رؤيته عليكِ..... "

قضبت جبينها و هى تتذكر بعض المناسبات ثم قالت بجرأة و هى تبتسم

" ومنذ متى كانت تمنعك عيناك عن رؤيتي..... "

ابتسم ابتسامة مفترسة تنم عن تأييده لكلماتها ....

فانتهى بهما الأمر بأن سقطت سما من على ركبتيه جالسة على الأرض الصلبة الباردة بقوة..... فضحكت بتأوه و تهتف عابسة

" فارس .....لقد آلمتنى "

الا إنه لم يهتم وهو يميل بها و قد غابت عنهما الدنيا فى عالمٍ رائع من العواطف الدافئة.....

استطاع فارس النطق اخيرا بتقطع

" هل أخبرتك سابقا كم أنتِ رائعة ؟....."

ازدادت سما اقترابا منه وهى تهمس بارتجاف

" لا بأس أن تكررها كل لحظة..... "

أخذ فارس يضحك و عاد ليقبل كل جزء من وجهها و هو يدغدغها قائلا بجموح بين كل قبلة

" أنتِ رائعة .....أنتِ رائعة .....أنتِ رائعة "

بينما كادت سما ان تختنق من شدة الضحك الى ان أحمر وجهها بشدة و أخذت تسعل و المرح يملأها

خاف فارس عليها من شدة سعالها فاكتفى بذلك وهو يضمها اليه متنهدا بسبب هذا الصباح الرائع.....

بعدها بساعة ٍ واحدة كانا يتمشيان وهو يلفها بذراعه و وجهها مستقرا على صدره .....على الشاطىء المهجور و الذى بدا ملكهما فقط ليشهد على سعادته وحبها.....

همست سما برقة " لقد اشتقت لسابين جدا يا فارس .....أنا أكلمها كثيرا لكنها لا تجيبني "

قال لها فارس ضاحكا " هذا لأنهما مشغولان .....يفعلان ما نفعله كل يوم "

أحمر وجه سما و هى تضربه فى معدته برقة ضاحكة .....ثم قالت بعد فترة

؛" أتظنها قد حصلت على سعادتها أخيرا ؟....."

امتنع فارس عن التعليق على سابين حتى لا يبدد النظرة الرومانسية التى تنظر بها سما الى زواج سابين بينما هومثل الجميع لا يرى سوى أنها أوقعت بأحمد مهران بكل اقتدار .....فحاول ان يغير الموضوع وهو يمد يده ليتلمس وجهها برقة ليتبين ملامحها ثم همس لها بشوق.....

" و ماذا عنكِ سما هل أنتِ سعيدة حقا ؟....."

قبلت صدره برقة ثم همست بنبرةِ اخبرته الكثير

" الم أخبرك ذلك للتو .....أنا سعيدة ...سعيدة جدا لدرجة أننى بدأت أنظر للحياة بنظرة مختلفة تماما "

ابتسم فارس بمرح و هو يلاعب شعرها و يقول

" وما هى نظرتك الجديدة للحياة يا سيدة سما ؟....."

أجابته بحماسٍ يتوهج " أنا أفكر أن أكمل دراستي ....."

كانت لا تزال ملصقة جانب وجهها بصدره فلم ترى وجهه الذى اختفت منه الأبتسامة ..... و النظرة المتوحشة التى علت عينيه....

لكنها شعرت بتوقفه عن السير فجأة فرفعت وجهها اليه متسائلة.....حينها شاهدت تلك النظرة التى أخافتها و جعلتها تهمس

" فارس ..... ماذا حدث ؟"

خفت قليلا تلك النظرة بعينيه .....ثم قال بهدوء قدر الإمكان

" ما الذى جعلك تفكرين بالدراسة الآن .....بعد كل هذه السنوات ؟.."

شعرت سما بالتوجس من نبرته الهادئة و غضبت من نفسها بشدة لأنها القت اليه اقتراحها مرة واحدة دون ان تمهد له الطريق أولا.....كانت تشك فى موافقته و قررت ان تنتظر الوقت المناسب الا ان روعة هذا الصباح جرفتها .....لتجعلها ترغب في ان يشاركها حماسها .....لكنها الآن تستطيع رؤية انها افسدت الأمر تماما.....

همست اليه وهى ترفع يدها لتلامس صدره

" لم يكن هناك مجالا من قبل .....أما الآن فأنا اشعر بأننى قادرة على النجاح و تعويض ما فاتني .....هل تمانع يا فارس "

قال بنفس النبرة الهادئة

" وماذا كانت دراستك ؟....."

اجابته مندهشة و مصدومة من عدم معرفته الى الآن .....

" كنت أدرس الطب ..... فالواقع لم أدرس سوى سنة واحدة فقط ثم تزوجت بعدها..... "

ارتفع حاجباه بصدمة وهو يهمس " الطب ؟؟.....هل تردين ان تصبحي طبيبة ؟....."

ظلت سما تنظر اليه بوجوم وهى غير قادرة على قراءة أفكاره .....يا الهى ما اكثر ما يجهله عنها .....لم يفكر ان يسألها مرة واحدة عن دراستها التى اختطفها منها بعد ان كانت تحلم باليوم الذى ستصبح فيه طبيبة .....الا ان حبها لفارس أوقف كل مشاريع حياتها و كل أحلامها عن المستقبل .....ليصبح كسب حبه هو حلمها الوحيد.....

أبعدت تلك الأفكار السلبية عن رأسها .....و هى تحاول أن تنقل حماسها اليه قائلة

؛" نعم ..... نعم يا فارس ,كان ذلك حلمى الوحيد قبل ان ألقاك .....و الآن أتمنى ان احققه "

ظل ينظر امامه و هو يخفي ما يشعر به تماما .....فهمست مرة أخرى

" فارس..... "

رفع يده فجأة ليوقفها عن الكلام باشارة منه ثم قال بحزمٍ لا يقبل المناقشة

" سما .....انسي هذا الموضوع تماما ,فانا لن أقبل ان تعملي أصلا ,فلما تتعبين نفسك بالدراسة ؟"

شعرت فى لحظةٍ واحدة بتكسر كل أحلامها على صخور قلبه القاسي .....و امتلأت عينيها بالدموع فى لحظة واحدة .....فهمست كمحاولة أخيرة

" لكن يا فارس..... "

سحبها بين ذراعيه وهو يقبلها بشدة موقفا كلامها ..الى ان ضمن استجابتها الكاملة..... ثم قال اخيرا بعد ان رفع رأسه عنها ..بصوتٍ اجش من العاطفة

" سما نحن فى شهر عسلنا الذى طال انتظاره .....فهل هذا وقتا للكلام فى الدراسة ؟"

شدد من ضمها اليه..... ليشعر برطوبة دموعها على بشرة صدره العارية ....الا انه لم يظهر انه شعر بدموعها .....وهو يهمس فوق وجنتها

" هل هناك ما هو أغلى عندك منى ؟.....سما "

اجابت سما هامسة وهى تهز رأسها بينما دموعها تنساب على وجهها ....”لا.....”

و ليتأكد من جوابها أعاد نفس السؤال فوق شفتيها ....الى ان حصل على نفس الاجابة وهى تمد ذراعيها لتطوق عنقه .....تخبره بقبلتها عن كل ما يريد معرفته فى الوقت الحالى.....

تلك الليلة حين كانت تنام بقربه ....ظل هو مستيقظا بجوارها .....يتخلل شعرها باصابعه , ناظرا أمامه بألم .....

اليوم شعر بتمزق قلبه تحت دموعها على صدره ..... لكنه قاوم ألمه .....لأنه يحمي ممتلكاته , وسما أصبحت أغلى ممتلكاته و سيكون ملعونا اذا تركها تفلت بعيدا .....كما ضاع منه حبه الأول .....لكن الآن ان ضاعت سما منه فهو لن يجد سببا آخر ليحيا من أجله .....حتى وان لم يكن هذا حبا .....يكفى ما تجلبه الى حياته من أمل ..... وسعادة.....

اقترب منها ليتلمس شفتيها بكل رقة .....ثم أخذ يهمس فى أذنها

“ أنتِ تتسربين من بين أصابعي بمنتهى السرعة ياسمينا .....حتى وان لم تدركي ذلك بعد , لكن الرياح تريد أن تحملكِ بعيدا..... ,لكن وعدا منى ان ذلك لن يحدث ابدا مادام فى صدري نفسا يتردد .....أنتِ لي ياسمينا .....لقد خلقتِ لي وقد وقعت أنا على عقد امتلاكك قبل حتى ان تعرفي معنى الحياة .....قد أكون قاسيا لكن هذه هى الحياة , و انا أنوى ان آخذ حقي بها .....الم يكن هذا هو طلب الجميع .....لا أفعل الآن سوى أننى انفذ ما رسمتوه جميعا منذ ثلاث سنوات .....فلا مجال للندم او لتأنيب الضمير عندي .....”

تململت سما فى نومها قليلا وهى تئن الى ان استيقظت فجأة شاهقة بعنف .....ففوجئت بوجه فارس الشرس مطلا فوقها ,فهمست بخوف

" فارس .....ماذا هناك حبيبي ..هل يؤلمك شيء "

ابتسم ابتسامة باهته ثم قال بعد فترة

"نعم .....نعم يا سما ,أشعر بصداعٍ فظيع ,لقد عاد أسوأ من السابق..... "

استقامت سما جالسة بجواره وهى تقضب جبينها بقلق تتلمس جبينه وتهمس

" مرت فترة منذ ان أصبت به .....فلماذا عاد اليك الآن "

تردد قليلا ثم قال وهو يتعمد تضييق عينيه بألم

" يبدو اننى لم أحتمل التوتر أبدا .....هل تجلبين لي الدواء يا سما من فضلك "

فى لحظةٍ واحدة .....كان القرص بيده وكوب الماء فى يده الأخرى وبعد ان انتهى .....همس لها بخشونة

" سما أعرف اننى أحتاج الى كل دقيقة من يومك .....خاصة ها قد بدأت الأوجاع تعود الي مرة أخرى..... أنا حقا آسف "

جذبت سما رأسه بكل رقة لتريحه على صدرها وهى تدلك له جبهته هامسة بحب متألمة لألمه

" هششششش.....لا أريد ان أسمع هذا الكلام السخيف مرة أخرى , لن تعود أوجاعك باذن الله ...قد يكون هذا صداعا لأنى وترتك صباحا .....أنا التى يجب ان تعتذر حبيبي .....ويجب ان تعرف أنك الأول فى

حياتى دائما ولو استطعت زيادة دقائق يومي لأعطيها لك , لفعلت بدون تردد..... "

ارتسمت ابتسامته المفترسه على شفتيه وهو ينعم بحضنها الدافىء ..... والكلمات التى أراد سماعها , والتى سيحرص على سماعها كل لحظة لو أمكن

.....

.....

.....

.....

كان ينظر اليها بشغف ٍ فى المرآة وهى تساعده فى ارتداء سترته ..... إنها تداوم على فعل ذلك منذ عدة أيام .....وهى لا تعلم ان هذه الحركة البسيطة تلهب مشاعره وتحثه على عدم مغادرة هذه الغرفة الى مكانٍ ممل كالعمل.....

كانت واقفة خلفه تمرر يديها بعدم تركيز على كتفيه بعد أن ألبسته السترة .....ثم حانت منها التفاته الى المرآة .....لتفاجأ بنظرته الجامحة اليها تساندها ابتسامة مفترسة على زاوية فمه .....فاحمر وجهها بشدة و هى تخفض نظراتها بسرعة ..... فضحك بشغفٍ وهو يجذبها بين ذراعيه ليقول

" أعتقد أنك علمتِ ما أفكر به فى هذه اللحظة اليس كذلك ؟....."

ازداد احمرار وجهها وقد فلتت منها ضحكة رقيقة خجولة .....فلم يستطع المقاومة اكثر فجذبها اليه يقبلها بشغفٍ افقدها الوعى بكل ما حولها.....

ابتعد عنها أخيرا وهو يتنهد بعمقٍ حتى كاد ان يسحبها مع الهواء الداخل الى رئتيه محملا بعطرها العذب .....عطرها الذى لم تضيفه ابدا الى نفسها .... بل

منحته إياها الطبيعة بكل بساطة .....هذه الرائحة استنشقها حين حملها بين ذراعيه للمرة الأولى وهى طفلة صغيرة لم تتعدى الخامسة .....وقتها لم يعلم لماذا سكنت هذه الرائحة خياله طويلا و قد فسر الأمر بأنها رائحة الأطفال الناعمة المحببة .....لكن بمرور السنوات ,ظلت هذه الرائحة تسكن قلبه ...تداعبه كلما اقترب منها متعللا بأى شيء , ليدرك ان هذا هو عطرها الطبيعي

.....

عاد ليقترب منها مرة اخرى ليدفن انفه اسفل عنقها عله يصدق أخيرا انها هنا بين ذراعيه وقد أصبحت ملكه.....

ابتسمت بحزن و هى تميل برأسها ليلامس خدها خده بنعومة لتستمد منه كل الحماية التى تحتاجها

.....همست بداخلها ....أين كنت ....لماذا لم تنتشلني من قبل .....لو كنت أعلم أنك قدري لكنت انتظرتك .....لما كنت ضعت من دونك .....كنت أخى الصارم , وكنت أخاف من قسوتك .....لو كنت أعلم .....لو كنت أعلم.....

لم تدري ان كلمتها غادرت شفتيها بهمسٍ معذب .....الا حين رفع رأسه و هو ينظر الى عينيها المبللتين طويلا .....ثم همس أخيرا

" لو كنتِ تعلمين ماذا حبيبتى ؟....."

لعقت دمعة وحيدة انحدرت ووصلت الى شفتيها بنعومة .....ثم هزت رأسها بعلامة ٍ لا معنى لها .....ظل ينظر الى عينيها طويلا لا يمل منهما دون أن يثقل عليها بالاسئلة .....فدائما ما يتركها تبكي كما

تريد حتى تكتفي دون يحاول العودة الى الماضي .....
وهذا ما كان يريحها وما كانت ممتنة له.....

أمسك بوجهها بين كفيه ..... و ابتسم لها مطمئنا بان كل شيء سيكون على مايرام .لكن دون أن يحتاج الى الكلام .....ثم قال لها أخيرا

" هل تحبين الخروج مع السيدة اسراء مرة أخرى ؟....."

نظرت اليه مندهشة تماما كالمرة السابقة ..... ما هذا التطور ؟ هل يفعل ذلك لإرضائها .....مع انها متأكدة من عدم رغبته في خروجها من باب القصر .....لكنها لم تستطع كبت حماسها هذه المرة .....فلقد مر اسبوع على خروجها مع السيدة اسراء الى المجمع التجاري .....و كانت تعتقد ان هذه كانت المرة الأولى و الأخيرة التى سيسمح فيها ادهم بخروجها .....لذا لم تعلق الآمال كثيرا على إعادة الكرة .....و احتمال مقابلتها لصديقتها الجديدة مرة أخرى ..... مع أنها كانت تتوق لذلك بشدة .... لم تكن تدري متعة أن يتحدث المرء الى شخصٍ غريبٍ لا يعرفه ..... ليفضي اليه بما لا يستطيع البوح به لمن يعرفهم .....شعرت المرة السابقة بشعورٍ غريب ... شعورٍ من راحةٍ محملةٍ بالألم .....و لكم كانت تريد أن تعيد هذا الشعور مرة أخرى .....بالاضافة الى شعورها بأنها عادت انسانة سوية تجلس مع أمرأةٍ شديدة الأناقة .... شديدة الثقة بالنفس ... والتى تمنت ان تكتسب جزءا من ثقتها ..... وتصبح بمثل جاذبيتها و اناقتها .....و تختفى منها تلك الفتنة ِ الهمجيةِ القذرة التى تجذب اليها وحوش الأرض .....كما وصفها أحد تلك الحيوانات الذين عرفتهم سابقا .....فقط جذابة ..... جذابة و راقية

.... لاتثير غرائز كل من يراها .....كما قيل لها سابقا .....

فهل تجرؤ على رؤيتها مرة أخرى ؟؟.....لقد كانت ..سمر ...مبدية أشد الاهتمام برؤيتها مرة أخرى , مما جعل حلا تشعر بالزهو قليلا و ارتفاع روحها المعنوية .....هناك من يريد رؤيتها لشخصها ..... وليس لأغراضٍ دنيئة.....

همست لادهم تحاول التأكد مما سمعته

" حقا يا ادهم ؟.....مرة أخرى ؟.....كنت أظنك تخاف من خروجى وحيدة , لكن ها أنت تسمح لي بالخروج بمفردي مرتين خلال أسبوع ؟....."

ثم تابعت و قد أصابها دلال الأنثى العاتبة بالرغم من حماسها الخفي

" ألم تعد تخاف علي يا أدهم ؟....."

فى حركةٍ واحدةٍ مباغتة مد ذراعيه ليعتقل خصرها ثم رفعها عاليا ليصبح وجهه فى مواجه عينيها المتسعتين ببراءة .....اخذ نفسا عميقا و هو ينظر لعينيها عابسا .....ثم قال أخيرا باندفاعٍ غاضب

" تبا يا حلا ... انا أحاول أن .....لكن أنتِ لا تساعديني بما تقولينه ....بنظرة عينيكِ البريئتين بسذاجة..... "

لم تفهم تماما ما يحاول قوله .....لكنها ظلت تنتظره لأن يكمل ....شعرت ان كلامه الغير مفهوم يدفىء قلبها .....

قال أخيرا وهو يتنهد بيأس

" فى قرارة نفسي لا أريد ان تخرجي من باب القصر .....لكنى أعلم ان ذلك مستحيلا , فها أنا أحاول ان

أروض نفسي بالرغم من شدة ما أعانيه من خوفِ عليكِ "

أحاطت عنقه بذراعيها و هى تقول بتردد تحاول ان تقنع نفسها قبل ان تقنعه

" ادهم .....أنا لست طفله , صحيح أننى لم أفعل سابقا ما يجعلك تثق بي ..... لكنى .....لكنى أحاول , فلا تخف على و لا تلم نفسك "

أنزلها ادهم على قدميها ثم ضمها الى صدره بكل قوة حبه و خوفه عليها ..... لا يريد ان تبتعد عن قلبه أبدا .....

اخيرا ابتعد عنها قليلا و هو يقول بحزمِ حاول تجميعه قدر الإمكان

" اذن ... فلنحاول خطوة خطوة .....فلتخرجى مع السيدة اسراء اليوم .....و .... وحاولى الاسترخاء قدر الامكان "

مد أصابعه ليتلمس و جنتها برقةِ اذابت قلبها و هو يهمس بعد لحظة

" ليس معنى اننى أخاف عليكِ .....ان يكون هناك ما يخيف لا أريدك ان تشعري بالذعر , لا تقلقي حبيبتى فعيوني عليكِ دائما "

شردت بعيدا لحظة و هى تتذكر نفسها تسير هائمة مذعورة تنظر الى كل شخصِ يقترب منها على انه سينقض عليها فى أى لحظة .....لو كان رآها فى هذه اللحظة لكان شعر بالخجل منها بكل تأكيد .....

الحمد لله أن عيونه لم تكن عليها كما يحاول ان

يطمئنها و الا لكان صُدم من منظرها المخزى و هي تسير وحدها بعد رحيل السيدة اسراء.....

أومأت حلا برأسها موافقة و هى تبتسم ابتسامة مترددة ترد على ابتسامته المشجعة لها .....ابتعد عنها متثاقلا بعد ان قبلها على جبهتها مودعا .....الا إنه عاد اليها مرة أخرى ليمسك بذقنها يرفعه اليه وهو يقول بصرامة محببة

" لا أريد ان انبهك لملابسك مرة أخرى..... "

ابتسمت ابتسامة واسعة وهى تومىء برأسها له ..... وقد عادت لذاكرتها نفس الجملة حين كانت فى السادسة عشر وهو يقولها بصرامة أشد منها الآن .....

عادت لتهمس بعد أن خرج من الغرفة .....أين كنت .....لو كنتُ أعلم.....

ظلت حلا تنظر الى قائمة الأسماء الموجودة على شاشة هاتفها الخاص .....و التى لا تحتوى الا على اسمين اثنين فقط .....اسم ادهم يليه اسم .....سمر ....و التى أصرت ان تعطيها رقم هاتفها مؤكدة عليها ان تهاتفها و قتما شعرت بالرغبة فى الخروج معها .....بينما لم تملك حلا الجرأة لتعطيها رقمها.....

أخذ إصبعها يتردد كثيرا فى الضغط .....هل ستتذكرها ..... قد تكون مجرد انسانة ودودة و لا تعتقد بالفعل ان حلا ستأخذ الموضوع بجدية و تحاول مقابلتها مرة أخرى .....لكنها تحتاج اليها نوعا ما , احساس غريب طرأ عليها منذ ان قابلتها ..... هل هذا هو معنى الصداقة التى لم تعرفه قبلا ..... حتى مع هلال .....احتياجها لأنسانة غريبة كسمر اكثر ضرورة من احتياجها لعفوية و مرح هلال....

اخذت نفسا عميقا فى النهاية ثم ضغطت على اسمها .....كانت لحظة واحدة وهى على وشك ان تغلق الهاتف بعد ان غلبها ترددها ....الا ان الصوت الجذاب ذو النغمة الموسيقية وصلها قائلا

" مرحبا..... "

كرهت حلا غباءها على هذه الخطوة الغير محسوبة ., الا إنها لم تجد سبيلا سوى أن تكمل للنهاية .....فهمست متلعثمة

" س..سمر مرحبا .....آآآ....أظن أنكِ لن تتذكرينى , لكن ....لكن أنا كنت..... "

قاطعها الصوت المحبب و هو يأتي اليها حاملا الثقة و الألفة

" مرحبا حلا..... "

ابتسمت حلا قليلا و هى تلصق الهاتف باذنها و تسير بخطواتٍ متعثرة فى الغرفة ..... لقد تذكرتها.....

ثم همست بإحراج " لقد تذكرتِنى..... "

جاءها صوت سمر حاملا الابتسامة معه

" بالطبع تذكرتك فأنا لا أنسى أصدقائي ابدا .....ثم أننى أنا من طلبت منكِ مكالمتي "

ترددت حلا وهى لا تعلم بماذا تكمل كلامها .....لقد شعرت بنشوى غريبة حين أخبرتها سمر بأنها تعتبرها من أصدقائها.....

قاطع ترددها صوت سمر و هى تقول بعذوبة

" حلا انا أشعر بالملل .....ما رأيك ان نخرج اليوم ؟"

اتسعت عينا حلا و هى لا تصدق ان هذا ما كانت تريده لكنها كانت محرجة من رفض سمر لرفقتها ,

خصوصا و أنها لم تمهد لها الأمر قبل اليوم فقد تكون مشغولة .....لكنها انبهرت بعفوية سمر الشديدة و هى تخبرها بمنتهى البساطة أنها تريد أن تخرج اليوم .....لكم تتمنى أن تصبح في نفس ثقتها .....همست حلا و هى تبتسم

" سيكون ذلك رائعا ..... هل من الممكن ان نتقابل في نفس المكان , أنا لن .....لن أستطيع الذهاب الى غيره "

جاءها الرد من سمر مطمئنا ودودا " بالطبع حبيبتي لا مشكلة .....سأكون في انتظارك هناك بعد ساعتين "

ضمت حلا الهاتف الى صدرها و هى تبتسم متحمسة ..... ها هى أول خطوة من خطوات ترميم نفسها .....لقد عادت للإختلاط بالناس.....

.....

.....

.....

كانت حلا تنظر اليها مبهورة بحركات يديها و هى تبعد بها شعرها الناعم القصير عن عينيها ..... تؤرجح ساقا فوق الأخرى وهى تجلس أمامها بكل أناقة .....تتحدث بثقة , شديدة المرح ..... و أيضا مستمعة رائعة , فقد كانت حلا هى التى تثرثر معظم الوقت .....حتى حين كانت تسكت خوفا من أن تضجرها ..... كانت سمر تقول لها بمحبة ..... لماذا توقفتِ عن الكلام.....

لم يبدى أحدا إستعداده لسماعها من قبل .....حتى ادهم .....منعه توحشه من الإستماع الى الماضي , خوفا عليها من ردة فعله ؟... او خوفا مما قد يسمعه و يكون فوق احتماله .... المهم أنه من بعد المرة الأولى التى سألها فيها .....لم يحاول إعادة الكرة , صحيح أنها

شعرت بالارتياح من عدم إلحاحه , ... لكن في زاوية من زوايا قلبها .....كانت تشعر بالألم من ردة فعل ادهم الذى تظاهر بأن شيئا لم يكن ..... و أن حمايته المبالغ فيها هى شيء طبيعي و منطقي.....

عادت حلا من أفكارها على لمسة يد سمر الناعمة على يدها وهى تهمس حتى لا تجفلها

" حلا.....أين شردتِ ؟"

التفتت حلا اليها بسرعة ثم أخفضت نظرها الى يد سمر الممسكة بيدها ..... الا أن سمر لم تسحب يدها هذه المرة , ثم قالت مبتسمة

" الم تخبريني انكِ لا تفضلين أن يلمسكِ أحد ؟.....لكنك لم تعترضي الآن "

سحبت حلا يدها ببطء ....ثم قالت بعد فترة

" أنا أتوجس من الأشخاص الغريبين عني .....لقد مررت بعددٍ لا بأس به من الأشخاص السيئين في حياتي "

قالت سمر بمرح " لا تبدين لي كبيرة في العمر لهذه الدرجة..... "

سبحت غمامة حزن على وجه حلا و هى تعود للشرود هامسة

" قابلتهم جميعا فى الخمس سنوات الأخيرة من حياتي .....أو على الأصح في ثلاثٍ منها فقط "

نظرت سمر اليها باهتمام ثم قالت أخيرا بهدوء

" الن تحكِ لي ما حدث معكِ اليوم أيضا..... "

ظلت حلا ناظرة الى يديها المتشابكتين أمامها ثم همست بتقطع

" أنا لا أستطيع ..... هناك أشياء حدثت لى و لست فخورة بها "

قالت سمر بصوتٍ منخفض " هل تعرضتِ لعنفٍ من أى نوع ؟....."

قالت حلا بعد فترة بهمس " قد أكون تعرضت لكل أنواع العنف..... "

سحبت سمر نفسا عميقا ثم حاولت مرة أخرى " قد يريحنا أن نحكي لأشخاصٍ غير أنفسنا ما يؤلمنا .....فلماذا لا تحاولي "

عادت تلك الدمعة الوحيدة لتنحدر على وجنتها لتجد مكانها ككل يوم ..... و ظلت صامتة قليلا ثم قالت

" لا أريد .....لا أريد ان يتركني ادهم .....لم أعد استطيع الحياة بدون حمايته لي , ماذا لو قرر فجأة أننى أصبحت غير ملائمة له , كيف سأعيش و أين سأذهب ..... أنتِ لا تعلمين كيف كانت حياتي من قبله .....كنت انهار ببطء كل يوم ...الى أن جاء هو وانتشلني "

تقبلت سمر أن حلا قد اتجهت بتفكيرها الى طريقٍ آخر تماما غير الذى كانت تحادثها فيه و سايرتها فى الكلام قائلة

" ادهم هذا زوجك بالتأكيد اليس كذلك ؟..... لكن مما أخبرتني به شعرت أنه يحبك جدا , فلماذا تخافين أن يتركك ؟"

رفعت حلا عينيها بسرعةٍ الى سمر و كأنها قد القت اليها بقنبلة .....و ظلت تنظر اليها طويلا ثم قالت هامسة

" يحبني ؟..... لا الوضع بيننا مختلف , إنه ليس حبا كالقصصِ الرومانسية ِ و الأفلام .....إنه فقط .... يشعر بالمسؤليةِ نحوي , هذا هو ادهم ... يجيد حماية من هم تحت مسؤليته..... "

نظرت اليها سمر باهتمام و كأنها لا تصدق أن هذه هى نظرة حلا الى زواجها .....ثم قالت

؛" وهل كان يجب ان يتزوجك ليتحمل مسؤليتك ؟.....لا أعتقد انه يصل الى هذا الحد فى الحماية "

ظلت حلا تنظر اليها طويلا و كأنها انفصلت عن هذا العالم ثم همست بشرود

" قلت لك ان وضعنا يختلف .....ادهم كان أخى الأكبر منذ اكثر من عشرين عاما "

ابتسمت سمر ابتسامة خبيثة و هى تقول بمرح

" وهل يتعامل معكِ الآن على أنه أخاك .....لا أصدق هذا عن أدهم "

نظرت حلا اليها بدهشة و قد احمر و جهها من ملاحظة سمر الا أنها قالت " و كيف تعرفين أدهم ؟..... "

لم ترمش عينا سمر لكنها قالت بعد فترة " طبقا لما أخبرتنى عنه .....أظن انه لا يشعر نحوك بأى نوعٍ من الأخوة أبدا "

ازداد احمرار وجه حلا وهى تطرق برأسها .....كيف تخبرها بأن زواجها من أدهم كان صفقة بينهما .....صحيح أنه يحميها بشكلِ رائع و هو دائما و أبدا سيظل الصخرة الصلبة فى حياتها ..... الا أن ذلك لا يمنع أنه تزوجها بالطريقةِ الوحيدة التى تتزوج بها نساء آل الراشد.....

" حلا ....." رفعت حلا رأسها لتواجه صاحبة النداء الناعم , فقالت سمر بثقة

" أعتقد ان خوفك الغير منطقي على زواجك هذا له علاقة بالماضي اليس كذلك ؟....."

ابتلعت حلا ريقها و هى تومىء برأسها بتردد قم قالت بهمسٍ مختنق

" أنا .....أنا كنت متزوجة .....قبل أن أتزوج أدهم "

ظلت سمر تنتظر البقية ..... فأكملت حلا و هى تشعر بغصةٍ في حلقها

" كنت متزوجة من انسانٍ سيء للغاية .....فعل بي أشياء .....لو عرفها أدهم..... "

قالت لها سمر بصوتٍ منخفض " و لماذا تزوجته؟....."

تحررت خيوط الدموع من قيودها و هى تأخذ مسارها فوق وجه حلا التي قالت أخيرا بما يشبه النشيج

" ظننت وقتها أن لا خيارٍ لي .....ظننت أن بقاء أمى و أخوتي فى القصر مرهون بموافقتي "

سألتها سمر بخفوت " و بالطبع لم يكن ذلك صحيحا ..... من أوهمكِ بذلك "

شهقت حلا و هى تهمس " من عرفت لاحقا أنها باعتني و قبضت الثمن..... "

لم تحاول سمر التطرق اكثر لهذا الموضوع .....فقد بدت حلا على وشكِ الانهيار .....ثم قالت لها بعد لحظات

" حلا هل تعرفين ماذا أفعل حين أشعر بالضيق و لا استطيع مخاطبة أحد ..... أكتب كل ما أشكو منه , وهى طريقة فعالة جدا حين أكون غير قادرة على

المواجهه .....لذا أريد منكِ أن تكتبي عن كل شيء سبق و ضايقك ووقتها لن يكون لديكِ أى قلق فأنت لا تواجهين الا نفسك .....و من يعلم , قد تثقين بي يوما و تسمحين لى بقراءة ما كتبتِ "

ابتسمت حلا بضعف و هى تعدها بالمحاولة ..... بعد فترة سألتها سمر بحذر

" حلا أخبريني شيئا .....هل النفور الذى أخبرتني به تشعرين به تجاه كل الرجال مثلا ....أم أشخاصٍ معينين كالغرباء مثلا "

همست حلا بعد أن هدأت قليلا " إعتقدت لوقتٍ طويل أننى أنفر من كل الرجال .....الا أدهم "

ابتسمت سمر و قالت " ولماذا الا هو ؟....."

احمر وجه حلا و هى تقول بتلعثم " لا أعلم .....حقا لا أعلم ....كل ما أعرفه هو أنه يشعرني بالكمال حين أكون معه , و هذا مالم أشعر به مع أي انسانٍ غيره .....لكن ....في بعض الأحيان لا أشعر بذلك النفور على هذا النحو الشديد فأنا فقط أخاف من العنف و الصراخ و لا أحب أن يلمسني أحد .....لكنى أكتشفت أننى أستطيع التعامل كأى شخصٍ طبيعي فى ظل هذه الظروف ..... فأنا مثلا لا أخشى من صديقي هلال ....."

اختفت ابتسامة سمر تدريجيا و هى تسأل بحيرة " هل لديكِ صديقٍ اسمه هلال ..... كنت أظن أنك لا تخرجين من القصر أبد "

ابتسمت حلا قليلا وهى تقول " بالطبع .....هو موجود معنا فى القصر "

نظرت اليها سمر بتوجس ثم قالت " هل يراه أحدا غيرك ؟..... "

فأجابتها حلا بعفوية " لا..... "

عبست سمر وهي تنظر اليها بتركيز ثم قالت " حلا هل من الممكن أن تكوني قد اخترعتِ صديقا فى خيالك .....خوفا من الإختلاط بأصدقاء حقيقين "

اتسعت عينا حلا بعدم تصديق للحظة ثم انفجرت ضاحكة و هى تقول

" ماذا ؟!!.....هل تظنيني مجنونة الى هذه الدرجة ؟!!.....اذن دعيني اطمئنك , هلال انسان حقيقي من لحم ودم و هو يعمل فى حديقة القصر "

ابتسمت سمر ابتسامة مهزوزة لا تحمل أى مرح ثم قالت

" وهل يعلم أدهم بصداقتك له ؟..... "

قالت حلا بسرعة " يا الهى لا بالتأكيد .....أدهم سيجن ان عرف أننى تساهلت مع أحد العاملين فى القصر , انه لا يؤمن بالعفوية و المساواة بين البشر وهذا ما يضايقني به ..... بالنسبة لى كل الأشخاص متساوون .....فأنا مثلا عرفت آخرين من الوسط المخملي أشد قذارة من الحشائش الضارة التى يقتلعها هلال..... "

ظلت سمر تنظر اليها فاغرة فمها قليلا ..غير مستوعبة تفكير حلا الذى ابتعد كليا عن الكارثة التى قد تنكب عليها يوما ما ..... وبالتأكيد لن يكون السبب ... الفروق الإجتماعية بين الطبقات.....

حاولت سمر التكلم بعقلانية " حلا .....استمعي الي جيدا ..... هل هلال هذا تربى معكم في القصر مثلا ؟....."

نفت حلا قائلة " لا .... لقد بدأ العمل في القصر قبل أن أتزوج أدهم بعدة أشهر..... "

عبست سمر و هى تقول " اذن الا ترين انه شديد الجرأة ليصادق زوجة صاحب القصر الذى يعمل به .....حلا أنا لا أريد أن أخيفك لكن أنتِ في بداية مراحل التعامل مع الناس بعد انقطاعٍ قد يقرب من السنتين.. و من قبلها ما تعرضتِ له فى زواجك السابق .....لذا فحكمك على الغرباء قد يكون فى غير محله ..... وقد تعطين ثقتك الى من لا يستحقها من شدة رغبتك فى بدء حياة طبيعية بين الناس "

توترت حلا قليلا ثم همست " أنتِ تبالغين .....إن رأيتِ هلال ستدركين إنه يبدو كطفل فى مرحه وعفويته , لا أعتقد أنه مؤذى .....كما أنه حتى و أن كان ماذا يستطيع أن يفعل و أنا بداخل القصر .....لا ... أنتِ فقط شديدة الارتياب "

ابتسمت سمر بضيقٍ وهى تشعر بعجزها عن التصرف ..... الا أنها آثرت ترك الموضوع حتى لا تثير خوف حلا .....

ظلتا طيلة ساعتين من الزمن تتحدثان فى أشياء كثيرة ... تتطرق أحيانا الى حياة حلا و التى كانت تشعر بمرور الوقت بزيادة تعلقها بالرائعةِ سمر ..... و كأنها تعرفها منذ زمن.....

حتى أنها اصطحبتها بعد ان انتهيتا من الحديث الى جولةٍ فى محلات الملابس الراقية ..... و ساعدتها فى انتقاء طقما أنيقا رائعا.....

و ما أن ودعتها حتى شاهدت السيدة اسراء تأتى اليها مهرولة من بعيد ..... وما أن وصلت اليها حتى قالت و هى تلهث

" اعتذر جدا سيدة حلا على التأخير .....لكن أنا ممتنة للغاية لسماحك لي بزيارة ابنتي فهذا يوفر على الطريق الطويل من القصر اليها "

ابتسمت حلا و هى تتعلق بذراع السيدة اسراء و تقول

" لا عليكِ سيدة اسراء .....فأنا استمتعت اليوم جدا ....لكن بالطبع تسعدني رفقتك جدا "

.....

.....

؛" ما رأيك يا أدهم ؟....."

نظر اليها و هو مستلقيا في فراشه بكسل تلك الليلة واضعا ذراعيه خلف رأسه ينظر اليها بشغف و هى تختال أمام المرآة مرتدية زيا كلاسيكيا أنيقا , أبيض اللون ذو تنورة ضيقة تكاد تلامس ركبتيها ... و سترة ذات أزرار محكمة تظهر نحول خصرها بينما انساب شعرها الرائع خلف ظهرها فى موجاتٍ ذهبية و عسلية متفاوتة في درجاتها ..... لم تكن يوما أروع منها الآن .....

استدارت لتنظر اليه منتظرة سماع رأيه ..... فقال مبتسما

" رائع..... "

لم تكد ابتسامتها تظهر على شفتيها حتى أكمل بصوتٍ قاطع

"لكنه مرفوض..... "

اختفت ابتسامتها و عبست وهى تقول بحنق

" ماذا ؟؟!!.....ان ثمنه يعادل ثروة صغيرة , ثم إنه رائعا ,لم أرتدي شيئا في مثل روعته من قبل "

ظل ادهم هادئا بمكانه و هو ينظر شغوفا ببرائتها و طفولتها التى لم تقتلها أيامها الحزينة .....قال برقة

"يمكنك ارتدائه هنا داخل القصر.... "

ازداد عبوسها وهى تهتف " أدهم ..... الا ترى أنه زيا رسميا؟ ,ماذا يمكنني ان أفعل به داخل القصر ؟!!"

ازدادت ابتسامته عبثا وهو يشرد ببعض التخيلات التى رفعت من ضغط دمه ..... فقاطعه صوت حلا الحانق

" ادهم .....أعرف الى أين ذهب تفكيرك ..... توقف عن ذلك "

اتسعت ابتسامته بمرح بينما استدارت هي الى المرآة مرة أخرى , فدارت موجات شعرها معها .....فقالت بعد تأمل

:" أعتقد فعلا أنه سيكون أفضل لو قصصت شعري .....إن طرازه قديما للغاية "

عبس ادهم فجأة و اختفت ابتسامته و هو يقول بصرامة

" ماذا ؟..... من اقترح عليكِ هذا الاقتراح الأحمق ؟ ....."

ارتبكت حلا و هي تستدير اليه ....ثم قالت بتلعثم

" ومن سيقترحه ؟.....أنا فقط رأيت كل النساء اليوم يقصون شعرهن بأشكالِ جذابةِ حديثة "

قال لها أدهم بصرامة " إنسي هذا الموضوع تماما .....هل فهمت ...أنتِ تعجبيني تماما كما أنتِ "

ابتسمت قليلا و هى تنظر لعينيه المخيفتين .....ثم همست برقة

" أنت متصلت للغاية..... "

رد على ابتسامتها بابتسامة رائعة ثم أشار اليها بإصبعه لتذهب اليه دون أن يكلف نفسه بالتحرك من مكانه .....فذهبت اليه بكل وداعة الى ان وصلت اليه فجذبها من يدها لتسقط جالسة على الفراش بجواره .....ثم قال برقة

" أنت اليوم أفضل بكثير منكِ في المرة السابقة "

ابتسمت حلا و أطرقت برأسها لتنزلق خصلات شعرها الناعم لتخفي عنه وجهها .....لكنه استقام جالسا و هو يمد يديه معا ليزيح شعرها عن وجهها و كأنه يرفض أن يفصله أى حاجز عن ملامحها .....جذب وجهها اليه و همس أمام شفتيها

" حلا أنا فخور بكِ جدا ..... جدا.... و لم أكن لأجد زوجة أفضل منكِ أبدا "

نظرت اليه بدهشة من جملته التى لم تسمعها منه قبلا .....لم تظن يوما أنها قد تسمع شيئا مماثلا من في أى يوم من الأيام .....تذكرت بداية زواجهما و كيف كان الإزدراء يظلل نظراته اليها .....لتتحول كل نظراته بمرور الأيام الى ذلك الوهج الدافىء .....ويأتى اليوم الذى تسمع منه مثل هذه العبارة .....هل حقا هذا هو مسار حياتها .....أم أنها تحلم حلما طويلا ستسيقظ منه على صخور الواقع المرير الذى عايشته

من قبل .....و هل من الممكن ان يكون حبه لها جزءا من هذا الحلم ؟.....هل من الممكن أن يحبها و لو قليلا كما قالت سمر ؟.....

أجلت قبلته الناعمة التفكير فى أجوبةِ لهذه الأسئلة ..... فلتتركها للأيام ِ القادمة ..... فقد تجيبها.....

.....

.....

.....

كانت يديها تعبثان بالرسائل التى لم تنتهي من قراءتها كلها .....رسائل الحب و الغرام .....مع كل كلمة عشق تقرأها , كان يزداد غضبها شراسة .....غضبٍ من هذا العشق الأناني الذى دمر حياة الكثيرين ....وهى أولهم.....

كل كلمة حب .... كل همسة عشق .....كل أغنية خطتها أصابعه على الاوراق القديمة الصفراء .....لتنتهى كلها بتوقيعه ....عماد الراشد أخذت تقلب الأظرف القديمة المبعثرة في درج المكتب و الموجود في حجرة المكتبة الضخمة الأثرية.....

فجأة توقفت أصابعها ..... تسبقها توقف أنفاسها .....اتسعت عيناها الكريمتين و نفثت اللهب الازرق و هى تتحقق مما تراه.....

ظرفا قديما ناعما تحت أصابعها ككل الأظرف .....لكن الكلمة المخطوطة عليه قتلتها .....نفس الخط الناعم المائل بانسيابية ....خطت حروفه لتشكل كلمة واحدة ....." سابين..... "

التقطت الظرف بأصابع مرتجفة وهى لا تدري ماذا يفعل اسمها وسط بحور عشقه و لوعته.....

فتحت الظرف ببطء وهى تأخذ نفسا عميقا .....
أخرجت الورقة المطوية و فتحتها لتتسابق عيناها في ملاحقة الأسطر المخطوطة بوهنٍ من كتبها.....

صغيرتي سابين.....

حين تقرأين هذه الكلمات .... أكون أنا قد غادرت بعيدا عن هذا العالم و سيكون قد حدث هذا منذ سنواتٍ عديدة بالنسبة لك

أستطيع تخيلك الآن واقفة أمامى , شابة رائعة السحر و الجمال ..تسبي القلوب , تماما كما سبيت قلبي حين نظرت لعينيك الزرقاوين لأول مرة وأنا أحملك رضيعة بين ذراعي.....

قد لا أملك الحق في طلب السماح منك صغيرتي .....لكن لا أملك سوى ان أترجاك لتكملي الرسالة لنهايتها.....

شعرت سابين بالتخاذل في ساقيها فجلست على الكرسي الضخم خلف المكتب و هي تشعر بعالمها يدور من حولها ....وعادت بعينيها الزائغتين لتكمل قراءة كلماته .....

لم يكن هناك ما يمكنني فعله سوى ذلك سابين .....فقد كانت النهاية ...وقررت ان أرتاح في لحظاتها.....

كنت مستعدا لأمضي عمري فقط من أجلك انتِ وإخوتك ...فلا سبب آخر قد يعطيني البهجة التى جلبتموها الى حياتي .....و قد عاهدت نفسي ان تظل روحي لكُن... طالما في صدرى نفسا يتردد .....لكن شاء القدر ان يكون هذا النفس قد أوشك على الرحيل بلا عودة....

ستكون الصورة الأخيرة لي شديدة القسوة عليك صغيرتي .....قد لا تتذكرني حلا , لكن أنتِ ستتذكريني

لذا أردت ان أحميك من رؤيتها .....فضلت ان تبقى في ذاكرتك صورة لي لا تتألمين حين تريها.....

شعرت بتداخل الأسطر , و بعثرة الأحرف حين غطت غمامة مشوشة عينيها .....فقد كان الحجرين الكريمين لامعين بقطرتي مطرٍ في يومٍ علت سماؤه الغيوم.....

ازداد ثقل قطرتي المطر في عينيها فرمشت لتسقطا بنعومةٍ على وجنتيها.....

شعرت فجأة انها مراقبة فرفعت رأسها لتجده و اقفا بالباب.... ينظر اليها نظرة غامضة وقد عقد حاجبيه .....طوت الورقة الموجودة بيدها بسرعةٍ و أعادتها الى الظرف وهي تدسها في جيب بنطالها من تحت المكتب .....ثم قامت من مكانها , تعطيه ظهرها حتى لا يلحظ الدمعتين الوحيدتين اعلى وجنتيها .....لتمسحهما بيدها و كأنها تزيح خصلتي شعر من على جانبي وجهها ....ثم أخذت نفسا عميقا و هى تستدير لمواجهته.....

متى وصل ؟....وكيف لم تسمع صوت زلزلة باب تلك القلعة .....الهذه الدرجة كانت مسافرة فى الماضي.....

نظرت اليه بقساوة , لعل عينيها تستطيعان تجميده ببرودتهما .....ثم قالت بكل عجرفة

" لماذا عدت ؟....."

ارتفع حاجبيه قليلا ثم قال بقسوة

"يبدو أنكِ تتصرفين و كأنك ببيتك ..... وها أنتِ تسألين عن سبب عودتى وكأن لكِ الحق بذلك "

اقتربت منه ببطء وقد اعتادت الا تحيد بعينيها عن عينيه مهما بلغت قساوتهما .....وصلت اليه حتى وقفت على بعد خطوة منه , فرفعت راسها اليه

وهمست بنعومة فحيح الافعى ...من بين شفتيها المكتنزتين

"أعدك .....أعدك ان ترى مني اياما لم ترها في حياتك من قبل ...احمد مهران "

ابتسم .....ابتسم حقا وهو ينظر الى شراستها الناعمة , ثم فجاة مد يده وجذب خصلة من شعرها الطويل ..مرة واحدة ..لينجذب راسها معها الى الجانب بشدة فتأوهت متالمة ....ثم تركها قائلا بهدوء مستفز

"الم يحن الوقت لتتعلمي كيف تخاطبين زوجك..... "

فجأة شعرت بأن موقفا مشابها قد مر بها منذ سنين عديدة

كانت تقريبا فى السابعة او الثامنة من عمرها ....تسير متعثرة خلف ايثار التى كانت تمسك بيدها وتجرها خلفها بعنف في حديقة منزلِ أنيق الى ان وقفت أمام باب المنزل , فالتفتت اليها ايثار بشراسة و هي تقول بصوتٍ ينفث حمما لهبية

"انتظريني هنا..... "

ثم اندفعت لتصعد الدرجات القليلة و تدق جرس الباب .... وما ان فتحته الخادمة حتى اندفعت ايثار الى الداخل و هي تدفعها امامها صارخة بكلامٍ جارح لم تتبينه سابين وقتها .....الا أنها لم تهتم , فقد كانت معتادة على مظاهر الجنون المفاجىء التى تصيب ايثار في كثيرٍ من الاحيان.....

فظلت مكانها تركل الحصوات من الارض بشدة ..... الى ان إرتطمت احداها بساقٍ طويلة في بنطالِ ثمين , مخلفة بقعة بيضاء من الأتربة.....

رفعت عينيها بسرعة الى صاحب هذه الساق , فوجدت أمامها صبيا قد يكون في السادسة عشر ,فهو يبدو من سن أدهم البغيض و في نفس حجمه الضخم

نظر اليها عابسا ثم قال بقسوة

" هل أنت حمقاء ؟.....ما هذا الذى تفعلينه "

توحشت عيناها الشرستين الصغيرتين .....ثم بدون تفكير ركلت حصوة اخرى لترتطم بساقه الثانية.....

فما كان منه بعد لحظة الذهول الاولى الا ان وصل اليها في خطوة ٍ واحدة .....ثم أمسك بخصلة من شعرها الطويل الطليق ليجذبها بشدة فصرخت متالمة وهى تركله وتشتمه بشتائم لا تلائم سنها .....فترك خصلة شعرها ليمسك بأنفها بين سبابته وابهامه ليسد نفسها حتى كادت ان تختنق فتوقفت عن الشتائم لتتنفس من فمها و هى تتلوى محاولة التحرر منه بينما اخذ هو يضحك قائلا

"يجب ان تتعلمي كيف تخاطبين من هماكبر منك ....."

عادت من ذكرياتها لتنظر اليه الان .....فوجدته ينظر اليها مدققا في عينيها الشاردتين .....فهمست

"كان هذا انت..... "

همس هو الاخر بغموض "هل تذكرتِ ؟....."

قطبت جبينها بشدة وهي تهتف حانقة

"يا الهى.....لقد كنت بغيضا منذ صغرك "

ضحك قليلا وهو يقول بصوتٍ اجش

"بينما أنتِ شرسة منذ صغرك .....شرسة و وقحة "

شدت نفسها وهي تقول " لماذا عدت يا احمد ؟.....هل تريد المزيد من الاعترافات الليلية "

قست عيناه وقد غاب عنهما الهزل ثم قال

"لا تزال افعالك المشينة تحتاج الى ليالٍ وليالي لتكفيها كلها "

ابتسمت بسخريةٍ مستهينة بكلامه ثم استدارت تنوى المرور به لتخرج من باب المكتبة لتشعره بمزيدٍ من الاهمال.....

الا ان قصفا مدويا ضرب مزلزلا المكان بنوافذه .....فشهقت متسمرة في مكانها و عيناها تتسعان وهى تضع يدها على قلبها الخافق

نظر احمد اليها بدهشة .....ثم قال عابسا

" انه الرعد ..... هل تخافين من العواصف ؟...."

انزلت يدها بسرعةٍ وهى تنظر اليه عابسة و تقول بصرامة

" أنا لا أخاف من اي شيء .....فلا توهم نفسك "

نظر اليها مليا مدققا في ملامحها التى شحبت قليلا ..... الى قصف الرعد مرة اخرى ... فتعمدت ان تقف امامه دون ان تحرك ساكنا , مظهرة اللامبالاة .....فقط ارتجافة بسيطة في حدقة عينيها اعطته الجواب.....

مرت دقيقة كاملة الى ان عم الصمت المكان فزفرت في الخفاء..... ثم أعادت النظر اليه وهى تقول بصلابة

"اذهب من هنا يا احمد .....فلن تحصل على ما تريده الليلة "

نظرته المتوهجة اليها اليها خطفت انفاسها .... فعلمت الى اين ذهب بتفكيره ..... تماما الى حيث ذهبت هى

بتفكيرها , الا انه بعد لحظة خلع سترته بكل هدوء ليعلقها على كتفه ممسكا بها باصبع واحد ثم تحرك مبتعدا ومتجها الى السلم قائلا بكل هدوء

"سأبيت الليلة هنا..... "

ماذا ؟.....ماذا؟.....الليلة ؟.....معها هنا ؟.....عادت اليها صورا من ليلة زفافها لتتدافع مشعلة النار بداخلها

" ولا تتعبي نفسك يا سابين بالخروج في المطر لتقودي السيارة .....فلن تجدي المفاتيح او الهاتف "

وصلت عبارته السمجة اليها من اعلى السلم ثم ابتعد ليتركها تنظر الى ظله اعلى السلم بوجوم

.....فالسيارة والهاتف لم يطرآ على تفكيرها ابدا

.....

قصف الرعد مرة اخرى فقفزت من مكانها .....يا الهي ان الرعد في هذه المنطقة البعيدة يبدو كدوي المدافع .....ثم شعرت فجاة بالحنق الشديد من الارتياح الخائن الذى تسلل بداخلها بسبب بقاؤه معها هنا الليلة .....

الفصل الثامن عشر

ظلت سابين مكانها طويلا .... طويلا ....تمشي بضع خطواتٍ ثم تقف , ثم تعود للسير مرة أخرى , رافعة رأسها الى أعلى السلم بين الحين و الآخر .... و كأنها ستراه بهذه الطريقة , ...كانت العاصفة المجنونة تضرب جدران هذه القلعة منذ وقتٍ طويل .. تقفز من مكانها كلما قصف الرعد , تريد الجري على السلالم و الدخول الى ذلك الفراش الضخم المغطى بالستائر الشفافة .... و الذى بدأت تعتاده في الليالي الأخيرة .....الفراش وحده يبدو كحصن وهى تتمنى في هذه اللحظة الصعود اليه ودفن نفسها بين أغطيته السميكة ..... إنها ترتدي ملابس خفيفة كالعادة ... فهى لا تهتم أبدا ببرودة الجو , لكن الآن الجو في هذه المنطقةِ البعيدة يبدو وكأنه يلسع بشرتها الناعمة بسياطٍ باردة .....

هل هو البرد ما يلسعها بهذا الشعور المؤلم ..أم وجوده هو بالأعلى ... في نفس الغرفة التى بثها فيها أشواقه المجنونة...

و يجرؤ الآن على النوم هنالك بمنتهى التبلد و البرود .... ماذا كانت تمثل له حقا ؟.... الهذه الدرجة كانت مجرد نكرة بالنسبة له ..... استغلها فقط ليداوي جروح ماضيه الصدىء .....الا يشعر بقليلٍ من الشوق اليها....

حتى ليلة أمس حين ضعف أمامها ..... لم يتطلب الأمر سوى بضع كلماتٍ ليبتعد عنها تاركا إياها وحيدة بعد أن كادا يذوبان شوقا لبعضهما.....

ابتسمت ابتسامة مريرة و هى تتذكر رجالٍ أشداء كادو ان يخروا أمامها طلبا لنيل كلمة منها او حتى نظرة ....

والآن ها هي تقف وحيدة , بالأسفل ..تتساءل ان كان يتمنى ان تصعد اليه.....

لكن سواء تمنى ام لا .... فستصبح ملعونة وتستحق كل ما يصيبها ان استسلمت له .....ليست هي من تسلم لعدوها بهذه السهولة ..مهما بلغت سطوته عليها.....

وضعت يدها برفق على جيب بنطالها تتحسس الظرف المخبىء به ..... تحترق لتخرجه و تكمل ما به , الا انها لن تجرؤ على ذلك الآن.....

عادت للتفكير مرة أخرى بهذه الرسالة الآتية اليها من الماضي ..... كيف وصلت الى هنا ... او كيف عرف والدها انها ستكون هنا يوما ما.....

هل قرأه احمد ..... لكن الظرف كان مغلقا باحكام مما يدل على ان يدا لم تلمسه من قبل.....لكنه كان يعلم بالرسائل الأخرى بالتاكيد , ومن المؤكد قد قرأ اسمها على هذا الظرف في وسط الأظرف الأخرى .... فكيف لم يغلبه فضوله ليفتحه.....

شعرت فجأة بالارهاق من كل ما مرت به اليوم ... وأشدها رسالة عماد الراشد المهلكة لها .....فجلست بتعب على الكرسي الضخم المذهب ذو الفرش المخملي الوثير و رفعت ركبتيها الى صدرها و هي تتنهد مسندة رأسها على ركبتيها ..... وسرعان ما سحبها النوم بعيدا وهى تعلم ان لا شيء ممكن ان يقلقها الآن ..... طالما هو موجودٌ بالأعلى.....

داعبت اشعة الشمس الدافئة وجهها بنعومة لتدغدغها و هي تشعر بجسدها مسترخي بشكلٍ رائع خرافي ....ما أجمله من حلم .... كانت ذراعاه محيطتان بها و لمساته تحرق بشرتها الناعمة ..... صوته الهامس يتسلل اليها ضاحكا بنعومة

ساعديني قليلا سابين.....

ثم شعور رائع بالدفء ملأها بهجة خالصة .....فتحت عينيها ببطء وهى تتمطى باسترخاء ممتع ....فجأة و بعد ان عاد اليها وعيها بالكامل , تذكرت انه هنا معها في القلعة في نفس الوقت الذى أدركت أنها تنام في الفراش الضخم.....

استقامت جالسة فجأة و هى تنظر حولها فوجدت نفسها وحيدة في الفراش..... لقد نامت الليلة السابقة على الكرسي الضخم بالطابق السفلي هى متاكده انها لم تصعد الى هنا ..... انعقد حاجباها و لمعت عيناها بوحشية وهي ترى أمامها الاحتمال الوحيد المطروح .... كيف جرؤ .....كيف جرؤ ان يلمسها بل و يحملها الى هنا .....عديم الاحساس ..... عادت اليها فجاة صورا من حلمها الناعم ..... ثم تساءلت بهستيرية ان كان حلما بالفعل وهى تكاد تشعر بلمسات يديه تجري على بشرتها بينما هى تتنهد باستسلام لتسمع صوت ضحكته الصغيرة .....نظرت الى أسفل الغطاء برعب و هى متوجسة مما ستراه ...الا ان الرعب كان مصيره لحظة واحدة قبل ان تدرك بدون ان تنظر الى أنها ترتدي منامتها الفضفاضة و المفضلة لديها ....والمضحكة بشكلٍ مخزي.. فهى سوداء ومنقوشة من أولها لآخرها بصور ساحراتٍ يطِرن على مكانسهن السحرية ...تحول الرعب في لحظةٍ واحدة الى طوفان من الغضب الأعمى ..... لقد أبدل لها ملابسها ..... لقد أبدل لها ملابسها .....نقلها الى الفراش ثم أبدل لها ملابسها كما يفعل مع ابنته.....

لا تعلم ما الذى أشعل فتيل الغضب بداخلها الى هذه الدرجة الخطيرة .....اهو تجرؤه على ان يلمسها بهذه الوقاحة و هي ليست في كامل وعيها .....ام ..... ام استطاعته ان يختار لها مثل هذه المنامة بالذات من

بين ملابس نومها الحريرية الشديدة الاغراء .....ثم ينام بجوارها بمنتهى البرود دون ان يتاثر بقربها منه و كأنه ينام بجوار ابنته .....لكن هل نام بجوارها فعلا .....آخر ما تتذكره هو همسته الضاحكة ثم ..... الآن تذكرت ..... ملمس شفتان ناعمتان على شفتيها وهمسه باسمها بكل نعومة وهو يقبلها .....و بعدها تذكرت انه لمس شعرها وهو يهمس باذنها " لا تخافي ..... انه الرعد ....سأظل هنا فنامى ولا تخافي "

أرادت ان تعيد مرة اخرى أنها لا تخاف من اى شيء الا ان سحر النوم شدها بعيدا .....أفاقت من شرودها على صوت جريان الماء في الحمام الملحق بالغرفة و الذى لم تنتبه اليه الا الآن .....فقفزت من مكانها و اخذت تتلفت بحثا عن ملابسها حتى وجدتها مطوية على الكرسي فالتقطت بنطالها تتحسس جيبه , ثم شعرت بالراحة حين وجدت الرسالة لاتزال بمكانها .....القت البنطال من يدها و هى تشعر بالحنق يتزايد بداخلها من تحكمه في كل ما يخصها في هذا المنفى الذى اختاره لها.....

ثم حانت منها التفاتة فأبصرت بدلته مطوية على الكرسي الآخر .....فلمعت عيناها وهى تتجه اليها بكل سرعة لتفتش جيوبها ....لا تعلم عن ماذا كانت تبحث تحديدا , فهو بالتأكيد ليس من السذاجة ليترك المفاتيح في أحد جيوبه حيث تستطيع ايجادها بكل سهولة .... التقطت أصابعها محفظته و على الفور فتحتها .....كانت تحتوي فى قلبها على ثلاث أغلفة شفافة لوضع الصور بها .....و قد كانت بالفعل هناك صورة فى كلا منها.....

أول صورة كانت لتالا وهى تضحك بأقصى اتساع لشفتيها ,ابتسمت سابين قليلا وهى تنظر الى هذه الصورة المضحكة , ثم قلبت الغلاف الثانى .....لتختفي

ابتسامتها ويلمع غضبا مجنونا بعينيها ....فقد كانت هناك صورتين متقابلتين , الاولى كانت لوجه امراءة مبتسمة جذابة , شديدة النعومة بعينيها اللتين تشبهان بندقتين ..... و قد انسابت موجات شعرها البني الناعم حول وجهها و كتفيها و قد تطايرت بعض خصلاته مع الهواء ..... كانت امراءة عاشقة ..... هكذا فكرت سابين بغضب , من نظرة عينيها الى من التقط لها هذه الصورة فهى بالتاكيد امراءة عاشقة .....و في الصورة المقابلة كانت هناك نفس المرأة تنظر ضاحكة لكن الاختلاف الوحيد انها لم تكن وحيدة في هذه الصورة .... بل كان هو واقفا خلفها يحيطها بذراعيه وهى تميل عليهما من شدة ضحكها بينما اختفت معظم ملامح وجهه داخل موجات شعرها المتطاير.....

اذن .....هذه هى ..... وهو لا يزال يحتفظ بصورتها ملاصقة لقلبه أينما ذهب , ألما مفاجيء ضرب صدرها ,

لم تعرف له سببا .... قد تكون رغبته يوما ..
واستسلمت لجنون مشاعره ذات ليلة ....قد تكون مشتاقة لقبلاته احيانا .....لكن هذا لا يفسر الألم الحارق الذى يكاد يعصف بها الآن من مجرد رؤيتها لامرأة لم تعد موجودة معها فى هذا العالم.....

لم تعرف يوما شعورا اطلق عليه الناس اسم الغيرة ..... رأت امامها أشد النساء سحرا و نسبا و ثراءا .....الا أنها كانت تنظر اليهن بإستهزاء مشعلة هذا الشعور المجهول بالنسبة لها في قلوبهن ..... لتأتى الان مجرد صورة عمرها عدة أعوام لتعطيها فكرة واضحة عن هذا الشعور الذى اذاقته لمن عرفنها من النساء.....

رفعت رأسها وهى تلقي المحفظة بعنفٍ على الكرسي .... لم تتخيل انه أحبها أبدا , لكنها و بالرغم من ذلك كانت واثقة من سلطانها عليه , لكن الآن تشعر باختلال في جميع موازينها.....

لم يحتج الامر منه سوى ليلة واحدة ليكتفي منها تماما .....ليلة لم تكن كافية لتجعله يخرج هذه الصورة من قلبه الى الآن .....وها هو الليلة الماضية حيث كانت مستسلمة مغيبة بين ذراعيه مكشوفة له .....لم يتطلب منه الأمر سوى ان يلبسها منامتها الحمقاء التى لم تعرف بأى عقلٍ جلبتها معها فى حقيبة ملابس شهر عسلها البائس بكل معنى الكلمة.....

فجأة شعرت ان سيطرتها على نفسها بدأت فى التداعي وعرفت أنها ستقوم بعملٍ أحمق الآن.....

خرج أحمد من الحمام وقد لف منشفة كبيرة حول خصره وهو يقوم بتجفيف شعره بأخرى صغيرة ....ليفاجيء بسابين تقف امام النافذة توليه ظهرها .....تفاجأ تماما بهذا الهدوء الخادع فقد كان يظن أنها ستثور محطمة كل ما حولها ما ان تستيقظ , لكن ما ان وجدها واقفة أمامه بهذا الهدوء و ضبط النفس حتى ازداد توجسه ..... لكن ذلك لم يمنعه من ملاحقة خطوط جسدها الفارع و التى لم تستطع منامتها الخرافية ان تخفي سحر معالمه ..... تذكر نفسه ليلة أمس حين نزل في وقتٍ متاخر من الليل ليبحث عنها فوجدها جالسة على الكرسي الضخم رافعة ركبتيها الى صدرها دافنة رأسها بينهما , بينما انسابت موجات شعرها السوداء لتكاد تبتلعها كلها حتى لم يكد يظهر منها سوى كومة الشعر الحريري وذراعين بيضاوين ناعمتين تحيطان بركبتيها ..... عرف من قبل ان يخاطبها انها راحت في سباتٍ عميق من صوت تنفسها المنتظم .....

لم يستطع مقاومة الاغراء القاتل الذى حثه على التحرك اليها ثم أحاط كتفيها بذراعه و هو يدس الأخرى أسفل ركبتيها ليرفعها الى صدره الذى ارتمى عليه رأسها و هى في عالم غير العالم ..... استمرت رحلته في الصعود عبر

السلام دهرا .... او قد يكون هو الذى اخذ يتلكأ عند كل درجة ليستمتع بدفء جسدها الملقى على صدره .....و ما ان وصل الى الغرفة حتى اتجه الى الفراش لكنه لم ينزلها على الفور بل ظل يتمايل بها قليلا كما كان يهدهد تالا وهى رضيعه لتغمض عينيها وتنام .....وحين استشعر برودة ذراعيها اللتين صارتا كالرخام اضطر الى انزالها للفراش على مضض ..... واتجه الى الدولاب الضخم ففتحه ليبتسم من رؤية ملابسها معلقة و أخرى مطوية بترتيبٍ و انتظام و كأنها عروس صفت ملابسها في بيتها الجديد على استحياء .....

اخذت أصابعه تمر على الأقمشة الحريرية لقمصان النوم المهلكة التى جلبتها معها .....ثم تركها ليجد شيئا أسودا ثقيلا مطويا عرف بعدها انه عبارة عن منامة منقوشة بالكامل كالتى ترتديها تالا في الشتاء .....لكن منامات تالا كانت وردية ذات قططٍ او ارانب , أما هذه في سوداء ذات ساحراتٍ يطرن على مكانسهن .....كادت ضحكة ان تفلت من بين شفتيه وهو لا يتخيل ان يناسبها شيئا اكثر من هذة المنامة التى شعر بالجنون يقتله ليراها على سابين صاحبة السحر الاسود .....

وكانت الطريق أمامه ليلبسها لها صعبة للغاية وهى تتلوى بين ذراعيه الى ان قبلها وهو يهمس لها بأن تساعده وتكف عن التلوي بهمسٍ أجشٍ مما يهيج في صدره.. فاستسلمت بعد لحظة لتتنهد بنعومة.....

ولكن الأصعب هو الاستلقاء بجوارها طوال الليل دون ان يحاول ملامستها ..... كان هذا كحرقٍ متعمد لأعصابه , و الآن وهو ينظر اليها في منامتها المغرية تلك.. يتساءل ما الذى منعه عنها الليلة الماضية ؟... هو ليس متأكدا من أى شيء بعد الآن.....

الى متى ستظل ساكنة على هذا النحو المريب متى ستنفجر بتلك الإنفجارات المجنونة ..... والتى بدأ يتسلى بها , ...قرر هو أخيرا استفزازها فقال بتهكم

" صباح الخير يا زوجتى العزيزة .....أرجو ان تكوني قد نمتِ جيدا ليلة امس "

التفتت سابين اليه ببطء بعد ان وصلها صوته السمج ..و ظلت تتطلع اليه قليلا بتحدِ سافر رافعة أحد حاجبيها بطريقة زادت من ريبته ..الا انه أخفي ما بداخله ليطغى عليه شعوره بالتسلية .... تحرك من أمامها ليلتقط بدلته لكنه وجدها مكومة على الكرسي بشكلِ غريب فمد يده ليمسكها ليصعق بأنه ممسكا بجزء صغير منها ..... شعر بأن عينيه تخدعانه فمد يده الأخرى ليلتقط كومة من الاجزاء الصغيرة الممزقة التى كان يطلق عليها هذا الصباح بدلة.....

أقفلت قبضتيه بشدة على الكومتين من القطع الممزقة حتى ابيضت مفاصل أصابعه و هاج غضبا شرسا في أعماقه و هو يصرخ بصوتِ رجرج الغرفة

"سااااااابين..... "

لم يهتز لها رمش من صرخته الحيوانية المتوحشة ودفعها التحدى المجنون لأن تبتسم باستفزاز وهى تقول بصفاقة

" كان يجب ان تخفي المقصات..... "

رمى القطع من يده على الأرض ثم هجم ناحيتها في لحظةِ واحدة كنمرِ يثب لاقتناص فريسته ...حاولت الهرب منه وهى تجري الى الفراش لتقفز من عليه لتتجه الى باب الغرفة , الا انه أمسك بها من ذراعيها وأدارها لاويا ذراعها خلف ظهرها الملتصق بصدره ....أخذت تصرخ به ان يتركها وهى تقاومه بشراسة , الا

انه شدد من قبضته عليها حتى تأوهت و صمتت فهمس فى اذنها بصوتٍ كالفحيح

" ستعتذرين الآن و حالا عن فعلتك الحمقاء سابين ..اتقاءا لشري " قالت وهى تحارب الألم النابض بذراعها من جراء ضغطه الشرس عليها

" لن اعتذر و لو قتلتني..... "

ترك ذراعها ثم أمسكها من أعلى ذراعيها ليديرها ناحيته و هو يصرخ بها

" الن تتعلمي الإحترام أبدا ....ستظلين وضيعة طوال عمرك "

لمعت عيناها بشراسة وهى تنظر الى عمق عينيه.....ثم همست بقسوة

" من أنت لتنعتني بالوضيعة ..... أيها المنافق ...ال ....."

أمسك بشفتيها بين أصابعه ليغلقهما ثم همس بتهديدٍ خطر

" لا تزيدي من رصيدك السيء لدي يا سابين .....فأنتِ بالتاكيد من ستخسر "

صمتت تماما وهدأت تحت ضغط أصابعه على شفتيها و بدا وكان عينيها فقدتا وحشيتهما الا انهما لا زالتا تبرقان لكن ببريقٍ مختلف و يبدو ان هذا البريق قد نفذ مثل السهم الى عمق عينيه ..... لحظاتٍ ثم رفع أصابعه عن شفتيها المكتنزتين و التى زاد من احمرارهما ضغطه عليهما .....كم بدت في هذه اللحظة .....لا يعرف تحديدا , متوحشة .....طفلة .....امرأة مغوية شديد الإغراء .....وقد تكون كل هذا .....ما يعرفه انه

يشعر الان انه يقبض على شيء نادر لم يره من قبل .....

همس همسا أجشا " هل تعرفين انه من المفترض ان أقتلك الآن .....أنا لم اكن مستعدا و ليس معى ملابس غيرها "

ارتفعت زاويتي شفتيها قليلا ثم همست هى الاخرى " اذن هذا خطؤك .....لقد فعلتها معي من قبل وتركتني بدون ملابس "

عبس قليلا ثم قال بتجهم " لم أكن أنوي ذلك .....نسيت ليلتها ان حقيبة ملابسك داخل السيارة حين غادرت "

ظللت غيمة من الألم عينيها لتطفىء من اشعاعهما .... ورأى هو لمحة الألم لكن الغريب انه لم يشعر بأي لذة انتصار ....بل شعر بثقلٍ فى صدره جعله يزداد عبوسا .....ثم قال اخيرا بصوتٍ عميق يظلله لمحة من التسامح

" اذن فقد اصبحنا متعادلان الآن ..... وهذا فقط ما رحمك من غضبي "

ثم اكمل بعبوسٍ زائف " هل تخبريني كيف اتصرف الآن ....." اخذت ابتسامة شيطانية ترتفع تدريجيا على شفتيها حتى همست أخيرا " ليس لك سوى حلا واحد ..... يا زوجي الحبيب "

توجس من نبرة صوتها التى لم تستطع اخفاء الشر بها .....فتابعت بعد لحظات

" ما أجمل ما ساشعر به حين أرى زوجي حبيبي يرتدي ملابس والدي ..... وانا أعرف كم كنت تحبه "

تجلت الوحشية بكل وضوح في نظراته و قد أوشك ان يبطش بها الآن انها لم تشعر باى ذرة خوف منه وهى تكمل بتحدي قاتل

" ليس هناك حلا اخر الا اذا أردت الاتصال باي أحد ليأتي الى هنا محضرا معه بعض الملابس لك..... "

شعر انه على وشكِ خنقها او رميها من النافذة من شدة الغضب الآن و لم ترحمه هى بل اكملت

" المشكلة ان عمر ملابسه قد تعدى العشرين عاما ..... لكن ليست مشكلة ضخمة ستبدو ظريفا بداخلها بلا شك "

أمسك بذقنها بين أصابعه بشدة .....لكن عدة لحظات من النظر الى عينيها المشتعلتين ببريق الهزل جعله يبتسم قليلا .... ثم قال بهدوء

" بإمكانك ان تكوني مرحة يا سابين .....لم أعرف هذا الجانب بكِ من قبل "

همست من بين اصابعه

" انت لم تعرف اي جانب مني أبدا ... احمد مهران , لقد اخترت ان تعرف ما أردت ان تعرفه "

نظر الى عمق عينيها الحادتين ثم قال بعد لحظة

" لهذا أنتِ هنا يا سابين ..... لأعرف ما لا أعرفه عنكِ و أرى ان كنتِ تستحقين عناء المحاولة "

انتزعت ذقنها بشدة و هى تكمل بشراسة نمرة

" نعم ... نعم .... عناء محاولة تطهيري اليس كذلك ؟؟ اذن أخبرني احمد ان كنت لم تتزوجني لتنتقم مني بسبب الماضي و بسبب دارين فلماذا تكلف نفسك مثل

هذا العناء ..... ما الذى ستستفيده من كل هذا ؟.....
لا بد انك تعتقد أنك تخاطب طفلة لتقنعها بما تقول "

لم يجد ردا لها ..... لم يستطع ايجاد حلا لما هو فيه ..... و ماذا بعد ؟.... الى متى سيظل مغلقا عليها ابواب قلعته ؟.....

أخفض نظره امام نظرها للمرة ِ الاولى ..... متهربا من سؤالها و قبله متهربا من نفسه .....ثم قال أخيرا بصوتِ منخفض

"بالمُناسبة .....إن تالا تسأل عنكِ كل يوم..... "

لم يكن هذا الرد الذى تنتظره ..... تالا ؟؟ ..... ما دخل تالا فيما تقوله الان ؟.....فقررت مجاراته و هى تقول هازئة

" وماذا تخبرها ؟.....بالطبع لم تقل الحقيقة ....لن تدعها تعرف ان والدها يتصرف كرجال العصابات فحبس زوجته فى مكانٍ بعيد بعد خطفها ليلة زفافها "

عبس وهو يتظاهر بالتألم قائلا

" هيا الآن يا سابين ..... الا ترين نفسك أصبحتِ درامية للغاية ...خطف و حبس ؟.....لم تكن ليلة زفافك خطفا على ما اتذكر " احمر وجهها لملاحظته الوقحة لكنها رفضت ان تظهر له ارتجافها و ظلت واقفة أمامه بوجهٍ متحجر ثم قالت أخيرا بتصلب

" و ماذا عن الأميرة والدتك ؟..... هل كانت تعرف بمخططاتك منذ البداية ؟.....هل اتفقت معك على الانتقام أولا بسبب زواج دارين الفاشل وثانيا ان الفرصة سنحت للانتقام من ابنة ايثار الراشد التى خطفت حبها قديما "

يا الهي لكم هى معقدة حياتهما معا ..... وها هى تتهمه بنفس الاتهام الذى رماها به ..... وتظل لعبة الانتقام تدور من حولهما كحلقة مفرغة.....

قال لها بكل وضوح " أمي ايضا تسأل عنك سابين تكاد تنهار من شدة قلقها عليك .....على ابنة عماد الراشد و ان كنت قد تجرأت و آذيتك "

اهتزت قليلا حين سمعت ما قاله و رمشت مرة بعينها ..... لقد صدقت ما قاله فقد قاله بكل ثقة لكن ما ادهشها هو شعورٌ بالخواء قد نبت في داخلها ..... منذ ان رأت هذه المرأة في حفل زفافها و هي تشعر برابط خفي يجمعهما ..... من المفترض ان تكرهها الا ان هذا بداخلها لم يحدث ابدا..... حتى بعد قرأتها لرسائلهما التى تقطر من جروح حبهما .....لم تستطع ان تكرهها حقا و ها هى تسمع بقلقها عليها و رغبتها في معرفة مكانها.....

هل من الممكن ان تكون ايثار خائفة عليها الآن .....خوفا , قلقا , رغبة فى الاطمئنان ..... أى شيء من هذا الذى يسمى أمومة ..... ارتسمت ابتسامة مريرة على شفتيها و هى تسخر من هذا التفكير الغبي الذى طرأ على ذهنها المشوش.....

نظر احمد الى نظرتها الشاردة و ابتسامتها الحزينة فسألها بخفوت

" ما معنى هذه الابتسامة ؟....."

أفاقت على صوته العميق فقالت وهى تسترد انفاسها

" لا شيء ..... تذكرت شيئا محبطا "

اقترب منها اكثر ليهمس في أذنها و قد اشعلته نعومتها التى لم يعرفها الا لحظات قليلة

" و انا لا أريد ان تشعري بالإحباط يا زوجتى .....زوجة احمد مهران لا يجب ان شعر ابدا بالاحباط وهو موجود "

نظرت اليه بغيظ و أوشكت على النطق بردِ سفيه من ردودها المجهزة الا أنه لم يمهلها فقد التقط شفتيها لتضيع كلماتها المتهورة بين شفتيه الدافئتين المتطلبتين .....

لحظاتِ أعادتهما معا احمد و سابين ..... اللذان يملان الجو من حولهما بشراراتِ و العابِ نارية متوهجة .....

امتدت يداه لتحاوطان ظهرها بتملكِ سافر اقوى من اى تحدي كان بينهما يوما و ازدادت قبلاته عمقا لتغيب عن واقعها المؤسف و ترفع ذراعيها لتحاوطا عنقه و تغيب به و فيه عن كل ما حولهما.....

دفن وجهه في موجات شعرها المجنونة و أخذ يستنشقها عله يهدأ من جنونه الا أنها زادته جنونا وهوسا وهو يهمس في اذنها

" ماذا تفعلين بي أيتها السابية .....أيتها السابية التى سبيتها في قلعتي بعيدا عن كل البشر "

ارتجفت قليلا فشدد من ضمها اليه حتى كاد ان يحطمها وهو يكمل بعاطفةِ وحشية

" هل تعلمين مقدار ما أشعر به من سحرٍ وانا في طريقي الى هنا كل ليلةِ ..... متشوقا لرؤية تلك الهمجية ذات الشعر المجنون كليلةِ سوداء "

حملها بين ذراعيه بعنفِ و هو يتجه بها الى الفراش ... لكنها استجمعت بعضا من تركيزها المشتت و هى تقول بوهن

" هل ستأخذني من هنا و نرمي كل الماضي بعيدا ؟....." توقف تماما و ظل ينظر الى عينيها المتحديتين و هى محمولة بين ذراعيه .....ثم قال وصدره يصعد و يهبط بصعوبة

" لن تخرجي من هنا الآن يا سابين ..... ستخرجين من هنا عندما تصبحين كما أريدك ان تكوني "

لم تصدق ما سمعته ..... اشتعل غضبها في لحظة ليطغى على اي مشاعرٍ اخرى فاخذت تتلوى صارخة بين ذراعيه بينما هو يحاول التمسك بها الى ان افلتت منه في النهاية لتسقط منه على الارض بشدة آلمتها .....

مد يده اليها لتنهض الا انها ضربته على ظاهر يده بشدة لتبعدها و هى تنهض متألمة .....ثم قالت بشراسة

" تقصد كما كانت حبيبتك الوديعة التى لم تستطع مفارقتها الى الآن .....تريد ان تجعل مني صورة لها , سيكون ذلك افضل من صورةٍ تحتفظ بها قرب قلبك منذ يوم ان رحلت "

لوهلة شعرت أنه سينقض عليها ليقتلها من الجحيم الذى ظهر بعينيه و قبضتيه اللتين انقبضتا بشدة ..... ظل صامتا طويلا ثم قال أخيرا بصوتٍ هادىء لكن أوجع روحها

"هل فتحتِ محفظتي ؟....."

ندمت للحظة على تهورها و تطرقها الى موضوعٍ من المفترض الا يهمها بشىء ..... لكنها اضطرت ان تجيبه بثبات

" نعم فتحتها الست زوجي ؟.....كم احزننى الا أجد صورة لي بجوارها "

أجفل بشدةٍ من السخريةِ الواضحة في لهجتها فقال بهدوء

" انتِ لا ترقين لأن تكوني بجوارها....."

لو ان احدا لكمها في معدتها لن يكون ذلك اشد الما مما شعرت به في هذه اللحظة .... ارادت ان تجرحه بشدة , ارادت ان تصيبه في مقتل بجرح حبيبته الغالية , الا انها لم تستطع ..... طالعتها الابتسامة الحانية لصاحبة الصورة و النظرة التى تبدو وكانها تنظر اليها لتوجه اليها رسالةِ ما .....فلم تجد سوى ان تهمس بتحدي

" سنرى ..... سنرى يا احمد مهران "

" سنرى .....سنرى يا سابين الراشد " أعاد جملتها بلامبالاة زادتها غضبا

ابتعد عنها و هو يتجه ناحية الدولاب قائلا بهدوء

" اذن بما انكِ لستِ في مزاجٍ جيد للحب .....فاسمحي لي بالاستعداد للذهاب "

مزاج جيد للحب ..... لم تشعر في هذه اللحظة انها كرهت شخصا اكثر مما تكرهه الان , تماما كما تكره جسدها الخائن الذى يضعف امامه باستمرار

نظرت اليه وهو يلتقط احدى البدلات القديمة ذات اللون البني المحروق و يتجه بها الى الحمام مرة اخرى دون ان يلقي عليها نظرة واحدة

اخذت انفاسها الساخنةِ تلهث من شدة غضبها من نفسها قبل ان يكون منه .....اتجهت الى النافذةِ مرة اخرى لتتطلع منها و لم تعلم كم ظلت تنتظر الى ان سمعته من ورائها يقول باستهزاء

" ما رأيك يا زوجتي ؟....."

التفتت لتنظر اليه .....شعرت فجاة بالدوار , للحظة شاهدت عماد الراشد أمامها , نفس الحجم والطول , نفس الهيبة و الاتزان , نفس الجاذبية القاتلة .....نفس اللون الذى اعتاد ارتداؤه.....

تزايد احساسها بالدوار فتراجعت خطوة لتستند على النافذة خلفها و قد زاغت نظراتها ليختفي وجه احمد ويحل مكانه وجه عماد الراشد ...لحظة واحدة وعاد وجه احمد مرة اخرى وهو ينظر اليها مقطب الجبين و يسألها بقلق

" سابين ..... سابين هل انتِ بخير "

رمشت بعينيها اكثر من مرة وقاومت هذا الدوار لتنظر اليه بثقة وهي تقول بثبات

" للاسف انتما من نفس الحجم ..... كم كنت اتمنى ان تخرج من هنا ببنطالِ قصير و اكمامٍ تكاد تصل الى مرفقيك "

عاد الهزل يتلاعب بشفتيه وهو يطمئن الى انها سليمة ِ كالهررة ثم قال لها

" اذن فقد خاب ظنك..... "

ظلت تنظر اليه دون ان ترد ..... ما أشد وسامته , انه يبدو كابطالِ الافلامِ القديمة المتانقين .....جاذبيته مهلكة في الماضي والحاضر أفاقت على صوته وهو يقول باتزان

" سأذهب الآن ..... لا داعي لأي حركاتِ متهورة يا سابين "

" متى ستعتقني يا احمد .....الا ترى انك بالغت , الا تخاف ان انتحر مثلا "

التفت ينظر اليها للحظة ثم قال اخيرا

" أنتِ لستِ ضعيفة لتفعلي ذلك ..... ولوكان لدي شكِ واحد بذلك لما كنت تركتك هنا "

لمعت عيناها وهى تقول بعنف

"لكم سيسعدني ان افعل ذلك فقط لأمحو ثقتك "

ابتسم هازئا ثم قال " لكنك لن تفعلي..... "

استدار مرة اخرى ليغادر فنادته دون تفكير " احمد ...."

توقف مكانه دون ان يلتفت لندائها الملهوف فقالت بتردد " ذاك اليوم ..... عندما رأيتك و أنا صغيرة .....ماذا كان هذا ؟...أنا لا اتذكر "

ظل صامتا لا يلتفت اليها .....ثم قال أخيرا بخشونة وجفاء

"كنتِ في بيتنا ..... جئت مع أمك , والتى تكرمت يومها بالصراخ في وجه أمي و طعنها باتهاماتِ بشعة , وحين دخلت الى المنزل كانت أمى على وشكِ الاغماء من هول ما سمعته "

ابتلعت سابين ريقها بصعوبة ثم سألته هامسة

" وما كان سبب ما فعلته ؟..... "

ظل صامتا لحظاتِ طويلة ثم تنهد بتعبٍ اخيرا وقال

" كان هذا اليوم بعد فترة وجيزة من موت والدك سابين .....وكانت هى قد تزوجت من خالى بالفعل الا إنها حين علمت بموته صارت كالمجنونة "

همست سابين بلهفة " هل حزنت عليه ؟..... "

ضحك احمد ضحكة خاليةِ من اى مرح ثم قال بمقت

" نعم بالتأكيد لقد حزنت عليه بشدة ..... خاصة حين علمت انه لم يترك لكن أى شيء ..... حينها جاءت من عند المحامي الى بيتنا مباشرة وكنتِ انتِ معها ....لتصرخ بأمي انها هي السبب فى ضياع كل ما كان يملكه .....بالرغم من اننى أعلم انه ترك لها الكثير قبل ان يتركها .....الا أنها كانت تتخيل وجود المزيد "

أغمضت عينيها من كلِ ما سمعته ..... كيف تستطيع التعامل مع كل هذا ..... كيف.....

لم تفتح عينيها الا بعدما سمعت صوت اغلاق باب الغرفة لتجد نفسها وحيدة في الغرفة فالتفتت الى النافذةِ من خلفها لتستند بجبهتها الباردة على زجاجها .....الى ان رأته خارجا متجها الى سيارته لكن قبل ان يدخلها رفع رأسه اليها تماما كما فعل المرةِ السابقة .....

لكنها لم تبتعد هذه المرة ....ظلا يتبادلان النظر طويلا الى ان شدت الستائر الناعمة ببطء لتخفي بها وجع قلبها.....

مرت أياما سريعة و تعددت اللقاءات بينها و بين سمر و كل مرة كانت تشعر بانها حصلت على شيئا جديدا لا تستطيع تفسيره ....لكن المؤكد انها تشعر براحة لم تشعر بها منذ زمن

جالسة في فراشها رافعة ركبتيها , تستند عليهما مفكرة اوراقها بيضاء تنتظر ان تحمل اوجاعا اهلكتها .....كيف تكتبها ...لقد دربت نفسا منذ اكثر من سنتين على النسيان .....او بمعنى اصح التجاهل , فكيف تعود

لتنبش ما فات , هل سيكون هذا في صالحها .....تخشى ان يصيبها الجنون مرة اخرى ..... لقد اكدت لها سمر انها تراها اكثر من طبيعية فلتنسى فكرة الجنون هذه تماما ..... أخبرتها ان نفسها هى المتوجعة و ليس عقلها.....

أمسكت القلم بتردد و بدات تحاول

لا اعرف ماذا افعل الآن , فانا لم اكتب شيئا في حياتي من قبل .... وما اكتبه لن يكون قصة بل سيكون واقعا سيئا جدا .....من اين أبدا .....اخبرتني صديقتي الوحيدة ان ابدا من النقطة التى اريدها .....فلاختار البداية التى اريد.....

و انا اريد البداية منذ ان كنت سعيدة .... أياما كنت فيها لا يشغلنى فيها الا اللعب و الانطلاق , لم أعرف للخوف معنى.....

بلى عرفت قليلا ..هههههه كنت اخاف من وحشٍ له أعين رمادية دائما ما كانت تراقبني بقسوة و غموض , لا اعلم ماذا يريد مني.....

هذه هي بداية حياتي ..... اول ذكرى كانت لشخصٍ مخيفٍ ضخم يسالني بصرامة عمن اكون و ماذا افعل هنا في هذا القصر بالذات الذى انا فيه الان .....يومها كنت ارقص مسحورة من هذا القصر المذهل كقصور الحكايات و الذى اخبرتني امى اننا سنعيش به.....

لم اصدق روعة ما يحدث معي ...الى ان رأيته .....كان واقفا بشموخ ينظر الي بعينين صارمتين ....يومها ظننت انه لن يكون هناك من ينغص علي حلمى سوى هذا

المخلوق الضخم , فعزمت منذ اول مرة رايته فيها على ان أحاربه والا أعطيه الفرصة لكي يبعدنا عن قصر أحلامنا.....

اليس من الغريب ان هذه هى أول ذكرى بحياتي ..... انا لا اتذكر اى شيء حدث من قبل دخولي الى القصر هنا .....أحاول ان اعتصر ذاكرتي لكن .....لا شيء .....

اتذكر أحيانا قسوة يد أمي .....كانت قاسية و مؤلمة جدا .....صوتها عالٍ حين يصيبها الجنون , لكن كان هذا قبل ان نأتي الى هذا القصر , فبعد ان أتينا ..... كان واجبا على أمي الالتزام بقواعد هذا المجتمع ان ارادت البقاء به.....

كما انها كانت تحرص على الا تمسني..... طالما كان هو موجودا .....وحش آل مهران.....

يوما حين كنت في السابعة عشر فعلت شيئا اغضبها فلم تتمالك نفسها ..... وهبطت على وجهى بصفعة من ظاهر يدها أدمته من خاتمها الثقيل الذى كانت ترتديه .....وحين استدرت و انا اضع يدى على وجهى مرعوبة شهقت حين وجدته واقفا ورائي وفى عينيه نظرة متوحشة لن انساها ابدا .....لم ينطق بكلمة ....ظل ينظر الى يدي الموضوعة على وجنتى المجروحة.....

وحين نطق اخيرا لم يقل سوى " ايثار .....تعالي الى حجرة المكتب , اريد ان اتحدث معك..... "

العجيب ان رغم عبوسها الشديد وكرهها له الذى قفز من عينيها .....تبعته دون ان تجادل فهي ايضا كانت تخاف من سطوة هذا الشاب و مكانته في هذا القصر

ولدى الامبراطور .....مع انه كان يومها لا يتعدى الثامنة والعشرين , الا انه تكلم معها بكل صلف و كانه يفهمها انه قادرا على رميها خارج القصر لو تجرات على الاعتراض .....و هذه هي المكانة التى حددها لها الامبراطور بنفسه حتى لا تتجاوز حدودها مع ايا من آل مهران .....لكم كانت منزلة وضيعة رضتها لنفسها.....

اقتربت من الباب على اطراف اصابعي و نظرت من الشق المفتوح به .....كان ادهم واقفا ظهره لامي بينما هى تحاول التظاهر بالصلابة ....الى ان التفت اليها بسرعة و أمسكها بشدة من ذراعها فارتعبت انا و شهقت بصمت بينما هتفت هي تسأله ان كان نسي انها زوجة والده .....الا انه قال لها جملة لن أنساها الى الآن

" حلا بالذات .....تخصني انا فاياكِ ان تكرريها ايثار , والا فقسما بالله ان أرد صفعتك لكِ المرة القادمة .....دون اعتبارٍ لاحد "

ارتعبت مما قاله .....لا أعلم هل هو الخوف ,..... الغضب من طريقته مع أمي ....., كلمة تخصني التى ارسلت الرجفة في أوصالي ....لم أعلم ماذا قصد بها .....

صحيح أننى سمعته يقول بعدها بكل هدوء

:" لست محتاجا ان انبهك ان هذا ينطبق على سما وسابين ايضا ..غير مسموح لكِ ان تمسي أيا منهن بسوء تحت سقف هذا القصر "

ثم اكمل بازدراء " ولو انى أعلم انكِ لا تؤذين الا حلا .....لكن لا مانع من تحذيرك "

رأيت امى واقفة امامه صاغرة تحاول التظاهر بالكرامة من نظراتها الوقحة المستهينة لكنها كانت ترتجف بداخلها .....انا شعرت بذلك .....و من ذا الذى لا يرتجف حين يخاطبه وحش آل مهران بهذه الطريقة .....

لم ينسى سما وسابين .....لكني لم انسى انا ايضا تاكيده الاول على اننى أخصه ..... وسألت نفسي مرة أخرى ..... ماذا كان يقصد.....

ترى هل لو كان والدي موجودا كانت حياتي ستختلف ..... كم اتمنى ان اتذكره , وجهه يضيع مني تماما , وصوره اختفت من كل مكان .....اتذكر اننى كنت أجلس دائما على كتفين قويتين تحملانى الى السماء وانا اضحك بلهفة باسطة كفي اليها.....

لكن ما أتذكره جيدا ان شخصا آخر حملني على أكتافه لرؤية الالعاب السحرية .... في عيد ميلاد سابين الاسطوري بالنسبة الى باقي الاطفال والذى لم احظى بمثله ابدا ..... يومها كنت أحاول ان أرى من وسط ازدحام الاطفال الاطول منى ولم استطع رؤية اى شيء .....لكن فجأة شعرت بيدين حديديتين ترفعاني من خصري في لحظة واحدة لأستقر على كتفين قويتين حتى أصبحت الرؤية مفتوحة أمامى تماما ..... لم احتج لأن انظر لأرى من كان يحملني..... فقد كنت أعلم.....

يوم ميلادي الثامن عشر

لما قفزت كل هذه السنوات ؟..... لأنى لا أملك الكثير مما يثير ذكرياتي , دائما كنت مطيعة لا أسبب المشاكل .... لكنى كنت مبتهجة أحب القفز و المرح .....هههههههه احب المقالب كثيرا ..... وخاصة حين أرى سابين وقد أصابها الجنون .....فهى حين تغضب تصبح

مجنونة كأمي تماما ..... لكنها ليست مؤذية مثلها فالامر لم يتعدى يوما بعض الخدوش .....ترى هل هي سعيدة الان , لم تسنح لي الفرصة أبدا لكي اخبرها اننى لم اتمنى لها سوى السعادة .....حتى وان كان هذا لا يظهر علي.....

المهم .....اعود الى عيد ميلادي الثامن عشر

كان يوما فارقا بحياتى ..... على ما اعتقد , لكنى لم الحظ يومها ..... لو كنت قرات الإشارات , لو كان أحدا دلني.....

ساظل اتعذب بهذين الحرفين طوال حياتي .....لو .....لو.....

كنت قبل يوم عيد ميلادي بعدة ايام في اشد حالات تعاستي .... فقد كنت اريد الذهاب في رحلة مع جامعتي .... ولم اكن قد ذهبت الى اى رحلة من قبل .....الا ان بالطبع طلبي قوبل بالرفض ..... اخبرتني امي بان طلبي مرفوض تماما منه .....قالتها بلامبالاة بالرغم من انى شعرت في نظراتها بشيء من الغموض و السخرية من شيء لمحته و انا لا افهم.....

لكنى لم اتوقف عند نظراتها الغريبة بل قررت لاول مرة ان اواجهه بطلبي بعد ان تعسف سابقا في الكثير مما يخصني.....

تركت امي خلفي بنظراتها غير المريحة و اندفعت يوجهني غضبي نحو حجرة المكتب التى يتواجد بها معظم الوقت بعد العمل .....دفعت الباب ودخلت دون استئذان .....فوجدته جالسا خلف المكتب يطالع اوراقه , فاهتزت شجاعتي اللحظية ما ان رفع راسه ونظر لي بهدوء فتسمرت مكانى و لم أستطع النطق .....الى ان حثني هو على الكلام بصوته الذى طالما أرعبني

" ماذا هناك يا حلا..... "

ترددت ثم اخذت نفسا عميقا ثم حاولت الكلام بتخاذل

" اخبرتني امى انك لم توافق على ذهابي الى الرحلة "

ظل ينظر الي بثبات ثم قال اخيرا بصوتٍ قاطع " نعم ..... ولا مجال للجدال في هذا الموضوع "

تكلمت بانفعال... لكن بخوفٍ ظاهر علي " لكن انا لا اطلب شيئا أبدا ..... عيد ميلادى بعد عدة ايام , وأنا لا تُقام لي حفلة كالتى تُقام لسابين كل سنة , فلماذا حتى الرحلة التى اتمناها , لا استطيع الذهاب فيها "

أخفض نظره لحظة حتى ظننته لن يكلف نفسه عناء الرد ...الا انه قال اخيرا دون ان ينظر الي

" لست انا من يقيم تلك الحفلات السخيفة لسابين .....امك هي من تريد تعريفها للمجتمع , وكأنهم لا يعرفونها بالفعل "

صمت لحظة محاولا الا يظهر سخريته الواضحة من امي ثم رفع عينيه اخيرا لي قائلا بصوتٍ عميق

" الا تعجبكِ هديتي لكِ كل سنة..... "

ارتبكت وانا اعلم ان الاعجاب لا يناسب ما يهديه لي كل سنة .....فهو دائما ما يجلب لي شيئا رائعا كاشياء سابين ... وانا اعلم اني لم اكن لاحصل على ايا منها من اي مكان الا من عنده هو .....فلم يكن أحدا يهتم من قبل بما لدي او ما أتمناه .....الا هو

قلت و انا اخفض صوتي بخجل

" تعجبني جدا .....كلها , لكن أنا كنت اقصد أنى أريد ان افعل شيئا مميزا هذا العام .....ارجوك يا ادهم وافق "

هز رأسه برفض حتى قبل ان اكمل كلماتي , فاشتعل غضبي و انا اهتف

" هذا ليس عدلا ..... انت تفرق بيني وبين سابين وسما في المعاملة .....انا الوحيدة الممنوعة من الرحلات و الخروج مع اصدقائى و مخالطة زملائي .....انت السبب في اني ابدو انطوائية بينهم "

ظل يستمع الى صراخي دون ان يرف له جفن ثم قال أخيرا بهدوء مرعب

" هل تحاولين لفت نظر أحد زملائك يا حلا..... "

ارتبكت للغاية و شعرت بان وجهى كاد ان ينفجر من شدة احمراره .....صحيح اننى كنت اتمنى ان اعيش قصة حب في هذه المرحلة من حياتي , لذا كنت اريد الاختلاط بالناس اكثر علي أجد فارسي المنتظر , لكن لم يكن هناك أحدا معينا .....فقلت بارتباك وانا اشعربخجلِ قاتل من محادثته في موضوعٍ كهذا.....

" لا ..... لا طبعا , ما هذا الذي تقوله..... "

ظل صامتا مدققا في عيني ثم قال اخيرا " جيد ..... فلو علمت يوما يا حلا أنك..... "

صمت دون ان يكمل تهديده الا ان الهلع دب في اعماقي من نظرته المتوحشة .....أخيرا قال بهدوء

" تقولين أني أفرق بينك و بين سما وسابين .....الحقيقة أنى أعلم انهما تستطيعان الاعتماد على نفسهما ..... أما انتِ فلا تستطيعين "

يومها حين سمعت تبريره شعرت انه اهانني ..... لا اعلم لماذا , لكن بداخلي كنت انتظر ردا آخر غير الذى سمعته , وقد آلمني رده جدا ....ظللت صامتة انظر اليه وقد امتلات عيناي بالدموع في لحظةٍ واحدة ثم انحدرت على وجنتي بصمت ثم قلت أخيرا بهمس

" هل فعلت يوما ما يجعلك لا تثق بي ؟....."

قام من خلف مكتبه و اقترب مني وعيناه لا تبتعدان عن عينيَ حتى وصل الي ثم قال لي

" انا اثق بكِ .....لكني أخاف عليكِ اكثر "

لم أتمالك فضولي حين سألت بسرعة " ولماذا لاتخاف على سابين وسما..... "

مد يده واخذ يتلمس وجنتي ..... اذكر جيدا تلك الصاعقةِ الكهربيةِ التى اصابتني حين لمسني .... احيانا كان يقبلني على وجنتي فى أعياد ميلادى او عند نجاحي و كنت انا اقف دائما متصلبة حتى تنتهى قبلته التى تبدو كلصق طابع بريدي على وجنتي.....

لكن شيئا ما تغير هذه المرة .....حين خفض راسه و لامست شفتاه فكى .....كانت هذه هى المرة الاولى التى اشعر فيها اننى اصبحت امرأة , حتى اني من هول ما شعرت به اخذت انهر نفسي ..... أفيقي يا حلا انه ادهم ... هل وصل هوسك في البحث عن الحب الى هذه الدرجة .....ثم أفقت من أفكاري على صوته الذى خرج غريبا عن صوته الذى أعرفه

"عيد ميلادِ سعيد يا حلا..... "

ثم شعرت بشيء بارد يتسلل ليحاوط رزغي .....لاجده قد البسني سوارا ذهبيا رائعا , تتدلى منه قلوبٍ ذهبية و ملائكة .....رفعت يدي الى مستوى عينى واخذت

أهزها لأسمع رنين الالعاب الذهبية وهى تقرع بعضها .....ثم رفعت نظري اليه .....وهمست

" انه رائع..... "

أسكتني بنفس القبلة على فكي حتى بدى وكان مذاقها قد اعجبه .....افقت من افكاري المجنونة على صوتٍ كان بالنسبةِ لي من اقبح الأصوات.....

" كان يجب ان تغلقا الباب..... "

انتفضت بشدة و انا ابتعد عن ادهم و استدير لرؤيته .....سبب كل لونٍ اسود في حياتي.....

طلال مهران ..... ابن عم ادهم .....ذلك العم الذى لم أعرف عنه الا انه مات في إحدى المصحات بعد صراعٍ مع خللٍ عقلي لا سبيل للشفاء منه .....ليرحل عن هذه الدنيا بعد ان حاول الامبراطور جاهدا اخفاءه عن حياة العائلة و المجتمع.....

لكنه ترك نبتة مسمومة .... سممت حياتي .....طلال مهران.....

لطالما كرهته دون سبب ..... بل لم يكن هناك من أحبه ابدا , لذا كان يثير شفقتي في بعض الاحيان ....الى ان عرفته تماما المعرفة .....وقتها تمنيت الموت له الف مرة .....فهل توجهت كل امنياتي ناحيته ليموت بالفعل .....هل اكون انا السبب في موته بكل ما كنت احمله من كرهٍ له.....

منذ هذا اليوم الذى رآني فيه مع ادهم .....تغيرت نظراته لي , وكأنها اصبحت تحمل وعيدا وتهديدا ..... لا اعلم سببه.....

الذى أعلمه اننى بعد ان خرجت من الغرفة يومها وقبل ان ابتعد كثيرا سمعت صوتا مكتوما .... تبعه تأوه و صوت سقوط على الارض , فادركت ان ادهم ضربه بسبب ملاحظته الوقحة .....لكنى لم أعد بل صعدت السلم جريا و انا للغرابة كنت مبتسمة.....

أغلقت حلا مفكرتها وهى تشعر بالدوار قليلا من تلك الذكريات التى وصلت الى بداية سقوطها .....لن تستطيع ان تكمل اليوم .....فلتكمل غدا .... لاداعي لان ترهق نفسها كما قالت سمر .....آه يا سمر كم كنت أحتاجك.....

رفعت يدها وهزتها ثم ابتسمت .... حين سمعت صوت الرنين الناعم الذى لم تسمعه منذ خمس سنواتٍ ..... منذ ان تزوجها طلال .....لتكون اول ذكرى لها في زواجها المنكوب هو شده لهذا السوار حتى قطعه فسقط من يدها وحين اعترضت تلقت اول صفعة منه ....والتى لم تكن الأخيرة.....

اغمضت عينيها لا تريد العودة الآن الى مثل هذه الذكريات لقد اكتفت .....المهم أن السوار قد أصلح ..... بعد ان كانت تخبئه طوال هذه السنوات في صندوق ذكرياتها و طفولتها.....

قطع صوت باب القصر تفكيرها ..... لقد وصل اخيرا .....

قفزت من الفراش بسرعةٍ وهى تشعر بشوقٍ غير عادي له , قامت باخفاء مفكرتها جيدا حتى لا يراها ..... ثم لم تنس ان تمر بالمرآة أولا قبل ان تنزل اليه .....لم تكن ترتدي قميص نوم مكشوفا , لكنها كانت ترتدي عباءة

حريرية قرمزية فضفاضة ذات فتحة عنق مثلثة شديدة الطول والاغراء مطرزة بالخيوط الذهبية , و شقين طويلين على الجانبين يصلان الى اعلى ساقيها .....كانت مبهرة.....

نزلت بسرعة على السلالم وعباءتها تتطاير خلف ساقيها .....ثم اخذت تتلف يمينا و يسارا باحثة عنه الى ان وجدت باب حجرة المكتب مفتوحا قليلا و النور يخرج منها.....

ابتسمت حين شعرت فجأة بانها تريد ان تكمل حياتها منذ تلك اللحظة التى قبلها فيها في هذه الحجرة بالذات حين كانت في الثامنة عشر ..... أرادت ان تقص السنين التى تلت تلك اللحظة , لتبدأ من الآن.....

كان يمسك الهاتف حانقا يستمع الى محدثه وهو ينزع ربطة عنقه بنفاذ صبر ثم يلقيها بعيد .... هتف اخيرا بغيظ

" اى خصوصيةٍ تلك التى تخبريني بها ؟..... انها تخصني بكل تفاصيل حياتها , اريد ان اعرف كل ما دار بينكما ...لقد انتظرت طويلا و انا اريد ان اكون على علمٍ بكل ما يجري منذ هذه اللحظة "

ظل يستمع قليلا ثم قال وهو يحاول السيطرة على نبرة الغضب في صوته

" سمر ليس هذا ما اتفقنا عليه ..... ليس ان تبعديني تماما عن الصورة كما تفعلين الآن "

صرخ مرة اخرى " اريد ان اعرف كل شيء .... اريد ان اسمع كل حرف "

"ادهم ....." صمت وهو يلتفت بسرعة الى صوت حلا الدافء الذى افزعه , نظر اليها ليرى ان كانت قد سمعته لكن لم يظهر على وجهها الا بعض القلق فاغلق الخط دون تفكير.....

اقتربت حلا منه بهدوء وهى تهمس

:" ماذا حدث يا ادهم لقد كنت غاضبا بشدة .....هل لديك مشاكل في عملك "

تنفس الصعداء ثم قال اخيرا بهدوء

" نعم يا حلا لدي بعض المشاكل..... "

صمت حين وعى الى منظرها المذهل والذى لم ينتبه اليه من شدة خوفه ان تكون قد سمعته , فاخذ نفسا عميقا وهو يجري عليها بنظراته الشغوفة صعودا و نزولا متلكئا ليزداد الشوق بداخله من تلك الاميرة العربية التى خرجت للتو من كتبِ التاريخ.....

استطاع اخيرا ان يهمس حين وجد صوته

" ما أجملك يا حلا .....لطالما كان مجرد النظر اليك بهجة لي " اتسعت عيناها البريئتان قليلا ثم اتجهت اليه ببطء حتى وصلت اليه و رفعت نظراتها المشتاقة اليه ثم همست

" لقد اشتقت اليك..... "

ابتسم ابتسامة اذابتها و مد يده ليتلمس وجنتها بحنان وهو يقول بصوت اجش

؛" هل تأخرت عليكِ اليوم ؟....."

أمالت راسها لتسند خدها على كفه ثم همست وهى تغمض عينيها

" بل انا التى تأخرت عليك..... "

امسك بذقنها ليرفع رأسها اليه ثم قال متحيرا

" كيف تأخرتِ لم افهم..... "

رفعت ذراعيها الى خلف عنقه فسقطت اكمامها الهفهافة حتى كتفيها ثم استطالت على أطراف أصابعها لتهمس أمام شفتيه

"كان هناك حديثا بيننا لم ينتهي منذ ما يقرب من سبع سنوات ..هنا ..في نفس هذا المكان....."

ظهر الالم جليا بعينيه وارتعشت عضلة بجانب فكه فعرفت انه تذكر تماما تلك الليلة .....فقالت و شجاعتها تتزايد اكثر و اكثر

" هل تتذكر ؟.....قلت لي انك تخاف علي ..... قبلتني على خدي كما لم تقبلني من قبل "

ارتفعت اكثر لتقبل وجنته بكل نعومةِ ورقة ..... ثم ابقت شفتيها ملاصقتان لفكه القاسي وكانها بهذا تعود لتلك الليلة لتطلب منه الصفح ...همست فوق بشرته

"قبلني كما قبلتني تلك الليلة .....لم أفهم وقتها ....سامحني ... سامحني ارجوك ...لم أفهم ..... اعطني فرصة أخيرة و اعدني الى تلك اللحظة وانا سافهم هذه المرة .....اعدك انني سافهم "

تحشرج صوتها وكاد ان يختفي في آخر كلماتها وهى تشعر بغصةِ في حلقها

أحاط خصرها بكفيه وهو يشدها اكثر اليه و ينظر الي عينيها المبللتين .....ثم أخفض رأسه ليقبل جانب فكها بقبلة..... دمغتها باسم ادهم مهران للابد .....

انهمرت دموعها انهارا صغيرة وجداول من الالم على تلك السنين التى ضاعت منها.....

جاءها صوته المختنق ليزيد من عذابها

" كنتِ صغيرة للغاية ....." .....ثم اكمل هامسا

" احببتك منذ حملتك بين ذراعي لاول مرة .....احببتك وانا اراك تكبرين امامي يوما بعد يوم .....احببتك حين استنشقت عطرك .....احببتك حين كنتِ بحاجة لي دائما .....احببتك منذ ان وطأت قدماك الصغيرتان هذا القصر "

كانت في كل جملةٍ من جمله المحرقة تزداد نحيبا وترتفع شهقاتها وهى تتعلق اكثر واكثر بعنقه.....فاخذ يشدد من ضمها اليه حتى بات التنفس لها شبه معجزة

.....استطاعت اخيرا الهمسِ بحروفٍ متبعثرة من بين شهقاتها

" وانا .....احببتك منذ ان وُجِدت من تُسمى حلا في هذه الدنيا "

اغمض عينيه بشدةٍ متنهدا..... وكانه كان في سباقٍ عمره سنين طويلة .....وضع ذقنه فوق راسها المختبىء في كتفه وهى تنشج بضعف

"لكني لم اكن اعرف وقتها .....لم ادرك ذلك , ليتني انتظرتك .... ظننتك معهم " اكملت بنحيب

" لم افهم.....صدقني لم افهم.....لو كنت اعلم ....."

غرز اصابعه في خصلاتِ شعرها مجبرا راسها الى الارتفاع اليه ثم هبط اليها بقبلةِ التهمت شفتيها لتنهي كل ما كانت تردده .....غابا معا في لحظةِ عادت بهما الى سنواتِ عديدة.....

همس لها اخيرا حين استطاعت شفتيه ترك شفتيها

"عيد ميلادِ سعيد يا حلا..... "

ابتسمت ضاحكة من بين دموعها التى فقدت السيطرة عليها ثم رفعت يدها اليه لتريه هديته لها دون ان تستطيع النطق ..... لم يصدق حين رأى السوار الذى طلب تصنيعه خصيصا لها ..... كان يظن انه ضاع منها منذ زمن.....

استطاع ان يهمس باختناق

" اين كان .... ولماذا لم تضعيه من قبل "

همست وهى لازالت تبكي " كان مكسورا ..... كنت اخاف ان اضعه , منذ ان كسره وضربني..... "

ارتعبت حين نظرت الى الوحشيةِ التى انطلقت من اعماق عينيه الحمراوين المحملتين بالالم .....الى ان رجتها صرخته وهو يمسك بذراعيها بشدة كادت ان تكسرهما

"لقد مات يا حلا ..... لقد مات ....هل يمكنك تخيل ما اشعر به حين اعلم انه هرب من حسابه معي , اقسم انه لو كان موجودا امامي الان لقتلته يا حلا..... "

ابتلعت ريقها وهى تحاول السيطرة على رعبها المعتاد ثم مدت يدها لتلامس فكه المتصلبة من الالم و هى تهمس

" لا أريد ان اتذكره الآن يا ادهم ارجوك .....اريد ان امحو هذه الفترة من حياتي , اريد ان ابدا من تلك الليلة ارجوك "

حملها بين ذراعيه في حركة واحدة وعاد ليرتوي من نبع شفتيها وهو يهمس بين كل نفسٍ واخر

" هناك الكثير لأحكيه لكِ .....احبك يا حلا ..... احبك و احب كل مافيكِ "

كانت تبادله عاطفته المجنونة وهى تشعر ان عالمها بالفعل عاد ماحيا كل ما فاتها بدونه ..... وعادت حلا ..... حلا التى تخصه هو وحده .....ثم همست بجنون من بين قبلاته الهائجة

" ستجد بداخلي رسالة تخبرك انه ..... قد تم محو .....كل ما سبق .....من دونك .....ادهم مهران للأبد "

لم يستطع ان يرد على همساتها التى حركت البراكين بداخله فسقط معها على الاريكة الضخمة وهو يعمل جاهدا على محو كل ما سبق .....

.....

.....

.....

كانت رحلة العودة ممتعة للغاية ..... صحيح أنها ستشتاق الى تلك الأيام المجنونة التى قضتها على الشاطىء و بين الأمواج الباردة .....الا أنها كانت سعيدة للغاية لأن تبدأ حياتها الجديدة مع فارس ..... كزوجة فارس فعلا.....

كانت تحيد عن الطريق بين حينٍ وآخر لتنظر اليه مبتسمة لتجده جالسا باسترخاء كهرٍ شبع للتو.....

عادت لتكمل معه لعبة الاسئلة من جديد وهى تهمس

"ما اللون المفضل لدي ؟....."

عقد حاجبيه قليلا ثم قال بتردد " الوردي ؟....."

تنهدت بأسى ثم قالت " لا ..... الازرق السماوي.... دورك "

سألها مباشرة " وما لوني المفضل ؟....."

لم تحتاج الى التفكير وهى تجيب " الرمادي "

عبس قليلا ثم قال " ما هو طعامي المفضل ؟....."

قالت وهي تضحك برقة " المشويات كلها .....وأنا ؟"

عاد ليعبس مرة اخرى ثم قال " البحريات ؟....."

هزت رأسها ياسا ثم قالت " فارس مع كنت تعيش مما يقرب من اربعة سنوات ؟.....انا أحب الخضروات المطهوة "

بان عليه الاشمئزاز قليلا ثم قال " صحيح ؟.....هل انتِ من الأرانب ؟"

اخذت تضحك ضحكاتِ رنانة جعلته يوشك ان يطلب منها الوقوف الى جانبِ الطريق ليتمكن من تذوق ضحكاتها , الا انه آثر السلامة

ثم قال " ما هو اكثر شيء مفضل عندي ؟....."

عادت لتضحك وهي تقول دون ان تفكر مرتين " احذيتك بالطبع..... "

عبس قليلا ثم قال " هذا غير صحيح لست مهووسا بأحذيتي الى هذه الدرجة "

قالت ضاحكة "بل أنت اكثر من مهووس بها .....لكنى سأصدقك , اذن ها أنا اخطىء لأول مرة منذ بدأنا اللعب .....ما هى الاجابة الصحيحة "

قال بجدية وقد غاب الهزل عن عينيه " أنتِ "

صمتت فجأة وهى تشعر بقلبها يقفز مهددا الخروج من بين ضلوعها فأحكمت قبضتيها على عجلة القيادة .....ثم قالت بتحشرج

" من اكثر ؟ انا ام خيولك ؟....."

اجابها بثقة " أنتِ "

"انا ام سياراتِ السباق؟ "

"أنتِ "

"انا ام ادهم ؟....."

ضحك وهو يقول غامزا بعينه بعبث "طبعا أنتِ..... "

ضحكت قليلا الا انها قالت بتردد

" أنا ام خطيبتك السابقة ؟....."

هبط قلبها حين عبس وغاب مرحه ..... الايزال متألما من فراقها ؟.....لكن صوته الواثق وصلها

" أنتِ "

نظرت الى الطريق وهى على وشكِ الانحراف بالسيارة من شدة انفعالها ثم ثبتت يديها و سألت فجأة دون ان تستطيع السيطرة على نفسها " من هي ياسمينا ؟....."

"أنتِ "

هزت رأسها قليلا وهى تقول بألم " لقد أخطأت يا فارس .....لقد سألتك من هى ياسمينا ؟"

"أنتِ "

عادت لتنظر اليه ثم همست " لا افهم..... "

مد يده اليها كانه يطلب يدها , فأعطته اياها .....أمسك بكفها ثم رفعها ليلامس باطن رزغها بانفه وهو يهمس مغمضا عينيه

" كيف يتعرف الطفل الكفيف على أمه مثل كل الأطفال... مع أنه لم يراها قبلا ....لكنه لا يخطىء حضنها أبدا؟....."

همست متحشرجة وهى تبتلع غصةِ من الدموع " من رائحتها..... "

اخذ يقبل باطن رزغها بشفتيه الدافئتين وهو لا يزال مغمضا عينيه و كأنه يريد ان يعيش عالمه الخاص في سحر عطرها ثم همس موافقا

" نعم ..... من رائحتها "

اخذت سما تبكي ثم قالت ضاحكة من بين بكائها

" فارس .....اعتقد انه من الافضل ان تترك يدي الآن إن كنت تريدنا أن نصل الى البيتِ أحياءا "

ضحك بشغف وهو يترك يدها ثم قال بصوتِ أجش من العاطفة

" بالطبع أريد ان نصل أحياء .....فمن سيجرب البيت الجديد غيرنا ؟.... بوسائده و فراشه و مطبخه "

اخذت تضحك عاليا و حتى بات التخلص من هيستيريا
عشقه .... يعتبر عمليا أمرا شبه مستحيل .....

الفصل التاسع عشر

صغيرتي سابين.....

حين تقرأين هذه الكلمات .... أكون أنا قد غادرت بعيدا عن هذا العالم و سيكون قد حدث هذا منذ سنواتٍ عديدة بالنسبة لكِ

أستطيع تخيلك الآن واقفة أمامى , شابة رائعة السحر و الجمال ..تسبي القلوب , تماما كما سبيت قلبي حين نظرت لعينيكِ الزرقاوين لأول مرة وأنا أحملكِ رضيعة بين ذراعي.....

قد لا أملك الحق في طلب السماح منكِ صغيرتي .....لكن لا أملك سوى ان أترجاكِ لتكملي الرسالة لنهايتها.....

لم يكن هناك ما يمكنني فعله سوى ذلك سابين .....فقد كانت النهاية ...وقررت ان أرتاح في لحظاتها.....

كنت مستعدا لأمضي عمري فقط من أجلك انتِ وإخوتك ...فلا سبب آخر قد يعطيني البهجة التى جلبتموها الى حياتي .....و قد عاهدت نفسي ان تظل روحي لكُن... طالما في صدرى نفسا يتردد .....لكن شاء القدر ان يكون هذا النفس قد أوشك على الرحيل بلا عودة....

ستكون الصورة الأخيرة لي شديدة القسوة عليكِ صغيرتي .....قد لا تتذكرني حلا , لكن أنتِ ستتذكريني لذا أردت ان أحميك من رؤيتها .....فضلت ان تبقى في ذاكرتك صورة لي لا تتألمين حين تريها.....

حمدت الله حين علمت بمصيري لكن خوفا تسلل الى قلبي من ان تكون النهاية القاسية في فراشٍ بارد موحش .....اردت السكن الى الروح الوحيدة التى كانت ملاذى في كل عثرة.....

حلما بعيدا عمره ضعف عمرك ..... حلما لم انله الا و انا اودع هذا العالم , لاجد ساعدتى في ايامي الاخيرة مع من احببتها دوما وابدا ..... اميرة.....

مهما كانت نقمتك علي يا سابين لكن اياكِ و النقمة عليها هي ..... لم تفعل سوى انها قررت خوض النهاية الشاقة معي ..... لم تكن والدتك لتتحمل ابدا.....

اريدك ان تتاكدي انى كنت دائما مخلصا لوالدتك يا سابين ..... حتى قلبي حاولت دائما تطويعه لايجاد افضل مافيها لاحبه , وصدقيني اننى نجحت فى ذلك في كثيرٍ من الاحيان , لكن حين علمت بحالتي , كان يجب ان اعرف انها ستتغير , لم تكن ايثار من النوع الذى يتحمل المآسي ابدا ..... لذا فبعد صدمتها الاولى بدات في التباعد وزيادة الجفاء الذى كان بيننا دائما.....

وقد شعرت بالخوف ..... يؤلمني جدا هذا الاعتراف , الا اننى مدينا لكِ به ..... نعم شعرت بالخوف , وكنت احتاج الى شخصا بجانبي , ولم يكن هناك افضل من حلم عمري.....

لقد خيرت والدتك بين البقاء معي وبين التحرر مني , فكان ان اختارت حريتها ..... وقد عذرتها .... حقا عذرتها.....

صدقيني حبيبتى ان قلبي يرق لحالها الآن , فهى لازالت شابة رائعة الجمال عليها ان تختار البقاء مع زوجٍ مريض الى ان تترمل في نهاية المطاف , او ان تنال

حريتها لكن وهى تتحمل مسؤلية ثلاث بنات صغيرات لتشق حياتها وحيدة بهن.....

لم استطع يوما تفهمها ..... وهذا ما كان يشعرني بالذنب تجاهها دائما .....حاولت وحاولت , ولكن الهوة بيننا كانت تزداد اتساعا.....

قد يكون حبي لاميرة متغلغلا بداخلي لم استطع محوه طوال سنوات زواجي بوالدتك , لكني لم اخدعها يوما و ستظل والدتك دائما لها مكانة انها والدتك انتى و اختيك ..... وهذه المكانة ما لن تحتلها اى امراة اخرى .....

هذه الرسالة ستكون مع اميرة ..... ستتكفل بايصالها اليك حين تكوني مستعدة او حين ياتى الوقت لتبحثي عني .....و قتها ستجديني بين سطور هذه الرسائل .....

سابين ....مهما كان غضبك منى .....او حتى لامبالاتك بكلماتي .....لكن حققي لي رغبة اخيرة و حافظي على شقيقتيك.....

اشعر بخوف مؤلم من تركهما .....وعدتني اميرة بالبحث عنكن مهما تطول بها السنوات , الا اننى اشك في ان تسمح ايثار بهذا , ستبتعد وتبعدكن , و هذا ما اخشاه ..... اتساءل اى الطرق ستلقي ايثار بكن فيها .....

اشعر انك الاقوى يا سابين , بل اعلم هذا علم اليقين .....لذا اريد منك التمسك بهما ابدا .....ستكون سما قوية مثلك ,ستقويها الايام ....لكن لسببٍ مجهول اشعر بالخوف على حلا ..... هل يكون السبب هو قسوة امك الدائمة عليها , ام اننى اعلم كم هى هشة و ضعيفة ..... لا تضيعيها ابدا يا سابين ..... ابدا .....تذكري

هذا كلما نظرتِ الى عينيها البريئتين فهي ستكون دائما بحاجة اليكِ.....

اعلم انكِ ستكوني امانها فى هذا العالم ولن تسمحي بان يصيبها اى مكروه سواءا هى او سما .....آه يا سابين كم كنت اتمنى ان ارى سما اكبر قليلا , اعلم بداخلي ان سما ستكون يوما ما ذات شانٍ عالٍ , و ستحقق الافضل في حياتها ....لكن قبل ان يحدث هذا ساتركها رضيعة و لن تعلم عني شيئا ابدا .....ترى هل حكيت لها قصصنا التى كنا نرتجلها معا انا وانتِ ؟.....

هل ستحكين لها عن تركي لكم ؟..... ام ستتجاهلونى تماما وكانى لم اكن ؟.....لكن مهما كنت في حياتكن , فانا لا اتمنى لكن الا حياة رائعة لكل منكن ..... وان تجد كل واحدة حبها دون ان تبحث عنه طويلا.....

ارجو الا تظلي متالمة مني حتى لحظة قراءتك لهذه الرسالة يا سابين .....يوما ما ستعيشين حبا قويا لدرجة ان يغير كل اتجاهاتك , وقتها فقط قد تسامحيننى و تشفقين على حبٍ ضاع منى ولم اجده وانا على شفا النهاية.....

فلابقى ذكرى طيبة لكِ يا سابين.....

والدك : عماد الراشد

طوت الرسالة ببطء و ارجعت راسها لتستند الى ظهر الفراش مغمضة عينيها تحاول امساك دمعتين هاربتين تريدان التسلل عبر اهدابها الطويلة المغلقة.....

لن ابكي .....لن ابكي.....

ظلت كلماته تطوف براسها تكاد تهلكها من شدة عذاب من كتبها ..... من الواضح ان النهاية كانت مؤلمة له .....و كان يشعر بالخوف من الموت وحيدا.....

عند هذه النقطة لم تستطع مسك نفسها اكثر فرمشت لتسقط الدمعتان الحبيستان.....

ذلك الرجل الضخم القوى .... الذى كان بطلها يوما ما ..... كان يشعر بالخوف من الموت وحيدا.....

و في لحظة واحدة عادت اليها كل ذكرياتها معه ..... و التى كانت قد تعمدت نسيانها على مر السنين حتى نجحت تماما و اصبح عماد الراشد عبارة عن مجرد اسما يلي اسمها على الاوراق.....

اما الان فهى تتذكر كل تفاصيله , ابتساماته , الصلابة النافذة من عينيه الحنونتين .....القصص ..... نعم كيف نسيتها ..... كانا يجلسان معا على الفراش كل ليلة دون كتاب قصص .....بل كانا يتشاركان في تاليف قصة معا كل ليلة .....قصص عن الساحرات و الاشباح المضحكة .....هل لهذا السبب ظلت تبتاع كل ما عليه صورا للساحرات طوال تلك السنوات.....

ابتسمت ابتسامة حزينة من بين دموعها .....الان فقط ادركت انها كانت تشتاق اليه للغاية , الان فقط ادركت ان الحياة كانت ستختلف بوجوده.....

لقد أوصاها بحلا كثيرا ... هل كان يشعر حقا ان مكروها سوف يصيبها .... آآآه لقد فات اوان حمايتها منذ زمن.....

رفعت يدها لتغطي عينيها و قد شهقت شهقة بكاء لم تستطع منعها .....آه لو يعلم ماذا اصاب حلا ..... وهى لم تستطع فعل اي شيء,

الامر الجيد الوحيد انه رحل عن الدنيا دون اى يرى ما حدث لها و كيف باعوها ثم ساقوها الى الجحيم .....

وها قد باعت نفسها مرة أخرى لأدهم مهران .....دون أيضا أن تتمكن هى من فعل أى شىء للمرةِ الثانية..... أرادت وحاولت منعها الا أن الغبية استسلمت بمنتهى الضعف و المهانة , وهى متأكدة أن ادهم لا يريدها الا عقابا لها على تركها له من قبل ..حتى وإن كانت لا تعلم بعد برغبته فيها ... الا إن هذا حال بنات الراشد أن يبقين مرهوناتِ لرجال مهران.....

إنها لا تعلم تفاصيل كثيرة عن زواجها بذلك الحقير طلال مهران .....لكنها كانت تعلم أى نوعٍ من البشر كان , كانت تفهم اختلاله الواضح من نظراته , و بعد زواجهما بدا هذا الاختلال و كانه انتقل الى عيني حلا نفسها ..... مرة بعد مرة , سفرة بعد اخرى ....كانت حلا تعود بشكلٍ غريب يؤكد لها كل ما كانت تشعر به ..... وها هى حلا ضاعت للأبد.....

و سما ..... ستكون ذات شأنٍ يوما ما ؟؟..... يا الهى إنه لا يعرف ما آل إليه حالها , فبعد أن تركت دراستها لم تصبح أكثر من مجرد جارية لشخصٍ يتفنن في إيلامها .....

لكم حاربت و صرخت .....لكنها اكتشفت أنها كما لو كانت تحارب أمواج البحر , وأن القدر لا مهرب منه .....

هل كان يعلم أن ايثار التى خاف عليها من أن تضيع ببناتها في هذه الدنيا الواسعة .....ستتزوج في النهاية من الامبراطور.. الأخ الأكبر لأميرته و الذى كان السبب في تفريقهما قديما .....و كأنها كانت تتعمد أن تعذب روحه من حولها.....

يبدو أنه لم يكن يفهمها جيدا ..... فايثار ليست ممن يخاف عليهم المرء بل يخاف منها.....

لم تستطع كبت شهقاتها المخنوقة ..... لقد حملها فى رسالته الأنانية مسؤلية حلا و سما.....ولقد ضاعت الاثنتان منها , قد تكون هى الناجية الوحيدة من براثن ايثار الراشد .....صحيح أن غبائها أوقعها بين فكي احمد مهران , الا أن ايثار لم تكن المستفيدة هذه المرة ....

لقد باعتهما بأبخس الأثمان , ظنا منها بأن الإمبراطور سيترك لها النصيب الأكبر بعد مماته , لكن إمبراطور مهران لم يكن بهذه السذاجة فاعتبر أن ما نالته في حياته هو أكثر من كافٍ بالنسبة لها.... فترك كل شيء لآل مهران فقط ..... , بعد أن تلاعب بمصير حلا وسما بمنتهى الوحشية و كأنه امتلكهما مع ايثار.....

و ها هي تخسر كل شيء بعد أن خسرتهما معا.....

قاطع أفكارها فجأة صوت سيارة آتٍ من النافذة .....هل جاء مرة أخرى.....

مسحت وجهها بكفيها بسرعة ثم قفزت من الفراش لتنظر من النافذة ..... الا أنها صدمت حين رأت سيارة غريبة تقف أمام الباب , و السائق ينزل بسرعة ليفتح الباب الخلفي للسيارة.....

نظرت الى الساقين الأنيقتين اللتين هبطتا على الأرض ثم خروجها من السيارة .....صعقت ..... صعقت تماما حين رأتها هنا , اذن فقد كانت تعلم بما ينتويه احمد , كانا متفقين على هذا المخطط الإجرامي.....

رفعت أميرة رأسها دون أي مقدمات لتنظر الى النافذة حيث تقف سابين و الشرر الأسود ينطلق من عينيها .

.... فأزاحت نظارتها الداكنة من فوق عينيها و ابتسمت و قد بان الإرتياح على محياها بشكلٍ واضح.....

لم تنتظرها سابين لتصعد اليها بل اندفعت يسيرها غضبها الأهوج لتنزل هى اليها .....و كانت في نهاية السلم و شعرها الغجري يتطاير خلفها , حين فتح الباب بهدوء و دخلت تلك السيدة الأنيقة الشقراء و التى لم يأخذ الزمن الكثير من جمالها.....

" كنتِ تعلمين ..... كنتِ في زفافي تعلمين كيف ستنتهي تلك الليلة "

ظلت اميرة تنظر اليها بهدوء تتخلله الراحة التامة دون ان تنفعل بصراخ سابين الشرس .....ثم قالت اخيرا بصوتٍ ناعم عذب و كأنها لم تسمعها

" كيف لم أفكر انكِ هنا الآن ؟.....كدت أن أجن وأنا لا أعلم أين أنتِ بينما يذهب احمد الى عمله كل يوم و يأتى الينا أنا و تالا مساءا "

تفاجأت سابين تماما مما سمعته ..... هل تصدقها , لكن لماذا ستكذب , الأولى بها أن تتشفى بما هي فيه لا أن تتظاهر بالإرتياح.....

شعرت سابين أنها في دوامة عميقة , وأنها لم تعد تفهم شيئا من هذا الجنون الذى سيطر على حياتها مؤخرا .....

كانت أميرة تتأمل حيرة سابين وهى سارحة في ملامحها و كأنها لا تريد ان تشبع منها , ثم لم تلبث أن اقتربت منها و مدت أصابعها لتتلمس وجنتها ثم خصلاتها الطويلة ..... همست أخيرا

" كل ما فيكِ يشبه والدتك .....لكنى مع ذلك لا أراها , لا أرى سوى والدك ينظر إلي الآن "

للمرة الثانية تشعر أنها استسلمت لسحر تلك المرأة فان كانت هي تمتلك السحر الأسود كما يقال عنها , فهذه المرأة تمتلك بالتأكيد السحر الأبيض ..... لا عجب أن وقع عماد الراشد في بحورِ غرامها الى نهاية أيام حياته ..... إنها العكس من ايثار تماما.....

ظلتا تنظران الى بعضهما البعض طويلا كمحاولة لقراءة كلا منهما للأخرى .....الى أن قالت سابين أخيرا بصوتٍ خافت

" هل كنتِ تعلمين بنيته في الانتقام مني ؟....."

ردت أميرة بعد لحظة بهدوء حزين

" بل أنا أعلم أنه لا يريد الإنتقام منكِ .....احمد لا يعرف معنى الانتقام "

ابتسمت سابين ابتسامة ساخرة شريرة ثم قالت بصوتٍ كالفحيح

" اذن ما الذى افعله هنا برأيك ؟....."

همست أميرة بما يشبه ابتسامة " هذا ما يجب أن تكتشفيه بنفسك "

تابعت سابين تقول بقسوة " يظن بهذه الطريقة أنه أنقذ زواج دارين ؟....."

همست أميرة بعد عدة لحظات " لقد أجبر احمد مازن على أن يطلق دارين ..... قبل أن تتزوجا "

صدمت سابين .... أجبره على ان يتركها ..... اذن لماذا تزوجها ان لم يكن بسبب الماضي او بسبب دارين

.....هل ه مجرد انتقام على ما لم يستطع تجاوزه .....

قالت سابين بحيرة " تقولين هذا ولا يبدو عليكِ الحزن ....."

قالت أميرة بهدوء صلب :" لم أحبه يوما ..... كان قلبي يخبرني دائما أنه خائن بطبعه "

همست سابين وهى ليست واثقة من أي شيء

" لماذا تزوجني ؟..... كنت أظن أنه يريد حماية زواج دارين , ثم ظننت أنه يريد الإنتقام من ابنة عماد الراشد..... , "

سكتت وقد شعرت أنها بدأت تهذي ..... فقلد تداخلت الحقائق لديها و لم تعد تعلم شيئا أبدا.....

قالت أميرة وهي تراقب حيرتها.

" أنا نفسي لم أصدق انه سيتزوج يوما بعد ليال .....لكن حين رأيتك..... "

نظرت سابين اليها وهى لا تعلم قصدها فقالت بصلابة

"بالطبع .....ليال ذات المنزلة التى لن تصل اليها أية امرأة أبدا "

أجابتها أميرة بصوتٍ يحمل الكثير " لكنك وصلتِ بالفعل الى نفس منزلتها .....لقد سلمك اسمه و اسم طفلته وهذا ما لم أكن أنا أظنه أبدا , فهل تعتقدين أنه يصل في أنتقامه الى هذه المرحلة "

ثبتت سابين نظرها على عينيها و قالت " اذن ماذا يريد مني..... "

ردت أميرة ببساطة " وما الذى تريدينه أنتِ منه ..... ولماذا تزوجته أصلا ؟.....لا أصدق أنكِ أردتِ الزواج به

لمجرد أنه فرصة ذهبية لأي امرأة او لأنه أفضل من مازن مهران....حتى أننى لا أصدق أنكِ أفسدتِ زواج دارين , لقد كان محكوما عليه بالفشل من البداية , وأنا أعرف أنكِ ابتعدتِ عن الصورة تماما حين علمتِ بسفرهما و محاولتهما للصلح.....هذا الكلام الذى تحيطين به نفسك لتبني قوقعة صلبة تخيفين بها من حولك لن يخدعني ..... لماذا تحيطين نفسك بكل هذه القساوة المزيفة ..... مما تحاولين حماية نفسك "

استدارت سابين بعنفوانٍ دافعة بشعرها الى خلف ظهرها بحركة غرور ثم قالت بقسوة

" لا أحب دور التحليل النفسي هذا .....فلا تأتي الى هنا مدعية أنكِ تعرفينني حق المعرفة , فإن كان هناك ما تعرفينه فهو أننى ابنة ايثار الراشد ..... زوجة عماد الراشد و أم بناته "

ظللت سحابة ألم عينيها الرماديتين الناعمتين و هى تشرد بهما بعيدا ....فتسلل شعورٌ حارق الى قلب سابين , لماذا جرحتها .....لكن ماذا كان عليها أن تفعل و قد أفسدت قصة حبهما حياتها و حياة شقيقتيها .....هل من المفترض أن تشكرها لإعتنائها به اثناء مرضه.....

نظرت أميرة اليها اخيرا .....ثم همست " بل أنتِ ابنة عماد الراشد يا سابين ..... فإياكِ ونسيان ذلك أبدا "

استطاعت سابين بالكاد ان تبتسم ابتامة ساخرة مريرة ثم قالت بقسوة

" إن كنت لا أتذكره هو شخصيا .....فلماذا أتذكر أننى ابنته , ثم لا أعتقد أنه كان ليهتم , ففي النهاية اختارك أنتِ ليموت بجوارك "

أغمضت أميرة عينيها من شدة ألم الذكريات القاسية التى طافت بقلبها من تلك الأيام القاسية التى ظلا فيما

يمسكان بأيدي بعضهما منتظرين انقضاء المصير المحتم .....و دموعهما تختلط معا.....

" هل تزوجتما في النهاية ؟....."

جعلها سؤال سابين البارد تفتح عينيها الدامعتين فلم تستطع سوى أن تومىء برأسها وهى تشعر بغصة تكاد تقضي عليها .....ثم قالت أخيرا بصوت متحشرج

" ومكثنا هنا في هذا المنزل الى النهاية .....فقد كان يريد الإبتعاد عن كل الناس "

شعرت سابين أنها على وشك الإستسلام لدموعها مرة أخرى , لكنها بذلت جهدا خرافيا لتتماسك أمامها ثم قالت أخيرا بصلابة

" لقد وصلتني رسالته .....لماذا لم ترسليها الي من قبل "

أخذت نفسا مرتجفا ثم قالت وهى أيضا تحاول التماسك "لقد طلب مني أن أوصلها اليك حين تكوني مستعدة .....وكنت أعلم من بعيد عن حياتك الصاخبة فلم أظن انك كنت لتهتمي بها ..... لكن ها أنت وصلت إليها وحدك "

تابعت بحزن و تصميم " كدت ان ان من القلق عليك وانا اسال احمد عن مكانك كل يوم فلا يجيبني ابدا .... حتى لمع هذا المنزل بداخلي في لحظة واحدة , لم اصدق ان يصل احمد في شراسته الى هذا الحد ..... انه ليس احمد الذى اعرفه ابدا ,..... لذا فالقرار لك الآن , ان كنت تريدين ان تكون هذه هي النهاية ,فاصعدي لتجهزي نفسك لتغادري معي في الحال .....أما اذا كنت لا تريدين تلك النهاية , فعليك ان تبقي لتشكليها بنفسك "

ظلت سابين تنظر اليها طويلا وكأنها تحولت الى تمثالِ رخامي ..... حتى تابعت أميرة بحزم

" ما هو قرارك يا سابين ؟..... هل تريدين هذه النهاية بينك وبين احمد ؟ لانه ان غادرتِ معي الآن فسينتهي كل شيء بينكما .....اتخذي قرارك وانا ساكون بجوارك ايا كان .....هل هذه هي النهاية ؟..."

ظلت صامتة لعدة لحظات ..... ثم قالت اخيرا بصوتِ اجوف

" سأصعد لأجهز نفسي..... "

.....

.....

.....

لا يصدق انها هنا حقا بين ذراعيه ..... كانت كل الايام السابقة تستيقظ بين ذراعيه, فلماذا لا يصدق اليوم تحديدا ؟.....

حلاه التى لطالما حلم بها ..... حلمه الذى كان يظن طوال السنين انه يملكه بين يديه و انه يتنظر قفط انقضاء الوقت لتحقيقه ..... لتاتى ضربة قاتلة لتنسف حلم السنين.....

انه يشعر الان كما لو انه كان يجري طويلا .... ثم جاءت اللحظة التى انتهى فيها جريه , ليحصل عليها اخيرا .....لم يشعر انه حصل عليها الا الان ..... فقد

كان يعذبه شعور خفي بالذنب لطريقته في الزواج منها و التى بدت في نظره كالابتزاز.....

لقد استغل اشد فترات حياتها انهيارا وضياعا .....ليظهر فجأة عارضا عليها الابتعاد بها عن كل من حولها .....فسقطت بين يديه كحمامةِ جريحة.....

اخذ يتلمس خصلات شعرها و يبعدها بنعوكة عن وجهها ثم اقترب براسه منها وهو يهمس في اذنها

" حلا ..... حلا استيقظي حبيبتي , لقد اشتقت اليكِ "

رمشت قليلا وهى تتحرك برقةٍ بين ذراعيه وما أن فتحت عينيها و طالعتها العينان الحبيبتان حتى ابتسمت و مدت يدها الى وجهه تتلمسه وكأنها تريد ان تتأكد أنه موجود بجوارها بالفعل .... ثم تنهدت هامسة

"صباح الخير حبيبي ..... حبيبي .....حبيبي "

رافقت كلماتها قبلة شغوفة بين كلا منها حتى شعرت ان قلبها يكاد أن ينفجر من سرعة ضرباته

استطاعت ان تهمس وسط عاصفة عشقه الهوجاء

" أحبك يا ادهم ..... أحبك لدرجة أنى بدات بالفعل أنسى كل ما كان في حياتي من دونك "

همس بصوتٍ خشن " ان ظللتِ ترددي مثل هذه الكلمات فلا أضمن ان تخرجي من هنا سليمة "

نظرت حولها و هي تعي بعد لحظات أنهما ناما هنا في حجرة مكتبه بعد ان أغلقها بالمفتاح ..... فهمست و وجنتيها تشتعلان

" يا الهي لا اصدق أننا نمنا هنا ..... ماذا سيقول عنا من في القصر , لقد أفسدت أخلاقي تماما يا ادهم , لم

اكن هكذا أبدا , هل تذكر كيف كنت من قبل ؟....."

ضحك و هو يشعر بقلبه يزداد حبا لها خفقة بعد خفقة ثم قال بصوتٍ أجش

"أنا أذكر كل تفاصيلك و اعشقها ..... أنتِ كما كنتِ يا حلا لم تتغيري أبدا "

مرت سحابة ألم على عينيها ..... لكني تغيرت ..... أنت حاولت الحفاظ علي طويلا و جاء هو ليلوث روحي بكل ما استطاعه

ظلت صامته دون أن تخرج هذه الكلمات الى شفتيها .....لكنها عادت لتلمس وجهه من جديد وهى تهمس

" أنت هنا فعلا ..... و أنا أصبحتُ زوجتك يا ادهم , لن يؤذيني شيئا بعد الآن اليس كذلك "

شدد من ضمه إليها حتى كاد أن يحطم أضلعها و هو يؤكد بصوته الصلب

" لن يؤذيكِ أحدا أبدا ما دمت أتنفس يا حلا ..... أبدا حبيبتي "

ارتجفت ابتسامتها وهى تهمس بحزن " لماذا تأخرت يا ادهم..... "

لم يدعي عدم الفهم كما لم يملك الا أن يقول بغضبٍ لم يستطع مداراته " ولماذا وافقتِ ؟.....لماذا وافقتِ يا حلا ؟"

أغمضت عينيها بألم و لم تستطع الرد فما كان منه الا أن دفن وجهه في عنقها وهو يهمس باختناق

" أنا آسف ..... لم أكن أريد أن أصل الى هذا الموضوع مرة أخرى , وليس الآن تحديدا ,..... حلا ....حلا لا تبكي حبيبتي "

شعر بقلبه يتفتت حين أحس برطوبة دموعها المتساقطة على خده فقال بصوتٍ اجش

" حلا لا أريد أن أكون السبب في حزنك مرة اخرى .....لا أعلم ما الذى دفعني لقول ذلك "

فتحت حلا عينيها المبللتين ثم همست بضعف و هي تنشج

" لقد أخبرتني أمي أن والدك هددها بطردنا من القصر اذا لم أوافق , وقتها شعرت بالرعب و العجز .....و قلت أننى لن أعطي ردي قبل أن أعرف رأيك و كنت متأكدة أنك سترفض و ستقف في صفي .....الا أن أمى أخبرتني أنك كنت تعلم قبل أن تسافر و لو كان الأمر يهمك لما سافرت دون ان تعطيني رأيك .....وقتها شعرت باننى وحيدة وغاضبة ..... كنت غاضبة منك للغاية ..... لأنك كنت تتدخل في كل تفاصيل حياتي ..... خروجي , أصدقائي , ملابسي , كل شيء كنت تتحكم به عن بعد .....لكن حين احتجتك بجانبي للمرة الأولى ..... سافرت و تركتني أواجههم وحدي ..... لم تبالي حتى بمعرفة قراري "

لم تستطع الإكمال فقد أخفت وجهها في كتفه وهى تبكي على كل ما فاتها .....الى ان سمعته يهتف بكلماتٍ نابية أجفلتها , فهى تعرف من المقصود بها .....ازداد ارتعاشها حتى باتت غير قادرة على التماسك , فسكت ادهم و هو يضمها اليه بينما تشعر بتصلب عضلاته من شدة الغضب .... تجرأت بعد لحظة من النظر اليه فهالها وجهه الذى اصبح في مثل لون الدم

وعيناه المرعبتان .....الا انها لم تخف منه , لم تعد لتخف منه ابدا ..... انه ادهم حبيبها.....

رفعت ذراعيها لتحاوط بهما عنقه و هى تتخلل شعره باصابعها و تنظر الى عمق عينيه المتوحشتين هامسة تحاول تهدئته

" لا تغضب يا ادهم أرجوك ..... الا يكفي أننا أصبحنا معا أخيرا ؟"

همس بغضبٍ يحاول السيطرة عليه دون جدوى

" لا ..... لا يكفي يا حلا ليس قبل أن تعرفي حقيقة الأمر "

قالت بهدوء حزين " حبيبي ..... لم تكن مدينا لي بشيء وقتها , كما أنى عرفت بعدها أن مسالة طرد والدك لنا من القصر كانت مجرد كذبة "

اخفض جبهته حتى لامست جبهتها ثم وضع اصبعه على شفتيها وهو يقول باختناق

" شششششش ..... اصمتى و اسمعيني جيدا .....اتفقنا ؟"

أومات برأسها من تحت إصبعه .....فترك شفتيها و نظر الى عينيها النديتين الحزينتين ثم همس

" لم أكن أعلم أي شيء عن موضوع زواجك البائس هذا , لقد تعمدوا اخفاؤه عني تماما لأنهم يعلمون جيدا ما سوف تكون ردة فعلي .....لقد انتظروا حتى سافرت و أتموا كل شيء قبل ان أعود ..... هل تظنين أنه لو علمت مجرد تفكيره بكِ كنت لأتركه لحظة واحدة ؟"

انسابت الدموع على وجنتيها ..... عقلها يطلب منها الصمت و النسيان , أما قلبها مازال مجروحا منه دون سبب.....

همست بخفوت " لماذا أخفى والدك الأمر عنك ؟..... أفهم تصرف أمي جيدا , لكني لا أفهم سبب ما فعله بي والدك بعد أن رباني في بيته "

عقد ادهم حاجبيه وظللت القسوة عينيه ثم قال بغضب

" أولا لم يربيك غيري في هذا القصر و لا حتى ايثار .....كنت أتابعك دائما و أوجهك أحيانا , وكانت عيني عليك دائما .....فلا تنسبي هذا الفضل لغيري أبدا ....مفهوم ؟؟"

ابتسمت من بين دموعها وهى تومىء لوجهه الحبيب القريب من قلبها .....فقال بعدها بغضبٍ حاول السيطرة عليه

" لا أريد أن اتكلم عما فعله والدي في حقك و في حقي ..... لقد آذاني وفضل ط.....وفضله عني , كان مهما لأعماله و كان يكافؤه دائما "

همست حلا وهى تكاد تختنق " وكنت أنا آخر مكافأة له ..... اليس كذلك ؟"

ضمها ادهم اليه يهدهدها وقلبه يتمزق من أجلها بينما هي تبكي ما أضاعوه من برائتها ومن حبها للحياة

همست في أذنه و هى تتعذب " لقد آذاني كثيرا يا ادهم..... "

تقلصت عضلاته و شعرت بجسده يغلي غضبا فهمست " أرجوك الا تنفعل .....أنا أحتاج اليك بشدة , لكن لا أريد ان أغضبك "

ابتعد عنها قليلا لينظر الى عينيها ....ثم قال بصوتٍ حاول أن يودعه ثقة الدنيا كلها ..فقط ليجعلها تطمئن له

" ألن تحكي لي..... "

ابتلعت ريقها بصعوبة و هي لا تعلم امن الحكمة ان تحكي له أم تدع الماضي .....استطاعت الهمس بصعوبة

" لقد بدوت غير مستعدا للسماع ..... أخشى أن ....."

لم تستطع المتابعة اكثر فمد اصابعه ليبعد خصلة من شعرها الى خلف أذنها ثم انحنى ليقبل شفتيها بكل نعومة ثم همس حتى لا تتردد

" لم أكن أريد أن أخيفك بردة فعلي .....لكن الآن أشعر أنك أصبحت قادرة على مواجهتى بكل ما آلمك , أليس كذلك "

أومات برأسها بينما بدت غير واثقة بشكلٍ يفطر القلب ....فحاول أن يهمس في أذنها

" لم تكونى ملكه أبدا يا حلا ....أخبريني "

أومأت مرة أخرى دون أن تستطيع النظر إليه ثم همست بتقطع

" أخبرتني أمى .... أخبرتني حين رفضت الزواج منه ...أنه لا يريد زوجة فعلية ,بل يريد فقط مجرد واجهة اجتماعية ,لذا فلن أتحمل منه الكثير .....لكن من أول ليلة .... لم يكن هذا ما حدث .....من أول ليلة و أنا وجدت نفسي و قد أُلقيتُ في بحرٍ من جحيم .....لم يكف عن المحاولة أبدا ...كل ليلة .....الى أن تنتهي كلها

بنفس الشكل .....لا أكاد أرى ما حولي من شدة الضرب وصوت صراخه يصم آذاني بأننى أنا السبب .....لم أعلم كيف كنت أنا السبب ...لم أفهم ما الذى أخطأت به..... "

شعر أن نحيبها الصامت يكاد يخرق اذنيه و يفتت قلبه فزاد من ضمها حتى خشي أن تتفتت بين ذراعيه .....بداخله بركانا هائج و هو يحاول منعه من الظهور حتى لا يرعبها , فأي عذابٍ هذا الذي يعانيه.....

أن يستمع الى تفاصيلِ ُتخبره عن محاولاتِ ذلك الحقير لتدنيسِ طفلته الحبيبة التى حاول الحفاظ عليها طوال عمرها من كل العالم المحيط بها....

أن يسمع دور تلك الأفعى السامة في خداعها بكل حقارة كما لو لم تكن ابنتها يوما أبدا .....لتلقي بها الى مصيرٍ أسوأ من الموت.....

أن يسمعها وهى تخبره بكل براءة بأنها كانت السبب .....يشعر الآن كما لو كان قادرا على تحطيم كل ما تقع يده عليه .... ها هو الجانب البدائى يوشك على الظهور بأسوأ صوره وهو يحاول كبته بكل ما يستطيع من قوة.....

انتظر قليلا حتى تستطيع إلتقاط أنفاسها المبعثرة و هو غير واثق إن كان يجب عليه أن يمسك وجهها ليخبرها بكل عنف أنها لم تكن السبب لأى شيء أبدا .....بل هو عذرا ألقاه ذلك المختل ليزيد من عذابها , أم من الأفضل أن يترك ذلك لسمر كما يملي عليه المنطق.....

كان يتمنى أن يكون هو من يستطيع أن يوقظها من ذلك الكابوس البشع بكل تفاصيله , الا إنه لا يعرف السبيل الصحيح لذلك , يشعر أحيانا أنه كاد أن يفقدها أو أن يزيد الوضع سوءا حين حاول التصرف و حمايتها , فلقد انهارت بسببه عدة مرات منذ أن

تزوجها .....شعر بغصة مؤلمة في حلقه من شعوره بأنه قد يكون سبب لها الأذى يوما .... بدعوى حمايتها .....

ظل يتلاعب بخصلات شعرها بذهنٍ غائب بينما عضلاته القاسية اخبرتها عن شدة ما يعانيه.....لكنها كانت تريد ان تخبره .... تريد ان تلقي براسها على كتفه و ترمي اليه بكل احزانها .....لم تستطع منع نفسها من الهمس

" كنت أدعو الله كل ليلة ان يحصل على غايته ..... لعله في النهاية يتمكن من تركي , حاولت تلبية كل ....."

"هششششش.....كفى"

قاطعها و هو يغلق فمها بإصبعه .....قد يكون أنانيا في إسكاتها , الا أن رجولته لم تتحمل , كان هذا فوق احتماله , رفعت عينيها المتسعتين الدامعتين لتنظر الى عينيه اللتين ظللتهما القسوة .....فانتابها الرعب مما قالته ..... هل هى غبية .....هل تريده أن يخرجها من حياته .....و ماذا عن الباقي مما أوشكت قوله .....يا الهي هل يشعر الآن بالنفور منها.....

حاولت الكلام عبثا ..... الا إنها لم تستطع من شدة خوفها , فما كان منه حين لاح له خوفها من غضبه الا أن وضع خده فوق خدها وهمس في تجويف عنقها .....

" حلا ..... قد لا أكون أحيانا بنفس القوة التى ترينني بها , فأنا أضعف مثل باقي البشر , وأنتِ نقطة ضعفي الوحيدة .....لكن مهما ضعفت فلا تخافي أبدا .....لن اؤذيك أبدا , مفهوم "

همست حلا و قلبها يضرب كالطبل " لست خائفة من أن تؤذيني ..... أنا خائفة من أن تبعدك حياتي السابقة عني "

نظر الى عينيها بعينيه المتألمتين و حين تكلم نفذت قسوة كلماته الى قلبها

" لن يبعدني عنك الا الموت ..... هذه هى الحالة الوحيدة التى لا أستطيع أن أضمنها , لا يخيفني شيئا فى هذه الدنيا الا أن أتركك فيها وحيدة , سأعمل يوما بعد يوم على أن تصبحي أقوى فأقوى .....لأن لو حدث لي..... "

" اصمت ..... أرجوك اصمت ,ادهم أنا لن أستطيع أن أعيش بدونك , عدني الا تتركني أرجوك ..... عدني "

ابتسم برقة حزينة على تلك الأعوام التى ضاعت منه و هى بعيدة عنه ثم قال بهدوء

" لا أستطيع حبيبتي ..... لن يكون هذا بيدي , لا تبكي حلاي ..... لا تبكي حبيبتي "

اقترب منها ليقبل شفتيها التى لامستها دموعها .....و انزل ذراعيه اسفل ظهرها ليضمها الى قلبه ..... متى كبرت صغيرته و اصبحت بمثل هذه الروعة ....لم يأخذ الحزن والأم شيئا من برائتها و جمالها .....و يكاد يجزم أنها ستظل بنفس الروعة مهما مرت عليها السنوات .....

غيبها في موجة عشقه .....فتاها معا في أحضان بعضهما علهما يستطيعا نسيان قسوة ما كان يوما .....بينما ستشهد تلك الغرفة يوما ما لهما بعد سنين عديدة ..... بأن فيها أعلنا عن حبهما ..... وفيها أعلن حبهما عن اشراقة طفلتهما.....

يا الهى إنها سعيدة ... سعيدة للغاية , من كان يظن أن تكون يوما بمثل هذه السعادة ..... اخذت تدور وتدور وهى تستمتع بهذا الصباح الذى فاض بحبه لها وحبها له .....كم هو حبيب وقريب لقلبها , وكيف لم تشعر بحبه من قبل ..... هل كانت عمياء.....

نظرت من النافذة تستمتع بهذا الصباح المشرق ..... ليته لم يذهب الى العمل , الا يستحق الامر ان يظل معها طوال اليوم.....

ابتسمت وهى تشعر بأنها أصبحت من تلك الزوجات المتطلبات اللاتي لا يطقن أعمال أزواجهن .....نعم فاليوم تستطيع فعلا أن تقول بكل فخر ..... أنها زوجة ادهم مهران.....

لفت نظرها شخصا ما بالأسفل يشير إليها .....إنه هلال ..... ما العمل الآن , إنها لا تريد أن تكون جاحدة معه ,لكنها أيضا لا تريد أن تغضب ادهم منها.....

مرت عدة أيام لم تنزل الى الحديقة بالرغم من اشتياقها لورودها و افتقادها لهلال الا أنها لا تريد لأي شيء أن يخرب فرحتها الجديدة.....

هزت برأسها علامة النفي إجابة على سؤاله لها بالنزول .....فأخفض يده وهو ينظر إليها نظرة ألمت قلبها للغاية ..... لم تكن يوما جاحدة و ناكرة للجميل .....فلقد كان هلال بجانبها حين احتاجت لصحبته ..... وها هي تتنكر له , لكن ما العمل فادهم إن علم أن هلال تجاوز حدوده قد يتسبب في انقطاع عمله .....

قست قلبها أخيرا فلوحت له ببطء وخجل ثم أغلقت الستائر .....أغمضت عينيها وهى تشعر بالذنب للغاية , لكن هذا أفضل لها وله.....

مرت عدة دقائق حتى سمعت رنين هاتفها , فابتسمت و جرت إليه ....ها هو ادهم لم يتحمل شوقه اليها و يريد الإطمئنان عليها .....لكن ما أن نظرت الى شاشة الهاتف حتى طالعها رقم غريب ..... توجست كثيرا فهذه أول مرة يطلبها أى رقم غير ادهم أو سمر

تركته حتى توقف الرنين , فهو على الأغلب اتصالا خاطئا .....الا إن لحظة أخرى وعاد الهاتف للرنين بنفس الرقم , انتابها قلقا لا تعرف سببه و فكرت في تجاهل الرقم ..... الا انها شعرت بالسخافة ,فلا داعي لكل هذا الخوف من لا شيء.....

رفعت الهاتف الى أذنها و ردت بصوتٍ خفيض ..... فوصلها آخر صوت توقعت سماعه على هاتفها يهتف حانقا

" لماذا لا تردين على هاتفك .....حلا ..... حلا ردي علي "

تشنجت أصابعها على الهاتف و قالت بغباء رغم معرفتها لهذا الصوت جيدا " من ؟....."

جاءها الصوت أكثر حنقا " هل نسيتِ صوتي ؟..... نسيتِ صوت أمك ؟"

ابتلعت ريقها هذه أول مرة تكلمها منذ ان تزوجت ادهم ..... و هى لا تتفائل كثيرا حين تظهر أمها بعد انقطاع .....قالت بتردد

" لا .... لا بالطبع .... مرحبا أمي ..... كيف حصلتِ على رقم هاتفي ؟....."

جاءها صوت ايثار ممتعضا بوضوح " يا له من ترحيب ؟.....المهم .... أريد أن أراكِ حالا "

اتسعت عينا حلا ارتياعا ..... ادهم لن يقبل أن تأتي ايثار الى هنا أبدا .....فقالت وهى شبه تهتف

" لن أستطيع ..... مستحيل ...أياكِ ان تأتي الى هنا يا أمي ..... ادهم سيغضب تماما "

وصلها صوتا كالفحيح " يوما ما ...كنت أنا سيدة هذا القصر الذى تتحدثين عنه .....على العموم لا تقلقي لن آتي سأنتظرك في شقة سابين..... "

صرخت حلا " أمي ..... أمي ....مستحيل أدهم لا يسمح لي بالخروج , أرجوكِ أخبريني ما الأمر "

وصلها صوت ايثار الذي بدأ يفقد صبره " اسمعيني جيدا أيتها الغبية ..... يجب أن تأتي حالا هناك أمرا قد يدمر زواجك بل وقد يدمر سمعتك كلها..... "

باتت أنفاسها تخرج من شفتيها كالشهقات .... يا الهي ... إنه شيئا من الماضي , نعم ... نعم ... كان يجب أن تعلم أن الماضي لن يذهب بهذه السهولة

همست بضعفِ وصوتِ لا يكاد يسمع " سآتي اليكِ ....."

تركت هاتفها ثم شعرت أن ساقيها أصبحتا غير قادرتين على حملها فسقطت جالسة على حافة الفراش تنظر أمامها بعينين متسعتين غير قادرتين حتى على البكاء .....لماذا الآن ..... لماذا الآن ..... لن ترى السعادة أبدا في حياتها , كان يجب أن تدرك ذلك حين لاحت لها بوادر الأمل.....

ما العمل الآن .... كيف ستخرج من هنا ..... السيدة اسراء ؟؟؟..... لا ...لا ... قد تعتمد عليها في أي موضوع أقل ضررا من أمها , فلو علم ادهم .....لن يسكت الا بعد أن يصل الى كل شيء.....

فجأة قفزت واقفة و اتجهت جريا الى النافذة ..... ها هو لا يزال موجودا ..... أخذت تلوح بذراعيها حتى لمحها فنظر إليها بتساؤل , فأشارت إليه أن ينتظرها فستنزل إليه.....

لحظات وكانت تتسلل خارجة دون أن تراها السيدة إسراء أو أحدا من الخدم .....وما أن وصلت إليه حتى كانت تلهث بعنف تحاول الكلام لكن دون ان تنجح سوى في اخراج لهثات غير مفهومة , لمس هلال ذراعيها بيديه و هو يحاول تهدئتها

" مهلا ... مهلا يا حلا ....التقطي أنفاسك أولا "

حاولت مرة أخرى فنجحت في الهمس بتقطع " أريد ... أريد الذهاب الى أمي ..... هناك أمرا هاما لكن لا أريد أن يعلم ادهم "

لم تكن تعلم أن يديه تضغطان على ذراعيها عندما قال بحزم " سأقلك اليها..... "

نظرت اليه بأمل ثم همست " لكن كيف .... الحارس لن يسمح..... "

قاطعها هلال وهو يقول بثقة " نستطيع الخروج من الباب الصغير الموجود بالسور الخلفي ..... كان صدئا منذ زمن لكن أنا تمكنت من فتحه "

لم تستطع تصديق حظها فقالت بلهفة " أن خرجنا الآن على الفور فقد نعود قبل أن يلاحظ أحد ..... اليس كذلك "

أومأ هلال برأسه قائلا " هيا.... "

بعدها بوقتٍ قليل كانت واقفة أمام ايثار تنتظر مصيرها .....استطاعت الهمس دون أي مقدمات

"ما الأمر أمي..... "

ايثار أيضا لم تحاول التظاهر بمظهر الأم التى اشتاقت لابنتها ... بل لو أن حلا أمعنت النظر اليها لحظة لكانت لاحظت ان هناك شراسة و نارا حارقة تنبعث من عمق عينيها .....الا أن هم حلا الوحيد هو معرفة سبب وجودها هنا والعودة سريعا.....

" لقد وصلني هذا اليوم..... "

و أخرجت أسطوانة مدمجة أمام عيني حلا الحائرتين .....فهمست بضعف " ما هذا ؟....."

وضعتها ايثار في الحاسوب بكل هدوء بينما أعصاب حلا تحترق تماما .....لحظاتٍ وظهر أمامها على الشاشة مكانا تعرفه جيدا .....بهوا واسعا ممتدا لبيتٍ شديد الثراء ....أناسٌ يتراقصون في أماكنهم و يشربون ومنهم من ظهر في أوضاعٍ شديدة الإنحلال .....انطلاق صوت الموسيقى بدا كقصفٍ أصاب صدرها.....

إنها تعرف هذا المكان .... وتعرف هاؤلاء الناس ..... وتعرف تلك المرأة التى ترقص أمامهم لترفه عنهم بينما هي تكاد تموت بداخلها .....تعرف ذلك الذي يقترب منها وهي ترقص .....وتعرف مالذي سيقوم به في اللحظةِ التالية.....

نعم هذا ما تذكره .....يمسك وجهها بين كفيه الثقيلتين ليجذبه اليها بقسوة مقبلا إياها بعنفٍ وسط هتافِ الموجودين.....

رفعت كفيها لتغطي بهما خديها بينما فغرت فمها و كأنها جثة هامدة لا روح لها .....لم يعد للكلام أي معنى لقد انتهت حياتها و قضي الأمر.....

وصلها صوتا ناعما كجلد الأفعى يهمس بأسف

" لا أعلم من أرسله الي ..... لقد خيبتِ أملي فيكِ يا حلا , لم أستطع تصديق ما رأيته ..... كيف تتصرفين على هذا النحو , و كيف تحضرين في مثل هذه الاماكن .....هل تعرفين كيف ستكون ردة فعل زوجك عندما تقع تلك الإسطوانة في يده .....بل حين تقع في يد كل من يعرفه .....كيف كنتِ بمثلِ هذا الغباء يا حلا "

ظلت واقفةِ كتمثال دون حتى أن ترمش فتابعت ايثار ببرود

" من الأفضل أن تجلسي قبل أن تنهاري..... "

دفعتها بيديها لتجلسها على الأريكة خلفها ....ثم ربتت على وجنتها وهى تقول بصرامة

" أفيقي يا حلا ..... ليس هذا وقت ذهول "

لم تنطق حلا و كأنها لم تعد حية أصلا .... الا إنها شهقت فجاة حين تلقت صفعة على خدها و صوت ايثار يدخل مسمما الى أذنها

" أفيقي .....الآن تشعرين بالصدمة ؟.... ألم تكوني مصدومة وأنتِ ترقصين بهذا الشكلِ الفاضح و تقدمين أنتِ و زوجك مثل هذا العرضِ المجاني..... "

نظرت حلا اليها بعينين مذهولتين ثم لم تعرف كيف استطاعت الكلام فصرخت بإستجداء وهي ترتجف متضرعة

" لكن كان هذا رغما عني .....أمي أرجوكِ .... أنتِ تعلمين , لقد أخبرتك , لقد رجوتك أن تنقذيني منه .....تعلمين أننى حاولت الهرب منه عدة مرات ..... لكنه كان يعيدني و كان وقتها عقابي يجعلني أتمنى الموت نفسه ..... لقد حاولت الاستعانة بكل من أعرفهم ومن لا أعرفهم..... لكنه أحكم الحصار حولي تماما .....كنتِ تعلمين يا أمي أني كنت أفعل كل هذا مجبرة..... "

كانت ايثار تنظر اليها بتبلد قاسي و كأنها لا تفهم ما تقوله ..... ثم قالت أخيرا بنبرةٍ تحمل الإزدراء الخفي

" لطالما كنتِ ضعيفة للغاية يا حلا ..... بشكلٍ يدعو للشفقة , لا أعلم ممن ورثتِ ضعفك المزري هذا ..... أنتِ لا تشبهيني في أي شيء اطلاقا ..... أحيانا أشك أنكِ ابنتي ..... لم تستطيعي حتى الدفاع عن نفسك .....هل تظنين أنه لو كانت سابين أو سما هى من تزوجت طلال .....كانت هذه الاسطوانة ستكون في يدي اليوم ؟؟ ....."

نظرت حلا اليها و قد بدأت تشهق بأنفاسٍ معذبة ثم قالت من بين شهقاتها

" لقد قفزت من النافذة ..... لم ينجح أشدهم في نيل ما يريده مني "

مطت ايثار شفتيها بامتعاض وقالت " طبعا ..... اخترتِ أشد الحلول جبنا..... "

قامت حلا من مكانها وهي تصرخ " لم يكن هناك أي حلولٍ أخرى ..... لقد سلمني زوجي اليه , و سلمتموني أنتم اليه مرة أخرى "

نظرت ايثار اليها دون أن تبدي أي تعاطف مع منظرها المثير للشفقة ثم قالت ببرود

" ليس هذا وقت كلامٍ لا طائل منه ..... الأمر الجيد أنه ليس موضوع إنتقام , بل هناك شخصا يريد ثمنا معقولا لهذه الإسطوانة "

نظرت حلا اليها وهي لا تفهم تماما المقصود فمسحت وجهها بكفيها و هي تقول متلعثمة

" أي ثمن ؟.....لا أملك شيئا .....ادهم هو من يملك كل شيء من أين آتي بالمال ..... ساعديني أمي أرجوكِ "

همست ايثار مرة أخرى " غبية بشكلٍ ميؤسٍ منه ..... كيف لا تملكين مالك الخاص ؟ أنتِ زوجة ادهم مهران أيتها الغبية .....لقد حذرتك من الزواج به فادهم ليس سهلا أبدا .....أخبريني كيف ستتصرفين الآن "

عادت حلا لتبكي مرة أخرى و قد غاب بصيص الأمل الوحيد الذى كانت تملك الى أن سمعت ايثار تقول فجأة بحزم

" أعطِني خاتم زواجك..... "

نظرت حلا اليها بذهول ثم نظرت الى خاتمها الماسي الضخم ثم قالت بسرعة وهى تبكي

" لا ..... لا ....لن أستطيع , أرجوكِ يا أمي .....سيسألني ادهم عنه.... "

عبست ايثار وهي تقول بشراسة

" سيكون هذا حلا مؤقتا حتى تأتي بثمنا معقول فقد يقبل وقتها .....هاتي "

خلعت حلا خاتمها و أعطتها إياه وهي تبكي بشدة حتى كاد و جهها أن ينفجر من شدة احمراره ثم نهضت

راكضة الى الباب لكن قبل ان تصل يدها الي مقبضه و صلها صوت ايثار الشامت

" حلا ..... زوجك على علاقةٍ بامرأةٍ أخرى "

التفتت حلا لتنظر اليها ذاهلة و قد سقط قلبها في حين أكملت ايثار بابتسامة تشفي

" و أنتِ تعرفينها جيدا فقد سعت بنفسها للتعرف اليكِ .....اسمها سمر "

.....

.....

.....

فتح باب قلعته الصامتة الحزينة .....الظلام يغطي المكان و الصمت يملؤه الا من أصواتِ الرياح الباردة

..... أغلق الباب خلفه فاهتزت الجدران مرسلة رعشة فراغٍ بداخله.....

كذلك الفراغ الأسود المحيط به ..... لقد غادرت أسيرته الهمجية , اختارت الرحيل بعيدا ..... رفضت الفرصة التى منحها لها و هربت بعيدا.....

لماذا يشعر اذن بمثل هذا الخواء ..... مالذى ضاع منه ..... سابين ؟.....ما كان كل هذا ؟.....

مجرد أملا واهيا في اصلاحها أم عقابها ..... أم رغبة همجية في سبيها و امتلاكها.....

هل أصابته لعنة سابين الراشد فبات لا يعلم من هو .....و كيف كان من قبلها.....

شعر اليوم بلكمةٍ في صدره حين أخبرته أمه أنها علمت أخيرا أين يخفيها و أنها ذاهبة لإنهاء تلك المهزلة التى

طالت .....فإن كان صادقا مع نفسه , فليجد سببا لما يفعله ... لا أن ينصب نفسه الها لمحاسبتها.....

لم يشعر الآن و هو يقود سيارته الا به ينقاد أسيرا الى هنا ..... الى أسر السابية.....

كيف سيرحل من هنا بدونها ..... كان متأكدا انه سيرحل بها يوما ما ..... هل جن ... هل جن تماما .....إن أمه محقة في شيء واحد ...أن هذه المهزلة قد طالت ..... وكان يجب انهاؤها ..... لن يستطيع تغييرها رغما عنها , لن يسيتطيع خلق صورة في خياله , لن يستطيع نسخ ليالِ أخرى .....لقد اكتشف بعد أن أمضى مع سابين كل تلك الأيام الماضية , أنها و ليال متشابهتان تماما .. ليس في الشكل اطلاقا بل في القوة .... في شراسة الدفاع ...في الطفولة النابعة من الداخل ...في الشجاعة النادرة

وفي الرغبة الخفية في الحماية لقد أراد أن يصنع ليالِ كاملة ... الا أن حساباته قد أخفقت ..... لقد اختارت ..... خيرتها أمه فاختارت.....

لقد انتهى يا احمد .....انتهى.....

صعد السلالم متثاقلا في الظلام دون أن يكلف نفسه بفتح الأنوار ثم اتجه الى غرفتهما .....لقد تركت الضوء دليلا وحيدا على وجود امرأة غجرية همجية عاشت هنا ذات يوم.....

دفع الباب المفتوح قليلا ليدخل الى تلك الغرفة التى قضى فيها ليلة من السحر ستظل في مخيلته الى آخر العمر.....

ما أجمل تلك الإضاءة الخافتة , إنها تضفي على الغرفة جوا من السحر يذكره بها .....لقد تركت منامتها ذات الساحرات .... التقطها بين يديه ليرفعها الى وجهه

يستنشق عطرها الذى لايزال يملؤها و هو يغمض عينيه.....

" لم أكن أعلم أنها أعجبتك الى هذه الدرجة..... "

التفت بسرعة حين سمع صوتها الناقوسي يصل رنانا الى أذنيه .....ليجدها واقفة متكئة على إطارالباب مكتفة ذراعيها ..... مذهلة .....شعلة من الجمال الهمجي ...بقميص نومها الحريري و لونه الذهبي ..... وشعرها المجنون المنطلق في لفائف غجريةٍ تتعدى خصرها.....

" لم ترحلي ....." قالها بصوته الغامض

نظرت الى عينيه في تحدي سافر وهي ترفع احد حاجبيها في استفزاز لمشاعره الهوجاء .....ثم قالت بغرور

" لم أقرر النهاية بعد..... "

اشتعلت عيناه بها ولها .....وهو يقترب منها بخفة الفهد دون أن تتحرك هي من مكانها .... الى أن وصل اليها فرفعت عينيها المغويتين اليه ثم همست من بين شفتيها المصبوغتين القرمزيتين

" لقد استسلمت يا احمد..... "

تأوه هامسا " يا الهي "

ثم مد يديه ليجذبها اليه مقبلا إياها بكلِ عنفِ الأيامِ السابقة .....فارتفعت ذراعيها طوعا لتحاوطان عنقه وهي تبادله عاطفته المجنونة حتى كاد أن يفقد عقله وهو يقتحم أسوارها العالية .....ثم حملها بين ذراعيه ليلقي بها على الفراش ذو الستائر الناعمة بينما هي تضحك ضحكة رنانة أفقدته ما تبقى من سيطرته الأخيرة ليهجم عليها ويبثها جحيم أشواقه.....

وفي غمرة هواهما المجنون همست لعينيه

" لماذا تزوجتني ؟....."

رد عليها كالمهووس " لأنك أسرتِني أيتها السابية .....
لن أستطيع العيش بدون بعد الآن سابين "

جذبت رأسه اليها و قد انتهى وقت الكلمات.....

.....

.....

.....

استيقظ من نومه الرائع على أشعة الشمس الذهبية التى تخللت أكثر أحلامه جنونا ..... لقد سقط أسيرا لسابيته , وكان هذا أروع ما عاشه يوما.....

مد يده ليجذبها اليه ينهل من عذوبتها مرة أخرى .....الا أن الفراغ البارد للأغطيةِ الحريرية هو كل ما إستطاعت يده الوصول اليه , فتح عينيه ليلتفت جانبه ..... أين هي .... لماذا لم تنتظر ليستيقظ وهي بين ذراعيه.....

عبس حين رأى ورقة مطوية على الوسادة بجانبه ... ففتحها وهو يستقيم جالسا ليقرأ ما بها ذاهلا

" لقد أخبرتك أن تتذكر حين تأتي الي متوسلا .....بأني لن أسامحك أبدا ....فأنا عدوة شرسة حين أكره ..... لكني أكثر شراسة حين أحب .....لذا فسنرحل نحن الأثنين .....فأنا أحمل طفلك بداخلي .....لا تبحث عنا يا احمد .....فلقد انتهت فرصتك التى قررت أنا اعطائها لك .....لقد كنت أكرم منك وتركت لك الهاتف ..... لكن سامحني فقد أخذت سيارتك ..... وداعا يا أحمد و شكرا على الليلةِ الرائعة لقد كنت في مزاجٍ جيد للحب ....."

سحق الورقة في قبضته صارخا بكل قوته .....
سااااااااااابين

الفصل العشرون

هل يمكن أن يكون المرء ميتا بينما هو يتنفس .....
هل يمكن أن تتوقف دقاتِ القلب فجأة دون انذار لينتظر صاحبه الموت دون أن يناله ..... بينما يبقى جالسا في تبلد منتظرا ..... ماذا ؟.....

كانت عيناها جافتين .... متحجرتين , تنظران أمامهما دون أن تبصرا.....ألما حادا يمزق صدرها غصة كالصخر تكتم أنفاسها....

ماذا كانت تتوقع ؟..... لقد انتهى زمن النهايات السعيدة و القصص الخيالية....

بعد كل ما عاشته في حياتها , كانت قد اقتنعت أن السعادة لم تكتب لها , و تمكنت من أن تتعايش مع هذا الواقع ..... اعتادت منذ حداثة سنها أن تتعايش مع الألم .....أن تصادق الظلم لتجعله حليفها.....

حاولت تقبل حياتها , الا أن حياتها تمردت عليها ..... لتلقي بها الى أحضانه , معطية اليها الأمل , تخبرها قصة جميلة عن أميرةِ نجت من الأشرار ....و طارت الى فارسها .... درعها في الحياة.....

نُسجت القصة جيدا ..... حتى القصر و أمير الأحلام ..... كل تفاصيل القصة حاكت لها حلما لم تكن لتصدق بوجوده.....

كل ما حولها كان يهتف لها باسما ..... ابتسمي يا حلا ..... ابتسمي .....لقد جاء يوما لتصبحي فيه بطلة الرواية .....أميرة حبيبها...

حبيبها .....آآآه ..... حبيبها ..... كم عاما مر لتدرك أن حب عمرها كان بجوارها منذ أن فتحت صفحات ذاكرتها.....

و الآن .....الآن بعد أن اعترف لها بحبه بعد طولِ سنين .....تأتي الحياة لتنبهها بالا تنسى ما فات ..... وأنه لا هروب مما كان,

لقد خدعت نفسها و محت فترة من حياتها اعتقدت أنها دفنت للأبد , لكن ها هى تبادر للخروج من وكرها كوحشٍ دميم سيفترس كل ما حاولت ترميمه.....

لكن هو .....هو .... لماذا فعل ما فعل ..... هل ليعاقبها , هل هذا انتقاما طويل الأمد .....أم أنه ببساطة لم يستطع التعامل مع كل تعقيداتها ..... كانت في داخلها تعلم أن لسعادتها معه نهاية لا محالة , فرجلا مثله مهما أحبها يوما الا إنه بمرور الوقت سيعلم أنه يستحق الأفضل , كما يرى كل من حولهما.....

و لقد اختار الأفضل .... سمر ..... لا يمكن أن تقارن نفسها بها أبدا ..... إنها هى المرأة التى تليق به , ولابد أنها سعت الى التعرف اليها لترى عن قرب من تلك التي أوقعت بوحش ال مهران.....

يا الهى ..... ولقد حكت لها الكثير ..... يا الهي لقد حكت لها بمنتهى الغباء عن أشياء كان يجب أن تبقيها مدفونة الى الأبد , ترى هلى ستستغلها لتفضحها عند ادهم.....

إنها الى الآن لم تستخدم أي شيء ضدها .....يا الهي إن الدائرة تضيق من حولها , ... كل ما حولها يطوف و يحارب ليبعد ادهم عنها ..... ولقد بدأ هو في الاستسلام أخيرا . اذن فلماذا تخاف ..... فلا شيء آخر يهم في هذه الحياة ما دام سيتركها .....لما الخوف مادامت ستموت في كل الأحوال.....

لكن ماذنبه هو في أن يتحمل مثل هذه الفضيحة , فحتى وإن كان سيتركها من أجل امرأة تليق به فهذا هو الأمر الصائب , لكن لن تتحمل أبدا ان تكون السبب في أي أذى له ..... أبدا ..... ولو تطلب هذا آخر نفسا في صدرها.....

"حلا ..... انظري الي وتكلمي , منذ أن نزلتِ وأنتِ شاحبة بشكلٍ مخيف "

جاءها صوت هلال الجالس بجوارها في شاحنته المتهالكة ..... يحاول التسلل من الضباب الذى يغشى عقلها.....

الا إنها لم تستطع النطق ولم تستطع حتى البكاء , عيناها نديتان لكن تأبيان البكاء لتريحاها.....

" حلا أنا الآن أشعر بالخوف فعلا عليكِ ..... مالذى حدث بالأعلى ؟..... كان يجب أن أصعد معكِ مهما اعترضتِ "

:" حلا ..... أرجوكِ اجبيني "

صوته المختنق بمشاعرٍ غريبة كان بمثابة الشرارة التى انطلقت بداخلها لتصيب أعماقها في مقتل.....

لم تدري الا وهي تشهق شهقة مذبوحة لتسقط رأسها بين كفيها في نحيبٍ مخيف .... أصابه بالرعب.....

؛" حلا .....حلا ..... حبيبتي ماذا حدث لكِ "

حلا حبيبتي ..... هذه هي كلمة ادهم ..... كيف ستتحمل الا تسمعها مجددا ..... كيف ستحيا بدونه , لماذا الآن ؟ .....لماذا الآن ؟.....

لماذا بعد ان عرفت طعم الحب لأول مرة ؟..... لماذا ليس قبل ذلك ؟..... كيف ستتحمل الآن ؟.....

ظل هلال ينظر الى نحيبها المرعب وهو يشعر بأنه يموت مع كل شهقةٍ من شهقاتها ..... لماذا ساقها الى هنا ؟... ما الذى تسبب فيه .....لحبيبته ...نعم حبيبته.....

مد أصابعه المرتجفة ليزيح خصلة من شعرها المتساقط فوق كفيها و وجهها .....إنها لا تشعر به أبدا ..... جسدها يرتجف للغاية و يهتز بشدة مع بكائها.....

أنزل يده ليمسك بكتفها المرتعشة يحاول بث الاطمئنان اليها , لكنها لم تهدأ بل ازدادت رعشتها و بكاؤها فمد يده الثانية ليمسك بكتفها الأخرى و هو يديرها ناحيته برفق .....ورأسها متساقط كزهرةٍ ذابلة .....

يا الهي ما أجملها .... حتى وهي في هذا الانهيار تثير بداخله مشاعر بدائية لم يعرفها من قبل.....

اقترب رأسه ببطء من رأسها المنتحب الساقط ليستنشق رائحة شعرها العذبة وهو يغمض عينيه ..... لم يستطع أن يمنع همسته المخنوقة

" حلا ..... يالهي .....يا حلا..... "

شعرت فجأة من بين هذيانها بشيء غير مفهوم .....
هناك من يمسك بها ووجهه يكاد يقترب من عنقها .....فانتفضت مذعورة رافعة رأسها لتجد عينان خضراوان يلمعان كعيونِ الهررة في مواجهة عينيها.....

توقفت أنفاسها محتبسة في صدرها و قد بدأت تشعر بدوارٍ كثيف يلف عقلها الكليل .....لكنها استطاعت النطق بتعثر

" اب ..... ابتعد ....ماذا تفعل "

اشتعلت عيناه اكثر وهو ينظر اليها بصمتِ للحظاتِ طويلة دون أن يجيبها ..... ثم همس أخيرا و هو يشدد من قبضتيه على كتفيها

" اهدئى حلا ..... ليس هناك ما تخافي منه ,..... إنه أنا هلال..... "

اتسعت عيناها و قد زاد دوارها الا انها كانت تحاول بكل قدرتها التمسك بآخر خيوط الوعي و هي تهمس بذعر

" ابعد .... يديك .....حالا "

دون شعور منه تقريبا كانت يديه تدلكان أعلى ذراعيها .... ثم همس بنظراتِ تائهِ في عينيها

" أنا فقط أهدئك ..... منذ ان نزلت من عند أمك و أنتِ منهارة تماما , أخبريني حلا ماذا حدث..... "

أخذت تحاول التملص من بين يديه بضعف وهي تشعر بالدوار يكاد يطيح بها ..... تاقت بشدة الى الهرب في موجات الضباب المحيطة بها , الا أن همسا بعيدا في زوايا عقلها أمرها أن تظل واعية و الا تسقط .....فهمست بضعف وهي تحاول الابتعاد عنه قدر الإمكان

"هلال ..... أريد الرجوع الى القصر .....الآن "

همس في أذنها " ماذا لو لم أرد ان أعيدك ؟....."

رفعت نظراتها المهزوزة اليه و قد اتسعت حدقتاها قليلا ....ثم همست بخوف

" ماذا تقصد ؟.....أنا .... يجب أن أعود قبل أن يعلم ادهم بخروجي "

لمعت عيناه لأول مرة بمشاعرٍ سوداء لم ترها من قبل ..ثم شعرت بقسوة يديه على كتفيها اكثر و هو يهمس بغضب

" ادهم ..ادهم .. ادهم , الى متى ستظلين خاضعة له بهذا الشكل , أنا متأكد أنه سبب الانهيار الذى تعانيه الآن وليست أمك أبدا , اليس كذلك "

ظلت تنظر اليه مذهولة فاغرة فمها و قد بدأ الدوار يخف تدريجيا بأمرٍ سريع من عقلها الضائع ..ثم استطاعت القول أخيرا بهدوء...

" ابعد يديك من فضلك..... "

نظر اليها لحظة و هو يدرك فجاة ما كان يفعله ثم تركها بسرعةٍ وهو يتأوه يائسا

" أنا آسف ..... يا الهى آنا آسف , لم أقصد أن أخيفك يا حلا ..... لكن أنتِ تعلمين أنكِ أصبحتِ مهمة جدا لي , و أنا أظن أننى أصبحت أنا الآخر مهما لكِ فلا تنكري ..... , "

أخذت نفسا عميقا و عيناها لا تحيدان عن عينيه للحظاتٍ طويلة ..بينما قلبها يصرخ مهددا بالتوقف في

أية لحظة....تلك النظرات ...تلك النظرات قابلتها كثيرا .. لا يمكن أن تخطأها أبدا ..... أخيرا قالت بصوتٍ مهزوزٍ ضعيف

" نعم ..... نعم لقد أصبحت مهما لدي "

اتسعت عيناه و لمعتا بشدة ثم ظهرت على شفتيه طيف ابتسامة وهو يعاود مسك كتفيها بذهول هامسا

" لقد كنت أعلم ..... لقد كنت أعلم , قلبي لم يخطئني أبدا "

اغمضت حلا عينيها بشدة و أخذت تعد في أعماقها تحاول السيطرة على الهيستيريا المتصاعدة بداخلها ثم همست بارتجاف

" هلال أرجوك ..... لا تلمسني , أنت تعلم ما مررت به من قبل "

نزع يديه بسرعة و هو يقول لاهثا

:" آسف ..... آسف مرة أخرى حبيبتي , لم أعد استطيع الابتعاد عنكِ للحظة واحدة .....تلك الأيام التى قررتِ فيها الابتعاد عني كانت كالجحيم .....لقد اعتدت عليكِ بشكلٍ مجنون يا حلا .....هل تعلمين ذلك "

نظرت اليه بعينين ميتتين وهي تومىء برأسها بابتسامةٍ شاحبةٍ لا معنى لها ثم همست أخيرا بضعف

" هلال .... هل يمكنك أن تعيدني الى القصر ..... للمرةِ الاخيرة ..... أنا سأترك ادهم الى الأبد , أعدك "

أخذ هلال نفسا طويلا متعبا ثم قال أخيرا باستسلام

" بالطبع ..... بالطبع سأعيدك , و سأبقى معكِ لحظة بلحظة ..... لن أتركك أبدا "

أومات برأسها علامة الموافقة و هى تشعر بأنها ستفقد وعيها بين لحظةِ أو أخرى لكنها تشبثت بآخر لمحاتِ وعيها بإرادة من حديد و هى تحاول أخذ أنفاسٍ بطيئة متتالية كما أخبرتها سمر من قبل .....سمر ..... ما الذى جعلها تتذكرها من جديد .....يجب أن تقتلعها الآن بأي طريقة من تفكيرها حتى تصل الى القصر .... وبعدها تستطيع الموت بسلام .....لكن الآن لابد أن تسيطر على نفسها ..... أمامه....

كيف لم ترى ما هو واضحا لها الآن من قبل ؟.....كيف كانت بمثل هذا الغباء و السذاجة ؟.....كيف آمنت مرة أخرى هي من دون الناس لشخصٍ غريب ؟..... الن تتعلم أبدا ؟.....

الآن وهو يتكلم بمنظره المهووس هذا قفز سؤالٌ مرعب فجاة الى رأسها ..... كيف علم بعنوان أمها .... كانت من الخوف و الارتباك بعد مكالمتها فلم تدرك سوى أنها استقلت معه شاحنته القديمة التى كانت أمام الباب الخلفي الصدىء ....ثم بقت صامتة ناظرة الى البعيد الى ان أفاقت على صوته وهو يعلمها بوصولهما .....

لا تعلم كيف قفز هذا الى رأسها في اللحظة التى رأت بريقا مختلفا لعينيه ..... يا الهي إنها تشعر بأنها على وشكِ الإصابة بنوبةِ قلبية , لكنها لن تخذل ادهم هذه المرة , ولن تتبني أجبن الحلول كما قالت امها.....

التفتت الى هلال تبتسم بصعوبة وهى تمسح وجهها المغرق بالدموع و همست بآخر جهدها

" فلنعد الآن ..... من فضلك "

.....

.....

.....

كان ادهم جالسا في خضم أعماله المتعاقبة بينما يشرد بخياله بين الحين والاخر عن ذلك الأمر الذى ينتظر وصول تأكيده ....إنه يحترق بداخله , لكن لا يشعر بأي وخزٍ من تأنيب الضمير على الاطلاق.....

تماما كما لا يشعر بأيا منه بعد مكالمته المبكرة لايثار و التى أبلغها فيها أن تتوقف عن انتظار المبلغ الذى كان يصلها منه على مضضٍ بصفةٍ دورية ..... وذلك فقط لأنها كانت يوما ما تحمل اسم الامبراطور.....

لكن الآن لم يعد يهتم حتى وإن لم تجد قوت يومها ..... كفى ..... لا يستطيع أن يساعد تلك المرأة بعد الآن و بعد ما سمعه من حلا على وجه الخصوص .....يكفي أنه يحزم كل مقدرته بالكاد ليمنع نفسه عن أذيتها .....

كان يحاول على قدر الإمكان التركيز في أعماله منتظرا مكالمة بين لحظةٍ او أخرى , الى أن رن هاتفه لكن ما أن طالعه اسم السيدة اسراء حتى رد سريعا و أعصابه تتوتر اكثر من توتره الحالي ... لماذا تتكلم السيدة اسراء ؟.... منذ مدة و حلا هي التى تكلمه في أي شيء يخصها أو يخص القصر ..فما الذى حدث ؟؟.....

كل قلق الدنيا فاض بداخله فقط في اللحظة التى استغرقها ليرد على السيدة اسراء التى ما أن رد حتى وصله صوتها المهتز و المشبع بالقلق.....

" سيد ادهم ..... السيدة حلا.... !!!"

هبط قلبه بين قدميه في لحظة واحدة و هو يشعر بقبضةٍ جليدية تعتصر صدره ... لكنه تمكن من النطق بصوتٍ مختنق اجش

" ما بها حلا ؟؟ ..... هل أصابها شيء ؟؟... تكلمي من فضلك بسرعة "

جاء صوت السيدة اسراء متوترا و هى تتلعثم

" إنها ..... ليست في القصر ...لقد دخلت منذ قليل الى الغرفة لاطمئن عليها حين لم تجبني , لكني لم أجدها .... فبحثت عنها في كل مكان دون أن أعثر على أي اثرٍ لها ..... لكننى وجدت هاتفها بالغرفة"

صمت لعدة لحظات محاولا استيعاب ما سمعه على وجه الدقة ثم قال محاولا السيطرة على الرعب الغير مبرر بداخله

؛" كيف ؟.. لا أفهم ..... هل خرجت ؟..... هل سمح لها حارس البوابة ِ بالخروج ؟؟....."

أجابته السيدة اسراء بسرعةٍ و بحيرة

"لا .... لا ... لقد أكد لي أنها لم تعبر من بوابة القصر ....فبحثت عنها في كلِ جزء من الحديقة ِ .... الشيء الوحيد الذى لاحظته هو أن الباب الخلفي من السور مفتوحا..... "

هدر الخوف بداخله كحلقاتِ إعصارٍ أهوج وهو لا يتمكن من حل شفرة كلام السيدة اسراء فقام من مكانه بلمح البصر و هو يرتدي سترته قائلا بانفعال

" الباب الخلفي الصدىء ؟؟.... لم يفتح هذا الباب منذ سنين .. كيف فُتِح ؟..... لن تستطيع حلا فتحه بمفردها أبدا..... "

وصله صوتها مرتجفا اكثر و هى تتلعثم قائلة

" نعم بالتأكيد .... لابد أن هناك من ساعدها..... "

وصل صبر ادهم الى منتهاه فصرخ بصوتٍ رج موجاتِ الاتصالِ بينهما

" من سيساعدهاااا ..... ولماذا تحتاج الى التسلل ؟؟....."

أجابته السيدة اسراء مرتجفة

" أنا حقا لا أعلم يا سيد ادهم .....أنا... "

قاطعها صراخ ادهم المجنون

؛" أنتِ ماذا ؟؟..... كيف غفلتِ عنها ؟..... لقد كانت تحت مسؤليتك فكيف خرجت دون أن تشعري بها ؟؟؟..... إن حدث لها مكروه فلن ينجو أيا منكم من غضبي..... "

لم تجبه فقد كانت تدرك شدة خوفه على حلا و الحق أنها أيضا مرتعبة على تلك الصغيرة التى أصبحت في نفس مكانة ابنتها في الفترة البسيطة التى أمضتها معها ... وكان قلبها ينبئها بقدومِ كارثةٍ من بعيد ..... فقط تأمل الا يكون قد أصابها مكروه.....

.....

.....

.....

كان ادهم يقود سيارته كالمجنون يشعر بقلبه يخفق ضاربا خوفا و غضبا .....أخذ يتفادى السيارات من حوله و عقله لا يفكر سوى بما هو العمل الأحمق الذى أقدمت عليه حلا ..... كان يظن أنها قد تغيرت للأفضل كثيرا الأيام الماضية , أنها قد كفت عن تصرفاتها المتهورة و الغير متزنة.....

لكن ها هى بكل برود تتسلل بعد خروجه تاركة هاتفها وراءها .....كانا معا منذ عدة ساعات دون أن تلمح

حتى بنيتها في الخروج ....ما هو المكان الذى تريد التوجه اليه سرا دون أن تعلمه ؟.....و كيف فتحت الباب ؟.....

حسابك معي يا حلا سوف يكون عسيرا .....سأريك معنى غضبي الذى لم تعرفيه الى الآن.....

,يبدو أننى قد تهاونت معك كثيرا و قد غرك هذا فقررت أن تستغليه .....فقط حين أجدك ..... , حين أطمئن أنك بخير حبيبتي.....

فجأة برق اسم سمر في ذهنه .... بالطبع و من غيرها , قد تكون حلا احتاجت اليها فقررت الذهاب إليها و المنطقي أن تخفي الأمر عنه.....

التقط هاتفه بلمح البصر ... لحظات و كان صوت سمر الهادىء يصله فسألها بسرعة و عصبية

" سمر ..... هل حلا معك ؟...."

وصله صوتها متحيرا قلقا " لا ..... ليس من المفترض ان نتقابل اليوم , لماذا ؟..... هل خرجت ؟؟ "

شتم ادهم بعصبية دون مراعاة لوجود سمر معه على الهاتف ثم ضرب المقود بقبضته أكثر من مرة بعنف لم يستطع السيطرة عليه....

فقالت سمر في محاولة لتهدئة الموقف

" اهدأ قليلا يا ادهم ..... دعني أفهم جيدا , هل خرجت حلا دون أن تخبرك ؟؟"

لهث ادهم بعنف و قلق وهو يجيبها هادرا

" نعم ..... نعم لقد خرجت الغبية دون أن تعلمني بمكانها تاركة هاتفها في القصر ..... إنها لا تزال تعاني أحيانا من نوبات الدوار ما أن تخاف أو تقلق .....ماذا

لو تعرض لها أحدا وهي في هذه الحالة , كيف ستتصرف ؟....."

جاءت كلمته الاخيرة صراخا كاد أن يصم أذن سمر التى قالت بعد لحظة

" كيف خرجت ؟ أنت أخبرتني أنك تشدد الرقابة عليها في داخل القصر وعلى البوابة ؟..... لقد أخبرتك مرارا أن اسلوب الإحتجاز قسرا هذا لن ينجح أبدا و ها هي خرجت بمنتهى السهولة حين أرادت ..... كم مرة أخبرتك أن تعطيها بعض المساحة و القليل من الحرية لتلتقط أنفاسها التى كتمتها أنت بتعنتك..... "

لم يصدق ادهم نفسه وهو يستمع الى لهجة سمر العصبية و التى تعنفه بها لتعلمه كيف يتعامل مع حلا ..... حلا التى رباها بنفسه , لتأتى سمر الآن و تتجرأ على أن تخبره بخطئه في التعامل معها.....

لم يتمالك نفسه حين صرخ " سمر ..... سمر .... أنتِ تختبرين صبري في هذه اللحظة , أنا لست في أفضل حالاتي الآن.... "

أخذ نفسا عميقا ثم قال بهدوء متوتر بشدة

" اسمعيني جيدا يا سمر ..... لقد خرجت حلا من الباب الخلفي و الذى لم تكن لتستطع فتحه بمفردها أبدا .....هناك من يساعدها .هل أخبرتكِ بشيء من هذا ؟....."

لم يصله سوى أنفاسا مترددة بدأ القلق في التسرب اليها ..... فعلم وقتها أنها تعلم شيئا لن يعجبه ..... توترت عضلاته و تقلصت و اشتدت قبضته على المقود و همس بفحيح

؛" سمر .....كل ما تعلمينه , وحالا قبل أن أرتكب جريمة ..... "

جاءه صوت سمر متوترا قلقا وهي تهمس

" ادهم .....سأخبرك بشيء قد يكون تافها ..... لكن عدني الا تتهور..... "

فقد ادهم هدوءه الخادع وصرخ ؛" تكلمي الان يا سمر..... "

ظل يستمع الى صوت سمر عبر الهاتف لعدة لحظات دون أن يقاطعها .....و مع كل حرف يصله كانت وحشية مرعبة تتصاعد الى عينيه و تنفذ مع هسيس أنفاسه اللاهبة ..... حتى بات في نهاية الحوار ..... كوحشِ حبيسِ جائع أطلق سراحه.....

في آخر كلمات سمر التى حاولت أن تهدئه ..... أغلق الهاتف دون أن ينطق بحرفِ واحد ثم ألقى بهاتفه من نافذة السيارة المنطلقة كالسهم دون أن يبالي به ..... ثم زاد من سرعة السيارة أكثر و أكثر فاندفت به كالقذيفة متجهة ..... الى القصر.....

.....

.....

.....

دخل بسيارته من البوابة بسرعةِ عنيفة دون أن ينسى الصراخ في وجه حارس البوابة المسكين و الذى لم يفهم بما أخطأ .....لحظاتِ بعدها و اوقف السيارة بحركة واحدة مصدرة صريرا عالِ جدا ..... ثم اندفع خارجا منها صافقا الباب بعنفِ كاد ان يحطم زجاجه,

لم يدخل الى القصر بل لف حوله الى الحديقةِ الخلفية .... حيث تقبع حجرة من يعتني بالحديقة , فركل الباب بقدمه وهويدخل ليجدها خالية كما توقع.....

اندفع يدور بها كالوحش الهائج يرمي كل ما تطوله يداه حتى أنه لم ينس أن يحطم المرآة بقبضته .....الى أن وجد كومة من الأوراق على مكتبٍ صغير فذهب إليها وهو يحاول التأكد مما تراه عيناه , التقط الاوراق بين يديه لتطالعه صورة لإمرأة مرسومة بأقلام الفحم في كلا منها ..... مرة وهى شاردة تنظر للبعيد, مرة و هى مستندة على إطار النافذةِ تتطلع منها حزنٍ دل على براعة من رسمها .....أو ....دل على شدة احساسه بتلك المراة.....

أخذ يقلب صورة خلف صورة وكلها لنفس المرأة ..... التى لن يخطىء ملامحها أبدا ..... حلا.....

صرخ فجأة و هو يمسك الصور معا بقبضتيه ليشقهم في حركةِ واحدة الى نصفين ثم يلقي بها أرضا لتكمل عليها قدمه التى أخذت في سحقها تماما.....

أين هي ..... أين هي .....الى أين يمكن أن يذهبا ..... هل فعل بها شيء ؟هل تجرأ ولمسها ؟.....

لم يستطع أن يتمالك نفسه من هول الغضب الأعمى و الذى أعمى بصيرته كذلك , فصرخ بشدة

" أين أنتِ يا حلاااا..... "

غرز اصابعه في خصلاتِ مقدمة راسه يكاد ينتزعها من جذورها و هو يلهث بعنف ثم اندفع خارجا و هو

يخلع ربطة عنقه التى كادت ان تخنقه في تلك اللحظة .....

رمى سترته على أرض الحديقة تبعتها ربطة عنقه و هو ينوي التوجه الى السيارة ليقلب طرق المدينة كلها بحثا عنها.....

لكن قبل ان يتحرك خطوة واحدة ..... كانت هى واقفة امامه بعد ان دخلت من نفس ذلك الباب الخلفي ..... يتبعها ذلك الحقير الذى لا يتذكر انه رآه سوى مرتين أو ثلاث.....

تسمرت حلا مكانها تماما .....بوجهٍ شاحب و عينين ميتتين ..... وقلبٍ تخلى عن نبضاته.....

لم يكن الرعب هو الوصف الامثل للتعبير عما تشعر به في تلك اللحظة .....الهلع ربما ....ام انه تبلد من فقد القدرة على الحياة.....

كل ما تعلمه هو انها وقفت امامه متسمرة دون حركة .....لم تستطع حتى على ان تخرج نفسا مرتجفا من بين شفتيها.....

يا الهى ... لم تره يوما بمثل هذه الحالة ..... كان شعره مشعثا , ازرار قميصه مفتوحة حتى ان بعضا منها ممزق .....و عيناه .....عيناه كانتا حمراوين بلون الدم .....مخيفتان ...بل مرعبتان ... لم ينظر اليها بهذه الطريقة من قبل , حتى في اشد حالات غضبه منها سابقا لم يكن لينظر اليها بهذه الطريقة ابدا ..... نظرة عنيفة مشبعة بالوحشية ..... لكن تختلط بشيء ما ..... كشعورٍ بالغدر او الطعن .....عند هذا الادراك شعرت بقلبها ينزف دما .....فهزت راسها نفيا و كانها تمنعه من الشعور بهذا الغدر.....

هزة راسها كانت الشرارة التى جعلته يفيق من سكونه الوحشي ليهمس من بين اسنانه

" اين كنتِ ؟....."

ظلت تنظر اليه برعب لا تعلم بما تجيبه ..... ان الدائرة تضيق من حولها اكثر واكثر .....ها قد سقطت كل اقنعتها .....لا مفر , لن يهدا قبل ان يصل الى كل ما اخفته عنه يوما ..... وحينها سيرميها من حياته الى الابد , ليذهب بعدها الى من تليق به قطعا.....

استطاعت ان تهمس بضعف ؛" كنت .....كنت .....عند ....."

في هذه اللحظة بالذات .... اختار الاحمق ان يتدخل لاعبا في في نهاية ايام عمره .....قائلا وهو يتقدمها

" كانت معي .....فان اردت ان تواجه احدا فلتواجهني "

وكانت هذه هي بداية ..... الجنون ..... جنون الوحش ..... الذى ظهر طيف ابتسامة مجنونة على زاوية شفتيه , ثم تمكن من الهمس

" نعم .... أنت ....لقد كنت أنتظرك "

فجأة اندفع ناحيته بسرعةٍ لم يستطع هلال أن يدركها حين تلقى قبضة مريعة على فكه أسقطته أرضا , ثم لم يترك له ادهم الفرصة ليستوعب ما حدث , بل هجم عليه ليمسك بعنقه بقبضةٍ حديدية بينما قبضته الأخرى انهالت على وجهه وأنفه و هو يشتم بألفاظٍ لم تسمعها حلا من قبل و لم تعرف معناها.....

استفاقت حلا من ذهولها اللحظي لتصرخ فجاة و هى تندفع محاولة الإمساك بذراع ادهم

" كفى ادهم ..... كفى ستقتله "

الا ان ادهم لم يبدو أنه سمعها أصلا ...الا حين دفعها بذراعه بعنف ليسقطها أرضا .....ثم استقام واقفا و مد يديه الى حزام بنطاله الجلدي فخلعه بسرعة و لف مقدمته حول قبضة يده التى رفعها عاليا ليسقط به على صدر هلال و ذراعيه اللتين تحاولان تفادي هذا السوط اللاسع المنكب عليه من كل صوبٍ كحممٍ نارية ....

أخذت حلا تصرخ وتستغيث و هى تغطي عينيها بكفيها حتى لا ترى هذا المنظر البشع أمامها .....الى أن سمعت وقع أقدامٍ تجري اليهم , و استطاعت أن تسمع صراخ حارس البوابة و هو يحاول الإمساك بادهم بشتى الطرق الا أنه بدا كوحشٍ هرب من أسره ليفترس كل من حوله .....فلم تستطع حلا التى كانت تصرخ و هى جاثية على ركبتيها أن نتظر لكل هذا العنف أمامها .... فقد ذاقت هي ذات مرةٍ طعم حزامٍ جلدي مثل هذا.....

فجأة شعرت يدين حديديتين تجذبانها من ذراعيها لترفعاها على قدميها و صوت ادهم يصرخ بها

" افتحي عينيكِ ..... افتحي عينيكِ يا حلا "

و كان يهزها بشدة مع كل أمرٍ حتى فتحت عينيها المرعوبتين المتورمتين و هى تشهق لتلتقط أنفاسها المذعورة ..... فصدمتها عيناه المتوحشتان وهما تنظران الى عمق عينيها و هو يصرخ في وجهها

" انظري اليه ..... انظري الى صديقك الغالي "

لفت راسها بارتعاش و عيناها متسعتان برعب حتى أبصرته ممدا على الأرض بوجهه المليء بالكدمات

.....فصرخت بشدة لتغلق عينيها مرة أخرى و هى بالكاد تنطق بكلمات من بين صراخها

" لقد قتلته ..... يا الهي لقد قتلته "

لكن ادهم لم يجبها بل جذبها من ذراعها خلفه بوحشية وهو يقول بصوتٍ لاهث للحارس....

" أريد أن أجده حين يسترد وعيه ..... إياك أن يهرب و الا فلتتحمل ما سيحدث لك "

ظل يجرها خلفه الى أن وصلا الى القصر و قد سقطت منه على الارض عدة مرات من كثرة تعثرها حتى تمزقت ساقي بنطالها الجينز و جرحت ركبتيها , الا إنه لم يبالي ..... بدا و كأن شخصا آخر تقمص ادهم حبيبها الذى لم تره يوما بمثل هذه الوحشية و القسوة من قبل.....

كانت تكاد تجري وهى تحاول تعقب خطواته بينما أخذت تشهق باكية بعنف و قد فقدت السيطرة على نفسها تماما .....و حين تعثرت ساقطة على درجات السلم خلفه تتابعها أعين الخادمات والسيدة اسراء بذهول .... فأوقفها ادهم على قدميها ثم مد ذراعه ليحيط بها خصرها و يرفعها صاعدا السلم وهو يحملها بذراعا واحدة صارخا بصوتٍ مرعب

" الى ماذا تنظرون ؟..... اذهبوا الى أعمالكم حالا "

فتفرق الجمع جريا كل في طريقه خوفا من ذلك الوحش الهمجي الذى يرونه لأول مرة ..... وحين دخل بها الى الغرفة ألقاها من ذراعه فسقطت على الأرض , لكنها لم تبقى مكانها بل أخذت تزحف مبتعدة عن العنف الذى ستواجهه لأول مرة من ادهم و هو على هذه الصورة البشعة.....

ظلت تنظر اليه شاهقة برعب و عيناها متسعتان تكادان تسعان وجهها كله .. الا انه لم يراف لرعبها بل اقترب منها ببطء و هى تبتعد عنه زحفا اكثر واكثر ..... الى ان توقف لاهثا ثم قال بصوتٍ كالفلاذ

" أين ذهبتما ؟..... ومنذ متى وأنتما تخرجان معا ؟"

ظلت عيناها المذعورتان تتطلعان إليه بينما صدرها يعلو ويهبط بعنف .... فصرخ مما جعلها تنتفض هلعا

" أجيبي يا حلا .....منذ متى ؟"

فتحت شفتيها عدة مرات الا أن صوتها لم ينجح في الخروج كل مرةٍ الى أن قالت أخيرا بصوتٍ يخنقه النحيب

" لم نخرج أبدا ..... أبدا "

تابع استجوابه لها وبينما لم يلن وجهه أبدا " أين ذهبتما ؟....."

لم تجد بدا و قد شعرت بان النهاية اتية لا محالة فقالت مرتعشة تستجديه " كنت عند أمي ..... أقسم لك أنني كنت عند أمي "

هنا فقط بدأت الصورة تتضح له .... بالتأكيد ايثار .... ومن غيرها سيصيبه الجنون بعد مكالمته لها..... الا أن ملامحه لم تلين لها أبدا , فقال بصرامة مخيفة

"لماذا ذهبتِ اليها ..... وإياكِ و الكذب علي يا حلا "

دفنت وجهها بين كفيها و أخذت تنتحب بشدة و هي تدرك أنها النهاية ... فما كان منه الا ان اندفع جالسا القرفصاء بجانبها , يمسكها بقسوةٍ من ذراعيها وهو يهزها لترجع رأسها الى الخلف بشدة ثم قال بصوتٍ كنافثةِ اللهب

" ولماذا أخفيتِ عني ذلك و تسللتِ خارجة مع ذلك الحقير ..... منذ متى و أنتِ تتحدثين معه ؟ ..... أجيبي "

خف نحيبها قليلا و نظرت اليه بعينيها المنكسرتين و كأنها تودع وجهه الحبيب لآخر مرة .....ثم همست باكية

" أخبرتك ..... من قبل أن..... هناك الكثير لم تعرفه عني بعد ..... لقد ظهر جزءا من ماضي لم أردك ان تعلمه , ظننت أنني قادرة على اخفاؤه مجددا ...أردت أن أحميك و أحمي زواجنا ....شيئا سيدمر سمعتك ...لم يكن بيدي يا ادهم .. ما فات لم يكن بيدي , كنت مجبرة عليه "

سكتت وهي تعلم أنه لن يفهم شيئا من حديثها المجهول بالنسبةِ اليه ... الا إنه قال بصوتٍ مطعونٍ في صميمه

" و اخترته هو ليحل لكِ مشكلتك ؟..... بعد كل ما بنيناه معا الفترة السابقة ..... عند أول صعوبةٍ تواجهك تختارين شخصا حقيرا ليساعدك ؟.....كيف يمكنني الوثوق بكِ بعد الآن.... لقد استنفذتِ كل فرصك معي..... منذ سنواتٍ عديدة و أنتِ تخذليني دائما .... لكن هذه المرة لم تخذليني فحسب , بل طعنتني يا حلا .....بعد كل ما حاولت أن أمنحه لكِ , اخترتِ خيارا حقيرا ليساعدك على تجاوز ماضيكِ..... "

ترك ذراعيها فجأة و كأنها ستلوثه ثم انتفض واقفا ينظر اليها بوحشية ثم قال لها أخيرا بصوتٍ مخيف

" لقد أخطأتِ خطأ كبيرا ..... كبيرا جدا و أعدك أن عقابك عندي سوف يوقفك عن حماقاتك لآخر حياتك "

لكن قبل أن يتحرك وجدت الجرأة التى بعثتها خوفها من أن يورط نفسه بأى عملٍ متهور فقالت تستجديه باكية بشدة

" دعه يذهب يا ادهم ..... لا تؤذه أرجوك , لقد كان هذا خطأى "

عاد اليها في خطوةٍ واحدة ليجثو أمامها جاذبا شعرها بقسوة وهو يصرخ بصوتٍ أرعبها

" هل واتتك الجرأة على الدفاع عنه أمامي ..... هل تريدين أن أقتلك "

ثم رفع يده الأخرى عاليا .... فأغمضت عينيها رعبا و هى تشهق منتظرة نزول يده على وجهها.....

لكن مرت عدة لحظات ولم يحدث شيء ففتحت عينيها ببطء لتفاجأ بنظرة عينيه المشبعة بالألم .... هل لهذه الدرجة جرحته ....هل كان شيئا بسيطا اعتقدته يوما من الأيام أنه مجرد وسيلة للهرب من خيالاتها و وحدتها , هو السبب في ذلك الجرح العميق الذى تراه الآن في عينيه.....

ضم قبضته بشدة ثم اندفع واقفا ليخرج من الغرفة لكن قبلا استدار اليها ليقول بصوتٍ مهين

" لن تخرجي من هذه الغرفة الا على جثتي .....كنتِ تعتقدين أنني أسجنك من قبل ..... اذن فلترى معنى السجن الحقيقي منذ اليوم"

ثم خرج من الغرفة صافقا الباب خلفه بعنف ... بعدها سمعت صوت المفتاح و هو يغلق الباب به....

ظلت تنظر الى الباب في نحيبٍ صامت معذب و هى تشعر بأن عالمها كله قد انقلب الى جحيمٍ في لحظة واحدة .....

غرفة أخرى .... سادها جنونٌ من نوعٍ آخر .....وحشا آخر يدور هائجا أسيرا في قفصه .....يتوقف بعد كل خطوة لينظر حوله , عله يجدها ..ويكون ما حدث هو من وحي خياله المسحور بها.....

يصرخ بغضبٍ كل دقيقة ..... يركل شيئا ما كل لحظة ..... تكلم في كل مكانٍ تستطيع الذهاب اليه دون جدوى .....سأل الجميع دون أن يجد اجابة .....و كأنها تركت هاتفه فقط لتسخر من حاولاته الفاشلة في العثور عليها.....

هل يبلغ عن سرقة السيارة ..... فسيارة احمد مهران الخاصة ستنقلب لها الدنيا حتى تعود اليه ..... لكن كيف ذلك و المجنونة هي التى سرقتها .....كم سيسعد حين يأتون له بها مكبلة بالقيود .....و لو عليه لكان أحب أن تعيش خلف القضبان نتيجة فعلتها الحمقاء...

سابين .... توقف في مكانه لحظة ليهمس باسمها .....هل رحلت فعلا ....كلا هناك خطأ ما بالتأكيد , ليس بعد الليلة الماضية ...لا تستطيع أن تكون بمثل هذه القسوة أبدا.....

ما تشاركاه ليلة أمس ليس من وحي خياله .... لقد كانت ذائبة بين ذراعيه , و عينيها .....آآآآه من عينيها , لقد حكت له الف قصة جميلة ...هل كان كل هذا تمثيلا لتنهي الفصل الأخير من تلك المسرحية الهزلية .....

نظر الى المرآة لتطالعه صورة رجلا ضخما عاري الصدر مفتول العضلات مشعث الشعر و لحيته نامية قليلا .....رجلا خرج للتو من سحر ليالي الف ليلة و ليلة .....

وضع يده على الجانب الايسر من هذا الصدر الصلب القاسي و هو يشعر بألما قويا بداخله .....لقد أصابته في مقتل تلك الساحرة الشريرة اذاقته سحرها متعمدة ثم هربت بما تبقى منه.....,

اندفع الى الفراش المدمر ليلتقط تلك الورقة الصغيرة المطحونة بفعل قبضته .....ليطالعها عله يستطيع التصديق أخيرا.....

أنا أحمل طفلك بداخلي .....طفله ..... هل سابين بالفعل تحمل طفله .... أم أنها خدعة لتؤلمه أكثر.....

طفل من سابين ..... في وسط وحشية الغضب الذى تملكه بعثت هذه الفكرة ابتسامة خرقاء الى شفتيه .....طفلة ..... لكم يتمنى أن تكون طفلة بعينين زرقاوين و خصلاتٍ حريريةٍ سوداء.....

مجرد تخيل تلك الصورة بعث رعشة ناعمة الى قلبه المتألم ..... هل قلبه هو الذى يتألم ؟..... متى أحبها ..... وكيف.....

كان يريدها زوجة ليطوعها مبقيا على قوتها وشجاعتها .....كان يريد سحرها و فتنة عينيها.....

لكنه أبدا لم يظنه الحب .....لم يظن أن يعرف الحب مرة أخرى بعد ليال .....كيف سحرته و ألقت عليه لعنتها .... كان يظن لعنتها هي فتنتها الطاغية ..... الا إنه اكتشف الآن أنها أشد براعة و فتكا ....فقد ألقت عليه لعنة حبها ..... لكنها رحلت .... لم تعطه الفرصة

ليعطيها حنانه الذى كان يدخره لها بعد أن يمرا معا بتلك المرحلة التى قررها بنفسه بمنتهى الغرور.....

نظر مرة أخرى الى الورقة و هو يقرأ كلمتها ..... لكني أشد شراسة حين أحب.....

المجنونة القاسية .... أبت أن تتركه الا بعد أن تعلمه بحبها ليتلظى بنار القهر وعذاب حبها أكثر و أكثر .....

أشد عقاب له , أن تتركه و هي تراه بهذه الصورة القاسية دون أن تمنحه الفرصة ليريها ما كان يريده لها .....

انتفض فجاة بقسوة و وحشية و عقد حاجباه ..... لماذا يتكلم بصفة الماضي ..... فقسما بالله أنه لن يتركها ترحل عنه أبدا سواءا كانت تحمل طفله أم كانت مجرد خدعة مجنونة منها ..... فوالله لو كانت تلك كذبه فسترى منه أياما أشد سوادا من التى مضت ..... لكن لن يتركها ..... الخلاصة أنه لن يتخلى عنها أبدا .... ولن يسمح لها بالابتعاد كثيرا فقد تكون مستمتعة تضحك في هذه اللحظة تظن أنها قد حققت انتصارا واهيا عليه .....

لكن فلتري يا سابين من سيضحك في النهاية ..... ومن هو الذى سيأسرك في أحضانه الى آخر العمر.....

امسك هاتفه مرة أخرى ليطلب سيارة أخرى في الحال ثم توجه الى ارتداء ملابسه وهو يتوعد و يقسم بأغلظ الأيمان.....

.....

.....

.....

ما أجمل السعادة ..... ما أروع أن تصبح زوجة , هل هناك ما يوازي بهجتها الآن و هي واقفة تطهو له .... حبيبها الغالي ...طفلها الوحيد و سيد قلبها .....فارسها المغوار.....

تلك الفترة مرت عليها بمباهج الحب المتوهج ....لكن أيضا لم تكن سهلة عليها , فلقد اكتشفت الكثير من طباع فارس الصعبة و التى لم تكن تدركها جيدا قبل أن يجعلها زوجته.....

فهو شديد التملك , كثير التطلب .....أناني الى حدٍ ما , لكنها دائما ما تحتويه لتتحايل على الموقف و تمتص سوء طباعه .... لقد تألمت قليلا في عدة مواقف , لكنها تعود دائما لتضمه الى صدرها قلبا وقالبا.....

لن تتخاذل الآن بعد أن نالت مبتغاها .... تعلم أن الحياة الواقعية تختلف عن حياة الأحلام الوردية , وهي بالذات لم يكن طريقها مع فارس مفروشا بالورود .....لذا فإن كانت تحتاج الى القوة سابقا ....فهى الآن تحتاج الى أضعافها .....وسيكون الصبر هو سلاحها.

كانت تدندن بلحنٍ ناعم وهى تتمايل على أنغامه , تحرك معلقتها في المقلاة بتراقصٍ مع تمايلها .....تستنشق رائحة ماتعده بشهية و كأنها أضافت اليه القليل من حبها.....

شعرت فجأة بيدين قويتين دافئتين تمسكانِ بخصرها , فابتسمت و هي تكمل غنائها و تمايلها بين يديه القويتين ..... بينما هو نزل برأسه ليدفن وجهه في عنقها الناعم ليقلبه بشغف باعثا رعشة مجنونه في

أطرافها .....سمعته يهمس و شفتاه ملاصقتان لعنقها .....

؛" أنت تنوين اثارة جنوني بالكامل اليس كذلك .....أنت تتعمدين اغراق نفسك بهذا العطر اللعين "

اتسعت ابتسامتها و برقت عيناها بشقاوة و هي تقول باغرء

" هل ظننت أننى سأرحمك بعد أن عرفت سرك ....."

ضحك بخفةٍ و هو يجيبها صوتِ أجشِ خافت

" لا ترحميني قدر استطاعتك.....لكن اعلمي أنني سأجدك دائما بهذه الطريقة "

ضحكت و هي تميل برأسها الى الخلف مغمضة عينيها لتستند عليه ثم همست

" وهل تظن أنني أمانع ؟.....يوم تتوقف عن البحث عني لن أكون وقتها في نفس العالم معك "

لم يستطع مقاومة جمالها اكثر وهو يديرها اليه بخفة لينظر اليها لحظةٍ و كأنه يشبع من ملامحها الموجودة في خياله قبل أن ينقض عليها مهاجما بكل أسلحته دروعها واحدا تلو الآخر .....الى أن سلمت له أخيرا معلنة انهزامها أمام غزوه الهمجي ..... لكن دون أن تنسى اطفاء الموقد خلفها .....فهي تستطيع نسيان نفسها لكن لا تستطيع نسيان وجبتها المحملة بالحب له.....

بعد فترة طويلة وهي مستلقية في أحضانه كقطة مدللة همست له بشوق " أحبك..... "

فكانت قبلته الحانية هي الرد المعتاد الذى اعتادت سماعه دائما على كلمتها التى تمطره بها ليل نهار ... الن يأتي اليوم الذي يرد فيه بمثلها .....هل ستعيش لتسمعها من قلبه القاسي , بداخلها تعلم أنها ستسمعها يوما ما و ستنتظرها.....

مررت يدا حانية على بطنها المسطحة وهي تتخيل نمو طفلا صغيرا بداخلها ... مع أنها تعلم أن ذلك لن يحدث الا بعد أن يقرر فارس اعطائها الإذن بالموفقة ....

التفتت الى وجهه الحبيب المسترخي ثم لم تستطع منع نفسها من الهمس

" ألم يحن الوقت بعد يا فارس..... "

نظر اليها مقطبا جبينه و هو يسأل " لأي شيء ؟....."

ابتلعت ريقها و همست مترددة " الأطفال..... "

أغمض فارس عينيه وهو يتأوه بملل قائلا " ليس مجددا ..... الم ننتهي من هذا الموضوع بعد ؟"

عبست وقد انتابها العند هى الأخرى فقالت بحدة " سننتهي حين تعطيني سببا منطقيا لرفضك المتعنت... "

قست عيناه و بان الغضب على ملامحه الا إنها رفضت أن يرهبها غضبه , هذا حقها و هي تنوي الحصول عليه فقالت بشجاعة

" فارس .....لما هذا الرفض ؟"

قال لها بغضب و نفاذ صبر " ما الذى أستطيع أن أقدمه الى طفلٍ صغير .....أنتِ ستتحملين مسؤليته بالكامل , لن أستطيع أن أساعدك بشيء,..... هل تدركين ذلك "

قالت له بسرعةٍ و صلابة " أنا أعرف ذلك جيدا ..... وأنا أرحب جدا بتحمل مسؤلية ابني كاملة و بالنسبة لك فأنت لديك الكثير لتقدمه الى طفلك ... هذا ليس سببا مقنعا يا فارس "

نهض جالسا على الفراش بحدة و هو يقول بصوتٍ قاطع

" هذا الموضوع سينتهي الآن و هو غير قابل للنقاش "

فجلست هي الأخرى و هي تكاد تكتم انفعالها الشديد و هي تقول بحدة

" لحظة واحدة ... دعني أفهم ذلك جيدا ... أنت ترفض أن أتابع دراستي و ترفض أن أعمل ..... و ترفض أيضا أن أكون أم ..... لا اصدق "

قام من الفراش منفعلا و هو يقول بصرامة " بل صدقي .....و أريد أن ينتهي هذا الجدل العقيم حالا "

صرخت سما و قد فقدت التحكم في نفسها " بل لم ينتهي بعد .... لا أصدق مدى أنانيتك "

التفت اليها و عيناه المتوحشتان تكاد أن تفترسها و هو يصرخ مزلزلا الغرفة

" نعم ..... نعم أنا أناني لعين , و أنتِ تعلمين ذلك جيدا .....أنا لم أخدعكِ من قبل "

صرخت هي الأخرى " وماذا لو أصريت على طلبي ....."

نظر اليها عابسا بشدة و هو يمعن في كلامها ثم قال بلهجة تهديدٍ مخيفة

" إن كنتِ تفكرين في خداعي و وضعي أمام الأمر الواقع ..... لأجدك تخبريني يوما أنك تنتظرين طفلا , فلا تلومي الا نفسك يا سما "

ذبحتها كلمته فهمست غير مصدقة ما سمعته " خداعك..... "

فسكتت و قد حفر الألم معالم وجهها ... يا الهي ما أشد قسوته ..... لم تكن تعلم أنه بمثل هذه القسوة ....و الظلم.....

سابقا حين كان يصرخ بها و يأمرها و أحيانا تتطاول يده عليها .....لم يكن الألم حينها يوازي ما تشعر به الآن .... فهي سابقا كانت تعلم أن عجزه هو السبب في قسوته بينما في داخله يقبع طفل وحيد يخاف من الظلام المحيط به.....

لكن الآن ..... ترى منه وجها آخر ... وجها شرسا ..... وجها لا تستطيع أن تبرر له تصرفاته القاسية.....

وضعت يدها على فمها مغمضة عينيها و هي تطلق شهقة بكاء مرير.....

استدار فارس ناحية باب الغرفة يسير اليه مستعينا بعصاه الرفيعة الخرقاء و التى أخذت تتخبط بكل شيء في الغرفة.....

كانت سما قد ساعدته الأيام الماضية على عد خطواته وحفظ عدد كلا منها في كل جزء من منزلهما الجديد ليعتاد على التحرك به.....لكن الآن يشعر انه نسي الأعداد التى حفظها كلها ..... حتى بات الخروج من باب الغرفة يشبه الخروج من متاهة .... خاصة حين تلاحقه شهقاتها المعذبة.....

.....

.....

.....

أخذت ايثار تمشي بعصبيةٍ جيئةٍ و ذهابا .....عيناها تلمعان بوحشية وجسدها يتمايل كما تتمايل الكوبرا ..... , كعب حذاءها المسنن الرفيع و الذى يصلح لأن يستخدم كسلاحٍ قاتل يطرق على الأرضِ اللامعة بجنون .....

تمسك بهاتفها تنتظر اتصالا منه لكن دون جدوى.....

همست أخيرا بغضب :" ذلك الغبي .... لقد أكدت عليه أن يكلمني ..... تبا .... تبا ...إنه أخرق لا يعتمد عليه "

زفرت بحنق و هي تتخلل خصلاتِ شعرها السوداء الطويلة بأصابعها الرفيعةِ كالمخالب و المزينة بخواتم ثمينة هي كل ما تبقى لها من زمنٍ مضى.....

همست أخيرا بحنقٍ لنفسها " لا جدوى من ذلك ..... سأكلمه أنا , أوف لن أستطيع الإنتظار أكثر "

طلبت رقمه و هي تنتظر الرد على احر من الجمر الى ان فتح الخط اخيرا فلم تصبر قبل ان تصرخ بشدة

" أين كنت أيها الغبي ..... ألم أعيد عليك أكثر من مرة أن تتصل بي ما أن تصلا "

لم تسمع سوى هسيس أنفاسا غاضبة ..... ففكرت بسخريةٍ أن هذا الصعلوك يشعر بالإهانة ... بعد أن أمنت له وظيفة في القصر .. أصبحت لديه كرامة ليعتد بها , بل و تجرأ على أن يحب زوجة صاحب القصر أيضا ..... يا له من أحمق.....

اعادت عليه بمنتهى الصلف و الغرور

"المهم أخبرني ..... هل انهارت كالعادة أم أنها استطاعت الصمود؟, ... هل طلبت منك الذهاب الى ادهم ؟.....لماذا لا تجيب أيها الأحمق هل أصابك الصمم "

مع صراخها الأخير انقطع الخط ... فنظرت الى الهاتف بذهول و هي غير مصدقة لما فعله .... لقد أغلق الخط .....الحقير الصعلوك أغلق الخط.....

رمت الهاتف على الأريكة بعنف وهي تصرخ كجنية شريرة ..... ثم أخذت تسير كالمجنونة و هي تفرك أصابعها بعصبية.....

لم تعلم كم مر عليها و هي في هذه الحالة المجنونة ..... الى أن سمعت فجأة صوت جرس الباب فعقدت حاجبيها و هي تتسائل عن هوية القادم اليها الآن .....ثم اتجهت الى الباب لتفتحه ... و بعدها و قفت متسمرة مكانها و هي تتطلع الي وحشٍ كاسر بعيونٍ شيطانية.....

.....

.....

.....

كانت سما مستلقية على فراشها بعيونٍ مفتوحة متورمة من كثرة البكاء .... منذ ساعة واحدة حملها فارس على جوادٍ أبيض الى عالمٍ من مشاعرٍ هوجاء دافئة أذابت قلبها ..... هكذا هي العلاقة بينهما ... رائعة جدا بل اكثر من رائعة فلماذا الآن تشعر و كأن خنجرا مسمما قد غرز في صدرها.....

لقد آلمها هذه المرة جدا , حتى أنها لا تعرف إن كانت ستستطيع نسيان ما قاله .....إنه لا يريد طفلا منها ....

ببساطة لا يريد , فأعذاره واهية و أنانية للغاية ..... إن كان يحبها حبا حقيقيا لما كان قسى عليها بهذا الشكل ...

إنها تشعر بأنه طعنها في أنوثتها , ... بالرغم من كل المشاعر العنيفة التى يجرها و يلقي بها فيها كل يوم , الا أن كلماته القليلة الآن كان لها تاثيرا أعمق و أفظع عليها كامرأة تريدُ أطفالا من زوجها.....

لم تشعر يوما أنها ضعيفة مثلما تشعر الآن .....ظلت لاكثر من ثلاث سنوات قوية لا يرهبها بقسوته .....محبة لا تشك في قوة حبها له ....محاربة لا تضعف أبدا ..... فهل بدأت تستسلم الآن ..... في مجرد بضعة أسابيع ستنسى تعب ثلاث سنوات و أكثر.....

قاطع افكارها الحزينة صوت فارس و هو يصرخ غاضبا منفعلا اثناء مكالمته لأحد ما ..... فانتفضت مذعورة و هي تجري اليه لتجده يلقي بهاتفه على الطاولة بغضب ....

فسألته بقلق " ما الذى حدث يا فارس .....من كان يهاتفك ؟"

التفت اليها غاضبا و قال بانفعال زائد " هذا ما نحصل عليه بسبب عائلتك الكريمة..... "

اتسعت عيناها و نهش القلق أعماقها فسألته بسرعة " ماذا حدث ؟.....تكلم أرجوك "

قال بسخرية غاضبة " يبدو أن المجنونة أختك قد قررت فجأة بعد انقضاء شهر العسل ... أن الزواج لا يلائمها تماما فرحلت بمنتهى البرود ..... و ها هو احمد يكلمني صارخا يهدد و يتوعد إن كنا نخفيها عندنا ..... وكأن سابين تحتاج الى مساعدتنا "

ذهلت سما مما سمعته فقالت برعب

" مستحيل ..... مستحيل أن تفعل سابين ذلك لابد أن هناك خطأ ما ..... إن سابين تحب احمد جدا "

فقد السيطرة على نفسه و هو يصرخ

" حب ..... حب ..... حب ..... ألن تفيقي من أحلامك السخيفة تلك أبدا , كل شيء لديكِ تقيسينه بمقياسِ العواطف و الشيء الهلامي المسمى حبا ....و هل تعرف سابين الحب أصلا .....متى ستكبرين , يبدو أن علي تحمل عبء طفلةٍ الى ما لا نهاية "

شعرت و كأنها تلقت لكمة في معدتها من قسوة كلماته فظلت تنظر اليه بصمت و قد وصلتها الحقيقة التى تجاهلتها طويلا .....هو ايضا صمت تماما و كانه علم بانه فضح افكاره اكثر مما ينبغي....

ظل الصمت يظللهما طويلا ... و كأن كلا منهما ينتظر الآخر ليبدد ما هو فيه ويطمئنه أن كل شيء على ما يرام ..... لكن لم يجرؤ أيا منهما على الكلام.....

أخيرا نطقت سما بمنتهى الهدوء و ضبط النفس

"سأكلم سابين لأطمئن عليها , لعلها تجيبني..... "

و خلال لحظة كانت تنتظر صوت سابين و القلق يعصف بداخلها .....الا ان صوتا رجوليا اجابها بانفعال , فنظرت الى الهاتف لحظة ثم ارجعته الى اذنها مرة اخرى و هي تقول بتردد

" سيد احمد ؟ أهذا أنت ؟..... لماذا هاتف سابين ليس معها ؟"

انهال عليها صراخا حادا كاد أن يصم أذنها فأبعدت الهاتف قليلا وهي تغمض عينيها..... لكنها عادت

لتفتحهما مذعورة حين شعرت بالهاتف يخطف من يدها وصوت فارس يصرخ به بجنون و توحش

" إياك أن تتحدث مع سما بهذا الإسلوب مرة أخرى ..... اذهب لتبحث عن زوجتك بعيدا عنا "

ثم اغلق الهاتف بعنف وهو ينظر امامه بغضبٍ اعمى ..... تعلم انه ليس بسبب موضوع سابين ابدا .....الا انها لم تهتم به الان فكل ما يشغل بالها حاليا هو سلامة سابين ..... فقالت ببرود

" انا ذاهبة الى امي ..... فبالتاكيد سابين ستعود الى شقتها القديمة "

شعر من لهجتها الحازمة انها تتحداه ان يرفض .....فقال ببرودٍ يماثل برودها

"ساذهب معك..... "

ثم قاطع احتجاجها و هو يقول بقسوة " لا تجادلي ..... فأنا أعصابي لم تعد لتتحمل أي استفزاز "

نظرت اليه بقسوة ثم اتجهت لتبدل ملابسها صافقة الباب خلفها بأقصى ما تستطيع.....

.....

.....

.....

تراجعت ايثار بخطواتٍ متعثرة , بينما هو تقدم الى داخل الشقة ليغلق الباب خلفه .....للحظاتٍ طويلة لم تستطع ايثار النطق من شدة الخوف ..... كان منظره رهيبا بشعره الاشعث و عينيه الحمراوين ... وقميصه المفتوح الى منتصف صدره.....

انه على وشكٍ ان يقتلها .... هذا ما استشعرته من نظراته المجنونة .....فقط نظراته هي التى اتسمت

بالجنون , اما وجهه فقد بدا و كانه صنع من حجر من شدة تصلبه.....

حاولت استرداد قوتها و هى تقول بسخريةٍ زائفة

؛" لمن ادين بمثل هذا الشرف ؟....."

ظل صامتا ليزيد من رعبها ثم اجابها اخيرا بصوتٍ هادىء ارسل الرعشة الى اوصالها

" الى حماقتك في العبث معي..... "

ازداد رعبها اضعافا مضاعفة بينما هوينظر اليها لا يحيد بعينيه عن عينيها الى ان قال اخيرا بصوتٍ كالفولاذ وهو يخرج شيئا من جيبه

؛" هل تعرفين ماهذا ؟....."

نظرت الى هاتفٍ غريب في يده المرفوعة بتوجس , ثم ابتلعت ريقها بصعوبة و هي تهز راسها نفيا

لكنه لم يتابع بل كل ما فعله هو أنه طلب رقما .....وسرعان ما تصاعد رنين هاتفها الملقى على الاريكة .....

سقط قلبها بين قدميها و عرفت أن لا جدوى من الإنكار ... فهى تعلم جيدا الوقت المناسب للتراجع دون الحاجة الى الإستجداء فصمتت منتظرة الآتي منه ..... فأكمل ادهم بهدوء مخيف

" انتهكتِ حرمة بيتي ... وأدخلتِ شخصا حقيرا ليراقب أسرار زوجتي و يتقرب منها ..... "

ظلت صامتة و صدرها يعلو ويهبط بسرعة.... ثم فجأة سقطت يده مرة واحدة على وجهها دون اي انذار و حتى قبل أن ترمش بعينيها

رفعت يدها لتغطي بها خدها الملتهب و هي تنظر اليه بذهول و عيناها مصعوقتان برعب .... ثم استطاعت الهمس أخيرا

" هل جننت ؟..... كيف تمد يدك الى وجهي ؟"

نظر اليها بذاتِ الهدوء الشرس قائلا

" احمدي ربك أنكِ أم حلا ..... حتى ولو بالإسم , لولا هذا لكان لي تصرف سيمحيكِ من على وجه الأرض , ان اقتربت على مسافة أقل من نصف المدينة من حلا فتأكدي أنكِ ستجديني أمامك "

مد يدا مفرودة اليها و هو يصرخ للمرة الأولى بشدة

" هاتِ خاتم حلا .....حالا "

ذهبت مرتجفة متعثرة الى احدِ الادراج لتخرجه ثم القت به بغلٍ فالتقطه ادهم بكلِ سهولة ثم استدار ليغادر ..... الا أن صوت ايثار الصارخ أوقفه وهي تقول بجنون

" ادهم ..... خذ هذا "

التفت اليها ليجدها تطوح بإسطوانةِ صغيره لتطير و تسقط عند قدميه ..... ثم قالت بتشفي و حقد

" فلتشاهد ما فيه ..... لتعلم ممن انت متزوج "

.....

.....

.....

كانت حلا جالسة على أرضِ الغرفة من وقتها لم تتحرك و لم تكف عن البكاء على كل أحلامها الضائعة .....و

فجأة سمعت صوت المفتاح و الباب يفتح .....نظرت بهلع الى ادهم الذى دخل الى الغرفة الذى أخذ يقترب منها بخفة الفهد ..... فأخذت تتراجع الى أن التصقت بالجدار خلفها تماما برعب , رافعة ركبتيها الى صدرها و كأنها تحاول حماية نفسها من عنفه الذى ينتويه.....

نظر الى رعبها المثير للشفقة باشمئزاز ..... ثم اقترب أكثر الى أن وصل اليها , فرفعت ذراعيها لتداري بهما وجهها خوفا من بطشه

شعرت فجأة بجسد ضخم هد الأرض وهو يجلس بجانبها , فرفعت رأسها بتردد لتنظر اليه و قد استند الى الحائط بجوارها ملقيا رأسه الى الخلف و قد بان التعب عليه في أشد صوره .....لكم تمنت في هذه اللحظة أن تضمه الى صدرها لتمحو تعبه , الا إنها ما كانت لتتجرأ أبدا.....

شاهدته يخرج من جيب قميصه الاسطوانة المرعبة و هو لا يزال مغلقا عينيه ..... ثم قال بصرامة

" هل هذه هي ما كانت تخيفك ؟....."

شهقت بشدة و هي تصرخ صرخة مخنوقة و هي تتعثر في الكلام باكية بشدة

" هل شاهدت ما فيه ..... ادهم ارجوك .... لم يكن ذلك برغبتي ..... كنت مجبرة .....لم اكن.... "

لم يفتح عينيه ولم ينظر اليها بل ظل ساكنا في مكانه ثم قال أخيرا

" لم أشاهدها بعد ..... انتظرت الى ان آتي اليك "

صرخت بصوتٍ أعلى و بكت بشدةٍ و ظلت تبكي و تبكي دون أن تتوقف خوفا من المصير المحتوم

"حلا..... "

نظرت اليه برعب ثم سكتت تماما حين فوجئت به يمسك الاسطوانة بيديه ليكسرها نصفين .. ثم أربع

ظلت تنظر الى الأجزاء المكسورة بذهول ثم شعرت به ينهض واقفا من جوارها .....ليلقي اليها بصحيفة مطوية على حجرها .....انطلق بعد ذلك ليغادر الغرفة مغلقا الباب خلفه بالمفتاح

فتحت الصحيفة بيدين مرتجفتين لتطالعها صورة لشخصٍ لن تنساه أبدا .....كانت صحيفة أجنبية استطاعت تجميع الكلام منها لتقرأ الخبر الذى يذكر أن مجهولون قامو باقتحام منزل رجل أعمال شهير معروف باعمالٍ سريةٍ مشبوهة...

و قد قاموا بتهشيم يديه ثم خرجوا مباشرة..... مما يدل على أنه فعلا الغرض منه التهديد أو الانتقام.....

ظلت تنظر بذهول فاغرة شفتيها الى الصورة ..... وفي ذهنها تطوف عبارة واحدة

كان يعلم ..... كان يعلم من البداية.....

ثم سقط فجأة شيئا لامعا من بين صفحات الجريدة الى ركبتيها ....كان .....كان خاتمها .....

الفصل الحادي والعشرون

كانت سما جاثية على ركبتيها أمام ساقي ايثار الجالسة تحدق أمامها بشرود ...فحاولت مرة أخرى و هي تربت برقة على ركبتها قائلة بعطف

" أمي ماذا بكِ ؟.....لماذا لا تتكلمين معي ؟..... هل حدث شيء ؟....."

ظلت ايثار صامتة تنظر الى البعيد ....عيناها شاردتان مكسورتان , حتى كادت سما الا تتعرف اليها , إنها المرة الأولى التى ترى فيها أمها بهذه الصورة.....

أول مرة لا ترى اللهب الأزرق المنبعث من عينيها ليحل محله ذلك الإنكسار الغريب .... هل بدأت ايثار الراشد تفقد قوتها .... شعرت دائما أن هذا ما لن يحدث أبدا , فايثار التى عرفتها لا مكان للضعف أو الإنكسار في قاموسها....

مدت أصابعها لتتلمس وجنة ايثار التى ازرقت قليلا ثم همست

" ما هذا ؟.....هل ارتطمتِ بشيء ؟..... هل أنتِ مريضة امي ؟ هل شعرتِ بالإغماء و سقطتِ ؟....."

" سما نحن هنا مما يقارب الساعة ولا أسمع أي تجاوب منها .... كما أنه من الواضح أن سابين لم تأتِ الى هنا.....فلنذهب "

رفعت سما رأسها اليه لتنظر بغضبٍ الى قسوة ملامحه ولامبالاته .....الا أنها أخذت نفسا عميقا لتسيطر على نفسها ثم عادت لتنظر الى ايثار قائلة برقة

" أمي هل تعرفين أين هي سابين ..... احمد مهران يبحث عنها كالمجنون في كل مكان , أنا قلقة عليها للغاية ..... هل هذا ما يشغل بالك أنتِ ايضا ؟ هل أنتِ قلقة عليها ؟...اطمئني فمهما كان قلقي انا ايضا , لكني اعرف ان سابين قوية و لن تتهور ابدا "

قاطعتها ضحكة هازئة من فارس لم يستطع كتمها .....فنظرت اليه بحنقٍ و قالت بهدوء قدر الامكان

" فارس .... من فضلك ... الا ترى أن الوضع لا يتحمل سخريتك "

انعقد حاجباه بغضب و اختفت السخرية من عينيه و ظهرت القسوة بهما و هو يقول بغضب

" وما دخلي أنا بهذا الوضع ؟.....إن أرادت أختك الرحيل فلترحل و سيكون احمد وقتها هو الرابح ....."

لمعت عيناها بغضبٍ أشد من غضبه و لم تستطع تمالك نفسها و هي تقول محتدة

" فارس الّم تستطع تقديم دعمك فلتنزل و تنتظرني في السيارة .....الا ترى أن أمي قلقة و متعبه للغاية ؟....."

صدرت عنه ضحكة عالية مستهزئة خالية من كل أنواع المرح أجفلتها .....ثم عاد ليقول بشراسة

" من تلك التى تقلق ؟ ....ايثار ؟؟.....يبدو أنك لا تعرفين أمك جيدا , إنها لا تملك أي ذرة أمومة .... لا تعرف معنى الكلمة أصلا .... هل تتوقعين مني أن أصدق أن تلك التى باعتك و أنتِ أكبر قليلا من طفلة و لم تسأل عنكِ بعدها أبدا ...من الممكن أن تقلق على أيا كان غير نفسها ؟....."

نظرت اليه سما واجمة متألمة من شدة قسوته .....ها هو يعود لينكأ الجرح القديم , أما من حدٍ لقسوة قلبه .....الا يرى أنه يؤلمها بتطرقه للماضي .... الهذه الدرجة أحبت شخصا أعمى القلب.....

لكن قبل أن تنطق بحرفٍ واحد شعرت بايثار تنهض واقفة لتتعداها , ثم أخذت تصفق بيديها ببطء شديد وهي تقول بفحيح الأفعى وقد عادت اللمعة الشريرة الى عينيها الحاقدتين

" رائع ..... رائع , أن أسمع فارس مهران وهو يقيم أدائي كأم .....تشعر الآن بأنك البطل الذى أنقذ سما الصغيرة مني اليس كذلك ؟"

اشتدت القسوة أكثر و أكثر في عينيه حتى بات شكله مخيفا وهو يستمع الى همسها الذي يبث السم في عروقه .....بينما أكملت همسها الشرس

" لكن قبل أن تتكلم بهذه الثقة فلتقم بسداد كل ديونك عن دورك في هذه الصفقة ِ القذرة "

أخذت سما تنقل عينيها بينهما و شرارات الغضب و الغل تتذبذب بينهما ..... تشعر ان هناك اسوا مما عرفته يوما منهما .... ابتلعت ريقها وهي تدعو الله الا تسوء الامور أكثر , فقلبها لم يعد يحتمل المزيد من الجراح .....الى أن تكلمت ايثار مطلقة طلقاتها الى صدر سما متتالية

" يبدو أنك نسيت ..... او تناسيت .....أن دورك في "صفقة الشراء " كما تسميها ..... ينتهي في خلال ثلاث سنوات "

اتسعت عينا فارس قليلا و توقفت أنفاسه و هو يحاول التقاط أي اشارة من سما التي كانت تستمع اليهما بكل انتباه .....لكن ايثار لم ترأف بها وهي تتابع بوحشية

" ارتديت درع الفارس و خطفتها بعيدا وأنت توهمها بأنك المنقذ المغوار ..... في حين لم تخبرها أنك أنت و أباك قد اتفقتما معي على أن زواجكما لن يطول عن ثلاث سنوات أو أقل .....إن استعدت بصرك "

ذهلت سما وهي تتلقى هذا الخنجر المسموم في قلبها ثم هزت رأسها قليلا تحاول اقناع نفسها بأنها لم تسمع ما سمعته للتو .....لكن ايثار لم تعطها الفرصة بل تابعت

" لقد دفعتما ثمن ثلاث سنواتٍ من حياة ابنتي ..... و أكد لي والدك وكنت أنت حاضرا, أنها ستعود الي بعد هذه الفترة لتتابع حياتها و دراستها ..... لكن ها أنت تتفاخر و تتباهى بأنك البطل الوحيد هنا , لذا فبما أننا قد كشفنا أوراقنا ..... اذن أظن أنه من العدل أن تعترف بأن زوجة دائمة و في مثل حالتك ...هي أغلى ثمنا من زوجةٍ مؤقته استخدمتها كمسكن لأوجاعك "

" اخرسي..... "

انطلقت صرخة فارس المتوحشة من أعماق حنجرته ..... ثم خفض صوته وهو يهمس مترجيا

" سما..... "

كانت سما لا تزال جاثية على ركبتيها على الأرض تتطلع الى كلا منهما بنظرةٍ ميتةٍ لا حياة فيها .....صمت .....صمت .....فراغ أسود هائلا أحاط بها ..... الى أن جعلتها همسته الضعيفة تعود لتتطلع الى وجهه وكأنها تراه لأول مرة.....

قال فارس بصعوبةٍ وهو يشعر بألمها ينفذ الى قلبه دون أن تصدر صوتا

" سما ..... ليس الأمر بهذا الشكل ..... إنها مغرضة ملعونة لا تدعيها..... "

همست سما بكل هدوء و هي تقاطعه

" لا أدعها ماذا يا فارس ؟.....تخرب زواجنا ؟.....لكن حسب ما فهمته الآن , أن زواجنا قد انتهت صلاحيته منذ عدة أشهر "

همس فارس متأوها " لا ....." الا أن سما لم تعطه الفرصة للكلام فنهضت واقفة وهي تتابع بهدوء أكثر خطرا

" ثلاث سنوات ؟؟ ..... و أنا التي كنت أظن أنني أهب حياتي لشخصٍ بحاجةِ الي .....حرمتموني من دراستي و نفيتموني بعيدا .....من أجل ثلاث سنوات فقط ؟؟.....ما اسم هذا الزواج ؟..... زواج متعة اليس كذلك ؟؟.....أم زواج مصلحة ؟؟.....أم هو مجرد مسكن كما قالت امي ؟؟"

صرخ فارس بعصبية " لا تدعينها بكلمة امي .....حتى الحيوانات تمتلك من الامومة يفوق ما تمتلكه هي "

ظلت سما واقفة أمامه تنظر اليه ..... ملامحها لم تتغير أبدا ..... لكن قلبها تحطم الى الف قطعةٍ ليسحقها بقدمه.....

وقد كانت تظن أن حظها أهون من حظ حلا .....كانت تظن أنها قدمت حياتها في سبيل انسانٍ احتاجها يوما .....انسانا عشقته بكل جوارحها .....بينما هي كانت مجرد لعبة مؤقتة ليلهو بها فارس آل مهران .....الأسد أعمى القلب و الروح.....

بعد أن أصبح الصمت لفترةٍ طويلة هو الوحيد المسموع صوته بينهم بعباءته الخانقة قررت سما أخيرا قطعه قائلة بكل حزم

" بما أن فترة ايجاري قد انتهت يا فارس , فأنا الآن حرة تماما ..... لذا ..... فأنا سأبقى معك .....لأنك تحتاجني .....لكني سأكون مسؤولة عن كلِ قرارٍ يخص حياتي من الآن ....و أولها أنني سأتابع دراستي .....أما موضوع الأطفال فاطمئنك أنني لم أعد أريد أطفالك بعد الآن..... "

عاد الصمت ليسود مرة أخرى بعد كلماتها الحاسمة .....شعر فارس بعدها بقبضةِ ثلجية اعتصرت صدره .....فقد أصابته كلماتها في مقتل ..... سأبقى معك لأنك تحتاجني .....لا أريد أطفالك بعد الآن.....

في لحظةِ واحدة انهارت كل أسواره العالية التي بناها حول قلبه الظالم .... طعنته بكلماتها البسيطة أكثر مما لو كانت استخدمت سكينا لتغرسه بقلبه ...بكرامته .....برجولته....

احساسا فظيعا أن يشعر المرء بالعجز و الحاجة .....و ها هو أسد آل مهران يقف ذليلا مقهورا أمام شابة صغيرة , تملي عليه شروطها لتبقى معه ..... تخبره بكل وضوح أن الرابط الذى لا ينفصم و الذى كانت تترجى من أجله منذ ساعاتٍ قليلة ...أصبح غيرِ ذا اهمية بالنسبةِ اليها.....

إن كان هو اشتراها منذ ثلاث سنوات فقد أوضحت له الآن بكل ثقةِ أنها على استعدادِ لبيعه بنفس بساطة شرائها .....ها هي الصغيرة تكبر و تملي الشروط ..... ها قد جاء يوما كان ينتظره من أول يومٍ لهما معا .... أخذ يحثها و يدفعها لتقف الآن أمامه بكل هدوئها و ثقتها .....

قال أخيرا بصوتٍ أجش قاسٍ

" وماذا لو رفضت ؟....."

صمتٍ لعدة لحظات كان كفيلا باشعال النار بقلبه و تدمير أعصابه تماما الا أنه أبى أن يظهر أيا من ذا على ملامحه القاسية ....الى أن نطقت سما بصوتٍ ورث في لحظةٍ واحدة جينات فحيح الأفاعي وهي تهمس

" اذن .....لن يكون أمامنا الا حلا واحدا .....أن نجدد عقد شرائي من جديد ..... لقد انتهت الثلاث سنوات يا فارس , فلتدفع اذن ثمن السنوات القادمة "

القت سما قنبلتها المدوية في المكان لتثير ذهول ايثار ...و روح غضبٍ شرسٍ هاجعة بداخله ...هل هذه هي سما فعلا من تكلمت ؟....أم أنها ايثار ؟..... أصبح غير متأكدا من الصوتٍ فجأة .....لكن حتى و إن كانت ايثار ..... فإن سما لم تقفز لتمحو كلامها البشع .....اذن فما سمعه صحيح .....ودون أن يفكر مرتين قال بكل هدوء

" لا داعي لذلك .....لقد أصبحتٍ بضاعة مستهلكة بالنسبةِ لي "

غامت عيناها فقد علمت الجواب مسبقا ..... لآخر لحظةٍ كانت تعتقد أنه سينتفض صارخا محطما جاذبا إياها .. حتى ولو من شعرها ...لكن ليخبرها أنها له و أن أيا من جنونها الذي نطقت به لن يخدعه و لن يبعده عنها.....

لكن ها هو استسلم بمنتهى الضعف .... صدقها الأعمى بمنتهى الغباء .... وكأنه كان يعيش مع أخرى غيرها لاكثر من ثلاث سنوات .....لم يعرفها يوما..... لم يشعر بحبها أبدا.....

همست أخيرا وهي تكاد تنازع الموت " اذن لم يعد هناك ما يقال بيننا..... "

أوما رأسه قائلا بصوتٍ مختنق " نعم... "

ثم أكمل بعد أن أخذ نفسا محاولا به أن يهدىء من ضربات قلبه الممزقة

" سأغادر الآن ..... لا تنزلي معي سأستقل سيارة أجرة .....البيت مفتوحا لكِ في أي وقت ..... إن أردتِ أخذ أشيائك "

ثم غادر ببطء حين لم يتلقى ردا على كلماته الوقحة القاسية .... لكنها ليست اكثر قسوة من كلماتها .....غادر تاركا خلفه قطعة من قلبه ...القطعة الأحلى و الأغلى .....قطعة الحلوى التي لم يذق منها سوى طعم السعادة ..... صغيرته و أمه التى لم يرها سوى من خلال عطرها الناعم .....تلك السحابة التى ظللت أيامه بألوان الطيف.....

ها قد حانت اللحظة التى سعى اليها بكل جهده ..... لحظة رحيلها من حياته , بعد أن حول براءتها الى قسوةٍ اكتسبتها منه.....

ها قد دمر الشيء الجميل الوحيد الموجود بهذا العالم .....ايثار بنفسها لم تنجح في ما نجح هو .....ظلمها كثيرا فكان يغذي وحشا صغيرا بداخلها.....لم يعد لديه سوى الرحيل فلربما تستعيد سماه ما دمره بعجزه و عماه.....

بعد أن أغلق الباب خلفه بهدوء اقتربت ايثار منها لتلمس أنهار الدموع المنسابة على وجنتها بنعومةٍ هامسة

" أخبرتك سابقا أنه سيعود دوما ..... من ذا الذى يستطيع الابتعاد عن سما الراشد "

رفعت سما يدها لتقبض على يد ايثار بقوة كادت أن تحطم أصابعها .... ثم التفتت لتنظر اليها بعيني نمرة صغيرة و هي تقول بصلابة

" حان الوقت لترحلي أنت أيضا من حياتي .....لقد اكتفيت منك .....يا ايثار الراشد "

ثم رمت يدها بعيدا لتندفع آخذة حقيبتها ... خارجة هي الأخرى من هذا المكان الذي شهد اغتيال روحها ..... بيديهما معا.....

.....

.....

.....

كان يصعد السلم بتثاقل ممسكا بسياجه .... لا يذكر يوما أنه كان متعبا مهزوما كما هو الآن.....

يوما طويلا من الألم و الإجهاد و نيران الغضب التي اندلعت بأعماقه ..... حلا التي أراها وجها لم يره الا أشد اعدائه .... وجها كان يخفيه عمن حوله ... الوجه الخفي الذي يتسم به كل رجل من رجال آل مهران .....

قاطع صوت السيدة اسراء أفكاره السوداء و هي تقول بصرامة

" سيد ادهم .....لقد أغلقت الباب على السيدة حلا طوال اليوم دون حتى أن تعطيني المفتاح , لم أستطع حتى أن أدخل لها الطعام ....أنا لن أقبل بهذا أبدا ..... كما لن يقبل به أي شخص في قلبه ذرة من رحمة "

التفت ادهم اليها ببطء ليرسل اليها نظرة كفيلة بإلقاء الرعب في قلبها .... الا إنها رفضت هذا الارهاب و وقفت أمامه بصلابة مصرة على موقفها

فقال ادهم بصوتٍ خفيضٍ مرعب " سيدة اسراء .... هل تعتقدين أنه من الحكمة أن توجهي الي أي نقد , بعد أن فشلتِ تماما فيما أنتِ هنا من أجله "

ظلت السيدة اسراء مكانها بثبات ترفض أن يجرها للحديث عن هذا الشخص الذى وظفه بنفسه و قبل أن تأتي هي الى هنا

انتظرت عدة لحظاتٍ حتى تأكدت أنه يحاول التحكم بنفسه ثم قالت باحترامٍ حاسم

" سيدي ..... مهما كان ماحدث فالسيدة حلا ضعيفة للغاية وقابلة للإنكسار في أي لحظة و هذا الأسلوب سيعجل من انهيارها ... لقد اتصلت السيدة سمر اليوم أكثر من عشر مرات لتطمئن عليها , لأنها لا تستطيع الوصول اليك ..... حتى أنها كانت تنوي المجيء الى هنا لكن غيرت رأيها و بلغتني أن أوصل لك رسالة بأن السيدة حلا لن تحتمل طويلا ما يحدث و قد يحدث ما لا يحمد عقباه "

غطى ادهم عينيه بيده و هو يزفر بعنف ثم قال هادرا بعد لحظة

" لما لا تتركوني أتصرف مع زوجتي و تبتعدوا كلكم عنا ..... هل هذا طلبا صعبا للغاية ؟"

قالت السيدة اسراء بقوةٍ تحاول الدفاع عن منطقها

" لا تنسى أنك أنت من استعان بنا في البداية يا سيد ادهم "

نظر اليها بدهشةٍ وعيناه تلمعان بوحشية

" يبدو أنني أعطيتك سلطة أكثر من اللازم , فأنتِ تنسين أنكِ مجرد موظفة هنا "

قالت السيدة اسراء بنفس الحزم

" تستطيع أن تسحب هذه الوظيفة وقت تشاء يا سيد ادهم ..... لكن حتى ذلك الحين فأنا أرفض أن أبقى تحت سقفِ واحد مع السيدة حلا وهي تعامل بهذه الطريقة ..... إن حدث وانهارت أمام عيني فلن أسامح نفسي أبدا "

أغمض ادهم عينيه وهو يشعر بأنه قريب من الموت في هذه اللحظة ثم قال بعد أن أخذ نفسا عميقا

" أحضري طعام حلا الى الغرفة..... "

ثم نظر اليها نظرة قاسية لتمتنع عن الاحتجاج الذى كانت ستتفوه به , فلم تجد بدا من تنفيذ ما أمر به

فشكله يوحي بأن أي جدلِ آخر معه سينتهي بكارثةِ أخرى و قد تتحمل عواقبها حلا , فذهبت مسرعة للمطبخ لتحضر طعام تلك المسيكنة التي لم تذق شيئا منذ الصباح الباكر

دخل ادهم الى الغرفة وقلبه يسابق عينيه في البحث عنها .. سبب كل تعبٍ ألم به منذ سنين عديدة .. صغيرته التي يتسابق الكل في محاولة خطفها منه.....

عثرت عليها عيناه وهي لاتزال في نفس مكانها جالسة على الأرض تسند رأسها على ركبتيها .... اقترب منها ببطء حتى وصل اليها ثم هبط يجلس القرفصاء الى جانبها لكن دون أن ترفع رأسها فعلم أنها راحت في سباتٍ عميق من شدة التعب...

شعر بحجرِ مدبب قابع في حنجرته وهو ينظر الى الرأس المحني ذو الخصلاتِ الناعمةِ المنسدلة .... فمد يده

ببطء ليتلمس قمة رأسها بحنان و هو يشعر بقلبه يرق لها ولضعفها....

رفعت رأسها بقلق تنظر أمامها بعينين ذابلتين متورمتين مظللتين بالنعاس و ما أن أفاقت تماما و رأت وجه ادهم القاسي أمامها حتى صرخت مجفلة قبل أن تستطيع منع نفسها.....

ذهل ادهم من تصرفها , فهو لم يؤذها جسديا لتصرخ عند رؤيتها له بمثل هذا الفزع .....حاول تهدأتها وهو يربت على وجنتها برفق مبعدا شعرها خلف أذنها .....ثم همس بجفاء

" اهدئي .....إنه أنا .... لن اؤذيكِ "

ظلت عدة لحظات في نفس نظرة الرعب الى أن غادر النعاس عينيها تماما و أفاقت على صوت ادهم الخشن فابتلعت ريقها بصعوبة و هي تنتظر ما سيحل بها تاليا ..... فقال ادهم أخيرا بنفس الجفاء

" اخلعي ملابسك لأنظف لك هذه الجروح "

للحظة لم تستوعب ما يقول .... أي جروح .....فتابع ادهم و هو يلمس ركبتها المجروحة

" لقد سقطتِ عدة مرات..... "

نظرت الى يده على ركبتها وقد هزتها لمسته حتى الأعماق ثم عادت لترفع نظرها الى عينيه مستجدية منه نظرة من نظراته المحبة التى أدمنتها .... الا أن نظرة الجفاء الساكنة في عينيه صدمتها فهمست باسمه بضعف.....

لكنه نهض واقفا مادا يده اليها فأمسكت كفه القوية التى التقطتها لتنهض هي الأخرى على قدميها الا إنها

ما أن وقفت حتى انتابها دوارا عنيفا في لحظةٍ واحدة و كادت أن تسقط لولا أنه تلقاها بين ذراعيه بسرعةٍ و حملها الي الفراش ثم همس بقلق

" حلا ..... هل أنتِ متعبة ؟..... هل أحضر لك طبيب ؟"

هزت راسها نفيا بسرعة و هي تدفن وجهها في صدره هامسة بنشيج

" لا أريد أي طبيب ..... لا أريد الا أنت , لا تعاملني بهذا الجفاء .... أرجوك "

ضمها الى صدره لحظاتٍ طويلة وهو يربت على رأسها برفق الى أن هدأت قليلا ثم أبعدها عنه ليحملها مرة أخرى الى الحمام فساعدها على خلع ملابسها المغبرة و طهر جروحها و بعد أن انتهت من استحمامها كان قد حضر لها ملابس نومٍ نظيفة مريحة لترتديها ....و بعد أن عادت الى الفراش وهو يسندها بذراعيه جلس خلفها و أخذ يمشط لها شعرها الطويل الى أن جاءت السيدة اسراء تحمل معها الطعام....

تقابلت نظرة السيدة اسراء الحانية مع نظرة حلا المتوسلة فأومأت لها برأسها تخبرها بصمت أنها هنا و ستظل بجوارها و لن ترحل و تتركها أبدا ..... ثم وضعت الطعام على طاولة قريبةٍ حينها كان ادهم انتهى من تمشيط شعر حلا و ربطه لها فقالت السيدة اسراء بادب

" لو سمحت لي يا سيد ادهم ..... سأساعد السيدة حلا على تناول طعامها "

قال ادهم بنبرةٍ قاطعة " شكرا سيدة اسراء ..... أنا سأساعدها , بإمكانك الإنصراف "

زمت السيدة اسراء شفتيها بغضب و هي مستاءة من هذا التعنت الا إنها لم تجد بدا من الإنصراف , خاصة بعد أن رأته يمشط لها شعرها فاطمئنت قليلا و هي تراه يعود الى ادهم الذى عهدته يعتني بحلا دائما.....

بعد انصراف السيدة اسراء وضع ادهم صينية الطعام على الفراش أمام حلا ثم دون أي كلام أخذ يطعمها بيده وكأنه يتحداها أن ترفض الطعام .....ففتحت فمها وهي تلتقط الطعام من يده مباشرة ..... كان الطعام يبدو كقطع الأخشاب في فمها لكن ذلك لم يجعلها تتوقف أبدا ..... كيف تتوقف و هي تشعر أنها عادت للحياة مرة أخرى بملمس أصابعه على شفتيها .....

حين انهت صحنها كله مر بإصبعه على شفتها السفلى يمسحها ليقول بصوت أجش

" يبدو أنك كنت جائعة تماما ..... لم أشعر بمرور الوقت "

ظلت تنظر اليه دون ان تجيب للحظات ثم همست أخيرا و عينيها تتوسلانِ عينيه

" لقد فقدت ثقتك ..... اليس كذلك ؟..... لقد أفسدت كل ماكان بيننا "

نظر اليها ادهم بعينين متالمتين فتابعت حلا برجاء و استعطاف

" اقسم لك يا ادهم انني لم أفعل ما يسيء اليك .....اقسم بالله "

قال بقسوة بعد لحظة انهارت أعصابها فيها " لو كنت أشك للحظة واحدة أنك فعلت ما يسيء الي ... لما ظللت على قيد الحياة للحظة واحدة "

عادت لتبكي من جديد بعد ان كانت ظنت ان عينيها نضبتا من الدموع و أخذت ترتجف بشدة من قسوته الذى لم ترى منها الكثير بعد ..... ترى هل من الممكن أن يذيقها القليل مما أذاقها طلال .... فهي رأته قادرا تماما على إرتداء قناعِ الوحشية حين تعامل مع الحقير الذى إعتبرته صديقا يوما ما .....فمتى سيحين دورها .....

لكن الأهم ماذا سيفعل معه ؟..... كل ما يدمرها حاليا ان يتهور ادهم معه و تكون هي السبب في تورطه بجريمة ..... هل من الممكن أن يقتله بالفعل ؟.....

عاد نحيبها ليتعالى أكثر و أكثر فبدت في حالة هيستيرية ميؤس منها فامسكها ادهم من ذراعيها ليهزها قليلا و هو يقول بخشونة

" توقفي حالا يا حلا ..... ماذا فعلت لكِ الآن ؟؟ "

لم تستطع التوقف فرفعت كفيها لتغطي بهما وجهها ....لكنه امسك بيدها ليقول بعد لحظة بقسوة

" لماذا لم تضعي خاتمك الى الآن ؟....."

رفعت رأسها اليه و قالت بتقطع من بين كلِ شهقة و أخرى

" وما ..... الفائدة ؟؟..... مادمت ستتركني .....في النهاية "

أمسك بذقنها لينظر في عينيها و هو يقول بصرامة " فلتنسي كل هذا الهراء المتعلق بتركي لكِ ..... لأنه لن يحدث "

همست و هي ترتجف " كيف عرفت قصة الخاتم ؟.... و ال .....الأسطوانة ؟.....بل كيف عرفت ذلك ال

.....يا الهي كنت تعلم كل شيء عني ..... وانا التى كنت اظن انني ابعدتك تماما عما فات ..... يا الهي "

ترك ذقنها و قام من الفراش لينظر من النافذة بأسى .. ثم قال بعد فترة

" انا أعرف عنكِ كل شيء يا حلا ..... كل ماحدث لكِ و أنتِ بعيدة عني ..... لقد جعلت ذلك شغلي الشاغل منذ ان تزوجتك و ربما من قبلها أيضا..... "

همست حلا من بين دموعها بذهول " لم تشعرني يوما بأنك تنفر مني .....بالرغم من أنك كنت تعلم "

قال ببطء دون أن ينظر اليها " لأنني لم أشعر بالنفور منكِ يوما ..... كنت أظن أنني أوصلت هذه النقطة اليكِ حتى باتت واضحة تماما "

ظلت تنظر الى ظهره بصمت تحاول استيعاب ما قاله الى أن تابع

" و الخاتم لم أره في إصبعك هذا الصباح حين عودتك.... وفي لحظة جنون اعتقدت أنكِ خلعته بارادتك حين كنتِ ....., لكن بعدها علمت أنه مع ايثار "

همست وهي تبكي برعب من ردة فعله " ادهم ..... تلك الاسطوانة , يوجد منها نسخ أخرى .....من الممكن أن تنتشر بين كل من تعرفهم , لذلك أعطيت الخاتم لأمي ..... لأن من أرسلها يريد ثمنها ..... وأنا لم يكن لدي أي مال..... "

صدرت عنه ضحكة هازئة صغيرة وو صلتها همسته المشمئزة " كنت أعلم..... "

ثم أخذ نفسا عميقا و قال " لا تقلقي يا حلا ..... لا توجد أي نسخ أخرى مع هذا المرسل الخفي ..... وحتى وإن وجدت و انتشرت فأنا لا أهتم .....لقد كنتِ شجاعة بما يكفي لتحملك ما سبق و النجاة منه سالمة .....لن أحاسبك أبدا على الماضي "

استمرت دموعها في الإنهمار على وجنتيها و هي تنظر الى ذلك الوحش الذى عشقته بكل كيانها ....و الذى لم تثق به لتأتمنه هو دون غيره.....

كيف كانت بمثل هذا الغباء ... كيف آمنت لشخصٍ غريب .. وكيف جرحت ادهم هذا الجرح .. هل لهذه الدرجة كانت مختلة , هل لهذه الدرجة لم تستطع التمييز بين الصواب و الخطأ....

نهضت من مكانها بإعياء و هي تتجه اليه ببطء الى أن اقتربت منه فوقفت خلفه تماما تستنشق عطر رجولته الذى أسكرها .... كيف ستحيا بدونه لو تركها ...آآآآه.... كيف ستتنفس بدونه.....

همست أخيرا بصوتٍ ضعيفٍ متوسل لا يكاد يصل الى أذنيه

" ,أقسم لك أننى لم أفعل ما يخجلك مني أبدا .... أقسم لك , لقد كنت متعبة للغاية يا ادهم ... كنت أحتاج فقط الى شخص ... أى شخص ...أستطيع التحدث معه , أكلمه كالناس الطبيعين ....لم أكن في حالتي الطبيعية أبدا , كنت قد نسيت منذ زمن كيف أتعامل مع البشر .....وحين ظهر هو ....وجدت أن الأمر ليس مستحيلا , تخيلت نفسي و قد أصبحت طبيعية تماما , و أستطيع الإختلاط بالناس مجددا ...أحببت زراعة الورود .... أحببت شعورا يسمى الصداقة دون

أى أغراض ....أحببت أننى لم أخافه مثلما فعلت مع كل الرجال الذين عرفتهم فتخيلت أنني قد بدأت في التعافي ....و منذ فترة وأنا أشعر أننى أتحسن أكثر فأكثر ..... فتوقفت عن التحدث اليه تماما.....الى أن احتجت لمساعدته .....لم أستطع اللجوء اليك..... اعتقدت أننى أجنبك ما لن تستطيع تحمله ...أعرف كم يؤلمك أننى كنت لغيرك يوما ما .....كنت لا تستطيع تحمل كلماتي عما مضى ,وقد كان جزءا يسيرا مما حدث لي..... , فكيف اذا علمت بكل شيء ؟؟...لم أجد الجرأة لأواجهك بحلا التى لم تعرفها ....و التى تلوثت كثيرا بعيدا عنك.....

أنا آسفة .... أنا حقا آسفة..... "

خرج اعتذارها الاخير كمجرد تأوه ناعم يختلط بدموعها..... بينما ظل هو موليا ظهره لها , لا يتحرك ..... يستمع الى كل كلمة خرجت من شفتيها محملة بعذابها لتمزق نياط قلبه , ...إنها أطول مرة تحدثت فيها اليه .....لكنه يشعر بأنه يستمع الى انسانة غريبة عنه تماما .....ادعى كثيرا بكل صلف و غرور أنه المسؤول الوحيد عنها ....أنه هو من رباها ....أنه أخاها و أباها و حبيبها .....لكن هل فاته ان يكون صديقها ؟..... هل كان هذا مهما لديها الى هذا الحد ؟.....هل أعطاها كل ما أعطاه لكن دون دعمه ؟؟ ...هل فكر فقط في ألمه هو حين كانت تبدأ في الكلام فلم تلمس منه القدرة على الإستماع اليها ..لذا لجأ الى سمر ؟؟.. رمى حمله الى من يستطيع تحمله ؟؟ صحيح أنها كانت تحتاج لمساعدة طبية..... لكن سمر شكلت لها أكثر من ذلك.....

علم من سمر عن مدى احتياجها لعلاقات انسانية في حياتها .... وهذا ما ساعد في ان تندفع اليها بكل كيانها .....

كم كان يائسا في البداية ,.متأكدا ان حلا لن تتجاوب معها ...الا أن ما أذهله هو سقوط حلا بمنتهى السهوله في أحضان سمر التى ضمتها أكثر ربما من أحضانه هو .....

هل تعلم أنه ما أن تبدأ سمر في اخباره بمدى تطور العلاقة بينها و بين حلا .....حتى يشعر بغيرةِ قاتلةِ تدب في أعماقه.....

هزأ من نفسه ..... وحش آل مهران يشعر بالغيرة من لجوء صغيرته لغيره ..... حتى ولو كانت طبيبة .... وحتى لو كان هو من استعان بها ....ليفاجأ بعدها باستعدادها للجوء الى أيا كان.....

ابتلع غصة في حلقه حين و صل الى ذلك مرة أخرى ....كيف سيتجاوز ما حدث .....إنه يعلم جيدا بالخطةِ المحكمة و التى نسجوها حولها .....لكن ما لا يستطيع أن يغفره هو سقوطها بمنتهى السهولة لشخصِ غريبٍ حقير و من دون علمه.....

كان تائها في افكاره ... حين وصله صوتا غريبا عن صوتها ..صوتا لائما مغدورا حين همست

"لكن أنت أيضا قتلتني يا ادهم ..... ليلة أمس أعطيتني وعود حبك , اعطيتني أملا جديدا لأحيا من أجله ..... بينما أنت تخطط لقتلي دون رحمة"

التفت اليها ببطء لينظر اليها بحيرة وكأنه ينظر الى مختلة عقليا ..... فأكملت هامسة تتأوه بعذاب

" لقد علمت .... لقد علمت يا ادهم ..... لماذا أخفيت عني ؟...هل كنت تظن أنك ستجرحني ؟..... مهما كنت سأتالم فهو لا يوازي ما أشعر به الآن من غدرٍ من جهتك .....كنت أعلم في داخلي أنك تستحق الأفضل ..هيأت نفسي لذلك كثيرا .. لكنك ظللت

ترفعني و ترفعني عاليا الى السماء ... ... بينما أنت ..... بينما أنت ترى من هي أفضل مني .....هل تحبها ؟.... اذن لماذا اعترفت لي بحبك ليلة أمس ؟.....هل كان هذا مجرد شفقة منك ..... يا الهي .....لقد قتلتني يا ادهم "

عادت لتدفن وجهها بين كفيها وهى تبكي بصوتٍ ناعم .....بينما كان ادهم ينظر اليها عابسا و ذاهلا في نفس الوقت الى أن استطاع القول أخيرا بصوتٍ شديد الصرامة والغضب

" ومن هي تلك التى من المفترض أننى أحبها ؟....."

ازداد بكاؤها .... لكنها همست همسة واحدة لتوقفه عن انكاره و تجعله يخجل من نفسه ".... سمر.... "

ارتفع حاجباه و كذب ما سمعه للتو وهو يهمس ؛" من ؟...."

رفعت رأسها تصرخ من بين بكاؤها العالي .." سمر ....."

اشتدت قسوة وجهه حتى بات مخيفا ... الا إنها رفضت ان يرهبها هذه المرة فأكملت تحاول البحث عن شجاعةٍ لم تعرفها من قبل

" لا تتعب نفسك بالإنكار ... لقد علمت بها ....رأيتها ... تكلمت معها .....يا الهي لكم تلائمك..... "

لم تستطع المتابعه و هى تحني رأسها باكية ..الا إنه لم يدعها للهروب بل رفع رأسها بقبضته القوية التي أمسكت بذقنها تكاد أن تحطمها ..لكنها ظلت مغمضة عينيها و الدموع تنساب على وجهها بصمت ...فقال بخشونة

" افتحي عينيك..... "

لكنها لم تستطع مواجهته سواء أن كان سينكر ..أو يعترف ....وعندما ظلت صامتة تبكي مغمضة العينين شد على ذقنها اكثر و هو يقول هادرا

" افتحي عينك يا حلا .....انظري الي و أنت تخبريني بأنني على علاقة بغيرك "

فتحت عينيها وهي ترتجف لاعنة لسانها الأحمق الذى جلب هذا الموضوع الى العلن , اصطدمت عيناهما ..... اشتعلت عيناه للحظة ... ثم عادت القسوة لتغلفهما وهو يقول بخشونة اجفلتها

" بعد كل ما فعلته لك و ماحاولت ان امنحك ..... تصدقين كذبة حقيرة عني .... ولا داعي لان اسال ممن سمعتها , طالما اننا مراقبان طوال الوقت..... "

ظلت تنظر الى عينيه و الأمل يداعبها من بعيد ..... صوته ....خشونة كلامه .....ثقته .....كلها تخبرها أنه لا يحتاج للانكار , فهو ادهم مهران و إن أحب امرأة أخرى فلن يحتاج الى المداراة ليخفي الأمر.....

ابتلهت الى الله أن يكون هذا حقيقيا .....لكن سمر .... وطريقة تعارفهما .....أتكون هي من تحبه لذا أرادت التعرف الى من أسرته قبلها.....

استطاعت أخيرا الهمس بأملٍ خائف

" أتعرفها ؟..... سمر .....شابة جميلة سمراء..... "

نظر اليها و قسوته تمتزج بتقزز من مجرد أن تسأله بهذا الخنوع فقال بقسوة و ارهاق

؛" و كيف تعرفتِ عليها ؟.. وأين؟.....كل مرة كنتِ تخرجين فيها ؟.....كل مرةِ كانت تتركك السيدة اسراء فيها بمفردك ؟....."

اتسعت عيناها بذعرٍ و دهشة .... يا الهى ... ليس هناك ما لا يعرفه .... كيف ظنت أن بإمكانها إخفاء أي شيء عنه ؟.....يبدو أنها لم تقدر ادهم مهران حق قدره.....

لكن .... لكن .... إن كان يعلم بهذا ايضا !!!.....همست أخيرا بحيرةٍ وهى تهز رأسها شاردة ....ترفع يدها المرتجفة الى جبهتها

" أنا لا أفهم ..... أنا لا أفهم ..... أنا متعبة جدا "

شعرت به يقترب منها ليمسك بذراعيها ... يسندها حتى لا تقع .....ثم اقترب وجهه من أذنها و قال بصوتٍ أجش فقد قسوته و اتسم ببعض الحنان

" حلا .....سمر ....صديقة لي منذ زمن ....إنها صديقة مخلصة وأنا لم أثق بغيرها لتساعدك..... "

رفعت رأسها تنظر اليه تحاول التأكد من عينيه .... عبست قليلا .... فتحت شفتيها تحاول الكلام لكنها عادت لتغلقها و قد هربت منها الكلمات ..... الى أن حاولت مرة أخرى فنجحت بصعوبة في الهمس

" أتعني أنها .....ماذا ؟؟.....مجرد صديقة أم ؟....."

أكمل لها مباشرة دون مواراة " إنها طبيبة..... "

تسمرت بين يديه , رافعة رأسها اليه ...تنظر الى عينيه باستعطافِ الايكون ما سمعته حقيقيا .....لكن ما أن نظرت الى صلابة عينيه حتى أدركت الاجابة.....

لحظة واحدة قامت بعدها بدفعه بكل قوتها في صدره و هي تتأوه صارخة

" كنت تسخر مني كل هذا الوقت ..... يا الهى لابد أنكما ضحكتما علي طويلا ..... و أنا التى كنت أظن اننى حصلت على صديقة .....وكنت أظن أنك بدأت تقتنع بشفائي..... لقد خانني كل من وضعت ثقتي بهم .....يا الهي .... "

أخذت تتدفعه بقبضتيها و هي تبكي من شدة بؤسها .....لكن كأنما كانت تدفع صخرة ....و هو يحيطها بذراعيه بشدة يضمها الى صدره , شعارا بقلبه يتحطم بدلا عنها .....لم يكن يريد أن تعرف بهذه الصورة المؤذية لها.....

أمسكت يده بمؤخرة رأسها ليدفعها الى كتفه و يدفنها به بينما هي تتلوى بين أحضانه باكية بشدة حتى بدأت ساقاها تتخاذلان و شعر بها تتثاقل الى أسفل فمد يده الى أسفل ركبتيها ليرفعها بين ذراعيه بينما استمرت هي في البكاء دافنة وجهها في صدره .. تشعر أنها تريد البقاء به طوال العمر و لا تخرج أبدا الى تلك الحياة المرة بكل مارأته منها.....

ظل حاملا إياها بجانب قلبه الذى يضرب وجهها كمضخة عملاقة ..... يشعر برغبة مدمرة في العودة لايثار سبب كل سوء في حياتهما ليقتص منها على كل ما فات.....

أخفض رأسه ليلمس جبهتها بشفتيه محاولا تهدئة جسدها المرتعش ....حينها رفعت وجهها المتورم اليه لتنظر الى عينيه بعينين تائهتين وكأنهما تريان عالما آخر غير الذى تعيشه , ثم رفعت ذراعيها لتطوق بهما عنقه و هي تعلو بنفسها قليلا لتطبع شفتيها بقوة فوق شفتيه.....

تجمد ادهم بمكانه و هو يشعر بأنها تقبله بغرابة و كأنها ليست بوعيها لكنه لم يستطع منع نفسه من

اعطاءها الأمان الذى تريده إن كان هذا سيخفف عنها ,وحين أنزلها على الفراش تطلع بحزنٍ الى عينيها الضائعتين ثم أخذ يربت على خصلات شعرها برفق وهو يضم رأسها الى صدره ... لكنه بعد بضع لحظاتٍ شعر بها تحاول التمادي أكثر فأبعدها عنه و همس لها بصوتٍ أجش

" نامي الآن..... "

الا إنها تعلقت بعنقه تحاول الوصول اليه بأي طريقة و هي تهمس باكية بتضرع

" أرجوك لا تتركني هنا وحيدة يا ادهم .....أرجوك ....لن أخرج من هنا إن كان هذا يرضيك لكن لا تتركني و تخرج , أنا أخاف من وحدتي هنا , أرجوك سامحني "

أخذ نفسا عميقا و يشعر بأنه سينهار قريبا بعد كل ما تعرض له من ضغوطٍ مؤخرا ثم همس أخيرا بخشونة

" حلا تمالكي نفسك .... أنا أيضا أحتاج الى وقت لاستطيع تجاوز ما حدث .. والى أن يحدث ذلك لا أعتقد أننى أستطيع السماح لكِ بالخروج من هنا ..... هل يمكنك تصور ما كان من الممكن أن يحدث لكِ لو تمادى ذلك القذر اكثر ..... من كان سيحميكِ وقتها .....لا أعلم ماالذى أستطيع فعله اكثر لأحميكِ من نفسك ؟....."

اندفعت فيضانات دموعها من جديد و هي تتعلق به بشدةٍ وتقبل كل جزء في وجهه برعونة هامسة من بين قبلاتها

" لقد تعلمت الدرس هذه المرة جيدا ..... أرجوك ..... أرجوك "

جذب ذراعيها بعيدا بخشونة و هو يصرخ وقد فقد القدرة على التحمل

" هذا لن ينفع يا حلا .....لا تعاملي نفسك بهذه الطريقة المهينة "

ذهلت تنظر اليه وهو يرفضها للمرة الأولى .....عيناها المتورمتان متسعتان تكاد تبتلع وجهها الشاحب و شفتيها منفرجتان بأسى و كأنها تسأله وتعاتبه.....

وحين لم يستطع تحمل نظراتها المذبوحة قام من الفراشِ مسرعا و هو يتجه الى الباب ..... لكنه التفت اليها قبل أن يخرج قائلا بتعب

"لا تزيدي الضغط علي يا حلا ..... أشعر أنني لن أتحمل لوقتٍ طويل "

ثم خرج من الغرفة مغلقا الباب خلفه .....بينما ظلت حلا مكانها تتطلع الى الباب المغلق و هي ترى نفسها بصورةٍ مشوهة ....تسمع تهديده يرن باذنيها .....

دخلت سما الى القصر بعد أن أخذت تلف بالسيارةِ لساعات وهي تبكي على حبها الضائع ..... ظلت تنظر حولها الى هذا المكان الشاسع .....لكم أحبته طوال سنواتِ عمرها .... وها هي لا تجد ملاذا غيره حين تضيق بها الدنيا.....

لكن ما أن وطأت قدماها الى داخل القصر حتى شعرت بروحٍ غير عادية .... الخادماتِ ينظرن اليها بأسى و قلق , و أدهم غير موجود .....أين حلا ؟.....

صعدت السلالم جريا حتى وصلت الى غرفتها فوجدت السيدة اسراء تتكلم من وراء البابِ المغلق بصوتٍ مهدىء و كأنها تغني أغنية .....فاقتربت سما بسرعةٍ منها و قبل ان تسألها عما تفعله سمعت صوت نشيج حلا و شهقاتها آتيا من الداخل فأخذت تطرق على الباب الذى فوجئت به مغلقا و هي تناديها بقلق

" حلا ..... حلا إفتحي الباب ..... ماذا بكِ ؟...."

تطوعت السيدة اسراء بشرحٍ مختصر عما حدث إنتهاءا باغلاق الباب على حلا مرة أخرى و خروج ادهم من القصر منذ فترة وجيزة....

اتسعت عينا سما ذهولا و هي تستمع الى تلك القصة ِ المجنونة التى تحكيها السيدة اسراء وهمست بعدها

" .....يا الهي ... كيف كنتِ بمثلِ هذا الغباء و الجنون يا حلا ؟....."

عادت لتطرق الباب مرة أخرى وهي لا تعلم ما جدوى هذا فحلا لن تستطيع فتح الباب لكنها أرادت على الأقل البقاء على إتصالِ معها حتى لا تصاب بالإغماء من شدة بكائها ثم التفتت للسيدة اسراء تقول بجزع

" سأتصل بأدهم ..... لن يرضيه أن يراها في مثل هذه الحالة "

قالت السيدة اسراء بحنق " لن تستطيعي الوصول اليه فهو عى ما يبدو قد تخلص من هاتفه منذ الصباح ..... لم أعهده عديم المسؤولية ِ هكذا من قبل "

أخذت سما تفرك جبهتها بيدها وهي لا تعلم كيف تتصرف ..... الى أن جاءت النجدة من السماء فرن هاتفها برقمٍ غريب

وما أن ردت حتى أتاها صوت سابين الهادىء فصرخت سما على الفور

" سابين ....أين أنتِ ؟.....إن احمد يبحث عنكِ كالمجنون ..... لا ليس هذا مهما الآن .... المهم أنني إطمأننت عليكِ ..... سابين ساعديني أرجوكِ ....أدهم يحتجز حلا في غرفتها وهي في حالةٍ من الرعب يرثى لها

..... والمفتاح ليس معنا , ولا نستطيع الاتصال بادهم , ولا نريد أن نكسر الباب حتى لا نثير غضبه عليها أكثر فهي تصرفت تصرفا أحمقا للغاية .....سابين .....سابين اين ذهبت ؟....."

نظرت سما الى هاتفها و قالت بوجوم " لقد أغلقت الخط .....يا الهي اليس هناك من ينصفني أبدا "

ثم عادت الى حلا و حاولت أن تتكلم معها بهدوء كما تفعل السيدة اسراء دون نتيجة ....فحلا كانت في حالةِ من البكاء و الهذيان غير قابلة للنقاش

.....

ركنت سابين سيارتها أمام باب القصر بعد اقصر فترةِ استطاعتها من مكالمتها لسما التى أرادت أن تطمئنها فقط لعلمها أن احمد سيثير قلقها ..... لتفاجأ قبلا بما يفعله ذلك المجنون الهمجي ادهم بحلا.....

نزلت من السيارة صافقة الباب خلفها بعنف ثم اتجهت الى حقيبةِ السيارة لتخرج منها القضيب المستخدم في فك الإطارات و أغلقت الحقيبة بعدها بنفس العنف و اندفعت تصعد الى القصر وهي تبدو على حالةِ مرعبةِ من الوحشية بعينيها المشتعلتين غضبا و شعرها المتطاير خلفها و سروالها و كنزتها بلونهما الأسود .... كانت بحق تبدو كالساحراتِ الشريرات .....و سيكون الاحمق فقط هو من سيقف بطريقها هذه اللحظة.....

و ما أن فتحت لها الخادمة الباب حتى اندفعت تدخل دون استئذان لتصعد السلم وهي تعرف طريقها في هذا القصر جيدا.....

الى أن وصلت الى سما و السيدة اسراء فكانت سما هي من صرخت بإمتنان

" سابين ..... الحمد لله لقد كدت أن أنهار هنا ساعدينا أرجوكِ فقد تستمع اليكِ حلا.... "

قالت سابين بصرامة و كأنها لم تسمعها " ابتعدي عن الباب يا سما..... "

وقفت السيدة اسراء أمام الباب تنظر بقلق الى ذلك القضيب الحديدي في يدِ تلك الشابةِ التى تبدو عليها معالم الشرِ و الجنون فقالت بقلق

" ما الذى تنوين فعله سيدتي .... الموقف لا يحتمل أي تهور هنا "

ظهرت بتسامة متوحشة على شفتي سابين المكتنزتين ثم قالت بصوتها الناقوسي و هي تتحدث بنعومةِ مخيفة

" سيدة .... ايا كان اسمك ....تبدين سيدة لطيفة للغاية , لذا ستبتعدين عن هذا الباب بكلِ طيبِ خاطر و تودعينا و نحن نخرج من هنا .....اليس كذلك ؟...."

ظلت السيدة اسراء تنظر عابسة الى تلك الشابة التى تحتاج الى اعادة تربية ثم قالت بعد فترة بحزم

" أنا لست خائفة منكِ سيدة ..... أيا كان اسمك .... لكني خائفة على حلا ..... فلتفتحي الباب "

ثم ابتعدت عن الباب مفسحة الطريق الى سابين التى ابتسمت لها مومئة برأسها برضا .....ثم اقتربت من الباب لتأخذ نفسا عميقا و ترفع القضيب عاليا لتنهال على مقبض الباب ضربا بكلِ عنفِ القى الرعب في قلبي السيدة اسراء وسما و هما تنظرانِ الى سابين وهى في مثلِ هذه الحالةِ الشرسة

استمرت سابين في ضرب المقبض بهذا الصوتِ المرعب الى أن انكسر فجأة و أخذ يدور حول نفسه فركلت الباب بشدةٍ لينفتح أمامها....

دخلت سابين اولا تليها سما و السيدة اسراء .....
ليجدن حلا نائمة على الارض متكورة كالجنين وهي تبكي و تهذي بكلماتٍ غير مفهومة فاندفعت اليها سابين و انحنت لتجذبها من ذراعيها وهي تهتف

" ساعديني يا سما ..... سنخرج من هنا حالا "

امسكت سما بذراع حلا الاخرى وهي تساعد سابين في انهاض حلا ..... لكنها ما ان نظرت اليهما حتى صرخت قائلة

:" لن أخرج من هنا ..... لن أخرج من هناااا .. لن أذهب بدون ادهم "

قالت سما التى بدأت تبكي هي الأخرى و هي تسند حلا

" لما لا نتركها هنا يا سابين أرجوكِ ؟..... إن ادهم لن يؤذيها أنا واثقة من ذلك "

صرخت سابين بعنف وهي تتغلب على مقاومة حلا الضعيفة

" كفى حماقة أنا لن اتركها لتقرر إفساد حياتها للمرةِ الثالثة .....الا ترين كيف أصبحت , هيا لنذهب من هنا ..... حالا يا سما "

ثم خرجن من الباب بصعوبةٍ وحلا تتشبث بإطارِ الباب باكية وهي تترجاهن أن يتركنها الى أن يأتي ادهم ..
بينما سما انهارت بكاءا عليها

استطعن أخيرا الوصول بها الى السيارة بمساعدة السيدة اسراء و ما أن ركبت حلا حتى انحنت اليها لتقبل جبهتها قائلة

" فليحفظك الله يا حلا ..... ستكونين بخيرٍ حبيبتي لا تقلقي "

تبثت حلا بيديها وهي تبكي هامسة تستجديها " أدخليني أرجوك لا أريد أن أترك ادهم .....أرجوك لن أستطيع الحياة بدونه "

الا أن سابين أبعدت السيدة اسراء برفق وأغلقت الباب لتقول لها بحزم " سنرحل الآن ..... شكرا لمساعدتك "

أومأت السيدة اسراء برأسها و عيناها ممتلئتانِ بالدموع فربتت سابين على كتفها لتركب السيارة و تنطلق بها.....

و عندما مرت بحارسِ البوابة ابتسمت له باغواء جعله يرخي فكه ببلاهة من شدة سحرها بينما سما في المقعد الخلفي تضم حلا الى صدرها وهي تعلم أن الحارس لن يراها من الزجاج الأسود الخاص بسيارة احمد مهران .....

ثم أغلق الحارس البوابة بعد خروج بنات الراشد..... من قصر آل مهران.....

.....

.....

.....

اقتحم ادهم المكان بهيئة مريعة ... ثائرا كوحشٍ فكوا عقاله ..... اندفع بسرعة الى احمد الذى كان يدور حول نفسه ليمسك به من مقدمة قميصه بعنف و هو يصرخ

" أين سابين يا احمد ؟.....من الأفضل لها أن تظهر حالا قبل أن أعثر عليها و أدق رأسها "

جذب احمد يدي ادهم عن ياقة قميصه بعنفٍ مما أدى الى تمزقها و هو يصرخ بغضب

" هل جننت ؟..... ماذا بك ؟ و ماذا تريد من سابين ؟"

صرخ ادهم هو الآخر و هو يعاود لمسك احمد من ملابسه بقبضتيه القويتين

" لقد خطفت تلك المجنونة زوجتي ..... من بيتي "

امسك احمد بقميصِ ادهم هو الآخر وهدر به كالمجنون

" راقب الفاظك و أنت تتحدث عن زوجتي يا ادهم ....."

صرخ ادهم بوحشيةٍ هزت المكان " أنت لم ترى بعد ما سأفعله بها حين أجدها ....تلك الحقيرة "

لم يتمالك احمد نفسه فلكم ادهم لكمة أدمت انفه ..... مسح ادهم الدم من أنفه لينظر الى يده .....يتأكد مما قام به احمد للتو بعدها بلحظة كانت قبضته تجد طريقها الى فكِ احمد لينتهي الأمر بينهما وهما ساقطين على الأرضِ يتبادلانِ اللكماتِ بكلِ عنفٍ.....

" فلتتوقفا حالا أنتما الاثنان..... "

انطلقت تلك الصيحة الحازمة التى عرفاها منذ الصغر ليرفعا رأسيهما وهما يلهثانِ الى أميرة مهران و هي تقف أمامهما بكلِ إباء دون ان تهتز شعرة فيها.....

تابعت أميرة قائلة بصرامة

" الا تخجلانِ من نفسيكما .....ماذا تركتما للجاهلين "

نهض ادهم ببطء وهو يلهث تلاه احمد و قد تمزقت ملابسهما تماما ..... بدأ ادهم الكلام.. قائلا بغباءٍ لا يناسب الموقف

" مرحبا عمتي ..... كيف حالك "

منعت أميرة نفسها من الضحكِ بأعجوبةٍ على هذا الوحشِ الضخم ممزق الملابس و الذى جاء ليبحث عن زوجته و كأنها طفلة صغيرة ضاعت منه

لكنها احتفظت بملامحها الصارمة و هي تقول

" هل فقدت عقلك لتهجم علينا في وقتٍ كهذا باحثا عن زوجتك هنا..... "

عقد ادهم حاجبيه وهو يحاول تهدئة قلبه الملتاع .....ثم قال بعنفٍ مكبوت

" لقد عدت الى القصر لأفاجأ بأن تلك الحية كسرت الباب و خطفت زوجتي "

عاد احمد الى غضبه مرة أخرى وهم أن يضربه الا أن صوت أميرة الصارم أوقفه

" اياك يا احمد ..... والا فقسما بالله سأصفعكما معا "

ثم عادت لتنظر الى ادهم قائلة بصلابة

" ما معنى أنها كسرت الباب .....هل كنت تحتجز زوجتك يا ادهم؟....في أي عصرٍ تعيش أنت "

غرز ادهم اصابعه في خصلاتِ شعره يكاد يقتلعه من جذوره و هو يهمس بعنفٍ

" حبا في الله يا عمتي .....أنا أعصابي لم تعد تتحمل أكثر .....أين حلا ؟....أخبريني أين هي و أعدك أنني سأحاول الا أقتل سابين "

هدر به احمد " فلتحاول فقط أن تمس شعرة منها ليصبح ذلك آخر أيام حياتك "

هزأت منه أميرة قائلة

" انظروا من يتكلم ؟!!..... الأسبق في عملِ العصابات و حجزِ الزوجات "

نظر اليها احمد ذاهلا من فتحها لهذا الموضوع امام ادهم و همس منبها بغضب "أمي.... "

الا أن أميرة تابعت حديثها قائلة بهدوء وهي تجلس أمامهما واضعة ساقا فوق الأخرى

" ابن عمتك الهمام حبس زوجته في بيتنا القديم النائي لأكثر من شهر.... منصبا نفسه الها يعاقب و يحاسب "

نظر ادهم اليه بغضبٍ وذهول ثم هتف

" هل جننت أنت أم ماذا ؟..... هل اعتقدت أنه لمجرد أنني لا أطيق سابين فهذا يمنحك الحق في معاملتها بهذه الطريقة معتقدا أنه ليس لديها أحدا ليدافع عنها ..... هل نسيت أنها أخت زوجتي و أنها تربت تحت سقف بيتي ..... مما يجعلك هذا معاديا لي شخصيا "

قاطعته اميرة تقول بسخرية

" ها هو الشهم الآخر يتحدث موعظا .....بعد كل الأذى النفسي الذى لابد و أن تكون سببته لزوجتك بفعلتك الحمقاء "

قال ادهم و غضبه يتصاعد اكثر " عمتى أنتِ لا تعلمين كلِ التفاصيل "

قاطعته أميرة بغضبٍ هذه المرة

؛" لست بحاجة ٍ لسماعِ أي تفاصيل ..... فلتعلم أن سابين رحلت عن احمد و لا نعلم أين هي الى الآن "

هبط قلب ادهم متحطما بين قدميه و هو يهمس كالمجنون

" ما معنى هذا ؟؟..... اننا لن نستطيع الوصول لحلا ؟..... يا الهي... "

اقترب احمد من ادهم ليقول بلهفة يحاول اخفاءها

" هل أخبروك في القصر أن سابين هي بنفسها التى كانت هناك ؟..... كيف كانت ؟.... هل هي بخير ؟ إن كسرِ الباب يحتاج الى مجهودِ قاسٍ عليها..... "

نظر اليه ادهم بذهول ثم امسك بقميصه ليصرخ و قد فقد السيطرة على نفسه

" أخبرتك للتو أنني لا أستطيع الوصول الى حلا ..... وأنت تخبرني أن كسرِ الباب يعتبر عملا شاقا على الكونتيسا سابين "

صرخ به احمد هو الآخر

" أنا أيضا أبحث عن سابين منذ يومينِ كالمجنون دون أن أعثر عليها ..... وأنت تخبرني أنها منذ دقائق كانت عندك في القصر لتعود وتختفي مرة أخرى "

ابتسمت أميرة وهي تنظر الى هذين الماردينِ أمامها فهمست بنعومة

" كم أنا مستمتعة بمنظريكما هذا ..... لا ينقصكما الا الفارس الثالث لتكتمل سعادتي "

أغمض ادهم عينيه وهو يرفع رأسه بشعورِ قاتل ليقول بأسى

" ولماذا سيكون فارس معنا الآن ؟؟.....فالمحظوظ فاز بالعاقلة الوحيدة بين تلك الأسرة التى صبت علينا لعنتها الى الأبد "

و كأنهما كانا يناديان..... فلحظات قليلة و رن جرس الباب ..... ليدخل فارس مهران بحالة من الوجوم و الألم يحفر معالم وجهه القاسية.....

,فهمست أميرة برقة حزينة

" تعال فارس حبيبي .....أنا هنا "

ذهب فارس الى صوتها الى ان وصل الى كرسيها الذى تجلس عليه ليهبط على ركبتيه أمامها مسندا رأسه على ركبتيها ليقول بصوت مزق قلبها من أجله

" لقد اشتقت اليك عمتي .... جدا "

أخذت تمشط شعره بأصابعها ثم همست بحنان

" ماذا بك حبيبي ؟..... الن تحظى روحك بسلامٍ أبدا ؟....."

فجأة أخذت كتفاه تهتزان بعنف و ذهل كل من احمد وادهم و هما ينظرانِ الى فارس الذى أخذ يبكي بعنف على ركبتي أميرة التى انحنت الى الأمام لتجذب رأسه الى صدرها و هي تهمس

" كفى حبيبي ..... سيكون كل شيء على ما يرام , لا تقلق "

همس فارس بإختناقٍ و دموعه تنهمر على وجهه

" أشعرأن الموت في هذه اللحظة سيكون الحل الوحيد لخلاصي مما أنا فيه "

همست أميرة

" هششششش .....لا أريد أن أسمع منك هذا العبث
.....يوما ما ستحظى بكل حلمت به و لم تره .....
فقط انتظر يا فارس آل مهران "

الفصل الثاني و العشرون

كانت مشاعر مجنونة تسود هذا المكان ..... في هذه الليلة التي بدت من أطولِ الليالي على أصحابها .....غضب مدمر يهدد بإحراق المكان , قلقا مريعا , خوفا يائسا,.....كان كلا منهم يشعر بانه على وشكِ ارتكابِ جريمة.....

كان ادهم يتطلع من النافذة المظلمة أمامه ينظر الي البعيد وقلبه يكاد يحترق بين أضلعه لا تطالعه سوى صورة حلا بعينيها المجروحتين المتوسلتين عندما نظرت اليه آخر مرة وهو خارج من الغرفة .....يا الهي .... لقد كان قاسيا معها و هي لا تتحمل القسوة أبدا .....إنه يشعر دائما أن حلا بالذات لا يصح أن يعاملها أيا من البشر العاديين بل هي تحتاج الى معاملة

كلماتِ أجنحةِ الفراشات ..... و ها هو عند أول ضعفٍ له كإنسانٍ يغضب و يتألم .....ضاعت من بين يديه للمرةِ الثانية.....

تأوه بصوتٍ مخنوق و هو لا يدري حقا من أين يبدأ البحث ..... شعر فجأة بشللٍ في تفكيره .....من أين يبدأ.....

قال أخيرا بصوتٍ أجش ممزقٍ من التعب

" فارس ..... أخبرني مرة أخرى .... ما معنى أن سما تركتك و رحلت للأبد ..... هل هذه صدفة أن ترحل في نفسِ يومِ اختفائهما "

ثم التفت لينظر الى فارس الذى كان جالسا هو الآخر صامتا بملامحٍ من حجر رسم الألم زواياها فبدا كتمثالِ لليأسِ بعينه ....قال ادهم فجأة بثورة

" لم يخبروني في القصر أن سما كانت معهما ..... بالرغم من أنك تقول أنها رحلت منذ الصباح و هى لا تملك أي مكانا آخر لتذهب اليه بما إنها ليست عند ايثار ..... فأين ذهبت بالله عليك ؟..... أشعر أن الكل يتآمرون ضدي ..... الكل يعملون على توسيع دائرة البحث حتى لا أجد حلا..... "

كانت آخر كلماته تبدو كصراخٍ عنيف كسر حاجز الصمتِ المحيطِ بهم .....ثم عاد لينظر الى احمد و قال بصرامة

" أنا لا أراك تكلم سابين أبدا .....فلتكلمها فربما ترد عليك أخيرا "

لم يرد احمد لعدة لحظاتٍ و هو جالسا دافنا رأسه بين كفيه ..... لم يتحرك..... لكنه تمكن من النطقِ أخيرا بخفوتٍ و يأس

" هاتف سابين ليس معها ..... لقد أخذته منها منذ أول يومٍ في زواجنا "

صرخ ادهم و هو يضرب زجاج النافذةِ بقبضته " يا الهي ..... ما العمل الآن ؟.....إننا اذن لا نملك سوى هاتف سما ....لكنها لا ترد منذ اكثر من ساعة على عشراتِ المكالمات التى وصلتها مني .....على الأقل تركت الهاتف مفتوحا , وكأنها تطمأننا عليهن بهذه الطريقة ..... أنا أفهم سما جيدا انها تعطيني اشارة بانهن سالمات"

عبوس طفيف كسا ملامح فارس المتحجرة و قد طعن الالم فؤاده و هو يسمع من ادهم بأنه يفهم سما جيدا .....الكل يفهم سما فهي شفافة كنسيم البحر .....لكنه الأعمى الوحيد الذى لم يفهمها يوما .....بل لم يشعر بها أبدا ..... بكلِ حماقةِ وغرور ظن أنه أعطاها كل ما حلمت به .....لكنه اليوم وفي هذه اللحظة يعلم أنه

لم يعطها الا ما تستطيع الريح أن تبعثره في طرفةِ عين ..... بينما هي أعطته كل حياتها الفتية ..... ضحت من أجله بكل ما استطاعت .....لونت حياته و أدخلت اليها الابتسامة التى كانت قد نسيت طريقها الى شفتيه .....

و ها هو الآن يجلس أمام ادهم صاغرا مستسلما بينما يعلم ان صغيرته هي الأمل الوحيد في العثورِ عليهن ..... وها هي تعلمهم بهذا.....فقط رنات هاتفها هي الصلة الوحيدة بينهما .....هي موجاتٍ تصل من قلبه الى اذنيها ..... حتى وإن كانت من ادهم .....فهو لا يملك الجرأة الآن لمكالمتها فقد تغلق هاتفها ..... الأمل الوحيدِ لديهم .....و لديه على وجه الخصوص.....

مرت هذه الليلة بسوادها الخالي من ضوء القمر الى أن أطل الشروقِ عليهم و هم غارقين باتصالاتهم على كافةِ المستويات.....و العمل على تعطيل أي احتمالِ أحمق لسفرهن خارج المدينة .....لكن دون جدوى.....

مرت ساعاتِ الصباحِ الأولى و انطلق كلا من ادهم و احمد ليبحثا في كلِ مكانٍ دائرين بنفسيهما على أملِ واهٍ في العثورِ عليهن.....

و لكن مر اليوم بطيئا شاقا طويلا دون أن يعثر لهن على اثر ..... لو كانت حلا و سما وحدهما لما استطاعتا الابتعاد بعيدا .....لكن و بما أن سابين معهما فإن فرصة العثورِ عليهن تكاد تكون شبه مستحيلة.....

و حين حلت الليلةِ الثانية كانوا مجتمعين صفر اليدين بعد بحثٍ طويل .....لم يستطع أيا منهم الكلام أبدا ..... كلا منهم جلس في زاوية بعيدةِ عن الآخر ..... و كأنه يلوم الاثنين الآخرين قبل أن يلوم نفسه.....

عاد ادهم مرة أخرى الى مكالمة سما ..... رنين ..... رنين ..... دون رد .....أخيرا بعث بالحلِ اليائس الوحيد متمثلا في رسالة صغيرة

" سما .....صغيرتي , أرجوك دعيني اسمع صوت حلا ..... لم أرجو أحدا من قبل , لكن من أجل أن أسمع صوت حلا في هذه اللحظة أنا مستعدا للتوسل .....إنها متعبة للغاية يا سما و أنا الوحيد الذي يعرف كيف يتعامل معها ..... إن كنتِ حقا تخافين عليها دعيني فقط أسمع صوتها..... "

بعث برسالته وهو يعلم أن لا فائدة مما يحدث .....بالطبع العشراتِ الآن يبحثون عن سيارة احمد مهران ....العشرات يبحثون عن سابين .... أما حلا و سما فليستا بنفس المعرفة بين الناس ..... لذا فليس هناك الكثير مما يستطيع فعله .....فقط البقاء هنا منتظرا أن يرق قلب سما عليه.....

عاد ليرن لسما مرة اخرى و هو يبتهل ان ترد عليه هذه المرة ..... رنين ..... رنين .....ثم فجأة سمع صوت فتح الخط.....

قام من مكانه صارخا باسم سما فارتفع رأسي احمد و فارس بحدة و قام احمد اليه جريا يحاول أخذ الهاتف منه الا إن ادهم استدار الى الناحية الأخرى وهو يتشبث بالهاتف و يهدر بكل لهفة للصمت المقابل من الطرف الآخر

" سما ..... سما صغيرتي أين أنتن .....سما أجيبيني هل حلا بخير ؟..... أريد أن أسمع صوتها على الأقل يا سما أرجوكِ صغيرتي "

لم يسمع أي رد لكنه حين صمت من هذه الثورة الجامحة تمكن من سماعِ صوتِ أنفاسٍ لاهثة تخرج بصعوبة مع نشيجٍ صامت.....

سقط ادهم بكل ِ قوته على الكرسي خلفه وهو يهمس مغمضا عينيه

" حلا..... "

لم يسمع ردا ....فقط أنفاسها التى كاد يشعر بدفئها يلامس اذنه ..... كيف يخطىء أنفاسها .... إنه يحفظها عن ظهرِ قلب.....

للحظاتِ طويلة ظل يستمع اليها .... الى أنفاسها التى لامست وجهه و شفتيه من قبل حتى أنه يعرف مذاقها ..... أناتها الضعيفة الآن تبدو و كأنها كلماتِ عشقٍ و غرام بعد أن اطمأن أنها بخير.....

ظل مغمضا عينيه يتذوق كل نفسا يسمعه و على شفتيه طيفِ ابتسامةِ حزينة .... بينما احمد و فارس يكاد نفاذ الصبر و القلق ان يقتلهما.....

أخيرا همس ادهم دون ان يفتح عينيه

" هل أنتِ بخير يا حلا ؟....."

لم يسمع ردا مرة أخرى لكن تنهيدة حزينة أعطته الجواب فابتلع ريقه و فتح عينيه و تابع هامسا

" هل هنت عليكِ يا حلا ؟..... كيف استطعتِ الرحيل عني بهذه السهولة ؟..... من يتحملني حين أصبح مجنونا غيرك حبيبتي ؟ .....أخبريني أين أنتِ حبيبتي حتى آتى و آخذك..... "

تعالت التنهيدات حتى اصبحت شهقاتِ خافته فحاول باستجداء اكثر حتى لا ترتعب و تغلق الخط

" حلا .....صدقيني لن أمسك بسوء أبدا صغيرتي , فقط أخبريني أين أنتِ ؟..... يكفيني فقط أن تعودي الى

أحضاني سالمة .....فقط أخبريني لا تتركيني أعاني هكذا ....."

فجاة سمع صوتا صارما من الطرف الآخر يأتي من بعيد ثم أختفت أنفاس حلا الباكيةِ و حل محلها صوتا صلبا هدر في اذنه

" ماذا تريد منها بعد الذى فعلته ؟..... الا يكفي الحالة التى وصلت لها بسببك , حذرتك مرة من قبل يا ادهم مهران الا أنك لم تهتم .....الآن و قد ضيعتها من يدك للمرةِ الثانية فلا تلم الا نفسك ..... حلا ... لن ... تعود اليك "

شددت سابين على آخر ثلاث كلمات مما جعل ادهم يقوم من مكانه صارخا كالمجنون

" سااااابين ..... اقسم ان اقتلك .....ان لم تخبريني أين أنتن حالا ..... , لو كانت لديكِ ذرة شجاعة لكنتِ انتظرتِ حتى تواجهيني بدلا من ان تخطفي حلا و انا غير موجود..... "

لكن قبل ان يسمع حرفا و احدا كان احمد قد اختطف الهاتف من يده بعنفِ و وضعه على اذنه ليسمع صوتِ ساحرته الشريرة التى دمرت العالم من حولهم جميعا ....فوصله صراخها الشرس الذى اشتاق الي جنونِ نبرته

" فلتفعل اقصى ما عندك يا ادهم مهران ..... لو كنت انت الذى تملك الشجاعة لواجهت ندا يماثلك قوة بدلا من التجبر على حلا التى لم تخرج من محنتها الى الآن ..... لكن ها أنا ذا خير ندِ لك ..... و لتخبر المجنون الآخر أن سما لن تعود اليه ولو على جثتي.....لقد تركتكم تعبثون كثيرا يا آل مهران .....و كان خطأ كبيرا منكم أن تمسو شيئا يخصني ..... فإن لم تعلمو بعد .....أنا ..سااابين ...الرااشد "

" أنا أحبك..... "

قاطعت هذه الكلمة الهادئة صراخها المجنون لتصمت تماما و هي تتحقق من الصوت الغادر ....فتابع احمد قائلا بشغف لم تسمعه منه من قبل

" لم تعطني الفرصة لأقلها لك من قبل ..... كنت كشوكة في خاصرتي في كلِ مرة أراك فيها ..... لقد ذكرت لي في ورقتك السخيفة أنك اكثر شراسة حين تحبين ..... لكنك لا تعلمين بعد كيف أكون أنا حين احب .....و بالأخص حين تهرب مني حبيبتي .....لذا فسأخبرك بكلِ هدوء يا سابين .....فلتتعقلي و تعودي انت و شقيقاتك بكلِ أدب قبل أن أعثر عليك ... ووقتها ستعرفين كيف أكون شرسا حقا حين أحب "

وصله بعد فترة الصوت الناقوسي المذهل وهو يقول بكل إغراء العالم

" يال غرورك يا احمد مهران .....تقف مكانك ولا تملك أي ورقة لتلاعبني بها , ومع هذا تأمرني بكلِ ثقة أن أعود "

ظهرت ابتسامة شيطانية على شفتيه و هو يهمس

" ستعودين يا سابين .... وبنفسك ....قبل أن أصل اليك "

ردت سابين بهدوء ينافس هدوءه " في أحلامك .....يا زوجي العزيز " ثم أغلقت الخط.....

نظر كلا من ادهم و فارس الى احمد و اعصابهما تكاد تحترق انتظارا فقال اخيرا "؛ لقد أغلقت الخط..... "

استدار ادهم صارخا و هو يغرز أصابعه في خصلات شعره بعنف بينما عاد فارس ليرتمي على الكرسي خلفه و هو يشتم.....

رمى احمد الهاتف و قد غادره هدوءه الزائف و عاد الغضب ليملأ كيانه بعد أن كاد يستسلم لرفرفاتِ صوتِ الشريرة و هو يداعب اذنه ..جالبا اليهِ ذكرياتِ ليست في وقتها أبدا.....

عاد ادهم لينظر اليه مرة أخرى نظرة اتهام و هدر فيه " هل يمكن أن تخبرني كيف سنتصرف الآن ؟.....من المؤكد أنها ستأخذ الهاتف من سما أيضا..... "

نظر اليه احمد بوجوم لا يعرف ردا لسؤاله و اقسم بينه وبين نفسه أن سابين ستتلقى منه ما لم تره في حياتها ..... فقط حين يجدها....

أغمض ادهم عينيه بيأس وهو يحني برأسه و يستند بكفه على الحائط و همس بتعب

" إنها لا تعلم حالة حلا ..... لا أحد يعلم كيف يتعامل معها غيري , ماذا لو انهارت من جديد ؟.....قد تؤذي نفسها عن قصد , أنا أعلم ..... يا الهى لقد أغلقت عليها كل ما استطعت أن أغلقه , وها هي تتسرب بعيدا مرة اخرى..... "

اقترب منه احمد ببطء ثم ربت على كتفه و قال بصوتِ مهزوز يحمل في طياته الكثير

" لا تخف عليها .....إنها مع سابين "

نظر اليه ادهم بوجوم ثم قال بغضبٍ مكتوم " ومتى كانت سابين تعلم عنها أي شيء ؟.. متى كان أي أحد يعلم عنها أي شيء أو يهتم لها "

نظر احمد الى عمق عينيه و رد بثقة مختنقة في صوته المكبوت و ابتسامة شاردة ترتسم على شفتيه

:" اذن فقد جاء الوقت لتتعلم من سابين ..... أنت لا تعلم سابين جيدا ....إنها قوية كنمرة , محاربة لا تهزم ,

شجاعتها لم أرها على غيرها ..... رقيقة كطفلة مشاغبة .....ناعمة كوردة بيضاء , مجنونة كساحرة تطير على مكنستها..... "

نظر اليه ادهم وقد عقد حاجبيه وهو لا يصدق أن احمد مهران هو الذى يتكلم ...ثم قال أخيرا بغضبٍ يكاد أن ينفجر

:" آآآآآ.....أكره أن أقاطع لحظات عاطفتك الجياشة ..... لكني الأن أبعد ما أكون عن الحاجة الى سماع غزلٍ يخص تلك ال .....يخص سابين ..... لو تكرمت "

نظر احمد اليه نظرة مريرة و قال بحزم

" ما احاول قوله أنك ستكون محظوظا لو استطاعت حلا التقاط بعضا من قوة سابين .....وهذا على ما يبدو ما فشلت أنت في تقديمه لها..... "

لمعت عينا ادهم بوحشية ومد يده بقبضة من حديد ليمسك بذراع احمد و هو يقول هادرا

"كيف تجرؤ على انتقاد تصرفي ..... وماذا عنك و عن تصرفك الحقير مع سابين .....اذا أتيت للحقيقة فإنك أنت السبب الرئيسي الآن فيما نحن جميعا فيه "

ابتعد احمد عنه وهو يزفر بعمقٍ و قال بعد فترة و الغصة في حلقه

:" هناك أشياء .....لم أستطع تجاوزها "

صمت ادهم ولم يجد القدرة على الرد فهو يعلم جيدا ما يقصده احمد , فهو أيضا لم يستطع تجاوز الكثير من الحواجز بينه و بين حلا ...لذا فليس من حقه أن يضغط على احمد اكثر من اللازم .....خاصة و أن تحت واجة الهدوء الظاهرة عليه , يكمن بركانا على

وشكِ الانفجار .....فهو احمد مهران و هو يعرفه اكثر من الجميع.....

.....

.....

.....

كانت حلا مرتمية على فراشِ تبكي بشدةِ بعدما انهت سابين المكالمة بينها و بين ادهم بكل ِ قسوة .....يا الهي ما أقساها .....الم يعرف قلبها الحب أبدا.....

كانت ستموت حين سمعت صوت ادهم الحبيب يتسلل الى اذنها ....حبيبها الوحيد و حصنها الدائم .....شعرت بأن الروح قد دبت فيها من جديد حين سمعت صوته ... يالهي لم تكد تمر ليلة وها هي تكاد تموت بدونه.....

أخذت تشهق عاليا وهى تتكور حول نفسها , حين شعرت بقبضةِ كالحديد على ذراعها ومخالبِ مؤلمة تتشبث في لحمها لتجذبها حتى أجلستها .....ثم اتاها صوت سابين يهدر في اذنيها

:" الم امنعك من مكالمة أيا منهم .....اليست لديكِ ذرة من كبرياء ؟.....الم تكتفي بمافعله بكِ بعد.....لقد تجاوزت شعوري بالشفقة ناحيتك حتى أصبح اشمئزاز من ضعفك المخزي "

أسقطت حلا رأسها مغمضة عينيها بشدةِ وهي تبكي و تشهق بصوتِ عالِ تحاول التلوي من بين يدي سابين حتى تفلت منها وتغلق اذنيها بكفيها , لا تريد أن تسمع رأيها ..... رأيها الذى تعرف بداخلها انه حق اليقين.....

لكن سابين لم تمنحها الفرصة للهرب من الحقيقة وظلت متمسكة بها بوحشية وهي تعلو بصوتها فوق صوتِ شهقاتِ حلا

"كم من الذل يجب أن تتحملي حتى تنتفض روحك رفضا لما تلاقيه من هوان .....في المرةِ الاولى كان لكِ عذرك نوعا ما فقد كنتِ صغيرة و كانت ايثار تسيطر عليكِ بشكلٍ ميؤوس منه ..... أما الآن فما هو عذرك ؟..... أنتِ امرأة ناضجة في الخامسة و العشرين , والى الآن لا تستطيعين اتخاذ قرارا يخصك بمفردك .....تتحملين ذله لكِ من أجل أن تظلي تابعة لظلِ أحد .... أي أحد ..... كما تعودتِ دائما "

صرخت حلا بشدة و وجهها يكاد ينفجر من شدة احمراره و تورمه " كفى ..... كفى ..... لا أريد أن أسمع "

الا أن سابين ظلت على اصرارها و هي تصرخ اكثر

" الم تتعلمي من زواجك الفاشل الاول ؟.....لتبيعي نفسك مرة ثانية "

صرخت حلا بشدةٍ و هي تدفع سابين في صدرها حتى تمكنت من الافلات من بين يديها ثم استمرت في دفعها و قد فقدت السيطرة على نفسها تماما وهي تصرخ بلا توقف

" و ما أدراكِ أنتِ بزواجي .....ماذا تعرفين عنه ..... كلا منكن سارتِ في طريقها دون أن تسأل عني ..... كنت أغيب لفتراتٍ طويلةٍ و أنا أنتظر أن تظهر أيا منكن لكن دون جدوى .....لقد ذقت كل أنواع الألم , ألما لم تكوني لتتحمليه أبدا و انتِ تكلميني بكل هذا الاشمئزاز الآن .....هل ذقتِ طعم الضرب مرة ؟..... الضرب بحق حتى تتذوقي طعم دمك ..... حتى

سمعين صوت إحدى عظامك وهي تكسر .....حين تجبرين على الانحناء لتقبيل قدمي الذى يفعل بك كل هذا .....و الآن تأتين بكل ثقة و تسأليني إن كنت أمتلك ذرة كرامة ؟..... لقد نسيت معنى هذه الكلمة أصلا..... "

صمتت حلا وقد هدها البكاء فدفنت وجهها بين كفيها لتفرغ كل آلامها بينهما , بينما أخذ جسدها يرتجف بشدة

ظلت سابين تنظر اليها بصمتٍ للحظاتٍ ثم لم تتمالك نفسها فجذبت حلا من شعرها لتدفن وجهها المتورم من البكاء في صدرها وهي تحاوطها بذراعها الأخرى بشدة كادت أن تحطم ضلوعها ..... استمر ارتجاف حلا طويلا بينما سابين تشدد من احتضانها اكثر واكثر و دموعٍ غادرة بدأت في التجمع بعينيها المتوحشتين.....

الى أن سمعت صوت حلا ينفد من صدرها مختنقا و هي تقول من بين عاصفة بكائها

" لقد آذاني كثيراااااا..... لقد كنت أنتظر أيا منكن كل ليلة حتى فقدت الأمل فلم أعد انتظر الا شروق الشمس .....لو .... لو كان ادهم يعلم ما يحدث لي لكان طار الي و انتزعني منه .....فقط لو كان يعلم .....لم يفعل لي أحدا مثلما فعل هو أبدا..... "

استمر بكاؤها طويلا الى أن نشجت عدة مرات , بينما سابين تشعر بأن نشيجها ينفذ كخنجرٍ الى صدرها وهي تتذكر كلماتِ عماد الراشد الذى أوصاها بحلا بالذات .... و كأنه كان يشعر بما سيحدث لها .....لقد ارتاح بالا يرى ابنته وقد أصابها كل هذه الفظاعة و ال..... .....سقطت دمعتان خائنتان على وجنتيها لم تستطع منعهما .....أين كانت ؟.....أين كانت وتركتها ؟..... شغلت نفسها بالنجاةِ من أسرةٍ مختلة .....وتركت حلا

تواجه مصيرها مقنعة نفسها بأنها هي من اختارت طريقها فلتتحمله اذن .....تعاقبت الدموع على وجنتيها اكثر.....

شعرت فجأة بأن حلا تشهق بشدة ِو كأنها تلتقط أنفاسها بصعوبة فرفعت سابين وجهها وهي تمسكه بين كفيها لتربت بقوةِ على خدها و تقول بصرامة ِ مختنقة وراء دموعها

" خذي نفسا عميقا .....هيا مرة أخرى , اهدأي "

نفذت حلا ما تقوله سابين تلقائيا الى أن خف ارتجافها قليلا و باتت أنفاسها تخرج كشهقاتِ ممزقة من التعب

بعد لحظاتِ طويلة ِ وهما على هذا الحال تمكنت حلا أخيرا من رفع عينيها الى عيني سابين و همست بضعف و دموعها تجري كالانهارعلى وجنتيها

" أنا احبه ..... أنا أحبه يا سابين ولا أستطيع الحياة بدونه ..... أرجوكِ أعيديني اليه ..... لا أملك القدرة على الخروجِ وحدي "

صمتت وقد خنقها بكاؤها من جديد فاحنت رأسها .....لحظة واحدة و سحبتها سابين من ذراعيها و هي تقول بصرامة

" تعالي..... "

جرتها خلفها حتى وصلت الى المرآة أمامها ثم وقفت خلف حلا و قالت بنفس الصرامة

" انظري الى نفسك ..... ارفعي رأسك يا حلا و انظري لنفسك قبل أن أفعل أنا رغما عنكِ..... "

رفعت حلا رأسها ببطء شديد وكأنها تشعر بالخزي مما ستراه ..... لكنها تمكنت من فتح عينيها أخيرا .....

ونظرت الى نفسها .....لم تحتج سابين أن تشرح أي شيء قبل أن تتفرس حلا في منظرها.....

كانت ..... كانت كشبحِ هزيل ..... بوجهِ متورم و شفتين انتفختا و احمرتا بشدة ..... عينين حمراوين واسعتين مذهولتين لا تعيا أيا مما يحيط بهما .....شعرها مربوط على هيئة ذيل حصان ..... منذ أن ربطه ادهم لها بالأمس ..... لكن خصلا كثيرة الآن انسابت حول وجهها الشاحب الهزيل.....

لا تزال ترتدي قميص النوم الطفولي و الذى خرجت به من القصر .....يا الهي إنها تبدو بائسة للغاية ..... هل من المعقول انها تنظر الآن الى زوجة ادهم مهران ..... ما الذى وجده فيها ..... كيف تقبلها و هي تبدو مخزيةِ الى هذه الدرجة .....إنها تبدو كأطفالِ الشوارع المشردين ..... ليس في ملبسها فقط ..... بل في نظرة عينيها ..... نظرة عينيها لا تثير الشفقة ..... بل تثير الاشمئزاز كما قالت سابين .....نظرت الى وجه سابين الواقفة خلفها ..... إن الفرقِ بينهما كالفرقِ بين شعلة النار المتقدة .... وبين الرماد المتخلف عنها ..... انحنى حاجبها على هيئة رقم ثمانية فبدت كالجراء الضائعة ..... وعادت لتبكي من جديد.....

أمسكت سابين بذراعيها وهزتها بقسوةِ وهي تقف خلفها .....و قالت بصلابة

" انظري الى نفسك ..... هل هذه هي حلا ؟..... هل هذه هي أنتِ منذ ما يقرب من ست سنوات .....كيف وصلتِ الى هذا الحال .....بسبب ماحدث لكِ ؟؟؟..... لكنك نجوت ..... وهذا وحده انجازا يجعلكِ مجبرة على الوقوفِ على قدميكِ من جديد .....غير مسموح لكِ بالتخاذل بعد أن نجوتِ يا حلا .....هل تفهمين ؟.....هل تفهمين ؟....."

كانت تهزها عند كل سؤال ..... فتتراقص خصلاتِ شعرها من حولِ وجهها و ترمش عينيها بسرعة ..... وينتفض قلبها بشدة.....

الى أن التقت عيناها بعيني سابين في المرآة ..... فسكنت الاثنتانِ تماما .....كان هناك اتصلا غريبا بين عينين مكسورتين خضراوين ممتزجتين بالعسل و أخرى تبدو كحجرين كريمين ليسا فقط في لونهما الأزرق الغريب بل في صلابة الأحجار.....

وكان عينا حلا كانتا تخبران عيني سابين بالكثير .....وعينا سابين كانتا تتلقى منها و كأنها تعرف جيدا .....

قالت لها سابين بعد فترة صمت طويلة قالتا فيها الكثير

" اذا أردتِ الذهاب فلتذهبي ..... أنا لن أحتجزك كما فعل هو , لكن بشرطِ واحد أن تكوني راضية تماما عن حالك الآن .....ولتذهبي وحدك, أنا لن أعيدك بنفسي ..... إن أردت اختيار طريقك فلتسيري به بمفردك "

تركت حلا عيني سابين و اتصلت بعينيها هي و كانها تسالها عما تريده حقا .....أو عمن تريد أن تكونه ..... حلا الراشد .....أم زوجة ادهم مهران.....

اغمضت عينيها لتنساب دمعتان مرهقتان على وجنتيها وهي تفكر ..... ومن التي أحبها هو ..... حلا الراشد .....أم زوجة ادهم مهران.....

تركتها سابين بعد أن طبعت قبلة على قمة رأسها و خرجت بهدوء الى سما التى كانت مستندة على الجدار المجاور لباب الغرفة و تستمع الى كل ما يحدث دون أن تجرؤ على التدخل.....

كانت محنية رأسها تبكي بصمت على ما وصل اليه حال بناتِ الراشد جميعهن.....

الكل يبحث عن زوجته كالمجنون ..... الا أنت يا فارس ..... الهذه الدرجة كنت رخيصة عندك .....الهذه درجة كنت أعيش وهما بنيته بنفسي .....يا الهي كم اشتقت اليك ..... لم أعتد البعد عنك لسنين طويلة ..... كيف سأتمكن من الإبتعاد عنك.....

ترى حبيبي كيف تستطيع التصرف من دوني الآن ..... كنت تعتمد علي دائما , فماذا ستفعل الآن و من سيهتم بك .....كنت على استعدادِ أن أبقَ معك , لكنك رفضت عند أول بادرةِ لخروجي عن الطوق.....

لم أكن الا مسكنا لك يا فارس .....ولم تكن الا ألمي دائما و أبدا .....

بعد يومين .....كانت سما متمددة على الكرسي الضخم ذو المساند بحيث تستند بظهرها على مسند و تؤرجح ساقيها من على المسند الآخر ..... تتلاعب بخصلاتِ شعرها , شاردة بعيدا عند أسدها الأعمى.....

و حلا متكورة على الكرسي المقابل كجنينِ صغير في طياته حتى كاد ان يبتلعها و هى الاخرى شاردة تماما و عيناها دامعتان

أما سابين فكانت تجلس على المكتب الضخم واضعة نظارتها الطبية , تدرس أوراقا كثيرة تحاول إعدادها و ترتيبها .....بمنتهى التركيز

...تركيزِ لم يقطعه الا الرنين المزعج مجددا.....

رفعت سما الهاتف من جوارها بملل وهي تنظر اليه ثم قالت بفتور وهي تعيده مرة أخرى " احمد..... "

زفرت سابين بحنق وهي تعاود التركيز بأوراقها .....
لكن بعد نصف ساعة عاد الهاتف ليرن , فنظرت سما اليه لتقول بنفس الفتور

" ادهم....."

رفعت حلا رأسها عاليا كما كانت تفعل كلما سمعت اسمه .... رنين .... رنين.....

صرخت سابين فجأة بعدوانية

" فلتغلقي هذا الهاتف اللعين يا سما لم أعد أتحمل ..... اليس لديهم ما يشغلهم ؟... إننا في منتصف النهار ؟ أين أعمالهم ؟؟؟؟....."

لم تجب سما حتى لا تستفزها فلو استفزتها اكثر فلربما تأخذ الهاتف و تلقي به من النافذة .... وهي لا تريد أن تدمر أعصابهم اكثر بقطع وسيلة الاتصال الوحيدة بينهم وبين حلا وسابين....

أووووووف ..... إن سابين أصبحت لا تطاق بالفعل .... دائما متوترة و عصبية .... لم تعهدها متقلبة بهذا الشكل ..... الا إنها تزداد جمالا وبياضا .... هناك شيئا غريبا بها لا تستطيع تفسيره.....

عاد الرنين مرة أخرى .... إنه ادهم ثانية .....رمت سابين الأوراق من يدها على سطح المكتب ثانية ودارت بالكرسي الضخم استعدادا للإنقضاض على الهاتف المسكين ..... الا إنها وقبل أن تنهض من مكانها .....كانت حلا قد قفزت بخفة الغزال لتخطف الهاتف من جوار سما و تنطلق به جارية بعيدا , فصرخت بها سابين و هي تجري ورائها باقصى سرعتها صارخة

" حلا ..... اياك ..... اياك ان تجيبيه..... "

الا أن حلا وصلت بأعجوبة ٍ الى الحمام و تمكنت من إغلاق الباب خلفها على بعد خطوةٍ واحدةٍ من سابين التى أخذت تطرق على الباب,

نظرت حلا الى الإسم الحبيب المضيء أمامها .....إن هذا الرنين هو الحافز الوحيد الذى يبقيها صامدة الى الآن .....

ضغطت على الشاشةِ برفق و رفعت الهاتف بحذرٍ الى أذنها و أرهفت السمع الى صوتٍ وحشها الحبيب....

" سما ؟.....سما ؟..... هل هذه أنتِ؟.....كيف حلا الآن ؟....أرجوكِ أجيبيني "

أغلقت حلا عينيها على الدموعِ الناعمةِ الحبيسةِ خلفهما و هي تبتسم بكل ما تحمله من حبٍ بداخلها لهذا القاسي المستبد ..... الرقيق...

" كيف حالك حبيبتي ؟....."

فتحت عينيها بسرعةٍ حين سمعت سؤاله المختنق فانسابت الدموع على وجنتيها والابتسامة تحولت الى ضحكةٍ صغيرة مشتاقه وصلت في طريقها الى أذنيه المتلهفتين ..... لكنها لم تر ابتسامته المشتعلةِ بعد ان سمع ضحكتها ...فقال بعنفٍ شغوف

" تضحكين وأنتِ بعيدة عني يا حلا ؟..... ظننتك تتألمين مثلي "

اتسعت ابتسامتها أكثر ..... وازدادت دموعها أكثر وأكثر.....

قال لها ادهم بعشقٍ و كانه يستعطفها

" أريد أن أسمع صوتك على الأقل حبيبتي..... "

مرت لحظاتِ صمت ٍ طويل .... طويل .... لم يحاول قطعها و كأنه يبتهل في سره أن ترد عليه أخيرا..... الى أن وصلته همسة أحيته من جديد

" ادهم..... "

صرخ ادهم بشدةِ ما أن سمع همستها حتى أنها أبعدت الهاتف عن أذنها للحظاتِ الى أن ينتهى

" حلا .....حلا حبيبتي أين أنتِ ..... أخبريني و سأكون عندك في لحظات , أعدك أنني لن أؤذيكِ أبدا .....أبدا .....وسأحاول جاهدا الا أكسر رأس سابين .....فقط أخبريني أين أنتِ "

ضحكت مرة أخرى من بين بكائها الذى بات جليا لأذنيه ليمزق قلبه المشتاق اليها ..... الى قالت أخيرا بصوتِ مختنق

" سأعود يا أدهم..... "

سمعت صوت تنهيدةِ عميقةِ صادرة من أعماقه قال بعدها بصوته العميق الواثق

" أين أنت حبيبتي و سأحضر حالا ؟....."

صمتت لحظة ثم قالت بصوتِ هادىء وهي تغالب دموعها و ابتسامتها الحزينة

" سأعود وحدي..... "

قال بعد لحظةِ من صمت و توجس " لماذا ؟....."

ردت عليه حلا بنفس الهدوء " لأنني سأعود حين أعود حلا من جديد..... "

سمعت صوت خبطة قوية وكأنه لكم حائطا او شيئا ما فخافت عليه بشدة و نادته بسرعة " ادهم..... "

وصلها صوته غاضبا بشدة و كأنه مل من كل هذا العبث

" لماذا تفعلين بي كل هذا ؟ هل تعاقبيني يا حلا ؟.....كل هذا لأنني ضعفت قليلا , قد أكون آلمتك ... لكن الم تفكري أنكِ أنتِ أيضا آلمتني بشدة..... "

شعرت بغصةٍ في حلقها وهي تبتلع دموعها المريرة و قالت بضعف وتمزق

" أعلم .....أعلم حبيبي أنني آلمتك بشدة ..... و لم أكن أتصور أن أقوم بهذا , لهذا لن أعود قبل أن أرمم نفسي ..... سأعود حلا التى أحببتها قديما .....أما حلا التى تركتك فهي التى ستبعدك عني و أنا لا أريد أن أعيش اليوم الذى ستتركني فيه .....لن أحتمل هذا أبدا , وحتى إن لم تتركني سأظل دائما أعيش هواجسي و رعبي من أن تتركني يوما ما..... "

حاول الكلام هادرا وقد أحرقته كلمة حبيبي التى صدرت بعفويةٍ من بين شفتيها " أبدا لن..... "

الا إنها قاطعته تترجاه أن يفهمها " حتى لو بقيت معي للأبد ..... سيموت حبك لي يوما ما , لأنني لست هي ..... لست حلا التى أحببتها يوما..... "

سمعت صوت أنفاسه الممزقة الغاضبة ثم قال أخيرا

" حسنا ..... حسنا يا حلا , لكن بشرط أخبريني أين أنتِ لأطمئن عليكِ "

ضحكت حلا ضحكة صغيرة حملت كل حزنها و ألمها ..... حبها و اشتياقها ....ثم همست

" هل تظن حقا أنني سأصدق بأنك ستظل مكانك لو علمت أين أنا ؟....."

جذب نفسا حادا عميقا ثم هتف بحنقٍ لم يستطع السيطرة عليه

" نعم .....أنت محقة , لن أنتظر لدقيقةٍ واحدة حتى أصل اليكِ و اجذبكِ بين ذراعي حتى تصرخين طلبا للرحمة .....أتوق لتقبيلك يا حلا , أتوق لتقبيلِ شفتيكِ الشهيتين بشدةٍ تجعلني أكاد أقتل نفسي لأني تركتك آخر مرة ..... حلا لقد أصبحتِ تسرين في عروقي "

أغمضت عينيها حين تذكرت اللحظاتِ المخزيةِ لها حين تركها و خرج ..... لكنها تمكنت من الهمسِ أخيرا

" لقد أصبت حين تركتني يا ادهم ..... لم أكن لأحترم نفسي و أنا أستجدي سماحك بهذه الطريقة .....لا أعلم كيف كنت..... "

قاطعها ادهم بقسوة

" حلا توقفي ....أنتِ زوجتي , كان يجب أن أظل بجوارك , اعطني فرصة أخرى يا حلا و أخبريني أين أنتِ..... "

همست حلا برقةٍ قبل أن تضعف اكثر

" سأعود .....أعدك أنني سأعود , و بأني لن أكون لغيرك أبدا..... "

صرخ ادهم بشدة " حلا لا تغلقي الخط .....إياكِ "

لكنها أغلقت الخط وهي تعلم أنها لو أبقته مفتوحا للحظةٍ وحيدةٍ أخرى لكانت سقطت على ركبتيها تخبره بمكانها و تترجاه ليأتي و يأخذها

اخذت نفسا مرتجفا طويلا و مسحت وجهها بكفيها و هي تنظر الى صورتها في المرآةِ أمامها ..... ثم ابتسمت لها وهي تهمس

؛" اطمئني .....لن أبعدك عنه طويلا , فقط عودي من جديد "

ثم تقدمت وفتحت باب الحمام بهدوء لتواجه مصيرها المتمثل في سابين الشرسة الواقفة أمامها مكتفة ذراعيها تنظر اليها بوحشية ٍ لم تلبث أن أخذت في الإختفاء تدريجيا وهي تنظر الى عيني حلا الباكيتين ..... لكن مشعتين ..... وابتسامةِ أمل جديدة تحاول الإرتسام على شفتيها .....قالت سابين أخيرا

" ماذا قررتِ ؟....."

قالت حلا برقة " سأظل معكما .....الى أن أصبح جاهزة "

ابتسمت سابين و جذبتها بين ذراعيها بشدة ..... الى أن سمعا صوتِ سما الرقيق من خلفهما

" أنا أيضا أريد أن تحضناني..... "

ضحكت سابين و هي تفتح إحدى ذراعيها لتندفع اليها سما دافنة رأسها في صدر سابي متشبثة بحلا.....

.....

.....

.....

بعد أسبوعين ..... كانت تالا تقف في غرفة تغيير الملابس بمدرستها و قد بان الحزن على معالمها الصغيرة الرقيقة , كانت ترتدي ثوبا ابيضا صغيرا منفوشا كراقصاتِ الباليه بجوارب بيضاء طويلة شفافة و حذاء فضي ..... كما أن الثوب مثبت في ظهره جناحي فراشة عملاقان شفافين مزينين بالالماساتِ المتناثرة .....و تاجٍ من ريشٍ ناعم هفهاف يغطي رأسها .....كانت ترتدي

زي ملاكِ صغير و قد بدت رائعة بشكلٍ يسلب العقل .....

لكن عينيها البندقيتين كانتا مائلتين بحزنٍ عميق وهي تفكر بأنها ستحضر حفلة عيد الأم وحيدة ..... بالرغمِ من إنها ظلت تتمرن للاستعراض الذى ستقدمه طويلا ..... كانت تريد أن تفاجيء به أباها .....لكنه نسي تماما , فهو مؤخرا في حالة غريبة .... لم يسبق له أبدا أن ابتعد عنها الى هذا الحد .....تمر أياما بكاملها دون أن تراه حين يعود متأخرا جدا بعد نومها بوقتٍ طويل ..... دائما شارد ....و أحيانا غاضبا بشدة .....لم يعد يتناول طعامه معها و لم يعد يقرأ القصص لها قبل النوم ..... لأنها لا تراه أبدا.....

كم كانت تنتظر عودة سابين من شهر العسل الذى لا ينتهي هذا أبدا .....لكن يبدو أنها لن تعود أبدا ..... الكل يخدعها و يظنون أنها تصدقهم حين يخبروها أن سابين مسافرة و ستعود ..... تماما كما أخبروها بأن لها أما مسافرة و ستعود وهي صغيرة .... الى أن جلس معها والدها يوما و أخبرها أن أمها لن تعود لكنها في مكانٍ أفضل و هي سعيدة لذا يجب أن يسعدا لها.....

وقد تقبلت الامر لانها لا تتذكرها ..... لكن سابين .... كانت قد ظنت بأنهما ستكونان صديقتين جدا ..... فهما متشابهتانِ للغاية.....

لكن يبدو أن سابين تركت والدها و لن تعود أبدا ..... حتى دون أن تودعها .....و ها هي جدتها تتأخر عن الحضور , لقد نظرت الى المسرح من خلف الستائر و وجدت الكرسي المحجوز لها فارغا ..... لقد ضاع كل تعبها في التمرين هباءا و لن يراها أحد.....

" كيف حالك يا شريرة..... "

انتفضت تالا بشدة حين سمعت الصوت المألوف و استدارت بسرعة صارخة

" سااااابين ؟....."

كانت سابين واقفة أمامها بكامل أناقتها ترتدي فستانا ضيقا رماديا يحدد جسدها الفارع يصل الى ركبتيها و جوارب سوداء ناعمة تغطي ساقيها و حذاءا أسودا أنثويا بكعبٍ عالٍ رفيع و شعرها كان حرا طليقا على ظهرها بشكلٍ يخطف الأنفاس..... كانت تبدو مذهلة و كل الفتيات الصغيرات في غرفة التبديل ينظرن اليها بإنبهار يسألن بعضهن عمن تكون هذه الساحرة.....

قالت سابين و هي تبتسم ابتسامة شريرة رافعة أحدى حاجبيها

:" بلغني أن هناك حفلا لعيدِ الأم ينقصه أما ....."

ابتسمت تالا بخبث وهي تقترب منها .....ثم قالت بعد لحظة بمرح و تششك

" ومن هي الأم ؟.....أنتِ ؟....."

اتسعت ابتسامة سابين وهي تقول ساخرة " في أحلامك ....."

ضحكت تالا عاليا و قد شعرت فجأة أن الحزن قد غادرها و هي تجد ساحرتها الشريرة..... التى أكتشفتها يوما ..... تقف أمامها بكامل جمالها .....ثم ردت بمرح

" اذن ماذا تفعلين هنا..... "

نظرت سابين حولها الى الفتياتِ الصغيراتِ اللاتي يرتدين فساتين الملائكة و يتهامسن عليها .....ثم قالت مبتسمة ٍ بسخرية

" أردت أن أراك و أنت ترتدين هذه الأشياء السخيفة ..... ستبدين ظريفة على المسرح ..... قد يظن من يراكِ أنكِ طفلة فعلا "

ضحكت تالا عاليا الى أن جاءت المُدرسة لتعلن عن استعدادهن للتحرك الى المسرح فتناولت تالا عصاتها السحرية الفضية بسرعة ثم قالت لسابين بلهفة....

؛" ستجلسين في المقعد المحجوز لجدتي ..... كان من المفترض أن تحضر الا إنها لم تأتِ و حتى إن أتت فلتبحث لنفسها عن مكان جزاءا لتأخرها..... "

ضحكت سابين من شدة وقاحة تلك المجنونة الصغيرة لكن قبل ان تنصرف تالا كانت قد التفتت الى سابين سريعا و نثرت مسحوقا فضيا لامعا من عصاتها السحرية فوق رأس سابين و هي تهمس

" هذه تعويذة حتى لا تختفي ثانية ....." فلتظلي أسيرة لأبي للأبد ....." "

ثم استدارت راكضة مع باقي الصغيرات و هن يضحكن متحمسات.....

بينما ظلت سابين واقفة مكانها تنظر بشرود يراودها شعور غريب بأن تلك التعويذة قد سرت بالفعل و انتهى الأمر.....

أثناء ذلك الأستعراض كانت سابين تجلس بحنق .... الملل يقتلها ....سابين الراشد جالسة في حفلِ مدرسي ..... تشاهد عرضا مسرحيا ساذجا .... لصغيراتٍ يبتسمن بسذاجةٍ و حماسة , وكأنهن يقمن بمهمةٍ مستحيلة .....

وهي جالسة بين مجموعة من الأمهات يمسكن بأيدي بعضهن البعض و عيونِ بعضهن دامعة و كان صغيراتهن يقمن ببطولةِ من نوعِ ما.....

انحنت الى الأمام تستند بذراعيها الى ركبتيها .....و أغمضت عينيها ..... سابين الراشد تشاهد هذا الاستعراض الساذج بدلا من أن تكون الآن في وسطِ اجتماعِ عملِ مهم , أو تناقش صفقة ما ..... هل هذا ما آل حالها اليه ؟..... كل هذا بسبب الغبي احمد مهران الذى أفسد كل ما حققته يوما .....لابد وأنه استبدلها بأخرى.....

شعرت فجأة بيدِ حنونة تربت على كتفها فرفعت رأسها لتنظر الى سيدةِ متقدمةِ في السن تجلس بجوارها تبدو عليها الطيبة قالت لها مبتسمة

" أنتِ تفوتين عرض ابنتك..... "

قالت سابين بتردد " إنها ليست ....." الا أنها قطعت كلامها و آثرت الصمت

سألتها السيدة بلطف "أيا منهن ابنتك ؟....."

ظلت سابين صامتة للحظة تنظر اليها ثم قالت أخيرا بخفوت " تالا..... "

ردت السيدة بابتسامة عريضة "تالا ؟.....لقد تعرفت اليها اليوم , إنها صديقة حفيدتي ..... إنها رائعة , إنكِ محظوظة بها "

أومأت سابين برأسها بصمت وهي تنظر الى تالا وهي تغني وسط الصغيرات

فتابعت السيدة تقول " لكنها لا تشبهك إطلاقا..... "

ردت سابين بشرود دون أن ترفع نظرها عن تالا المبتسمة " إنها تشبه والدها..... "

قالت السيدة بابتسامةٍ مرحة " لابد أنكِ تحبين والدها بشدة..... "

نظرت اليها سابين بنظراتٍ مبهمة فتابعت السيدة تقول بثقة

" يقولون أنكِ إن أنجبتِ فتاة شديدة الشبه بوالدها فذلك يكون من شدة حبك له "

ظلت سابين تنظراليها وهي تفكر ..... لست أنا من أنجبت تالا .....لابد أن ليال أحبت أحمد اذن بشدة .....

ياالهي..... ما تلك الحماقة التي تفكر بها .....لابد وأنها تلك الهورمونات اللعينة التي تتلاعب بعقلها .....سمعت صوت غناء تالا واضحا وهي تتقدم لتغني وحدها على المسرح .....تبتسم لعينيها هي وحدها دون الجميع .....فابتسمت لها سابين بشرود وهي تلوح لها دون وعي.....

و العجيب أن سابين استمتعت بباقي الإستعراض الى نهايته.....

بعد أن انتهى الحفل وقفت سابين مع تالا أمام المدرسة لتودعها فقالت تالا بلهفة

"سابين الن تعودي معي ؟..... هل ستتركين ابي ؟.....هل أغضبك بشيء ؟....."

انحنت سابين اليها و جذبتها من خصلة من خصلاتِ شعرها ..... كما فعل معها احمد ..... مرتين ..... مرة وهي صغيرة ومرةٍ وهي زوجته.....

عادت لتنفض تلك الافكار من راسها ..... ثم قالت لتالا بصرامة زائفة

" لا دخل لكِ بمواضيع الكبار .....هل فهمت ؟"

الا ان تالا لم تضحك و لم تبتسم حتى فتنهدت سابين هي تخرج مفتاحِ من حقيبتها الصغيرة و ناولته الى تالا قائلة بصوتِ خافت

" ابعثي بسلامي الى والدك يا تالا ..... و أعطيه مفتاح السيارة و أخبريه أنها تقف هنا أمام المدرسة ليستطيع أخذها بسهولة"

ثم ابتعدت برشاقة وهي تلوح لتالا التى وقفت تراقبها بعينين دامعتين.....

تلك الليلة دخل احمد متثاقلا متعبا الى غرفة تالا ..... راقبها وهى تنام في فراشها و الضوء الصغير المضاء بجوارها يفضح تظاهرها بالنوم .....إنها غاضبة منه .....لقد نسي حفلها تماما ..... كيف تمكن من ذلك .....؟

اقترب منها و جلس على حافة فراشها ثم انحنى ليقبل وجنتها الناعمة .... لكنها لم تتحرك , فقال مبتسما

" تالا ....أعرف أنكِ مستيقظة ..... افتحي عينيكِ و واجهيني ...لا تهربي "

فتحت تالا عينيها ببطء ثم قامت جالسة لتضم ركبتيها الى صدرها و هي تنظر بعيدا عابسة

ابتسم احمد بحنان لجميلته الصغيرة التى تزداد سحرا يوما بعد يوم .....ثم قال بصوت خافت مشبع بالذنب

" تالا حبيبتي .....أنا آسف جدا لأني لم أحضر الحفل , لقد نسيت تماما ..... لن أكذب عليكِ و أقول أنني انشغلت , لكن الحقيقة أن ذهني أصبح متعبا للغاية فنسيت تماما .....لكن هذا ليس عذرا و لك الحق بأن

تغضبي .....لكني أنبت جدتك لأنها لم تذكرني بينما لم تذهب هي "

نظرت اليه تالا عابسة و قالت بغضبٍ طفولي

" ليس من المفترض أن تذكرك ..... كان لابد أن تتذكر وحدك إن كنت تهتم "

اقترب منها ليأخذها بين أحضانه و يضمها الى صدره بشدة وهو يتنهد بعمق قائلا

" طبعا أهتم يا تالا ....أنتِ أغلى شخصٍ عندي في هذه الدنيا "

رفعت تالا رأسها لتنظر اليه ثم قالت وهي لا تزال عابسة

" على كلِ حال الخسارة خسارتك "

ابتسم أحمد بحنان وهو يقول " بالتأكيد خسارتي لأني لم أرَ ملاكي اليوم..... "

ظلت تالا عابسة وهي تخرج شيئا من تحتِ وسادتها و تناوله المفتاح قائلة

" ملاكك يبعث لك بسلامه وبمفتاح السيارة .....تستطيع أخذها من أمام المدرسة"

نظر أحمد بذهول يحاول التأكد من ذلك المفتاح المتدلي من بين أصابعها ثم هتف وهو يمسكها من كتفيها

" من أين أتيت بالمفتاح يا تالا ؟.....هل رأيتِ سابين ؟"

ابتسمت تالا باستفزاز وهي ترد عليه قائلة

" نعم سابين كانت موجودة بالمدرسةِ اليوم .....وحضرت معي الحفل كاملا "

ظل احمد ينظر اليها بذهول لا يصدق ما سمعه .....الى أن قام من الفراش و أخذ يركل الحائط بقدمه عدة مرات حتى يفرغ شحنات غضبه تماما

بينما كانت تالا تنظر اليه فاغرة فمها وهي لا تصدق أن والدها من الممكن تصدر عنه مثل هذه التصرفات الصبيانية.....

هدأ احمد قليلا ثم التفت لينظر الى تالا طويلا ثم اقترب منها ليجلس على حافة لفراش مرة أخرى و يعاود احتضانها بقوة .... فقالت تالا بقلق

" ماذا حدث يا أبي ؟.....الن تعود سابين ثانية ؟"

أبعدها أحمد عنه قليلا وهو يمسك بكتفيها لينظر الى عينيها بكلِ قوةِ قائلا بحزم

" إن سابين تلعب معنا لعبة حتى ترى مدى غلاوتها لدينا ..... لكني سأربح اللعبة أعدك ..... و سأحضر لكِ سابين الى هنا ..... فهي تخصنا أنا وأنتِ .....و سنعثر عليها معا لتكون لنا للأبد .....اتفقنا ؟"

ثم ضم قبضه ومدها لها فأومأت برأسها مبتسمة بمرح وهي تضم قبضتها هي الأخرى و تضرب بها قبضته .....

.....

" إبتعدن ..... أخرجن جميعا من هناااااا"

انطلقت هذه الصرخة الوحشية من ذلك المخلوق الهمجي الشرس ذو اللحيةِ النامية و الشعرِ المشعث و العينين الحمراوين من الغضب و السهر.....

ثم لم يلبث أن ضرب يدِ الممرضةِ الواقفةِ أمامه مادة يدها بأقراصِ الدواء لتتناثر بعيدا عنه مصحوبة بصيحة الممرضة المسكينة المرتعبة ....التى ما أن التقطت انفاسها حتى قالت بحنقٍ مرتعش من الخوف

" سيد فارس .... تصرفاتك غير مقبولة بالمرة .... نحن لسنا خادماتِ عندك , وحتى وإن كنا فهذا لا يمنحك الحق في أن تعاملنا بهذه الطريقةِ المبتذلة "

ازدادت نظراته وحشيةِ و شراسة حتى أنها شهقت برعب و هي تبتعد هي و زميلاتها الى آخر الغرفة عندما نهض فارس من فراش غرفته الذى كان يجلس على حافته ملتقطا عصاه الخفيفة الرفيعة و هو يطوح بها صارخا

" أنا في بيتي أيتها الحمقاء ..... أنتِ المتطفلةِ هنا و تجرؤي على إخباري كيف أتصرف ؟..... أخرجن من هذا البيتِ حالا لا أريدكن هناااا "

تجرأت الممرضة و هي تزداد التصاقا هى وزميلاتها بالحائط خلفهن ..... على أن تقول بحزمٍ زائف مرتجف

" السيدةِ أميرة هي من أحضرتنا الى هنا ..... ونحن لن نستطيع مخالفة أوامرها , كما إن حالتك تحتاج الرعاية الطبية مؤخرا..... هذا بالإضافة الى الشؤونِ اليوميةِ العادية , فأنت لن تستطيع التصرف وحدك "

صرخ فارس و قد بدا كالمجنون

" اخرسي ..... اخرسي ..... لا أحتاج الى أي أحد ..... أخرجن ..... أخرجن من هنا قبل أن أقتلكن "

ثم أخذ يدور و كأنه يبحث عنهن ..... فتعالت صيحتهن و هن يتدافعن خارجاتِ من الغرفة مرعوباتِ من هذا الأسد الأعمى .... ناسياتِ أنه ليس سوى أعمى و لن يستطيع فعل الكثير مع عجزه.....

بعد أن خرجن من الغرفة وهن يلهثن و أصوات التحطم العالية تصلهن من داخل الغرفة.....

التقطتت الممرضة هاتفها لتطلب رقما .....و ما أن وصلها الصوتِ المتلهف حتى ردت بغضبٍ وعصبية

" سيدتي ..... نحن لم نعد نستطيع التحمل اكثر ..... اعذريني في هذه الكلمة لكنه شخصا لا يطاق و أنت تستحقين الجنة على تحمله .....أنا آسفة جدا كنت أتمنى الا نخذلك .... لكننا نريد إعفاءنا من هذه المهمة ....."

وصلها الصوت الناعم متضرعا مستجديا حتى شعرت بالحرج الشديد أمام هذا الإلحاح فقالت بعد فترة

" سيدتي .... أنتِ تحرجيني بهذه الطريقة ..... أنتِ لا تعلمين كيف يعاملنا ..... إنه يعاملنا كالعبيد و يتطاول علينا .....لا أظن أن أيا من البشر يستطيع تحمل لسانه الشبيه بالسياط.... "

عاد الصوتِ الناعم ليحثها على البقاء قليلا مخبرا إياها أن لا أمل آخر لها..... الا بهن و أن مال الدنيا لن يكفي كمقابل أمام ما يقدمنه لها..... "

ظلت الممرضة تستمع الى هذا المدح باحراج حتى احمر وجهها ثم قالت اخيرا باستسلام

" حسنا سيدتي لكن هناك امرا اخر .... ماذا عن التنظيف ؟.... لم تستطع أخر خادمة على البقاء هنا لاكثر من ساعة ثم هربت من هولِ ما نالها من لسانه ....طاقما كامل جاء للتنظيف غير انه ظل يهددهم الى ان انصرفوا و هو يرفض حتى الخروج من البيت حتى يقوم احد بتنظيفه , كما انه لا يقصر في تدمير كل ما حوله , البيت الان يبدو في حالةِ يرثى لها .... ونحن لسنا هنا للتنظيف "

أخذت تستمع قليلا حتى قالت في النهاية باستسلام

" حسنا نحن في انتظارك..... "

فترة طويلة وهو جالس على حافة الفراش يلهث و يتشبث به بقبضتين من حديد .....مغمضا عينيه يتجرع عذابه وحيدا ..... إنه خائف ... خائف جدا .... أيستطيع أحد تخيل ما يشعر به من وحدة و غربة , إنه لا يعلم حتى كيف يحيا يوما بيومه , لا يواجهه الا أناسا أغراب استاجرهم ادهم او عمته ليقوموا على خدمته ..... الا أن الجميع تخلى عنه , حتى ادهم يبدو و كأنه قد نسيه تماما في غمرة ضياعه بحثا عن حلا .....شعر حين وصل الى هذه النقطة بان قلبه طار الى حلا ..... لانها ليست وحيدة بل هي مع روحه , علموا جميعا انها رحلت مع سابين و حلا .....ومن يومها و الكل يبحثون عمن يستطيعون ايجاده ...حلا او سابين او ..... سما.....

كيف كانت له حياة طويلة من ثلاثة عقود بدونها .... كيف كانت هذه السنوات ..... إنه لا يتذكر كيف كانت حياته من قبلها ..... هل فعلا كان لا يعرفها يوما .... تربت في بيته طوال عمرها و هو يدور كالأحمق في بلادِ بعيدة .... من كان يريد رؤيته كان يسافر اليه دون أن يتفضل هو بالعودةِ اليهم .....منذ وفاة والدته وهو

طفل صغير سافر مع عمته الى الخارج ولم يعد أبدا .....و بعد أن شب عنِ الطوقِ قليلا استقل بحياته الحافلة عن عمته .....حياة طويله من المغامرات و الأعمال و أعظم الناس يبتغي صداقته و أجمل النساء تتمنى صحبته.....

لو كان فقط عاد مرة واحدة خلال هذه السنوات لزيارتهم ..... لكان رآها .....آآآآه لو كان ذهب مرة واحدة لكان نظر الى عينيها.....

كان ليحمل معه الآن ذكرى لعينيها و ابتسامتها ..... وكان ليحفظ تلك الذكرى بقلبه الى آخر عمره .....أين هي الان ؟..... هل هي بخير ؟..... من المفترض أن يكون مطمئنا عليها , فسما تملك من القوة مايجعلها تتحدى جيشا أمامها ..... لكن ذلك لم يمنعه من الاحساس بضربات الخوفِ التى أخذت تضرب صدره .....فهي حتى وإن كانت المسؤولة عنه طوالِ السنواتِ الماضية , الا إنها أيضا كانت معه في منفاه البعيد دون أن تتعامل مع كثيرٍ من الناس , فكيف سترمي بنفسها الآن في غمرةِ تلك الحياةِ القاسية ؟..... كيف ستتحمل ضغوطِ الحياةِ وسرعتها من حولها وهي التى أرق من النسيم .....ياسمينااا.....

من المؤكد ان الكثيرين سيعجبون بها و الاكثر سيحاولون الايقاع بها .....بزوجته ..... الكثير من الذئاب ستحوم حول زوجته ....بينما يجلس هو هنا وحيدا عاجزا ينتظر من سيقوم برعايته.....

لم يتحمل اكثر فانطلقت صرخة متوحشة من أعماق حنجرته.....

سمع وقع أقدامِ سريعة و هي تأتي الى الباب جريا ..... ثم ساد صمتا طويلا جاءه بعدها صوتِ الممرضة يقول

" لماذا صرخت بهذا الشكل يا سيد فارس ؟....."

التفت براسه اليها و هو يسمع صوت لهاثٍ خائف .....
ظل صامتا لا يجيب الى ان قال اخيرا باختناق

" لا شيء ..... لم يحدث شيء ..... من معك ؟...."

قالت الممرضة بعد لحظة :" إنها الخادمة ستقوم بتنظيف الغرفة..... "

قال فارس بصوتٍ اجش "من أرسلك ؟....."

قالت الممرضة بسرعة " أرسلتها السيدة أميرة لكنها ذات ظروفٍ خاصة فهي من الصم و البكم .....لذا لا تحاول ان تتعب نفسك بمضايقتها فهي لن تسمعك "

رد فارس عليها بعد عدة لحظاتٍ بخفوت " هي لن تسمعني و أنا لن أراها ..... يا لها من علاقةٍ ملائمة "

قالت الممرضة بحزم

" سيد فارس ... من فضلك راعِ ظروفها و لا تضايقها لان هذا سيغضب السيدة اميرة جدا..... "

رد فارس بنفس الخفوت المختنق " و نحن لا نريد إغضاب السيدة اميرة بالطبع ..... "

ثم قال باستكانة غريبة خشنة " أنا ..... سآخذ الدواء , أحضريه لي "

رفعت الممرضة عينيها الى السماء تطلب الصبر من هذه العنجهية و الغرور الا إنها لم تجد بداً من تنفيذ ما طلب فيكفي أنه سيستجيب للعلاج اخيرا....

لحظاتٍ و كان قرصي الدواء بكفه و كوب الماء بكفه الآخر .....فقال بهدوء

" حسنا يمكنك الانصراف ..... لكن اجعليها تباشر بترتيب أشيائي حتى استطيع الوصول اليها "

ردت عليه الممرضة بعد فترة بالموافقة ثم سمع صوتِ انصرافها .... وبقي هو مع صوتِ الانفاسِ المتهدجة .....ظل يستمع اليها نفسا نفسا , تتحرك خطواتٍ حول اذنيه المرهفتين .... يسمع التقاطِ اشيائه المبعثرة .... قلبٍ يدق .... يكاد ان يسمعه .... بل يراه.....

أخذ نفسا عميقا .... يحاول سحب كل نسائم الهواء من حوله ..... لكن النسائم كانت خاليةِ جوفاء ..... باردة .....

كان قرصي الدواء لا يزالان بيده لم يتناولهما بعد .....فاسقطهما على الارض دون أن يحدث صوتا .....توقفت الحركاتِ من حوله تماما ..... فقط الانفاسِ اللاهثةِ تحكي.....

اقتربت منه خطواتِ ناعمة و وصلت اليه ..... ثم بعد لحظة شعر بملمسٍ كالوردِ على يده ليشعر بعدها بقرصي الدواء يسقطانِ في يده التى فتحتها أوراقِ الوردة ..... و قبل أن يغلق كفه عليهما كانت أصابعه تسابقت مع تلك اللحظة لتتلامس مع طول تلك الأصابع الطويلة التى ناولته الاقراص ..... لحظة واحدة فقط ..... لمسة واحدة كانت كفيلة بهروبِ تلك الأصابع سريعا .....و ابتعاد الخطواتِ الى آخر الغرفة .....

جذب نفسا عميقا خشنا بصعوبة ثم همس بعدها باختناق " شكرا..... "

الا إنه لم يسمع ردا من تلك الخادمة ..... التى لا تسمع .....و التى أكملت عملها بخطواتِ مرتبكة خرقاء.....

فقط زاوية شفته ارتفعت قليلا في تعبيرِ يتيمِ لانسانيةِ شاحبة ظهرت بالكاد على وجه هذا الأسد الأعمى

.....و هو يرهف السمع لأصواتِ الترتيب و كأنها
انغامِ موسيقية تلاعبت بأوتار قلبه.....

الفصل الثالث و العشرين

بعد مرور ثلاثة اشهر

كان أبناء آل مهران مجتمعين ككل ليلةٍ مصطحبين معهم خيبة كل يوم ..... بحثٍ دون جدى , وكأن الأرض ابتلعت بنات الراشد تماما..

كان احمد يدور حول نفسه ينفث حمما لهبية و هو يتوعد في سره ما سيفعله بها .....لن يحبسها في قلعة هذه المرة , بل سيضعها في كبسولةٍ و يرسل بها الى القمر ..... على كلِ ما تسببت فيه من شقاء لكل من حولها.....

التفت لينظر الى ادهم المجهد والذى بانت عليه إمارات التعب و الحزن فقد أطلق لحيته الناعمة الخفيفة و قد بان عليه الوقار و في نفس الوقت بركانا يهدد بالانفجار....

جالسا في مقعدٍ وثير يسند جبهته على يده ..... هادئا في الأيامِ الاخيرة .....كان كوحشٍ ساكن يتقلب على جمر النار لكن يلتزم بالصمت رغما عنه ..... فحبيبته الصغيرة تحن عليه كل فترةٍ وتسمح له بتبادل الحديث معها لفترةٍ وجيزة.....

ابتسم قليلا وهو يتذكر أحاديثهما الرقيقة في الأيام الماضية .... كانا كشخصين ناضجين يتعرفان لأول مرة ..... كل مرةٍ زادته معلومة صغيرة عنها ..... وكأنه لم يكن يعرفها من قبل .....إنها حلا برقتها و عذوبة صوتها لكنها لم تعد طفلة , بل أصبحت امرأة شجاعة او تحاول التحلي بالشجاعة بشكلٍ رائع يوما بعد يوم .....

إن صوتها يصبح أروع مع مرور الايام .... آخر مرة غابت عنه التهدجات الممزقة و أصبح صافيا ..... حزينا قليلا ....لكن صافيا كمياهِ شفافةِ عذبة.....

ضحكاتها الرقيقة و التى ترد بها على شراسته المعتادة كلما سألها عن مكانها ....تشعل قلبه و تجعله راغبا في مد يده عبر الهاتف ليجذبها من شعرها رغما عنها اليه .....فهي حلاه ..... إن أرادت أن تكبر فلتكبر بين أحضانه .....كما كبرت سنة بعد سنة منذ طفولتها.....

صحيح انه لم يوقف البحث , لكنه اطمئن بالا عليها قليلا ..... من حلاوة صوتها الجديد.....

لكنه يشتاااااق اليها .....يشتاق الى حبها ....يحتاج اليها .... فهو الآن متعبا جدا و هو في أمسِ الحاجة اليها .....يشعر بأنه طوال عمره لم يكن يستمد قوته الا منها .....سواء وهي في بيته تعطيه القوة ليصل اليها ..... او حين كانت بعيدة لتفجر براكين غضبه .....وحتى عادت اليه ليشرق بها بيته من جديد.....

أما الآن فقد اظلم البيت وضاعت ضحكاته ..... فقد اختفت حلاه .....اختفت أحلى من فيه.....

تنهد بصوتِ مرهقِ عال فنظر اليه احمد بتعاطف ..... فحال ادهم أصعب من حاله .....لأن حلا ليست سابين ..... حلا الرقيقة التى لم يرها سوى مراتِ قليلة بالتأكيد ليست ساحرته الشرسة الشريرة .....حتى انه تعجب كثيرا من كونهما شقيقتين.....

هو يعرف تمام المعرفة بأن سابين تستطيع حماية نفسها جيدا ..... لكن ذلك لا يفيده بشيء , فهو غاضبا و بشدة .... يكفي أن يتخيل نظراتِ الرجالِ لها أينما ذهبت .....فهي الآن وحيدة و العشرات سيحاولون التودد لها ... بل و التذلل ايضا.....

اشتعلت نارا في صدره وهو يتصورها تبعث اليهم بابتسامتها الساحرة العابثة .... فهذه هي سابين و هو يعرفها جيدا .... إنه حاليا يثق بها لكنه يعرف رغبتها المجنونة في العبث بقلب كل من يستحق العبث بقلبه .....

إنها تطبق عدالتها الخاصة و هو الآن عرف ذلك من كل ما عرفه عمن حاولوا التودد اليها سابقا , ومن لم تضع حدا لهم سامحة لهم بالانزلاق شيئا فشيئا الى أن تلفظهم في لحظة واحدة .....وهذا هو ما لم يستطع تجاوزه أبدا.....

والذى يقتله اكثر أن مازن مهران تحديدا كان استثناءا من هذه القاعدة .....كانت سابين تقترب رغما عنها منه خطوة خطوة .....الوحيد الذى نجح في جذبها هو المدلل صاحب الوجه الطفولي في عائلة مهران.....

لكنه الوحيد الذى يعرف ان خلف هذا الوجه الطفولي نفسا مدللة فاسدة تتلون كالأفعى لتحصل على ما تريده ..... منذ صغره وهو طفلا خبيثا يجذب الأنظار اليه بوجهه المحبب لكنه كان يخفي غيرة من كلِ من حوله.....

حين تقدم لخطبة دارين ... رفض هو رفضا قاطعا .... لكن صغيرته الحمقاء ظلت تبكي أياما و أياما حتى خافوا عليها من المرض فوافق أخيرا وهو يعلم أنه زواجا محكوما بالفشل إن آجلا او عاجلا .... لكنه خدع نفسه و أوهمها بأنه من الممكن أن تغيره دارين بحبها.....

لكن حدسه الذي لم يخدعه أبدا صدق هذه المرة أيضا و ظهر وجهه الثعباني .....لكن ما يتعجبه هو سقوط سابين في فخه بهذه السهولة , بعد أن رفضت و تلاعبت بالكثيرِ من القلوب المريضة.....

ما الذى كانت تحتاجه ؟..... وأي يدٍ ساعدته لتسلمه مفاتيح سابين ليصل الي درجة منها اقرب قليلا ممن سبقوه ؟.....

لكنه الآن وضع الحقير في مكانه الصحيح على بعدِ بلادٍ من اخته ..... و زوجته .....لكن أين هي زوجته ؟؟.....

قد يعيش معها اياما من نيران حارقة لا تهدأ بينهما بسبب عبثها..... لكنه سيعمل جاهدا على تربيتها من جديد و تعليمها الالتزام.....و لن يستلم و يتنازل عنها .... فسابين الراشد ملكه منذ أن كانت طفله صغيرة ركلته بحصواتِ حديقته.....

لكن أين هي ؟..... أين ؟.....

همس بسؤاله الأخير بصوتٍ مسموع .....فنظر اليه ادهم بوجوم يحاول حل تلك الأحجية ثم قال بصوتٍ يائس تقريبا

" لو كنت أنت سابين .....أين من الممكن أن تتواجد الآن ؟...."

نظر اليه احمد يدقق النظر اليه طويلا لتتشابك عيناهما طويلا ثم هتف احمد فجأة بلهفة

" العمل .....إن سابين لن تستلم لترك عملها أبدا فمن المؤكد أنا تبحث الآن عن عملٍ جديد "

نظر اليه ادهم باهتمام وهو يلتقط ما يفكر به احمد ..... لكن احمد سارع الى هاتفه ليعطي تعليماته السريعة ..... ولم يعد لديهم سوى الانتظار.....

عاد ينظر الى ادهم ليقول بوجوم

" من المؤكد أن عملها سيكون أهم ما ستفكر به حاليا ..... بالرغم من وجود الطفل "

رفع ادهم راسه ينظر اليه بدهشة ٍ و قال " طفل ؟.....!!"

ابتسم له احمد ابتسامة حزينة وهو يومىء برأسه , فابتسم ادهم ابتسامة شاردة وهو لا يعلم لماذا أوجعته كلمة طفل الى هذه الدرجة.....

.....

.....

.....

لم تصل احمد أية اخبار سوى بعد يومين.... خلالهما .....لم تصله أي معلومةٍ عن تقدم سابين للعمل في أية مجموعةٍ أخرى ....بالرغم من علمه أن الجميع سيحاول اجتذابها بكل سرور .....لكن .....لا شيء.....

حين كان بمكتبه واقفا أمام النافذة يتطلع منها بشرود دخلت مساعدته الجديدة وهي شابة طويلة هيفاء جميلة ذات شعرٍ أسود ناعم يشبه شعر سابين الا إنه في نصف طوله .....حين بدأت العمل في أول يومٍ لها كموظفةٍ في مجموعة آل مهران , كان ذلك بعد يومين من زواجه بسابين ..... كان من ضمن مخططاته ان يستبدلها فورا بعد زواجهما .....خلف وعده لها ؟؟.....ربما .....لكنه كان يسير وفق مخططاته التى كانت لأسبابٍ وجيهةٍ وقتها.....

لكن كل يوم ما أن يدخل مكتبه و ينظر اليها جالسة مكان سابين يشعر بتأنيب ضمير فظيع و رغبة متوحشة في جذبها بعيدا عن هذا الكرسي الذى تعبت من أجله صاحبته كثيرا .....وحققت فيه الكثير ..... والذى أيضا رآها لأول مرةٍ وهي جالسة عليه.....

تذكر نظراتها الوقحة .....ابتسامتها المغرية ..... نظارتها ذات الإطار الاسود .....شعرها المعقود دائما.....

يا الهي كم يشتاق اليها .....كم يتمنى أن يخرج من مكتبه ليجدها على كرسيها بوقاحتها و سحرها .....كيف سلبت لبه بهذا الشكل الغادر .....متى سقط أسير سحرها , إنه حتى لا يعلم.....

تنحنحت مساعدته لتنبهه من شروده الحزين .... فالتفت ينظر اليها و طبعا عاوده الشعور بالذنب حين نظر اليها , الا إنه اخفى ما يشعر به بكل مهارة ....و هو يبتعد بنظره بكل ضيقٍ عن زيها الغير محتشم بالنسبة ِ للعمل , لكنها أفضل من تقدمن للعمل .... لكن ليست في براعة سابين ..... عاد مرة اخرى من تفكيره بسابين و قال بصوتٍ صارم خافت

" ما الأمر حسناء ؟....."

ابتسمت مساعدته ابتسامة مغرية وهى تقترب منه برشاقةٍ مدروسة قائلة بصوتٍ ناعم وهي تضع ورقة مطبوعة أمامه

" هذه هي أسماء كل الشركات التى أعلنت عن بداية افتتاحها خلال الشهرين الماضيين كما طلبت ..... ولقد تلقينا دعاية منهم بالفعل ...ماعدا واحدة فقط ... والغريب أنها أرسلت بريدِ الكتروني لكل المجموعات تعلمهم بقرب افتتاح اسما جديدا.... لكنها استثنت مجموعة مهران "

كان احمد بالفعل قد هجم على الورقة الموضوعة على المكتب قبل أن تنهي كلامها و طارت عيناه الى الاسم الغريب الموجود بآخر القائمة .....ثم رفع نظره الى مساعدته قائلا بحزم

" أريد كل المعلومات الممكنة عنها .... وفي اقرب وقت "

أومأت حسناء برأسها وهي مندهشة من شدة اهتمام احمد مهران باسمِ مغمور الى هذا الحد .....لكنها ذهبت لتنفذ المطلوب رغبة منها في ابهاره بكل ما تستطيع....

.....

.....

.....

كان جالسا على حافة فراشه ... متشبثا بها ... مغمضا عينيه... وهو يرهف السمع لأصوات ناعمة لخطوات متعثرة تحوم من حوله .....حفيف التقاط ملابسه من على الأرض .....صوت القمصان وهي تعلق على الشماعات ... أيدٍ ناعمة تملس على القميص بعد تعليقه .... مرة ,مرتين..... أين هي ....ها هي المرة الثالثة.....

التقاط أحذيته المبعثرة ....الحذاء يمسح جيدا .... بضميرٍ منقطع النظير ....يصف الحذاء بجوار قرينه .....والآخر تلوه .....صوت الخطوات يقترب من الفراش ..... الاغطية تجذب قليلا من تحته لتعلمه برغبتها في تغييرها.....

نهض ببطء من على الفراش وهو يهمس مبتسما ابتسامة شاردة "آسف..... "

لكنه لم يحصل على رد ... فقط سمع صوت حفيف الاغطية الحريرية وهى تتطاير ..... باعثة بنسيمٍ عليل الى وجهه فتتسع ابتسامته قليلا .....مغمضا عينيه آخذا نفسا عميقا ..... لعله يلتقط ياسمينة متطايرة مع

الهواء ..... لكن دون جدوى ..... لا ياسمينة داعبت أنفاسه

إنه يسمع الآن صوت قرقعة قنيناتِ عطره .....ترتب أمام المرآة واحدا تلو الآخر .....أذنه التقطت نفسا ..... نفسا رقيقا يستنشق قنينة العطر الأخير ...قبل أن توضع كسابقتها.....

إن اذنه تستحق وساما ذهبيا .....فكر بابتهاج .....تدور من حوله تبتغي المغادرة.... فيدور معها وكأنه يراها .....همس أخيرا

" لابد وأنكِ نحيفة وفي رشاقة الغزال..... "

توقفت الحركة تماما و صدرت شهقة مكتومة من مكانِ ما .....فتابع فارس بابتسامةِ وقحة

"من الجيد أنكِ لم تسمعيني .....يا قطعة الحلوى "

نفسا حادا وصل الى اذنه حتى أنه شعر بنافثةِ لهب على وشكِ الإنفجار في الغرفة فأكمل يتبع حركتها بعينيه

" هل أنتِ جميلةِ كخطواتك ؟.....تتحركين كراقصة ... لستِ كالممرضات القساة اللاتي اختارتهن عمتي "

وصل الي سمعه صوت ارتطام شياؤه بغضب وهي توضع مكانها .....ثم صوتِ الخطواتِ تتحرك ناوية الخروج من الغرفة فقال بسرعة

"انتظري..... "

توقفت الخطوات متاهبة للهرب في اية لحظة .....لكنه تابع وهو يتلوى خارجا من قميصه

" خذى هذا القميص للتنظيف..... "

مد يده الممسكة بقميصه اليها ..... فسمع الخطوات الطفولية تقترب منه .... خطوة ... خطوة .....الى أن وصلت اليه فتوقفت أمامه تماما ..... نعم ..... تماما .....أنفاسها الناعمة تلامس أعلى صدره .....تتسارع الانفاس الساخنة وتجري على عضلات صدره القوي العاري .....إنها انفاسِ لفتاة خجولة مضطربة امام رجل نصف عاري .....أم هي انفاسِ امرأة ِ تأثرت نبضات قلبها لمرآه بهذا الشكل.....

أصابع مرتجفة امتدت لتلتقط القميص من بين يديه .....وما أن شعر بالأنامل الطويلة الرفيعة تلامس يده عبر طيات قماشِ قميصه ... حتى هجم بيده الأخرى على معصمها بقبضة من حديد , وفي لحظة واحدة كان قد أسقط القميص ليحيط خصرها بذراعه جاذبا إياها بقوة الى جزعه الضخم و قبل أن تغادر شهقتها المذعورة شفتيها .....كان قد هبط برأسه كالصقر الى وجهها ملتهما شفتيها بين شفتيه في إعصارِ ناري أزهق أنفاسها التى كادت أن تودي به الى حافة الجنون في الأيامِ السابقة.....

لم يعلم كم مضى من الوقت عليه وهو يلتهمها متذوقا مستمتعا بحلاوة طعمها .....هل هي ثوانى ... ام دقائق .....مستحيل أن يستطيع التحديد ..... فقد غاب تماما في سحر قبلتها ضائعا من عالمه.....

تركت يده معصمها لتنغرز في خصلات شعرها الحريرية الطويلة و تتخللها بجنونٍ وهي تصل بها الى منتصف ظهرها.....

شعر بذراعينِ ناعمتين تلتفانِ بجنونٍ حول عنقه ..... ليزداد تعمق قبلتهما.....

ثم لم يلبث أن حمل أسيرته و رماها في حركة واحدة على الفراش وهجم عليها و مرت عليهما لحظات تاها

فيها عن كلِ ما حولهما .....إنها هي .....إنها هي .....جائت اليه هاربة من حلمِ مجنون

لكن في لحظة واحدة شعر بها فجأة تقاتله بشراسة نمرة مفترسة الى أن تمكنت من القفزِ من على الفراش وجرت الى آخر الغرفة وهي تلهث بشدة ..... ثم تمكنت أخيرا من الصراخ بشراسة محببة الى قلبه

" من المستحسن أن تكون قد تعرفت علي ..... قبل أن تقدم على هذا التحرش الفاسق تجاه خادمة مسكينة ..... يا فارس مهران "

جلس متمددا على الفراش مستندا الى مرفقه وهو ينظر اليها مبتسما ابتسامة شيطانية بينما صدره يتصارع هبوطا ونزولا يحاول التقاط انفاسه بصعوبة بعد ذلك الإعصار الذى كان ..... لكنه تمكن أخيرا من الهمسِ بشغف

" لا أعتقد أنه يعتبر تحرشا .... مادامت الخادمة المسكينة قد اظهرت هذا التجاوب المذهل ....الغير قابل للوصف .....السخي في عطائه ...ال.... "

صرخت بشدة وهي على حافة الجنون

" كفى ..... توقف ....توقف .....أنا أكرهك .....أكرهك اكثر مما كرهت اي أحد في حياتي "

ضحك بشغف وهو يشير اليها بإصبعه لتأتي اليه دون حتى أن يتحرك من مكانه .....لكنها اكملت صراخها

:" توقف عن هذا .....أنا لست جاريتك بعد الآن "

ضحك اكثر وعبثه يتزايد في عينيه المشتاقتين لياسمينة لم يرها من قبل ....ثم قال بصلفِ عابث

" إن لم تعودي جاريتي ..... فماذا تفعلين هنا ؟....."

ظلت تنظر الى غروره طويلا وهي تعلم علم اليقين ... إن الأسد لا سبيل لتغييره أبدا .....و الأسد الأعمى على وجه الخصوص لا سبيل لأن يبصر ..... سيظل أعمى القلب الى النهاية.....

تمكنت من القول بتحدِ زائف

" أنا هنا بدافع الواجب ليس الا..... "

ضحك فارس قليلا .. لكن ضحكة باهتة لا اثر للمرح فيها ثم قال بصوتِ خافت ساخر

" آآآآخ .... لقد أصبتِ كبريائي ياسمينا "

ابتلعت ريقها وهي تشعر بانها مجروحة منه ومن لامبالته حتى الاعماق ... حتى إنها لم ترى انكسار عينيه , لم ترى سوى قسوة ملامحه فقالت بقسوةِ تضاهيها

" لم تترك لي خيارا و أنت تتعمد اثارة جنون كل من يحاولون خدمتك ..... الن تتوقف عن تصرفاتِ الأطفالِ تلك ؟...."

رد عليها بجفاء

" لم يجبرك أحدا على المجيء الى هنا ..... الم نودع بعضنا آخر مرة ؟"

طعنتها كلماته الفظة فلم تتمالك نفسها ولا المها و هتفت مدافعة

" أنت لازلت زوجي ..... أريد حين أتركك نهائيا ... أن يكون ضميري مرتاحا تماما , حتى أستطيع المضي في حياتي "

تصلبت ملامحه وقست عيناه اكثر ... الا أنه سأل بهدوء خطر

" تقصدين بالمضي في حياتك .....إيجاد شخصا اخر بالطبع .....رجلا .... يستطيع أن يراكِ "

لم يخطر هذا ببالها من قبل .... لم ولن تكون سوى لفارسِ واحد ..... هو فارس مهران ....الا ان الغضب أعماها و جعلها تقول بترفع

" ولما لا ..... هل ظننت انني سابقى وحيدة طويلا ؟..... اشعر من الان ان الحياة بدات في..... "

لم تستطع اكمال جملتها الحمقاء لن في لحظةِ مرعبة وقبل ان ترمش بعينيها كان الأسد قد قفز من مكانه ليصل اليها في خطوة واحدة ولم تخرج من شفتيها سوى صرخة صغيرة قبل أن تمتد قبضته لتقبض على عنقها و تضغط عليه بينما يده الأخرى جذبت شعرها بشدة حتى صرخت الما .... لكنه لم يهتم لصرختها بدا وكأن شيطانا تقمصه وهو يهمس أمام وجهها

" من قابلتِ خلال فترة تسكعك .....انطقي يا سما قبل ان ازهق روحك "

ظلت تنظر الى وجهه الشرس و هي لا تصدق أن هذا المجنون الذي يكاد يسحق عنقها الآن و يتهمها بهذه الخرافات هو نفسه العاشق الذى ضمها في جنون عاصفته منذ دقائق قليلة .....تمكنت من الهمس بغضب وهي تحاول التهرب من قبضتيه المتوحشتين

" لم أقابل أحدا .....ليس بعد ..... لكني لن أظل جاريتك للأبد , سأتحرر منك يا فارس مهران "

تركت يده عنقها لتقبض على فكها بشدة وهو يقترب بوجهه من وجهها ليهمس بشراسة أمام شفتيها المرتجفتين

" بل ستظلين جاريتي للأبد يا ياسمينا ..... ولو حاولت اللعب على هذه النقطة فستكون نهاية حياتك "

رفضت أن تخضع لهذا الارهاب فقالت بشجاعةٍ تتراجع قبل أن تبدا

" الم نودع بعضنا آخر مرة ؟؟....."

ارتعشت عضلة بعنقه وخفت قبضته على فكها تدريجيا حتى أصبحت ممسكة بها بدفء رائع ثم همس أمام شفتيها بجنون

" لن تستطيعي توديعي ما حييتي يا ياسمينا .....لانك غارقة في حبي من قمة رأسك الجميل وحتى أصابع قدميكِ الصغيرتين "

أظلمت عيناها البراقتان و ارتجفت شفتاها ثم همست بشراسةٍ نمرة جريحة تنازع الموت

" و ما أدراك أنت بالحب..... "

القت بهمستها في وجهه فتراجع بحدة و كأنها رمته بشظيةٍ جرحته .... للحظاتٍ صمت هو وصمتت هي وكلا منهما ينظر للاخر دون ان يرى هو عينيها ودون ان ترى هي قلبه.....

جذب ذقنها ليرفعه اليه اكثر ثم انحنى ليلامس شفتيها مرة بعد مرة و كأنه بالفعل يودعها لآخر مرة ..... شعرت بهذا في قبلاته .... إنه يودعها بالفعل ....لم تفكر بهذا طويلا حتى تركها اخيرا .....وهمس مغمضا عينيه

" اذهبي..... "

لم تكن مهياة لهذه الكلمة الحادة كنصلِ شفرةٍ جرت على قلبها في لمح البصر لتخلف به خيط رفيعا داميا .....همست عابسة لتتأكد

:" ماذا ؟....."

اعاد عليها دون ان يفتح عينيه

" اذهبي ..... هيا..... "

انتزعت نفسها من بين يديه بقسوة ٍ وعدلت ملابسها بعنفٍ وهي لا تكاد ترى شيئا بعد أن تمزقت الى آلاف القطع ثم جرت عدة خطوات نحو الباب الا ان همسته اوقفتها

" ياسمينا..... "

التفتت تنظر اليه .....دون أملٍ فقد مات بداخلها مراتٍ ومرات من قبل .....تاهت نظراته وشردت بعيدا ثم قال بهدوء

" أردت أن اطمئنك أني لن أفشي سرك .....فلتعد شقيقتيكِ متى أصبحتا جاهزتين , لن أعيدهما أنا رغما عنهما .....لا تخشي شيئا لن يعرف أحدا أنكِ كنتِ هنا..... "

ظلت تنظر اليه بقلبٍ مطعون و عيونٍ تنزف دما ..... شقيقتيها ؟..... لم يعبرا حتى في ذهنها خلال الدقائق الماضية .....لكن هو بدا في قمه هدوؤه و سيطرته على نفسه

استدارت تبغي المغادرة من هنا سريعا قبل أن تنهار أمامه لكنه نادى مرة أخرى بلهفةٍ

" سما..... "

عادت لتلتفت اليه مرة أخرى وقد انهمرت دموعها هذه المرة على وجنتيها دون صوت فهمس فارس

" سما .....لا تكوني لغيري أبدا "

اتسعت عيناها المغروقتانِ قليلا .... أرادت الصراخ , أرادت تحطيمِ ما حولها .....يالا ظلمه و تجبره وقسوة قلبه ..... فقط يريد أن تظل دائرة في فلكه الى مالا نهاية ..... أن تظل أسيرة حبه , وهو الذي لم يعترف بوجودِ ما يسمى حبا أصلا.....

لكن شيئا ما في عينيه منعها من أن تبثه سما لتقتل غروره , فتاهت عيناها الباكيتانِ بعينيه الضائعتين طويلا ..... الى أن همست أخيرا

" حتى وإن أردت .....فلن استطيع "

ثم استدارات لتخرج من الغرفةِ جريا قبل أن يوقفها للمرةِ الثالثة ..... لكنه لم يحاول أصلا.....

.....

.....

.....

كانت سابين تمشي جيئة و ذهابا وهي في قمة الغضب بينما حلا تنظر اليها بتوجس وقلق مما ستفعله بسما حين تعود .....انها تبدو في شكلِ شرس مخيف ..... فحاولت الكلام بخفوت

؛" سابين .....إنها فقط ذات ضميرِ حي اكثر من اللازم .....الا تعرفين سما و احساسها العالي بالواجب "

التفتت اليها سابين بشراسة وعيناها تلمعان وهي تهتف حانقة

" واجب ؟!!..... اي واجب هذا ؟.... الا تكفيها اربع سنواتِ كاملةِ من حياتها لتنتهي من هذا الاحساس الأعمى بالواجب تجاه شخصِ تلذذ بافقادها كل ما لديها من كرامة ؟؟"

أطرقت حلا برأسها شاعرة باليأس من أن تفهم سابين يوما معنى أن تحب بعمق حتى يفقد كل شيء آخر

معناه ....رن هاتف سما الذى تركته هنا ليجعل نبضات قلبها تقفز أضعاف المعتاد فقامت جريا اليه لترد على توأم روحها , ولكن مع نظرة سابين التى ازدادت وحشية وقسوة , لم تستلم حلا بل التقطتت الهاتف بكل ثقة وهي تقول بهدوء عذب

" سابين ... لقد انتهينا من كلِ هذا .... أنا صاحبة قرار نفسي و إن أردت أن أجيب زوجي فسأفعل .....أنا هنا بإرادتي لذا اعطيني حرية القرار من فضلك "

نظرت سابين اليها في حنقٍ لكنها لم تستطع ايقافها فقد كانت بداخلها تشعر بالاعجاب من تقدم حلا الرائع خلال الايام الماضية .....ظل حاجباها معقودان لكن ابتسامة غير مرئية بدأت في الظهور فابتسمت حلا ابتسامة عريضة وهي ترد على ادهم بصوتٍ خلاب و تبتعد بالهاتف.....

وفي تلك اللحظة فتح الباب ودخلت منه سما بتثاقل فاندفعت اليها سابين بغضب لتصرخ بها

" لماذا تأخرتِ ؟..... كل هذا وأنتِ تعملين بلا توقف ؟.....بدلا من ان توفري كل طاقتك استعدادا للعام الدراسي الجديد , اصبحت خادمة الآن ؟؟؟....."

رفعت سما عينيها المتورمتين الى سابين دون ان تنطق بكلمةٍ واحدة فقالت سابين و قد خمد غضبها تماما

" ماذا حدث ؟..... هل كنتِ تبكين ؟.... ماذا فعل بكِ من جديد ؟"

لم تستطع سما التحمل اكثر فانفجرت باكية وهي تدفن وجهها بين كفيها ... فاقتربت منها سابين بسرعة وضمتها اليها وهي تربت على شعرها بقلق هامسة

" ماذا حدث يا سما ؟؟ ....تكلمي لقد اقلقتني جدا "

لكن سما ازدادت تشبثا بها وهي غير قادرة على إيقاف عاصفة البكاء التى اصابتها , فقادتها سابين حتى اجلستها على الاريكة وهي مازالت تضمها الى صدرها .....ثم تركتها تبكي طويلا حتى شعرت بها تهدا قليلا فقالت بحزم

" الآن أخبريني ماذا حدث ؟.....الأمر لا يحتاج الى ذكاء لقد تعرف عليكِ اليس كذلك ؟....."

أومأت سما برأسها المدفون في أحضان سابين وهي تبكي بصمت ثم همست

" آسفة جدا يا سابين أعرف أن هذا سيجلب لكِ المشاكل..... "

استمرت سابين تمسح على شعرها بنعومة وهي تسند ذقنها عليه ثم همست برقة

" لا عليكِ .... كان هذا سينتهي إن آجلا أو عاجلا .... لقد آن الوقت و أنتِ تعلمين هذا ..... الآن أخبريني ماذا حدث و لماذا أبكاكِ بعد أن تعرف اليكِ , الم يكفيه أن تعودي لخدمته بعد كلِ ما فعله ؟....."

شهقت سما شهقة بكاء ناعمة و همست بعذاب

" لم يردني يا سابين ..... طلب مني الذهاب وعدم الرجوع ..... تماما كما كان يفعل قديما ..... لقد عشت في الوهم طويلا..... "

نفثت سابين هواءا ساخنا من شفتيها من شدة غضبها على ذلك الأحمق الذى تسبب في تعاسة سما طويلا .....قالت أخيرا بصوتٍ خافت

" أعطني الإشارة فقط يا سما وأنا سأذهب اليه وأضربه حتى يطلب الرحمة .....لطالما تمنيت أن يأتي هذا اليوم منذ اربع سنوات "

ضحكت سما قليلا من بين دموعها وهمست بعد لحظة

" هل تتذكرين عندما كنتِ تدافعين عني دائما ونحن صغارا ؟.....كثيرا ما جريت اليكِ وأنا أبكي و أنتِ بين صديقاتك , الا إنكِ لم تهتمي أبدا بهن و كنتِ تندفعي ممسكة بيدى حتى تضربي من أبكاني..... "

ضحكت سابين برقةٍ وهي تهمس

" لقد تعرضت للعقاب بسببك كثيرا..... "

ضحكت سما هي الأخرى بينما دموعها تابي الانقطاع ثم رفعت رأسها أخيرا و نظرت الى عيني سابين بعينيها الدامعتين وهمست

" أعتقد أنها النهاية بالفعل يا سابين .....لقد قدمت كل شيء , لم أعد أملك ما أقدمه بعد الآن..... "

أومات سابين برأسها وهي تربت على وجنتها ثم قالت بحزم

" لا أريد أن يشغلك أي شيء بعد الآن عن التفكير بدراستك , مفهوم ؟؟.....كنت أتمنى أن تكوني معي أنا وحلا , لكن لن اسمح بأن يعطلك أي شيء بعد الآن ....."

قالت سما بهدوء حزين بالرغم من تمزق قلبها

" أعتقد ان دراستي ستكون هي الأمل الوحيد للخروج مما أنا فيه .....لقد رهنت حياتي لشيء واحد فترة طويلة ..... طويلة جدا .....و آن الأوان لأن يتغير هذا ....."

في هذه اللحظة خرجت حلا ووجهها لم يكن يوما اكثر جمالا منه في هذه اللحظة بابتسامتها المشرقة و كأنها

مراهقة انهت للتو حديثها العاطفي مع خطيبها .....فهتفت سابين في وجهها مغتاظة منها

" حلا لماذا تركتِ الملفات التى طلبت منك أن تدرسيها لتتعلمي منها .....ثم من فضلك امسحي هذه الابتسامة الحمقاء عن وجهك , تبدين كمراهقةِ عاشقة ....."

ظلت ابتسامة حلا على شفتيها لم تغادرها وردت بكل هدوء

" لن تنجحى في اغضابي الآن يا سابين .....سأدرسها بعد قليل , أما الآن فلي رغبة في الإستمتاع بصحبة شقيقتي "

ثم تقدمت لتحشر نفسها بينهما بالقوةِ وهما تحتجان الى ان تمكنت من الجلوسِ بينهما بكلِ براءة ثم نقلت نظرها بين كلا منهما الى أن استقرت على عيون سما المتورمة لكنها لم تسألها .... فقط أحاطتها بذراعها وهى تهمس

"لم يكن هناك من هي أشد مني بؤسا .....فقط انتظري , الأيام السعيدة لم تأتيكِ بعد .....انتظري قليلا "

اغمضت سابين عينيها وهي تهمس حانقة

" يا الهي هاهو المزاج العاطفي الأحمق الذى يتبع كل مكالمةِ لها مع ادهم مهران الذى يحاول جاهدا أن يكون عاطفيا هذه الأيام "

ابتسمت حلا اكثر وهي تهمس حالمة

" بل هو من علم الرجال جميعا كيف يكونوا عاشقين ....."

تأوهت كلا من سما وسابين بحنقٍ و ملل و قامتا من جوارها .....أخذت تضحك بسرور لمنظرهما الطريف ..... بل هي تشعر الآن أن الدنيا كلها أصبحت طريفة للغاية .....

تلك الليلة كانت حلا مستلقية في فراشها واضعة هاتف سما بجوارها على الوسادة .... تنظر اليه منتظرة بشوق أن يكلمها مرة أخرى....

و فجأة علا رنين الهاتف بالفعل فأسرعت تلتقطه بسرعة , لكنها أصيبت بالإحباط تماما حين وجدت اسم احمد ....استمر الرنين وقلبها يرأف لحاله اكثر و اكثر .....كان بينهن اتفاقا غير معلن الا ترد أيا منهن على زوج الأخرى ..... لكن حلا لم تستطع احتمال تأنيب الضمير اكثر فلقد مرت ثلاثة أشهر دون أن تكلمه سابين ..... نعم هو أخطأ لكن ليس من العدل أن يتحمل كل هذا الكم من القلق ..... اتخذت قرارها بسرعة و ردت على الهاتف فوصلها صوته الملهوف مناديا

" سما ؟؟ ..... هل هذه أنتِ ؟؟....."

ابتلعت حلا ريقها و ردت بصوتٍ منخفضٍ للغاية

" لا ..... أنا حلا .... مرحبا احمد "

وصلها صوته اكثر لهفة و اكثر رقة

" كيف حالك أنتِ يا حلا ؟....."

ردت برقة " بخير..... "

ثم صمتت تماما تنتظر سؤاله المفروغ منه فقال بلهفة واضحة :" كيف حال سابين يا حلا ؟....."

ردت حلا بتعاطف " إنها بخير تماما ..... غاضبة قليلا لكنها تحاول أن تخفي هذا "

سمعت صوته وهو يأخذ نفسا حزينا عميقا ثم همس مرة أخرى

" هل هذا يؤثر عليها ؟.....هل هي ؟....."

لم يستطع أن يكمل فكرامته أبت عليه ان يتأكد من حلا إن كانت سابين تحمل طفله بالفعل ام أنها مجرد خدعة منها .....لكنه لم ينتظر طويلا حتى وصله صوت حلا الناعم

" صدقني إنها بخير ..... والطفل أيضا "

سمعت حلا صوت ضحكة مختنقة و أنفاسا متهدجة .....فقد كانت تعلم أنه يريد التأكد منها , صحيح أنه من الجائز أن تقتلها سابين الا إنها لم تهتم .... ليس هناك قلبا في الدنيا يتحمل أن يظل احمد على مثل هذه النار و الحيرة .....لم يستطع الكلام للحظات طويلة فساعدته حلا وهي تهمس

" سيكون لابنتك أخا او أختا صغيرة ..... اليس هذا رائعا ؟...."

وصلتها ضحكة متحشرجة أخرى اكثر تهدجا و اختناقا ..... يالهى ... ان هذا الرجل الكبير يبدو وكأنه تألم كثيرا بحياته .....و لقد أوقعه حظه السيء أخيرا بسابين .....الن ترق لحاله أبدا.....

أخيرا استطاع احمد الهمس بتضرع

" حلا الن تخبريني أين هي ؟....."

تنهدت حلا غاضبة من سابين بسبب هذا الموقف المتعنت لكنها همست بأسف

؛" لن أستطيع .....صدقني لن أستطيع .....إنها .....مجروحة للغاية بالرغم من أنها لا تظهر هذا أبدا لكني أستطيع أن المح الألم بعينيها .....اعطِها فقط بعض الوقت..... "

تنهد احمد تنهيدة قوية ....ثم قال بعد فترة صمت طويلة

" شكرا لكِ يا حلا .... على كلِ شيء.....لكن من العدل أن أخبرك أنني لن أوقف البحث عنها للحظةِ واحدة ..... أن أرادت الوقت فلتأخذه لكن ليكن ذلك تحت أنظاري..... "

اتسعت ابتسامة حلا وهي تقول برقةِ مشجعة

" لن يلومك أحد على البحثِ عن زوجتك أبدا .....ومن يعلم ..... قد تكون حيث تظن أنك أضعتها "

همس احمد بحيرةِ وعبوس " ماذا ؟....."

فقالت حلا بابتسامةِ خلابة " تصبح على خير يا احمد .... قبل ابنتك نيابة عني " ثم أغلقت الخط

.....

.....

.....

في الصباح الباكر كانت حلا واقفة تنتظرعلى طريق البحر مرتدية بدلتها الرياضية بلونها الأبيض و شعرها مربوط على هيئة ذيل حصان .....ثم لم تلبث أن ابتسمت قائلة بعتب رقيق

" لقد تأخرتِ..... "

اقتربت منها سمر وهي الأخرى ترتدي بدلة رياضية سوداء فقالت بمرح

" اعتذر جدا سيدتى .....هل ضايقك أحد ؟"

اتسعت ابتسامة حلا وهي تقول بمرح مماثل

" وهل يجرؤ أن يقترب أحد من حلا الراشد ؟.....فليقترب مني أحد لتكن نهايته "

ضحكت سمر وهي تقول

" ياه.... لقد أرهبتِني حقا , اذن أنا معي حماية ممتازة فلا داعي لأن أخاف من أي أحد "

ضحكت حلا وقالت رافعة أحد حاجبيها ؛" بالتأكيد .....لا تخافي أنتِ معي "

ضحكتا طويلا ثم قالت سمر

"اذن هيا بنا ..... أين توقفنا آخر مرة ؟...."

ثم انطلقتا لتجريانِ على طريقِ البحرِ معا جنبا الى جنب .....و استرسلت حلا في الحديث كما اعتادت في المراتِ السابقة.

.....

.....

.....

بعد عدة ليالي كانت سابين مستلقية في الفراش الضخم ..... تحيط بها ستائره الشفافة ..... تعزلها عن العالم كله لترسلها الى ليلةِ تحاول جاهدة أن تنساها ..... ليلة حبها للمارد الذى كسر شيئا بداخلها .....لينمو شيئا آخر.....

مدت يدها لتضعها على بطنها التى ظهرت بحياء شديد .....إنها في الشهر الرابع الآن .....هل حقا مرت

أربعة اشهر على زواجها باحمد مهران ..... إنها تشعر بها كاعوام.....

أخفضت نظرها الى بطنها وهمست وهي تتلمسها....

" ترى من ستكون ؟.....لقد جئت في غفلة مني تماما .... هل ظلمتك بمجيئك الى هذه الدنيا ؟؟.....وعلى ماذا ستحصل ؟....أبٍ لا يحترم أمك و لن يثق بها ..... وأمٍ لن تسامح أباك أبدا .....هل ستلقى نفس مصيري أنا و إخوتي ؟....."

قاطع طرقا رقيقا على الباب استرسال افكارها الحزينة ..... فنادت بهدوء وهي تخفي حزنها بمهارة

" ادخل..... "

فتح الباب ودخلت اميرة بكلِ هدوء و وقار..... وهي تنظر الى أنحاء الغرفة بحزنٍ كما اعتادت أن تفعل كل مرة تدخلها ..... فلقد لاحظت سابين ذلك مهما حاولت اميرة اخفاؤه.....

اقتربت اميرة منها وهي تبتسم برقة ثم جلست بجوارها على الفراش .....ثم وضعت يدها فوق يد سابين الملامسة لبطنها و همست بحب

" كيف حال حفيدي ؟....."

ابتسمت سابين قليلا مخفية الشرخ العميق بداخلها وقالت بهدوء " بخير ..... على ما أعتقد "

قالت اميرة مبتسمة " لا ..... لا اريد كلمة اعتقاد ... أريده بخير "

ابتسمت سابين دون أن تجيبها فتنهدت اميرة و قالت بعد تردد

" الن تسامحي احمد بعد ؟.....إنه في حالة لا يحسد عليها "

أجابت سابين بقسوة " هذه الحالة لا تقارن بما جعلنى أمر به..... "

أطرقت اميرة براسها وهي لا تجرؤ على مجادلتها في هذا الأمر .....إنها حتى هذه اللحظة لا تعرف كيف تمكن احمد من التصرف بهذا الشكل المخزي.....

حاولت ان تتكلم مبتسمة فقالت

" وماذا عن قلبك أنتِ ؟....."

ردت سابين بصلابة " ماذا عنه ؟....."

ردت اميرة بثقة " قلت لكِ من قبل أنكِ أخذتِ نظرة عماد الراشد ..... وأنا أعلم جيدا نظرة عماد الراشد حين يحب "

ردت سابين بعد عدة لحظات " ربما .....لكني أخذت ايضا قسوة ايثار الراشد "

ندمت سابين على الفور حين نطقت باسم ايثار .... فقد تجلى الألم بأقسى اشكاله في عيني اميرة حتى أنهما لمعتا بدموعٍ خفية .....صمتتا هما الاثنتانِ طويلا وهما تتجرعانِ الألم معا ....لا مزيد من الكلام ممكن أن يقال .....

في هذه اللحظة دخلت سما الغرفة مبتسمة وهي تلقي التحية على اميرة وتقبلها على وجنتيها , لكنها لم يفتها إرتباك اميرة الشديد حين رأتها .... حتى إنها أدارت عينيها و كأنها تخفي أمرا يخصها ....جلست سما بجوارهما على الفراش مبتسمة بقلق تتبادل معهما المزاح قليلا بينما غاب جو المرح عن الغرفة تماما.....

لم تستطع سما الصبراكثر فقالت بقلق

"ماذا هناك عمتى ؟.... أنتِ تخفين عني شيئا ..... هل فارس بخير ؟ أرجوكِ أخبريني "

ارتبكت اميرة طويلا و توترت و بان الحزن في عينيها اكثر فاحترق قلب سما الى أن قالت اميرة أخيرا بشفقة على سما

" لقد سافر فارس اليوم يا سما..... "

ساد الصمت جو الغرفة تماما بينما صعقت سما لما سمعته .... همست بعد فترة من الصدمة

" كيف سافر ؟..... ولماذا ؟....."

أجابتها اميرة بحزن " لم أعلم صدقيني الا بعد سفره ... لقد تعمد اخفاء الأمر عني تماما , لقد علمت أنه خطط لذلك منذ فترة فأرسل الى مدير أعماله بالخارج

و الذى انهى جميع الاجراءات الأيام الماضية .....و جاء الى هنا ليصطحبه معه "

ظلت سما ناظرة اليها فاغرة فمها لا تفهم شيئا مما يقال .... أخذت تهذى بعد لحظات

" لكن كيف ؟..... من سيرعاه ؟.....إنه..... "

صمتت حين شعرت بعدم ترابط كلامها فقالت اميرة حزنا على حزنها

" لا تقلقي ... لقد أخبرني مدير أعماله أنه في حالة هادئة و أنه سيتقبل المساعدة الطبية دون اعتراض "

حاولت سما الكلام ففتحت شفتيها الا إنها عادت لتغلقهما و هي لا تجد القدرة على الرد .... مدت سابين يدها لتربت بها على يد سما , التى نظرت اليهما بابتسامة مهزوزة وقالت بتلعثم

" ماذا ؟.... لماذا تنظرانِ الي هكذا ؟..... أنا بخير حقا ..... قد يكون هذا خيرا له , فلقد تعب كثيرا و ..... أنا أتمنى له السعادة حقا .....إنه يستحق ان..... "

صمتت حين شعرت بغصةٍ في حلقها كصخرةٍ مدببة و اندفعت الدموع الى عينيها فرمشت بسرعة وقامت من على الفراش وهي تهمس بتحشرج

" عن اذنكما ....." ثم خرجت جريا من الغرفةِ و هي تشهق شهقة لم تستطع كتمانها ... زفرت سابين بحنق وهي تهمس

" الأحمق ... الغبي , سيعرف مقدارها حين يكون قد فات الأوان "

نظرت اليها أميرة و هي لا تحتمل اكثر كل هذا الألم الذى سببه أبناء مهران لبنات عماد الراشد .... لقد أخلفت وعدها له ....وها هن بناته جميعن يعانين أشد المعاناة .....لقد خانت عهدها لحبيبها .....عند هذه النقطة قامت هي الأخرى من مكانها و هي غير قادرة على منع الدموع من القفز الى عينيها فنظرت الى سابين باعتذار قائلة

" اعذريني حبيبتي..... "

ثم خرجت من الغرفة وهي تضع يدها على قلبها المتألم .....

.....

.....

.....

كان احمد مهران جالسا بعظمة آل مهران ينافسه هيبة... أدهم مهران الجالس الى يمينه و مساعدته حسناء الجالسة الى يساره.....

كانا يجلسان بثقةٍ في اجتماعٍ تعارف لعدد من رجالِ الأعمال و قد حضر الجميع بمساعديهم .... ماعدا واحد ..... وهو من ينتظره تحديدا .....على نارٍ حامية....

التفت قليلا الى ادهم وهو يقول بملامح متصلبةٍ حتى لا يظهر عليها شدة التوتر الذى ينهش أعماقه

؛" لا تنسى يا ادهم اننى اخبرتك فقط لتاتى معى وتمنعني من التصرف بحماقة .... فمن فضلك التزم الهدوء ان كانت هي , انا احتاج لسيطرتك اكثر من سيطرتي "

ظل ادهم صامتا قليلا وهو يشعر بالغضب يكاد يفتك به و أحمد يطلب منه التزام الهدوء إن رأى سابين أمامه الآن ..... كيف له أن يمسك أعصابه فلا ينهض ليحطم رأسها على ما سببته للجميع من أذى .....لكن لا سبيل آخر غير هذا إن أراد الوصول الى حلا.....

لحظاتٍ وكانت الساحرة تدخل من بابِ القاعة .... لتتبعها مساعدتها.....

فتح ادهم عينيه على أقصى اتساع وهو لا يصدق أنه يرى حلا أمامه .....بينما هتف احمد همسا مصعوقا الى ادهم

" يا الهي ..... إنها هي بالفعل "

مال ادهم في كرسيه الى الأمام و كانه ينوي الانقضاض عليهما فأسرع احمد للإمساك بذراعه وقد صعقه وجود حلا الذى سيفسد كل شيء بجعل الوحش ينتفض في أية لحظة ..... قال احمد وهو يستجدي ادهم الذى يحاول النهوض

" أرجوك يا ادهم ليس الآن ..... بالله عليك لقد أحضرتك هنا لتهدئني , امسك أعصابك ..... الناس جميعا تتطلع بيننا و بينهما "

حاول ادهم جاهد السيطرة على أعصابه و هو ينظر الى حلاه التى غابت عنه لثلاثِ شهورٍ كاملة ..... يا الهي ما اجملها ..... انها تبرق سحرا.....

نظرت حلا الى وجوه الحاضرين تبحث بلهفةٍ الى ان اصطدمت عيناها بعيني الوحش .....ها هو ..... انتفض قلبها مرة ... مرتين .... استمر في الانتفاض حتى شعرت به يكاد يقفز من صدرها .....ثلاثةِ اشهر .... لم تره لثلاثةِ اشهر.....

غاب كل الحاضرين عنهما الآن وقد اشتبكت عيناهما في حوارٍ طويلٍ صامت ..... يبث كلا منهما نار شوقه الى الآخر عله يفهم....

كانت حلا هي أول من استرد وعيه حين همست دون صوت ... مجرد تشكلت شفتيها بحروف كلمة " حبيبي ....."

اشتعلت عيناه عشقا و اشتياقا و ارتفعت زاويتي شفتيه وهو يلتقط حروف كلمتها من حركة شفتيها.....طافت نظراته عليها من رأسها الى قدميها , كانت تبدو مذهلة و بها سحر غريب جديد عليها.....

كانت ترتدي زيا كلاسيكيا رسميا أسود محتشما لكن في نفس الوقت يحدد معالم جسدها الخرافي بشكلٍ أشعله وجعله راغبا في خنقها و تقبيلها في نفس الوقت.....

لم يستطع الصمود اكثر وهو يحاول النهوض الا ان احمد ازداد تشبثا به وهو يهمس بحدة

" ليس الآن يا ادهم أرجوك لقد بدأ الاجتماع بالفعل ونحن في غنا عن الفضائح حاليا "

أخذ ادهم نفسا عميقا و حاول التراجع في كرسيه حتى لا يهجم عليها أمام الناس بينما عيناه التهمتها التهاما

وهي تجلس مقابلة له على طاولة الإجتماعات الضخمة دون أن تفارق عيناها عينيه.....

في لحظة دخولهما الى القاعة دارت عيناها في لمحة خاطفة حتى التقطتت هدفها ..... ها هو ..... بالفعل هو بنفس الذكاء الذى توقعته عنه , وها هو نجح في الوصولِ اليها.....

دخلت سابين الى القاعة تتبعها حلا .... كانت مشيتها الرشيقة بدت وكأنها تخطو على قلوبِ الحاضرين ..... كانت كائنة خرافية من السحر و الأناقة ..... والوقار...

حتى أن الصمت ساد القاعة تدريجيا ثم تعالت الهمسات بعدها يسألون بعضهم البعض إن كانت هذه هي سابين الراشد زوجة احمد مهران بالفعل أم أنه مجرد تشابه.....

أخذت النظرات تتنقل بينهما و تأكدو جميعا من أنها هي بالفعل زوجة احمد مهران من نظراته المشتعله اليها .....انتقلت نظراته لا إراديا الى بطنها الذى لا زال ضامرا لكن عينه هو فقط من التقطتت ذلك الإنتفاخ البسيط بها .... احترقت شفتاه بابتسامة رائعه وهو يرفع عينيه الى عينيها يسألها ففوجىء بل صعق من نظرةِ حنانٍ غريبة ٍ في عينيها احتوته والقته في بحورها مع ابتسامتها الحانية وكأنها تطمئنه أن الطفل بخير ..... كانت نظرة خيالية بينهما .... لكنها دامت لحظة ..... فقط لحظة حتى أنه لم يكن متأكدا منها حيث عادت القسوة والشراسة الى عينيها.....

تقدمت سابين كملكة غازية حتى جلست في مقابلته .... واضعة ساقها الرشيقة فوق الأخرى بكل أناقة دون أن تحيد عيناها عن عينيه بكلِ تحدي .....أغلق احمد كفيه في قبضتين قويتين حتى ابيضت مفاصل أصابعه و

هو يحاول التحكم بنفسه حتى لا ينهض و يجذبها اليه .

استمر هذا الإجتماع طويلا حتى شعر كلا من احمد وادهم انهما على وشكِ الإنفجار من عدم قدرتهما على القيام بأي حركة.....

بينما كانت سابين تجلس بمنتهى البرود وهي تتطلع بنظرةِ جليدية الى حسناء مساعدة احمد التى اخذت تتعمد الاقتراب منه كل فترةِ لتهمس له شيئا .... حتى ان احمد نفسه شعر بالضيق وهو يحاول جاهدا الابتعاد عنها حين تهمس له شيئا ..... و عندما التقط نظرات سابين الثلجية عاوده الشعور الفظيع بالذنب وهي تراه سلبها ما تعبت من أجله كثيرا.....

أخيرا في نهاية الإجتماع قامت سابين بكل هدوء و وقار لتقول محدثة الحضور بعد تحيتهم

" بالطبع وصلتكم خطاباتي بقرب بدء مجموعتي الخاصة الا إن الإسم هو ما سيتغير ..... ستصبح مجموعة عماد الراشد "

تعالت الهمسات و التعليقات و الجميع في حالةِ من الدهشة ..... كيف أن سابين الراشد امتلكت الجرأة للنزول الى السوق بمجموعةِ منافسة لمجموعة مهران ..... وهل هي تمتلك بالفعل الإمكانيات اللازمة لمثل هذه الخطوة الجبارة ؟.....

بعد لحظاتِ الصدمة الأولى علا فجأة صوت احمد مهران وهو يقول بصوته العميق الواثق

" تهانئي على بدء المجموعة الجديدة ..... بالرغم من أن مجموعة مهران لم تتلقى دعوة "

التقت نظراتها بنظراته بتحدِ سافر و قالت بسخريةِ مبطنة لم يلحظها غيره

" وهل تحتاج مجموعة مهران الى دعوة ؟؟.....إنها مدرستي الأولى "

ارتفع حاجباه قليلا وهو يقاوم نفسه حتى لا ينقض عليها و يذكرها بمعلمها الأول .....استمر التحدي بينهما و بدأ الجو في التوتر الى أن أعلن عن انتهاء الإجتماع ..... وما أن بدأ الناس في الخروج أو النهوض لمحادثة بعضهم حتى قام أدهم مندفعا كأسدٍ في اتجاه فريسته بينما ظل احمد مكانه ينتظر على نارٍ خروج هذا الجمع من المراقبين له و لسابين.....

اتسعت عينا حلا قليلا وهي تشاهد اندفاع ادهم ناحيتها و عيناه مشتعلتانِ اشتياقا و ما أن وصل اليها حتى جذبها من يدها بقسوة وجرها خلفه بسرعةٍ شديدة حتى كادت أن تتعثر خلفه وهما يخرجانِ من القاعة.....

استمر ادهم يجرها خلفه يبحث بعينه يمينا و يسارا حتى حتى وجد باب سلم الحريق الخلفي فدفعه جاذبا حلا معه وما أن أغلق الباب خلفه حتى جذبها اليه محاوطا خصرها بذراعيه رافعا إياها عن الأرض وهو يجتاح شفتيها بشفتيه بقبلةٍ أخبرتها بعمقِ ما كان يشعر به وهو بعيدا عنها .....استمر شوقهما العاصف للحظاتٍ طويلةٍ وهي تحاوط عنقه بذراعيها و معلقة تتأرجح بساقيها.....

وحين ابتعدا أخيرا عن بعضهما وهما يتنفسانِ بصعوبة يتطلعانِ الى أعينِ بعضيهما بشوقٍ مجنون قطعته حلا وهي تمد يدها لتلامس بها لحيته الناعمة الخفيفة هامسة بتأوه و شغف

" لقد أطلقت لحيتك ..... كل ما تفعله يزيدك وسامة و روعة "

أنزلها أدهم الى الأرض على قدميها لكن لا ليتركها بل ليجذب وجهها الحبيب اليه ليقبله بكلِ شغف ثم ابتعد مرة أخرى مقاوما نفسه و هو يجذبها من يدها وهو يهمس " تعالي..... "

هتفت حلا و هي تجري خلفه وهو ينزل بها على السلالم " الى أين ؟.....أدهم .. الى أين ؟..... لن أستطيع أن أرحل دون سابين "

لكن ادهم لم يجبها وهو ينزل بها ..... ليتوقف عند كلِ طابقٍ مقبلا إياها بقوة .....حتى وصلا أخيرا الى الطابق الأرضي ومنه الى سيارته التى انطلق بها حاملا معه حبيبة عمره كله.....

.....

.....

.....

كانت سابين تلملم أوراقها من على طاولة الإجتماعات الضخمة وهي تشعر بعينيه مسلطتانِ عليها بقسوة كادت أن تحرقها .... لكنها لم تهتم ولم ترفع حتى رأسها اليه .....حتى خلت القاعة تماما الا منهما و مساعدته .....

اقترب منها احمد ببطء حتى وصل اليها ..... و للحظاتِ لم يستطع النطقِ بكلمة وهو ينظر الى رأسها المحني و خصلة شعرها التى حجبت وجهها عنه.....

ظلا هكذا الى أن سمع صوتِ اقتراب كعبي حذاء مساعدته العاليين وهي تطرق بهما الأرض بنفاذ صبر ثم قالت بصوتِ ناعم

" هل سننصرف الآن يا سيد احمد ؟..... "

قال بصوتٍ صارم دون أن ينظر اليها " يمكنك الإنصراف أنتِ حسناء .....سيوصلك السائق , أنا سأبقى لأقل زوجتي "

سمع صوت انصرافها بحدة دون حتى أن تلقي التحية على سابين الا إنه لم يكن ليهتم بها الآن ..... في حضرةِ ساحرته.....

رفعت سابين نظرها اليه رافعة حاجبها بسخرية وهي تقول بصوتها الذى لازال مغريا كما يتذكره تماما

" حسناء ؟؟!!!.....لقد أجدت اختيار من تخلفني "

التقى حاجباه وهو يشعر بنفس الشعور القاسي بالذنب .... الا انه رفض ان تبعده عن هدفه الذى عذبه لأشهر فقال بصوتٍ عميقٍ اجش

" كنتِ تعلمين أنني سأجدك اليوم ..... لقد رأيت ذلك في نظراتك حين دخلتِ "

نظرت الى عينيه بتحدى وقالت بنعومة

" عرفت أنك من الذكاء لتفكر باحتمال بدء عملي الخاص "

حاول جاهدا السيطرة على نفسه وهو يقول " حسنا لقد لعبتِ و استمتعتِ بوقتك ..... الم يحن الوقت لننتهي من هذه المهزلة ؟"

ظلت تنظر اليه في صمت ثم قالت بعد فترة

" لم تكن لعبة أبدا ..... إن كنت تريد أن تجدني , كنت لتجدني بكلِ سهولة .....كان من الممكن أن تكون حاضرا لحفلِ تالا .....كان من الممكنِ أيضا أن تعود لتتذكرني في أنحاء قلعتك "

اتسعت عيناه بصدمةٍ وهو يتذكر جملة حلا الاخيرة له في الهاتف فقال مصدوما

" كنتِ هناك كل هذا الوقت ؟!!!..... خرجتِ منها لتعودي اليها اليومِ التالي ؟!!! .... وأنا الذى بحثت عنكِ في كلِ مكان .....لكن كيف لم تعلم أمي بهذا ؟....."

اتسعت ابتسامتها المستفزة أكثر وهي تجيبه

" أخبرتك أنك لو أردت أن تجدني لوجدتني بسهولة ....."

أغمض عينيه بشدةٍ وهو يرفع يده الى جبهته وهو يشعر بغضبٍ شرس من كلِ من حوله .... ثم أخذ نفسا عميقا وهو يحاول تهدئة نفسه ثم قال بصوتٍ عميقٍ مجهد.....

" حسنا يا سابين .....أنا مستعدا للتغاضي عن الأشهر الماضية , فقط من أجلِ ما سببته لكِ من قبل .....لكن هذه المهزلة يجب أن تنتهي حالا , فلتعودي معي الآن ....."

لكن قبل أن تجيبه سابين بردا متحديا رآه في عينيها اللاهبتين .... كان قد رفع يده اليها لتسمع أولا ثم تابع بهدوء

:" عودي معي .....و أنا مستعدا لتمويلِ مجموعتك بالكامل "

شعرت سابين و كأنه لكمها في معدتها ..... فسكتت تماما تتطلع اليه بنظرةٍ جوفاء الى أن تمكنت أخيرا من القول بصوتٍ بارد لا معنى له

" بالطبع ..... حين يفشل آل مهران في نيل ما يريدون , لا يكون لهم سوى الحل الأزلي .....شراء نساء الراشد

.....لكن فلتسمع هذا جيدا يا احمد مهران ..... سابين الراشد ليست للبيع "

أمسك بذراعها بقسوة و قال بغضب

" من سيمنعني الآن من جرك الى البيت ؟....."

انتزعت ذراعها منه بقسوةٍ أكبر وهي تقول بشراسة

" لما لا تحاول ؟..... أحمد مهران العظيم يخرج من هنا حاملا زوجته على كتفه وهي تصرخ .....حقا أحمد ؟!!!.....في أى زمنٍ تعيش ؟..... المرة السابقة أخذتني غدرا أما الآن فأنا مستعدة لك ,أرِني أقصى ما تستطيع فعله..... "

ظل ينظر اليها بغضب يتزايد ثم قال بصوتٍ قوي

" هل تتصورين أنني سأتنازل عن ابني بهذه البساطة ؟....."

هدأت ملامحها الشرسة و ظلت تنظر اليه طويلا ثم قالت مبتسمة بهدوء

" ومن قال أنني سأحرمك منه ..... لقد ذهبت أيام العبث يا احمد و أنا الآن أحاول البدء من جديد , وأول ما أريده هو حياة سوية لطفلي لذا تأكد من أنك ستكون متواجدا بحياته ..... لقد أثمر تعليمك و ستحصل على أمٍ محترمةٍ لطفلك فلا تقلق "

شعر بطعنةٍ في صدره من جملتها البسيطة اكثر مما لو كانت جادلته و تعنتت معه .....لا يعلم لماذا.....

اقترب منها احمد اكثر وهو يمسك بذراعيها ليهمس لها

" و زوجتي ؟....."

رفعت عينيها اليه لتأسره بهما و تضيعه في لونهما الرائع الذى تحول الآن الى لونٍ صافٍ تماما .....فلم يشعر بنفسه حين أخفض رأسه ليقبل شفتيها المكتنزتين بلهفةٍ

دون اعتبارٍ للمكان الذى هما به ..... وتركته سابين يروي شوقه العاصف اليها وهي تعلم بإمكانية دخول أى أحد في أية لحظة الا إنها لم تهتم ..... منذ متى كانت سابين الراشد تهتم لمنظرها أمام المجتمع ..... لكن أن يتصرف أحمد مهران بهذا الشكل فهذا هو ما أرضاها و غذى كبريائها المجروح منه.....

بعد لحظاتٍ دافئةٍ بينهما رفع احمد رأسه لينظر مبتسما الى عينيها اللامعتين .....لكن قبل أن يهمس بكلمة حبيبتي ..... كانت سابين قد تكلمت بكل هدوء

" أريدك أن تبدأ في معاملاتِ الطلاق يا أحمد .....من فضلك "

استغلت لحظات ذهوله و صدمته فأخذت أوراقها و ابتعدت عنه وهي تمشي بكلِ ثقة ..... تاركة إياه في حالةٍ من اللا تصديق ...والألم الفظيع .....بالإضافة الى غضبٍ مدمر بدأ في الاشتعال بداخله تدريجيا الى أن اندفع خارجا من القاعة وهو ينظر اليها وهي تبتعد برشاقةٍ في الممر الطويل فصرخ

:" في أحلامك يا سابين..... "

لم تتوقف ولم تنظر حتى اليه بل تابعت سيرها الى أن اختفت من ناظريه .....و تركته يهمس لنفسه بوحشية

" في أحلامك .....في أحلامك يا سابين .....لن تكوني لغيري مادام في صدري نفسا يتردد وهذا وعدا مني "

.....

.....

.....

كانت سابين جالسة في سيارتها تحاول تهدئة أنفاسها المضطربة وهي ترتب أوراقها محاولة منع أي شيء من التشويش على فرحتها ببدء مجموعتها الخاصة ..... مجموعة عماد الراشد ..... لو كان فقط حيا ليرى هذا اليوم ..... لكن مع ذلك يكفي ان اسمه عاد للظهور في السوق من جديد.....

تذكرت البريد الالكتروني الذى وصلها منذ فترة من الخارج من مجموعة ضخمة بدأت عملها منذ سنين .....فقلب الموازين تماما .... إنها تحفظه تماما ... كل حرف فيه....

عزيزتي سابين الراشد

اعتذر عن التساهل في الألقاب , لكنى سررت للغاية حين علمت برجوع اسم عماد الراشد من جديد ....لقد كان مثلنا الأعلى دائما , أعرف أن له ثلاث بنات لكنى اندهشت تماما حين عرفت ببدئهن في مجموعة جديدة منافسة للمجموعات الضخمة الموجودة.....

إنها لشجاعة منقطعة النظير , لذا تقبلي مني كافة المساعدات المطلوبة , وإن وافقت فسأكون مسرورا بتمويل مجموعة عماد الراشد الى أن تسترد مكانتها التى كانت من سنين طويلة .....سأرسل لك كافة المعلومات التى تحتاجينها لدراستها.....

تقبلي منى خالص تمنياتي بنجاحك و بتعاملٍ قريبٍ بيننا

عمار الراشد

الفصل الرابع و العشرين

كانت مستلقية على ذراعه تتطلع الى السقف وهي تشعر بنفسها تحلق فوق سحابة وردية , لم تشعر يوما أنها أكثر سعادة أو أنها كانت يوما في منتهى الكمال كما هي الآن....

أفاقت من أحلام يقظتها على لمساتٍ كأجنحة الفراشات تتجول على وجنتها رفعت عيناها الحالمتان اليه فصدمتها النار التى لازالت مشتعلة بهما ... ما أجمل عينيه .... كيف كانت تخاف منهما سابقا .... هل كانت عمياء بالكامل حتى فاتها هذا النبع من الحماية و الحنان ... والحب المتدفق منهما .....كيف لم تشعر بحبه وهي أصغر سنا .....كيف تصورت أنه تخلى عنها يوم أجبروها على الزواج من طلال .....ابتسمت ابتسامة حزينة لعينيه الرائعتين اللتين تلتهمانِ كل جزء من وجهها ثم همست وهي تتلمس وجهه

" أحبك يا ادهم مهران..... "

نظر الى عينيها الذهبيتين المختلطتين بخضار البحر وتاه فيهما ثم أخفض رأسه ليقبل شفتيها الناعمتين تحت شفتيه.....ثم قال لها بصوتٍ منخفضٍ عميق , لايزال أجشا بعد تلك العاصفة النارية التى تشاركاها للتو

" أعشقك يا حلا الراشد ....." ثم همس متابعا وشفتاه تتجولان على وجهها الناعم

" لماذا لازلت أرى الحزن بعينيكِ ؟....."

ابتسمت قليلا ثم همست بحزن وهي تتلمس وجهه و ذقنه التى عشقتها في غضونِ دقائق

“يبدو أن قدرك هو أن يظل الحزن مرافقا لنظراتِ حبيبتك لك “

عقد حاجبيه قليلا ثم احتواها بشدةٍ بين ذراعيه , يضمها الى صدره يريد أن يدخلها قلبه ليحميها من حزنها ...همس بعد لحظة

“ مستعدا أن أدفع حياتي لأزيل هذا الحزن ..... فقط أرشديني كيف “

دفنت وجهها في كتفه القوية و لم تستطع منع دمعةٍ حزينة من التدحرج من وجنتها الى كتفه ثم همست

“ لقد فعلت كل ما عليك بالفعل ..... إنه دوري الآن , علي دين تجاه نفسي يجب أن أوفيه “

أمسك بذقنها ينظر الى عينيها الدامعتين ثم همس بصوتٍ أجش يسألها السؤال الذي سأله كثيرا من قبل ؛” متى كبرتِ الى هذه الدرجة ؟.....”

ضحكت قليلا ثم همست وهي تمسح وجنتها بيدها الحرة

“ لقد سألتني هذا السؤال من قبل كثيرا ..... لقد كبرت يا ادهم ..... كبرت كثيرا .....منذ أن أخذوني منك من سنين “

بان العذاب في عينيه ليعود و يحتضنها بقوة الى صدره ثم همس في شعرها

؛” لن يجرؤ أحدا على أخذك مني بعد الآن ..... أنتِ لي يا حلا دائما و أبدا “

أومأت برأسها و رفعت وجهها اليه تبتسم بعشقٍ لا نهايه لأعماقه ثم اقتربت لتحاوط عنقه بذراعيها لتقبله بقوةٍ للمرةِ الأولى بهذه الجرأة فتاه في سحر قبلتها

وهو يميل بها طويلا الى أن همس من بين أشواقه المستعرة

" فلتتأكدي أنكِ لن تخرجي من هنا منذ هذه اللحظة ..... وأنا أيضا , فليذهب العمل الى الجحيم "

ضحكت قليلا تحت شفتيه الساحقتين ... الا أنه لم يفته تهرب عينيها من عينيه .... فما كان منه الا أن قطع شوقه اليها رغما عنه و رفع رأسه ينظر الى عينيها المرتبكتين بقسوة ثم هدر بعنف

" حلا ؟.....!!!!"

لم تتصنع عدم الفهم ... فقد فهمت معنى سؤاله الخشن و هذا ما كانت تخشاه منذ أن هرب بها .....كانت تعلم قبل أن تحضر الإجتماع أنها لن تستطيع مقاومته ما أن ينفرد بها .....و لقد دربت نفسها طويلا على هذه المواجهه حتى لا تضعف أمامه ..... لكن الطبع انهارت كل مخططاتها ما أن نظر الى عينيها و تركت التفكير فى العواقب الى ما بعد.....

نظرت الى عينيه القاسيتين نظرة استعطاف ترجوه أن يتفهمها ثم همست بحذر

" ادهم .....لا زال الطريق أمامي طويلا .... أنا لم أبدأ حتى بعد..... "

أمسك بذقنها بقوةٍ و قال بقسوة

"؛ ما المفترض أن أفهمه من هذه الجملة ؟....."

ابتلعت ريقها بصعوبةٍ ثم همست بتردد

" يجب .... أن أعود يا ادهم..... "

اشتدت قبضته على ذقنها حتى كاد أن يخلعها وهو يقول بوحشية

"أصبتِ تماما .... يجب أن تعودي ..... الى بيتك والى زوجك يا حلا..... "

يا الهي ها هو ما كانت تخاف منه ..... كيف ستقنعه الآن ..... لكنها في مفترق الطرق الآن و يجب الا تتخاذل حتى لا تعود الى الوراء مرة أخرى بعد ذلك الإنجاز الضئيل الذى حققته.....

حاولت الهمس بلطف و هي تتلمس كتفه برقة

:" حاول فقط أن تسمعني قبل أن تقرر شيئا ..... يجب أن أعتمد على نفسي في ترميم نفسي قليلا يا أدهم ..... لقد اعتمدت عليك طويلا ... طويلا جدا ....حتى وصل بي الأمر حين حاولت التصرف وحدي ذات مرة ..... أن آلمتك .....وهذه كانت القشة الأخيرة .....لذا سأحاول جاهدة الرجوع الى حلا القديمة التى أحببتها .... بل و أفضل منها حتى .....لقد انتظمت في علاجي و سأبدأ العمل مع سابين , صحيح أنني لازلت لا أفهم به شيئا ..... لكنها بداية وأنا ممتنة لها .... معظم من لهن مثل ظروفي لن تتاح لهن مثل هذه الفرصة أبدا .... لذا يجب علي أن أعمل جاهدة على الا تضيع مني .....حاول فقط أن تفهمني "

لكن عينيه لم تلين أبدا .....بل ظهرت بهما الدهشة مختلطة بالقسوة وهو يهدر

" هل تظنين حقا أننى سأسمح لكِ بالخروج من هنا .....هل وصل خيالك الى هذا.... "

نظرت نظرة صافية لا خوف فيها الى عينيه الغاضبتين و قالت برقة

" تستطيع أن تحتجزني هنا .....أنا زوجتك و هذا قرارك و سأرضى به لأنك أهم عندي من أي شيء آخر في هذه

الدنيا ..... لكنى أخبرتك بما أتمنى لنفسي ..... والقرار عائد اليك في النهاية "

شعر بغصة في حلقه حين ضربته بوداعتها و رمت الكرة في ملعبه بذكاء .... يالهي يبدو أنها أصبحت امرأة خلابة و سيتعب معها كثيرا اكثر من تعبه معها وهي طفلة .....استطاع أخيرا أن يهمس حانقا

" وما الذى يمنع أن تحققي كل ما تريدينه و أنتِ في بيتك .....أمام عيوني لأطمئن عليكِ ...بل تستطيعين العمل معي إن كان العمل يمثل لكِ كل هذه الأهمية ..... و ضعي في الإعتبار أننى بهذا اقدم تضحية كبيرة بأن أسمح بخروجك كل يوم لتختلطي بالناس "

ضحكت قليلا ثم همست بضعف

" السبب الوحيد الذي سيجعلك تمنحني فرصة عمل هو أننى زوجتك .... حتى وإن فشلت تماما فستداري ذلك كما كنت تحميني دائما .....هل تتذكر حين كنت تحميني من سابين وأنا صغيرة ..... أشعر بأن هذا ما ستفعله دائما .....أما عملي مع سابين فلن يكون به مجال لأي تهاون ..... سابين أعطتني فرصة خرافية لكنها لن تتوانى عن سحبها إن لم أفعل ما أستحقها به .....بالإضافة الى إني أريد أن أشارك في مجموعة عماد الراشد ..... لا يمكنك تصور كم أن هذا الأمر بالغ الأهمية بالنسبة لنا "

زمجر بعدم اقتناع وهو يقول بعد فترة بحنق

" حسنا .....أعملي في مجموعة عماد الراشد لكن عودي الى بيتك "

أسبلت جفنيها لا تعلم كيف توصل المعلومة اليه .... تحتاج الى مزيد من الوقت ..... ما أن تعود اليه حتى تجرفها العاطفة العمياء ناحيته من جديد لتشتتها عن

كل ما بدأت به .....لذا آثرت أن تعطيه جزءا من الحقيقه عله يتفهمه فهمست

" إن سابين و سما في حاجة الي ..... إنهما مجروحتانِ للغاية , و يجب أن أظل بجوارهما .....أعرف أنني لن أستطيع فعل الكثير لكن اجتماعنا معا من جديد كان له تأثير جيد علينا ..... لا أتذكر أننا اقتربنا يوما من بعضنا الى هذا الحد... "

اقترب منها وعاد ليقبلها برقة أذابت أطرافها الواهنة ..... وهو يهمس لأذنها بتملق

" عودي الي يا حلا ..... أنا بحاجة اليكِ حبيبتي ..... فقط عودي الي "

تأوهت حلا بعذاب وهي تشعر بقرب استسلامها ..... ما اسهل ان ترمي كل مخططاتها خلف ظهرها و تستسلم و تعود الى أحضانه الدافئة من جديد .....

لكن لن يمر وقتا طويلا حتى تعود لإحدى إنتكاساتها من جديد .... وهما يعلمانِ معا بأن هذا ما سيحدث .....ستعود لتتكل عليه من جديد ..... وتعيش فقط لأشواقها العاصفة اليه دون أن تجهد نفسها بمعالجة أي من مشاكلها.....

همست بترجي " سأعود حبيبي ..... فقط إن سمحت لي بفترة من ترميم نفسي .....صدقني مهما كان ما تعرفه عني , فهو لا يقارن بكل ما بداخلي من جروح وآلام .....لازال الطريق أمامي طويلا لأصبح إنسانة شبه طبيعية..... "

بدا وكأنه تذكر شيئا من حديثها فقال مستفسرا باندهاش

" هل قلتِ أنكِ انتظمتِ في العلاج ؟..... "

أومأت حلا رأسها وهى محرجة من القادم .... و بالفعل سألها بدهشةِ أكبر

" مع من تتتابعين علاجك ؟....."

رمشت بعينيها ثم همست بحرجٍ بعد فترة " سمر ....."

انتفض مصدوما ثم هتف بغضبٍ أخذ في التصاعد أكثر و أكثر

" سمر ؟!!!.....سمر؟!!!..... هل تآمر الكل ضدي ؟..... إخوتك و عمتى و السيدة اسراء و الآن ..... تخبريني أن سمر كانت مع هذا التآمر النسائي ..... ماذا فعلت , حتى تتآمرون ضدي بهذا الشكل ؟....."

اقتربت منه لتتلمس فكه بيدها الرقيقة .....ثم همست برقة

" حبيبي ..... لم يكن تآمر أبدا ..... أنا اخترت أن أبقى مع سابين وسما ولم تكن تعلم السيدة اسراء بمكاننا صدقني .... صحيح أنها أعطت رقم هاتف سما الى سمر بعد الحاحٍ منها ..... لكنها لم تعلم غير ذلك ..... أما سمر فبعد أن هدأت و فكرت في الأمر مليا و جدت أنها لم تتعمد خداعي و أنها أرادت مساعدتي حقا ..... وحين قررت أن أبدا العلاج من جديد لم أشعر برغبةٍ في البدء مع شخصٍ غريب .....لن يستطيع أن يفهمني مثلما كانت تفعل سمر ..... وفي النهاية لقد وثقت أنت بها لتساعدني فلما أتردد .....و بالنسبةِ لعمتى..... "

لم تستطع أن تجد ما تكمل به فرفع ادهم حاجبا غاضبا وهو يستحثها قائلا " نعم ..... أكملي "

ترددت قليلا ثم همست ببراءة وهي تتلعثم

" عمتى لم .....تعجبها تصرفاتكم ...الأخيرة معنا ... لذا قالت ..... قالت أن عليكم أن تتأدبو ..... قبل أن نعود اليكم "

ارتفع حاجباه بدهشة وهو يسمع تلك الخيانة الصادرة من عمته .....سيكون له حديث طويل مع احمد , لكن الآن فليهتم بسبب سعادته وشقائه لسنين طويلة ..... حلا.....

قال بصرامةِ طريفة " إن لم تعودي بنفسك فسآتى لأقيم معكن..... "

ضحكت طويلا وهي تهز برأسها علامة اليأس .....ثم قالت بعد أن هدأت

" لا ..... شكرا ..... أنا أريد أن تظل سابين قطعة واحدة ..... كنتما قديما كالزيتِ و النار طوال الوقت .....حين كنا كلنا نقيم معا هنا "

صمتت قليلا ورفعت عينيها الحزينتين الى عينيه وهمست مرة أخرى

" حين كنا كلنا نقيم معا ..... هنا "

رد عليها هامسا يتطلع الى حزنِ عينيها " نعم ..... حين كنا كلنا معا , قبل أن يبعدوكي عني "

قالت محاولة الخروج من هذا الألم

" ما رأيك أن نخرج للحديقة ..... لقد اشتقت اليها جدا "

حاولت الخروج من ألمها فنقلته الى عينيه .....اذ أظلمتا بشدةِ فغاص قلبها من هولِ ما رأته في عينيه فهمست مرتعبة " ادهم..... "

أغلق شفتيها المرتعشتين بإصبعه .... ثم أخذ نفسا عميقا وهمس

" لا تخافي ..... لا أريدك أن تخافي مني بعد الآن ... أبدا "

انحنت عيناها بعذابٍ قاسٍ وهمست

" لا أخاف منك .....لكني جرحتك من جديد "

قال بصوتٍ أجشٍ قاطع " هيا لننزل..... "

أومأت برأسها بصمت وهي تراه يحاول أن يداري الغضب الدامي الذى ظهر بعينيه .....ثم نهض ليجذبها من يدها بقوة لتقف معه ثم في اللحظة التالية كان قد انقض على شفتيها بقبلة حاول فيها أن يدمغها باسمه .... اسم ادهم مهران.....

كانا يتمشيان معا في الحديقة بصمتٍ ثقيل الى أن وصلا الى أول الممر الموصل للحديقة الخلفية..... فتوقف .... وتوقفت هي معه بقلبٍ ممزق تماما .....رفعت نظرها الحزين تسأله السماح ....ثم لم تلبث أن همست دون أن تستطيع منع نفسها

" ادهم ..... ماذا فعلت به ؟..."

نظر اليها بوحشية وقسوة ثم همس بعنف

" انسي هذا الموضوع الآن يا حلا ..... "

الا أن نظراته المتوحشة لم ترهبها ..... ما يرعبها أكثر أن يكون قد ورط نفسه بشيء بسببها ....فهمست بعذاب

"أرجوك أخبرني ..... لا تتركني لهذا العذاب , ...لقد وضعت ثقتي في شخصٍ لا يستحق ....وهو لا يستحق أن تؤذي نفسك بسببه "

نظر اليها بقسوة ثم قال

"اذن فقد عرفت أنه شخصا حقيرا لا يستحق .....لا يستحق الصداقة التى منحتيه إياها "

أومأت برأسها والدموع تنهمر على وجنتيها ثم همست بتحشرج

" علمت في آخر يوم رأيته .....لقد كان يعرف أشياءا كثيرة عني لم أخبره بها , لا أعلم كيف كنت عمياء وغبية الى هذه الدرجة .... الا أننى لم أكن في حالتي الطبيعية .... صدقني "

أخذ نفسا عميقا ثم قال بعده بصوتٍ أجش

" هذا غير مهم الآن .....انسيه"

شهقت شهقة صغيرة ثم همست باختناق

" ليس قبل أن تجيبني .....أرجوك ..... لا تتركني أتعذب بهذا الشكل "

أبعد عينيه عنها وعن عذابها الذي يمزقه ثم قرر أن ينهيه فقال أخيرا

" اطمئني .....لازال يمشي على قدميه , الا أنني عملت على أن يبتعد على مسافةِ بلادٍ من أي مكانٍ من المحتمل أن تتواجدي به , وتأكدي أنه نال ما يستحق جزاءا عادلا لما فعله..... "

تنهدت بقوة وأغمضت عينيها وهي تشعر بأن عذابها أخذ في التلاشي تدريجيا بعد أيامٍ و أيام من الرعب الذى سببه لها هذا الأمر

ثم فتحت عينيها لتنظر اليه باستعطاف

"وهل ستستطيع أن تسامحني..... "

قال لها بصوتٍ خافت

" ألم تخبرك الساعات الماضية .....ألم تعرفي من صوتي و أنا أتشرب صوتك كل ليلة دو أن أعرف مكانك "

قالت بضعف وهي تمد يدها الصغيرة لتتلمس صدره القوي

"أنا أقصد هنا ..... عميقا .....حيث لا يرى أحدا غيرك ما بداخلك "

رفع يده ليغطي بها يدها و يبقيها على صدره بقوة ثم نظر الى عينيها ليقول بكل وضوح

" أنتِ الوحيدة التى ترين ما بداخلي الآن .....و أنتِ تعرفين جيدا ليس هناك من شيء يستطيع أن يمس حبي لكِ "

ابتسمت بحزن .. نظر الى عينيها طويلا وابتسم ..... ثم أمسك بيدها و أكملا سيرهما.....

أول ما طارت اليه عينيها بلهفة هو حوض ورودها ..... لكن المنظر أمامها صدمها تماما .... لم يكن هناك أي حوض ..... ولا أية ورود ..... كان هناك أثار من أعشابٍ ضارة و كومة من أوراقٍ بنية و صفراء ..... كان منظره مقبضا تماما فلم تستطع منع نفسها من الهمس بصدمة

" أين ذهبت ورداتي ؟....."

مرت فترة صمت مقبضة الى أن قال ادهم أخيرا بوجوم

" لقد أحرقتهم..... "

نظرت اليه مصعوقة بعينينِ متسعتين مجروحتين .....ثم هتفت بحزن

:" لكن لماذا .....لقد كانت .... كانت ....أول شيء زرعته بنفسي "

لم تكن زراعة الورود هي تماما ما كانت تفعله بل كانت هذه الورود هي أول من سمع همسها ....أحزانها

.....الآمها .....كانت أول من أفضت اليها بكلِ ما بداخلها حين ظنت أن لا أحد لديها ليسمعها.....

كان ادهم ينظر اليها وقد ظهرت كل انفعلاتها الحزينة على ملامح وجهها الشفافة التي لا تخفي شيئا ..... وشعر بقبضةِ ثلجية تعتصر صدره من مرآها بهذا الشكل ..... لكن لن يستطيعا أن يكملا حياتهما معا و بينهما هذه البقعة السوداء .....سيتجاوزاها .... وسيعمل جاهدا على ذلك .....لقد أخطأ في حقها كثيرا لذا آن الأوان لأن يصلح كل ما فات بينهما ..... سيتألم ..... سيتألم مما سيسمعه في الأيام الآتية ..... لكن إن لم يتحمل الألم من أجلها .....فلمن يتحمله اذن.....

لن يترك أي شيء هي مستعدة لأن تفضي به ....سيسمعها و سيتألم .....لكنه سيسمع كل ما حدث لها أيام زواجها من طلال .....وكل ما فعله الحقير الذى أدخله بيته ..لكن ليس اليوم.....

همس بخشونة " كنت غاضبا بشدة ..... لذا لم أتمالك نفسي"

شعر بلكمةِ قويةِ في قلبه حين شاهد عيناها تدمعان دون أن تجرؤ على الكلام حتى لا تثير غضبه اكثر ..... لذا أمسك بكفها الرقيقة و رفعها الى شفتيه ليقبلها ثم امسك بذقنها يرفع وجهها الذى انسابت عليه الدموع بصمت و قال بصوته العميق

" لكني بعدها صنعت لكِ شيئا آخر ....على أمل أن تعودي لي "

نظرت اليه بحيرة وهي تسأله بعينيها الملهوفتين عما صنعه لها .....فأشار بذقنه الى شيء ما خلفها , وحين استدارت فوجئت بشيء لم تره فور أن أتت الى هنا .....

كانت هناك أرجوحة خشبية معلقة بحبالِ سميكة بين شجرتين ضخمتين متجاورتين بجانب السور الخلفي للحديقة ....فغرت شفتيها بشهقةِ صامتة وهي تنظر اليها ...ثم دون وعي منها سارت اليها ببطء حتى وصلت اليها و أخذت تتلمسها.....

فقال ادهم من ورائها بصوتِ اجشِ من العاطفة

" هل تتذكرين ..... حين كنتِ في السادسة و كانت لدينا أرجوحة ضخمة ... وكانت دائما سابين تنزلك من عليها حتى تجلس هي....."

أومأت حلا برأسها وهي تتطلع بشرودِ مدهوش الى تلك الأرجوحة ثم أكملت كلامه همسا

؛" الى أن وجدتني أجلس على السلم ذات يومِ وأنا أبكي .....وحين عرفت أنني أبكي لهذا السبب .... صنعت لي ارجوحة من مقعد واحد .....بين هاتين الشجرتين

.....وعلقت على الشجرة لوحة صغيرة مكتوبا عليها " ملك حلا الراشد .... وممنوع لأي أحد أن يستخدمها غيرها" "

استدارت اليه بسرعة وهي تبكي أكثر و أكثر ....ثم همست بتحشرج

" كيف نسيتها.....كيف تاهت عن بالي و أين ذهبت القديمة..... "

أخفض عينيه وهو يشعر بالذنبِ مرة أخرى ثم همس بصوته الأجش

" حين علمت بزواجك حطمتها شر تحطيم ..... كانت من مئات الاشياء التى حطمتها في ذلك الوقت ..... تصرفا أحمقا آخر يضاف الى لائحتى... "

اقتربت خطوة منه ثم رفعت نفسها على أطرافِ أصابعها لتحاوط عنقه بذراعيها و تدفن وجهها في عنقه الدافىء هامسة

" أحبك يا ادهم مهران..... "

أحنى جبهته حتى استقرت على قمة شعرها وظلا هكذا .... ثوانٍ أو دقائق ..... لا يعلمان ... المهم أنهما معا .....مد يديه القويتين ثم حملها من خصرها ليجلسها على الأرجوحة .....ثم أخذ يؤرجحها برفق وهي تضحك برقة الى أن قالت بمرح

" يبدو أنك كبرت يا أدهم مهران..... "

عقد حاجبيه ثم قال وهو يقبض على حبلِ الأرجوحة بقوة يوقفها " هل أنتِ مدركة لعواقب هذه الجملة المتهورة ؟....."

أومأت برأسها وعينيها تلمعانِ بشقاوةِ أشعلت قلبه ..... فما كان منه الا أن بدأ في أرجحتها ثانية .... لكن مع كلِ دفعةِ كانت قوته تتزايد أكثر وأكثر .....حتى كادت ان ترتفع الى السماء وقد تعالت صرخاتها المختلطة بالضحك الهيستيري وشعرها الطويل يتطاير مجنونا متبعثرا في كلِ مكانٍ من حوله ليثير جنونه بها.....الى أن لم تتحمل في النهاية فأخذت تستجديه بأن يوقفها .....فمد يد و أوقف الأرجوحة أخيرا بعد أن خاف عليها من شدة صراخها.....

بعد أن توقفت الأرجوحة تماما , كانت حلا متشبثة بكلا الحبلين وهي تلهث بشدة وعيناها متسعتان دامعتان من شدة الضحك و الصراخ ....وكان ادهم يضحك هو الآخر بصوتِ عال .....لا يتذكر أنه ضحك بهذه الطريقة منذ فترةِ طويلة ..... طويلة جدا.....

مد يديه ليمسك حلا من خصرها و ينزلها الى الأرض ... لكن لم تكد قدميها تلمسان الأرض حتى عاد ليحملها بين ذراعيها .....ثم همس بجانب أذنها همسا أجشا

" يكفي لعبا ....هناك شهورا يجب عليكِ أن تعوضيها لي .....و سيبدأ تعويضك من هذه اللحظة "

ضحكت بمرح وهي تتشبث أكثر بعنقه وتنظر الي عينيه بتحدِ سافر .... ثم انحنت الى اذنه تهمس

" أنا انسانة عادلة .....وأحب أن أوفي ديوني أولا بأول "

ضحك بخفة وهو يتجه بها الى القصر .....حاملا اياها بجانب قلبه ...هامسا بعبث " وهذا اكثر ما أحبه بكِ....."

اثناء صعودهما السلم المتجه الى غرفتهما شاهدت السيدة اسراء التى كانت خارجة من أحد الغرف لكن ما أن رأتهما حتى استدارت عائدة دون أن تنسى أن تشير باصبع الابهام لحلا وهي تبتسم بخبث.....

دفنت حلا وجهها الذى كاد أن ينفجر من احمراره وهمست " يا الهي ماذا ستقول عنا الآن..... "

ضحك ادهم دون أن يهتم .....وما أن أغلق الباب خلفهما حتى نظر الى عينيها الجميلتين اللتين تلمعانِ بحبه .... ثم همس بتحدي محبب

" حسنا يا آنسة حلا ..... فلتخبريني مرة أخرى أنني كبرت "

ابتسمت لعينيه ....ثم فتنتها الشعرات الفضية المتناثرة بخفةٍ في لحيته الناعمة .....فهمست

" لقد كبرت بالفعل يا ادهم مهران ..... بشكلٍ يخطف الأنفاس "

وكان هذا آخر ما تمكنت من قوله وهي تضيع معه لعالمٍ أخر غير عالمهما.....

.....

.....

كانت سابين في المنزل البعيد الذى لم تعرفه الا وهي زوجة احمد مهران ..... منذ عودتها من الإجتماع ....وهي في المكتب تدرس أوراقها بعصبية ... تزفر بين كل حين و آخر ....تحاول التركيز على الأرقام المرصوصة أمامها على شاشة الحاسوب..... لتشرد بتفكيرها للحظات ثم تنهر نفسها لتعود للعمل مرة أخرى ..... هامسة بغضب

" كفى يا احمد مهران ..... ابتعد عن تفكيري "

دخلت عليها سما برقةٍ وهي تحمل معها طبقا به عددا من الشطائر وكوبا من الحليب .....وبعد أن وضعتهما أمامها على سطح المكتب ظلت تنظر الى وجهها القاسي الذى لم يرتفع اليها .... فهمست سما

" يكفي عملا اليوم يا سابين ..... أنتِ ترهقين نفسك جدا .... كما أنكِ ترهقين أعصابك وهذا ليس جيدا لكِ .... أو للطفل "

رفعت سابين نظرها الى سما ثم ابتسمت بحنان لكن دون أن يظهر المرح عليها وقالت

" سما الصغيرة تنصحنى الآن .....حسنا أمي ... لا تقلقي علي "

عبست سما وقالت " أنا لا أمزح سابين ..... منذ أن عدتِ وأنتِ تحبسين نفسك هنا بحجة العمل .... الا أنني استطيع أن أقرأ عينيكِ جيدا .....ماذا حدث بينك وبين احمد "

اخفضت سابين عينيها مرة اخرى بلامبالاة ....ثم قالت بحزم

" لقد حدث الشيء الطبيعي .....لقد انتهى كل شيء بيننا "

همست سما مصعوقة بصوتٍ لا يكاد يسمع " ماذا ؟..... لماذا فعلتِ هذا ؟.... لماذا تسرعتِ و لم تعطه فرصة , أنتِ تحبينه ولن تستطيعي إنكار ذلك "

نظرت اليها سابين بغضب وقالت دون ان تستطيع السيطرة على انفعالها .... كما اصبحت مؤخرا

" ألن تنتهي بعد يا سما من تفاهاتك العاطفية تلك .... ها أنتِ أحببتِ بكل ما تستطيعين ... وأعطيتِ فرصة ...مرة واثنتين وثلاث ....وعلى ماذا حصلتِ في النهاية ؟.....لا شيء .... باعك بأبخس الأثمان وترك كل شيء وعاد لحياته .....وها انتِ ستحصلين على لقب مطلقة ولم تكملي بعد عامك الثاني والعشرين .....هل هذا هو الحب الذى تريدينه لي ..... سأحصل أنا أيضا على الطلاق لكن على الأقل سأظل محتفظة بكرامتى "

كانت سما واقفة تنظر اليها بجمود دون أن يظهر على وجهها أي تعبير ... ماعدا عينيها اللتين بان الألم فيهما من قسوة سابين التى لم ترها منها من قبل ..... ثم دون كلمة واحدة استدارت لتغادر المكتب مغلقة الباب خلفها بكل هدوء...

ظلت سابين تنظر الى الباب المغلق ولم تصدق أنها آلمت سما بهذا الشكل البشع ....ماذا فعلت لها لتقسو عليها بهذا الشكل.....

همست وهي تلقي الأوراق بغضب على سطح المكتب ..

" كله بسببك يا احمد مهران .....لقد كنت أكبر حماقة ارتكبتها في حياتي كلها "

لم تستطع أن تلحق بسما الآن ....إن أعصابها على شفا الإنهيار ... وهي بالأكيد لن تتحمل أية مناظر عاطفية مرهقة من سما في هذه اللحظة.....

نظرت الى شاشة حاسوبها .....ثم فتحت الصورة المرسلة اليها ..... صورة الشخص الذى ستنتظره في المطار بعد عدة أيام .....عمار الراشد.....

إنه يختلف تماما عن الشخصية التى رسمتها في عقلها .....عمار الراشد ...لا تعلم بعد درجة قرابته لوالدها , لكن جاء عرضه مواتيا لها تماما ...صحيح أنها لازالت تحت قيد دراسة الموضوع ولم تعطه رأيها مباشرة ...لكن أعجبها أن ينزل بنفسه حتى تعلم مع من ستتعامل تحديدا.....

رن هاتفها فالتقطته تنظر الي رقم الطالب ثم ابتسمت قليلا لتاخذ نفسا عميقا محاولة تهدئة نفسها بدل أن تصب غضبها على تالا الصغيرة مثلما فعلت مع سما المسكينة .... ردت بهدوء

" مرحبا تالا..... "

ردت عليها تالا بحماسة " مرحبا سابين .....هل اشتقتِ إلي ؟....."

اتسعت ابتسامة سابين قليلا وقالت بهدوء " نعم يا شريرة ....اشتقت اليكِ "

وصلها صوت تالا جذلا متحمسا أكثر وهي تقول ببراءة " اذن هل أستطيع أن أراكِ غدا..... "

ردت سابين بهدوء ؛" تستطيعين أن تأتي مع جدتك ....."

قالت تالا بترجي " هل يمكنك أن تأتي أنتِ الينا .....إن أبي ....متعبا جدا...."

قالت سابين بسرعة " ماذا به ؟.....هل هو بخير؟.."

ردت تالا بحزن " لا أعلم ....منذ أن عاد اليوم وهو حزين ....حتى إنه لم يقرأ معي قصة اليوم..... "

تنفست سابين الصعداء ..ثم قالت بعد لحظات " قد تكون لديه بعض المشاكل في العمل ..... غدا سيصبح بحالِ أفضل , لا تقلقي "

قالت تالا بترجي " حسنا هل يمكن أن تأتي و تقليني ..... من فضلك ... جدتي لن تكون هنا , ستذهب الى عمتي "

تنهدت سابين ثم ضغطت بإصبعيها مابين عينيها من شدة ارهاقها ثم قالت باستسلام .." حسنا ... غدا صباحا سآتي لأصطحبك "

وصلتها أصوات تالا الفرحة فابتسمت سابين وهي تسأل نفسها ...ما الذى دهاها .....من المؤكد أنها هرمونات الحمل المجنونة .....

كانت سما في غرفتها ...تبكي بصمت و قلبها يعتصرها بشدة .... دافنة رأسها في الوسادة ..... متى سينتهي عذابها .... تريد أن ترتاح ولا تعرف للراحة سبيلا ..... الى متى ستتحمل ما تقاسيه .....متى سيموت حبه في قلبها , وهل سيموت أصلا.....

رفعت رأسها قليلا لتنظر الى هاتفها الملقى بجوارها على الوسادة ..... هل تجرؤ ؟..... فقط تريد أن تسمع

صوته .....لماذا تمنع نفسها ... فلتذهب الكرامة الى الجحيم .... متى كانت الكرامة فاصلا بينها و بين حبها ؟... فلماذا تهتم الآن ؟.....

أمسكت الهاتف وطلبت رقمه ..... مسحت دموعها بيدٍ مرتجفة وهي تنتظر ....هل سيرد عليها ؟... هل سيكون قاسيا للحد الذى يجعله يتجاهلها تماما ...راميا أربعة سنين زواج خلف ظهره ...دون حتى أن يتكلما كأناسٍ متحضرين.....

ثوانٍ قليلة وكان الصوت الحبيب يرد عليها هامسا

" ياسمينا!!!....."

أغمضت عينيها لا تصدق أنه بالفعل أشفق عليها وقرر أن يسمعها صوته ... أخذ قلبها يخفق بقوة وهو يتعرف على صوت ساكنه .....وصلها صوته هامسا أجشا

" ياسمينا .... هل ستظلين صامتة ؟ ..."

انتفضت على سؤاله ثم حاولت النطق بهدوء ... الا أن كلامها خرج متعثرا متحشرجا و كأنها تسعل

" آآ....كيف حالك ....فارس , ظننت أن من واجبي ..... من واجبي الإطمئنان عليك "

ضحك قليلا ضحكة خافتة ثم قال بوجوم " أنا بخير ..... لا تقلقي "

تاهت عيناها وهي تبحث عن أي شيء لتطيل الحوار معه قبل أن يغلق الخط ..فقالت بعد لحظات

" هل تأخذ أدويتك بانتظام .... هل تستطيع التعامل مع الممرضات ؟....."

قال فارس ببساطة " قلت لكِ لا تقلقي لقد استسلمت أخيرا و أنا تقبل كل ما يعطفن علي به "

ابتلعت ريقها ثم لم تستطع منع نفسها من السؤال " هل هن ممرضات ؟؟.... أقصد هل رأيتهن ؟....."

وضعت يدها على فمها تكتم الشهقة التى كادت تصدر عنها من هولِ ما قالت .... الا انه لم يغلق الخط كما توقعت بل ضحك بخفةِ و قال بكلِ هدوء و استمتاع

" هل تريدين أن تعرفي إن كن جميلات ياسمينا؟؟.....لما لا تسألي بكل بساطة ؟....."

قالت بغضب وهي تخطىء اكثر واكثر

" وكيف ستعرف ان كن جميلات ؟؟....."

الا إنه مرة أخرى لم يغضب أو يثور بل قال بعبث

" تعرفين أن النظر ليس كل شيء .....فمعكِ مثلا تأكدت بالدليل القاطع من أنكِ خلابة دون أن أراكِ "

شعرت بغضبٍ أحمق يشتعل بداخل كيانها ... دون أن تدرك مدحه الشغوف لجمالها ... كل ماسيطر عليها هو أن يكون قد عاد لعبثه القديم .... فما معنى هذا الهدوء و السرور الذى يقطر من صوته .... بعد أن كان دائما متشنجا غاضبا.....

قالت بغضب و شراسة " ما معنى هذا يا فارس ؟..... هل نسيت أننى لازلت زوجتك ؟.....حتى وإن لم يكن بالفعل لكننا لم نتطلق بعد ...لذا أنا لن أقبل أن تهينني بأن تكون غير مخلصا لي كما أنا مخلصة لك .... الى أن ينتهي ما بيننا رسميا"

ساد صمتا ثقيلا قاسيا عليهما معا ... ما الذى قالته ... لم يطرأ الطلاق ابدا على بالها من قبل .... اقصى ما كانت تتمناه بعد ان تركها هو ان يترك لها اسمه .... كذكرى منه .... لكن كلمات سابين ظلت متشبثة في

قلبها كمخالبِ مفترسة ... الى أن انهارت أعصابها الآن ونطقت بهذه الحماقة.....

سمعت صوته يهمس بصعوبة وقد فقد كل سروره وعبثه " طلاق ؟....."

أرادت أن تصرخ بأعلى صوتها ....لا ....لا ..... أرجوك لم أقصد ...لم أقصد ... أرجوك لا تنتهز الفرصة وتتصيد لي هذا الخطأ....

يا الهي مالذى جعلني أتحامق وأكلمه الآن ؟..... كان يجب أن أعرف أننى سأنطق بإحدى حماقاتى كالمعتاد .....يا رب ساعدني....

جاء صوت فارس خشنا صارما يناديها "سما....."

أغمضت عينيها وهي تنتظر مصيرها الذى جلبته لنفسها بمكالمتها الغبية .. لكنها لم تجد بدا من الرد بهمس مختنق " نعم..... "

سمعت صوت نفسا حدا و كأنه يتنفس بصعوبة ثم قال أخيرا بنفس الصرامة

" أريدك أن تعديني وعدا ..... لا تفكري بطلب الطلاق الآن ....أعرف أنكِ ضيعتِ معي سنواتِ كان من الممكن أن تكون الأجمل بحياتك ..... لكن كل ما أطلبه منكِ أن تنتظري ..... فقط انتظري قليلا....."

انهمرت دموعها على وجنتيها بصمت وهي تشعر بنصالِ حادة تمزق قلبها .... سيطلقها .... قليلا و سيطلقها .....استمر بكاؤها دون أن تصدر صوتا الى قال بقوة " سمااا .... عديني "

همست فبان بكاؤها " أعدك..... "

تنهد بحزن ثم همس " أراكِ لاحقا..... "

ردت عليه بهمسةٍ لم يسمعها " نعم ....." و بعد أن أغلقت الخط أخذت تبكي طويلا ..... طويلا جدا .....الى أن سمعت صوتِ بابِ غرفتها يفتح و خطوات سابين تقترب منها .... لكنها لم تجرؤ على رفع رأسها من الوسادة ..... الى أن أحست بسابين تجلس على الفراش بجوارها ... لحظة و رفعتها لتضمها لصدرها وهي تقول

" كل هذا البكاء بسبب الكلمتين الغبيتين اللتين نطقت بهما و أنا غاضبة ؟؟.....هذا الطفل من المؤكد تسبب في خللِ ما بعقلي "

ضحكت سما دون أن تجرؤ إخبار سابين بمكالمتها الغبية لفارس .... لن تتحمل الآن غضب سابين , يكفيها ماهي فيه .....رفعت وجهها المغروق بالدموع ثم ابتسمت بجهد لسابين التى سألتها برقة

" هل تصافينا ؟....."

أومات برأسها ..... ثم همست بعد فترة " متى ستعود حلا ؟..... لقد تأخرت أم أنها لن تعود ؟..."

حين نطقت بهذا السؤال شعرت و كان حجرا ضخما اثقل قلبها .... كيف ستتعود على بعد أيا منهما بعد الآن ....يوما ما ستعود كلا من حلا وسابين الى ادهم واحمد ..... بالرغم من مكابرة سابين الا إنها موقنة من أنها ستعود اليه يوما ..... لن تستطيع أي امرأة مقاومة زوجا يحبها و يعتزم على استرجاعها.....

أما هي فسينتهي بها الحال وحيدة يوما ما بعد أن تعود شقيقتيها الى زوجيهما ..... فهي لن تكون لرجلا آخر غير فارس مهران.....

أفاقت من أفكارها الحزينة على صوتِ سابين وهي تقول مبتسمة

" لقد عادت بالفعل الأستاذة..... "

" من يسأل عني ؟....."

نظرت سابين وسما الى الواقفة بباب الغرفة .... وقد كان مظهرها كمظهر امرأة عاشقة بجنون فهى ترتدي نفس زيها الرسمي لكن شعرها الرائع انساب متموجا بجنون يصل الى خصرها بدلال .....لم تكن هناك زينة على وجهها ... الا أن احمرار وجهها و بريق عينيها كانا أفضل من أي زينة بالعالم.....

هتفت سما بدهشة " كيف اقنعت ادهم بإعادتك الى هنا ؟....."

ابتسمت حلا برقة وقالت

" لدي أساليبي الخاصة .....لدينا عملا لم ينتهي بعد ... ولقد قطعت لكما وعدا بأني لن أترككما الآن .....ليس بعد.."

وكعادة سما في نطق كل ما هو غير مناسب ... فسألتها

" أين ذهبتما لتتأخرا كل هذا الوقت ؟.....كم أتمنى أن أخرج أنا أيضا قليلا و أروح عن نفسي "

احمر وجه حلا بشدة و هربت بعينيها من نظرات سابين العابثة التى لم تستطع كبت ضحكتها طويلا ..... فأدركت سما غباءها و احمر وجهها هي أيضا وهي تهمس متلعثمة

"أعتذر يا حلا ..... لم أكن أعرف .... أقصد لم أفكر..... "

قاطعتها حلا وهي تهتف بإرتباك " هلا غيرنا الموضوع من فضلكما..... "

كبتت سابين ضحكها ثم قالت بحزم

" حسنا كفى عبثا .... حلا لا تنسي أنك ستأتين معي الى المطار لإستقبال عمار الراشد ثم نقله الى الفندق الذى سيقيم به ... سما أنتِ أيضا ستأتين معنا من باب التعارف"

أومأت سما برأسها بوجوم .....و ردت حلا بالموافقة ثم سألت سابين بقلق

" ماذا فعلتِ مع أحمد اليوم ؟....."

عادت الروح المجنونة لتتلبس سابين بعد أن كانت قد هدأت قليلا فقامت من الفراش لتخرج من الغرفة متجاوزة حلا وهى تهتف بحنق

" وما دخلكما بشؤوني الخاصة .... فلتهتم كلا منكما بحياتها بعيدا عن حياتي "

همست سما متنهدة بملل " ها قد عادت الروح العدوانية من جديد..... "

نظرت اليها حلا وهمست بحزن " هل ساءت الأمور الى هذه الدرجة ؟....."

أومأت سما برأسها دون أن تجيب ..... لكن قبل أن تكمل حلا كلامها كان هاتفها الجديد يعلن عن اتصال ادهم ..فردت عليه مبتسمة

" ادهم ..... لم تكد تمر نصف ساعة على انصرافك "

وصلها صوته الحانق وهو يهدر في أذنها " لا أعلم أصلا كيف وافقتك على هذا الجنون .....والآن تتذمرين من اتصالي بكِ؟ "

ضحكت بمرح وهي تلوح لسما و تخرج من الغرفة لتتحدث اليه .....ابتسمت حلا بحزن وهي تتذكر

مكالمتها المأساوية لفارس منذ قليل ....وهمست لنفسها .... متى ستعتق قلبي .....متى.....

.....

.....

.....

صباحا كانت سابين جالسة في سيارتها تنتظر تالا أمام منزل احمد الذى لم تدخله من قبل .....لم يطل انتظارها حين فتح الباب و أطل منه احمد و خلفه تالا تقفز بمرح و كأنها في أسعد أيام حياتها.....

زفرت سابين بحنق .... ما الذى يفعله هنا ؟..... لماذا ليس في عمله ؟.....هذا ما كان ينقصها....

اقترب منها احمد الى ان وصل للباب المجاور لها وفتحه دون ان تستطيع منعه ثم جذبها برفق من ذراعها لتخرج من السيارة ....لم تستطع الإعتراض مع رؤية تالا التى تنظر اليهما و كأنها تشاهد فيلما عاطفيا.....

وقفت أمامه تماما ... وجهها مواجه لصدره ... و يده لا تزال ممسكة بذراعها بدفء شعرت به من خلال ملابسها.....

بدأت الكلام بهدوء دون أن تنظر الى عينيه

" كنت أريد أن أصطحب تالا لتمضي اليوم معي ..... وسأعيدها اليك في المساء "

كانت عيناه تلاحقانِ عينيها الهاربتين و ابتسامة حنان تعلو شفتيه ....ثم قال أخيرا بصوتٍ دافئ

" لقد دخلتِ الى الموضوع مباشرة دون حتى أن تلقي التحية علي "

أخذت نفسا طويلا خفيا وهي تشعر بغضبٍ لا حدود له .... الى متى ستستمر تمثيليته السمجة هذه .....لكنها لا تستطيع التصرف وتالا خلفه ... لا ذنب لها لتصدمها بوالدها ..... تبا لتلك الحنية الجديدة عليها والتى لا تعرف من أين أتت.....

رفعت عينيها الشرستين الى عينيه المغروقتين بالإستفزاز و التحدي وهي تحاول أن تجعله يقرأ ما بهما من تهديد .. الأأن ذلك لم يؤثر به ... بل زاد التحدي في عينيه .... فقالت بحزم

" هيا يا تالا ادخلي السيارة .....لقد وافق والدك "

لكن تالا ترددت قليلا ... الى أن قال احمد بهدوء

" في الواقع ..... لقد غيرت رأيي , ستمضيانِ يومكما هنا "

ارتفع حاجبا سابين و توحشت عيناها أكثر لكن قبل أن تفتح شفتيها برفضها القاطع ... تابع احمد بمرحٍ حازم

" إن لم تدخلي بإرادتك فسأحملك الى الداخل بنفسي "

أوشكت على أن تلقي بحممها الغاضبة في وجهه ... لكنها عدت الى العشرة بداخلها ثم قالت بهدوء

" لا لن أستطيع عذرا .....فهل ستسمح لي بأخذ تالا أم أنصرف من هناااا ....."

خرجت أخر كلمتين من شفتيها و كأنهما صراخا ....دون أن تستطيع السيطرة على نفسها .....حينها أخذت تالا تقفز مرحا وهي تهتف

" لقد رفضت ....احملها أبي ...احملها.... "

اتسعت ابتسامة احمد و ارتسمت الشيطنة في عينيه ..... فحذرته سالبين هامسة بوحشية

" لا تفكر بذلك حتى..... "

الا إن احمد تجاهلها تماما وهو يرفعها بحركة سريعة بين ذراعيه جعلتها تصرخ من المفاجأة ثم أخذت تضربه على كتفه وهي تصرخ

" أنزلني يا احمد حالا .....توقف عن هذه التصرفات الطفولية "

الا أنه ضحك قائلا وهو يستدير بها غامزا لتالا التى تقفز وتصفق بيديها

" لا أستطيع أن أرفض طلبا لأميرتي الصغيرة .....لقد أمرت بأن تدخلي الى البيت محمولة بين ذراعي .....اذن هذا ما سيحدث "

أدخلها بالفعل الى المنزل الرائع و الذى خطف أنفاسها ما أن دخلته ... فتوقفت عن المقاومة وهي نتظر حولها للمنزل الذى يضم كل ما حلمت به يوما ..... وكأنه قد شاهد أحلامها عن البيت الذى تمنت أن تسكن فيه يوما ... فأسسه كما تحب....

شعر بتأثرٍ عميق بداخله وهو يرى انبهارها بالمنزل ...حتى إنها أوقفت المقاومة بين ذراعيه دون أن تشعر .....فأحنى رأسه اليها وهمس في اذنها بحب

" مرحبا بكِ في بيتك..... "

نظرت الى عينيه بوحشية بعد أن أفاقت من شرودها على صوته فهمست هي الأخرى

" لن يكون بيتي أبدا..... "

همس لأذنها الحساسة " بل سيكون .... "

ظلا ينظرانِ الى بعضهما بتحدي الى أن قطعه صوت تالا المتحمس

" جدتي .... لقد نجحنا في خطتنا , سابين ستمضي اليوم معنا هنا!!!!!!!! "

استدارت سابين برأسها لتجد أميرة واقفة عند السلم مرتبكة للغاية تنظر اليها باعتذار .....بينما أغمض احمد عينه يائسا من سذاجة تالا اللامتناهية.....

أخذت سابين تنقل نظرها بين ثلاثِ أزواجٍ من العيونِ العسليةِ المتشابهة ....وقد ظهر عليهم جميعا الإرتباك وكأنهم اقترفو ذنبا فظيعا....

ساد الصمت للحظات و سابين غضبها يتفاقم اكثر واكثر فشعر احمد بأن سيطرتها على نفسها ستتلاشى قريبا ....فقرر أن ينهي غضبها سريعا خوفا عليها.....

فاقترب من اذنها ليهمس برقة

" سابين ..... من فضلك لا تخذلي تالا ....إنها متحمسة جدا لوجودك , كما أني لم أخبرها بعد بالطفل .... فضلت أن تكوني موجودة معنا حين أخبرها .....أقضي اليوم معنا , و أعدك أن أوصلك بنفسي مساءا "

للحظةِ تاهت مابين عينيه الصافيتين وشفتيه المتحركتين بكلامٍ لم تسمع نصفه ..... هو أيضا خفتت آخر كلماته الى أن انقطعت حين شاهد نظرتها التائهة اليه .....شعرت سابين في هذه اللحظة بمضخةِ عملاقة تضرب جانب صدرها .....و قد كان هذا هو قلبه الذى أخذ يخفق سريعا .....ابتلعت ريقها وقررت أن تنهي هذا الجنون سريعا ..... فقالت بهدوء

" حسنا .....سأبقى اليوم "

رمش احمد بعينه ليستفيق من سحرها المجنون .....
وتنفست اميرة بإرتياح بينما أخذت تالا تقفز كعادتها .....

ومر هذا اليوم بسحرٍ غريب على أربعتهم ..... كان هناك دفئا يلفهم لم تشعر به سابين من قلب .....أكلو معا ... ولعبو معا .... وضحكو كثيرا .....حتى أن سابين منذ بداية اليوم أن تستمتع به وتنسى مخططاتها ..... ليومٍ واحدٍ فقط ..... هو هذا اليوم ..... وغدا ستعود الى مقاتلته .... لكن اليوم ..فلتعش ما لم تعشه من قبل .....

لم يتوقف احمد طوال اليوم عن الاهتمامِ بها .... وتدليلها .... كانت كلما ارادت شيئا , يجلبه اليها بنفسه .....حتى انها بعد أن تعبت من الوقوفِ و اللعب في الحديقة ..... تمددت على الأريكة لتريح قدميها , فأتى أحمد اليها ليرفع قدميها ثم يجلس بجوارها واضعا قدميها على ساقيه ليدلكهما لها .....وقتها رفعت عينيها اليه .... فالتقت عيناهما معا طويلا .....وكأنه يريد أن يمحي بحركاته الناعمة كل ما آلمها به من قبل .....قال لها أخيرا بصوته العميق

" الم تكتفي بعد يا سابين من بعدك عني .....أعلم أن بدايتنا كانت سيئة للغاية , لكن لنصنع بداية جديدة .... من أجلنا جميعا "

ردت عليه سابين بهدوء تشوبه لمسة حزنٍ خفي

" لا تدع الأوهام تتلاعب بك يا احمد ..... ليس معنى هذا اليوم أنني سأعدل عن قراراتي , لا حياة لنا معا وأنت تعلم ذلك جيدا .....أنت لن تثق بي يوما ... وأنا لن أستطيع نسيان ما فعلته بي "

أخفض عينيه وهو يشعر بقسوة كلمتها بأنها لن تستطيع النسيان .... وهل يستطيع هو .....قال لها بصوتٍ خافت

" يجب أن تعلمي أنكِ ستعودي الي ..لا شك بهذا.....فلما لا نقلل أيام فراقنا "

قبل أن تجيبه أتت تالا لتجلس معهما فأنزلت سابين قدميها الى الأرض ببطء وقد شعرت بتردد احمد في تركها .....لكنه لم يتركها تماما بل اقترب منها ليلف خصرها بذراعه وهو يقول لتالا دون أن يرفع عينيه عن سابين

" تالا ....سابين تريد أن تخبرك شيئا "

نظرت سابين اليه بقسوة ... بينما انتظرت تالا بتحمس ....فنظرت اليها سابين ولم تجد بدا من التكلم بهدوء

" تالا ....أنا و والدك نريد أن .....أنه سيكون لكِ أخا أو أخت عما قريب "

ذهلت تالا تماما و اتسعت عيناها بشدة ... ثم بعد لحظات انفجرت في البكاء الشديد ..... نظرت سابين بصدمة الي رأسها المحنى و المدفون بين كفيها الصغيرين .. وفي لحظةِ هاجمتها صورة حلا حين كانت في نفسِ عمرِ تالا وكانت ايثار تضربها في كثيرٍ من الأحيان ..هي أيضا كانت تؤذيها الا أنها كانت صغيرة في هذا الوقت ولم تدرك تأثيره على حلا ... كان من المفترض أن تعاملها كما كانت تعامل سما دائما ....شعرت بغصةٍ في حلقها . فقامت من مكانها الى أن وصلت لتالا ثم هبطت على ركبتيها وهي تضمها الى صدرها وتهمس لها

" هيا الآن يا تالا ....ما الأمر ....الا تعلمين أنكِ ستظلين فتاة أباكِ المفضلة .... لن يتغير هذا أبدا "

دفنت تالا وجهها في صدر سابين وهي تنشج ثم قالت باختناق " لست ....لست أبكي ....لأني حزينة "

أدارت سابين رأسها الى احمد لتسأله المساعدة .... الا أن نظرته قطعت سؤالها .... كان ينظر اليهما مسحورا حزينا في نفس الوقت ...بهرته سابين في تعاملها مع تالا .... لم يتصورها أبدا بهذه الصورة .....رفع عينيه الى عينيها ثم قال بخفوت

" إن تالا تبكي دائما عندما تنفعل أو تتحمس بشدة ....."

ابتسمت سابين ثم استدارت الى تالا الباكية وجذبت خصلة من شعرها وهي تقول بمرح

" لقد أخفتني يا شريرة .....اذن فقد اتضح أنكِ طفلة مثل باقي الأطفال لقد شككت في هذا كثيرا ....هل أنتِ متحمسة للطفل القادم ؟ "

أومأت تالا برأسها وهي تمسح وجهها بيدها ثم قالت بصرامة وهي تشهق

" لكن ليكن في معلومك يا سابين حين يأتي هذا الطفل سأتين به وتعيشانِ معنا هنا..... وأنا لن أقبل بغير ذلك "

عادت سابين لتنظر بقسوةِ الى احمد الذى كان يضحك الآن من ابنته التى تشبهه في صرامته.....

في المساء ذهبت سابين لتغسل وجهها استعدادا للرحيل و أثناء سيرها في الممر شعرت بيدين قويتين تجذبانها من خصرها لتلصقانها بالجدارِ خلفها ... شهقت بصدمة , ثم قالت بعد لحظاتِ بغضب

" ابتعد يا احمد..... "

ابتسم وعيناه تبرقان ثم همس قرب اذنها " حاولي ابعادي.... "

دفعته في صدره بكفيها الا إنها كما لو كانت تدفع جدارا صلبا....

قالت بغضبٍ يتصاعد "ابتعد عني يا احمد..... "

الا إنه كان يقترب بوجهه من وجهها و ابتسامة عابثة على شفتيه فأخذت تدفعه لكنها لم تستطع النجاح حيث أمسك بذراعيها ليلفهما حول عنقه ثم تمكن من تقبيلها بكلِ ما اعتمل في نفسه من شوقٍ اليها .....مرت عليهما لحظاتٍ دافئة لتكمل سحر هذا اليوم , الى أن أبعد يديها ليأخذ نفسا عميقا قال بعده بحزم

:" هيا....استعدي لأوصلك "

رمشت بعينيها عدة مرات لتستوعب ما يقوله ....ثم ابتعدت تسير أمامه بكلِ ما استطاعت من السيطرة على النفس

أخذ يراقبها وقلبه يصرخ مناديا إياها بشدة .....لكنه تمكن من اخماد شوقه قليلا وهو يفكر .....قريبا ستعودي الي بإرادتك يا ساحرتي المجنونة .....قريبا جدا .....

ثم تذكر جملة أميرة صباحا ....وهي تقول له .....سأساعدك لتستعيد قلبها فإن أخفقت فاعلم أنها فرصتك الأخيرة.....

.....

.....

.....

كانت سابين وسما وحلا واقفاتِ في المطار بانتظار عمار الراشد .....الى أن همست سابين

" ها هو ذا ..... تقريبا ...انه يشبه الصورة نوعا ما "

أخذ يقترب منهن مبتسما .... فاتسعت عينا حلا وفغرت سما شفتيها بينما رفعت سابين حاجبها بإعجاب من تلك الهيئة الخرافية المطلة عليهن.....

كان شابا طويلا بعضلاتِ قوية يبدو في منتصف الثلاثينات..يرتدي بنطالا من الجينز يبين ساقيه القويتين ...وسترتة جلديةِ سوداء على قميصِ ناصع البياض

كان وسيما للغاية بوجهِ رجولي صلب ...الا إن اكثر ما كان مميزا به هي عينيه بلونهما الأخضر القريب من الرمادي ....لقد حصل على عيون عائلة الراشد المعروفة بعيونهم ذات الألوانِ الغريبة....

كان مختلفا عن رجال آل مهران المعروفين بقسوة ملامحهم.....

مالت سما الى اذن سابين وهمست

" ما هذا الكائن المذهل ؟.....!!!"

ابتسمت سابين وهمست " كفى يا سما .....لقد اقترب "

وصل اليهن ثم تكلم مبتسما فخرج بصوتِ رجولي عميقِ للغاية ذو نبراتِ رنانة

" لابد أنكن بنات عماد الراشد .....لا أرى أجمل منكن هنا "

ضحكت سما ببلاهةِ تقريبا فلكزتها سابين بمرفقها .....بينما كانت حلا مذهولة لا تعلم بما ترد عليه .... الا ان سابين هي من تولت الحديث لتمد يدها اليه قائلة

" أنا سابين .....مرحبا عمار , حمدا لله على سلامةِ الوصول "

أمسك بيدها بيدِ حازمة قوية وهو يقول مبتسما " سابين الجميلة بالطبع .... سررت لرؤيتك "

ابتسمت بسحرها المعتاد وهي تقول بصوتها الرائع "هذه هي حلا وهي من ستكون مساعدتي .....أما هذه الصغيرة فهي سما "

ابتسم اليهن بابتسامةِ ذكورية جذابه سمرتهن في أماكنهن ثم قال

" كم أنا مسرور للتعرف عليكن آنساتي..... "

همست حلا لسما مدهوشة " آنساتي !!! .....لقد نسيت هذه الكلمة منذ زمن "

ضحكت سما وهي تحاول اخفاء فمها بيدها ثم قالت سابين

" لابد أنك متعبا من السفر .....لنذهب الآن الى الفندق الذى ستقيم به لترتاح "

أومأ برأسه مبتسما وكأنه ولد بهذه الابتسامة الجذابة .....

انتظرن الى أن يسير أمامهن .... الا إنه ظل واقفا مكانه ليقول وهو يمد يده

" بعدكن..... "

نظرن الى بعضهن بدهشة ثم سارت حلا وسما متعلقتانِ ببعضهما وقد عجزتا عن إمساكِ ضحاتهما الصغيرة المذهولة

بينما ابتسمت سابين له بسحرٍ وتقدمته لتمشي بكل ثقة.....

بعد أن استقر في غرفته و أنهى الإجراءات ..... كان يجلس معهن ليتعارفو اكثر....

فقالت سابين " اذن فوالدك كان ابن عم والدي ....."

رد عليها عمار بهدوء

" نعم ..... لطالما حكى لي عما حققه عماد الراشد .. كانا تقريبا شريكان ... لكن عماد الراشد هو من أسس الشركة "

ثم تابع بقسوة

" كان يتقدم بسرعةٍ جبارة بالنسبة الى عمره ... وكادا أن يصلا الى كلِ ما تمنياه , الا أن شخصا ملقب بالامبراطور وضعهما تحت أنظاره وحاربهما بكل ما يملك .... كان يستعمل كل الطرق الغير نظيفة لمحاربتهما , لكن الأمر لم يكن منافسة في السوق لأنهما كان في البداية ولم يقتربا حتى من مستواه .. بل كان له علاقة بعداوة قديمة فقد حكى لي والدي أن عماد الراشد وقتها كان يريد أن يتزوج أخت هذا الملقب بالامبراطور .ظل يطاردهما الى أن رحل والدي عن البلاد يائسا تماما...إنه رأس مجموعة آل مهران .... بالتأكيد سمعتِ عنها طالما أنتِ متواجدة في سوق هذا العمل "

سعلت سما اثناء شربها العصير فمد عمار يده بمنديلا نظيفا لها وهو يقول برقة " تفضلي..... "

فهمست محرجة " شكرا..... "

الا إن سابين لم يرمش لها جفن بل ظلت هادئة تماما ثم قالت برقة

" بالطبع أعرفها .... وأعرف الإمبراطور ... لقد تزوج من أمي منذ أكثر من عشرين عام ...ايثار الراشد بالتاكيد سمعت عنها ... لقد تزوجها أبي بعد رحيل والدك على ما يبدو .....أما أنا فتزوجت من احمد مهران وهو ابن اخت الامبراطور و التى كانت سبب العداوة كلها ....."

بهتت ابتسامته تماما وهو ينظر اليها منتظرا أن تضحك وتخبره أنها مزحة .... الا أنها ظلت هادئة تماما فصدم من هذا الواقع الجديد فأكملت سابين

" ويجب أن أخبرك أيضا أن حلا متزوجة من أدهم مهران وهو رأس مجموعة آل مهران الآن "

نظر عمار الى حلا المحرجة و قد بدأت الصدمة في الظهور بالفعل على وجهه ... لم ينتظر سابين لتكمل فسأل بتوجس وهو ينظر الى سما

" من المؤكد ... أن سما الجميلة قد أفلتت من مخالب تلك العائلة ....أنتِ لستِ....."

الا أن سما قالت بارتباك و تلعثم " متزوجة من فارس مهران..... "

ارتفع حاجباه بشدة ثم بدأ في الضحك طويلا ...ثم قال من بين ضحكاته

" لكم ستطيب لي الإقامة هنا ....."

الفصل الخامس و العشرين

لم تصدق سابين نفسها و هي تسير بتمهل على الأرض الناعمة تطرقها بكعب حذائها العالي .... الا إنها هذه المرة تطرق أرضها الخاصة , حلمها القديم الغالي .....الفارق الوحيد أن الحلم القديم كان مجموعة سابين الخاصة ..... أما الحلم الجديد فقد جرى له تعديلا بسيطا .....بسيطا جدا.....

إنها مجموعة بنات عماد الراشد.....

هل مجرد اختلاف الإسم يشكل في داخلها هذه اللحظة من جموحِ منتصر ؟؟..... أم أن شيئا آخر قد غير حياتها وجعل منها انسانة أخرى بإحلامِ جبارة لا توازي أحلامها القديمة.....

مر شهر على بدء تعاون عمار مع سابين و قد كان شهرا مهلكا لها نفسيا وجسديا , استطاعت بعد جهد إيجاد مقرا مناسبا للمجموعة .... مقرا عرض للبيع بفرصةِ ذهبية فما أن ذهبت لتعاينه حتى وجدته المكان الأمثل بالنسبة لموقعه في مركز المدينة , لكن بالطبع كان ذو ثمنا خيالي لم يقارب حتى من بعيد كل ما جمعته خلال فترة عملها الطويلة في مجموعة مهران .....

فكرت في أخذ قرض من البنك الا أن عمار ما أن أطلعته على نواياها حتى رفض نهائيا و صمم أولا على معاينة المكان , و ما أن تأكد له صواب رأي سابين حتى قرر على الفور التكفل بشراء المقر و تجهيز ما ينقصه بالرغم من أنه مجهز بالفعل بمعظم ما يلزم .....
حاولت سابين الإعتراض الا أن عمار لم يترك لها الفرصة ....

فأعلمها بأنه سيترك لها أمور الإدارة بينما تترك له أمور التمويل ....وأنه لن يضيع هذا المكان أو أن تتحمل المجموعة أقساط القرض وفوائدها بدون سببٍ وجيه .....لذا أصر على رأيه وبشدة....

كان عمار يسير خلف سابين وهو ينظر اليها مبتسما .....إنها تبدو كطفلة اخذت للتو لعبة العيد .....وتبدو كأمراة على وشكِ تحقيق حلمها ..... من بريقِ عينيها المختلط بحزنٍ دفين ..... في الفترة السابقة ٍ كان قد استنتج ان زواجي سابين وسما على وشكِ الإنهيار ....لكنه لم يعلم بالأسباب.....

يشعر بأنه الفترة السابقة قد ارتبط بهن للغاية ..... وأحبهن بشدة , لذا لا يمكنه منع نفسه من الحزن لحزنهن .... انهيار زواج سما سيحطمها بالتأكيد فهي رقيقةِ كنسمة ...أما بالنسبةِ لسابين فسوف يجرحها , لكنها ستتعامل مع جرحها بشكلٍ رائع.....

أما حلا فتبدو وكانها تشرق و تتفتح يوما بعد يوم .....كزهرةِ صغيرة تلتفت الى الشمس أينما ذهبت ..... لكنه أيضا لا يعلم لماذا لا تقيم مع زوجها بالرغم مما يبدو عليها من شوقٍ و تطلع لليوم الذى سيجمعها بزوجها بيت واحد.....

استدارت سابين لتجد عمار يحدق بها مبتسما فابتسمت هي الأخرى وقالت برقة

"ها هي البداية يا عمار..... "

ابتسم وهو يومىء براسه قائلا

" لقد أوشكنا على البداية .....لكن البداية الحقيقية ستبدأ ما أن ننزل للسوقِ بالفعل ...سابين هل أنتِ مدركة للمنافسة الشرسة التى سنخوضها ....نحن سننافس فطاحل السوق , ومن أهمهم مجموعة مهران ....."

ردت سابين بثقة " أعلم هذا جيدا عمار فقد كنت في هذا العالم من المنافسة لأكثر من ست سنوات "

رد عليها عمار بحذر " لكنك أغفلتِ أنكِ كنتِ مع.....مجموعة مهران وليس ضدها , فهل أنتِ مدركة للعواقب التى يمكن أن تنتج عن ذلك لكِ ولشقيقتيكِ على الصعيد الشخصي .....نظرا لتداخلكن العائلي الطويل مع عائلة مهران "

سكت قليلا ثم تابع " أنا شخصا عمليا يا سابين لا أمزج بين العمل والحياة الشخصية ..... لذا أخبريني من الآن , هل أنتن على استعدادٍ تام لتحمل كل ما سينتج عن ذلك ؟....."

ظلت سابين تنظر اليه دون أن يرف لها جفن ثم ردت بهدوء

" اذا كانت تلك العواقب التى تحدثت عنها ستنتج عن منافستنا لهم ..... اذن فقد فالأمر محكوم عليه بالإنهيار من البداية , حتى إن لم ننافسهم .....نحن وعائلة مهران يفصل بيننا وبينهم الآن خيط رفيع , فإن قطعوه .....ستكون النهاية بالتأكيد و لن يستحق الأمر منا لحظة ندم واحدة..... "

أخذ عمار ينظر اليها بإعجاب ثم قال بهدوء

"وماذا عن الطفل ؟..... هل ستستطيعين المتابعة الأشهر القامة ؟...."

نظرت اليه بدهشةٍ ثم قالت

" وكيف عرفت بأمر الطفل ؟....."

نظربمرح الى بطنها المنتفخة قليلا ثم قال ضاحكا

" لن تظلي نحيفة الى مالانهاية..... "

عبست بشدة بينما لم تستطع منع نفسها من الضحك وهي تضرب كتفه بقبضتها ثم قالت

؛"الم تتعلم كيف تخاطب النساء الجميلات..... "

ضحك عمار وهو يقول بتملق

"هيا الآن يا سابين .... أنتِ تعلمين جيدا أنكِ ستظلين متربعة على عرشِ الجمال وحتى نهاية حملك "

أومأت سابين بمرح وهي ترفع سبابتها محذرة

" نعم هذا ما أحتاج لسماعه طوال الأشهر القادمة ....."

ضحك عمار قليلا وهو يرفع يديه باستسلام

"أمرك سيدتي .....لكن سابين أنا أتكلم بجدية .. هل ستتحملين تعب الأشهر القادمة في العمل ؟...."

ردت سابين بهدوء " لا تقلق عمار .....أنا أستطيع ذلك "

نظر عمار الى عينيها الجميلتين المتحديتين ثم قال مبتسما

" اذن ....مادام الأمر كذلك , فدعينا نذهب الآن , لدينا الكثير لنفعله..... "

ابتسمت وهي ترد " هيا بنا..... "

لكن في تلك اللحظة رن هاتفها .....نظرت بشرود الى الأسم الذى ظل يلاحقها كظلها الشهر الماضي كل يومِ تقريبا ....ماذا الآن ...ماذا يريد ... ولماذا في تلك اللحظة بالذات .... هل هو مصر على إفساد كل لحظة سعيدة لديها.....

فتحت الهاتف و ردت بهدوء " مرحبا احمد..... "

أتاها صوته العميق الدافئ " مرحبا يا روح احمد ....."

أبعدت الهاتف قليلا لتنظر اليه بعبوس .....وكأنها تريد التاكد من ان احمد مهران هو الذى يتحدث .....أعادت الهاتف لتقول بحزم

" نعم احمد ؟....."

"كيف حالك ؟....."

"بخير..... "

"والطفل ؟....."

تنهدت سابين وهي تنظر لاعلى بغضب ثم قالت بحدة

" احمد ..... هل تهاتفني الآن....تعطلني وتعطل نفسك ..... لمجرد حديثٍ اجتماعي سخيف لا معنى له ....."

ساد صمتا طويلا ثقيلا لم تستطع سابين ان تتحمله اكثر فقالت بصرامة

" اذن يبدو أن لا شيء مهم لديك لتقوله .....أراك لاحقا احمد فأنا مشغولة الآن "

صرخ احمد فجاة حتى كاد أن يصم أذنها

؛" سااابين ....الى متى ستظلين بهذه الصفاقة ... لقد بدأت أفقد أعصابي "

ضحكت سابين بصوتٍ عالٍ ثم قالت وعيناها تلمعانِ غضبا

" نعم .... نعم .....هذا هو احمد مهران الذى اعرفه , وليس ذاك المصر على تمثيلِ دورِ عاطفي سخيف لا يليق به "

ساد صمتا ثقيلا مرة أخرى لكن تخلله تنهيدة احمد اليائسة وهو يحاول السيطرة على نفسه ثم قال أخيرا بصوتِ فظِ جاف

" كيف حالك وحال الطفل ؟.....هل ترهقين نفسك ؟....."

أغمضت سابين عينيها وهي تطرق براسها .... نعم هذا هو احمد الذى تعرفه .... الخشن .. الفظ ....القاس ... والذى بداخله حنانا مخفيا عن الأعين لا يظهره الا لمن يحب .....هذا هو احمد مهران الذى أحبته.....

ردت سابين بصوتِ خافت

" الطفل بخير يا احمد اطمئن ..... لن أفعل أي شيء من الممكن أن يؤذي طفلي "

تنهد مرة أخرى ثم قال بحدة

" سابين .... أنا لم أسأل عن الطفل وحده .... بل سألت عنكِ أيضا ,لذا من فضلك أجيبيني هل ترهقين نفسك ؟"

في الواقع هي مرهقة أشد الإرهاق لكنها بالتأكيد لن تخبره بذلك والا فقد تجد نفسها محمولة على كتفه بعد دقائق ... لذا ردت بهدوء

"لا يا احمد ....أنا لا أرهق نفسي اطمئن ... أنا بخير "

قال احمد بعد لحظة بصوتِ خافت

؛"سابين .....هل تصدقيني لو أخبرتك بأنكِ تهميني الآن اكثر من الطفل ؟.....و أن لهفتي اليه ..هي لهفة لشيء رائع سيربطني بك ِ "

صمت ...وصمتت هي ....امتد صمتهما للحظات ...لا يريدانِ كسره ... الى أن قالت سابين في النهاية بصوتِ رقيقٍ خافت

"شكرا..... "

سمعته يسحب نفسا عميقا و كأنه لا يصدق انها شكرته بمثل هذه الوداعة ....ثم قال أخيرا بلهفةِ رقيقة

" هل تتناولين العشاء معي الليلة ؟..... "

تنهدت وهي تشعر بالحنين الغادر اليه .....قالت بهدوء

" احمد ..... هذا لن يجدي و أنت تعلم ذلك جيدا "

قال بسرعةِ وحدة " سيجدي سابين .....سيجدي فقط إن قررت منحنا فرصة جديدة لنحاول "

استدارت قليلا لتجد عمار ينظر اليها بتركيز فشعرت بالإحراج لأنها نسيته تماما .... فقالت وهي تدعي لنفسها أنها فقط تريد انهاء المكالمة

؛" حسنا .... للعشاء فقط ....لا لشيء آخر "

ضحك قليلا ثم قال بسعادة " ستظلين وقحة دائما .....سأمر عليك في السابعة... "

ردت سابين بهدوء " لا داعي ..... قل لي المكان الذى تريد الذهاب اليه وأنا سآتي اليك..... "

قال احمد بصوتِ أجش من العاطفة " إن أخبرتك أنني سأتناول العشاء في البيت .... فهل ستأتين الي "

التقطتت أنفاسها السريعة ثم تجاهلت معنى كلامه وقالت

" أنا أعني ما أقول .... المكان هنا بعيد , يبعد حوالي الساعتين لذا ليس من العدل أن أتي لتأخذني .....أخبرني وأنا سآتي "

سمعت تنهيدته المحبطة ثم قال يتجاهل ما قالته

"سأكون عندك في السابعة..... "

ابتسمت قليلا فبدت بأنوثةٍ مهلكة ثم قالت بخفوت " الى اللقاء..... "

رد احمد عليها يستفزها " الى اللقاء يا روح احمد ....."

ضحكت ضحكة صغيرة تبعتها تنهيدته العاشرة منذ أن بدات المكالمة ثم أغلق الخط

التفتت لتنظر الى عمار المبتسم بخبث فقالت بخبثٍ مماثل " ماذا ؟....."

قال عمار بعد لحظة " لا يبدو أنكِ قد فهمتِ أيا مما قلناه منذ دقائق..... "

ردت سابين بهدوء

" بل فهمت ... وأعود لأخبرك أنه إن حدثت العواقب التى تحدثت عنها ..... فمعنى هذا أنه لم يكن لدينا يوما مانخسره...."

نظر اليها عمار طويلا وهو يتسائل إن كانت تدرك بداخلها أنها تعشق احمد مهران أم أنها تخدع نفسها بمنتهى الحماقة.....

.....

.....

.....

كانت سابين تبدو خرافية كالعادة هذا المساء .....بثوبها الأسود البسيط طويل الأكمام و الذى يصل الى ركبتيها و جواربها الشفافة السوداءالتى تحتضن ساقيها الملتفتين بنعومة ليكملهما الحذاء اللامع ذو الكعب العالي الرفيع.....

وكعادتها مؤخرا أطلقت شعرها الطويل حرا خلف ظهرها فبدت بالرغم من بساطتها رائعة ساحرة.....

وصل احمد في تمام السابعة ....كانت سابين في منتصف السلم حتى سمعت صوت المفتاح والباب يفتح ليدخل احمد حاملا باقة ورد حمراء كبيرة.....

نظرت اليه من علو منبهرة بوسامته وطلته المهيبة في حلتة السوداء .....لكنه لا يرتدي ربطة عنق , دائما يحب الا يكمل منظر تحضره فيرتدي حلته الرسمية وتحتها القميص الناصع البياض ثم يترك الزرين العلويين من القميص مفتوحين ليظهر عنقه الأسمر ..... والذي دفنت وجهها به من قبل اكثر من مرة.....

هزت رأسها قليلا لتبعد تلك الأفكار الهوجاء عن رأسها .... ثم تابعت نزولها الهادىء وهي ترى عينيه اللتين اشتعلتا بشدة لمرآها ..... وصلت اليه الى أن وقفت أمامه .....أخذت تنظر الى عينيه اللتين لم تفارقا عينيها..الا لتلتهما شفتيها القرمزيتين ثم تعودانِ الى زرقة عينيها من جديد ..... الى أن قالت بثقة

"لماذا استخدمت مفتاحك ؟....."

رمش بعينه ليستفيق من سحره بها ثم قال بتساؤل " ولما لا أستخدمه ؟....."

ردت عليه سابين دون ان تبتسم

" هذا ليس بيتك ..... إنه بيت والدتك وهي تسمح لنا مؤقتا بالإقامة فيه .....أم أنك نسيت أن سما وحلا تقيمانِ معي ....لذا لا يصح دخولك بالمفتاح وهما هنا ....."

ارتفع حاجباه قليلا وهو يستمع اليها تحدثه بمثل هذه الغطرسة.....لم يشعر يوما بالإحراج مثلما يشعر الآن .....لكنه لم يجد بدا من الرد بإعتراف

" لقد غاب هذا عن ذهني ....تفضلي "

نظرت الى باقة الورد الحمراء في يده بإستهجان ثم قالت بهدوء " ماهذا ؟.....!!"

رد بهدوء مماثل " طماطم ..... ماذا ترينه ؟؟؟؟"

رفعت حاجبا ونظرت اليه وهي تقول بسخرية

"الن ننتهي من تلك اللفتات العاطفية التى لا تليق بك .....وبي أيضا , لست من هواة الورود "

ظل ينظر اليها بقسوة وشكت في انه سياخذ وروده و ينصرف الا انه حين تكلم قال هادئا

" مرحبا سما..... "

استدارت سابين لتجد سما آتية خلفها مبتسمة ثم ردت بهدوء " مرحبا سيد احمد ..... كيف حالك "

ابتسم احمد بحنانِ لا يظهر الا لتالا والآن لسما فقال بهدوء

" احمد فقط يا سما .....لا أحب كلمة سيد تلك منكِ "

ابتسمت سما واحمر وجهها فقالت تردد بخجل " كيف حالك احمد..... "

مد اليها باقة الورد الحمراء الضخمة وهو يقول مبتسما " تفضلي .....مع إن جمالها بهت بجانب جمالك يا صغيرة "

أخذتها سما وقد أشرقت ملامحها ابتهاجا واتسعت ابتسامتها وهي تتلقى الورود بين أحضانها لتدفن وجهها بها .....ثم نظرت اليه مبتسمة وقالت بسعادة طفولية

" ما أجملها .....لم أتلق أى ورودٍ في حياتي من قبل "

اتسعت ابتسامة احمد الحانية وهو ينظر اليها طويلا ثم قال " اذن سأحرص أن تصلك الورود دائما يا صغيرة ....."

أطرقت سما برأسها مبتسمة بينما تبللت عيناها بدموعٍ خفية فسعلت قليلا لتستطيع التحدث

"شكرا لك يا احمد ....لم أرى أجمل منها من قبل , سأذهب لأضعها في إناء يليق بها .....أتمنى لكم أمسية سعيدة "

ثم انطلقت لتختفي مع الورود ودموعها.....

لم تستطع سابين في تلك اللحظة ان تفسر الشعور الحارق الذى تملكها ..... غضبا شديدا يكاد يفترسها , لا تعلم له سببا .....التفتت الى احمد بوحشية لتقول له

" ما كان قصدك من تلك الحركة السخيفة ؟....."

رفع حاجبيه وقال ببراءة " ماذا ؟.....لقد قلت أنك لستِ من هواة الورود , فأعطيتها الى من يقدرها أكثر "

ظلت تنظر اليه بعينينِ تشتعلانِ بلهيبٍ أزرق ....ثم قالت أخيرا بصوتِ جليدي

؛" هل ننصرف ؟.....لا أريد أن نتأخر في العودة "

الا أن احمد ظل واقفا مكانه ....فرفعت عينيها اليه فوجدته مسمرا عينيه بضيقٍ على ساقيها المغطاتين بالجوارب السوداء .....فسألته بتحدي

؛" هل من مشكلة ؟....."

رفع نظره الى عينيها المتحديتين .... ثم قال بضيق "الا تستطيعين ارتداء ما هو أطول ؟....."

رفعت حاجيبها لا تصدق ما تسمعه .....ثم قالت وهي تحاول السيطرة على غضبها المتصاعد

"الن تتغير أبدا ؟....."

قال بغضبٍ هو الآخر " إن كنتِ تقصدين بالتغير ,أن أستمتع أنا أرى رجالا آخرين ينظرون الى ساقي زوجتي .....فالإجابة هي ...لا ..لن أتغير "

ظلت ساكنة طويلا تنظر الى عينيه العسليتين الصارمتين ثم قالت أخيرا ببطء

"انتظرني هنا , لن أتأخر .....لا تأخذ راحتك فى التجول هنا "

ثم استدارت لتصعد السلم دون أن تنتظر ردا منه بينما هو ينظر اليها مدهوشا من صعودها ...هل فعلا انصاعت بمثلِ هذه السهولة.....

لم تتأخر فعلا أكثر من دقائق وهي تنزل اليه مرتدية ثوبها الأسود الطويل الذى يتذكره جيدا .....والذى ارتدته يوم رقص معها للمرةِ الأولى ....لكن المختلف

هذه المرة , أنها ترتدي فوقه سترة لامعة قصيرة ...لكنها تكفي لتغطية ظهره المكشوف والذى يتذكره جيدا.....

نظر اليها بوجوم .....كل ما ترتديه يجعلها أجمل و أجمل .....ماذا يفعل ليخفيها عن أعين الناس.....

وصلت اليه.....نتظرة تقييمه النهائي بملِ واضحِ على ملامحها .....ثم قالت تستفزه

" هل حصلت على رضاك الآن ؟....."

مد يده ليمسك بذقنها يرفعه اليه ونظر الى عينيها طويلا ثم قال بهدوء " تبدين رائعة..... "

ثم أخفض وجهه ليقبل شفتيها برقةِ أذابتها وتركتها متعطشة للمزيد .....رمشت بعينيها لتستفيق من سحرِ تلك اللحظة , ثم قالت بسخرية لتداري تأثير قبلته عليها

" لست رائعة الى هذا الحد ..... فبطني بدأت في الظهور قليلا في هذا الثوب "

اشتعلت العينان العسليتانِ اكثر و اكثر ومد يده ليتحسس بطنها الصغيرة بحنان وهو يبتسم هامسا

" بل تجعلك أجمل و أروع..... "

رمشت بعينيها مرة أخرى ..... ماذا يحدث لها .... لماذا يخفق قلبها بهذا الشكل الأهوج .....ولماذا تشعر بدموعِ غادرةِ على وشكِ الظهورِ بعينيها.....الا إن احمد لم يمهلها لتحصل على الإجابة بل جذبها بين ذراعيه بقوةِ يحتضنها وكأنه لا يريد أن يبعدها عن قلبه .....التفت ذراعاها لتحاوطا خصره من أسفلِ سترة حلته .....لا تريد أن تفارق صدره القوي ..... تريد أن تبقى هنا طويلا وتنسى ما فات .....ازداد

ضغطه عليها أكثر حتى اضطرت أن ترفع رأسها اليه قائلة بسخرية مزيفة

" احمد .....لا احب ان افسد مزاجك العاطفي السخيف هذا .....لكنك تكاد تسحق الطفل "

ابتعد عنها في لحظةٍ واحدة دون أن يترك ذراعيها ونظر اليها بقلق ثم قال

" هل آلمتك ؟..... هل من الممكن أن أكون قد تسببت في شيء للطفل ؟"

ضحكت سابين قليلا وهي تنظر الى ذلك المارد الضخم أمامها والذى يبدو القلق الشديد على وجهه الصارم ....لم يقاوم قلبها طويلا فهمست مبتسمة بمرح

؛" من المفترض أن تطمئنني أنت .....فهى ليست المرة الأولى التى ترى فيها مراحل الحمل "

لا تعلم لماذا تطرقت الى موضوع ليال .....ماذا أرادت .... ولماذا تسعى الى تخريبِ كلِ شيء.....

قال احمد بهدوء بعد أن اطمئن عليها قليلا ....."
سأظل أقلق على كل طفلٍ كما قلقت على تالا..... "

كل ؟!!!!!!.....كل طفل ؟!!!.....إنه فعلا في مزاجٍ غريبٍ الليلة.....

قالت بهدوء " هيا لنذهب..... "

أومأ برأسه ومد يده ليمسك بيدها ليتجها معا الى سيارته.....

كان مكانا ساحرا للغاية ....راقي وجميل ....اضاءته خافتة وناعمة ....موسيقى حالمة تكمل الجو الساحر .....

جلست أمامه و الإضاءة تتلاعب بملامح وجهها الرائعه لتزيدها جمالا جعل قلبه يهفو اليها .....ولم يستطع المقاومة أكثر فمد اصبعه ليلاحق تلك الملامح الناعمة التى اشتاق اليها طويلا.....

نظرت سابين بعينيها حولها ...ثم قالت باحراج " احمد الناس تتطلع الينا..... "

ضحك قليلا ثم همس بشغف " منذ متى تهتم سابين الراشد بنظرات الناس ؟..... "

ضحكت بسحرٍ وهي تهمس " ومنذ متى كنت لا تهتم أنت ؟....."

ابتسم ليمسك بذقنها بين أصابعه وهمس " يبدو أننا تغيرنا كثيرا..... "

ثم بهتت ابتسامته قليلا وأصبحت مستفزة وهو يلامس خصلاتِ شعرها الطويل وقال بصوتٍ لم يستطع إخفاء الضيق فيه

:" أرى أنكِ أصبحتِ تطلقين شعرك دائما هذه الأيام .....كل من يراكِ لا يكاد يرفع عيناه عن شعرك , لذا فمن الأفضل أن تعودي لجمعه مرة أخرى مادام بمثلِ هذا الطول "

أبعدت يده عن شعرها وهي تقول بغضب " يبدو أنك لم تتغير أبدا..... "

قال بغضبٍ مماثل " ماذا ؟.....ألأنني لا أطيق أن ينظر اليكِ غيري ؟؟....."

أبعدت نظرها عنه بغضب وهي ترفض أن يستدرجها لمثل هذه المحادثة التى ستجر الكثير من الحوارات المخزية بعدها والتى تفضل أن تنساها.....

أخذ احمد نفسا طويلا وهو يحاول الا يفسد تلك الأمسية أكثر.....

ساد الصمت بينهما لدقائق طويلة غير محتملة فقال مغيرا الموضوع

"كيف هي أمور المجموعة ..... من أين ستتدبرين التمويل ؟..... لا تتعنتي سابين وتقبلي مساعدتي "

ابتسمت بسحرها المغوي وعينيها تداعبانِ عينيه ثم همست

" لقد تدبر شخصا آخر أمر التمويل .....لا تقلق "

صمت لحظة مبهوتا , ثم عقد حاجبيه بشدة ...ينظر اليها نظرة أرسلت رجفة خفيفة في أطرافها ثم قال بصوتِ خافت

" من تولى تمويل المجموعة ؟....."

نظرت اليه بتحدي ثم قالت بسخرية " حقا أحمد ؟..... هل استدرجتني الليلة لتطلع على أسرار مجموعتي ؟"

مد يده ليمسك بيدها الموضوعة على المائدة أمامه بقوة وقد فقد صبره الذى ظل يجمعه طوال الأسبوع الماضي.....

" أجيبيني سابين ....من تولى أمر تمويل المجموعة ؟....شخصا يمتلك مثل هذه السيولة المادية , ما الذي يجعله يرمي تمويلا كهذا في مجموعةِ جديدة قد تنجح وقد تخسر ؟....."

شعرت سابين حقا أنها كرهته في تلك اللحظة .....تعرف الى أين يجنح تفكيره الآن ....تماما كتفكير جميع رجال مهران.....

سحبت يدها من يده بهدوء ثم قالت برقة " أريد الذهاب الآن من فضلك..... "

غرز أصابعه في شعره بنفاذِ صبر ثم أخذ نفسا عميقا وهو يغمض عينيه .....وظل هكذا عدة لحظات الى أن نظر اليها أخيرا وقال بهدوء

" سابين .....أنا لم أقصد ما فهمته , أنا فقط .....اسمعي أنا فقط أريد أن أعرف من سيشاركك وماهى نواياه .....هل ما أطلبه صعب للغاية..... "

ظلت تنظر اليه صامتة , بملامحِ متجمدة .....تراه يحاول السيطرة على نفسه , لكن بداخله فكرة واحدة عنها تسيطر عليه.....

قالت أخيرا بهدوء

"لا داعي لهذا .....أنت لا تعرفه , أنه جديد على السوق هنا .....لكن لما لا أعرفك اليه ؟....."

نظر اليها بتشكك وقال :"حقا ؟....."

ابتسمت وقالت بنعومة

" ولما لا ؟.....إنه قريبي , ابن عم والدي سافر منذ سنين الى الخارج ....لكن دعك من كل هذه القصة الطويلة المهم أنه قريبي و سيكون سعيد بالتعرف عليك وعلى أدهم .....لما لا تحضر والدتك وتالا في نهاية الأسبوع ..... وحلا ستخبر ادهم ليأتي..... "

تنهد وهو يشعر بغضبه وقلقه يهدئانِ قليلا .....ثم قال مبتسما بحنان

" نعم ولما لا .....سنأتي بالطبع , المهم أننا سنقضي يوما كالذى قضيناه معا .....و سأكون سعيدا بالتعرف اليه , ولو أني كنت أتمنى أن أشاركك أنا..... "

نظرت اليه بنعومة ثم قالت بعد لحظة صمت

" كنت معك .....الى أن قررت استبدالي دون حتى أن تعلمني , فلماذا الغضب الآن ؟....."

عاد ليمسك يدها الرقيقة ثم لرفعها الى شفتيه ليقبل باطن كفها بنعومة وهو يهمس

"لن نصل الى أي مكان ونحن نتذكر مافات باستمرار سابين..... "

همست وهي تترك كفها لسيطرة شفتيه تماما " نعم .....لن نصل الى أي مكان "

حين أوصلها الى البيت في نهاية الأمسية التفتت تنظر اليه برقة وابتسمت ابتسامة سلبت روحه وهمست

"شكرا لك ..... لقد استمتعت بهذه الأمسية كثيرا ....."

كانت يدها على مقبض الباب بالفعل .... الى أن مد يده ليمسك يدها الممسكة بمقبض الباب و يسحبها الى صدره القوى بينما يده الأخرى تخللت خصلاتِ شعرها لتقرب رأسها من وجهه .....ثم همس أمام شفتيها المكتنزتين واللتين أخذتا في التنفس سريعا لقربه منها

" الا تستحق هذه القيادة الطويلة لثالث مرة اليوم شكرا افضل من هذا..... "

همست وهي تنظر اليه بعينيِ مشتتينِ ضائعتين " كيف ؟....."

ابتسم بشيطنة وهمس " سعيد أنكِ سألت .....اقتربي مني لأريكِ كيف "

سحبها بين ذراعيه بقوة ِ لينهال عليها بأشواقه الجامحة المشتعلة .....ولم تبخل عليه بإظهار شوقا مماثلا كان يفترسها كل ليلةٍ من الليالي الماضية.....

ابتعد عنها بعد وقتٍ طويل وهو يتنفس نفسا هادرا ....ثم همس في أذنها

" عودي معي .....لا تتركيني أعود تلك المسافة للمرة الرابعة وحيدا "

أسبلت جفنيها ....تريد الذهاب معه .....تريد بشدة أن تسامح , لكن أن تريد شيئا فهذا يختلف تماما عن أن تستطيع فعله.....

فتحت عينيها ونظرت الى عينيه البراقتين بالرغم من ظلمة السيارة ....ثم همست

" أعطني بعض الوقت..... "

لم يصدق احمد ما سمعه ....هل عنت بالفعل ما قالته ؟..... هل ستعود ؟.....هل لان رأسها اليابس ؟.....همس بصوتٍ خشنا

"هل تعنين ذلك يا سابيتي .....هل ستعودين وتنسين كل تلك الحماقة المتعلقة بإنفصالنا ؟....."

لم تستطع سوى الهمس " سأحاول..... "

جذبها بين ذراعيه وهو يتنهد تنهيدة من وصل الى نهاية السباقِ أخيرا .....الا انها ابتعدت عنه قليلا قبل أن تستسلم له وقالت بخفوت

:" سأذهب الآن .....الى اللقاء "

لكنها توقفت لحظة دون أن تفتح الباب ....ثم عادت لتلتفت اليه وهمست بعد تردد

"أريد أن أخبرك شيئا .....قد ...قد لا أجد الفرصة في نهاية الأسبوع لأخبرك به لأنك ستكون مشغولا جدا .....بالتعرف الى قريبي الذى أخبرتك عنه .....إنها ..... طفله ....."

اتسعت عيناه قليلا من تلك الهمسة الأخيرة ..... والتى محت كل ما قبلها من كلماتٍ لم تعنِ له شيئا.....

ضحك برقة .... لمعت عيناه أكثر .....مد يده ليتحسس بطنها الجميلة .....ثم عاد ليأخذها في أحضانه الدافئة طويلا وهو يضحك بخفوت بجوار أذنها .....بينما رفعت ذراعيها لتحاوط بهما عنقه وهي تستمتع بذلك الحصن الدافىء والذى قد يضيع منها مرة أخرى.....

بعد لحظاتٍ طويلة ابتعدت عنه لتهمس سريعا " أراك في نهاية الأسبوع..... "

ثم حررت نفسها من بين ذراعيه وفتحت الباب وخرجت قبل أن يمنعها .....بينما ظل هو ينظر الى طيفها المبتعد وهو يقاوم شوقه المجنون ليذهب و يخطفها مبتعدا بها عن الجميع .....

في يومِ نهاية الأسبوع ....يومٍ مشمس دافىء ورائع ....وقد قرروا البقاء في تلك الحديقةِ التى كانت مهجورة ذابلة منذ سنين .....الا أن حلا وسما أعاداها للحياةِ من جديد ....فبدت جميلة .....تدعو من يراها الى الجلوس فيها.....

كانت حلا تبدو كحلمٍ ربيعي مشرق ...بثوبها الأبيض المرفرف من حولها أينما تحركت .....تحيط شعرها بشريطٍ حريري وردي اللون بينما انساب طليقا في

موجاته العسلية مسترسلا على ظهرها كأمواجِ بحرِ صيفي ناعم.....

لكن ما زاد إشراقها هي تلك الملامح الجديدة التى اكتسبتها .....بريقِ عينيها اللتين ازداد خضارهما .....ابتسامتها التى لا تختفي اينما ذهبت وكيفما تحركت .....حتى أنها كانت تتمايل بنعومة على أنغامِ موسيقية ناعمة قامت سما بتشغيلها في الحديقة.....

مغمضة عينيها ..... مبتسمة تلك الإبتسامة التى تبدو في رقةِ حافةِ ورقةِ ناعمةِ مرت سريعا لتجرح قلب من يراها دون أن يشعر.....

إنها تنوي قتلي .....هكذا فكر ادهم وهو ينظر الى تمايلها الناعم تحت أشعة الشمس التى تغلفها فتجعلها كحلمِ ذهبي خرافي.....

استدار في كرسيه ليرى إن كان احمد يراها هو الآخر .....الا إنه لم يكن موجودا ....جيد .... من المؤكد أنه يبحث عن سابين في مكانٍ ما .....عاد ليستدير اليها مبتسما...مستندا بظهره واضعا ساقا فوق الأخرى وهو يتابع ذلك الحلم الذى يوشك على أن يصيبه بنوبةِ قلبية.....

فتحت عينيها وحانت منها التفاتة الى وحشها الرقيق .....ابتسمت بخجل وهي ترى نظرته المفترسة و ابتسامته الجائعة .....لكنها لم توقف تمايلها وهي تفكر .....يستحق هذا .....لا أعلم لماذا لكنه يستحق أن يذوب في أكثر و أكثر .....مثلما أذابني به منذ أن بدأت أدرك هذه الحياة .....منذ أن عرفته قبل حتى أن أتعلم حتى كيف أكتب اسمي .....منذ أن قدرت حلا الراشد لأدهم مهران.....

قام ادهم من كرسيه ببطء وبخفة الفهد الذى يستعد للقفز على فريسته .....الا إنها لم تمهله أكثر .....فابتسمت بشيطنة حلا الراشد ذات الخمس أعوام .....فجرت تبتعد عنه.....

عقد حاجبيه وهو يقول بصوتٍ منخفض حتى لا يسمعه أحد

" حلا ..... تعالي الى هنا "

هزت رأسها علامة النفي وهي تبتسم ابتسامتها الخلابة .....فاندفع ناحيتها في حركةٍ واحدة فصرخت ضاحكة لتجري منه بينما لحقها وهو لا يهتم ان كان هناك من يراه .....فليراه من يراه .....المهم أنه سيلتهمها كما يلتهم حبة كرزٍ شهية.....

كادت حلا أن تصطدم بأميرة التى رفعت صينية المقبلات التى تحملها عاليا حتى لا يتناثر ما فيها أرضا .....

ضحكت حلا وهتفت وهي تتابع جريها ...." عذرا عمتي..... "

ضحكت اميرة بسعادة بينما نظرت الى ادهم الذى كان عازما على اصطياد غزاله الشارد بأي طريقة .....وما أن مر بها كالسهم ...حتى ابتسم هاتفا

"بعد اذنك عمتى .....سأعلمها الأدب ثم أعود اليكِ "

ضحكت أميرة بسعادة أكثر وهي تهتف في اثرهما " خذا وقتيكما..... "

تنهدت تنهيدة كبيرة وهي تتمنى لاحمد وسابين ... وسما وفارس ...أن يصلا يوما الى مثل هذه السعادة .....

بعد لحظة كانت سابين تنزل خلفها الى الحديقة يتبعها احمد الذى بدا وكانه لا يريد أن يفارقها لحظة يبتسم لها ...يحيط خصرها بذراعه .....يقبل وجنتها كل لحظة .....بينما بدت هي شاردة .....عيناها تائهتان .....وكأنها ستودع حبيبها بعد لحظات.....

بعد فترة قصيرة كان الجميع قد اجتمعوا في الحديقة .....يتهامسون .... يضحكون.....

الى أن لفت انتباههم السيارة التى دخلت من الباب .....فتوقفوا جميعا عن الكلام ووقف احمد وادهم استعدادا لمقابلة .....ابن عم عماد الراشد.....

ثم لم تلبث أن تجمدت ملامحهم تماما .....عم السكوت المكان وهما يستوعبان هيئة ذلك الشاب الذى نزل مبتسما من السيارة الرياضية .....اقترب منهما بهدوء وهو يتباهى بعضلاته من قميصه القطنى الخفيف.....

وما ان وصل اليهما حتى خلع نظارته الداكنة ليمد يده الى ادهم مبتسما قائلا بهدوء

"عمار الراشد..... "

تمكن ادهم من مصافحته بعد عدة لحظات ثم قال بصوتٍ أجش " ادهم مهران..... "

ثم نظر بقسوةٍ وتوعد بطرف عينه الى حلا الجالسة في كرسيها ترتجف كطفلةٍ صغيرة وهي تدرك ان المواجهة التى كانت تخشاها قد حانت.....

وحين مد عمار يده الى احمد وهو يقول مبتسما " اذن لا بد من أنك احمد مهران .....زوج سابين "

كان احمد يبدو وكأنه تحول الى تمثالِ حجري للقسوة والعداء .....حانت منه نظرة الى سابين التى غلفت القسوة ملامحها هي الأخرى ....تعرف تماما أية أفكار ستلوث رأسه عنها الآن.....

عاد احمد ينظر اليه حين تكلم ....فنظر الى يده الممدودة دون أن يبذل أي مجهود في اخراج يده من جيب بنطاله .....ثم رفع نظره اليه ليقول بكل برود

" أنا لا أحب المصافحة..... "

علا الجو المحيط موجة من التوتر الا أنه لم تتبدل ملامح عمار المبتسمة ثم قال مازحا

" هل تخشى على وضوئك ؟....."

انطلقت ضحكة سما في وسطِ ذلك الصمت المشحون ....فنظر الجميع اليها بذهول , فسكتت تماما وهي تنظر اليهم برعب وتهمس

" ماذا ؟..... الم يكن هذا مزاحا ؟....."

ابتعد احمد عن كل ذلك الجو الخانق وهو يهتف لتالا القلقة بغضب

" هيا يا تالا سننصرف..... "

أمسكت سابين بيدِ تالا تمنعها من القيام من مقعدها ....بينما قامت هي لتتجه اليهما وهي تقول بقوة

" الن تتعرف على شريكي بعد يا احمد ؟....."

التفت اليها لينظر اليها نظرة كادت ان تقتلها ....ثم قال بهدوء شرس

"هل هذا هو ابن عم والدك الذى أخبرتني عنه ....."

نظرت اليه بتحدي دون أن يرف لها جفن وقالت بنفس القوة

"ابن عم والدي الذى حدثتك عنه هو والد عمار .....وقد توفي منذ سنين رحمه الله "

ظلا يتبادلانِ النظراتِ القاسيةِ وكأنهما خصمان على وشكِ القتال الى أن تدخل ادهم ممسكا بذراعه هامسا له

"احمد .....تمالك نفسك ودع هذا اليوم يمضي بسلام ثم سيكون لنا حديثٍ آخر "

لم يبعد احمد نظره عن عيني سابين القاسيتين للحظةِ واحدة ثم أومأ لادهم برأسه واتجه ليجلس في مقعده دون ان يخاطب احدا.....

مرت تلك اللحظاتِ المشحونة ....حتى هدا الجميع نسبيا وحاولو تبادل التعارف نوعا ما مع عمار .....الذى كان يبدو مبتسما وكانه يستمتع بالوضع المزري للجميع.....

بعد قليل كان عمار يحاول فتح حديثٍ مع حلا ليسألها إن كانت قد توصلت الى فهم الملفات المالية التى سلمها لها أم أنها تحتاج مساعدة منه في فهمها .....بينما كانت حلا في حالةِ من الرعب وهي تنظر بطرفِ عينها إن كان ادهم يراقبهما .... وهي تكتفي بالرد على أسئلة عمار بمجرد إشاراتٍ من رأسها .....دون حتى أن تتكلم .....فجأة انتفضت على صوتِ صيحة ادهم تأتي هادرة من بعيد

"حلاااا....."

التفتت برعب الى باب البيت لتجده واقفا هناك وهو يشير اليها بإصبعه لتذهب اليه فقفزت من مكانها لتجري اليه دون حتى أن تعتذر الى عمار الذى كان ينظر اليها مذهولا من تصرفاتِ الكائنات الغريبة المسماة برجال آل مهران.....

وصلت حلا الى ادهم وهي تشعر بقلبها يقع بين قدميها ...سحبها ادهم من يدها خلفه ليدخل الى البيت وما ان دخلا الى غرفة المكتب حتى أغلق الباب خلفه واستدار اليها بغضب .....فسارعت تهمس بتلعثم

"كنت سأخبرك .....أقسم أنني كنت سأخبرك , لكني ....لكننا .....فضلنا أن تتعرفا اليه وجها لوجه..... "

لم تلن ملامح ادهم المتوحشة وهو يقترب منها الى أن أمسك بذراعيها .....وقال بغضب وهو ينظر الى عينيها المتسعتين

"الى متى ستخفين عنى كل ما يخصك .....أقابلك و أحدثك كل يوم وتغفلين عن ذكر أنك تتعاملين يوميا مع كتلة العضلات الملقى بالخارج هذا .....هل يأتي الى هنا ؟....."

هزت حلا رأسها بسرعة وهى تهمس بخوف " أبدا ....أبدا ....لم يأتي الى هنا , وأنا لا أتعامل معه الا نادرا في أمورِ تخص العمل "

قال ادهم ولم يختفي غضبه بعد " وعن ماذا كان يحدثك الآن..... "

قالت حلا بسرعة " كان يسألني إن كنت أحتاج الى مساعدة في الملفات المالية التى سلمها لي..... "

اشتدت قبضتا ادهم على ذراعي حلا وهو يهدر بعنف " ها قد بدأنا..... "

امتدت يداها لتحاوطا وجهه ثم نظرت الى عينيه المتوحشتين وهمست

"الا تثق بي ؟.....هل فقدت كل ثقتك يا ادهم , إن كنت كذلك فأنا على استعدادٍ لترك المجموعة وكل شيء والعودة معك .....لكن قلبي سيكون قد تحطم يا ادهم..... "

تركت وجهه لتدفن وجهها بين كفيها وتبكي بصمت ....بينما ظل ادهم ينظر الى رأسها المحنى بوجوم ....ثم قال أخيرا بخشونة

" ماذا فعلت لكِ لتبكي الآن ؟....."

لم ترفع وجهها بل ظلت تبكي بين كفيها وهي تهتف بصوتٍ مختنق من بين شهقاتها " أنت لت تثق بي أبدا ....."

قال ادهم بعتابٍ وقد مزقه بكاؤها " لا أثق بكِ ؟.....تركتك تعملين ... وتقيمين مع شقيقتيكِ ....ومع كل هذا لا أثق بكِ ؟....."

رفعت وجهها الباكي اليه ثم قالت وهي تشهق بصعوبة

" اذن لماذا تعاملني هكذا ؟.....حتى وإن لم يكن عمار موجود فأنا بالتأكيد سأتعامل مع كثيرٍ من الرجال ....."

ظل ادهم ينظر اليها وغيرة ومشاعر بدائية تنهش قلبه ثم قال بصوتٍ اجشٍ مختنق

" هل ترين ما الذى علي أن أتحمله من أجلك ....."

اقتربت منه لتحاوط عنقه بذراعيها بشدة .....ثم همست

" أقسم أنهم لو وضعوني في كوكبِ رجالِ فقط .....فلن أرى رجلا غيرك أبدا "

شدها اليه بعنف ليقبلها بعنفِ اكبر .....ثم رفع رأسه لينظر الى عينيها المخضرتينِ بمشاعرِ عاصفة .....إن لم يتركها حالا فلن يخرجا من هنا أبدا ..... وهذا اليوم لا ينقصه المزيد من الفضائح.....

ابعدها عنه ليقول بصرامةِ زائفة

"اين هي تلك الملفات المالية المستعصية ؟....."

مسحت وجهها بيدها وهي تنظر اليه بحيرة ثم قالت بخفوت " هنا .....في درج المكتب , لماذا تسال ؟....."

قال بنفس الصرامة " إن احتجتِ الى مساعدة خاصة فلن تحصلي عليها من غيري .....مفهوم ؟...."

ترددت حلا قليلا ثم قالت بصوتِ خافت

"لا أعتقد أنني أستطيع ذلك يا ادهم .....إنها أسرار مجموعتنا .... وأنت من المنافسين "

نظر اليها بدهشةِ غير متأكد من صحة ما سمعه .....ثم قال أخيرا وهو يضغط على كلِ حرف

" في يومِ من الأيام ذهبت معكِ الى مدرستك لأستسمح المدرس الذى لصقتي وجها ضاحكا على ظهره .....ويوما آخر دخلت في شجارِ عاصف مع مجموعةِ من الصبيان كانت سابين تتعارك معهم بالأيدي .....أما سما فقد

كنت أحملها وهي لم تتجاوز العامين من العمر .....ثم يأتي اليوم الذى تخبريني فيه بأنني من المنافسين ولا يجوز أن أتطلع على أسرار مجموعتكم الفذة ؟؟....."

أخفضت رأسها خجلا ثم همست " العمل عمل يا ادهم..... "

لم يستطع منع ابتسامته وهو ينظر الى طفلته الحبيبة وهو يعيد بمزاح :" العمل عمل يا ادهم ؟؟؟؟؟؟....."

ثم ضمها اليه ليقبل جانب فكها برقته التى تشعل كيانها ....ثم تركها ليشير الى المكتب ويقول بصرامة

"اجلسي واخرجي الملفات يا حلا والا فلن تلومي الا نفسك..... "

ترددت حلا ثم قالت بخوف " حسنا ...لكن إياك أن تخبر سابين "

ظل يشير الى المكتب بصرامة وهو يمنع نفسه عن الضحك بصعوبة .....أمضى وقتا طويلا جالسا أمامها..... يستمع اليها وهي تشرح له ما فهمته , وتسأله فيما لم تفهمه ....وحين كانت تخفض رأسها لتدقق في الأرقامِ المرصوصة أمامها كان يستغل الفرصة لينظر اليها شاردا مبتسما وهو يتذكرها في المرحلةِ الثانوية حين كان يجلسها في مكتبه رغما عنها ليشرح لها مادة الكيمياء التى كانت فاشلة فيها تماما .....وكل ما كانت ترجوه هو أن تعبر منها بنجاح.....

وكان يفعل مثلما يفعل الآن تماما ....ينتهز فرصة أن تخفض رأسها حتى يتأملها ويشبع من رؤية شعرها الجامح المتساقط على سطح المكتب.....

بعد ان انتهيا اغلقت حلا الملفات سريعا ثم وضعتها في الدرج ونظرت اليه مبتسمة وقالت

"أنت رائع .....لم أكن لافهم كل هذا وحدي "

نظر اليها بحبٍ أسكرها ثم قال بصرامة وهو يمد لها يده لتتشبث بها بسرعة

"هيا لنخرج اليهم الآن لنرى عدد الضحايا من المعركة التى ولابد أن تكون قد حدثت بسبب الكارثة المسماة سابين "

ضحكت حلا طويلا وهما يخرجانِ معا....

الوضع كان هادئا نوعا ما ....لكن ادهم همس الى حلا بعبوس

"ابقي هنا..... "

ثم اتجه بهدوء الى سما التى كانت واقفة تخفي فمها بيدها وهي تضحك بشدة على ما يقوله لها عمار الواقف أمامها وما أن وصل اليهما حتى جذب سما من يدها ليقول لعمار بهدوء وبرود

"عن اذنك..... "

ثم سحبها خلفه وهي تسير خلفه بوداعة .....مبتعدا بها عن مرمى عمار الذى وقف وحده وهو ينظر حوله ليقول بصوتٍ منخفض

"ماذا ؟؟؟.....هل أنا مصاب بمرضٍ معدي أم ماذا ؟؟؟؟؟....."

.....

.....

.....

كاد كل شيء أن يمر بسلام .....كاد .....لولا أن سابين في نهاية اليوم كانت تهبط على سلم مدخل البيت فانزلق كعب حذائها العالي وكادت أن تسقط لترتطم بالأرض بشدة ....لولا أن شعرت بيدين قويتين من خلفها يمسكانها من خصرها لتسندانها حتى تقف من جديد ...التفتت لتجد عمار ينظر اليها ممسكا بها .....ثم قال بهدوء

" لا يجب أن ترتدي مثل هذا الكعب العالي في حملك ....."

ضحكت سابين ضحكة عالية وهي تتنفس ارتياحا وقد ظنت للحظة واحدة أنها ستسقط على السلالم وستهلك طفلتها قبل أن ترى النور ....لكن ما أن تركها عمار حتى التفتت لتواجه عينين متوحشتين .....احمد ....الذى صعد درجات السلم في لحظة واحدة ليمسك عمار من مقدمة قميصه بقبضة حديدية ....بينما توجهت قبضته الأخرى الى وجه عمار .....وكل هذا كان في لحظة واحدة دون أن يستطيع أحد استيعاب ما حدث.....

صرخت سابين بغضب وهي تسند عمار الذى انهمرت الدماء من انفه بغزارة .....لكن دون أن يحاول الرد على أحمد بأي ضربة ....اكتفى بأن يكتم الدم بيده وهو ينظر باستخفاف اليه.....

استدار احمد مبتعدا ليهبط السلالم بعنف وهو يصرخ " تالا .....هيا لنذهب "

تبعته سابين وقبل أن يصل الى سيارته تمكنت من الإمساك بذراعه بقوة وهي تديره اليها صارخة بوحشية

" إن خرجت من هنا فلا تعد أبدا..... "

أمسك بذراعها بوحشيةٍ كادت أن تمزق لحمها لكنها تحملت وكتمت صرخة ألم .....فهمس بصوتٍ كالفحيح

"كان يجب أن أعرف أنك لن تكفي عن عبثك أبدا .....ستظلين بنفس الصفاقة ولن تتغيري وكل ما سيهمك هو ان يقع كل رجلٍ يراكِ صريع سحرك "

شعرت كما لو انه لكمها هي الأخرى .....سكتت تماما ونظرت اليه بصدمة الى أن تابع

" كل ما أطلبه منكِ هو أن تحافظي على أسمي الى أن تسلميني طفلتي .....ثم اذهبي بعدها الى حيث تريدين "

كانت تالا قد وصلت جريا تتعثر بحقيبتها وهي لا تفهم شيئا مما يحدث ....لكنها ركبت في صمت خوفا من غضب والدها المرعب .....ترك احمد سابين بإشمئزاز ثم ركب السيارة ليرجع بها الى الوراء ثم يدور لينطلق بها بسرعة مجنونة.....

تاركا سابين تقف مذهولة .....تماما كما تركها ليلة زفافهما في نفس المكان.....

.....

.....

.....

بعد مرور شهر على ذلك اليوم المأسوي ....كان عمار يصعد سلالم واجهة مقر مجموعة عماد الراشد .....بسرعةٍ كعادته , بينما كانت شابة تهبطها مندفعة بغضبٍ أعمى لا ترى أمامها من شدته .....فلم يستطع تجاوزها في اللحظة الأخيرة , فارتطمت بشدةٍ بصدره القوي وكادت أن تقع لولا أن أمسكها ليمنع سقوطها

.....تماما كما فعل مع سابين في ذلك اليوم الفظيع منذ شهر.....

فكر عمار بابتهاج وهو ينظر الى الشعر الذهبي الثائر والملامح الشرسة.....أنها ثاني جميلةٍ تسقط بين ذراعيه .....

رفعت تلك الشابة عينين ذهبيتين متوحشتين تنفثانِ نارا اليه ....ثم دفعته بكلتي قبضتيها في صدره ليتركها ثم صرخت بتعالٍ وقح

"ابعد يدك يا احمق ....الا تنظر أمامك وأنت تندفع بمثل هذه الحماقة "

نظر اليها بدهشةٍ وقال بهدوء

"ولو أنكِ تنظرين أمامك بدلا من مظاهر الجنون البادية عليكِ تلك .....لكنتِ رأيتني "

صرخت بغضب مرة أخرى وهي تندفع من أمامه " أحمق..... "

ثم أكملت هبوط درجات السلم بعنف .....صعد عمار درجتين ثم استدار مرة أخرى لينظر الى تلك المجنونة رائعة الحسن التى تعبر الطريق وشعرها الذهبي يتناثر متبعثرا في كل مكان من عنفِ خطواتها ....ثم همس مبتسما

"وقحة..... "

ثم استدار ليصعد السلم لكنه قبل أن يستقل المصعد ذهب الى حارس البوابة ليساله عمن كانت تريد هذه الشابة التى خرجت للتو , فأخبره الحارس بأنها سألت

عن سابين وحين لم تجدها سألت عن مكتب حلا لتذهب اليه.....

ذهب عمار مباشرة الى مكتب حلا التى كانت منهمكة في الملف أمامها .....فاقترب بهدوء ليجلس على حافة مكتبها بعد ان القى عليها التحية .....قال بهدوء

"حلا..... "

ردت دون ان تنظر اليه " هممممم....."

قال عمار وهو يعبث في الأوراق الموجودة أمامه ثم قال بلا مبالاة مزيفة

" أثناء دخولي الى المقر شاهدت شابة غريبة عن المجموعة ..... أتعرفينها ؟"

رفعت عينيها اليه وقالت بعد لحظة "أي شابة ؟....."

قال وهو يحاول أن يتذكر " تقريبا ....شقراء ...أو لا أدري تماما "

ابتسمت حلا بخبث وهي تقول " شقراء .....مجنونة , تثير المشاكل اينما ذهبت ؟؟؟"

ابتسم عمار وهو يقول " نعم ..... تقريبا ..... من هي ؟؟؟...."

اعادت حلا نظرها الى الأوراق أمامها ثم قالت " لم أرى من هي بمثل تلك المواصفات..... "

سحب عمار الملف من أمامها بغضب وهو يهتف مغتاظا

" كفي عن ذلك يا حلا .....لقد كانت عندك هنا في المكتب منذ دقائق ....من هي ؟؟"

ابتسمت حلا بخبثٍ أكبر وهي تقول

" أخبرني أولا ماذا تريد منها ؟....."

هتف عمار وهو يزداد غيظا " حلا .....من هي ؟؟"

قالت حلا بهدوء بعد أن قررت أن تريحه " إنها دارين مهران .....شقيقة احمد مهران "

ارتفع حاجباه بصدمةٍ وهو يهمس لنفسه

" شقيقة احمد مهران ؟.....كان يجب أن أعرف "

.....

.....

.....

كانت سما في الحديقة منحنية على ركبتيها تضع بذورا في حوض الورود الخاص بها .....كعادتها كل يوم بعد ان تخرج كلا من سابين وحلا الى العمل.....

" ياسمينا!!!....."

توقفت أصابعها تماما و توقف قلبها عن خفقاته حين سمعت تلك الهمسة المختنقة من خلفها .....هل هي تحلم ....هل وصل هوسها الى هذه الدرجة.....

التفتت ببطء وهي ترفع يدها لتداري أشعة الشمس لتتمكن من رؤية صاحب ذلك الظل العملاق.....

قامت ببطء وهي تنظر بذهول الى حبيبها .....فارسها .....يقف أمامها بنظارته الداكنة و عصاه الرفيعة

.....

همست بذهول " فارس ....."

الفصل السادس والعشرين

كانت سما في الحديقة منحنية على ركبتيها تضع بذورا في حوض الورود الخاص بها .....كعادتها كل يوم بعد أن تخرج كلا من سابين وحلا الى العمل.....

تغمرها أشعة الشمس بدفئها وهي سارحة بخيالها مسافرة بقلبها عند فارسها .....الن يرتاح قلبها أبدا .الن يهدأ بالها .....الى متى ستظل قلقة عليه .....ترى هل يستطيع تدبير أموره بنفسه .....هل يتقبل المساعدة كما أخبرها , أم أنه عاد لعناده الأحمق و رفض الجميع .....منذ أن هاتفته آخر مرة , لم تسمع صوته مجددا .....انتظرت منه أن يطمئنها على نفسها .....الا أنه كالعادة لم يبالي وتركها تستجدي أخباره خلسة من كل من حولها .....لكنها لم تستطع الحصول على معلومة ..... أي معلومة تريح قلبها الملهوف ..... الجميع يناورونها و يلتفون حول اسئلتها ..... ماذا به ..... هل حدث شيء والجميع يخفون عنها.....

يالهي .....إنها تكاد تموت قلقا عليه .....منذ مدة .....منذ ما يقرب من الشهرين اتتها مكالمة من رقم غريب قرب وقت الفجر .....استيقظت على الفور من نومها القلق المحمل بأحلامٍ أسيرة فارسها .....فالتقطتت هاتفها لتجيب بلهفةٍ متمنية أن يكون هو من يهاتفها .....الا أن الصمت طال من الطرف الآخر فلم تستطع منع نفسها من الهمس بلهفة

" فارس ؟.....أهذا أنت ؟....."

لم يأتيها أي جواب , فقط سماع صوتِ أنفاسٍ كادت تجزم أنها أنفاس حبيبها .....لكن لو كان هو لماذا يهاتفها في هذا الوقت من رقمٍ غريب .....ودون حتى

أن يسمعها صوته .....تعرف أنه خطأ كبيرا أن تتمادى في مكالمتها مع مجهولِ قد يكون مجرد أحمق لكنها لم تستطع منع نفسها من الهمس باستجداء

" فارس .....أهذا أنت؟.....أرجوك أجبني حبيبي ....."

تعالت أنفاسه المتحشرجة .....وسمعت تنهيدة حارة ثم أغلق الخط بعدها .....إنه هو , هي متأكدة أنه هو .....ماذا أراد , ولماذا لم يسمعها صوته .....إنه ليس بخير , وهي تدرك هذا .....حاولت مكالمته مرارا بعدها الا أنه لم يجبها أبدا وحتى هذه اللحظة.....

أين أنت .....فقط اشفق على حالي واسمعني صوتك يا من قلبك في قساوة الحجر

" ياسمينا!!!....."

توقفت أصابعها تماما و توقف قلبها عن خفقاته حين سمعت تلك الهمسة المختنقة المتحشرجة من خلفها .....هل هي تحلم ....هل وصل هوسها الى هذه الدرجة.....

التفتت ببطء وهي ترفع يدها لتداري أشعة الشمس لتتمكن من رؤية صاحب ذلك الظل العملاق .....لم ترى ملامحه , لكنها عرفت ظله .....شموخه وصلابته .....وقفته الشرسة .....انقباضة كفيه.....

قامت ببطء وهي تنظر بذهول الى حبيبها .....فارسها .....يقف أمامها بنظارته الداكنة و عصاه الرفيعة .....

همست بذهول همسة محتنقة لم تكد تسمع لكنها وصلت الى اذنيه " فارس..... "

وقفت أمامه صامتة تماما ...بينما قبلها يصرخ ضاربا صدرها مهددا بقتلها في اية لحظة .....تنهدت أخيرا وهي تميل براسها لتتشرب من ملاحه الحبيبة .....إنه هنا .....يقف أمامها بوجهٍ لم تتبين تعابيره

الظالم القاسي هنا .....يقف أمامها بخيرٍ تماما بعد أن أهلكها قلقا الفترة الماضية .....لكن الغضب لم يعرف طريقا الى قلبها .....يكفيها إنه هنا من جديد.....

اقتربت منه ببطء قاطعة تلك الخطوات القليلة التى تفصل بينهما الى أن وقفت على بعدِ خطوة واحدة منه .....لم ينطق أيا منهما لفترةٍ طويلة ..... طويلة جدا .....كان كلا منهما ينظر للآخر يريد أن يتأكد ان نصفه الآخر أمامه.....

كانت ملامح فارس متصلبه للغاية وانفراجة خفيفة تباعد بين شفتيه لتستطيع سحبه لأنفاسه بصعوبة ..... ماذا به ؟....هل هو مريض ؟....إنه شاحبا بالفعل .....صدره يعلو ويهبط بسرعةٍ غريبة.....

مدت أصبعها الرقيق لتقترب به من وجهه .... وتتتبع تفاصيل ملامحه ...لكن دون أن تلمسه ....فقط يبعد إصبعها عن وجهه مسافة لا تكاد ترى .....أخذت تحرك اصبعها وكأنها ترسم على الهواء الملامس لملامح وجه فارسها ..جبهته ...وجنتيه ...انفه .....فكه .....شفتيه .....آآه من شفتيه ....إجتاحتها ذكرى امتلاكهما لشفتيها في أيامٍ ظنت فيها أنها لامست النجوم بيدها .....

ظل إصبعها يمر دون وعيا منها على الهواء الملامس لشفتيه ....مرة بعد مرة .... ترسمهما على الهواء .....بينما اغروقت عينيها بالدموع في لحظةِ واحدة.....ثم انسابت في انهارٍ صغيرةِ صامتة على وجنتيها.....

تنظر اليه وهي تنهل من حب كل تفصيلة من تفاصيل وجهه .... لم ينقصها سوى أن تزيل تلك النظارة القاتمة التى تحجب عينيه الحبيبتين عنها ....لكنها لا تريد المخاطرة بافساد تلك اللحظة .....تريد فقط أن تشبع من رؤيته قبل أن يبتعد من جديد .....عند هذه الفكرة شعرت بقلبها يكاد نفجر من شدة خوفه ....هل هذا هو سبب عودته ؟.....أن يحررها أخيرا ؟.....

لم تستطع منع نفسها من التاوه بنحيبٍ صامت هامسة " فارس..... "

لم يتحرك من مكانه .... بدا وكانه تحول الى تمثالِ من حجر .. لا يتحرك به سوى تصاعد صدره المتزايد ..... اكثر واكثر.....

فجاة استدار معطيا ظهره اليها وهو يرفع يدا بسرعة ليمسح شيئا من على وجنته لم تتبينه .....ثم وجنته الأخرى.....

ماذا به ؟....إنه ليس بخير حقا .....حبيبها المسكين يتألم .....مسحت دموعها ثم التفتت حوله بسرعة لتقف أمامه وهي تمسك بكتفيه لتهمس بقلق

" ماذا بك يا فارس ؟..... "

لم يرد للحظة وهو مطرقا برأسه ينازع أنفاسه ليسيطر على شيء ما .....ثم رفع يديه ببطء تاركا عصاه الخفيفة تسقط أرضا ليضعهما فوق يديها الممسكتين

بكتفيه .....نظارا اليها عبر نظارته السوداء فلم تتبين ما به من الحاجز الذى يغطي عينيه....

قبض على كفيها الصغيرين لينزلهما عن كتفيه دون أن يتخلى عنهما ....فظلا واقفين ممسكين بيدي بعضهما كطفلين ضائعين .....الى أن ترك فارس أحدى يديها ليرفع يده الى وجهها ....يتلمس كل جزء منه كما اعتاد أن يراها دائما.....

أمال رأسه قليلا وهو لا يزال فاغرا شفتيه قليلا ...يراها باصابعه وكأنه فنان يريد أن يصنع تمثالِ رآه بقلبه قبل عينيه.....

مد إصبعا واحدا ليلف خصلة ناعمة على إصبعه أكثر من مرة .....ليتركها بعد ذلك تنزلق ثم يعود ليلفها مرة أخرى الى أن همس باختناق

" تكلمي مرة أخرى ياسمينا.....أريد أن أتأكد أنها أنتِ "

اغمضت عينيها والدموع تجري اكثر و اكثر على وجنتيها لتتساقط على شفتيها المبتسمتين ابتسامة حزينة ....ثم همست باشتياق خائن

" إنها أنا..... "

ظهر طيف ابتسامة على زاوية شفتيه تحاكي ابتسامتها حزنا وهو يستمر في لف خصلات شعرها حول اصبعه ثم تركها ....دون وعي منه تقريبا .....ثم همس بعد فترة همسة اكثر اختناقا

" ليس قبل أن أتأكد بنفسي..... "

في حركة واحدة اعتقل خصرها النحيل بين ذراعيه الحديدتين ليرفعها اليه حتى اصبح وجهها الدافىء في مواجة وجهه ثم هبط برأسه كالصقر مندفعا ليدفن وجهه في عنقها الناعم ....ليقبله مرة ثم يستنشق رائحتها مرة اخرى .....مرة بعد مرة .....بينما أغمضت عينيها وهي تتعلق بعنقه تتلاعب بخصلات شعره التى اشتاقت لأصابعها المداعبة الحانية .....أخذ الدوار يحيط بها من شدة قربه و عصف مشاعره التى كان يبثها بالقرب من اذنها .... أنفاسه الدافئة تهدر في أمواج موسيقية داخل أذنها.....

ثم همس بتحشرج " أين عطرك ياسمينا ؟....."

سحبت أنفاسها بجهدٍ وهي تتعلق اكثر بعنقه خوفا من أن يختفي من جديد ..... ثم حاولت النطق بصعوبة الى أن همست بصوتٍ مرتعش باكٍ

" لم أضعه منذ أن رحلت..... "

رفع رأسه لينظر اليها عبر نظارته الداكنة طويلا و صدره يتنفس بصعوبةٍ لاهثا ...ضاربا قلبها بشدة .....الى أن قال أخيرا بصوتٍ اجش " لم يعد مهما بعد الآن..... "

فتحت عينيها المبللتين لتنظر اليه بخوف ....لم يعد مهما بعد الآن ؟.....ماذا تبقى بينهما اذن .....ماذا تبقى له من ياسمينا .....لا شيء ....ببساطةٍ لا شيء يذكر.....

ازداد انهمار دموعها الصامتة وهي تنظر بعجزٍ الى عينيه المظلمتين ...تريد أن تنزع تلك النظارة اللعينة .....أومأت برأسها بصمت ....ثم همست أخيرا همسة منتحبة ....قد تمزق قلب أي انسانٍ يمتلك ذرة من الاحساس

"نعم .....نعم ...عرفت أنه لم يعد..... "

لم يدعها لتكمل عبارتها .....وهو يلتهم كلمتها الاخيرة بين شفتيه وهو يهاجم بهما شفتيها المرتعشتين من البكاء .....استمر هجومه الناري طويلا وهي بالمقابل لم تستطع سوى أن تستجيب له بجنون ِ شوق الليالي الطويلة التى كانت فيها وحيدة بعيدة عن حضنه الدافىء الذى لم تغرق فيه منذ فترةٍ طويلة.....

كان يتوقف فقط ليلتقط انفاسه هامسا بخشونة " جميلة .....جميلة " ثم يعاود هجومه الشرس وهو يدور بها وهي متعلقة به ...تطير فوق السحاب .... تلامس النجوم .....لقد عاد .....لقد عاد فارسها.....

حين تركها اخيرا كان كلا منهما ينظر الى الآخر لاهثا من تلك العاصفةِ التى أطاحت بهما منذ لحظات .....الى أن استطاع فارس النطق أخيرا بصوتٍ أجشٍ لاهث وهو يمسك بوجهها بين كفيه

"ما أجملك .....يالهي ما أجملك "

ابتسمت بانبهار من تلك المشاعر المجنونة المرتسمة على وجهه .... لقد علق على جمالها كثيرا من قبل ... الا إنه لم يكن بمثل هذا الشوق والجنون قبلا .... لم تره بمثل هذه المشاعر الهوجاء حتى في أشد لحظاتهما العاطفية معا .....هل اشتاق اليها بالفعل الى هذه الدرجة ؟.....

اتسعت ابتسامتها اكثر و الدموع تابى ان تنضب ..... فمد يده ليمسح تلك الانهار الصغيرة برفق من احدى وجنتيها ..ثم الاخرى ..ثم همس بعذاب

" لا تبكي .....لا أريد رؤية دموعك أبدا "

ضحكت قليلا من بين بكائها وهي تومىء برأسها علامة الموافقة ....دائما ما تجيبه بالإشارة ....بعد أربعة سنوات لازالت تفعل ذلك....

أخرجها من شرودها وهو يهمس بابتسامة حانية ..مربتا على وجنتها

أفاقت فجأة من شرودها المجنون بطيف ابتسامته
لتنظر حولها ثم عادت لتنظر اليه بحيرة وهي تهمس

" احسنت..... "

" فارس .... كيف وصلت الى هنا ؟"

رفعت عينيها اليه لتسأله كيف رأى موافقتها الا إن
ابتسامته المذهلة أوقفت الكلمات و منعتها من
الخروج ....ما أجمل ابتسامته , إنها ابتسامة لم ترها من
قبل .....ابتسامة من كان يلهث خلف شيئا ما الى أن
وجده أخيرا.....

ابتسم اكثر وفتح شفتيه ليجيبها ...الا إنه عاد ليغلقهما
وكانه تمهل قليلا ثم قال أخيرا

" لقد أقلني ادهم اليكِ..... "

اليكِ .....ما أروع تلك الكلمة البسيطة ....همست مرة أخرى

" لماذا عدت الى هنا .....ظننت ....ظننت أننا..... "

جذبها مرة أخرى الى أحضانه وهو يسند جبهته على جبهتها هامسا " شششششش.....هيا استعدي لنذهب الى بيتنا "

انتفض قلبها مراتٍ ومرات قبل أن تهمس بلهفة " بيتنا .....!!"

ابتسم وهو ينظر الى صدمتها ثم همس " نعم بيتك يا حرمي المصون .....يبدو أنكِ اعتدت على الحرية بدون زوجك "

ظلت تنظر اليه فاغرة فمها وهي تشعر فجأة بعدم قدرتها على فهم اي شيء .....همست

" لا أفهم .....لا أفهم "

رفعها بين ذراعيه مرة اخرى وهو يقبلها بقوة عجزت معها عن التنفس .....الى أن شعرت بنفسها تترنح بين ذراعيه حتى كادت أن تسقط فتشبثت بكتفيه وهي تشعر به يكاد يسقط .....فصرخت بخوف

" فارس .....ماذا بك ؟؟؟"

أنزلها أرضا وهو يتمسك بخصرها بشدة يكاد أن يسقطها بثقله الذى ارتمى عليها .....صرخت سما مرة أخرى وهي تبكي بلوعة

" فارس ....أرجوك أجبني , ما بك ؟؟"

ظل يتنفس بصعوبة لعدة لحظات ثم همس بإجهاد

" أنا بخير .....لا تقلقي , لم يكن من المفترض أن أقف طويلا تحت أشعة الشمس "

همست سما بخوف " لماذا ؟....."

صمت قليلا مترددا ثم انحنى ليقبل وجنتها وهو يهمس " الحرارة .....الحرارة انهكتني بعد ساعات السفر .....ثم حرارتك "

احمر وجهها بشدة وهي تضربه في كتفه لارعابها بهذا الشكل ...الا إنها لم تصدق كلماته . إنه يبدو متعبا للغاية .....همست أخيرا وهي تحيط خصره بذراعيها و تتحمل وزنه

" هيا لنصعد .....يجب أن ترتاح قليلا "

أوقفها وهو يمسك بذقنها ليرفع وجهها اليه قائلا بخفوت " قوديني الى بيتنا ياسمينا .....لن أرتاح في مكانٍ آخر "

ابتسم برفق وهو لا يحيد بنظره عنها أبدا .....لم يتحرك حتى وكأنه يخشى أن يفقد لحظة من النظر اليها .....الى أن أومأ برأسه وهو غير قادر على النطق...

ظلت تنظر اليه تحاول أن تستشف ما به .....ثم همست أخيرا

دخل معها الى المنزل ببطء وهو لايزال مستندا عليها وعند بداية السلم توقفت ونظرت اليه قائلة

" اصعد معي .....دقائق و سأكون جاهزة "

" هل تنتظرني هنا .....حتى لا تضطر لصعود السلم "

تشبث بها دون وعي منه وكأنه طفل على وشك ان تبتعد أمه عنه .....ثم قال بخشونة

" سألازمك كظلك..... "

ضحكت برقةٍ وهي تشعر بقلبها الذى كان يحتضر هذا الصباح ...قد انتعش الآن وتوهج بحرارة ِ شمسٍ ذهبية تجري في عروقها ..ثم ساندته مرة اخرى ليصعدا السلم درجة درجة .....بدا أن السلم بالنسبة لكليهما كرحلةِ ناعمةِ تلك التى كانا يقومانِ بها على شاطىء البحر كل يوم .....كانت تائهة في شرودها وذكرياتها العذبة بينما هو يميل عليها كل لحظةٍ يكاد ان يسقطها بوزنه وهو يقبل عنقها مرة و وجنتها مرة .....الى أن وصلا الى غرفتها , فساعدته ليجلس على حافة الفراش ثم اتجهت الى حمام وعادت بعد لحظاتٍ وهي تمسك بمنشفةِ مبللةِ بماء بارد .....انحنت لتجلس القرفصاء امام ركبتيه و رفعت يدها بالمنشفة لتمسح وجهه وعنقه بها .....بينما كان هو متشبثا بحافة الفراش بقبضتين من حديد وانفاسه تتهدج فوق وجهها الأحمر .....

مدت يدها لتلتقط نظارته الداكنة تنوي ابعادها عن عينيه لتمسحهما بالمنشفه الا انه امسك بيدها بقبضةِ

وقوية قبل أن تتمكن من ذلك ليمنعها .... نظرت اليه بدهشة وهي تهمس

" لا أريد أن أنزعها الآن .... لقد تغير شكل عيني من العلاج المكثف , لا أريدك أن تريها الآن "

" دعني أنزعها لامسح لك وجهك..... "

عبست بشدة من كلامه السخيف فقالت

ابتلع ريقه وظل ممسكا بكفها بين اصابعه بقوة ومد يده الاخرى ليعاود تلمس ملامحها برقة .....ثم همس

"ما هذا الكلام الطفولي .....دعني أرى عينيك لاعرف ماذا اصابهما "

حاولت نزع النظارة مرة اخرى الا انه عاد ليمسك بيدها اسرع واقوى من المرة الاولى ثم رفعها الى فمه ليقبل باطن كفها بطريقة غريبة لم ترها منه من قبل ..... كان كمن يلتمس الدعم منها فهمست

" هيا يا سما ....دعينا نذهب الى بيتنا حبيبتي "

" لن يضايقني أبدا منظر عينيك يا فارس .....أبدا .....ضع هذا في تفكيرك دائما "

حبيبتي .....حبيبتي .....مستعدة لان تموت وهي مبتسمة الان لمجرد سماعها تلك الكلمة منه .....لكنها استطاعت تجميع البقية الباقية من سيطرتها على نفسها ثم نهضت لتقول برقة

شعرت بتأوه مكتوم في باطن كفها فرفعت يدها الاخرى لتتخلل خصلات شعره بأصابعها .....الى أن همس باختناق

" سأعد نفسي..... "

التقطتت حقيبة صغيرة و أخذت ترتب بها بعض الاشياء القليلة الضرورية ....الى متى سيبقيها بجانبه هذه المرة ؟.....هي لا تعلم حقا .....لكنها لن تهتم , ستبقى بجواره طالما هو يحتاجها .....لن تعطل حياتها من أجله بعد الآن .... ستتابع ما بدأته لكنها أيضا ستبقى بجواره دائما ما أن يطلب ..... هذا هو ما سيكون الوضع .....وهي سعيدة به ....او على الأقل لا تملك غيره.....

بعد أن أغلقت حقيبتها أخرجت ملابس بسيطة لترتديها عوضا عن تلك البدلة الرياضية الوردية الطفولية التى ترتديها .....ثم فكت سحابها لتنزع عنها سترة تلك البدلة .....ظنت إنها سمعت شهقة مكتومة فنظرت بسرعة الى فارس الذى كان ينظر اليها هو الآخر ..... محددا مكانها من وقع خطواتها.....

أكملت خلع ملابسها .....ثم أخذت تتعثر وهي تحاول ارتداء بنطالها الجينز كعادتها دائما اثناء ارتدائه .....واثناء دورانها كانت تراقب فارس الذى نهض من مكانه ليقف متابعا ما تفعله ومعالم الوجوم ترتسم على وجهه فاغرا شفتيه قليلا وهو يديره ملاحقا إياها في كل حركةٍ في انحاء الغرفة .....فقط لو يتوقف عن

النظر اليها بهذه الطريقة .....لم تستطع منع ابتسامة خجولة من الظهور على شفتيها وهي ترتدي قميصها الابيض النظيف .....ثم قالت وهي تغلق ازراره.....

"أين حقائبك ؟....."

لم تسمع منه جوابا وهو لايزال مسمرا بمكانه فأعادت مرة اخرى " أين حقائبك ؟.....فارس هل سمعتني ؟"

رفع رأسه لينظر الى وجهها وقد ارتفع حاجباه من خلف نظارته وهو يهمس بغباء :" ماذا ؟....."

عبست وهي تهز رأسها بياس ....ثم قالت " حقائبك .....أين هي ؟"

سعل قليلا ليجلي حنجرته ثم قال بخفوت " سيأخذها ادهم الى البيت .....بعد أن أحضرني الى هنا.... "

عبست مرة اخرى ثم همست " مدلل..... "

مرت لتلتقط حقيبتها الا إنه اعتقل خصرها بين ذراعيه ليرفعها عن الأرض وهو يقول بغضب " ماذا قلتِ ؟....."

ابتسمت لعينيه المخبأتين ثم ضحكت قائلة " لم أقل شيئا .....أنزلني "

ابتسم هو الآخر وقال " ليس قبل أن تعتذري..... "

تظاهرت بالتفكير قليلا ثم همست بوداعة " اعتذر ....."

اتسعت ابتسامته ثم اخفض رأسه ليقبل وجنتها ليهمس بعدها " فتاة طيبة ....." ثم أنزلها أرضا

ابتعدت عنه عدة خطوات ثم قالت بمرح " هيا بنا أيها المدلل..... "

هجم نحوها مباشرة فصرخت بالرغم من انها تعرف انها ستنجح في الهرب منه ....الا أنها لم تكمل في جريها نحو الباب سوى خطوتين لتشعر بنفسها تطير في دوامة لتلقى بعدها على كتفه وهو يدور بها بسرعة الى ان اخذت تصرخ شاهقة برعب وهى تغمض عينيها بشدة

" أنا اسفة .....أنا اسفة .....انزلني "

توقف بعد فترة وهو ينزلها ارضا دون ان يتركها بينما يلهث ضاحكا .....رفعت رأسها اليه غاضبة ثم اخذت تضرب صدره بقبضتيها .....كيف نما مهاراته لهذه الدرجة .....هل كان يلعب مع الممرضات الاجنبيات .....ارتسمت في ذهنها صورا مجنونة فعادت لتضربه بقوة اكبر بينما ضحكه يزيد اكثر .....الى ان ضمها بين ذراعيه بقوة وهو ينهي ضحكه بتنهيدة كبيرة مستندا بذقنه فوق رأسها .....بينما تعلقت هي بخصره بشدة وهي تغمض عينيها مستمتعة بهذا الحلم الرائع.....

رفع ذقنها اليه ليقول بعد فترة بصوت عميق "هيا بنا صغيرتي..... "

صغيرتي ؟!!!.....انه حقا يبدو مختلفا للغاية.....

اتجهت الى حقيبتها لتحملها الا انها فوجئت به يمسك بالحقيبة لياخذها منها وهو ينظر اليها مبتسما ...ممسكا بمرفقها وهو يهمس

" فلتقودِيني ياسمينا..... "

كانت رحلة العودة طويلة جدا .....وكانت اعصاب سما على وشكِ الانفجار من الصمتِ الذى يسود سيارتها الصغيرة منذ ان بدا الرحلة ....انه صامتا بشكل مريب .... ملتفتا اليها بالكامل يراقب تحركات يديها ....هل تصدر صوتا ؟؟؟..... مالذى يثير اهتمامه الى هذا الحد ؟.....حاولت مكالمته اكثر من مرةِ لتسأله عن علاجه .....او عمله الذى تعرف انه بدا في متابعته من جديد .....الا انه كان يجيبها باقتضابٍ وكأنه لا يريد الكلام .....فقط يريد ان يستمع الى حركاتها البسيطة.....

حين وصلا الى بيتهما اخيرا .....دخلت سما امامه لتتطلع حولها الى البيتِ الذى اعتبرته يوما بيتها .....ابتسمت بحزنٍ وهي تتنهد ....يالهي ...كم اشتاقت اليه....

عبس حين لاحظ محاولتها لتعديل الكلمة .....فقال بقسوة وصرامة " بيتنا .....بيتنا يا سما "

شعرت بيدي فارس على كتفيها وهو يديرها اليه ليقول بصوتِ اجش " لماذا هذه التنهيدة الحزينة..... "

رفعت عينيها الدامعتين اليه ثم همست بحزن

مسحت دمعة خائنة سقطت على وجنتها لتقول بصوتِ خافت وهي تطرق برأسها " لقد اشتقت لبيتنا ....لهذا البيت "

" لم أشعر به بيتي أبدا ..... كنت أخدع نفسي وأقنعها بأنه بيتي .....احببته .. احببته كثيرا لكنني ادرك الآن انه لم يكن يوما بيتي ..... ولن يكون .... سأظل دائما محطة استراحة في حياتك يا فارس .....لكن لا بأس في هذا , سأكون بجوارك دائما ما أن تحتاجني.....الى ان

....الى ان تقرر .....متى ستكون النهاية والى ان تاتي هذه النهاية ارى انه من العدل ان اخبرك منذ الان ان حياتي لن تتوقف عليك .....كما كنت دائما , اتمنى ان تتفهم ذلك..... "

" اسمعيني جيدا .... هذا البيت هو بيتك الوحيد , لن يكون لكِ غيره ابدا ..... ولن يكون لكِ مفرا مني , فدعكِ من كل تلك السخافات التى ذكرتها الان .....لقد كان احساسك هذا من الماضي اما الان فقد تغير كل شيء ..... هل فهمتِ ؟....."

ظل صامتا ينظر اليها من علوه ....انفاسه تتهدج بعذاب وهو يشدد من قبضتيه فوق كتفيها حتى كاد ان يحطمها .....عضت على شفتيها من الالم الا انها لم تصدر صوتا .....امسك فجاة بذقنها يرفع راسها بقسوة ٍ اليه وهو يصرخ غاضبا

ابتلعت ريقها وهي تستمع الى قسوته الغاضبة .....هل سيعود الى قسوته القديمة ؟.... هل يجب عليها الان ان تبتعد عن مرمى يديه ؟.....وبالفعل حين ترك ذقنها ورفع يده مدت ذراعها بسرعةٍ دون تفكير امام وجهها اتقاءا ليده الطائشة التى عرفتها سابقا.....

تسمرت يده فوق اطار نظارته وارتفع حاجباه من خلفها وهو ينظر الى ذراعها المرفوعة امام وجهها .....قال بصدمةٍ ظاهرة في صوته بوضوح

" لماذا أخفيتِ وجهك ؟....."

انزلت ذراعها ببطء وهي تنظر اليه بتوجس لكن مع بعض الراحة ....ثم همست بحزن " لطالما عانيت من يدك الطائشة حين تغضب "

فتح فمه بصدمة ... ثم عاد ليغلقه وهو يتنفس بصعوبة .....الى أن تمكن في النهاية من الهمس بخوف

" لم أضربك يوما يا سما..... "

رفعت يدها لتمسك بيده الممسكة بكتفها ثم همست بندم " لا .....لم تقصد أبدا , أنا أعرف ذلك..... "

ازداد ارتفاع حاجبيه وخرجت الأنفاس ساخنةِ كاللهيب من شفتيه .....قال بتحشرج

" سما أنا لم أضربكِ يوما ..... اليس كذلك ؟...."

انه يبدو كمن فقد ذاكرته تماما ..... عادت لتسأل نفسها مرة أخرى ...ماذا به ؟.....همست تحاول الخروج به من هذا الموضوع المؤلم لكليهما

"فارس .... أنا مدركة لأن غضبك في أغلب الأحيان لم يكن موجها ضدي , كنت تكسر الأشياء من حولك , تصرخ , تركل كل شيء..... "

استطاع أن يهمس مذهولا باختناق

" وكنتِ أنتِ من الأشياء التى طالتها يدي اليس كذلك ؟....."

ترك كتفها ليستدير مبتعدا عنها وهو يغرز أصابعه في خصلاتِ شعره بشدةٍ كادت أن تقتلعه من جذوره .....التاع قلبها من رؤيته بهذا الشكل ....حبيبي ....حبيبي المسكين , الى متى ستظل معذبا.....

اقتربت منه بسرعة لتقف امامه ثم امسكت بوجهه بين كفيها لترفعه قليلا .....ثم همست برقة ودموعها تنهمر على وجنتيها

" لا بأس .....صدقني لا بأس "

أمسك بوجهها هو الاخر بقوةٍ وهو ينظر اليه يكاد يلتهم كل جزء فيه ....ثم جذبها بقوة محيطا خصرها بذراعه بينما يده الاخرى انتزعت نظارته ليرميها على اقصى استطاعته لنهاية الغرفة ....لتعود الى شعرها جاذبا راسها اليه ليجتاحها بقبلةٍ عميقة اودعها كل عذاب وشغف السنين الطويلة التى جمعت بينهما .....قبل حتى أن تنظر الى عينيه التى اشتاقت اليهما .....فارتفعت على أطراف أصابعها لتتعلق بعنقه وتودعه كل حنانها واشتياقها في هذه القبلة التى لم تشعر في حياتها بما هو اروع منها.....

رفع رأسه عنها بعد فترةٍ طويلة ليلتقط انفاسه.....ثم نظر الى عمق عينيها ليقول بصوتٍ متأوه لاهث

" لم أرى في حياتي من هي اجمل منكِ .....يالهي .... ما أنتِ حقا ؟.....حورية من القصص الخيالية أم جنيةِ خياليها شاء الحظ أن يجعلها زوجتي..... "

رمشت بعينيها عدة مرات وهي تشعر بشيء خاطىء.....عينيه ...لونهما متغير قليلا ..كما قال منظرهما اصبح غريب من العلاج الكثف ....لكن ليس هذا ما اثار حيرتها .. بل انها لم تهتم أبدا بذلك

.....لكن هناك شيء ما في نظراته .... نظراته التى ترصد كل حركةٍ من حدقتيها .... من لسانها الذى يمر بارتجاف على شفتيها .....عينيه .....يالهي .....عينيه .....انه.....

قفزت من بين ذراعيه لتبتعد عنه خطوة واحدة ثم رفعت يدها لتلوح بها امام وجهه ....فتبعتها حدقتيه اللامعتين بدموعِ ابت كرامته أن تحررها.... وهو ينظر اليها مبتسما بحزنٍ ولوعة

شهقت سما بشدة وهي تغطي فمها بيديها وعينيها تتسعان برعب .....ثم أخذت تبتعد الى الخلف بتعثر الى أن ارتطم ظهرها بجدار الغرفة ..... بينما هو يقترب منها بخفة النمر .....بعينين مفترستين.....

يالهي ...ما أجملها .... تخيلها كثيرا ...بعدد الليالي التى قضتها معه لاربع سنواتٍ كاملة .....لكنه أبدا لم يكن ليتخيلها بمثل هذه الروعة .....شعراشقر داكن يميل الى الذهب المختلط بالعسل .....تلتف خصلاته في موجاتٍ مجنونة حتى منتصف ظهرها .....بشرة ذهبية ليست شديدة البياض بل ذهبية مسمرة وكانها قضت اليوم كله على الشاطىء .....ثم تأتي عيناها.....

عينانِ تناقضانِ سمارها الذهبي لتكونا في اللونِ السماء الصافية .....هل هذا هو سبب اسمها ؟.....

هل هذه هي سماؤه ؟..... هل هذه هي الطفلة التى سافرت معه منذ اربعةِ سنوات ؟.....هل هذه هي من تملك صفاتٍ قريبة للملاك .....هل هي الياسمينا التى لم يرها الا من خلالِ عطرها .....هل هي النسمة الوحيدة التى عطرت حياته .....هل هذه هي ؟.....

لم يكن ليصل خياله الى روعتها .....ليس لانه لم يرى من هي أجمل منها .....لقد رأى الكثير من الجميلات في حياته وبعضهن كن أجمل منها ربما .....لكن فيها شيئا ما .....سحرا طفوليا غريبا .... يعتقد أنه سيظل يلازمها مهما طال بها العمر.....

ظل يقترب منها وهو يبتسم بشراسةِ عابثة .....صرخت سما بشدة وهي متسعة العينين بذعر

" لا تقترب..... "

توقف فارس مكانه وهو ينظر اليها عابسا بحيرة .....بينما لايزال مبتسما ثم قال برقة وهو يقترب منها خطوة اخرى

" اهدىء سما .....إنه أنا "

كان صدرها يرتفع وينخفض بشدة وهي تلهث من هولِ ما تراه الا انها تمكنت من التقاط تمثالِ خزفي موضوع على الطاولة بجوارها ورفعته عاليا وهي تعاود الصراخ مرة أخرى

" لا تقترب مني..... "

ضحك فارس وهو لا يزال عاقدا حاجبيه ثم يده الى ذراعها ليحاول جذبها اليه ليهدئها الا إنها فرت من بين ذراعيه باعجوبة وكان الطريق الاقصر بالنسبة لها هو طريق غرفتهما فجرت اليها بسرعة مذهلة قبل أن يستطيع فارس استيعاب ما يحدث

أغلقت سما الباب خلفها بالمفتاح وهي تلهث بعنف ثم استندت بظهرها الى الباب بينما كان هو خلفها بخطوة واحدة لم يستطع فيها اللحاق بها قبل ان تغلق الباب .....طرق الباب برفق حتى لا يرعبها اكثر وهو يهمس " ياسمينا ....افتحي الباب , لا تخافي "

لم يسمع ردا أبدا .....عاد ليطرق الباب برفق ....ثم قال بعد فترة بصوت خافت مستعطف

"حسنا يا سما .....لا تفتحي الباب الآن , لكن هل لي أن أطلب منك طلب ؟..... اجلسي عند الباب "

لم يصله الا الصمت الكئيب .....لكن بعد فترة سمع صوتا ناعما يجري على الباب من الجهة الأخرى.....

انزلقت سما ببطءعلى سطح الباب المغلق بينهما الى ان جلست على الأرض وهي تحتضن التمثال الخزفي بين ذراعيها بشدة وهي ترتجف بقوة.....

استند فارس بظهره على الباب ثم على الأرض هو الاخر في الجهة المقابلة .....أخذ نفسا عميقا وهو يحاول تهدئة قلبه المرتجف ....لا يصدق انه يحبس ياسمينته بالداخل .....لكم يتمنى ان يظل مغلقا عليها هذا الباب طوال العمر حتى لا تطير منه مع نسائم الهواء التى قد تخطفها بعيدا .....استطاع ان يقول اخيرا بصوتٍ اجش

؛" لقد اشتقت اليكِ حبيبتي .....كانت فترة طويلة مدمرة بكل المقاييس تلك التى عشتها بعيدا عنكِ ....."

أرجعت سما راسها الى الخلف لتستند على الباب مغلقة عينيها على الدموع الحبيسة وهى تستمع الى صوته الاجش .....بينما تابع فارس

"لم أخبرك بنيتي في خوض الجراحة الأخيرة .....لاننى لم أكن لأتحمل فشلا جديدا أمامك يا صغيرتي , لم يكن هناك ما هو أشد استحالة عندي من خوض ذلك الألم مرة أخرى .....لكنى فعلتها من أجلك .....حين قررت أنكِ تستحقين الافضل "

أخذ جسد سما يرتعش بشدةٍ وبدرجةٍ مرعبة حتى باتت غير قادرة على السيطرة على شهقاتها المصدومة .....إنه يراها .... إنه يراها .....لم تكن يوما على هذه الدرجة من القرب برجلٍ مبصر .....لقد خاضت معه كل مراحل علاجه وابتهلت كثيرا من أجل نجاحه .....الا ان الواقع كان شيئا آخر .....هناك رجلا غريبا مبصرا يجلس عند الطرف الآخر من الباب .....رجلا استطاع رؤيتها حين عانقها .....رفعت يديها الى وجنتيها الساخنتين وهي تشهق بصمت .....رجلا غريبا يبثها الان كلماتٍ مغلفةٍ بمشاعر لم تسمعها في صوته من قبل .....

تكلم فارس مرة اخرى بصوتٍ مخنوق

" هل تستطيعين تخيل أن أكون منتظرا نتيجة أن تعودي الي من جديد.....أم أن أكون مضطرا لتحريرك من تلك الصفقة القذرة بأكملها "

تابع بعد فترة اخرى من الصمت

" هل قلت لكِ من قبل .....كم أحبك .....كم أحببتك وكم سأحبك ابدا .....لم أكن أتصور أن أحتاج الى بصري لاستطيع نطقها "

افلتت منها شهقة عالية من البكاء لم تستطع السيطرة عليها .....عندها التفت فارس ليطرق الباب وهو يقول مستجديا

" افتحي يا سما ..... افتحي أرجوكِ , أريد أن أضمك بين ذراعي "

كانت سما تهز رأسها بالنفي وهي تشهق باكية بحرارة ..... كيف استطاع ..... كيف استطاع أن يجري الجراحة وحده ....دون حتى أن يعلمها ..... ماذا لو .....ازداد نحيبها وهي تغمض عينيها بشدة .....لم تدرك لفترة ما قاله للتو من شدة هلعها من فكرة خوضه للجراحة .....ماذا قال ؟..... هل قال انه يحبها ؟.....هل قال هذا أم أنها أحلامها المثيرة للشفقة كالمعتاد.....

إنها تشعر بأنها على وشكِ الانهيار تماما .....فارس هنا ..... فارس خاض جراحة غير مضمونة بمفرده ...فارس يرى .....فارس يحبها.....!!!!!!

يالهي إنها على وشكِ الاغماء .....ماذا تفعل الآن .....كيف تتصرف مع هذا الكائن الملقى بالخارج والذى يبدو على وشكِ الهجوم عليها والتهامها .....انها تحتاج الى سابين ..... لكن كيف ستأتي اليها الان على وجه السرعة ؟.....حلا ..... ليس هناك سوى حلا ..... صحيح أنها تفوقها سذاجة لكن ليس هناك أحدا غيرها.....

التفتت قليلا الى الباب ثم قالت بضع كلمات لم يظهر منها حرفا واحدا معمولا به في اللغةِ العربية .....فقال فارس بصوتِ مرتفع

قطب جبينه وهو يسمع طلبها الساذج ....ثم حاول ان يثنيها عن طلبها قائلا بتملق

" ماذا ؟؟..... لم أفهم شيئا ياسمينا ...تحدثي بشيء أستطيع فهمه "

" سما .....افتحي الباب حبيبتي وسنتكلم فقط أنا وأنتِ "

حاولت مرة اخرى وهي تحاول ان تتكلم بلغةِ مفهومة فقالت بتحشرج عالٍ من بين بكائها " أريد حلا ....."

صرخت بشدة وغضب " أريد حلاااا..... "

صمت فارس تماما ثم قام من مكانه ليكلم حلا وهو يتميز غيظا ..... لم تكن تلك الصورة التى رسمها للقائهما .....أن تكون حلا معهما !!!!!!.....

بعد فترة قصيرة كانت حلا تدق جرس الباب ليفتح لها فارس بعد أن أوصلها ادهم وألحت عليه الا يدخل معها حتى لا يحرج سما بوجوده في هذا الموقف .....دخلت حلا ببطء وهي تنظر برهبة الى فارس ..... إنه يبدو مختلفا تماما وهو ينظر الى عيني من يحدثه .....

إن سما محقة في أن ينتابها التوتر ....لقد أخافوها بما خططوا له .... فقد كان ادهم يعرف بجراحة فارس حتى أنه سافر وقتها ليحضرها الا انه تكتم الأمر حتى عنها هي حتى لا تبوح بأي شيء لسما .... خوفا من فشل الجراحة.....

قالت حلا برقة وهي تنظر بخجل الى فارس " مبارك لك يا فارس..... "

نظر اليها فارس مبتسما وقد أطل حنانا جديدا من عينيه ثم قال بمرح

" اذن أنتِ حلا .....الآن فهمت ما أصاب ادهم من سنين طويلة ,أنتِ جميلة للغاية "

ابتسمت حلا ورفعت اليه عينين ودودتين لتقول برقة " أنا بأحسن حال ..... اشكرك "

احمر وجه حلا بشدة ثم ابتسمت بحرج وهي تهمس " شكرا..... "

قال فارس بعد فترة صمت حرجة بينهما " لقد حاولت مساعدتك صدقيني لكن..... "

تردد فارس قليلا ثم قال بخفوت " كيف حالك الآن ؟....."

قاطعته حلا برقةٍ وابتسامةٍ حزينة بينما قلبها ينزف من جرحٍ كان قد شارف على الشفاء " نعم ..... أعرف , لقد أحكموا الحصار من حولي "

ابتسم فارس بحزن وقال " هل أنتِ بخيرٍ الآن ؟....."

عبس فارس وهو يتطلع الى ملامحها الحزينة ثم قال بخفوت "منذ سنين وأنا أشعر بأنني تسرعت في تصديقهم..... "

أومأت حلا برأسها مبتسمة وهي تمسح دمعةً وحيدة سقطت على وجنتها .....ثم تظاهرت بالمرح وقالت

ابتسمت حلا مرة اخرى ونظرت اليه بعينين دامعتين " لا عليك ..... لا مهرب من القدر , مهما كنت ستحاول ....."

"اذن أين هي تلك الجبانة..... "

ليس قبل أن ترمق فارس بنظرةِ شرسة .....و الذى كان واقفا يحاول ان ينظر بلهفةِ من شق الباب.....

ضحك فارس برقة وهو يشير الى الغرفة الاولى المجاورة عند أول الممر .....فاتجهت حلا الى باب الغرفة وطرقته برفق وهي تقول

ما أن دخلت حلا الى الغرفة واغلقت الباب حتى تعلقت سما في عنقها وهي تبكي بصوتٍ مرتفع .....ضمتها حلا اليها بشدةِ وهي تهمس برفق

" سما .....إنها أنا حلا ...افتحي الباب "

" هششششش .....اهدئى , أعرف أنه كان أمرا صعبا عليكِ "

مرت عدة لحظات قبل ان تفتح سما الباب بحذر ثم تمد يدها لتسحب حلا الى الداخل ثم تغلق الباب لكن

رفعت سما وجهها الذى كاد ان ينفجر من احمراره وتورمه ثم قالت شاهقة " هل كنتم تعرفون جميعكم تعرفون واخفيتم عني.....؟ "

قالت حلا وهي تهدئها "لم نكن نعرف صدقيني لقد علمت الآن أن ادهم هو الوحيد الذى كان..... يعرف وقد كانت سفرته القصيرة منذ شهرين ليحضر الجراحة "

صرخت سما " كيف استطاع ادهم أن يفعل ذلك بي كيف ؟؟....كيف منعني من أن أكون بجواره....." "

ربتت حلا على وجنتها لتقول برقة " كانت هذه هي رغبة فارس يا سما..... "

اغمضت سما عينيها لتقول باكية " يا الهي .....حين أفكر أنه كان من الممكن .....أن يحدث أي شيء "

عادت حلا لتقول برفق "هششششش ..... إنه بخير ,
ويقف بالخارج مثل الحائط المنيع "

قالت سما بحدة " الى بيتنا .....أنا لن أبقى هنا
بمفردي مع هذا الكائن الموجود بالخارج للحظةٍ واحدة
"

ابتعلت سما ريقها واهتزت حدقتاها ثم قالت وهي
تمسك بكف حلا " حسنا ..... لا مجال للكلام هنا , هيا
بنا لنذهب "

عبست حلا وهي تضع اصبعها على فمها لتهمس "
هششششش ..... اخفضي صوتك , سيسمعك .....ماذا
سيقول عنا ....زوجناه لحمقاء ؟؟"

ارتفع حاجبا حلا بدهشةٍ وهي تقول بحذر " نذهب
الى أين تحديدا ؟....."

صرخت سما بهلع " أنا لن أستطيع أن أبقى هنا
بمفردي ..... مستحيل , أنتِ لا تفهمين..... "

سحبتها حلا من ذراعيها لتجلسها على الفراش وجلست بجوارها لتقول بصرامة " ما الذى لا افهمه ..... انه فارس ...زوجك منذ اربعة سنوات "

اخذت حلا تستمع الى هذيانها و تناقض عباراتها ..... انها تشعر به شخصا غريبا وفي نفس الوقت تتسائل ما الذى سيبقيه متمسكا بها الان بعد ان زال احتياجه لها .....آآآه يا سما الصغيرة كم كانت حياتك قاسية مشتتة.....

ابتلعت سما ريقها وهي تقول بتلعثم " انتِ لا تفهمين ..... لم اكن يوما بمثل هذا القرب من رجلٍ يراني ..... لم اعرف غيره من الرجال اصلا .....الان .... نظرته .....لا ..... لن استطيع ..... اشعر به غريب عني تماما , ليس فارس الذى اعتاد ان يحتاجني بكل تفاصيل حياته .....ماذا سيبقيه بجواري الان..... "

قالت سما اخيرا ودموعها تنساب على وجنتيها " انتِ لا تفهمين كلمة واحدة مما اقول ..... اليس كذلك ؟"

ابتسمت حلا وشردت عيناها بعيدا وهي تهمس " بل أفهمك تماما..... "

قفزت الى ذهنها صورا من ليلة زفافها .....زفافها لادهم .....حين وقفت امام المرآة لتنظر الى صورة الجارية التى باعت نفسها للمرة الثانية .....ولمن ؟..... للشخص الذى شهد حياتها منذ بدايتها ..... أذلت نفسها ولجأت اليه بالطريقة الوحيدة التى تعرفها بنات ايثار الراشد.....

تذكرت حين دخل الوحش الى غرفتها ينظر اليها بقسوة الايام التى ابتعدتها عن حمايته .....ابتسمت حين تذكرت حماقتها وهي تساله بغرور عن سبب دخوله الى غرفتها.....

اتسعت ابتسامتها وهي تتذكر ذلك المفترس وهو يؤكد لها انها اصبحت زوجته وان لا شيء سيمنعه عنها .....حينها سقط قلبها بين قدميها ..... وطافت عبارة واحدة في عقلها ..... مالذى فعلته ؟!!... لقد تزوجت اخي .....أخي القاسي المتسلط الذى عرفته لاكثر من عشرين عام .....لن يصبح أخاها بعد الآن وسيصبح صورة طبق الأصل للشاري الأول ..... طلال .....

مشوار العلاج لكن بداخلك لم تتمني أن يستعيد بصره حقا..... "

رمت تلك الذكرى البائسة لتنظر الى سما من جديد لتهمس مبتسمة " أفهمك تماما ..... لم اتصور للحظة واحدة انى سأكون زوجة ادهم .....بعد كل ما مررت به .....ادهم مهران لا غيره "

اتسعت عينا سما بذعر وهتفت " مالذى تقولينه ؟..... لم أتمنى لفارس سوى الخير دائما , لو كنت استطعت لكنت أعطيته حياتي..... "

ثم تابعت وقد شعرت بسما تهدا قليلا " ادرك تماما ان الوضع جديدا عليكِ ..... لكنك اغفلتِ شيئا مهما , اغفلتِ أن تذكري سعادتك باستعادة بصره ..... هل أنتِ سعيدة أم أن هذا ما لم تكوني لتتخيليه بالرغم من خوضك الطويل للعلاج معه .....كنت بجواره دائما في

قالت حلا برفق " أعلم ..... لكنك لم تتخيلي يوما أن يزول السبب الذى يبقيه متمسكا بكِ..... "

اغمضت سما عينيها ودموعها تزداد انهمارا ..... يالهي ..... هل هذا صحيح ؟..... الست سعيدة لاستعادته لبصره ؟.....هل لهذه الدرجة أنا خبيثة النفس .....

ربتت حلا على وجنتها برفق لتفتح عينيها المتورمتين وتنظر اليها بتضرع ..... لكن حلا قست قلبها قليلا وقالت بحزم

" ها هي الفرصة قد أتت لتعرفي السبب الحقيقي الذى سيبقيه معك .....لقد عاد فارس مهران , فتعاملي مع هذا..... "

ارتعش قلب سما من ذكر اسم فارس مهران ..... وكأنها لم تكن تعرفه من قبل ..... لكن شيئا ما في طريقة ذكر حلا لاسمه جعلها ترتجف وهي تتخيل عودة ..... فارس مهران ..... القادر على الحصول على أفضل واجمل النساء ..... وأعلاهن نسبا وأصلا.....

رفعت نظرها المحبط اليائس الى حلا .....التى نهرتها قائلة " اياكِ ..... اياكِ ان تفكري بهذا الشكل "

اتسعت عينا حلا قيلا ثم انفجرت في الضحك طويلا الى أن استطاعت القول أخيرا

ظلتا تنظرانِ الى بعضهما طويلا ...الى ان قالت سما بغضبِ طفولي حزين

"كنت تتنصتين من وراء الباب ؟.....حسنا بالتأكيد معه حق ..... ادهم دائما يقول عني جميلة دائما "

" لقد قال عنكِ جميلة..... "

عبست سما وضربتها على ذراعها ثم همست بجدية

" انه يستطيع أن يرى يا حلا ..... لقد رآني بالفعل
ماذا لو لم أكن قد أعجبته ..... لم يعطني الفرصة
لاستعد .....انظري الى شعري المشعث وثيابي الخرقاء
..... أبدو كمن على وشكِ تنظيف انابيب المطبخ..... "

طرقة قوية على الباب جعلتهما تنتفضانِ معا ثم
وصلهما صوت فارس يقول بخشونة

" حلا افتحي الباب .....سأتولى أنا الأمر من هذه
النقطة "

شهقت سما وهي تضع يدها على فمها ونظرت مرتعبة
الى حلا ثم همست

" هل استطاع سماع كل ما قلناه ؟.....يالهي الوضع
يزداد سوءا "

قامت حلا من مكانها لتفتح الباب الا ان سما تمسكت
بها بشدةٍ وهي تنظر اليها برعب هامسة

" لا تتركيني وحدي معه .....إنه يبدو مفترسا "

ابتسمت حلا ثم طرقت راس سما باصبعها وهي تقول " تذكري ما قلته .....إنه الوقت الذى ستعرفانِ فيه إن كان مصيركما واحد ....دون أي حواجز "

ثم فتحت الباب لتطالعها هيئة فارس المخيفة بالفعل ....مرت بجانبه ثم مالت عليه لتهمس " أعطها بعض الوقت..... "

اختفت الوحشية قليلا من ملامحه وابتسم شبه ابتسامة اليها وهو يحاول أن يكون هادئا.....

بعد أن رافق حلا الى باب البيت حيث ينتظرها ادهم في سيارته .....عاد الى سما التى كانت جالسة على حافة الفراش متشبثة به بشدة وهى تبدو على وشكِ الانهيار في اية لحظة .....ابتسم قليلا بشراسة ..... وفكر ... تلك القطة الذهبية هي زوجته ..... الا إنه عاد ليخفي ابتسامته ورسم الجدية على وجهه ثم سار ببطء ليجلس بجوارها على حافة الفراش دون ان يلمسها

..... الا إنه لم يفته انتفاضتها الخفيفة وابتعادها عنه قليلا وهي مطرقة براسها الى الأرض رافضة النظر اليه .....

قال بهدوء " مرحبا ....." ..... ردت عليه بخفوت بعد فترةٍ دون أن تنظر اليه " مرحبا..... "

قال فارس باتزان بينما عيناه تموجانِ عبثا ....." لم تهنئيني حتى الآن..... "

ردت عليه سما بخفوت " حمدا لله على سلامتك ....."

اقترب منها ثم أحاط خصرها بذراعه غير مباليا بإحتجاجها المذعور .....أحنى راسه ليقبل وجنتها المشتعلة برقة ونظر اليها بطرف عينه ثم قال بصوتٍ عميق " لكن تلك للعودة من السفر .....لم تهنئيني بعد على استعادة بصري "

ظلت سما مطرقة براسها دون أن تنظر اليه .... ثم همست بإنكسار بعد فترة

" لم تخبرني شيئا .....عن خوضك للجراحة , بعد كل السنين التى عشتها معك اثناء رحلة العلاج الطويلة .....لم تهتم لأن تخبرني , من باب العلم بالشيء لا اكثر .....لكن يبدو أننى ساظل دائما أحتل هامش حياتك فقط "

التفت اليها فارس بغضب فانتفضت تنوي الهرب منه الا إنه أمسك بذراعيها بشدة وهو يلصقها به بينما أخذت تتلوى بين ذراعيه برعب

لكنه لم يتركها بل شدد على ذراعيها وهو يقول بغضب " انظري الي..... "

رفضت سما النظر اليه و استمرت في مقاومته وهي تتاوه فهزها مرة أخرى وهو يعيد بصرامة اكبر

" افتحي عينيكِ وانظري الي .....والا فسأتبع الطريقة التى ستجعلك تفتحينهما بها رغما عنكِ "

فتحت عينيها برعب تنظر اليه فصدمتها عيناه القاسيتانِ الشرستان .....قال بعنف

" الم تستمعي لأي مما قلته منذ قليل ..... كنت مرعوبا من النتيجة , لأننى اتخذت قرارا بأن أحررك اذا ما فشلت كالتى سبقتها "

ابتلعت سما ريقها وقد مزقتها كلمة .....أحررك .....كالمرةِ الأولى .....ظلت تنظر اليه مرتجفة بعينين مبللتين.....

هدأ فارس قليلا ثم قال بفظاظة

" اذن .....هل نبدأ من جديد ؟....."

ظلت متسمرة مكانها فترة طويلة .....ثم أومأت برأسها في النهاية وهي تشعر بأنها على وشكِ الاصابة بنوبةِ قلبية.....

اخذ فارس نفسا عميقا وهو يشعر بزوال غضبه ... الا ان ملامح وجهه لم تتغير حين قال بصرامة

" بداية ..... هل هذا هو شكلك حين تنظفين انابيب المطبخ ؟.....لأنه إن كان فأنا أعدك بأننى سألازم دوريات تنظيف الأنابيب طوال العمر "

نظرت اليه سما بعينين متسعتين وهي غير قادرة على استيعاب أيا مما قاله .....الى أن انفجرت في البكاء المختلط بالضحك الهيستيري فضمها الى صدره بقوةِ وهو يستند بذقنه على رأسها المهتز بشدة من البكاء .....ثم همس

" كفى حبيبتي ..... كفي ....لقد عاد فارس مهران .....لكن ليس ذلك التافه الذى سمعتك تتحدثين عنه ..... ليس من سينظر الى نساء مزيفاتِ تاركا ياسمينة ..... لم يدق قلبه لغيرها دون حتى أن يراها

.....ياسمينة أعطته كل ما استطاعت قبل أن تأخذ لنفسها شيئا....."

رفعت نظرها لتنظر الى وجهه بلهفة ثم همست بعطفِ ملتاع " نم حبيبي .....لقد اتعبتك للغاية ...."

أخذت تشهق وهي تخبىء وجهها في صدره القوى وهو يشدد من احتضانه لها .....ثم قال بصوتِ عميق خنقته العاطفة

ابتسم لمرأى تلك الكلمة وهي تخرج من بين شفتيها المكتنزتين اللتين تبدوان ِ في استعدادِ تام ل .....هز رأسه ليبعد تلك الأفكار السيئة عن تفكيره .... انه انسانا مسؤولا الآن ..... لا بد له من ان يعطيها الوقت لكي تعتاد عليه .....اللعنة ..... لابد ان يصبح مسؤولا .....سحبها معه لتستلقي على صدره وهو يرجع الى نهاية الفراش ليرتاح بينما قلبه أبعد ما يكون عن الراحة .....

؛" سما ..... أنا متعبا جدا , أريد أن انام..... "

استمرا على هذا الوضع الى أن حل المساء .....كان فارس قد ذهب في سباتٍ عميق بينما سما مستلقية في أحضانه متسعة العينين غير قادرة على التقاطِ انفاسها .....حتى لا توقظه ..... يا الهي ..... يا الهي ..... إنه يستطيع رؤيتها ..... ماذا سيحدث بعد.....

أخذ قلبها يخفق بشدة حتى شعرت بالدوار

" اهدئي يا سمينا .....لن انقض عليكِ "

انتفضت حين سمعت صوته العابث .....فرفعت رأسها اليه بذعر لتجد عينين مفترستين تنظرانِ اليها .....شهقت بصمت ثم همست متلعثمة

" فارس ..... فارس .... أرجوك لست مستعدة بعد ....."

نظر فارس اليها بنفس النظرة المفترسة .... حتى كاد أن يتوقف قلبها الى أن قال أخيرا

عبست ... ثم فكرت قليلا .... ثم عبست مرة أخرى ..... ثم قالت أخيرا.....

" للطعام ؟؟؟....."

" بالطبع ..... بالطبع ..... حالا سأرى إن كان هناك ما أستطيع تحضيره سريعا "

رمشت بعينيها لتقول بغباء " ماذا ؟؟....."

أجابها مبتسما وهو يرفع نفسه قليلا "أنا جائع ..... لم أتناول شيئا منذ أمس "

نهضت بحذر .... فنهض معها ليقول مبتسما " سأساعدك..... "

قالت بحدة " ابقى مكانك ....." ثم استدركت لهجتها الحادة لتخفف منها قليلا وهي تقول بتلعثم

" أقصد .... لا ..... لا داعي ..... استرح هنا وأنا سأحضر لك الطعام "

ابتسم بشيطنة .....ثم قال " بل سأعدك ..... جهزي نفسك لذلك من الآن ياسمينا..... "

ابتلعت ريقها وهي تستدير مغمضة عينيها وهي تخرج من الغرفة ..... واعية له وهو يتبعها كظلها .....

إنه يلاعبها ..... تبا إنه يلاعبها .....اثناء تجهيزها للطعام وهو يدور من حولها ..... يرفع يده فجأة فتصرخ بخوف ..... ليقول مبتسما " كنت أريد أن أحضر الملح من على الرف الذى يعلو رأسك الجميل ....."

تعود لعملها .... ينحنى بجوار ساقيها فتقفز شاهقة ..... ليقول مبتسما " آسف حبيبتي ..... لقد أسقطت حبة الطماطم "

يقول بعدها مبتسما معتذرا ...." كنت أريد فقط أن أسألكِ .....هل نسيتي وضع الفلفل ؟..... لأنى أحب الإكثار منه "

تستدير لتكمل تقليب شرائح اللحم في مقلاتها .....فيصرخ فجأة " ما هذا ؟.....!!!!"

تعود لعملها متذمرة ... شاتمة بهمسٍ شرس.....

تقفز صارخة هي الأخرى " مااااااذاااااا ؟....."

جلسا أمام بعضهما يتناولانِ الطعام بصمتٍ قاتل .....كانت سما تبتلع الطعام بصعوبةٍ وهي تشعر به يراقبها وهو يأكل مستمتعا .....الا يملك أي ذوق .....

الا يرى أنها لا تستطيع أن تأكل وهو يحدق بها بهذا الشكل الفظ.....

قال فارس بهدوء وهو يتظاهر بتناول الطعام " لا بد أنكِ متحمسة للغاية..... "

" حدثيني عن دراستك..... "

أجابت سما بتوتر وخوف " نعم .....نعم يا فارس أنا متحمسة للغاية أخيرا سأبدأ في تحقيق حلمي بعد أن تأخرطويلا "

رفعت رأسها بحدة وهي لا تصدق ان هذا الطلب صدر منه .....ابتلعت ما في فمها بصعوبةٍ ثم قالت مترددة

" ستبدأ بعد شهرين..... "

اختفت ابتسامته تدريجيا .....فهبط قلب سما بين قدميها , الا أنها لن تستسلم هذه المرة ..... وهي أصلا تتمنى حدوث أية مشكلة لتنتهز الفرصة وتفر هاربة من هذا المدعو زوجها.....

رفع رأسه اليها ليقول بنبرة تهديد " سأراقبك كظلك ياسمينة .....و ستكون نهايتك اذا اقترب منكِ أحد زملائك يوما "

عبس فارس بجديةٍ ثم قال بغضب " هل تريدينني أن أحبسك هنا ولا تري الطريق أبدا ؟....."

ارتفع حاجباها بدهشة .... ثم انفجرت ضاحكة من حماقته التى تثبت انه بالفعل فارس زوجها .....قالت برقةٍ وهي تخفض وجهها المحمر بعد موجة الضحك

" زملائي اللذين تتحدث عنهم يصغرونني بأربعة سنواتٍ كاملة .....لكن هذا لا يمنع أن هناك طاقم التدريس و الدفعات الأكبر سنا..... "

ابتسمت سما بحلاوة وهي تهز رأسها نفيا ..... فقال فارس بصرامة " اذن اصمتى وأكملي طعامك..... "

.....

.....

.....

أسندت ذقنها الى كفها وهي تتأمله مبتسمة بشرود يتناول طعامه غاضبا .... يحاول جاهدا السيطرة على نفسه .....هل حقا عاد ليرى .....لم تعرفه مبصرا من قبل ..... لكن كل مافيه يخبرها بأنه فارس حبيبها .....لكن مع وهجٍ جديد لم يكن يمتلكه من قبل .....ترى ماذا ستخبىء لهما الأيام ..... هل من أملٍ بينهما.....

بعد أسبوعين

كانت سما متشبثة بمقعدها برعب وهي تجلس بجوار فارس الذى يقود سيارته كالمجنون .... متفاديا .... متجاوزا .....يقوم بحركاتٍ راقصة لعينة بسيارته.....

قالت سما وهي تلهث برعب " فارس ..... كفى , إنك تقود بشكلٍ فاشل تماما "

ضحك فارس بسعادةٍ لا توصف وهو يقول " اعذريني حبيبتي ..... لم اقد سيارة لمدة أربعة سنوات "

قالت سما بحنق "هذا سببا أدعى لتقود ببطء ..... نريد أن نصل الى البيت أحياءا "

ضحك فارس وهو يكاد لا يشعر بها بجواره أبدا ..... أخذت سما تفكر بحنق منذ اسبوعين وهي تتقلب فوق نارٍ هادئة .....عاد بكل بساطةٍ الى حياتها وكأن شيئا لم يكن ..... يحاول استعادة كل ما فاته في السنوات الماضية .....لكن مشركا إياها في كلِ ما يقوم به .....خرجا كثيرا اثناء تلك الفترة ..... ضحكا واستمتعا .....الى أن يأتي الليل .....فيجذبها اليه محتضنا إياها بشدةٍ ليذهب في سباتٍ عميق بعد دقائق من مجهود اليوم .....تاركا إياها مستيقظة محدقة في الظلام مرتجفة من قربه.....

إنها لا تنكر أن هاذين الإسبوعين .... كانا ..... من أجمل أيامِ حياتها .....تشعر بأنه يتعمد اكتساب صداقتها .....بطريقةِ خرقاء لا تقنع طفل صغير ..... لكنها طريقةِ محببة ..... محببة للغاية.....

الى ماذا يدبر ؟..... لا تصدق برائته الخادعة أبدا .....عيناه تنضحانِ خبثا و عبثا ..... ينظر اليها بطريقةِ ..... بطريقةِ أشعرتها بأنوثتها لأول مرة في حياتها ..... تجعلها تحمر خجلا وتتعثر أثناء سيرها .....تنهدت بقوةِ وهي تفكر .... ما الذى تنويه يا فارس...

تنفست سما الصعداء حين وصلا سالمين الى بيتهما أخيرا .....التفتت اليه هاتفة بحدة

" إنها آخر مرةِ سأسمح لك فيها بقيادة السيارة ....."

ضحك فارس ثم هجم عليها ليخطف قبلة من خدها الوردي ..... فضربته سما على كتفه قائلة بحدة

" نحن خارج البيت .....تأدب "

ضحك بمرح وعيناه تلمعانِ حبا ..... ثم همس " اذن هيا لندخل..... "

اهتز قلبها من لهجته العاطفية .....وعادت لتفكر ... نعم إنه هو .....هو فارسها.....

حين اندست الى جواره تلك الليلة أخذها في أحضانه كما عودها ....يتلاعب بخصلاتِ شعرها الناعم .....يرفع ذقنها ليقبل وجنتها كل فترة .....يحدثها عن كلِ ما حدث معه في حياته ..... كعادته كل ليلة .....يعرفها على نفسه .....يتعرف عليها .....يسمعها ..... يحبها .....نعم إنه يحبها كما لم يحب أحدا من قبل.....

اقترب منها ومال الى عنقها ليستنشق عطر الياسمين الذى عادت اليه من جديد ..... إنها تنوي قتله , الى متى الصبر .....رفع ذقنها اليه ناظرا الى عينيها البريئتين المشعتين .....فهمس بلوعة

" يااسمينا .....ارحميني لم أعد لأحتمل الصبر "

ابتسمت .... حقا ابتسمت لعينيه بينما اشتعل خديها خجلا .....اقترب ليقبلها مرة ..... مرتين ..... في المرة الثالثة تعلقت بعنقه فما كان منه الا أن جذبها ليرفعها اليه هامسا بعنف " أحبك ياسمينا ..... أحبك حبيبتي "

الفصل السابع والعشرون

كانت حلا تستمع الى صوت محدثها الغاضب في الهاتف بقلبٍ وجل مرتجف .....من حقه أن يغضب ... من حقه تماما .... لقد اشتاقت اليه اكثر من شوقه اليها بمراحل ..... إنه وحشها الحبيب ..... بالرغم من سعادتها بالإنجازات القليلة التى حققتها الفترة الماضية الا أن ألما متوحشا كان ينهش صدرها كل ليلةٍ وهي بعيدة عنه .... .تنهدت بحزن ثم همست ما أن انتهى

؛" حاول أن تفهمنى يا ادهم ..... كيف سأتمكن من ترك سابين بمفردها بعد أن عادت سما الى بيتها "

عاد ادهم ليصرخ بها

" لست مستعدا لتحمل نتيجة أخطاء سابين .....إنها مجنونة وقد تزوجت من مَن هو أشد منها جنونا , وإن انتظرنا الى أن يتعقلا فلن تعودي أبدا..... "

تنهدت مرة أخرى ثم قالت تستعطفه ليتفهمها

" ادهم حبيبي .....أيا كان السبب لكن الواقع الآن يقول أنها في الشهور الأخيرة من الحمل ....وليس لها الآن غيري لتساعدها فكيف أتخلى عنها ؟.....لم تكن يوما بمثل هذه القسوة يا ادهم "

قال ادهم بغضب

" حلا ..... كفي عن الاعيبك التى أعرفها جيدا , تملقك في الكلام لن يفيدك أبدا .....وإن كان على خدمة سابين فسأحضر لها فريقا كاملا من الخادمات ليخدمنها .....جاء الزمن الذى أضطر فيه للبحث عن سبل راحة

السيدة سابين حتى ترضى عني وتطلق سراح زوجتي .....ياللعبث "

حاولت حلا تهدئته قليلا وهي ترتجف من شدة المشاعر الغاضبة المكبوتة في صوته فقالت بترجي

" ادهم .....اسمعني فقط "

صرخ بغضب مقاطعا اياها

"أنتِ زوجتى ومن حقي عليكِ أن تطيعيني "

أغمضت حلا عينيها وبالرغم من اقتناعها بأنه محقا تماما الا أنها بعد فترة صمت قالت بعند

" هل عدنا لهذه النغمة من جديد ؟.....ما رأيك أن تأتي لتأخذني وتحتجزني من جديد ؟ فهذا ما كنت تجيده دائما "

ساد الصمت المشحون للحظة .... ثم قال ادهم بصوتٍ خافت اشد خطورة من صراخه

"سأنصحك نصيحة يا حلا .....ليس من مصلحتك أن تتفوهي بأي شيء خاطىء الآن فأنا لست في أفضل حالاتي ..... وقد لا يعجبك رد فعلي..... "

اتسعت عيناها قليلا ..ثم قالت بصوتٍ مصدوم " هل تهددني ؟....."

رد عليها بنفس النبرة الخفيضة " لكِ أن تعتبريه تهديد إن أردتِ..... "

قالت بصوتٍ منخفضٍ مبهوت " ادهم ..... لماذا تكلمنى بهذه الطريقة "

رد عليها ببرود " لأنني مللت من تدليلك .....دون أن أحصل على أي اهتمامٍ مماثل منكِ "

اتسعت عيناها وهتفت " لم تحصل على اهتمامٍ مني ؟؟.....كيف ..... كيف تقول هذا الكلام الظالم "

رد عليها ادهم بقسوة " أخبريني شيئا واحدا تفضلتي وفعلته من أجلي..... "

فتحت شفتيها بصدمة ....لا .....هذا ليس ادهم ..... لماذا يعاملها بمثل هذه القسوة .....شعرت أن قلبها على وشكِ التحطم ....همست بألمٍ وعتاب " لهذه الدرجة لم تجد منى ما أسعدك يوما..... "

سمعت همسة غاضبة على الأغلب كانت إحدى شتائمه .....قال بعدها بعنف

"ليس معني أني عشت أياما قليلة سعيدة معك .....أنكِ بذلتِ أي مجهودٍ من أجلي في سبيل ذلك "

بدأت عيناها تدمعانِ وشفتاها ترتجفان ثم همست بضعف " لا أفهم..... "

هتف ادهم حانقا

" عشنا أياما سعيدة لأنني أنا من حاولت كل ما في وسعي لإسعادك .... بينما أنتِ كنتِ دائما الطرف المستقبل , لم تحاولي أبدا قلب الأدوار و منحي بعضا من الإهتمام الذى أعطيته اليكِ "

هتفت حلا وهي تشعر وكأنه لكمها بكلامه :" كيف .....كيف .....لقد منحتك كل ما استطعت منحه على الإطلاق .....لكن حالتي .....أعرف أنك تعبت كثيرا .....لكن ..... لكن..... "

لم تستطع أن تكمل كلامها المبحوح وهي تشعر بغصةٍ في حلقها .....فغطت فمها المرتجف بيدها وهي تحاول منع نفسها من البكاء مغمضة عينيها.....

ناداها بصرامة " حلا..... "

ردت عليه بعد لحظة بصوتٍ مجروح " نعم..... "

رد بنفس القسوة دون أن يلقي بالا بصوتها الذى يوضع أنها على وشكِ الانفجار بالبكاء في أية لحظة

"إن ظننتِ بأنكِ ستستدرين عطفي بالكلام المستهلك عن حالتك السابقة .....فلا تتعبي نفسك , لقد مللت القصة القديمة , أرى أنكِ تتقدمين بشكلٍ ملحوظ في كل نواحي حياتك ..... لكن بالطبع حين يحين دوري في المطالبة باثبات وجودي في حياتك .....تعودين الى الاختباء وراء ..... العذر الذي تلجأين اليه دائما لتضعيه حاجزا يمنعني من مجادلتك او التصرف بعكس رغباتك "

لم تستطع الرد ..... إنها لا تصدق ما تسمعه .... كأنها تستمع الى شخصٍ غريب و ليس ادهم أبدا....

تابع ادهم بفظاظة

" كلمة نهائية ..... ستعودين ما أن أوفر لسابين من يساعدنها ..... هل كلامي مفهوم "

همست بشكلٍ محزن وهي ترتجف و تإن من قسوته

" المسألة ليست في وجود من يخدمها ..... إنها تحتاجني أكثر من أي وقتٍ مضى , إنها تتألم بشدة يا ادهم مما فعله احمد معها .....كيف سأتركها وسط أحزانها لأذهب وأجد سعادتي الخاصة بمنتهى الأنانية ....."

صرخ ادهم مرة أخرى وهو غير قادر على تحمل هذا الهراء اكثر

" حلا .... لا تدفعيني الى الجنون , فهل اهتم بكِ احد حين كنتِ تصارعين الموت في بلادٍ غريبة..... "

ساد صمتا قاتلا بعد أن انفجر ادهم بهذه العبارة المؤذية .....قال بعد فترة بصوتٍ أقل حدة " حلا ....."

الا إنه لم يسمع ردا .....فقال مرة أخرى بقوة " حلا ردي علي .....لا تنتهزي فرصة كلمةٍ قلتها في لحظة انفعال لتنقلبي ضدي "

عاد الصمت ليجيبه مرة أخرى ... الا أن صوت بكاء ناعم وصله بصعوبة .....فصرخ بشدة

" هل تبكين الآن ؟.....اللعنة ..... اللعنة ..... لم أعد أتحمل أكثر , أنا لست مراهقا لأستمتع بكل تلك التفاهات ..... عمتِ مساءا "

ثم أغلق الخط .....ظلت حلا تنظر بذهول الى الهاتف في يدها ودموعها منسابة على وجنتيها .....ثم ارتمت على الفراش دافنة وجهها في الوسائد وهي تشهق باكية .....

بعد أن هدها البكاء طويلا .... سقطت في غيبوبة نومٍ لفتها بستائرها المظلمة .... الى أن حل الصباح .....فتحت عينيها المتورمتين بصعوبة وهي تلافي اشعة الشمس الدافئة بيدها .....فجأة لاحظت وجود ظل رجلا .. جالسا باسترخاء على الكرسي الموجود بقرب النافذة .....يتأملها بصمت ...لكنها وشباك النعاس التى لازالت تحيط بعقلها واشعة الشمس التى تغشي عينيها من بين الستائر المفتوحة ... لم تستطع للوهلة الاولى تبين ملامح الرجل الموجود بغرفتها.....

انتفضت جالسة في مكانها وهي تشهق برعب " ادهم ....."

أتاها صوته الدافىء العميق من الكرسي الذى يجلس عليه " إنه أنا حبيبتي .....لا تخافي "

ظلت تلهث خوفا فقط لبضع لحظات ثم نشجت ببكاء ناعم وهي تهمس مرة أخرى لكن إرتياحا لا استنجادا ....." ادهم..... "

طارت من فراشها وجرت حافية اليه الي أن رمت نفسها جالسة على ركبتيه مندسة في أحضانه وهي تتعلق بعنقه بذراعيها .....تلامس عنقه الدافىء بشفتيها .....المبللتين بدموعها المتساقطة .....وهي تهمس باسمه مرة بعد مرة.....

أحاطها ادهم بذراعيه برفق وهو يربت على شعرها .....هامسا بهدوء " كفى حبيبتي .....لا تبكي "

رفعت وجهها المحمرالمبلل بالدموع اليه بعد فترة وغرقت طويلا في دفىء عينيه .....ثم همست بضعف

" لا تغضب مني ..... لا أتحمل غضبك أبدا , أرجوك "

قال ادهم بصوتٍ هادىء "لست غاضبا..... "

خفق قلبها بشدة من هدوء نبرته ..... فهمست بقلق " بلى .... أنت غاضب مني , لو فقط استطعت أن تتفهمني "

قاطعها ادهم بنفس الهدوء لكن يتخلله نبرة حزم

" حلا ..... قلت لكِ أننى لست غاضبا , وأنا أرفض أن نعيد نفس حوار الليلة الماضية ...لأنه من الواضح أننا لن نصل لأي مكان "

ابتلعت حلا ريقها بخوف وهي تمسح الدموع من على وجهها .... تلاحظ بتوجس إنه متغيرا للغاية .... لم

يسابق لمسح دموعها , لم يسحقها بين أحضانه .... لم يقبلها الى الآن .....ليس ثائرا كما من المفترض أن يكون .....

همست حلا وهي تتحسس ذقنه الصلبة " متى جئت ؟....."

ظل ينظر لعينيها دون أي تعبيرٍ ظاهرٍ عليهما ثم اجابها بهدوء ....."لقد قضيت الليلة هنا..... "

اتسعت عينا حلا بدهشة وقالت " وكيف دخلت ؟....."

ارتفعت زاويتي شفتيه قليلا بسخريةٍ باردة وهو يجيب بفتور " من تحت الباب..... "

ارتبكت حلا من جفاؤه لكنها قالت باحراج " لا ..... أقصد هل سمحت لك سابين بالدخول ؟....."

ارتفع حاجبه سخرية قاسية فتداركت نفسها وهي تتلعثم اكثر " اقصد كيف قضيت .... الليلة هنا ؟..... ماذا ستفكر سابين الآن ؟؟....."

الآن انعقد حاجباه غضبا .... يا الهي إنها تزيد من غضبه بكل كلمة تنطقها ..... ماذا بها ؟..... هل اعتادت البعد عنه فأصبح قربه يربكها من جديد .....غاص قلبها خوفا من أن يكون هذا هو الأمر .....هل صنعت حاجزا قديما بينهما .....إنها مستعدة لأن تموت ولا يحدث هذا من جديد .....جلت حنجرتها بضعف ثم حاولت من جديد فقالت بهدوء حزين

" لماذا قضيت الليلة هنا ؟....."

ظل ينظر لعينيها لحظات ثم اجاب ببساطة " خفت عليكِ حين سمعت بكائك..... "

دمعت عيناها وارتفعت شفتاها في شبه ابتسامة ثم همست بضعف " ولماذا لم توقظني ؟....."

رقت عيناه قليلا بينما ظلت ملامحه بقساوة الحجر ثم قال بصوتٍ خافت " حين تبكين وتنامين بعدها ..... لا يفلح قطار جرار في ايقاظك..... "

ابتسمت اكثر ولم تتحمل الدمعة التى ازداد ثقلها فسقطت كحبةٍ ماسية على وجنتها البيضاء .....فمد يده الى خصلات شعرها يتخللها باصابعه وهو يجذب رأسها اليه ليلتقط دمعتها بشفتيه .....تنهدت حلا بضعف والدمعات تتوالى وراء بعضها بنعومة .....وهي تتعلق بعنقه اكثر ..... همس ادهم بخفوت يتخلله الصلابة

" حلا ..... لماذا تخافين من العودة الي ؟..... هل لازلتِ تخافيني ؟.هل لهذه الدرجة فشلت في كل ما تعلق بكِ يوما ؟....."

رفعت رأسها بسرعة اليه وهي تتأوه بحزن ثم همست تترجاه

" لا أخافك ..... لا أخافك أبدا , أنت حبيبي وأبي وأخي ..... لقد اكتشفت مؤخرا أنه لم يكن لي سواك أبدا ....."

ذابت عيناه حبا لها من بساطة كلماتها التى هزت قلبه فقال بصوته العميق " اذن ما الامر ؟..... الم تشتاقي الي ؟ ....."

رفعت أصابعها لتتلمس وجهه من جديد وهي تتأمل كل جزء من ملامحه .....لم تجب ....لم تهتم حتى بإجابة مثل هذا السؤال السخيف ....كيف فقط تشرح له خوفها ..... هل سيتفهمها ؟.....هل تعود وتغلق الماضي وتلقيه في بحر النسيان.....

شردت عيناها بعيدا عن عينيه اللتين كانتا تحاولانِ اقتحام روحها لفهم الحاجز الذى لا يزال بينهما والذى لا يستطيع ادراكه حتى.....

حين شعر بها وقد ذهبت الى عالمٍ اخر من أفكارها البعيدة .... أصر على ان يعيدها اليه .... لعينيه .....فقال بهدوء صادم

"الا تريدين البدء في التفكير بأن تكوني ام..... "

عادت عيناها اليه بصدمة وقد انتفض جسدها انتفاضة بسيطة شعر بها تحت اصابعه المحيطة بخصرها .....ها قد عادت اليه بانتباهها كاملا ..... تبدو الصدمة جلية في عينيها .... فكر بعبوس .... الم تطرأ تلك الفكرة ببالها أبدا.....

ترجم السؤال مباشرة وقال بهدوء وحسم " الم تطرأ تلك الفكرة على بالك من قبل ..... أم أنها لا تثير حماسك "

ظلت نتظر الى عينيه قليلا وهي تبدو في حالة من الشرود وعدم الاستيعاب .... أم ؟..... أم ؟..... وهل تستطيع ابنة ايثار الراشد أن تصبح أما ؟..... وهل من عاشت زواجا مثل زواجها البائس السابق تستطيع أن تصبح أما صالحة ؟.....هي دون النساء جميعا تستطيع تربية طفل ؟.....وماذا ستغرز فيه ...إنها حتى لم تتزن بما فيه الكفاية لتكن مسؤولة عن طفل .....

" حلا..... "

أفاقت على صوته الصارم ...فنظرت الي عينيه المتألمتين .....اتسعت عيناها وهي تنظر اليهما ,.....رباه .... ماهذه النظرة , بسببها ؟..لكنها حتى لم تنطق حرفا واحدا حيال الموضوع .....همست متلعثمة

" ن..... نعم "

صمت لحظة ثم قال بجفاء " هل ضايقتكِ الفكرة ؟....."

رمشت بعينيها مرتين ثم همست بتردد " لا ..... لا بالتأكيد "

ابتسم ادهم بسخريةٍ قاسية ثم قال " نعم ..... يبدو التأكيد على نبرة صوتك بالفعل "

همست حلا بذعر " لماذا تتصيد لي الأخطاء .... أنا لم أقل شيئا "

رد عليها ادهم بقسوةٍ رغم الألم الظاهر في عينيه " لستِ في حاجة لأن تقولي شيئا .....لقد تكفلت عيناكِ بالأمر "

حاولت حلا الكلام الا إنه لم يمهلها فقبض على خصرها بيديه ليرفعها ويوقفها على قدميها ثم قام واقفا هو الآخر ... راقبته بقلق وهو يعدل قميصه ثم همست

" هل أنت ذاهب ؟....."

ابتسم ادهم بشراسة ثم قال بسخرية " نعم بالتأكيد .....هل ظننت أنني سأبقى اليوم معكِ هنا , متسللا كالمراهقين من دونِ علم أهلهم "

احمر وجهها بشدة وهمست " لا أقصد هذا..... "

نظر اليها بهدوء ثم قال " يبدو أنكِ لم تقصدي أشيائا كثيرة يا حلا..... "

حاولت أن تستعطفه وتراضيه الا إنه قال مقاطعا وقاطعا " عامة ..... لقد جئت خصيصا لأودعك "

اتسعت عيناها بذعر وهي ترفع يدها لتلمس صدرها اللاهث بينما فغرت شفتيها المرتعشتين .....حاولت .... حاولت النطق الا إن حرفا لم يخرج من فمها .... كانت تشعر بأنها في أحد تلك الأحلام أو الكوابيس التى يحاول فيها الشخص الصراخ الا إن صوته لا يخرج فيظل يقاتل وكأن روحه معتمدة على خروج صوته .....

شعرت بالدوار .....وازدادت خفقات قلبها وشحوب وجهها .... فصرخ ادهم " حلا..... حلا ماذا بكِ ؟"

للحظة تركت الدوار يلفها عالمة أنه سيتلقاها بين ذراعيه .... وبالفعل في لحظة واحدة كان يحملها ليضعها الفراش برفق ثم أخذ يبعد خصلات شعرها عن عينيها التائهتين وهو يهمس

"حلا .....أجيبيني , ماذا بكِ ؟...."

أخذ صدرها يرتفع بسرعة وهي تنظر اليه متسعة العينين .... فوضع ادهم يده في منتصف صدرها يضغط عليه برفق وهو يهمس محاولا تهدئتها ....." اهدئي ..... اهدئي حبيبتي , أنتِ بخير .....لا تقلقي لن تصابي بالإغماء فقط انظري الي..... "

حاولت تهدئة انفاسها السريعة وهي تضع يدها الصغيرة فوق يده الضاغطة على صدرها .....نظرت اليه وهمست بتقطع

" ادهم .....ادهم ..... يالهي .....سأموت ان تركتني "

عقد ادهم حاجبيه بشدة ثم قال بغضب " أتركك ؟؟..... هل جننتِ ؟.."

انسابت دموعها غزيرة فوق وجنتيها الشاحبتين و أخذت تهدىء نفسها قليلا ....." لقد .....لقد قلت ....."

ازداد غضب ادهم وهو يجذبها بعنف بين ذراعيه ضاما ايها الى صدره حتى كاد ان يخنقها من شدة ضغطه وهو يقول بقسوة

" اصمتى ايتها الحمقاء .....اصمتى "

اطمئنت بضربات قلبه القاسية التى كانت تضرب وجنتها بقوة فعرفت بانها حمقاء بالفعل ..... مهذا الذعر الذى اصابها ؟؟.....هل اصبح ادهم يشكل لها مثل هذا الهوس ؟؟..... كانت تعتقد انها قد بدات تحل تلك النقطة تحديدا مع سمر ..... علاقتها بادهم.....

كانت تعرف بأن تعلقها به قبل أن تبتعد عنه أصبح مرضيا نوعا ما .... وحقا كانت راضية بهذا فقد كان هذا الارتباط يشكل لها نوع من الحماية ضد أي شيء قد يعود ليؤذيها .....لكنها رغما عنها كانت تشعر بشيء خاطىء في تعلقها الزائد به .... حتى أنها شبه أثارت اشمئزازه تلك المرة الأخيرة قبل أن ترحل مع سابين من القصر.....

في تلك الآونة الأخيرة قبل رحيلها كان ادهم هو كل ما تريده .... حتى أنها لم تكن تطمح بأن تخرج من غرفتهما !!!.....فقط تعد الساعات انتظارا له .....حتى هلال حاولت في النهاية قطع تلك الصداقة المزيفة به ....ليس عن اقتناع بمبدء معين .....لكن فقط خوفا من

أن يصيب أي شيء علاقتها بادهم ..... الوحيدة التى لم ترى غضاضة من التعلق بها كانت سمر .....وكانت دائما تحاول أن تسأل نفسها هل كل الزوجات مهووساتِ متعلقاتِ بأزواجهن لهذه الدرجة .... أم أن ما حدث لها سابقا بعيدا عنه كان هو السبب في تشبثها الغريب به ....وبالفعل كانت سمر تحاول تدريجيا الخروج بها من شبكة ادهم مهران.....

و في الفترة السابقة ... كانت قد بدأت تخف قليلا هوسها وتعلقها المرضي به .....وهذا هو السبب الأهم في اصرارها على الإبتعاد عنه

....أن تعتقه من انسانةِ غريبة لا تصلح الا للشفقة عليها ....وبعد نجاحها في الابتعاد كل هذه الفترة وإيجاد عوامل أخرى لتشغلها عن مجرد .....التعلق بادهم مهران .....كانت تظن بأنها أصبحت متعلقة به تعلق صحي ....الى أن جائت كلمته التى حتى لم يجد الفرصة ليكملها , لتعود الى تلك المهووسة من جديد .....يالهي ماذا سيفكر فيها من جديد.....

رفعت رأسها لتنظر اليه بعجز حطم قلبه ...فأسمك بذقنها بقوةِ وهو يقول بعنف

"هل ظننتِ حقا أننى سأتركك بعد كل ما خضناه معا ..... إن نظرتك لي مشرفة حقا "

أمسكت يده الممسكة بذقنها وهمست ترتجف " لا أعلم ماذا أصابني حين سمعت كلمة الوداع ..... ادهم ..... أنا أخجل بشدةِ من اظهار تعلقي بك ....لا أريدك ان تراني بهذه الصورة اليائسة .... لكن.....فقط أريدك أن تعرف أنه إن تركتني سأموت ..... سأموت حبيبي "

شد على ذقنها يهزه بقسوةِ وهو يقول آسرا عينيها بعينيه الغاضبتين

" اسمعيني جيد لأنني لن أعيد هذا الكلام مرة أخرى .....أنا لن أتركك حتى ولو حتوقفت حياتك وحياتي على ذلك....هل فهمتِ ذلك جيدا أم أقحمه في عقلك العنيد "

ابتسمت بضعف تومىء وهي غير قادرة على إيقاف ارتعاشها .....فعاد ليضمها وهو يحاول تهدئة جسدها المرتجف وهو يهمس

" ارتاحي حبيبتي .....لم أقصد أن أخيفك "

همست من بين أحضانه الدافئة " لماذا قلت أنك جئت لتودعني ؟....."

أخذ نفسا عميقا ثم زفر بيأس....وهو يحرك يديه بقوة على ظهرها ليوفر لها الأمان اكثر .....الى أن قال أخيرا

"سأسافر اليوم لإتمام عمل مهم..... "

رفعت رأسها بسرعة وهي تقول بذعر " ستسافر ..... مرة أخرى ؟.... ولماذا لم تخبرني قبل الآن ؟....."

ابتسم بحزن وهو يقول " أردت أن تكون مفاجأة لك إن وافقت للعودة الي .....كنت أنوى اصطحابك معي , لكنى أرى الآن حماقة الفكرة "

تمزقت روحها يأسا وكللا ....الى متى ستؤلمه .....لم تجد سوى أن تهمس بتمزق " كم ستمكث ؟....."

رد عليها بصوتِ لا تعبير له " اسبوعين..... "

اسبوعين ؟.....لن تراه لمدة اسبوعين ؟..... وهل ستستطيع , بالكاد تحملت سفرته اثناء اجراء جرحة فارس.....

لم تشعر بنفسها حين همست شاردة متاوهة " أحبك .....يا ادهم "

ظل صامتا طويلا وهو ينظر الى عينيها الجميلتين بحزن ثم انحنى ليقبل وجنتها الناعمة وهو يهمس ملامسا بشرتها بشفتيه

" أحبك يا حلا ..... إياكِ أن تشكي بهذا أبدا "

رفعت ذراعيها لتطوق بهما عنقه وهي تودعه بقوةٍ كادت أن تفتت قلبيهما معا ..... همس ادهم بين خصلاتِ شعرها

" إن كنتِ تحتاجيني فسأبقى ..... حتى وإن لم تعودي معي "

كم أرادت أن تخبره بأنها بالفعل تحتاج اليه بشدة .....لكنها كانت على بعد خطوةٍ واحدة منه ... فلتخطوها دون أن تقفزها .....رفعت رأسها تنظر اليه من بين دموعها ثم مسحتها بيدها مبتسمة وهي تهمس بصعوبةِ محاولة التظاهر بالقوة

؛" لا ..... لا حبيبي , فلتسافر لتنهي أعمالك وحين تعود باذن الله سيكون لنا حديثا طويلا "

شعر ادهم بالتوجس وهو ينظر اليها عاقدا حاجبيه .... ثم قال متوترا " أي حديث..... "

أمسكت وجهه بكلتا يديها ثم همست أمام شفتيه ..... وعينيها لا تحيدانِ عن عينيه.....

" لم أعد أحتمل ألمك وألمي ..... حين تعود سالما ساكون مستعدة للعودة اليك "

نظر اليها بقسوةٍ ممزوجةٍ بالدهشة ثم هدر قائلا

" حلاااا ..... أقسم انني على وشك خنقك ..... الآن ؟؟.....الآن يا حلا تخبريني أنكِ على استعدادٍ للعودة معي ؟....."

ضحكت حلا قليلا ثم همست وقلبها ينتفض " لعل ذلك أفضل يا ادهم ..... بعد عودتك من السفر باذن الله ..... هذا إن بقيت على إصرارك "

همس ادهم بيأسٍ عاشق قبل أن يسحبها اليه " أيتها الغبية..... "

تعلقت به وكأنها تستمد الحياة من قبلته العاصفة التى اجتاحت كيانها كإعصارٍ عاصف .....وبعد لحظاتٍ حين أرجعها ليسندها الى الوسائد خلفها .... تململت منه متنهدة محاولة مقاومة تأثيره القاتل عليها ..... يا الهي ... ما أسهل الإستسلام له والضياع بين ذراعيه لتنسى العالم ..... لكنه كان هروبا ضعيفا ... يختفي سريعا ليعود الألم أشد من ذى قبل .....همست بعد أن نجحت في الإفلات من سطوته عليها

" اذهب الآن .....أرجوك , سأكون أفضل حين تعود .....أرجوك "

أغمض ادهم عينيه وهو يحاول تهدئة أنفاسه المضطربة ..... ثم نهض سريعا مقاوما سحرها الطاغي ..... لا بد له من أن يسافر تلك السفرة اللعينة ..... وستكون هديته حين يرجع ... أن يحصل على طفلته في بيته من جديد .....لو تعلم فقط كم يهواها قلبه وينبض بإسمها مانحا له الحياة... فقط لأنه أحبها .....حلاه وحلا أيامه.....

سار مبتعدا ناحية الباب تاركا قلبه ليرافقها وهي ممددة على فراشها كطفلة بقميصِ نومها الوردي القصير ..... لابد له ان يخرج من هنا حالا قبل ان تسيطر عليه افكاره .....لكن قبل ان يخرج من الباب التفت اليها ونظر اليها طويلا ... نظرة يشوبها الحزن

لكن مع حبٍ لا حدود له ثم قال بصوتٍ عميق حفر الالم نبراته

:" بالمناسبة .....إن سابين تبدو جميلة للغاية , لم ارها يوما اكثر جمالا..... "

ثم استدار وغادر الغرفة سريعا تاركا حلا وقد فغرت شفتيها بتأوهٍ خرج منهما وكأنها تنازع الحياة .....ماقاله .... ونظراتِ عينيه الحانيتين الحزينتين ..... آآه يا حبيب عمري لكم ظلمتك وضيعت سنواتٍ من عمرك انتظارا لي ..... دون أن أعرف لما ..... ماذا وجدت في لتظل أسير ذلك الحب الذى لم يجلب لك سوى الألم .....

.....

.....

.....

بعد اسبوع .....كانت حلا جالسة على فراشها ومذكراتها بين يديها كعادتها كل ليلة...تلك المذكرات التى كانت قد بدأت بها قبل يومٍ واحد من خروجها من القصر ...استطاعت في الفترة السابقة الحصول عليها مرة أخرى دون أن يلاحظ ادهم .... وها هي الآن بين أحضانها ... تخط فيها ما تستطيع أناملها المرتجفة خطه .....تشاركها دموعها المنسابة وحدتها .....لقد شارفت على الانتهاء , وقد آن الأوان لتضع حدا لهروبها الزائف من ادهم ..... ومن الماضي .....سيظل ماضيها سدا منيعا مخفيا بداخلها يفصلها عن ادهم .....مهما حاول هو اقناعها .....هي فقط تعرف أنه سيظل يفترسها الى أن يطير ادهم تلك الذكريات مع الرياح .....هو فقط من سيساعدها على ذلك ..وهي من ستساعده.....

كم اشتاقت اليه .....كم تتمنى أن تسمع صوته الدافىء فقط , أن ترى ابتسامته التى تنير لها الحياة طاردة شباك الألم القديم.....

لكنها لن تستطيع مكالمته الآن .... فما أن يسمع صوتها حتى يلاحظ ارتجافه و غالبا سيطير عائدا اليها ... وهي في حاجة لأن تلتقط أنفاسها بعد أن تنتهي من تلك الأسرار الحزينة التى ترسمها على الأوراق .....كانت كلما خطت سرا , تنساب دمعة ماسية على وجنتها الناعمة لتسقط من على ذقنها لتشارك سرها على الورقة الناصعة ..... كل الأوراق تقريبا بها تشوها في أحد الكلمات نتيجة اختلاط دمعتها بالحبر الذى لم يجف بعد.....

ظلت هذه الليلة تكتب وتكتب ..... الى أن حل منقذها الوحيد حاليا .... الى أن حل شروق الشمس فكانت قد انتهت من آخر كلمة والتى ترافقت مع آخر ورقة في مذكراتها .....وكانت آخر كلماتها

" سأظل أحبك يا حبيب العمر .....ولن يكفي عمري بأكمله لأعوضك عما فات , عزائي الوحيد أنني سأحيا بقربك حياتي القادمة , فوجودك هو من أحيا الأمل بداخلي بعد أن ضعت في هذه الحياة طويلا .....الى أن تلقفتني بين ذراعيك لتطهرني مما لوثني وأنا بعيدة عنك ....كم أتمنى أن أعود طفلة من جديد لأراك بعين الحبيبة ..... لأبعد خوفا من المجهول كان يعتريني حين أراك , ... والآن فقط أدركت أننى ما كنت أخاف الا ضياعي منك ..... أحبك ..... أحبك يا ادهم مهران "

كانت الدموع قد أغرقت وجهها وهي تتنهد بنعومة ناظرة الى صورة قديمة ..... لم تتذكر حتى متى التقطت لها ..... صورة وجدتها عند سما محتفظة بها فأخذتها منها قصرا بالرغم من اعتراض سما الشديد.....

كانت صورتهم وهم واقفين بالحديقة اربعتهم ....
كانت سابين تقف مائلة بإغراء وقد ظهر الامتعاض على شفتيها المكتنزتين كالعادة بجوارها سما متعلقة بذراعها كالعادة وهي تضحك بسعادةٍ وعينيها تشعانِ كالنجوم .... ويحيط بكتفيها ذراع ادهم .....لكن عينيه.....

لكن عينيه كانت ملتفتين الى الجهة الأخرى .....ينظر الى تلك الفتاة الانطواية الخجولة التى تقف بالقرب منه دون أن تلمسه .... وعيناها شاردتانِ بعيدا .....بينما نام شعرها الطويل على كتفِ واحدة ليشكل فاصلا ناعما يحول دون رؤيته لمعالم وجهها .....

هل حقا كان ينظر اليها بهذه الطريقة .... وهي من شدة غبائها و ضعف بصيرتها لم تلحظ معنى نظراته .....

رفعت الصورة الى وجهها لتضغط على وجهه بشفتيها بقوةٍ ثنت الصورة ثم همست بصوتٍ كالخيال " سامحني..... "

أغلقت مذكراتها وضمتها الى صدرها و ضمت ركبتيها اليها كما كانت تفعل حين كانت صغيرة خائفة .....ليس أمامهما الآن سوى أن تنتظره طوال الأسبوع المقبل ..... ويا لها من مدةٍ طويلةٍ ستحرق أعصابها الملتاعة عليه .....

وبعد أن مر الأسبوع الثاني .....كان كلا من ادهم مهران وحلا الراشد على وشكِ الاحتراقِ شوقا لبعضهما البعض.....

اصرت حلا على الذهاب الى المطار لتكون في انتظاره لحظة عودته ..... كان شوقها اليه قد فاق كل الحدود .... اكثر حتى من تلك المرة التى سافر لفارس .... بل

اكثر حتى من الفترة التى كانت مختفية عنه مع شقيقتيها .....لا تعلم لماذا استبد بها الشوق الى هذه الدرجة .....قد يكون شوقها للعودة اليه ؟..... لكن ..... ليس دون ان ..... ابعدت تلك الافكار السوداء عن تفكيرها حاليا.....

لا تريد ان يخرب شيء فرحتها بلقياه.....

حين ابصرته داخلا من ممر المسافرين .... اخذت تلوح له بقوة وهي تقفز و تهتف بسذاجة " ادهم .....ادهم... "

نظر اليها بدهشة حين سمع صوت هتافها ..... فاشتعلت عيناه شوقا لعدة لحظات , ثم اختفى ذلك البريق ليحل محله العبوس وهو يعقد حاجبيه ناظرا اليها بغضب وهي تقفز كالاطفال .... وشعرها الرائع يقفز معها و قد تعلقت بها عيونِ من حولها في مرحٍ واعجابٍ بطفولتها الممتزجة بجمالها المشرق.....

حدجها ادهم بنظراتٍ قاسيةٍ ذات مغزى معين علها تفهم وتكف عما تفعله ..... لكنها لم تكف فلم تلحظ غضبه اصلا حين وصل اليها قفزت تتعلق بعنقه بشدةٍ .وهي تهتف بسعادة

" لقد اشتقت اليك ..... اشتقت اليك حبيبي جدا "

...فلم يستطع مقاومة شوقه اليها فعانقها رافعا اياها عن الارض للحظةٍ واحدةٍ فقط ثم انزلها و انتزع ذراعيها برفق وهو يرى نظراتِ الحسد في عينِ كل من حوله فقال هامسا بصرامةٍ في اذنها

" توقفي عن تصرفاتك حالا يا حلا حتى لا اصيبك بعاهة ..... كم مرة انبهك الى تصرفاتك خارج المنزل "

أومأت برأسها متوقفة عن القفز وخففت من ابتسامتها الواسعة قليلا وهي تحاول الظهور بمظهرٍ وقور بينما بداخلها بركانِ مرحٍ لا يتفجر الا حين تشتاق اليه .....همست باحترامٍ زائف وهي ترمقه بنظراتٍ عابثة هزت كيانه

" لقد اشتقت اليك..... "

ظل صارما عدة لحظات ثم رقت عيناه قليلا وقال بهدوء " مع من جئت ؟....."

ردت بسعادة " جئت بسيارة اجرة .....لم احب ان يشاركني احد لحظة لقائي بك "

اصبحت ملامحه مخيفة الان وامسك بذراعها وهو يهدر غاضبا بصوتٍ منخفض

" اتيتِ بسيارة اجرة بمفردك ... وعلى طريق المطار ؟؟..... هل جننتِ ؟.. ماذا لو كان مجنونا او منحرفا ..... كيف كنتِ ستتصرفين وقتها ؟..... لماذا لم تاتِ مع السائق الخاص من المفترض انه في انتظارنا الان .... اقسم انك تختبرين صبري يا حلا "

اتسعت ابتسامتها وعيناها تطوفانِ وتتشربانِ كل تفصيلةٍ حبيبةٍ من وجهه .....همست متطلعةٍ بحبٍ اليه بعد لحظة

" لقد اشتقت اليك .....جدا.."

ابتسم قليلا من بين قسوته ثم نظر اليها بطرفِ عينه وقال "إنها رابع مرةٍ تقوليها ..... ماذا تريدين يا حلا ؟....."

ضحكت قليلا وعيناها تشعانِ حبا ... ثم همست " لا أريد الا سلامتك..... "

ضحك من عبارتها البسيطة التى تذكرها الأمهات عادة للاباء أثناء خروجهن من المنزل .... كم تليق تلك العبارات بحلاه .... خاصة وإن كانت موجهة له وحده .....

قال بغضب بعدها " لا تظني أننى سأمرر مسالة قدومك بسيارة أجرة بسهولة ....." أومأت برقة دون أن تعر بذرة خوف منه

فأحاط كتفيها بذراعه وهو يقبل وجنتها قائلا بصوت أجش صارم " هيا .....لنعد الى بيتنا "

أومات برأسها في صمت بينما قلبها يدوي بداخلها كقصف المدافع. .....

حين وصلا الى القصر بعد أن ظل الرحلة كلها ممسكا بيدها متلاعبا بأصابعها باعثا رجفة في أوصالها .....همست حلا لادهم وهما أمام القصر بتردد "

ادهم انا ..... سأعود مع السائق , لكن بعد أن أطلعك على شيء"

فنظر اليها ادهم بصدمة موجعة شرسة ثم اندفع خارجا من السيارة بعنف دون حتى ان يحاول اقناعها ..... لكنها نزلت تتبعه وهي تسحبه من ذرعه الى المدخل حتى تستطيع التحدث اليه قبل أن ترحل ..... نظر اليها ادهم بشراسة وقال بغضب

:" لقد قلت ....." لكن حلا قاطعته قبل أن يكمل كلامه وهي تضع يدها على فمه وهي تهمس

" أعلم ما قلت ..... وسأعود اليك بعد يومين "

عقد ادهم حاجبيه وقال بتوجس " ولماذا بعد يومين ؟..... لماذا ليس الآن ؟...."

ازداد لهاثها قليلا .... فأخذت نفسا عميقا لتهدىء من نفسها ثم فتحت حقيبتها المنتفخة ... لتخرج منها شيئا .....نظر اليها ادهم متسائلا ... الى أن وجدها تمد اليه كتابٍ أو مذكراتِ وردية ..... نظر اليها قليلا ثم أخذها وهو يقول مبتسما بحنان وغضبه يتراجع قليلا

" ماهذا ؟..... هل صنعتِ لي هدية بيديك ؟"

أومأت حلا ببطء وهي تنظر اليه بحزنٍ خائف ..... لكن ما أن حاول ادهم فتح مذكراتها حتى أطبقت بيديها فوق يديه الممسكتين بها وهمست بوجل

" لا يا ادهم ..... ليس الآن , أمامك يومان لتقراها , وبعدها ما أن تطلبني سأكون رهن اشارتك "

عاد يقضب جبينه متحيرا ثم قال بصوتِ اجش "ماذا بها ؟....."

ابتلعت ريقها وهي تنظر اليه بتوسل ... متمنية أن تنتزعها من يده لتحرقها بعيدا .....لكنها لن تفعل ... ليس بعد أن وصلت الى تلك المرحلة.....

همست حلا بضعفٍ تتأوه " أرجوك .....لا أستطيع مواجهتك , فقط اقرائها حين أرحل .....أرجوك حبيبي "

ظل ينظر اليها طويلا .... وقلبه يخفق بعنفٍ كقلبها , فلقد قرأ ما أراده في عينيها قبل ان يقراه في مذكراتها ..... لقد عرف ما أرادت قوله .....وشعر بشجاعتها تغلب ضعفه .....لقد آن الأوان ليستمع اليها عبر أوراقها .....ويهزم ضعف رجولته الجريحة.....

همس ادهم بخفوت أصعب ما يمكن أن يقوله

"سأعيدك بنفسي ..... لكن أريدك أن تكوني جاهزة أمام الباب بعد يومين لآتي و أصطحبك.....تأكدي من ذلك "

عرفت حلا أنه يحاول طمئنتها وبث الثقة في نفسها من أن أيا كان ماسيقرأه لن يغير شعوره ناحيتها أبدا .....فأومأت برأسها تبتسم بخوفٍ واضح على ملامحها المشتتة وعينيها تبرقانِ بدموعٍ حزينة ....فالتقطها ادهم بين ذراعيه بقوةٍ يضمها الى صدره ..... والمذكرات حبيسة بين صدريهما.....

.....

.....

.....

كان ادهم جالسا في غرفة مكتبه ..... في كرسيه الضخم الذى كان ملاذه لسنواتٍ طويلة ..... مستندا بظهره , ممسكا بتلك الحزمة الوردية بين يديه ليقرأ اولى كلماتها.....

لا أعرف ماذا أفعل الآن , فأنا لم أكتب شيئا في حياتي من قبل .... وما أكتبه لن يكون قصة بل سيكون واقعا سيئا جدا .....من أين أبدا .....أخبرتني صديقتي الوحيدة أن أبدا من النقطة التى أريدها .....فلأختار البداية التى أريد.....

و أنا أريد البداية منذ أن كنت سعيدة .... اياما كنت فيها لا يشغلنى فيها الا اللعب و الانطلاق , لم أعرف للخوف معنى.....

بلى .....عرفت قليلا ..هههههه كنت أخاف من وحشٍ له أعين رمادية دائما ما كانت تراقبني بقسوة و غموض , لا أعلم ماذا يريد مني.....

هذه هي بداية حياتي ..... أول ذكرى كانت لشخصٍ مخيفٍ ضخم يسألني بصرامة عمن أكون و ماذا أفعل هنا في هذا القصر بالذات الذى أنا فيه الآن .....يومها كنت أرقص مسحورة من هذا القصر المذهل كقصور الحكايات و الذى أخبرتني أمى اننا سنعيش به.....

ابتسم ادهم بحزنٍ وهو يتذكر حين رآها ترقص في بهو القصر .... طفلة ذهبيةِ عسلية .... بضفائر ناعمة.....

وكأن هذا اليوم في مخيلته كان بالأمس .....ذابت عيناه اشتياقا لطفلته الحبيبة .....وتابع قراءة همساتها

ترى هل لو كان والدي موجودا كانت حياتي ستختلف ..... كم أتمنى أن اتذكره , وجهه يضيع مني تماما , وصوره اختفت من كل مكان .....اتذكر أننى كنت اجلس دائما على كتفين قويتين تحملانى الى السماء وأنا اضحك بلهفة باسطة كفي اليها.....

لكن ما اتذكره جيدا أن شخصا آخر حملني على أكتافه لرؤية الالعاب السحرية .... في عيد ميلاد سابين الاسطوري بالنسبة الى باقي الاطفال والذى لم أحظى بمثله ابدا ..... يومها كنت أحاول أن أرى من وسط ازدحام الأطفال الأطول منى ولم أستطع رؤية أى شيء .....لكن فجأة شعرت بيدين حديديتين ترفعاني من خصري في لحظةٍ واحدة لاستقر على كتفين قويتين حتى أصبحت الرؤية مفتوحة أمامى تماما ..... لم أحتاج لأن انظر لأرى من كان يحملني..... فقد كنت أعلم.....

همس ادهم برقةٍ لنفسه ..... كنت انا حبيبتي ..... كما ساظل دائما .....ثم تابع.....

يوم ميلادي الثامن عشر

مد يده وأخذ يتلمس وجنتي ..... اذكر جيدا تلك الصاعقةِ الكهربيةِ التى أصابتني حين لمسني .... أحيانا

كان يقبلني على وجنتي فى أعياد ميلادى او عند نجاحي و كنت أنا اقف دائما متصلبة حتى تنتهى قبلته التى تبدو كلصق طابع بريدي على وجنتي.....

لكن شيئا ما تغير هذه المرة .....حين خفض رأسه و لامست شفتاه فكى .....كانت هذه هى المرة الأولى التى اشعر فيها اننى أصبحت امرأة , حتى أني من هول ما شعرت به أخذت انهر نفسي ..... افيقي يا حلا إنه ادهم ... هل وصل هوسك في البحث عن الحب الى هذه الدرجة .....ثم أفقت من أفكاري على صوته الذى خرج غريبا عن ذلك الذى أعرفه

"عيد ميلادِ سعيد يا حلا..... "

اتسعت ابتسامة ادهم وانتفض قلبه من ذكرى صغيرةِ لكن لم تترك عقله من يومها ..... كان على وشكِ الاعتراف بحبه لها في تلك اللحظة ..... ليته فعل .....فقط ليته فعل و لم ينتظر وهم أن يحافظ عليها لتزداد صلابةِ قبلا.....

اسكتني بنفس القبلة على فكي حتى بدى وكأن مذاقها قد أعجبه .....افقت من أفكاري المجنونة على صوتِ كان بالنسبةِ لي من اقبح الاصوات.....

" كان يجب أن تغلقا الباب..... "

انتفضت بشدة و أنا ابتعد عن ادهم و استدير لرؤيته .....سبب كل لونِ أسود في حياتي.....

طلال مهران ..... ابن عم ادهم .....ذلك العم الذى لم اعرف عنه الا انه مات في احدى المصحات بعد صراعِ مع خللِ عقلي لا سبيل للشفاء منه .....ليرحل عن هذه الدنيا بعد أن حاول الامبراطور جاهدا اخفاءه عن حياة العائلة.....

لكنه ترك نبتة مسمومة .... سممت حياتي .....طلال مهران.....

انقبض قلب ادهم وهو يقرا ذلك الاسم الكريه الذى شوه الصفحة الوردية .....ها قد بدأت الأحزان التى ذبحت روح طفلته.....

لطالما كرهته دون سبب ..... بل لم يكن هناك من احبه ابدا , لذا كان يثير شفقتي في بعض الاحيان ....الى ان عرفته تماما المعرفة .....وقتها تمنيت الموت له الف مرة .....فهل توجهت كل امنياتي ناحيته ليموت بالفعل .....هل اكون انا السبب في موته بكل ما كنت احمله من كرهٍ له.....

منذ هذا اليوم الذى راني فيه مع ادهم .....تغيرت نظراته لي , وكأنها اصبحت تحمل وعيدا وتهديدا ..... لا اعلم سببه.....

الذى اعلمه اننى بعد ان خرجت من الغرفة يومها وقبل ان ابتعد كثيرا سمعت صوتا مكتوما .... تبعه تأوه و صوت سقوط على الارض , فادركت ان ادهم ضربه بسبب ملاحظته الوقحة .....لكنى لم اعد بل صعدت السلم جريا و انا للغرابة كنت مبتسمة.....

شتم ادهم غاضبا وهو يغلق عينيه زافرا بقوة .....كيف سيكمل ان كان هذا ماشعر به من اول صفحة , ان قلبه يصرخ ويده متلهفةٍ لتحطيم شيء ما .....اخذ نفسا عميقا ثم اجبر نفسه على فتح عينيه والمتابعة وهو يقلب الصفحة.....

كنت في التاسعة عشر ....باقي فقط عدة أشهر لأدخل العمر الذهبي لكل فتاة ..... حين قرروا جميعا الحكم بإعدامي ....قرارا تناقشوه فيما بينهم دون علمي .....نظراتٍ من حولي ترمقني منبئة بما دبروه لي .....ونظراتٍ شرسةٍ ترمقني مبتسمة ٍ بزهو لشخصٍ

ذو روحٍ سوداء .....يخبرني بعينيه ...أن يوما ما سأتمنى الرحمة منه ولن يمنحها لي.....

اذكر ذلك اليوم الذى جاءت فيه امي وانفردت بي لتقول مباشرة دون مقدمات " ستتزوجين طلال..... "

لحظتها ظللت انظر اليها دون أن أفهم ما قالته ..... طلال من ؟؟..... وحين همست بالسؤال ردت علي قاطعة " طلال مهران..... "

اذكر جيدا تلك القشعريرة التى انتابت جسدي وأنا اسمع منها تلك المزحة الثقيلة .....الا إنها لم تكن مزحة , كانت واقعا أقرته مع الامبراطور .....ولا مجال للإخيار , لقدد تقرر مصيري و انتهى الأمر .....صرخت .... صرخت بشدةٍ فزعة.....

" أرجوكِ أمي ..... لا تفعلي بي هذا , إنه ..... إنه غير طبيعي أبدا , إنه يقرب لمجنون..... "

لن أنسى نظرة أمي الشرسة وهي تمسك بذراعي بأصابعٍ كالمخالب .....وتقول هامسةٍ بصوتٍ كالفحيح

" وجودنا في هذا القصر أنا وشقيقتيكِ معتمدا على موافقتك .....لقدد قرر عمك ولا مجال لمعارضته "

صرخت بشدةٍ وأنا اغمض عيني لعلي افتحها لاجده مجرد كابوسٍ بشع .....هزتني بشدةٍ وهي تقول

" انظري الي جيدا أيتها الحمقاء .....لن يكون ذلك زواجا بالمعنى المفهوم , سيكون زواجا صوريا ليجعلك صورة تحمي ماء وجهه "

فتحت عينيا المتورمتين وأنا لا أفهم تحديدا ..... ليس زواجا بالمعنى المفهوم ؟..... وما هو المعنى المفهوم ؟؟؟.....

حاولت أن أسألها بعيني الا إنها جاوبتني بشراسة قبل أن أسال " إن كنت ذكية بما يكفي ستستطيعين الاستفادة منه و الإمساك برقبته .....أنت ابنة ايثار الراشد وحان الوقت لتنالي بعضا مما نالته ..... انظري الي , انظري بسببي أين نشاتن..... "

طرأ في ذهني فجأة صورة العينين المراقبتين لي دائما فهتفت دون تفكير " لن يوافق ادهم ..... لن يوافق أبدا وعمي دائما يحترم رأي ادهم "

نظرت لي أمي بسخرية لكنها لم تستطع اخفاء نظرة الكره العميق ما أن نطقت اسم ادهم ... لحظات وقالت بهدوء ناعم

" لقد وافق صغيرتي ..... لقد أخبر والده عن موافقته قبل أن يسافر لأن طلال يعتبر .....ذراعا مهما للمجموعة ولابد من مكافاته بإجابة ما طلب ....., و بالفعل موافقة ادهم زادت من رأي والده قناعة "

وقتها عرفت أنه تم الحكم بإعدامي وانتهى الأمر .....فقد وافق الوحش .....وحش آل مهران , أهداني لذراع مجموعة مهران .....رجل الأعمال الغير نظيفة كما سمعت ذات مرة .....ومن ليخالف ادهم مهران.....

رفع ادهم رأسه عن المذكرات و أغلق عينيه قابضا بيده على تلك الورقة ليجعدها بين أصابعه .....كما قبضت قبضة الغدر على قلبه لتنتزعه من صدره

هكذا باعوها ..... وهكذا حين حاولت التشبث بأي أمل كان اسمه هو أول من طرأ على بالها .....وهكذا قتلو الأمل وأوهموها بأنه يبارك تلك الصفقة الحقيرة القذرة.....

.....

.....

.....

كانت حلا في ذلك الوقت واقفة قرب النافذة تتأمل الظلام الدامس أمامها متشبثة بالستائر الخفيفة التي تبعث بنسائم تطير خصلاتِ شعرها

تفكر والدموع تنساب على وجهها في صمت .....الى أين وصل ..... في أي يومٍ من حياتي هو يقرأ الآن ..... ماذا يشعر , بالشمئزاز مني ؟؟.....لا ... لا .... ليس ادهم . أنا أثق به ...أثق في حبه لي .....لكني اخشى عليه من تلك القذارة كلها.....

جلس ادهم على الأريكة الموجودة في مكتبه والتى شاركته حبه لحلاه عله يرتاح من ذلك الألم النابض في رأسه .....أخذ نفسا ليتابع وشوشاتِ حبيبته اليه

لا أصدق حتى الأن السرعة التى أتموا فيها كل شيء ..... وفي طرفةِ عين .... أصبحت حرم طلال مهران .....لقد أصر على إقامة حفلِ زفافِ أسطوري ..... ليخبر العالم كله أنه اشتراها .... وحرص على أن يصل الخبر الى كل الجرائد والمجلات ..... حتى يعلم من كان هدفه من البداية .....كان يراقصني ويديه اللزجتين تسيرانِ على خصري وظهري مرسلا رعشة نفورٍ فطري في نفسي منه ....وأخذت أعد الدقائق لنتهي تلك الليلة البائسة .... والتى شهدت موت حلمي بفارس الأحلام الذى سيخطفني يوما.....

حين صرنا بمفردنا بعد كل تلك المهزلة المسرحية .....جذبني اليه بقسوة لينظر الى عيني طويلا ..... دقائق طويلةِ وهو ينظر الي بكرهِ عميق مع ابتسامة تشفي .....بينما انا الهث منتظرة ان يتركني كما وعدتني امي .....الى ان همس اخيرا بشراسةِ مرعبة

" ها قد اصبحت ملكي .....و قبل ان يرمش فارسك بعينه "

اتسعت عيناي وانا لا افهم شيئا من الجنون الذى ينطقه .... استطعت ان اهمس برعب بصوتٍ تقريبا غير مسموع

" من..... فارسي هذا ؟....." اذكر ضحكته القميئة التى انطلقت عاليا .... طويلا .... الى أن سعل بشكلٍ يؤذى الناظر اليه ثم قال بصوته الكريه اخيرا

" ادهم مهران يا صغيرة .....من اقسم على أن تصبح ابنة ايثار الراشد ملكه ليرميها بعد ذلك الى الطريق التى اتت امها منه "

لم افهم كل ما كان يهذي به .....الا إنني استشعرت بقذارةٍ في ما كان ينطقه .....لم أجد سوى أن أهمس بحيرة

" أنت تهذي ..... ما دخل ادهم ....." الا إنني لم أستطع اكمال كلامي حين رفع يده وهوى بها على وجهي لاسقط أرضا من شدة صفعته .....شهقت ونظرت اليه برعبٍ وقد تحول فجأةٍ من مجرد شخص مثير للاشمئزاز ....الى شيطانٍ بشع.....

لم تخرج حتى صرختى من فمي ..... ظللت اتطلع اليه برعب ... الى ان انحنى ليجذبني من ذراعي وينهضني على قدمي ... متشبثا بي بقسوةٍ وهو ينظر الي بكره ... ثم قال بصوته المرعب

" اياكِ يا ابنة ايثار الراشد ان تتفوهي باي كلمةٍ لا تعجبني ..... هل فهمتِ ؟..... أم أعيد عليكِ شرح ما قلته بالأفعال ؟"

أومأت برأسي بسرعة وأنا انظر اليه بذعر بينما وجنتي تشتعل سخونةِ من يده التى بدت كمطرقةِ ضربت وجهى.....

امسك بذقني وهوينظر الى مكانِ صفعته مبتسما ثم انحنى ليقبلني عليه وهو يهمس بشر

" ترى ماذا سيقول ادهم الان لو عرف انني ضربت فتاته الصغيرة ؟....."

انسابت دموعي بشدةِ وانا ارتعش بين ذراعيه وتمكنت من الهمس محاولة ان افهم بالرغم من شدة رعبي

" ما دخل ادهم ؟..... الم يوافق على زواجنا ؟....."

عاد ليضحك ثانية بشكلِ اعنف وابشع ثم قال من بين ضحكاته ...." يبدو انكِ غبيةِ بالفعل كما يقال عنكِ ..... الم تري الرغبة في عينيه وهو ينظر اليكِ .... الم تستشعري بها في لمساته على جسدك الجائع لها "

ارتعشت بشدةِ وهززت براسي نفيا لما يقوله .... لا ارغب في تصديق ما يقوله .... لا اجرؤ على فهم ما سمعته.....

لم يحتج الى ان يسالني عن سبب نفيي فقال بصوتِ قذر وهو يقترب من وجهي

" بلى يا صغيرة .... كان يرغبك بشدة و أدفع عمري كاملا الآن لأرى وجهه حين يعرف أنني فزت في رهانِ غير معلن بيني وبينه عليك "

انتفض قلبي وشعرت بروحي تكاد تخرج من جسدي .....وأنا لا أعلم ماذا أصدق بعد الآن .... هل كنت المكافاءة في صفقةِ بيع ... أم كنت جائزة رهانِ بين عملاقي آل مهران.....

نعم .... نعم كان ينظر الي بطريقةٍ غريبة ..... وتذكرت لحظتها كلمته الى أمي حين صفعتني .....حلا بالذات تخصني.....

كان تهديدا مباشرا من ادهم مهران ..... لقد قال أنني أخصه وهو بالفعل يكره امي ودخولها الى القصر ..... هل كنت عمياء وأظنه اخي دائما ؟.....

واثناء شرودي الذاهل شعرت بطلال يتقرب مني و يتلمسني بيديه .....صرخت وذعرت اكثر حاولت التلوي بين ذراعيه بعنف , الا انه كان اقوى مني .....صرخت استجديه

" أرجوك لم يكن هذا ما اتفقت عليه مع امي ....."

وكأنني لحظتها أشعلت نارا من الشر الأسود في عينيه ..... وكانت تلك بداية ليلةٍ سوداء في حياتي .... تلقيت فيها صفعاتٍ بعدد ٍ اكثر من سنواتِ عمري ..... الى أن حل شروق الشمس ..... وقتها فقط تركني دون يحصل على اية نتيجةٍ مرجوة ..... اتذكر شكله الاسود والاشعة الرمادية متسربة من حوله ..... ينظر الي بشراسةٍ ..... بصق على وجهي باشمإزاز ثم غادر الغرفة .....

وكانت تلك الليلة هي اولى ليالٍ مرت علي بنفس الصورة .....وانتهت نفس النهاية ..... يصرخ بي أني السبب , يضربني و يبصق علي ثم يغادرني مع شروق الشمس يائسا .....واظل انا ملقاةً على الفراش اتطلع لاشعة الشمس الخجولة ..... واتمنى الا يطول عمري لاراها غدا.....

اغلق ادهم المذكراتِ بعنفٍ وهو يصرخ بكل اللعنات .....قام من مكانه راكلا الكرسي ليضربه بالحائط ..... يغرز اصابعه في شعره يكاد يقتلعه ..... يغمض عينيه

لعله يستطيع تهدئة انفاسه الغاضبة ..... لماذا يا حلا ..... لماذا حبيبتي تقتليني الان ..... وكيف اهدا وقد غادر ذلك المجنون عالم الاحياء.....

صرخ ادهم بصوتٍ هز أركان المكتب ..... لمااااذاااا يا حلاااا ؟؟؟؟..... استند بكفيه على الجدار واحنى راسه لاهثا هامسا

لماذا يا حلا ؟..... لماذا حبيبتي.....

.....

.....

.....

كانت حلا متكورة على فراشها تبكي وتشهق وقد فقدت السيطرة على نفسها ..... ما الذى فعلته ولماذا ؟؟؟..... الم يكن أهون أن تدفن الماضي ويكفيه ماعرفه ..... كيف سيتقبلها بعد ذلك ..... وأن تقبلها كيف يشعر كلما نظر الى عينيها ..... بالغضب ... بالشفقة ... بالنفور .....هل يستطيع حبه أن ينتصر على كل ذلك .....

غطت وجهها بكفيها واخذت تشهق بصوتٍ عالٍ .....

.....

.....

.....

ارتمى ادهم جالساعلى فراشه .... مرهقا ممزقا بداخله ....يريد الاستسلام ورمي تلك المذكراتِ بعيدا ..... لكنه لا يملك الجرأة يكفيها انها كانت من الشجاعة بحيث استطاعت كتابتها كلها....

اغمض عينيه ثم فتحهما لينظر الى المذكرات الملقاة بجواره على الفراش امسكها بضعفٍ وتنهد بقوةٍ وهو يفتحها ليعاود القراءة

كنت اظن ان احتمالي لقسوة وبشاعة طلال ونحن بمفردنا هو كل ما ساتحمله ..... استطيع التعايش مع الالم ..... استطيع هذا .... استطيع تحمل لسعاتِ حزامه .... صفعاته .....سماعه وهو ينعتني بابشع الالفاظ .....ادعو الله كل ليلةٍ ان ينجح في اثباتِ رجولته عله يمل مني ويتركني لكن ذلك اليوم استمر في التاخر ... طويلا .... طويلا.....

لكن ما لم احتمله حقا هو جري الى مجتمعٍ فاسق .... لم اتصور يوما بوجودِ مثله في هذه الحياة .....اول حفلِ حضرناه كما سماه هو كان بالخارج ..... في منزلِ لاناسٍ فاحشي الثراء .....لاعرف كيف عرفهم ..... وهل يعقل ان يكون شخصا كطلال له القدرةعلى جذب كل هذا العدد الضخم من الاصدقاء ..... فقد كان هذا المنزل مليئا بعشراتِ الازواج ..... متفرقين في الطابقينِ معا ..... حين دخلت اليه اول مرةٍ .... رمشت بعيني عدة مرات لاستوعب ما أرى ..... في كلِ ركنٍ يوجد زوجانِ في اوضاعٍ مخجلةٍ اذهلتنى .... التفت الى طلال هامسة برعب " أريد الانصراف ..... "

قبضت يده على خصري بقسوةٍ جعلتني اشهق ألما وانا اغمض عيني ..... وهمس في أذني " لا تتحركي والا رأيتِ من الالم ما سينسيكِ اسمك "

ارتعبت منه كالعادة .... وأومات برأسي منهزمة بذلِ وانكسار .... ودخلنا ذلك المكان القذر معا ..... عرفني على بعضٍ منهم .... متزوجين .... ارتحت قليلا ..... لأصدم بعدها بأن الزواج لم يكن أبدا حاجزا يحول دون انحدارهم لمستوى اقل من حيواني.....

شعرت بالغثيان .... أردت الهرب .... لكن الى أين .... وقد فعلتها سابقا وحاولت , فوجدني قبل أن أنجح في الابتعاد كثيرا وكان مصيري أسوا من الموت كما قال .....

عرفنى الى رجلا غريبا في شكله ومظهره .... مضجعا على أريكةٍ وثيرة .... تحوم من حوله فتياتٍ في نصفِ عمره .....يرتدي سلاسل عديدةٍ ذهبية .... الكل يركض لخدمته.....

ذهلت حين اقترب طلال منه ثم انحنى ليقبل يده!!!! ..... جرت نظراته القذرة علي من رأسي الى اقدامي ... بتمعنٍ وقح.....

شعرت لحظتها بالخوف ..... كان من الحماقة أن أشعر بالخوف وزوجي معي .....لكن وجود طلال بجانبي أخافني اكثر , خاصة وهو يرى تلك النظرات ولا يحرك ساكنا بل ينظر الي استخفاف وكانه لا يهتم ..... بل هو لا يهتم بالفعل.....

تعددت الحفلات ... وازداد غثياني ... وبعد ان كنت اكتفي بدورِ المشاهدة ... تحولت الى دور المشاركة .... ومنه الى البطولة .... مرغمة لا مخيرة .....قبلاتٍ ومشاهد مع طلال تثير اشمئزازي ..... رقصا ارغمنى عليه لأرفه عنهم كل ليلة ..... يشاهد من يشاهد ويصور من يصور.....

كنت أموت وانا حية كل ليلة ..... اتمنى ان ياتي من ينقذني ..... ودائما ماكانت تظهر صورة ادهم في مخيلتي ..... بالرغم من كلِ ماقاله طلال عنه الا انني كنت شبه متيقنة من انه ليس بتلك الصورة ..... وأنه إن عرف ما أتعرض له في هذه البلاد البعيدة كان ليأتي الي مسرعا ..... لكنى أيضا كنت انهر انفسي و اسالها متى ستكبرين وتعرفين العالم الحقيقي ..... لم تكوني

يوما اختا لادهم .. ولم يكن ليهتم بما يصيبك .... لو كان يريدني مثلما قال طلال لكان جاء باحثا عني ..... الا ان كانت رغبته في لا تزيد عن تلك النظرات التى يرمقونني بها رواد هذه الحفلات ..... مجرد بضاعة معروضة.....

ترتجف يدي الآن وأنا على وشك الكتابة عن تلك الليلة التى كدت أن استقبل الموت فيها باذرعٍ ممدودة ..... حفلا آخر .... لكن نظراتِ كره أعمق واشد من طلال .... ماذا فعلت له ليرمقني بهذه النظرات .....كنت أشعر ان هذا الحفل سيكون مختلفا وأنه يدبر لي شيئا .....اصطحبني الى أحد الغرف في الطابق الثاني بحجة انه يريد شيئا ..... تركني وأمرني ان انتظره .....لأفاجأ بالرجل ذو السلاسل الذهبية يدخل مغلقا الغرفة .....حاولت الهرب ..... حاولت الصراخ .لكن من يسمع في هذا الصخب العالي ..... ناديت على طلال برعب .... الا أن هذا الحقير همس في اذني ان طلال يعرف ولا يملك حق الاعتراض .....وفي قمة ياسي ومعرفة انني وقعت في فخٍ لا مهرب منه و بعد عدة ضرباتٍ منه تظاهرت بمجاراته ..... وما أن افلتني قليلا حتى جريت منه وأنا ممزقة الملابس ودون تفكيرٍ قفزت من النافذة الى الحديقة.....

رحبت بالألم ..... رحبت به مبتسمة متمنية زوالِ عذابي أخيرا ..... لم أنوى الانتحار يوما , لكني ليلتها لم أختر الهرب من الباب .... اخترت القفز من النافذة لعلها تكون النهاية اخيرا.....

سقطت دمعة على كلمة النهاية ..... وكانت معجزة أن دمعت عينا الوحش ..... رفع ادهم راسه لينظر الى النافذة ..... لقد جاء الشروق ..... إنه وقت طفلته .... ترى هل هي نائمة أم مستيقظة تنتظره.....

كان الباقي من مذكراتها .... ندما وألما .... حزنا ومحاولاتِ يائسة للهروب .... موت طلال المفاجىءو الغير معلنة أسبابه.....

الى أن جاءت الصفحات الاخيرة ..... كلمة تردد صداها في معظم سطورها ..... ادهم ..... ادهم ..... ادهم .....

عاد لينظر الى الصورة التى الصقتها في نهاية مذكراتها .... صورتهم معا وكانت هي في الثامنة عشر .... يتذكر تلك الصورة جيدا ....يحتفظ بواحدةٍ في درج مكتبه ليطالعها كلما اشتاق اليها ..... رفع المذكرات اليه ليقبل صورتها برفق ..... ثم أعاد قراءة الكلمات الاخيرة للمرةِ العاشرة

"والآن فقط أدركت أننى ما كنت أخاف الا ضياعي منك ..... أحبك ..... أحبك يا ادهم مهران "

نهض ادهم بعنفٍ مندفعا ليرتدي ملابسه ..... لقد مر يوما واحدا من المهلة التى منحتها له لكنه سيكون ملعونا ان تركها للحظةٍ واحدةٍ اخرى.....

اندفع نازلا السلم وهو يغلق ازرار قميصه ..... الى أن وصل للباب ففتحه وخرج.....

لم يصدق نفسه حين شاهد ذلك المنظر أمامه .....
كانت حلا جالسة على درجات المدخل رافعة ركبتيها الى صدرها تضمهما بذراعيها بشدة.... دافنة وجهها بين ركبتيها ..... تبدو كطفلةٍ مشردةٍ وهي ببنطالها الجينز وشعرها المتهدل المنساب على ظهرها.....

همس متأوها " حلاااا..... "

رفعت رأسها بذعرٍ تنظر اليه بعينيها المتورمتين من البكاء.....وقفت متعثرة.....همست بعد عدة محاولاتٍ فاشلةٍ للكلام.....

" أنا ..... أنا لم استطع الانتظار "

اندفع اليها صارخا باسمها ليجذبها بين ذراعيه رافعا إياها عن الأرض وهي تتعلق بعنقه شاهقة ببكاء عنيف.....

ظل حاملا اياها وقتا طويلا لم يستطع أيا منهما تحديده .....الى أن رفعت رأسها اليه تنظر اليه من بين شهقاتها .....وهمست

" أحبك ..... أحبك يا ادهم مهران "

بان الألم جليا على وجهه ليهمس في أذنها بكلِ عشق العالم

" أحبك يا حلا الراشد..... "

نزل برأسه اليها ليسحق شفتيها بإعصاره المهراني مدمرا الماضي بقبلة ...فقط بقبلة ... هكذا شعرت .... هكذا أخبرتها قبلته .. تعلقت هي به لتنهل من حبه.....

انحنى ليضع ذراعا تحت ركبتيها ليحملها في حركةِ واحدةِ .....ثم نظربعشقٍ حزين الى عينيها المتورمتين الحمراوين وهمس

"اذن يا سيدة حلا ..... لديك الكثير لتعوضيني عنه "

ضحكت من بين بكائها وهي تومىء موافقة ..... دون أن تجد القدرة على الحديث .....ضحك هو الاخر وهو يغالب دموعِ تحارب لتظهر في عينيه .....دخل بها الى القصر ثم همس في اذنها

" الم تشتاقي الى مكتبي .....يا أم حفيد مهران "

ضحكت عاليا وهي تمسح دموعها بيدها هامسة " نعم اشتقت اليه جدا ..... هل ستأخذني في جولةٍ سياحيةٍ اليه "

ابتسم دون أن يجيبها ..... فقط قبلة أخرى أعطتها الجواب .....

الفصل الثامن و العشرين

" لا أصدق أنهما تركتاني بمفردي ..... و ركضتا خلف اشارة من زوجيهما "

كانت سابين متربعة على الاريكة الوثيرة مرتدية إحدى بيجامتها المريحة بعد يومِ عملِ متعبٍ طويل ..... رافعة شعرها باهمال في كرةِ غير متناسقة تتساقط منها الخصلات الناعمة بحرية ..... ممسكة بوعاء الشوكولا المخفوق تتناوله بملعقةِ كبيرة ..... تفكر بحنق ...تنظر حولها الى ذلك الفراغ العملاق ..... بداخلها عميقا تشعر بقليلٍ من الألم والاحساس بالخيانة .... كيف تركتاها سما وحلا .....انها في حالةِ مريعة الان .... طوال اليوم تتظاهر بأنها على اتم صحةِ وثقة..... لازالت تذهب الى مقر الشركة الى الآن .... تحاول الظهور بسعادة بين عملائها الذين يتزايدون ببطء كل يوم ..... لكنها تخلت عن الملابس الرسمية فاصبحت ترتدي بنطالها الجينز الملائم للحمل تعلوه قمصانها الفضفاضة الملونة بالوانٍ ناعمة .... حتى شعرها في معظم الاحيان كانت ترفعه على هيئة ذيل حصان .... حين تذهب لمقابلة عمل مهمة لم تكن تهتم بتغيير مظهرها البسيط الجديد عليها ... فقط نظارتها ذات الاطار الاسود هي التى كانت ترافقها من مظهر سابين القديمة.....

ورجال الاعمال الذين تجتمع معهم ينظرون اليها بملابسها الغير رسمية وبطنها المتكورة بمرحٍ وذهول ... لا يلبث ان يتضاعف ما ان تبهرهم ببساطة افكارها وبراعتها .... حتى شخصيتها تغيرت بصورةِ غريبة فاصبحت مرحة لطيفة تسحر كل من تجتمع بهم بهيئتها الطريفة .....حتى ان العاملين معها كانو ينظرون اليها ببلاهةِ اثناء ذهابها وايابها بينهم

بضحكتها المرحة و تعليقاتها اللطيفة .... الا ان ذلك المرح كان يخفي الما يظهر ظله في عينيها الجميلتين المائلتين حزنا.....

و في ظرف ثلاثة اشهر كانت قد حصلت على عدد قليل من العملاء ... اقامت علاقات طيبة مع معظم رجال الاعمال .....نجحت في صفقتين تعتبرا هامتين للغاية ..... حتى ان واحدة منهما كان من المفترض ان تكون من نصيب مجموعة مهران ..... لقد راهنت نفسها على ان تحصل على تلك الصفقة ..... وتعبت كثيرا الى ان اقنعت هذا العميل الهام ..... وما ان مضى العقد حتى كانت على وشك القفز اليه واحتضانه من نشوة الانتصار التي تشعر بها .....وتمنت ان يمر الوقت سريعا لترى وجه احمد الذى تتخيله وهو على وشك الانفجار من الغضب لتجرؤها على نيل هذه الصفقة .....

الا أن الأيام مرت و نشوة الانتصار ضاعت..... لم يهتم ..... ولم يأتي ..... ترك لها هذا العقد وكأنه يسخر من انتصارها الهزيل بصمته ..... أكانت تتمنى الفوز بهذا العقد فقط من أجل أن تراه ؟.....

ماهذا الجنون الذى تفكر به ..... نهرت نفسها بشدة .....إنها لا تتمنى رؤيته أبدا ..... احمد مهران كان حكاية قديمة وانتهت.....

عاشتها بمرارها وبجنونها ..... الا أن لكل شيء نهاية .....

لم تهتم ابدا بالنظرات المحدقة في بطنها المتكورة و التساؤلات التى تدور في الاذهان عن مدى صحة الخبر المنتشر بوقوع الطلاق بينها وبين احمد مهران.....

انها تتعمد ان تتقبل تلك النظرات بثقة مزيفة بالنفس ... نعم مزيفة .... لاول مرة في حياتها تشعر بمثل هذا

الانهزام ..... منذ شهور و احمد لم يهتم ولم يحاول حتى السؤال عنها.....

لا تصدق انها في لحظة ضعف كانت قد نوت ان تعطي زواجهما فرصة ... قبل تلك المرة المشؤمة التى رأته فيها لآخر مرة ....عاشت في الوهم للحظة واحدة .... كان يجب عليها ان تدرك انها واحمد كقطارين تقابلا في نقطة واحدة ثم اكمل كلا منهما طريقه ... ولا مجال للعودة ..... ضربتها هذه الكلمة بقوة في صدرها .....لا مجال للعودة .....الغريب في الأمر أنها لا تشعر بالحقد عليه .... لقد حاول وحاول ..... رجل بمثل شخصية وعقلية احمد مهران....

حاول كثيرا في الوصول اليها ... او بمعنى أصح " في ايصالها اليه ..." .....وفي اعماقِ نفسها اعترفت انها وافقت موافقة سرية على محاولة الوصول اليه ..... هل حقا كانت تخدع نفسها و تظن انه قد نجح في ترويضها منذ اول يوم في زواجهما ؟؟

بالتاكيد لا ... وهي تستطيع ان تعترف لنفسها الأن .... لم تبذل قصارى جهدها في محاربته و كسر قيوده التى كان يحاول فرضها عليها ..... بعد الصدمة الاولى ... ومنذ اليوم التالي لزواجهما وحين اخبرها بثقة ان زواجهما لم يكن تمثيلا او خداعا وأنه لا ينوى أن يحررها منه .....لن يحررها منه ..... سكن قلبها في هذه اللحظة شعورا غريبا لم تسمح له في الظهور بعينيها.....

هزتها كلمتة التى انطلقت بثقة تامة في وسط حربهما الشعواء ..... في كل لحظة من غروره وحماقته كانت ترى هذه الكلمة تنبعث من عينيه من جديد بكل عنجهية ..... وقد كان هذا يدفء قلبها الخائن.....

الا تلك اللحظة التى قذف فيها بسهمه المسموم اخر مرةٍ راته فيها ..... لحظتها لم تجد تلك الجملة تنبعث من عينيه .... بل شاهدت النهاية.....

" اتحتاجين لشيء سيدة سابين ؟....."

رفعت سابين نظرها ببطء لتنظر الى تلك الشابة البسيطة الملابس التى تقف أمامها مبتسمة تنظر اليها ببالٍ خالٍ من الهموم .... إنها امتثال ..... الوحيدة التى وافقت عليها سابين من بين العديد من الخادمات التى جاء بهن ادهم لمساعدتها.....

والآن هي تسأل نفسها بغضب عن السبب.....

اتسعت ابتسامة امتثال وهي تسال سابين

" سيدة سابين الم تسمعيني ... سألتك إن كنتِ تريدين شيئا ... الن تكفي عن أكل الشوكولا ... انه وعاء عائلي ... صحيح أن وزنك لم يزيد عن الحد المسموح به في هذا الشهر ....الا إن هذا لا يمنع انكِ تأكلين كثيرا وخاصة الحلوى , في لحظةٍ واحدة ستجدين وزنك قد تضاعف دون أن تتداركي الموقف "

ظلت سابين تنظر اليها بصمت وهي تلعق المعلقة الكبيرة .... وتسأل نفسها للمرة الالف .... لماذا وافقت على امتثال تلك , إنها على وشكِ أن تقتلها أو أن تخنقها.....

انها تقريبا في نفس عمرها جذابة ومتناسقة ... ويرتسم المرح على ملامح وجهها , كما انها فضولية وتتدخل فيما لا يعنيها بشكلٍ لا يطاق.....

قالت سابين ببطء و وهي تحاول الا تقفز عليها لتنشب مخالبها في عنق تلك المسكينة

" ماذا تريدين يا امتثال ؟....."

اتسعت ابتسامة الشابة بسذاجة وهي تسرع لترمي نفسها جالسة قرب سابين على الاريكة .... بينما سابين ترمقها وهي تتربع بحريةٍ وكانها في بيتها تماما .....قالت امتثال بسعادة

"لقد انهيت اعمال اليوم , فاحببت أن أسليكِ قليلا , استطيع أن أرى شعورك بالملل ..... لماذا لا تتحدثين غالبا , أنا لا اطيق البقاء صامتة لفترة تزيد عن الدقيقتين .... أظن أن ..... لا حول ولا قوة الا بالله , اخبرتك أن الاكثار من الشوكولا ليس مفيدا لكِ في هذه الفترة ... هاتِ يكفيكِ ما تناولته الى الآن "

نظرت سابين الى يد امتثال التى امتدت لتأخذ منها الوعاء تاركة لها الملعقة لتلعقها ..... هل تقتلها الآن .... انها في أمسِ الحاجة لأن تقتل كائنا حيا , وامتثال تبدو الخيار الأمثل.....

تناولت امتثال جهاز التحكم لتتنقل بين قنوات التلفاز بحرية .....وهي تقول بسعادة

" أعرف تلك الفترة من الحمل ... إنها الفترة الاصعب و الأثقل , تشعرين أنكِ مللتِ من نفسك ومن العالم , وتودين أن يقوم احدهم بتقشيرك من على الطفل من شدة اشتداد بشرتك ... لقد مررت بهذه الحالة في الثلاث اطفال .... كنت اكره منظري كل مرة , لكن زوجي هو من كان ينظر الي ضاحكا ويخبرني كل مرةٍ أن هذا الطفل تحديدا قد زادني جمالا عن سابقه ..... بالرغم من عمله الشاق كعامل بناء . الا انه حين أكون في فترة الحمل لا يتركني ابدا ويظل يرعاني و يدللني .... لا تستطيعن أبدا ادراك سبب تلك الحالة التى تنتاب الازواج حين يكونون في انتظار طفل ..... هم نفسهم يتحولون الى اطفال ولو استطاعو لجلبو لنا نجوم السماء..... "

بقت سابين تنظر اليها بصمتِ تام وهي واضعة المعلقة في فمها وكأنها نسيتها تماما .....بينما تابعت امتثال

" االاه كم ذكرتيني بتلك الفترات السعيدة الطريفة حين يحاول الجميع تدليلي على غير المعتاد .....متى سيعود زوجك من السفر سيدة سابين , لم أره منذ أن أتيت الى العمل هنا "

فتحت سابين فمها لتجيب ..... الا إنها عادت لتغلقه , ستكون محترمة وتمنع نفسها عن القاء اللفظ البذيء الذى كانت على وشكِ التفوه به ... لقد مضى زمن اللسان السليط ولابد لها أن تعتاد حياة الامهات المحترمات .....عدت الى العشرة ثم اخذت نفسا عميقا واجابت بعدها بصوتِ قد يجمد اي شخص من شدة برودته

"انه .... في عملِ هام ..... لكنه ..... يطمئن علي وعلى الطفل هاتفيا كل ليلة "

نظرت اليها امتثال بحيرة لعدة لحظات ثم قالت تتسائل

" هاتفيا ؟؟..... لكن الاتصال لا يعوض غيابه , انا زوجي بالرغم من مشقة عمله الا إنه كان متواجدا اكثر خلال حملي في الثلاثة اطفال , كان مجرد منظر بطني المنتفخة يشعره بالسعادة , ويعد الايام حتى مجيء الطفل , لكن لأكون عادله ... انه دائما مهتم بي قدر استطاعته .....في حملِ او في غيره .....حتى انه يبدو مثل الطفل الضائع بدوني..... "

ظلت سابين تنظر اليها بوجوم دون ان يظهر اي تعبير على وجهها ..... تتامل امتثال البسيطة امامها من شعر

رأسها المغطى بوشاحٍ ملون .....قالت سابين بصوتٍ لا تعبير له

" ولماذا اذن سمح لكِ بالعمل في بيوتِ ناسٍ اغراب بل والمبيت لديهم ايضا؟..... مادام هو يضيع كالطفل بدونك "

اهتزت ابتسامة امتثال قليلا لكنها قالت بتردد

" الحياة صعبة يا سيدة سابين ونحن لدينا ثلاثة اطفال يحتاجون الى دخلٍ كبير .... لن يستطيع ان يتحمله وحده .... وأنا لا أعمل الا لدى اسرٍ موثوق بها ..... تماما مثلك .....لم يكن زوجي ليوافق الا بعد التأكد من البيت الذى سأعمل به .....لكنه ذلك لا يمنع انه غير سعيد بعملي اطلاقا .. حتى انه اشترى لي هذا ..... انظري.... "

نظرت سابين الى امتثال التى مدت يدها الى جيب تنورتها البسيطة واخرجت هاتفا متنقلا بخس الثمن للغاية .... الا انها كانت تنظر اليه بانبهار وسعادة وكانما حصلت على نجمة من نجوم السماء .....تابعت امتثال تقول بسعادة

" لقد اشترى هذا الهاتف خصيصا ليطمئن علي كل ساعة ..... من كان يظن ان يصبح لي هاتفي الخاص أخيرا , مع اني لا أجيد استعماله تماما حتى الآن الا انني استطيع الرد عليه حين يطلبني .... من الرائع أن أسمع صوته كلما أردت , أنا ايضا الاتصال لا يعوض غيابي عن البيت ....لكن ما باليد حيلة .....والمهم انه يثق بي .....,, لكني لا ارى زوجك يكلمك كثيرا يا سيدة سابين ... هل هو منشغل الى هذه الدرجة ؟؟....."

استمرت سابين في النظر اليها بوجوم ثم قالت بصوتٍ خافت بطيء

" لا .... انه ليس منشغلا الى هذه الدرجة , ... إنه يكلمنى دائما لكن في الاوقات التي يعرف أنني بمفردي فيها و يكون متلهفا لسماعِ صوتي ..... نحن ..... نطيل الكلام معا ..... يسألني عن حالة الطفلة ويطمئن عليها ..... يسال عني ..... إنه يريد أن يعود اليوم قبل غد ..... لكن .....كما قلتِ ما باليد حيلة .....الحياة .....صعبة .....انا ايضا زوجي يثق بي ثقة عمياء .....هو ليس هنا ..... لكنه متأكد من أنني لن أخذله أبدا..... "

فتحت امتثال فمها تريد الكلام وقد استهواها ان تتكلم معها سابين بهذه الاستفاضة ... الا أن رنين هاتفها الصغير قاطعها فابتسمت كطفلةِ صغيرة وهي تنظر الى اسم زوجها الحبيب ....صبري.....

فاعتذرت لسابين بابتسامة وقامت مبتعدة لترد عليه .... بينما ظلت سابين تراقبها ..... تنظر الى همساتها وابتساماتها ..... انبهارها بالهاتف الجديد ... حتى انها حين تتكلم توجهه الى فمها خوفا من الا يصل صوتها الى زوجها.....

تناولت سابين وعاء الشوكولا التى تركته امتثال خلفها على الاريكة ... وعادت لتأكل منه في صمت وهي تتابع امتثال وكأنها تتابع مسلسلا في التلفاز .....تلعق المعلقة ... بينما تلف خصلة من شعرها على اصبعها بشرود .....

لا تعلم لماذا اثارت امتثال اهتمامها الى هذا الحد ..... لماذا تشعر بالرغبة في سماع ما يقوله زوج امتثال في هذه اللحظة .....لم تهتم يوما باهتمام ادهم بحلا ..... او المجنون فارس بسما ..إن كان يعرف معنى الاهتمام أساسا.....

الا ان امتثال .... تثير .... غيرتها بشكل فظيع .....
امتثال زوجة صبري ..... مالذى تمتلكه ولا تمتلكه سابين ؟؟..... صبري .. عامل البناء البسيط ... الذى يشقى هو وزوجته ليل نهار من أجل اطفالهما.....لكنه لا ينساها أبدا ..... يغار عليها ..ممكن .....لكنه يثق بها ..... يخاف عليها ويتمنى إن كان بمقدوره رحمتها من العمل في المنازل وخدمة الأغراب.....

كل هذا استشفته من حديث امتثال الذى لا ينقطع .....عن زوجها وعن الهاتف الجديد ..... كل يوم تقريبا تلوح به أمام سابين ... لتعود وتخبرها من جديد عن تلك الهدية الجبارة وكان سابين لازالت لا تعلم .....

يالهي .... ما الذى تفكر به .... انها بالفعل على وشك الإصابة بالجنون .....إنها تغار من امتثال وصبري .....

انها في مثل سنها .... لديها ثلاث اطفال تتركم لدى جارتها الى أن تنتهي من العمل ..... الا أن الحال اختلف بعد أن اصبحت تعمل لدى سابين فصار الأولاد ينامون لدى الجارة .....الراتب الذى حددته سابين مغري جدا .... لم تتقاضاه امتثال في كل البيوت التى عملت بها مجمعة .....لذا لم تستطع المقاومة ..... خاصة وإن طفلها الاوسط مريض ويحتاج الى علاجٍ دوري ..... وتكاليف العلاج باهظة بالنسبة لهما.....

كل هذا .... ولا تزال امتثال تثير غيرة سابين .....كلامها عن رقة زوجها تشعرها بالاختناق ..... تريد ان تتذكر اي موقفٍ رقيق لتحكيه لها هي الاخرى عن ..... احمد.....

لكنها لا تجد سوى القسوة و وغيرة هي الاسم المحترم لانعدام ثقته فيها .....لقد اعطته عذره ... حقا

حاولت .... لكنه في النهاية لم يستطع التعامل مع حياتها السابقة.....

ربتت على بطنها المتكورة وهي تنظر اليها ..... لتهمس بحزن " لقد ظلمتك قبل حتى أن أعرفك..... "

رفعت نظرها مرة اخرى لتنظر الى امتثال التى بدت حزينة الان وهي تهمس همسة وصلت الى اسماع سابين المراقبة لها

" أنا ايضا أتمنى لو كنت معكم .....لكن ما باليد حيلة "

شعرت سابين بقبضةٍ من جليد تعتصر قلبها فجأة .....وهي ترى المعنى الحقيقي للابتعاد بالقوة الجبرية .....

شردت وتذكرت حين حملها احمد ودخل بها الى بيته وتالا تقفز من خلفهما صارخة تقفز بمرح .....تذكرت حين كان كلا من اميرة واحمد وتالا ينظرون الى بعضهم بنظراتٍ متامرةٍ لنجاحم في استدراجها اليهم .....تذكرت شعورها وهي محمولة بين ذراعيه .... لاتزال تشعر بدفئهما وكأنه لا يريد أن ينزلها.....

تذكرت ذلك اليوم الرائع لهم معا .....وكانت من الغباء ان عقدت الآمال على يومٍ واحد .....فقط يومٍ واحد .....الان تدرك ان زواجها مع احمد لم يتضمن الا يوما واحد صادقا ..... اما الباقي فكان مهزلة منذ اول ليلة ..... بل منذ ان راته في المكتب لاول مرة . افاقت من شرودها على صوت امتثال ياتي اليها قائلا بحزمٍ رقيق " ساتحمل من اجلهم ..... نعم "

ظلت تلك العبارة تطوف في ذهن سابين لفترة ..... سأتحمل من أجلهم .....واقترنت هذه العبارة دون

وعيا منها بصورة احمد وتالا معا .....وفي نفس الوقت كانت يدها لاتزال تربت على بطنها.....

امتدت يدها تبحث عن هاتفها الباهظ الثمن على عكس هاتف امتثال .....والذى كان مدسوسا باهمال بين وسائد الاريكة الوثيرة .....وما ان تناولته حتى كادت ان تطلب احمد ..... لكنها عادت وترددت قليلا ثم بعد لحظة كتبت رسالة موجزة

" أنا اليوم مساءا سأذهب الى طبيبتي ..... مهما كان ماحدث الا انني لست من القسوة بحيث احرمك من أن ترى الطفلة معي خاصة وانك لم تحضر أيا من جلسات المتابعة الدورية من قبل ..... ولم تراها حتى الآن .....سأكون هناك في الثامنة مساءا وسأبعث لك باسم العيادة"

ثم ضغطت على الارسال قبل أن تفكر مرتين ..... وانتظرت ..... انتظرت ..... المكابر لن يرد عليها , هي تعرفه اكثر من نفسه , الا انه سيكون متواجدا ..... هي ايضا متاكدة من ذلك , ارتعش قلبها حين وصلت الى انها ستراه الليلة ..... منذ متى لم تره .... لم تسمع صوته ..... لم يقبلها ..... تذكرت اليوم البائس الذى قضوه هنا قبل ان يصل عمار .....كان ينتهز الفرص لينفرد بها في المطبخ ويقبلها كيفما اراد ..... وكانت هي تتمنع بغير صلابة جدية ..... ابتسمت وهي تتذكر تذمره و طفولته وهو يعاود جذبها اليه ..... تتناقض مع ملامحه الذكورية القاسية وجسده الضخم ..... هل في كلِ مرةِ سيتشاجرانِ فيها سيراضيها بنفس الطريقة ؟؟..... عاطفة ذكورية طفولية في نفس الوقت ... دون ان يستطيع ايجاد كلمتين عاطفيتين مناسبتين .....ابتسمت بشوقٍ لما تفكر به.....

تذكرت وهو يناديها ... يا روح احمد ....الكلمة غير متناسبة اطلاقا مع صوته الرجولي الخشن ... الا أنها ما ان سمعتها حتى شعرت بقلبها يهتز و ركبتيها تهتزان ..... وهي تعتقد انه مهما طال بهما العمر ستظل هذه هي نفس ردة فعلها ما ان يناديها .....يا روح احمد ....تذكرته وهو يجذب خلصة شعرها بشدة لتصرخ ..... وحين طرقها على رأسها لتحن عليه بابتسامة .....

فجاة اخذت ابتسامتها تبهت قليلا الى ان اختفت تماما ..... وهي تسال نفسها .. من اين جاءها الان انهما سيعودانِ الى بعضهما .....الم تكن منذ دقائق تفكر في النهاية .....امجرد رسالة بعثت بها اليه ستحيي الامل في قلبها من جديد.....

لا ..... لا .....بالطبع لا , كانت فقط تريد حضوره , تريد رؤيته ... وقد تكون اخر مرة تراه وهي زوجته .... هل سيمسك يدها عند الطبيبة .....هزت راسها بشدة تبعد عنها تلك الافكار السخيفة وهي تعاود التهام الشوكولا بكلِ حنق..... منه ..... ومن نفسها.....

عادت امتثال اليها في هذه اللحظة مبتسمة وجلست مرة اخرى بجوارها استعدادا لاستئناف الحديث الدائر بينهما .....لكن قبل ان تنطق حرفا واحدا عن فحوى مكالمة زوجها ....قالت سابين بصرامة

" امتثال اريد قهوة من فضلك..... "

عقدت امتثال حاجبيها استياءا من هدم سابين لهوايتها المفضلة في اجتذاب اطراف الحديث .....لكنها لم تجد بدا من النهوض وهي تقول بتحفز " لقد شربتِ القهوة مرة اليوم .... يكفيكِ هذا .....ساحضر لكِ عصير "

ثم استدارت لتذهب الى المطبخ .. الا انها عادت الى سابين لتاخذ منها الوعاء والمعلقة ثم استدارت منصرفة .... ظلت سابين ترمقها بغضبٍ وهي تتمنى ان تقفز

اليها وتنشب اظافرها في وجهها وشعرها مثلما كانت تفعل مع حلا قديما ..... الا انها الان لا تقوى على الحركة بعد عناء اليوم في العمل ..... خاصة مع التورم البسيط الذى بدا في الظهور بقدمها من طول فترة وقوفها وتحركها ..... ستؤجل قتل امتثال الى ان ترتاح قليلا ..... امتثال وصبري ..... هذا ما كان ينقصها في هذه الفترة من حياتها ..... قصة العشق الخالدة لامتثال وصبري.....!!!

نظرت الى الساعة انها تقترب من السادسة .... لا بد لها ان تبدا في ارتداء ملابسها فالطريق طويل امامها .....ستضطر الى اخذ امتثال معها ..... ستوصلها الى بيتها لتبيت مع اسرتها الليلة .....فلربما عاد احمد معها .....

نهرت نفسها بشدة ..... ها قد عادت الى حماقتها من جديد .....تافقت بحنق ثم نهضت بتثاقل تسند نفسها لتبدا رحلة صعود السلم الطويل .....بينما قلبها ينبض قافزا في الخفاء.....

.....

.....

.....

كانت جالسة على احد مقاعد العيادة .... محتضنة حقيبتها .... تنظر الى الزوجات الاتى راتهن اكثر من مرة على مدى الاشهر الماضية ... كل شهر ترى بعضهن .... تتكور اجسادهن مثلها .... وبجوارهن نفس الازواج ..... نفس النظرات المتحمسة ..... نفس الابتسامات الحمقاء .....والامل الواهي .....ونفس جلستها ..... والباقيات ينظرن اليها .... بعضهن بحسد من جمالها .... والاخريات بالعطف لانها تلك الجميلة التى تاتي وحيدة دائما .....بادلتهم النظرات بنظرات باردة لا

مبالية .....انها سابين الراشد ....وهي بالتاكيد لا تهتم لنظرات مجموعة من الزوجات الساذجات.....

اخفضت نظرها تنظر الى ساعة معصمها ..... انها الثامنة والنصف ..... ان الشوارع مزدحمة للغاية والمرور قاتل ... لا بد ان هاذا هو ما اخره .... حتى هي تعبت للغاية الى ان وصلت الى قلب المدينة.....

" سيدة سابين..... "

رفعت سابين عينيها مجفلة تنظر الى الممرضة البشوشة التى تنظر اليها ..... لم تجد سابين ما تنطق به فتابعت الممرضة

" انه دورك..... "

اخذت سابين نفسا مرتجفا ثم قالت بهدوء " سانتظر .... قليلا . ان زوجي في الطريق الى هنا "

تعمدت ان يصل صوتها واضحا الى من حولها .... وبالفعل اثارت انتباههن ... جميع الزوجات المتواجدات اردن رؤية زوج تلك الجميلة التى تاتي وحيدة دائما ..... ابتسمت سابين بانتصار وهي تفكر فلتمتن بغيظكن .....كلها دقائق قليلة وسترين زوجي وهو يدخل بقامته من هذا الباب .....نظرت الى ساعة معصمها مرة اخرى .....انها التاسعة الان.....

مرت الدقائق بطيئة جدا .....وهي تشدد من احتضانها لحقيبتها .... تسالها الممرضة بعد خروج كل سيدة فتجيبها سابين انها ستنتظر قليلا .....ترفع نظرها بين الحين والاخر لترى النظرات الفضولية منصبة عليها ..... ماذا يريدون منها .... لماذا لا يلتهين بحالتهن وببطونهن المنتفخة بدلا من مراقبة حالتها الاجتماعية ..... انها تكره النساء جميعا ..... وتكره الرجال ايضا .... بشدة

..... كما تكره الاطفال ..... ماعدا تالا ..... وتلك الصغيرة المحاربة التى لم تبصر النور بعد.....

عند اخر سيدة دخلت كانت الساعة قد وصلت الى الثانية عشر .....لم يات .... لم يهتم ابدا .... حتى بالطفلة الصغيرة التى اخبرها بكل صفاقة ان تظل محترمة الى ان تسلمه طفلته.....

اقتربت منها الممرضة بهدوء وانحنت لتربت على كتفها برفق هامسة

" سيدة سابين ..... لقد انصرفت اخر سيدة , لقد تجاوزنا ميعاد غلق العيادة والطبيبة تبلغك انها مضطرة للانصراف فهل ستدخلين الان "

رفعت سابين نظرها اليها وكانها فقدت القدرة على الاستيعاب او فهم ما تقوله .....اغروقت عيناها بدموعٍ حبيسة ابت ان تطلقها ....ثم بعد عدة لحظات اومات بصمتٍ وهي تنهض من مكانها لتدخل الى الطبيبة.....

نظرت سابين الى تلك الصورة المموهة امامها على الجهاز ..... شهقت مبهورة بصمت وعيناها تستحيلانِ لبركتين حانيتين في يومٍ صيفي ..... همست لنفسها بشرود

" انها مكتملة للغاية..... "

ابتسمت الطبيبة وهي تحرك اداة الجهاز على بطنها برفق .....ثم قالت برقة

" نعم ..... انها تقريبا مكتملة , انظري هاهي الاصابع اصبحت واضحة تماما , ... ومعالم وجهها اصبحت ظاهرة ايضا , اليست جميلة ؟؟..... انها بصحةٍ رائعة كذلك "

اومات سابين ببطء وقد تشوشت الرؤية امامها .....
وشعرت بغصة في حلقها وهي تهمس باختناق

" نعم .... انها جميلة للغاية ... استطيع ان اراها , انها تشبه والدها تماما "

ضحكت الطبيبة عاليا وهي تقول " هل استطعت رؤية الشبه بينها وبين والدها ؟....."

اومات سابين مرة اخرى وقد انسابت الدموع الثقيلة على وجنتيها ثم همست

" انها تشبه والدها .....لانني احبه للغاية , لذا بالتاكيد هي تشبهه "

نظرت اليها الطبيبة بعطف وهي تقدر تلك اللحظات العاطفية بالنسبة لها .....ثم قالت بعد عدة لحظات

" سابين ..... ان ضغطك مرتفع اعلى من الشهر الماضي بالرغم من تحذيري لك .... وهذا يقلقني في هذه المرحلة "

مسحت سابين دموعها بيدها في صمت .... فناولتها الطبيبة منديلا بلطف , ثم قالت مرة اخرى

" انك تحتاجين الى الراحة و المتابعة كل اسبوع بدا من الان .....لكن انا اتكلم بمنتهى الجدية عزيزتي .... ممنوع الحركة , اريدك ان تستلقي على ظهرك الفترة المتبقية ..... هل كلامي مفهوم ؟؟"

اومات سابين براسها وهي فاقدة القدرة على النطق تماما بينما دموعها تنساب في خطوط ناعمة على وجنتيها .... شاردة في تلك الصورة الصغيرة النابضة امامها .....صغيرتي المحاربة .... هكذا فكرت سابين .... ان تلك الصغيرة وجدت لتحارب الدنيا بشراسة.....

جلست سابين في سيارتها بعد ان خرجت من العيادة لكن قبل ان تديرها اسندت راسها وذراعيها الى عجلة القيادة بتعب .....لم تكن يوما مرهقة او ضعيفة مثل اليوم ..... لم تشعر يوما بهذا الكسر الذى تشعر به الان .... حتى ليلة زفافها حين تركها احمد وحيدة .....لم تشعر بمثل هذا الانهزام ابدا.....

رفعت راسها بعد وقتٍ طويل وهي غير قادرة على القيادة ابدا .....بمن تستعين الان في هذا الوقت ....اتحاول القيادة ؟؟ لكنها تشعر بتعبٍ فظيع ... وقد تستسلم للنوم اثناء القيادة الطويلة ..... لن تسمح لنفسها ان تتهور ابدا ... فهي لسيت وحيدة بعد الان .....انها تحمل محاربتها الصغيرة.....

التقطتت هاتفها تنظر اليه ... بمن تستعين ... بمن ..... لا يوجد سوى عمار فهل تكلمه في هذا الوقت ....انه الصديق الذى لم تعرفه سوى من اشهرٍ قليلة ولكنه دائما نعم العون لها .....لكن اتكلمه لياتي ويقلها في هذا الوقت ؟..... حين حزمت امرها ضغطت على الهاتف لتضعه على اذنها ... ثم بعد عدة لحظات قالت بانهزام واضح وشهقة باكية

" ادهم ..... من فضلك تعال لتاخذني "

.....

.....

.....

ارتمى احمد على كرسي مكتبه متعبا بشدة ... انه يعمل منذ السابعة صباحا دون انقطاع , انه يهلك نفسه في العمل بشدة مع ان سنه اصبح لا يحتمل مثل هذا المجهود الجبار .....هل كبر بالفعل .... ام ان روحه هي التى كبرت وثقلت بداخله .... وبعد ان كان العمل يعطيه القوة دائما ... اصبح يزيده تعبا فوق تعب

.....انه في هذه الايام الاخيرة اصبح ضيق الخلق والجميع يتحاشوه.....

الى متى ستظل تداعب خياله .... الى متى سيظل صوتها الناعم يرن في اذنيه كدقاتِ الاجراس مع الرياح .....اما من سبيل للانتهاء من كل هذا .... انه ليس مراهقا حتى يصعب عليه الخروج من علاقةِ حكم عليها بالفشل.....

حتى لو كانت علاقته ..... بزوجته ..... ام طفلته .....سابين الراشد.....

تنهد بتعبٍ وهو متجهم يفكر ..... لقد افسد الامر تماما .....بعد كل تعبه وعنائه ليسترجعها ويعوضها عن بدايتهما السيئة معا ..... مجرد رؤية ذلك العمار ذو العضلات المحشوة في بنطالِ ضيق يصلح لعارضي الازياء و ليس لرجال الاعمال ..... رؤيته اشعلت نارا هوجاء في صدره ... حتى بات يتخيل كيف تحدثه سابين .... كيف تنظر اليه .... تذكر كيف كانت تنظر اليه هو في بداية عملهما معا ..... يعلم جيدا انه طبعها ولن تغيره حتى لو ارادت ..... انها تهوى التلاعب بالقلوب ..... تهوى لعبة الملكة المتوجة على عرشهم .....ضاربة بكل اصولِ الحياء عرض الحائط.....

لقد احببها ... احببها كما لم يحب من قبل الا ليال ..... لكنه لم يستطع تجاوز عبثها في مواجة الحياة ..... عدم التزامها باية قيم ..... لديها بذرة نقية بيضاء ... لم ترها سوى تالا .. وامه .... وسما .....وحلا في النهاية.....

من تبقى لم يرى ما بداخلها ؟؟..... هل هو الغبي الوحيد ؟؟.....لا ليس غبي .... انه عاشق .... عاشق غيور يشعر بنارِ حمقاء تدب في اعماقه ما ان ترتدي قناعها العابث.....

وقد انهارت سيطرته ومحاربته في سبيلها ما ان راى احد اقنعتها في اخر مرة ..... فاطاح بكل ما كان .... وكل ما كان ليكون.....

كم من الصعب ان يغير المرء من يحبه .....وكم من الاصعب ان يحب من هو غير ملائم له.....

زفر مرة اخرى بحنقٍ وتعبٍ اكبر وهو يرى النهاية مرتسمة بملامحها البائسة.....

شعر بطوفانِ غضبٍ يهدر في اعماقه .... لقد اضاع الفرصة في هذا اليوم .....كان يجب عليه ان يضرب ذلك العمار ضربة تمنعه من التباهي بعضلاته مرة اخرى الى ما تبقى من حياته ..... خسارة كبيرة .... كم يتمنى ان يعود اليه مرة اخرى ليكسر فك اسنانه .... هو السبب في انتهاء زواجه.....

اسند مرفقيه الي سطح المكتب وهو يدفن وجهه بين كفيه شاعرا بالمٍ لم يشعر به من قبل ..... لا .... ليس هو السبب , كان مجرد عود الثقاب الذى اشعل حقده من جديد على سابين المزيفة ..... سابيته المزيفة التى ما ان سحرته حتى خلعت قناع زيفها .... ليتحول السحر الاسود الى اخر نقي ابيض ربط قلبه بها.....

بياض الثلج ..... لكم تذكره سابين ببطلة تلك القصة التى يقراها لتالا معظم الليالي ...ولقد اخبر تالا بهذا مبتسما ...لكن تالا تذمرت وهي تخبره ان سابين تشبه الساحرة الشريرة ..... فحاول ان يكون جديا معها منبها لتكون اكثر تادبا عند الحديث عن سابين ..... لكن تالا لم تتراجع واصرت على ان سابين هي تلك الساحرة السوداء الجميلة التى تسال مراتها كل صباح ان كانت هناك من هي اجمل منها.....

لحظتها ظل يفكر ... هل هي حبيبته البيضاء ... ام ساحرته السوداء .....لكن في كلتا الحالتين .... هي سابيته التى سبت قلبه بغلالغها لاخر العمر ..... نعم ... يعرف الان ان حبها سيظل في قلبه مهما طال الزمن .....

اخرجه من تفكيره الحزين المؤلم صوت اهتزاز هاتفه بجانب صدره ..... فالتقطه من جيبه لينظر اليه بملل .... انها مكالمة غير مرغوبة , اوشك على ان يعيده الى جيبه مرة اخرى الا ان وجود رسالة ..... عدة لحظات و كانت عيناه تتسعان وهو يقرا الرسالة .... ثم لم يلبث ان همس بقسوة .... لا ..... لا ..... لا

ثم نظر الى ساعة معصمه بسرعة ورعب ليجد انها الثانية عشر .....اغمض عينه وهو يضرب المكتب بقبضته هاتفا يشتم بحنق .....لا ..... كيف لم أرها قبل الآن ..... نهض مسرعا يكاد يخرق الارض من لهفة خطواته .... لكن الى أين يذهب الان.....

خمسة عشر دقيقة وكان يقف امام العيادة المظلمة المغلقة .... منتظرا في سيارته يراقب المارة قليلي العدد في هذا الوقت المتاخر ... ماذا كان يظن ؟.... انها ستنتظره الى الآن ؟..... كيف ... كيف ...كيف لم يرى رسالتها ؟... يبدو بالفعل أن كل الطرق تبعده عنها.....

تمنى في هذه اللحظة من كل قلبه .... ان تكون غير مبالية بعدم مجيئه .... لأنها إن كانت مبالية فهذا يعني أنها تألمت للغاية , وآخر ما يريده في هذه اللحظة ان يلحق بها المزيد من الأذى ..... يكفي ما أصباها منه حتى الآن.....

تناول هاتفه يريد ان يطمئن عليها , لكنه تراجع ينظر اليه بصمت ,لا بد ان آخر ماتريده الآن هو ان تسمع

صوته ..... لكنه قلق عليها جدا .... الى متى ستظل مصممة على الاقامة في منزل والدته ... ان المسافة بعيدة عليها .....ظل هاتفه في يده وهو يشعر بقبضة الياس تطبق على صدره.....

لحظاتٍ وكان هاتفه يرن .... انه ادهم ... ماذا يريد الآن ؟.... انه ليس في حالة تسمح له بسماع أي شيء يخص العمل ..... انقطع الرنين في النهاية الا إنه عاد ملحا عليه ليجيب

رفع احمد الهاتف اليه بنفاذ صبر وهو يجيب بفظاظة

" ادهم عندما لم أجبك في المرة الاولى فهذا معناه انني لا اريد أن أكلم أحدا الان ..... سلام "

صرخ ادهم بصوتٍ مدوي كاد ان يخرق طبلة اذنه

" اقسم أنك إن اغلقت الخط فساتي اليك لاسحق انفك الغبي .....مما أنت مصنوع اخبرني . كتلة من العند والغباء متصلبة بداخل رأسك تمنعك من الرؤية بشكلٍ سليم .... كيف استطعت ان تترك زوجتك بهذا الشكل ؟هل وصل بك العند الى هذه الدرجة ؟.....اخبرتك من قبل يا احمد ان سابين هي اختى مثل سما تماما وإن اخطأت في حقها فعليك أن تواجهني شخصيا..... "

نصف الحوار لم يدخل اصلا الى عقل احمد الذى هتف سريعا

" ما بها سابين .... هل هي بخير .... هل هي عندكما في القصر ؟...."

رد عليه ادهم بقسوة

" هل تتجرا وتسال عنها الان ..... كيف تمكنت ؟.... كيف تمكنت من فعل هذا وهي في مراحل الحمل

الاخيرة و الضغط العصبي مضر لها.....ما الذي فعلته اصلا ؟؟؟...."

شعر احمد بالقبضة تطبق على صدره اكثر واكثر ....ثم قال بصوتٍ مختنق " الم تخبرك ؟....."

مرت عدة لحظات ثم قال ادهم اخيرا " لم تخبرني شيئا .....أنا لا اعلم مالذي فعلته تحديدا , لكن من الواضح انك فعلت شيئا احمقا كعادتك "

ضحك احمد قليلا بمرارة من غباء ادهم ثم تنهد بعمق وهو يقول باختصار " لم أرى رسالتها .... والا لكنت جئت "

سكت ادهم قليلا ثم سال بحيرة " اية رسالة..... "

اجابه احمد بهدوء واجم

" بعثت رسالة لي ... حتى الحقها الى العيادة اليوم في ميعاد المتابعة الدورية ..... لكنى لم أرى الرسالة الا الآن "

ساد الصمت مرة اخرى ... ثم قال ادهم ببطء ضاغطا على اسنانه

" دعني افهم جيدا ..... هل تقول لي ان سابين اتصلت بي في منتصف الليل منفجرة بالبكاء وجعلتني اذهب اليها على اقصى سرعة حتى اني كدت ان ادهس شخصين الليلة في طريقي اليها ..... كل هذا ..... لأنك نسيت أن تذهب معها الى الطبيب!!!!! "

صدم احمد بشدة وقال مبهوتا

" انفجرت بالبكاء ؟؟؟.....هل كانت سابين تبكي ؟؟؟..... سابين ؟؟؟!!!!..... ادهم ..دقائق وسأكون عندكم "

هدر ادهم حانقا " احمد .... لاول مرة سأقولها لاحد ما .....نحن لن نستقبل أحدا آخر الليلة ..... الى اللقاء ....."

سمع احمد صوت الاغلاق وظل جالسا متسمرا مكانه تماما يشعر بصدره يضيق اكثر واكثر ..... فاخذ يخفف من ربطة عنقه بعنف ..فاتحا الزر العلوي لقميصه .....لقد كانت تبكي .... لم يرها تبكي من قبل .....انه لا يصدق ان سببا كعدم مجيئه هو ما يجعلها تبكي .... ليست سابين التي تبكي لسببٍ كهذا ..... هل يذهب اليها ؟؟ ام انه سيزيد الوضع سوءا.....

زفر بنف وهو يفكر .... تبا لكل شيء ..... لو كانت مهتمة اصلا لكانت اتصلت به .... ولم تكن لتكتفي بهذه الرسالة الباردة.....

لقد تعب من كل شيء .... هذا يكفي , إن ارادته فلتتصل به ..... انه حتى لم يخطىء بحقها ليذهب اليها متذللا ..... تريد الظهور بمظهر الشهيدة أمام الجميع من اجل بضعة كلمات مختصرة بعثت بها بمنتهى البرود .....

أدار سيارته بحنق ثم اندفع بها بجنون عائدا الى منزله .....

.....

.....

.....

استلقت سابين على ظهرها تنظر بشرود الى سقف الغرفة بينما جلست حلا بجانبها وهي تربت على بطنها بلمساتٍ حانية وابتسامةٍ ناعمة ..... ثم همست برقة

" لقد ارعبتنا يا مجنونة .....ظننا أنك على وشكِ الولادة "

نظرت اليها سابين بصمت بعد لحظة ثم همست ممسكة بيد حلا على بطنها

" هل تعلمين .... كلما تألمت في هذه الايام , لا أرى الا وجهك أمامي..... "

ابتسمت حلا بحيرة وهمست " و لما ؟؟؟....."

اجابتها سابين بهمسٍ حزين

" لم أساعدك كثيرا في ما مضى حبيبتي .....تركتك تواجهين مصيرك , لم اكن يوما كما يجب ان تكون الاخت الكبرى ..... كان لابد أن اقف في مواجة الجميع دفاعا عنكِ قبل أن يلقو بكِ الى هذا الحقير..... "

بهتت ابتسامة حلا قليلا وهي ترى الصور السوداء تتدافع امام عينيها من جديد .... لكنها اخذت نفسا عميقا لتقول بعده بهدوء

" انه النصيب .....لم يكن اي انسان يستطيع تغيير القدر , لكنك انتشلتني من هوةٍ سوداء كبيرة كانت تبتلعني يوما بعد يوم "

ظلت سابين تتطلع الى عينيها الجميلتين وهما تحكيانِ قصة حزينة .....فجذبتها سابين الى احضانها وهي تهمس " تعالي..... "

احتضنتها حلا بشدةٍ وهي لا تزال واضعة يدها على بطن سابين لا تريد ان تتركها أبدا .... ثم همست بصوتٍ مبحوح

" اتعرفين كم انا متشوقة لاصبح خالة ؟؟..... متى ستاتين بها , انا لا أحتمل الانتظار ..... سابين ..... هل تظنين انني أصلح لأكون ام ؟؟؟..."

اخفضت سابين نظرها الى حلا بدهشةٍ من هذا السؤال ...ثم اجابت بحزمٍ بعد فترة

" وما الذى يجعلك غير صالحة لذلك ؟....."

لم تستطع حلا الاجابة وهي تشعر بغصةٍ في حلقها .....لا تعلم ان ادهم كان واقفا خارج الغرفة مستندا الى الجدار يستمع الى صوتها العذب .....وقد ظهر طيف ابتسامة على شفتيه.....

اخذ نفسا طويلا ثم استدار ليطرق على الباب المفتوح ..... فرفعت حلا رأسها اليه تنظر اليه نظرة عاشقة ... اصبحت لا تفارق عينيها مؤخرا ... بينما ابتسمت له شفتيها وهما ترسلانِ اليه الوعود.....

حاول ادهم بصعوبةِ التخلص من تاثيرها الساحر عليه وهو يركز نظره الى سابين التى تنظر اليهما بامتعاضٍ ساخر....

تنهد بغضب ثم قال بصوتٍ حاول ان يجعله مهذبا على قدر استطاعته

" كيف حالك الآن يا سابين .....هل استطعت تجاوز الصدمة البشعة لفعلة احمد الشنيعة "

برقت عينا سابين بحنقٍ من السخرية التى تراها في عينيه .....الا أن ادهم لم يمهلها لتطلق لسانها السام فقال بهدوء حازم وهو يمد ذراعه

" هيا يا حلا .....فلنترك سابين لترتاح "

ترددت حلا وهي تنظر الى سابين قائلة برقة " نعم يجب ان تنامي قليلا ..... هل تريدينني أن انام بجوارك "

عبس ادهم بشدةٍ فلمحته سابين قبل أن يستطيع ان يخفي معالم شره ..... وفي لحظةٍ واحدة برقت عينا سابين بينما همس صوتها منكسرا

" الن يضايقك هذا يا حلا ؟....."

اتسعت عينا حلا وهي تنفي بسرعةٍ ومن دونِ تفكير " بالطبع لا ..... هل جننتِ ؟ سابقى معك حتى الصباح لا تقلقي "

احتضنتها سابين برقةٍ مخفية وجه حلا بين احضانها .....بينما ارتفع حاجبها الشرير وهي تنظر الى ادهم مبتسمة باستفزاز.....

ضعط ادهم على اسنانه ثم استدار ليخرج من الغرفة وهو يشتم غاضبا ..... احمق تزوج من مجنونة .....فما المتوقع غير الذى يحدث الان ؟؟.....

.....

.....

.....

حين حل الصباح كانت سابين قد ارتدت ملابسها استعدادا للمغادرة .....بالرغم من كل محاولات حلا للتشبث بها , الا أن سابين كانت مصممة على الرجوع لبيتها ....أو ذلك الذى أوهمت نفسها انه بيتها وسكنته رغما عن صاحبه.....

حاولت سابين ابعاد تلك الافكار المؤلمة عن رأسها وهي تنظر لحلا بحنان وتقبلها على وجنتها بينما كان ادهم يراقبهما صامتا الى أن قال اخيرا

" لا أرى حقا سببا مقنعا يجعلك متمسكة برأيك العنيد هذا ..... أنتِ هنا في بيتك وأنتِ تعلمين ذلك فلما المكابرة "

ابتسمت سابين قليلا وهي تنظر الى ملامحه الصارمة ثم قالت بتحدٍ مرح

" لم استطع أن اتقبل يوما نظرية الأخ الاكبر هذه ....."

ظهر طيف ابتسامة على زاوية شفتيه بينما الصرامة لاتزال مرتسمة على وجهه ثم قال اخيرا

"كفاكِ مراوغة ..... انا مصرا على بقائك هنا , لقد اقترب ميعاد ولادتك ولا يجب أن تكوني بعيدة عنا الى هذه الدرجة "

ابتسمت سابين و اهتزت عيناها قليلا ثم قالت بهدوء

"لا تخف .....لست وحدي , معي تلك الزوبعة المسماة امتثال .....وهي ستجيد التصرف بدرجةٍ افضل منا جميعا "

حين لم يجد كلا من ادهم وحلا سبيلا الى اقناعها ... غادرت سابين مع السائق تراقبها حلا التى كانت متمسكة بخصر ادهم وعيناها دامعتان على تلك الصخرة القوية التى لم ترها يوما مهزومة كما تراها الآن.....

بعد مرور اسبوع

كانت سابين تتمشى في المجمع التجاري ممسكة بحلوى الغزل بين اصابعها تاكلها بنهم .....مرتدية بنطالها الجينز الازرق يعلوه قميصا ورديا خفيفا محكما عند صدرها لينزل متسعا بانتفاخةِ محببة ليخفي بطنها

الطريفة .... بينما كان شعرها عبارة عن لوحةٍ فنية من الفوضى ... كان يبدو تماما كعشِ عصافير ضربته الرياح ... بتلك الخصلاتِ الناعمة المنسدلة على وجهها المحمر الناعم.....

تسير للتتأمل واجهات المحلات من حولها بتكاسل ... بجوار زوبعتها الخاصة .. امتثال ... التى لم تكف عن الحديث لحظة واحدة ...عن صبري وعن الاطفال ....وعن القميص الذى اشترته لصبري بعد أن مضى اكثر من عامين لم يجلب لنفسه شيئا جديدا.....

" هل تظنين أن اللون الأخضر سيليق بصبري يا سابين "

لم تعرف سابين متى تحديدا توقفت امتثال عن مناداتها بلقب سيدة .... لتصبح سابين فقط .....لكنها لم تهتم كثيرا , منذ متى كانت تهتم بما يفرضه الناس من قوانين غبية .....ردت سابين بهدوء دون أن تنظر اليها وهي تتباع التهام قطعة أكبر من الحلوى لتلعق أصابعها بعد كل قطمة.....

" أنا لم أرى البارون صبري يا امتثال .....لذا لا استطيع معرفة إن كان اللون الأخضر يناسبه "

عقدت امتثال حاجبيها وهي تنظر الى القميص في حقيبته .....ثم رفعت عينيها الى سابين لتقول بتوتر

" أم من الافضل أن نعود لنستبدله بالوردي ..... ذاك الذى عليه كلاما أسودا وصورة قدم على الظهر "

ابتسمت سابين وهي تهز برأسها يأسا من تلك الحالة الميؤس منها .....امتثال .....ثم ردت بهدوء مانعة نفسها من الضحك

" لا .... أعتقد أن الأخضر ملائم لعمره اكثر "

سكتت امتثال وهي قلقة خائفة ... فهذه الفرصة لن تعوض بقميصِ اخر ..... لا بد أن يكون الأمثل ... ستمر فترة طويلة قبل أن يجلب لنفسه شيئا جديدا .... فعظم دخلهما معا يذهب معظمه الى علاج الصغير .... لذا لا مجال للرفاهيات.....

ولولا المكافاة الاستثائية الضخمة التى منحتها سابين ... لم يكن ضميرها ليرضى بان تبتاع غير طلبات الاطفال .....

قالت امتثال لسابين بعد فترة " لكن لمن ذلك الجهاز الذى ابتعتيه من محل لعب الاطفال...يا سابين "

ردت سابين بعد لحظة " لابنتي..... "

اتسعت عينا امتثال وهي تنظر اليها وهتفت " ابنتك ؟؟!!..... هل لديكِ ابنة ؟؟... أين هي ؟"

ردت سابين بهدوء وهي تتابع سيرها باسترخاء " مع والدها..... "

حاولت امتثال استيعاب تلك المعلومات الجديدة ثم قالت بقلق " هل انتما ..... منفصلان ؟"

شعرت سابين بجرحِ عميق انتشر في قلبها من تلك الكلمة التى تتهيا لها منذ اسبوع .....ثم ردت بصوتِ لا تعبير له

" شيئا كهذا..... "

عبست امتثال اكثر ..ثم قالت بحيرة " لكن متى انفصلتما ؟؟.....ومتى عاد من سفره ؟"

سكتت سابين للحظات ثم ردت بنفس الهدوء " تلك الليلة التى وصلتك فيها البيتك .... عاد ليتصرف معي

تصرفا آلمني للغاية , لذا أعتقد انه يفهمني أنها النهاية اخيرا "

وضعت امتثال يدها على صدرها وهي تنظر اليها بخوف .... ماذا فعل لها هذا المتوحش وهي تحمل طفلته.....

هدوء سابين لم يخدعها , استطاعت أن تشاهد الألم في عينيها للحظة ثم اختفى ..... نقلت حقائب المتشتريات الى يدها الأخرى ..لتتعلق بذراع سابين بشدة لتعطيها الدعم الذى تحتاجه.....

نظرت اليها سابين بدهشة ثم عادت لتنظر امامها وهي تضحك بتعب .....الا أن التعب تحول الى انكسار تام حين رأته ..... رأته أمامها على بعد عدة امتار .....كان ممسكا بيد تالا وهي تبدو واجمة.....

لم يرها الى الآن .. كان مشغولا بالتحدث الى تالا وكأنه يحاول أن يراضيها .....بينما هي تسير الى جواره دون أي حماس....

توقفت سابين مكانها وهي تراقب .... زوجها وابنتها ..... على بعد عدة خطوات منها .....وكانت تالا هي أول من رأتها , حين اتسعت عيناها دهشة ثم هتفت بسعادة " سااااابين..... "

ثم تركت يد والدها وجرت الى سابين لتحتضنها بشدة ... تأوهت سابين قليلا الا إنها ابتسمت وهي تربت على شعر تالا قائلة بحنان

" اشتقت اليك يا شريرة .....كيف حالك ,لماذا لم تهاتفيني بالأمس ؟؟"

رفعت تالا نظرها اليها وهي تقول بسعادة " لقد نمت مبكرا .... لكن لم أتخيل تلك المفاجاة , كيف استطعتما أن تخفيا علي هذا اللقاء "

رفعت سابين نظرها بتردد الى احمد الذى كان واقفا مصدوما ..... عيناه تلمعانِ بشوقٍ لم يستطع اخفاؤه .....صدره يعلو ليأخذ نفسا محملا بنسماتها .....اثناء اقترابه منها ببطء ..... الى أن وصل اليها , وعيناه لا تحيدانِ عن عينيها الجميلتين.....

ظلا واقفين ينظرانِ الى بعضهما بصمتٍ طويل .... الى ان اقترب احمد منها ممسكا بذراعيها ليقترب وجهه من وجهها ببطء ..... نظرت اليه في هذه اللحظة بصدمة .... هل سيقبلها .... وفي اللحظة التالية كان فمه يقترب من وجنتها ليهبط قليلا مقبلا زاوية فمها ببطء متعمد وبعد لحظة وقبل أن يتركها ... انحرف فمه الى اذنها ليهمس ..."لم أرى رسالتك..... "

كلمة واحدة ..... مجرد كلمة ... بعثت بحنانٍ غادر تدفق الى أوردتها ..... لكنه لم يتعب نفسه في محاولة الاتصال او الاعتذار....

احمد يعتذر ؟؟..... من تخدع .. انه من العند و المكابرة بحيث وصل الى درجةٍ مملة .....لكن على ماذا يعتذر لقد كتب لديها قائمة طويلة من الاشياء التى يجب أن يعتذر عليها ..... وهي الى الآن لم يصلها اعتذارا واحدا.....

ابتعد عنها ببطء وهي تشعر بانها لا تريده ان يبتعد .... كم اشتاقت اليه ..... مهما حاولت الانكار .....لقد اشتاقت اليه وفعلت الأعاجيب لتراه الفترة السابقة وها هي تراه الأن ..... بالصدفة.....

ظلا ينظرانِ الى بعضهما في صمتٍ وعتاب ظاهرا على عينيهما .... حتى ان التوتر انتقل الى تالا.....

وامتثال ..... التى تشبثت بكم سابين تجذبها لتنحني اليها ثم همست في اذنها وهي تتطلع الى احمد بتوجس

" ما الخطة الآن يا سابين ؟..... هل تريديني أن اصرخ لأجمع الناس من حوله ؟؟.....فقط اعطيني الاشارة وسنخرج من هنا وابنتك معنا سالمة "

نظرت اليها سابين بدهشة .... قد تفعلها هذه المجنونة .....فهمست بسرعة وغضب " اصمتي .....اصمتي تماما هل فهمت "

عقدت امتثال حاجبيها بشدة وهي ترمق احمد بنظرة شرسة تعلمه بها انها قادرة على الدفاع عن مخدومتها إن تجرأ و تصرف اي تصرف مشين .....بادلها احمد النظر وقد ظهر طيف ابتسامة تسلية على شفتيه ..... إن سابين لها القدرة على اجتذاب كل أنواع البشر بسحرها .....فها هو يجد كلا من تلك الشابة البسيطة على وشك النقضاض عليه وافتراسه .... وتالا التى ترمقه بغضب وهي تعلم انه يفسد كل شيء .... بالاضافة الى أمه التى لم تخاطبه الا على مضض منذ يوم اجتماعهم الاخير والذى انتهى برحيله.....

نقل نظره الى سابين والابتسامة الضعيفة تتراوح جيئة وذهابا على شفتيه .....وسابين ايضا بنفس المنظر ..... يريدان أن يبتسما لبعضهما .... يتمنيانِ النسيان والغفران ..... لكن كلا منهما يحمل الكثير من الجروح التي تسبب بها الآخر.....

كانت سابين هي أول من كسر هذا الصمت القاتل فقالت وهي تبعد نظرها عن عيني احمد متشاغلة باللعب في خصلات شعر تالا.....

" اليوم عيد ميلاد تالا .....هل اعددتما حفلا ؟؟"

نظر احمد اليها باصرار لترفع عينيها وتواجهه الا انها لم تفعل ... فقال بصرامة

" لو كنا أعددنا لحفلِ لكنتِ انتِ التى قمتِ بالتحضير "

رفعت عينيها اليه تنظر بقسوةٍ لم تخفي الالم وقالت بسرعة " بأي صفة ؟؟....."

تطوعت امتثال للرد بقوة وهي تنظر الى احمد بشرسة " بصفتك أمها بالطبع .....الا يكفي أنه يبعد ابنتك عنكِ ويؤذيكِ كما اخبرتني منذ دقائق "

اتسعت عينا احمد بدهشةٍ وارتفع حاجباه وهو ينظر الى سابين.....التى أغمضت عينيها ونفثت نارا من شدة غضبها على تلك الحمقاء المتشبثة بها والتى تنطق بكل ما لا يجب أن يقال في هذه اللحظات الحاسمة

بعد لحظةٍ قال احمد بهدوء خطير " حسنا يا أم ابنتي المقهورة ..... إن كنتِ قد انتهيتِ فهيا لأقلك معي "

رفعت سابين ذقنها بغرور وهي تنظر اليه وقالت بقسوة " شكرا .... أنا اتيت بسيارتي "

رمقها احمد بنظراته التى كادت أن تفتك بها ثم جذب تالا اليه وهو يقول بنفس الهدوء

" تالا ..... انتِ تكلمي ... أمك ترفض أن نقلها معنا "

امسكت تالا بكف سابين وهي تقول بلهفة " سابين .... ارجوكِ تعالي معنا , او خذيني معك "

تنهدت سابين بغضب ... أن اخذت تالا معها فلن تستطيع ان تعيدها ... القيادة طويلة عليها مرتين .....إنه دائما ما يلجأ لتالا لتجبرها على الموافقة .....الن ينضج أبدا.....

زفرت سابين مدعية الاستسلام على مضض ..... بينما في الحقيقة قلبها يصرخ من السعادة لأنها ستبقى الى جواره ما لا يقل عن ساعة كاملة من الزمن.....

.....

.....

.....

بعد فترةٍ كانت سيارته تقف أمام بيته !!!!..... بعد ان وصل امتثال الى بيتها ... والتي نظرت الى سابين في تساؤل حذر .....فأومأت لها سابين بهدوء أن تذهب الى أطفالها ... بينما كانت تغلي غضبا منه.....

بعد أن أوقف احمد السيارة قال بدون مقدمات " انزلي..... "

نظرت اليه بحدةٍ وهي تتمنى ان تقذفه باي شيء ثقيل .....لكن وجود تالا ... وعدم وجود شيء ثقيل في متناول يدها منعها ..... ابتسمت قليلا من افكارها .... فعاد احمد ليقول بفظاظة

"اكره أن أقاطع روحك المرحة في هذه اللحظة لكننا نريد أن ندخل البيت في خلال هذا اليوم .... من فضلك "

عقدت حاجبيها وهي تتوعده في نفسها ... لكن تورم قدمها والم ظهرها كانا يلحانِ عليها ان تدخل لتريحهما قليلا.....

نزلت بهدوء من السيارة .... لكنها لم تغفل عن فعل اكثر شيء ممكن ان يثير غضب احمد ..... وهو أن صفقت باب السيارة بكل قوتها

وقبل أن يصرخ بها احمد الذى توحشت عيناه كانت قد أمسكت بكف تالا المبتسمة لتدخل البيت بكل

هدوء و إباء أمام انظاره الحانقة .....والمتمتعة بجمالها .....

ما أن دخلت سابين الى البيت حتى التفتت الى تالا وقالت وهي تلهث قليلا

" تالا ..... اتاخذيني الى غرفتك . لقد تعبت قليلا "

قال احمد من خلفها بحزم وهو يمسك بخصرها بيديه الدافئتين " اذهبي أنت يا تالا .....أنا سأعاون سابين لتصعد لغرفتها وترتاح قليلا "

نظرت اليه سابين بغضب وقالت وهي تتملص من يديه التى بدأت تتحسس بطنها

" ليس لي غرفة هنا..... "

لمعت عينا احمد قليلا وهو يكاد ان يلتهم ملامح وجهها الشرسة ..... ثم قال بهدوء

" كفى عنادا ....هيا لتستلقي قليلا , سرير تالا صغير لك "

ارادت ان ترفض بشدة .... الا أن التعب كان قد هدها تماما فاختارت الاستسلام من جديد .....وما أن دخلت الغرفة الذكورية الأنيقة بالوانها التى يغلب عليها الأسود حتى اتجهت الى الفراش الواسع مباشرة وجلست عليه تتنهد بتعب ... ولحظة أخرى واخذت تتراجع الى أن استلقت على الوسائد خلفها مغمضة عينيها و قدميها على الأرض ..... لكنها شعرت بمن يرفع لها قدميها برفق لتستلقي باعتدال على الفراش .... ونفس اليدين تخلعان حذائها و تدلكانِ قدميها ..... الا أنها كانت في حالةِ من غياب الوعي .... فلم تستطع حتى فتح عينيها ....لكنها استطاعت الشعور بيد دافئة تتلمس بطنها ..... وأخرى قوية تمسك بذقنها لتجذب وجهها الى شفتين قويتين دافئتين ..... اشتاقت الى

شوقهما .....وكان هذا الشعور الحالم هو آخر ما تتذكره قبل أن تضيع في سباتٍ عميق.....

.....

.....

.....

استيقذت سابين على نسماتِ صيفيه ناعمة تطل من النافذة المفتوحة ... ففتحت عينيها بضعف لتنظر الى الغرفة الغريبة عليها .....استقامت جالسة تنظر حولها .... وتذكرت انها جاءت مع احمد بمنتهى الضعف والاستسلام .....ما الذى أصابها لتكون ضعيفة الى هذه الدرجة امامه .....نهضت بغضبٍ من الفراش لتفاجا بانها ترتدي قميص نوم فضفاض أبيض يصل الى كاحليها .....لقد فعلها مرة أخرى ... فكرت بشراسة .... لا يراعي أية خصوصية لها ..... في المرتين كانت غائبة عن الوعي.....

تشعر الآن بالغضب الاحمق يهدد بالسيطرة عليها .....لكن فجأة ضرب راسها صداع عنيف حتى شعرت بذبذباته تنطلق من زاويتي عينيها ....فضغطت بكفيها على كلتا عينيها تتأوه بالم.....

" سابين ....ماذا بك "

لحظات وكانت الذراعين القويتين تسندانها الى أن جلست على الفراش وهي تلهث بشدة ... هناك ضغطا في رأسها يكاد يغشي بصرها .... وأنفاسها تتسارع بشدة .....

تاوهت اعلى وهي تتمسك بذراعي احمد الذي سحبها الى الفراش مرة اخرى واستلقى بجوارها ممسكا بها بشدة .....ظل يهمس اسمها بقلق فوق جبهتها..... وحين حاول تركها ازدادت تشبثا به وهي تهمس بضعف

" احمد .....الالم يعصف برأسي , لا اتحمله ..... افعل شيئا ارجوك "

همس احمد بقلق " سابين سأتركك لحظة لأكلم طبيبتك..... "

صرخت سابين وهي تعاود تغطية عينيها و صدرها يتزايد علوه وهبوطه بشكل ملحوظ .....فضمها احمد اليه بقوة وهو يلهث قلقا .....قال بعد لحظة

:" سابين حبيبتي ..... اهدئي قليلا , ستؤذين نفسك "

كانت دموعها تنهمر الان دون توقف على وجهها .....وقالت بضعف " لقد آذيتني كثيرا ..... آذيتني اكثر من أي انسان عرفته "

اخفض نظره اليها بسرعة وهو يسمع هذا الاتهام المتقطع الخارج من شفتيها المرتجفتين الما .....امسك وجنتها بيده الضخمة وظل يدلك لها جانبي وجهها برفق حتى يخف الم رأسها قليلا ثم قال يهمس

:" سابين ..... سأتركك للحظة واحدة حتى أتمكن من محادثة طبيبتك "

كانت الان قد بدات تبكي بهستيرية .... وكان تعب الفترة الماضية كلها قد حل عليها مخرجا كل العذاب الذى شعرت به ....ابتلع احمد ريقه بصعوبة والرعب يكاد يمزق قلبه عليها.....

اقترب منها ليقبلها بارتجاف وهمس فوق شفتيها المرتعشتين الما وبكاءا " سابين ..... ماذا تريدين اخبريني حبيبتي وسأجلب لك كل ماتحتاجين "

تأوهت اكثر وبكت أعلى وهي تغمض عينيها بشدة ثم صرخت باكية " لن تعطيني أبدا ما أحتاج ..... لن تستطيع "

ضمها اليه بقوة وهو يشعر بانه على وشك الانهيار من رؤيتها بهذه الحالة الغريبة والتى من المؤكد ستؤذيها..... همس في اذنها

" اخبريني ..... فقط اخبريني "

اخذت تبكي وتشهق في صدره عاليا متشبثة بقميصه من شدة الألم الذى سيفجر رأسها .....ثم صرخت بضعف واستجداء

" أريد ..... أريد .....أريد أن أكون كامتثال "

جمد في مكانه لحظة وهو ينظر اليها بحيرة .... هل هي تهذي ؟..... يالهي ... هل وصل بها الألم الى حد الهذيان .... فقال بغباء يحاول استيعاب ما تقوله....

" هل تريدين تنظيف البيت بنفسك .....افعلي ماتريدين حبيبتي , أنا لن أمانع ابدا ... أنت سيدة هذا البيت "

صرخت وهي تضرب صدره بقوة وقد بدأت تفقد السيطرة على لسانها السليط الذى كان قد تعود الاحترام الفترة السابقة .....أمسك احمد بمعصميها بقوة ورفعهما أعلى راسها مثبتا اياها على الوسائد من خلفها .....وصرخ في وجهها بشدة

" سابين ..... توقفي عن ذلك , إنك تضاعفين الم رأسك "

اخذت تبكي أمام عينيه وقد شعرت لاول مرة انها اصبحت مكشوفة له تماما بعد أن عرت روحها اليه بهذه الطريقة .... الا إنها فقدت القدرة على التمثيل

.....أرادت أن تكون سابين الموجودة بداخلها لأول مرة ..... لا تلك التى كانت تحاول النجاة بها دائما.....

همست تلهث ببكاء مرير " أريدك أن تثق بي .....أريدك فقط ان تثق بي , لم يهمني رأي مخلوقٍ من قبل .....الا أنت "

اخذت تبكي بشدة حتى بدأت تهدا بصورة مرعبة الى أن غابت عن الوعي تماما .....بعد ذلك ... كان ماحدث عبارة عن أصوات متشابكة رحلة طويلة في سيارة ..... هتاف أشخاص ....أحدا يمسك ذراعها ويدس شيئا حادا بها .....بكاء ناعم .....انها حلا او سما.....

شخص يقرأ آياتٍ قرآنية بجوارها ....يدٍ تمسك بيدها ...همس وصل الى اذنيها .....سلمها من كلِ شرٍ يا رب العالمين ..... احفظها لي ولطفلتينا.....

بعدها غابت عن الوعي عدة مرات .... لتعود كل مرة بسماع اصوات مختلفة .... لقد انخفض الضغط .... الان هي الفرصة الوحيدة لتتم الولادة .....لا .... لا .... إنها لا تريد الولادة الآن ..... لم يأتِ موعدها بعد , سينتزعون طفلتها انتزاعا ..... استطاعت الهمس بضعف

"لا .... لا .... لا أريد الولادة الآن..... "

شعرت بيدٍ رقيقة تربت على كتفها وصوت الطبيبة تقول لها ببطء ووضوح لتستطيع سماعها

" سابين .... لقد انساب الماء المحيط بالطفلة , دون ظهور أعراض الولادة ..... لذا لا بد من أن نخرجها الآن ... لقد انتظرنا الى أن انخفض الضغط "

اخذت سابين تبكي وهى تهز برأسها نفيا .....الى أن اقترب منها احمد ليمسك يدها بقوة ويضع جبهته فوق جبهتها .....ثم همس باختناق

" اصمدي قليلا حبيبتي .....من أجل طفلتينا "

هدات سابين قليلا لكنها ظلت تبكي بصمت وهمست " تالا..... "

أومأ احمد فوق جبهتها وهو يهمس بضعف " نعم ..... تالا تحتاجك و تلك الصغيرة التى ستسمينها بنفسك .....وأنا أحتاجك قبلهما فاصمدي من أجلي حبيبتي "

اغمضت عينيها بوهن واراحت راسها الا انها سمعت صوت احمد وهو يسال الطبيبة بصوتٍ لا يشبه صوته

"هل من الصواب ان تجري جراحة وهي في مثل هذه الحالة..... "

" لن نستطيع ترك الطفلة اكثر بعد ان فقدت السائل المحيط بها ..... كما ان سابين انخفض ضغطها واخشى ان يرتفع مرة اخرى وقتها سيكون من الخطورة اتمام الولادة "

اخذت سابين تتوه قليلا ثم تعود .....تشعر بمن يلبسها شيئا غريبا .... تسمع صوت احمد يقول بصلابة "سادخل معها..... "

صوتا اخر يقول "غير مسموح ..... من فضلك انتظر بالخارج "

ها قد بدا الشجار بين احمد وبين أحدٍ ما يريد اخراجه ....لم تستطع منع نفسها من الضحك بوهن شديد

"سابين ...." وصلتها همسته ولمسة يده وهو يقترب منها بوجهه ذو النفس الدافىء الذى يلامس وجنتيها ... همس لها بلوعة

"هل أنتِ متيقظة حبيبتي .....افتحي عينيكِ وانظري لي "

فتحت سابين عينيها بصعوبةٍ شديدة فطالعها وجهه القوى يكاد يلامس وجهها ... في عينيه مشاعر غريبة لم ترها منه من قبل ....ابتسمت بضعف ... ورفعت يدها لتتلمس فكه القوي ... فاطبقت يده على يدها ليطبع شفتيه على راحة كفها بقوةٍ كادت أن تكسر عظام أصابعها الرقيقة .....تترك شفتاه كفها الآن لتنتقل الى أذنها ويهمس

" سأنتظرك .... لاتتأخري هنا حتى لا اقتحم المكان مطالبا بأم أطفالي .... هل فهمتِ ؟؟"

ضحكت سابين بتحشرج وهي تومىء برأسها ودموعها غير قادرة على التوقف .....بعد ذلك اصبح كلِ شيء ضبابي أمامها ....الى ان غابت عن الوعي تماما.....

كم مر من الوقت .....يبدو كدهرٍ من الزمن .... إن لم يخرجوها حالا من الغرفة الكئيبة سيدخل ليقتحمها ..... يااارب .... يااارب احفظها ... لقد شعرت بمرارة الفقدان من قبل .... يا رب لا أعترض على قضائك .....لكن لا راحة الا باللجوء اليك.....

احفظها من أجلي ومن أجل ابنتي يا أرحم الراحمين....

شعر احمد بأنه على وشكِ الانهيار ....لم تأخذ ولادة ليال كل هذا الوقت .... ماذا يفعلون بالداخل كل هذا .....أفاق من شروده على كف أمه الحانية وهي تربت على كتفه هامسة " لا تقلق حبيبي ... باذن الله ستكون بخير هي والطفلة "

نظر احمد الى أمه فتره بعينين حمراوين بلون الدم ثم قال باختناق " إن حدث لها شيء ..... لن أسامح نفسي أبدا , أنا لم أعطها أبدا الفرصة التي كانت تستحقها .....كل من عرفها عن قرب فهمها جيدا ... الا أنا , وقد لا تأتي الفرصة لأقول لها هذا "

فتحت اميرة فمها لتنهييه عن هذا التشاؤم لكن خروج الطبيبة منعها من الكلام .....والتى اثار خروجها هجوم الجميع ... سما وحلا .. يليهم فارس وادهم .... لكن في المقدمة كان احمد يندفع الى الطبيبة بلهفة سائلا عن حال سابين ..... فابتسمت وهي تطمئنه عن أن الولادة سارت على أكمل وجه .....وأن بعد دقائق بامكانهم الذهاب لغرفة الرضع لرؤية الصغيرة المحاربة .....

ذهب الجميع بعد ان استقرت سابين في غرفتها .... بينما ظل احمد بجوارها ممسكا بيدها وهي ترتجف بشدة بعد افاقتها ... كانت تتاوه و دموعها تنساب من شدة الام الذى افاقت عليه ....كانهم مزقو معدتها بنصلٍ حاد شر تمزيق .....اقترب منها احمد يتلمس وجهها برقة يخبرها ان المسكن حالا سيهدىء الالم وانه لن يذهب الى اي مكانٍ حتى تخرج معه .....همست تبكي

" أريد المزيد من المسكنات..... لا أحتمل الألم "

ضحك احمد قليلا وهو يهبط برأسه ليقبلها بقوة ليمنحها كل المسكنات التي تحتاجها ... تاوهت سابين حين ضغط عليها وهتفت بحنق

" ابتعد يااااا احمد .....بطنيييي " فابتعد على الفور وهو يعتذر بلهفة ... قالت سابين بسرعة

"اين طفلتي ؟....." ضحك احمد وعيناه تتدفقانِ حبا غير موصوف ثم قال مختنقا :" لم أرها حتى الآن

... الجميع ذهب لرؤيتها , الا أنني سأراها حين تأتِ الى هنا ..... لنراها لأول مرةِ معا "

فتحت عينيها تنظر الى ذلك المخلوق الضخم الخشن والذى ينظر اليها الآن بعينين تفيضانِ حبا .... هل تلك الصغيرة المحاربة هي التى ستعيده اليها .....هل لهما فرصة معا.....

بعد فترةِ كانت الممرضة تدخل الغرفة مبتسمة تجر معها فراشا صغيرا .....يحتوي زهرة بيضاء ذات شعرِ كثيفِ اسود كجناح الغراب

شهقت سابين بصمت ... بينما تناولها احمد برقة وعيناه تتلالان حبا ودموعا .....قربها منه ليقبل وجنتها المخملية ثم همس الله اكبر في اذنها .....همست سابين بلهفة " أريد أن أحملها..... "

ساعدها احمد لتستقيم قليلا برفق ثم ناولها الصغيرة بين ذراعيها وهو يسند ظهرها بذراعه ....ضمتها سابين الى حضنها بلهفةِ وهي تنظر الى عينيها اللتين فتحتا الآن ....إنهما داكنتين كسطحي فنجانين قهوة .....همست سابين تناجيها بانبهار " مرحبا..... "

سألها احمد مبتسما يهمس حتى لا يفسد تلك اللحظة "ماذا ستسمينها ؟....."

لم تنظر اليه سابين بل ظلت تنظر مبهورة الى تلك الصغيرة التى تكاد تقسم أنها تبادلها النظر بمنتهى التركيز .....همست أخيرا

" أنت سميها ....." نظر اليها احمد بدهشةِ هو يسأل " أهذا ما تريدينه ؟..... متأكدة ؟؟"

أومات سابين دون أن ترفع عينيها عن الصغيرة .....
فقال احمد بعد فترةٍ " سأسميها اذن تميمة .... فهي تميمتي الصغيرة "

نظرت اليه بدهشة ... وقالت بصدمة " ماذا ؟؟ .... تميمة ؟؟... كنت أعلم أنك ستفسد الأمر ؟؟"

ضحك احمد وهو يشدها الى حضنه اكثر وهمس " انظري اليها .... اليست تميمة ؟؟"

نظرت سابين الى الصغيرة المحدقة بانتباه .... فضحكت هي الأخرى وقالت " نعم ..... نعم إنها تميمة .... فلتكن اذن تميمة "

.....

.....

.....

في نهاية اليوم وبعد أن بقى الجميع ضاحكين سعداء بعد تلك الفترة العصيبة التى مرت عليهم .... أصرت عليهم سابين أن يذهبو جميعا ليرتاحو قليلا .....وبقي معها احمد بعد أن ودع تالا التى كانت من السعادة و الانفعال بحيث كانت تضحك وتبكي في نفس الوقت....

اقترب منها احمد ببطء بعد أن أخذت الممرضة الطفلة وخرجت .....فجلس بجوار فراشها وبدون أي مقدمات التقط وجهها بين كفيه ليقبلها بقوةٍ ثم همس " لقد تسببتِ لي في رعبٍ اليوم لم أشعر به في حياتي ... أيتها الحمقاء "

عبست في وجهه وضربته على ذراعه وهي تقول بحدة " هل هذه هي فكرتك عن الكلمات العاطفية..... "

ضحك احمد وهو يضمها باحتراس قائلا بسعادة "وما الذى تعرفينه أنتِ عن العواطف ..... يا مجنونة "

نظرت اليه طويلا .... هل هذه هي بداية لهما .....
أتكون بالفعل ..... لن تجرؤ أن تساله ..... تريد أن تعيش الايام المقبلة بكل ما ستحملها لهما معا.....

فتح باب الغرفة فجأة بحركةٍ مسرحية .....وأطلت عشرات البالونات الملونة والمنفوخة بالهيليوم .....ثم تلاها وجه عمار المبتسم ..فاردا ذراعيه وهو يقول بصوتٍ عالٍ

"أين هي تلك الوالدة الجديدة المثيرة....."

أغمضت سابين عينيها .... يالهي .... لم تمر لحظات على تفكيرها بالبداية .... وها هو الأحمق يوشك على أن يكتب حروف النهاية بنفسه.....

سكت عمار حين فوجيء برؤية احمد في الغرفة .....فقال بفتور واضح " والوالد أيضا هنا ..... ياللسعادة "

تشنج جسد احمد وتقلص عضلاته أخبر سابين أنه على وشكِ النهوض وافتعال فضيحة ستذكرها هذه المشفى لسنوات عديدة لاحقة .... فامسكت بيده بقوةٍ قائلة بحزم .... دون أن ترفع عينيها عن عينيه

"الن تهنيء احمد يا عمار..... "

أخذ عمار نفسا عميقا ثم وضع البالونات من يده وتقدم الى احمد مادا يده وهو يقول " الازلت لا تفضل المصافحة ؟....."

نهض احمد على مضض ثم امسك بيد عمار الذى جذبه فجاة ليهمس في اذنه " لا تعتقد انني نسيت لكمتك ..... واعدك بان اردها لك "

لف احمد وجهه اليه ليهمس هو الاخر "لما لا نخرج الآن الى أي مكان لتريني ما تستطيعه..... "

همس عمار " ليس الآن .....لكن أعدك بيومٍ قريب "

ابتعد عمار مبتسما بسعادة وهو يربت على ذراع احمد مهنئا بزيفٍ واضح ..... ثم اقترب من سابين مادا يده اليها , لكن نظرة احمد أخبرتها أنها ستكون في عداد المفقودين إن تجرأت ومدت يدها.....

نظرت سابين نظرة معتذرة الى عمار ... الذى سحب يده غامزا لها دون أن يراه احمد.....

فكرت سابين ..... إن عمار هذا يهوى التلاعب بالنار ..... وإن عرف احمد ما عرفته هي عن اقترابه من دارين فستكون كارثة فوق رؤوسهم جميعا.....

.....

.....

.....

بعد شهرين.....

كان احمد واقفا خارج غرفة تالا بعد ان نامت تميمة بمعجزةٍ بين ذراعيه اخيرا .....كان مستندا الى الحائط مبتسما مكتفا ذراعيه وهو يستمع الى سابين المستلقية بجوار تالا ..... تحكي لها قصة ارتجالية من وحي خيالها المبدع .....كانت قصةٍ غريبة عن مجموعةٍ من التنانين و السحرة و أيضا هناك عروس بحرٍ لكن دون بحر ..... تعيش معهم على الارض .....لقد اغفلت سابين هذه النقطة.....

ظلت سابين تحكي وتالا تضحك بمرح ..... الى أن قالت سابين في النهاية " وها قد تزوجت عروس البحر من التنين .... بعد أن اكتشفا أنهما من نفس الفصيلة "

قالت تالا بمرح " عروس البحر ليست من فصيلة التنانين إنها من الاسماك"

نظرت اليها سابين بحنق وهي تقول

"وماذا عن التنين اذن ؟.....إن ظللت تدققي في كل نقطة بهذه الطريقة فلن أحكي لكِ قصة أخرى أبدا ..... هل فهمت ؟؟الآن هيا الى النوم لديك مدرسة مبكرا "

قبلتها سابين ثم خرجت من الغرفة وأغلقت الباب لتجد احمد واقفا أمامها .....نظرت اليه بأمل وقالت " هل نامت ؟؟؟....."

ابتسم دون أن يجيبها لكن بريق عينيه أخبرها الإجابة ..... اقترب منها ليحملها بين ذراعيه مرة واحدة وهو يقول بشغف

" أحبك .....يا أم البنات "

ابتسمت وهي تحيط عنقه بذراعيها وهمست " أحبك ..... يا أبا البنات "

دخل بها أى غرفتهما متمنيا من كل قلبه الا تستيقظ الصغيرة الساعتين التاليتين ..... فلديه الكثير ليتباحثه مع أمها .....

الخاتمة

أوقف سيارته السوداء المكشوقة بحركةٍ مفاجئة مصدرة صوتا عاليا اثار انتباه كل من حوله أمام مدخل الكلية .... ثم ترجل منها بحركةٍ مغرية مدروسة وهو يرى من تحت نظارته السوداء ... نظرات الإعجاب من حوله ... وفتياتٍ يحملن المعاطف البيضاء ينظرن اليه بعضهن باعجابٍ صارخ بينما الأخريات ينظرن بحنقٍ من مظهر العبث المنبعث منه.....

سار متمهلا متقصدا امام طبيبات المستقبل الصغيرات وهو يتسائل عن سبب ازدياد جرعة الجمال لدى الطبيبات عنها حين كان يتم علاجه .....أم أنهن كن جميلاتٍ أيضا؟؟ .....ابتسم لأحدى الطالبات والتي تطوعت أولا باهدائه ابتسامة اعجاب ... ثم أكمل طريقه

الى حيث تقف سما .....أراد أن يفاجئها اليوم بينما هو يعلم جيدا أنها لا تحب حضوره الى كليتها ... ابتسم بخبث وهو يعرف سر حنقها ... من المؤكد أنها تغار عليه من زميلاتها الجميلات .....مسكينة سماؤه الصغيرة ..... أنها لا تجيد التعامل مع عالمه الجديد الى الآن ..... لا تستطيع تقبل نظرات الإعجاب من حوله ..... طالما أنه يخفي عينيه العليلتين بنظارته السوداء فهو يبدو بمنتهى الوسامة .... ليس غرورا لكنه الأمر الواقع ..... فنظرات الفتيات تغمره من رأسه الى قدميه أينما ذهب .....لقد عاد فارس مهران .....فكر بهذه الفكرة التى تجعله يشعر بابتهاج خبيث كلما طرأت بباله.....

كان يسير متمهلا مبتسما بخيلا .... الى أن توقف فجأة مكانه .....ظل متسمرا وقد تصلب وجهه وبدا وكانه قد نحت من حجر .....فعلى بعد أمتارٍ عديدةٍ منه , كانت سما واقفة تحمل كتبها الثقيلة و معطفها الأبيض على ذراعها .... تستمع بانتباه كلي لما يبدو أنه طبيبا نوعا ما ..... رجلا ضخما ذو عضلاتٍ قوية يكاد أن يخفيها بحجمه .....خشن الملامح صلب الهيئة وذو لحيةٍ صغيرة تحيط بفمه في أناقة و رجولة .....كان يتكلم باهتمام مقطبا جبينه وكأنه لا يرى تلك الجميلة الواقفة أمامه ... بل أن كل تركيزه منصب على ذلك الحوار الذي يأسرها به لتستمع اليه بكل هذا الإنتباه.....

رفع فارس نظارته السوداء عن عينيه وهو ينظر اليهما بشراسة .... ثم أخذ يقترب منهما متمهلا الى أن لمحته سما ..... إن كان توقع أن يرى الحماسة في ملامحها لرؤيته فقد خاب توقعه الآن ..... فسما عبست قليلا وهي تنظر اليه بعينين تلمعانِ حنقا من تطفله عليها....

وصل فارس اليها فلاحظه الطبيب الواقف معها فسكت عن الكلام وهو ينظر اليه متسائلا .... الا أن فارس ظل صامتا لعدة لحظات وهو يرمقه بنظراتٍ شرسه و أن كانت النظرات تقتل لكانت أردته قتيلا الآن.....

كانت سما هي من أبتدات بقطع هذا الصمت القاتل فقالت بصوتٍ حاولت قدر الإمكان مدراة الغضب بداخله.....

" دكتور اسلام ..... أعرفك بفارس ..... زوجي "

نطقها لكلمة زوجي اثارت غضب فارس للغاية ... فقد نطقتها بصوتٍ خافت قليلا و كأنها تخجل منها ..... من المفترض أن تشعر بالزهو لأنها زوجة فارس مهران .... لا أن تقولها بهذه الطريقة المحرجة.....

تابعت سما تقول لفارس بغيظ لم يلمحه الا هو " فارس ..... أعرفك النائب اسلام "

أحنى الطبيب المجاور لها رأسه لفارس في تحية جوفاء زادتت من غضبه اكثر واكثر ..... ثم عاد الصمت ليسود وكأنهما ينتظران منه الانصراف.....

قال فارس في حدة مفاجئة " سما .....هيا لننصرف ....."

عقدت حاجبيها وهي تنفث حمما من فمها الغاضب ..... لكنها آثرت السلامة فالتفتت الى الطبيب مبتسمة باعتذار وهي تقول برقة لم تمنحها لفارس منذ أن وصل

" اعتذر بشدة دكتور .....لابد لي من الانصراف , لدينا موعدا هاما "

ابتسم الطبيب لها برقة وهو يقول بهدوء " لا عليك سما تفضلي ..... لكن لا تنسي ذلك التقرير "

أومأت برأسها مبتسمة ثم مدت يدها اليه تنوى مصافحته الا أن فارس مد يده بسرعة ليلتقط يدها الممدودة و جرها خلفه بعد أن ابتسم للطبيب ابتسامة باردة تعتبر تحيه غبية.....

ظلت سما تسرع الخطا خلفه وهي تشعر بانها على وشك الانفجار من شدة غضبها على فظاظة فارس و احراجه لها أمام استاذها....

جذبت يدها من يده بعنف و وقفت مكانها بصلابة ... فتوقف مكانه ليستدير اليها متسائلا بغضب الا أنها لم تمهله ليسأل بل سألته بحدة

" ما الذى أتى بك يا فارس ؟؟..... كم مرةٍ أخبرتك أنني لا أريدك أن تأتي الي هنا ؟؟ أنت تحرجني بمظهرك و تصرفاتك "

اتسعت عيناه قليلا وهو ينظر اليها .... يحرجها ؟..... بمظهره وتصرفاته ؟؟!!.....شعر بأنه على وشكِ ارتكاب جريمة لذا حاول جاهدا السيطرة على نفسه وهو يقول ضاغطا على أسنانه....

" هيا للنصرف الآن وسيكون لنا حديثا آخر في البيت .....ثم من هذا الذي كنت تقفين معه هذه الوقفة الوقحة وحدكما "

جاء دورها لتتسع عيناها هي الأخرى ثم قالت بغضب

" وقفة وقحة ؟؟؟!!..... إنه استاذي ... وكنا نتكلم في أمورٍ أنت بالتأكيد لن تفهمها مهما حاولت "

ازدادت شراسة عينيه و كاد أن يبطش بها ... الا أن ما منعه هو اقتراب فتاة جميلة لا يتجاوز عمرها التاسعة عشر .....تحمل أيضا معطفها الابيض وتتهادى بدلالٍ من سما الى أن وقفت بجانبها دون أن ترفع عينيها عن فارس .....ثم قالت وهي تبتسم باغراء

" مرحبا سما .....عفوا لم اقصد مقاطعتكما "

التفتت اليها سما بشراسة وهي تلمح نظرات الاعجاب الفجة المتجهة الى فارس ... كما لاحظت أيضا بطرف عينها فارس وهو يسارع بتغطية عينيه بنظارته السوداء ..... ليخفي اثار التعرجات المحيطة بهما و ليبدو اكثر وسامة.....

شعرت سما بقلبها ينبض غضبا فلم تتمالك نفسها وهي تنظر الى زميلتها الصغيرة وتقول بحدةٍ واضحة

" مرحبا زهرة ..... لم تقاطعينا أبدا , أعرفك على زوجي فارس ..... فارس , زهرة زميلتي في نفس العام الا أنها تصغرني بأربعة أعوام .....أي أنك لو كنت قد تزوجت في سنٍ أصغر قليلا كان من الممكن أن يكون لديك ابنة في مثل طولها .....إنه في الخامسة و الثلاثين يا زهرة ..... أتصدقين هذا ؟؟..... اقدر دهشتك فأنا أعرف أن فارق العمر بيننا لا يستهان به "

شعر فارس في هذه اللحظة انه على وشكِ ان يقتلها بالفعل وهي تحرجه بهذه الطريقة أمام تلك الفتاة التى احمرت خجلا و احباطا بالرغم من عدم زوال الاعجاب من عينيها .....ثم قالت لسما بصوتٍ مغرٍ هامس و محبط

"يناسبه العمرتماما يا سما..... "

التفتت اليها سما بشراسة و هي ترغب في ضربهما معا ..... دائما ما يجلب معه الاحراج والاستفزاز كلما جاء الى هنا.....

قالت سما بفظاظةٍ لا تناسبها " هل كنتِ تريدين شيئا يا زهرة ؟....."

ارتبكت زهرة قليلا وهي تحاول تذكر الحجة التى أتت بها لتكلم سما فلربما عرفتها على من كانت تظنه شقيقها الأكبر .... لتفاجأ بأنه محجوز .....فقالت متلعثمة

" كنت أريد ..... دفتر المحاضرات الخاص بك و سأعيده اليك غدا "

أخرجت سما الدفتر من بين كتبها ثم دفعته بفظاظة بين يدي زميلتها وهي تقول بجفاء

"تفضلي ..... اياكِ و اضاعته او افساده ... لقد تعبت كثيرا في تسجيل ما فيه ..... و أرجو منكن أن تبدأن في كتابة دفاتركن الخاصة ..... لأنني لست المسؤولة عنكن .... كلكن تضيعن وقتكن و أنا الوحيدة التى تقوم بعمل كل شيء لتأخذنه على الجاهز "

عبست زهرة في وجهها و هي تقول تصفها في نفسها بكلماتٍ من المؤكد لن تعجبها .....بينما تطوع فارس ليسحب سما من ذراعها وهو يومىء مبتسما رغما عنه للفتاة الحانقة.....

حاولت سما أن تجذب ذراعها من يده الا أنه تمسك بها اكثر هذه المرة .... الى أن وصلا الى سيارته فركبت حانقة و صفق هو الباب خلفها بغضب....

انطلقت السيارة بقيادته الحمقاء و التى بدأت في اعتيادها بعد أن يأست من محاولة الزامه بالقيادة الهادئة .....قال بعد فترةٍ و بعد أن هدأ غضبه قليلا

:" كنت أعرف أمثالك اثناء دراستي..... "

التفتت اليه بحدة وهي تهتف بلهجةٍ منذرةٍ بالشر " أمثالي.....!!!! "

نظر اليها بطرف عينه ثم عاد لينظر الى الطريق و هو يقول بهدوء مستفز

" نعم .... الذين يأكلون الكتب أكلا , و يشعرون بأن من يأخذ شيئا من ملخصاتهم وكأنه اخذ قطعة من قلبهم "

عقدت حاجبيها بشدة بينما احمر وجهها وازداد غضبها لدرجة انها شعرت باقتراب تفجر دموعها لكنها استطاعت أن تقول بصوتٍ مختنق

" لمجرد العلم فقط .... أنا اساعد الجميع , حتى أنهم بدأو في استغلالي بعض الشيء .... لذا من فضلك لا تبدي ملاحظاتك السخيفة , ثم ما أدراك بالدراسةِ أصلا ؟..... أراهن ان سنوات دراستك كان المفهوم العلمي لها هو عدد الفتيات الاتي أوقعت بهن خلال هذه السنوات "

لم يجبها .... الا أنها شعرت بأنها أوصلته لحافة غضبه بالفعل .... واخذت نفسا عميقا وهي تراه يزيد سرعته اكثر و اكثر ..... ارتجفت بشدة من سرعته الجنونية ... ثم قالت بجفاء تحاول امتصاص غضبه قليلا

" لماذا جئت اليوم ؟..... ولما لم تخبرني قبل أن تأتي "

لم يجبها للحظات ... وظل يقود مراقبا الطريق بغضب , لكنه قال بقسوةِ بعد فترة

" أردت أن افاجئك و أصحبك لتناول الغذاء في الخارج ....."

تنهدت مرتجفة وهي تشعر بقلبها الضعيف يحن اليه ثم قالت بصوتٍ خافت " الى أين سنذهب ؟....."

اجاب بكلمةِ قاطعة " الى البيت ....." فتحت عينيها وقالت برجاء ضعيف " الم تقل..... "

قاطعها بقسوةِ " غيرت رأيي ..... أنت لا تستحقين شيئا , سنذهب الي البيت و سامنحك نصف ساعة فقط لأرى الطعام جاهزا أمامي "

عبست مرة اخرى ثم قالت بغضب " لن أحضر شيئا ..... لست طفلة لتعاقبني "

نظر اليها بغضب ثم قال بصوتٍ مهدد " سنرى هذا حين نصل..... "

ابتلعت سما ريقها وهي تنظر من نافذة السيارة تسال نفسها عن السبب التافه الذى جعلها تسعى لاستفزازه الى هذه الدرجة .... لم يكن حضوره يستحق كل هذا الغضب.....

حين وصلا الى بيتهما ....سارعت سما للصعود وقد بدات تشعر بفقدانها دفعة الشجاعة التى كانت تكلمه بها منذ قليل.....سمعته يصفق الباب بعد ان دخل ... وقبل أن تهرب هي الى غرفتهما كان يقول بصرامة

" سماااا..... "

تسمرت مكانها دون ان تلتفت اليه ..... ماذا تفعل الآن ....لقد أثارت غضبه الغبي وقد حدث ما حدث .....ظلت واقفة و قد استبد بها الخوف رغما عنها و هي تسمع خطواته تقترب منها الى أن وقف خلفها مباشرة

ثم قبضت يداه على ذراعيها لتديرها ناحيته بقوة فأخفضت رأسها لا تريد أن تنظر اليه ..... لكن صوته صدمها حين قال بقوة

" انظري الي..... "

ارتجفت قليلا الا أنها رفعت رأسها ببطء لتنظر اليه دون أن تظهر خوفها ... فتطلعت الى عينيه القاسيتين وهما تنظرانِ الى عينيها طويلا ..... ثم قال بلهجةٍ خطرة

" اذن فأنا احرجك أمام زملائك بمظهري..... "

عادت لتخفض راسها وقد فقدت قدرتها على ادعاء الشجاعة .. همست مرتجفة "لم أقصد بهذا الشكل ....."

الا أن فارس تابع يقاطعها بنفس الصلابة

" وأنا لن افهم ما كنتما تتحدثانِ عنه مهما حاولت ....."

تخبط قلبها بين ضلوعها وعضت على شفتيها وهي ترفض النظر اليه .. بينما تابع مجددا

" وأنا مفهوم سنوات الدراسة عندي يتمثل في عدد القتيات الاتي أوقعت بهن..... "

أغمضت سما عينيها و مستمرة في الاطراق برأسها رعبا ..... ماذا دهاها لتهاجمه بهذا الشكل لمجرد أنه أتى اليها .....استطاعت أن تتفوه بضعف

" وأنت قلت انني ممن يأكلون الكتب ومن يأخذ منهم شيئا يكون كمن اخذ حياتهم..... "

قاطعها قائلا بهدوء " قطعة من قلوبهم..... "

رفعت سما عينيها الجميلتين الخائفتين تنظر اليه وهي تسال بحيرة " ماذا ؟؟....."

قال فارس بهدوء " قلت قطعة من قلوبهم ... وليست حياتهم .... هكذا كنا نطلق عليهم ... أكلة الكتب "

زمت سما شفتيها بغضب الا انها لم تجرؤ على التفوه بكلمةٍ حتى لا تزيد من غضبه المرعب ..... شعرت بوجهه يقترب منها اكثر حتى لامست انفاسه عنقها فعادت لتغمض عينيها تجاه موجة الشوق المعتادة التى تصيبها ما أن يقترب منها

سمعت صوته يهمس بحزنٍ معاتبا بأنفاسه الدافئة " هل أصبحت أحرجك الآن يا سما ؟.....لم تشعريني يوما بهذا قبل أن أستعيد بصري "

زفرت نفسا مرتجفا و هزت راسها نفيا وهي غير متيقنة مما تنفيه حقا ..... لقد آلمته ..... لقد جرحته و يظهر هذا بوضوح في صوته

همست بضعف

" أنت لا تحرجني ..... ولم تحرجني يوما , لا زلت غير معتادة على تلك الهالة المحيطة بفارس مهران ..... لست معتادة على الانتماء الى فارس مهران ..... اعتدت دوما على انتماء فارس لي ..... انا خائفة ..... خائفة جدا يا فارس من أن يأتي يوما..... "

وضع اصبعه على شفتيها قبل أن تكمل ما كانت ستقوله .... فابتلعت كلماتها وهي ترفع عينيها اليه لتذوب في سحر عينيه المجعدتين

لكن في عينيها هي ... لم ترى عينين أجمل منهما يوما .....

أحاط فارس وجهها بكفيه ليرفعه اليه .....و ذاب هو الآخر في عينيها السماوتين ثم قال بصوتٍ خنقه الشغف بسماؤه

" ومن كان فارس مهران قبل ياسمينا ؟.....ومن سيكون بعدها ؟ ....."

لمعت عيناها بالدموع الماسية ...ولم تستطع النطق طويلا ... من ستكون سما بدون فارس .....لم تكن هناك ياسمينا قبل فارس.....

تشعر أنها ستظل دائما تحيا خوف الشبح المسيطر عليها منذ سنوات ... رحيل فارس بعيدا عنها.....

ابتلعت تلك الغصة التى تخنق حلقها ثم قالت بتعثر و اختناق

" اذن ..... هل ستصحبني للغذاء أم ماذا ؟....."

ابتسم ببطء شبه ابتسامة شيطانية ثم مد إصبعه الاسمر ليمسح دمعة تعلقت عند زاوية عينيها .....وهو يهز رأسه نافيا

عقدت حاجبيها وهي تراه مصرا على معاقبتها فابعدت إصبعه عن بشرتها الناعمة و قالت بغضبٍ طفولي

" حسنا .... ابتعد عن طريقي , نصف ساعة و سيكون طعامك جاهزا "

لكنه لم يبتعد .. بل أمسك بخصرها بيديه القويتين و ابتسامته تزداد اتساعا بينما نظراته تزداد عبثا وهز رأسه معترضا مرة أخرى

تلوت سما تريد الفكاك من بين يديه المحكمتين على خصرها وهي تقول بغضب

" ابتعد يا فارس ..... إن كنت تظن أن اسلوب معاقبتي هذا سيجدي فأنت مخطىء "

لكنه شدها بقوةٍ لترتطم به ثم عاد ليقترب من وجهها ليهمس فوق فكها

"بل اعتقد أنه سيجدي جدا يا سيدة سما ..... و سأريك بنفسي "

كانت تبتسم دون إرادة منها بينما حاجبيها معقودانِ غضبا وهي مستمرة في مقاومته ....وكان هو يفكر

مبتهجا ... كم تبدو شهية وهي تفقد القدرة على مقاومة انجذابها اليه حتى في لحظات غضبها منه....

بعد فترة طويلة و بعد أن تجاوزا فترة الغذاء ليتحول الى عشاء كانت سما تعده في المطبخ ..... كان فارس جالسا على حافة الفراش ممسكا بصندوقِ سما الخاص ..... صندوق الأسرار.....

إنها لا تعلم أنه تقريبا يخرجه من مخبؤه كل يوم .....فهي تعتقد أنها تخفيه جيدا ... في دولاب ملابسها .... مختفي تحت الكنزات المطوية .....وهو لا يعلم لماذا لا تظهره له بنفسها ..... لكنه لا يشعر بالخجل أبدا من إخراجه كل يومٍ للعبث بمحتوياته ....فلا مجال للخصوصيةِ بينه و بين ياسمينته الصغيرة

فتح الصندوق الخشبي الجميل ..... ثم أخرج منه زرافة خشبية صغيرة .....أخذ يتلمسها برفق بأصابعه الخشنة .....ابتسم بحنان ثم تركها ليخرج فيلا خشبي .... ضحك فارس وهو ينظر الى أنف الفيل المشوه .....وضعه ليخرج قردا طريفا صغيرا ..... إنه لا يتذكر هذا الصغير تماما ... ابتسم وهو ينظر اليه ثم همس برقةٍ مخاطبا هذا القرد الصغير

:" متى صنعتك أيها الصغير ؟..... لتأخذك صغيرتي و تخفيك بداخل قلبها "

التقط صورة لشخصٍ وسيمٍ تافه .... عاش تائها في حياةٍ طويلة باحثا عن شيء لم يكن يدري ما هو ..... الى أن وجده دون أن يراه.....

سما .....قلب الصورة ليقرأ ما خطته أنامل رقيقةٍ على ظهرها

" اليك أهدي حبي يا من أحببتك دون أن تراني .... أما من نسمةٍ تطير اليك لتهمس لك بسرٍصغير..... عاش

ليخفيه قلب ينبض من حولك ... مناديا صارخا باسمك ..... أما من نبضة يرسلها قلبك المجروح يا فارسي الأعمى .... يا من لا تراني ولا أرى سواك "

التمعت عينا فارس بدموعٍ حبيسة وهو يشعر بقلبه يصرخ مرسلا كل نبضاته الى تلك الصغيرة الوحيدة والتى لم تتعدى سنواتها السبعة عشر..... همس فارس مختنقا

" ها أنا قد وجدتك حبيبتي ..... ووعدا مني الا أضيعك أبدا , فاغفري لفارسك الأعمى و الذى لا يرى سواكِ "

" فاارس..... "

قاطعه صوتها الحبيب وهي تناديه يسبقها رائحة طعامها الشهي ..... أخذ نفسا عميقا محاولا السيطرة على الألم الذى لن يغادره أبدا مهما صفحت عنه.....

أغلق الصندوق الحبيب و أعاده مختبئا في مكانه السري وهو يعده أن يفتحه غدا من جديد ..... دون علم مالكته.....

هتف فارس وهو يجلي حنجرته المتألمة " أنا قادم ياسمينا..... "

.....

.....

.....

كانت تجلس وحيدة ....تنظر الى السماء التى غربت عنها الشمس منذ دقائق .....إنها تجلس هنا منذ ساعتين .... تنتظره دون جدوى ....لقد بكت وترجته أن يأتي .... فأجابها متمهلا مدعيا التفكير على مضض أنه سيحاول , فتوسلته من جديد ..... بكت كثيرا و صرخت تنشج .... أنها مستعدة لتوسل حبه من جديد .....

مالذى أصابها ..... والى أي حالٍ أوصلها ..... لماذا لا تستطيع أن تخرجه من حياتها ببساطة .... لماذا تشعر بأن حياتها متوقفة على نجاحها في استعادته.....

غطت الدموع وجهها و أغرقته تماما بنعومة صامتة .... جذبت أنظار كل من يجلس حولها في ذلك المقهى الجميل و الذي تنبعث منه أنغامٍ موسيقية حالمة ممتزجة براحة البن الرائع ..... لقد اختارته لتثير لديه الحنين للقائاتهما هنا منذ سنوات.....

لكنه لم يأتي ..... وها هي تجلس لتبكي من جديد ..... تبكي حبها الذى سرقته ساحرة شيطانية سوداء ..... امتصت حبه ثم لفظته بلا روح .... لتذهب و تسلب روح أخيها الوحيد ..... و تمتلك ابنته التى كانت على وشك ان تناديها بأمي يوما بدلا من كلمة عمتي ... لولا اعتراض احمد القاسي ..... وليس هذا فحسب .....بل أنها في طرفة عين أتت له بصغيرة شريرة مثلها.....

وهي التى عاشت سنواتٍ لتحاول وتحاول دون جدوى .....

لم تستطع منع شهقة بكاء انفلتت من بين شفتيها فجذبت الأنظار اليها بدهشة أكبر ..الى تلك المخلوقة الذهبية ..ذات الشعر الذهبي المتطاير و العينين اللتين تشبهانِ بركتين من العسل الصافي الغارق في دموعهما ..... لحظتها تحرك ذلك الظل الداكن و الذي كان جالسا في زاويةٍ بعيدة في نفس المقهى ليراقبها بغضبٍ ناري .....اقترب منها ببطء دون أن تشعر بوجوده حتى بعد أن أشرف عليها بطوله الفارع .....أخرج من جيبه ورقتين نقديتين تفوقانِ ثمن القهوة الحزينة التى طلبتها دون أن تمسها فأصبحت في برودة الطريق الشاحب بعد هطول الأمطار.....

نظر اليها بعبوس وهي تبدو تائهة في عالمها الحزين البائس دون حتى أن تلمحه .....فمد يده دون أن

يستطيع منع نفسه و التقط يدها الموضوعة على الطاولة ليجذبها اليه وهو يقول بخشونة

" هيا يا دارين ...لن يأتي "

انتفضت مذعورة وهي تنظر اليه من بين دموعها ..... فقالت بدهشةٍ وصدمة

" ما الذي أتى بك الى هنا..... "

ظل ينظر اليها بعبوس .... ممسكا بيدها المرفوعة اليه بينما هي جالسة مكانها تنظر اليه بضياع و الدموع تأبى أن تجف من على وجهها

قال بصلابة " قلت لكِ هيا .... و سنتكلم لاحقا "

ارتجفت قليلا خوفا من نظراته القاسية .... تلك العينانِ تخيفانها بشدةٍ .... بلونهما الغريب ونظراتهما الثعبانية .....إنها تلعب بالنار وهي تعرف ذلك ..... وذلك الشرس الواقف أمامها بهيئته الساحرة سيذيقها أياما أشد وطأة مما عرفته سابقا

تلعثمت وهي تقول بخوف " كنت ..... كنت منتظرة صديقتي .... إنها..... "

لم يمهلها لتكمل كلامها بل جذب يدها بقسوةٍ لينهضها من مكانها حتى أنها اصطدمت بالطاولة و أراقت القهوة الباردة على ثوبها .... وأصبح منظرهما غاية في الفظاعة أمام الأنظار الفضولية .....لكنه لم يأبه أبدا وقال بهمسٍ خطير

" هيا بنا لنخرج من هنا يا دارين قبل أن أفعل ما قد أندم عليه فيما بعد..... "

ارتعشت بشدة وهي تنظر اليه برعب ثم أومأت برأسها دون أن تنطق حرفا .... فقط التقطت حقيبتها لتسمح له بجرها خلفه.....

.....

.....

. .....

دخل احمد مكتب ادهم مهران دون استئذان وهو يبدو على وشكِ خنق أحدهم .....رفع ادهم عينيه عن حاسوبه وهو ينظر بدهشةِ الى احمد الذي يطل الغضب من عينيه وما أن وصل الى مكتب ادهم حتى رمى الملف الذي كان يمسك به ليسقط أمام ادهم مباشرة على سطح المكتب وهو يهتف بحنق

" لقد أخذتها..... "

عقد ادهم حاجبيه وهو ينظر الى احمد ثم بدلا من ان يساله عن سبب غضبه الاحمق استعاض عن اضاعة الوقت ففتح الملف الملقى امامه ليتعرف فورا على اوراق الصفقة التى كانو يعدون لها منذ شهرين .....فرفع ادهم نظره الى احمد وقال بهدوء

"من أخذها ؟ اليس من المفترض ان بيننا وبين المجموعات الأخرى اتفاقٍ على عدم تجاوز الأدوار المعلنة .....من تجرأ ليخرق هذا الإتفاق ؟....."

هتف احمد بغضب " ومن غيرها ..... مجموعة عماد الراشد "

اتسعت عينا ادهم وهو ينظر الى احمد ..... وقفزت الى ذهنه صورة صغيرته المخادعة وهي تجلس بجواره على طاولة العشاء وقد بدا عليها الإرتباك الشديد ... وكلما نظر اليها اثناء تناوله الطعام ... كانت تبادله النظر بابتسامتة تزداد عذوبة و إغراءا مرة بعد مرة حتى نسي تماما ما كان ينوي قوله.....

ظل شاردا قليلا وهو يتذكر حلاه المشرقة و المتدفقة العاطفة ..... فظهر طيف ابتسامة على فمه اخذ يتسع تدريجيا حتى انفجر فجأة في الضحك.....

ازداد اشتعال غضب احمد وهو ينظر الى ادهم الذي يضحك دون أن يهتم بتلك الصفقة .....والتى لم تكن مهمة لديه هو شخصيا الا بعد أن شهد غدر سابين التى تعيش معه بمنتهى البراءة دون أن تخبره بما تنويه من أعمالِ إجرامية.....

قال احمد بغضب "ادهم ..... لا تستفزني أكثر , العمل عمل ....إن سكتنا هذه المرة أيضا ستضيع هيبتنا في السوق "

استمر ادهم يضحك لكن رأفة بحال احمد الذي كان على وشكِ الإنفجار غضبا .....حاول السيطرة على ضحكه ثم قال بهدوء

" احمد ..... لنكن صرحاء مع أنفسنا , هذه الصفقة صغيرة نوعا ما بالنسبةِ إلينا ..... لكنها تعتبر هائلة بالنسبةِ اليهن فلما كل هذا الغضب؟ ..... ثم أنك المسؤول الأول عن هذا بتعمدك استثناء مجموعة عماد الراشد من اتفاق رجال الأعمال ..... لذا فمن حقهم خرق اتفاقٍ لم يَتفِقوا عليه أصلا..... "

شعر احمد بأنه على وشكِ ضرب هذا العاشق المتيم الجالس أمامه و الذي يتكلم بمنتهى البرود و أوشك على أن يرميه برأيه الا أن رنين هاتفه قاطعه فالتقطه ليجد أسم سابين مضيئا فرد مسرعا

" مرحبا حبيبتي..... "

وصله صوت سابين تقول برقةٍ مخادعة " احمد حبيبي ..... أعتقد أنهم يريدوننا أنا وأنت في مدرسة تالا .....الآن "

عقد احمد حاجبيه وهو يقول بقلق " الآن ..... لماذا ؟هل حدث شيء لتالا ؟....."

أجابته بسرعة " لا ....لا ...تالا بخير , أعتقد أنه أمر تافه.....لكنهم يريدوننا الآن "

تحير احمد من طلب المدرسة المفاجىء لكنه أجاب بسرعة " دقائق و أكون هناك .... الى اللقاء حبيبتي "

أغلق احمد الخط وعاد لينظر لادهم الذي كان ينظر اليه مبتسما ..... فعبس احمد قائلا " ماذا ؟؟....."

أجاب ادهم مبتسما " الى اللقاء حبيبتي ؟!!.....لم أرك تكسر أضلاعها لما فعلته "

ابتسم احمد قليلا ثم قال بهدوء " سأكسرهم في البيت ..... كيف سأطولها و هي على الهاتف ؟"

ثم تابع قائلا وهو يغادر " سأذهب الآن لأرى أية كارثة قد تسببت فيها تالا..... "

.....

.....

.....

كان احمد يجلس بجوار سابين التى تجلس واضعة ساقا فوق الأخرى و هي تنظر بصلفِ الى الزوجينِ الغاضبينِ الجالسينِ أمامهما في حجرة مديرة المدرسة .... والتى كانت بدورها تجلس متوترة خلف مكتبها .....ثم تنحنحت قليلا مخاطبة احمد

" سيد احمد لقد استدعيتك اليوم لأن تصرفا كالذي حدث .....لا يليق بالمدرسة "

نظر احمد بتوجس الى مديرة المدرسة وهو لم يفهم بعد ما فعلته تالا .....ثم قال بقلق

" هل أخطأت تالا خطأ كبيرا الى هذه الدرجة ؟....."

عبست مديرة المدرسة وهي تقول بصرامة " لم تفعل تالا شيئا يا سيد احمد ..... لكن السيدة سابين فعلت "

عقد احمد حاجبيه بشدة وهو ينظر الى سابين مستفسرا .... الا انها نظرت اليه بهدوء ثم عادت لتنظر نظرة ارهاب الى الزوجين الغاضبين امامها.....

تبرعت لحظتها تلك السيدة الجالسة امامهما بالقول

" هل توافق على أن تمد زوجتك يدها على ابني ....."

اتسعت عينا احمد بصدمة وهو ينظر الى سابين التى لم تفقد هدوئها .....بل قالت بمنتهى البرود

" لقد جذبته من قميصه فقط ..... أي أنني عمليا لم أضع يدي عليه "

ازداد اتساع عينا احمد و هو ينظر الى برودها الامتناهي .....بينما قالت السيدة الأخرى بغضبٍ هادر

" لقد رفعته عن الأرض .....و هددته بحلق شعر رأسه كاملا..... "

أغمض احمد عينيه وهو يهمس .... يا الهي .....الا أن سابين أنزلت ساقها بعنف وهي تندفع الى الأمام هاتفة بحدة

:" و ابنك يضايق ابنتى منذ بداية العام ..... لقد أنذرته أكثر من مرة و لم يرتدع "

وضع احمد يده على ركبة سابين يمسكها بقوة و هو يرميها بنظرة مهددة حتى لا تتمادى اكثر و تفضحه أكثر من هذا ..... فنظرت اليه سابين بحنقٍ لكنها استسلمت و رجعت الى مقعدها بغضب .....بينما قضى احمد الساعة التالية كلها في الإعتذار الى والد الطفل و والدته و الى مديرة المدرسة.....

وبعد عودتهما الى البيت سارعت سابين الى التقاط تميمة الصغيرة من بين ذراعي امتثال وتضمها الى صدرها وهي تحييها بكلماتٍ مداعبة ..... جاء احمد خلفها وهو يقول بحدة

" سابين ..... الى متى ستظلين تتصرفين تلك التصرفات الهوجاء , تضربين ولدا صغيرا , يالهي لا أصدق أنك وضعتني في هذا الموقف وأنا الذى كنت أظن انهم قد استدعوني من أجل تالا .... لأفاجأ بأن زوجتي هي السبب "

نظرت اليه سابين بتحدٍ سافر و قالت بقوة " إنها لا تستطيع المواجهة, بالرغم من عدم خوفها من شيء ..الا إنها لا تواجه أبدا .... أردت أن أعلمها كيف كيف تواجه أمثال هذا الغبي الصغير .... هل رأيته .... هل رأيت كيف ينظر بغباء و استفزاز ..... لقد كنت طيبة معه جدا بالنسبة الى ما يستحقه ..... أنت لا تعلم كيف كنت أصارع الأولاد الأكبر مني سنا عندما كنت في مثل سن تالا "

وقبل أن يجيبها كانت قد انطلقت الى غرفة تميمة لتضعها في فراشها الصغير .....لكنه تبعها مصرا وهو يقول بحدة

" سابين ..... أنت ستفسدين كل ما حاولت غرزه في تالا يوما , ...لا أريدك أن تنشئيها على أساليب ايثار الراشد "

توقفت مكانها تماما توليه ظهرها .....لم يرى سوى شعرها الاسود و قد اختفت عنه كل انطباعاتها ..... زفر بقوة ثم اقترب منها ببطء و أمسك بكتفيها بكفين حازمين .... همس بصوته العميق

" سابين ..... سابين انظري الي "

لكنه كان يشعر بتشنجح عضلاتها تحت يديه .....فعاد ليمسد كتفيها وهو يقول برفق " سابين ..... حبيبتي , ستغضبين مني الآن ؟؟"

استدارت ببطء لتنظر اليه بعينين قاسيتين كالحجر ثم قالت بهدوء " كلما تجادلنا في موضوعٍ سنعود الى نفس النقطة ..... اليس كذلك ؟"

عقد حاجبيه وهو يحيط عنقها الناعم بيديه ناظرا الى عمق عينيها ..... ثم قال

" سابين .....ستظل بيننا اختلافاتٍ كثيرة , لن انكر هذا ابدا , لكني ساقول لك بكل قوة ..... أنا أحبك سابين , أحبك بقوة جعلتني أرى بداخلي شخصا لم أعرفه قبل أن أعرفك أبدا ..... فاياكِ أن تجعلي شيئا ... أي شيء يبعدنا أكثر عن بعضنا , سأظل متذمرا من كل طرقك في الحياة .. من جنونك و غطرستك ...من سلاطة لسانك و نظراتك العابثة ..... سأحاول دوما أن أخضعك .....لكن حبك سيظل قيدي الى الأبد..... "

نظرت اليه بدهشةٍ قليلا و ابتسامة يأسٍ صغيرة تظهر على شفتيها .... ذلك المارد الضخم الأحمق ..... من المفترض أنه الآن ينقل اليها عواطفه الجياشة.....

سيظل متذمرا من طرقها في الحياة ..... من جنونها وغطرستها .....من سلاطة لسانها و نظراتها العابثة !!.... الا يعلم الأحمق أنها لم تعد تنظر بعبثٍ لسواه

..... ذلك الضخم الهمجي ملأ عينيها لدرجة أنها لم تعد تعترف برجلِ غيره.....

سيحاول دوما أن يخضعها ..... و يخبرها بهذا بكل بساطة وسذاجة ... ... إنه باخبارها ذلك ينمي فيها الجنون أكثر وأكثر و يشوقها لتحدي كل ما سيحاوله يوما ..... أحيانا تشك في ذكاء الرجال مهما بلغت مناصبهم في الحياة.....

ابتسمت أكثر وهي تتسائل .... هل هذه هي فكرته عن الطريقة المثلى لشرح مشاعره تجاهها.....

لكن حبك سيظل قيدي الى الأبد .....هاكذا أنهى خطبته الرائعة ..... لماذا لم يقل تلك الجملة فحسب .....

مدت يدها لتحيط بها عنقه و تستطيل على أطراف أقدامها بالرغم من طولها الفارع ..... ثم نظرت الى عينيه البنيتين العميقتين وهمست بإغراء عبقري

" اطمئن يا مهراني ..... ابنة ايثار الراشد لا تتقبل الهزيمة , ولا تسمح بضياع ما يخصها من بين يديها "

أحاط خصرها بيديه وقال مبتسما " وما هو هذا الذي يخصك ولن تسمحي بضياعه ؟....."

لم تتنازل و تجيبه .....بل ارتفعت لتقبله بقوة تخبره عما تملكه ..... ضمها اليه بقوة بين ذراعيه ..... لكم تحب القوة التى يضمها بها

تشعر وكأنه يريد أن يدخلها بداخل صدره .... تشعر بأنه حين يضمها يكون متخوفا أن تفلت منه.....

ارتفع رأسه بعد فترةٍ وهو يقول هاتفا بعبوس " كدت أن أنسى ..... كيف تجرأت على مواجهتي و تحدي اسمي بنيل تلك الصفقة من دونِ علمي ..... أتعرفين إن كان أحدا آخر تجرأ ليفعلها كنت لأسحقه .....كيف تمكنتِ من خداعي بهذا الشكل , ماذا سيقول الناس .... أنني أسهل لك مرور الصفقات اكراما لأنكِ زوجتي ؟"

يمرر لها الصفقات ؟؟..... و إكراما لأنها ؟؟؟!!!!.....

إن ضربته الآن فهل يعتبر هذا تجاوزا للحدود الزوجية المحترمة ؟؟.....

رمشت بعينيها قليلا حتى لا تتفوه بما قد تندم عليه ... ثم قالت بعد فترةٍ بمنتهى العملية دون أن تفك قيدها من حول عنقه

" مقابلة سابين الراشد تستلزم أخذ ميعاد و انتظار الرد إن كنت سأوافق أصلا على مقابلتك أم لا .....يمكنك أخذ موعد "

عقد حاجبيه ثم قال " سابين ..... لست أمزح حاليا ....."

لكن سابين قاطعته وهي تجذب ربطة عنقه لتقرب وجهه من وجهها وهي تهمس بشراسة

" و قسما بالله .... إن أعدت الحديث عن العمل الآن فسوف تنام الليلة في حجرة الضيوف , أو بجوار تالا على أحسن تقدير "

شعر بأنه في هذه اللحظة يتمنى لو لكمها لكمة لتغير خريطة معالم وجهها ..... لكنه آثر السلامة , فلا نية لديه للنومِ بعيدا عنها الليلة ...أو أية ليلة من ليالي حياته.....

حسنا فليتنازل هذه المرة و غدا سيحاول أخذ موعدا من رئيسة مجلس إدارة مجموعة عماد الراشد .... ليبدآ اتفاقا جديدا بين المجموعتين

أما الآن .... الآن يريد فقط أن يطمئن أنها في أحضانه .....يخاف أن تهرب منه من جديد.....

عاد ليعتصرها بين ذراعيها بقوة حتى سمعها راضيا و هي تئن من شدة ضغطه هذه المرة أكثر ..... فحملها بين ذراعيه وهي متعلقة بعنقه تضحك بالم و تشعر بأن ضلوعها على وشك التحطم ..... فدفنت وجهها في عنقه تستمتع برائحته العطرة.....

للحظة دعت الله الا يحرمها من هذه الرائحة يوما ..... قبلها بقوة ثم همس في أذنها بصوت عميق

" اعتذري عن كل ما سببته لي يوما..... "

لم يترك وجهها عنقه وهي تضحك برقة أذابت قلبه .....وهمست " أنت تطلب هذا الطلب كل يوم ..... الن تيأس ؟؟"

لو رفعت رأسها لرأت نظرة حنانٍ تذيب الحجر تطل من عينيه وهو يقول بحب

" لن أمل .... ولن أيأس ..... ستعتذرين يا سابين "

رفعت وجهها الساحر اليه لتهمس له بحب " اعتذر يا أحمد لأني لن أعتذر لك أبدا "

اتسعت ابتسامته و قال بيقين " بل ستعتذرين يوما ..... فلما لا تعتذرين الآن و تختصري الوقت "

ظلت تنظر اليه تكاد تتشرب ملامح وجهه الصلبة بعينيها الزرقاوين المشعتين ..... ودعت الله من جديد الا يحرمها منه أبدا .....ولتظل أسيرته للأبد ..... فقد

كانت تلك هي تعويذة تالا الصغيرة التى نثرتها فوق رأسها يوما.....

.....

.....

.....

كانت تنظر اليه وقلبها يخفق بشدة بين ضلوعها ..... تراه وهو يحمل تميمة الصغيرة و التى قاربت الآن على السبعة أشهر.....

الصغيرة لم تكمل بعد العام من عمرها ..... وها هي تسقط أسيرة لسحره .... فكلما حملها بين ذراعيه تأخذ في الضحك و الزقزقة كصغار الطيور ..... أنها لا تضحك بهذه الطريقة لأي أحد غيره ..... غير وحش آل مهران .....

ماذا فعلت طيبا في حياتي لأستحق رجلا مثلك .....ستظل تسأل نفسها هذا السؤال كل يومٍ وكل ليلة .... ولن تحصل على إجابة أبدا .....غير القدر كان يدخره لها منذ أن وجدت في هذه الدنيا لتذوق عذابها ..... مؤقتا فقط الى أن حان موعدها معه.....

رفع في لحظةٍ خاطفة وجهه الضاحك اليها ....ليأسر نظراتِ الشوق التي تخصه بها وحده .....ففاض من عينيه شوقٌ يفوقه ..... وتراجعت ضحكته لتصبح ابتسامة خاصة .... خاصة بحلا الراشد فقط.....

اقترب منها وهي واقفة في مدخل القصر في ذلك اليوم الربيعي و الذي اختاروه ليجتمعو سويا كنهاية كلِ أسبوع.....

صعد السلالم القليلة التى تفصلها عنه و انحنى ليقبلها دون أن يتكلم .... و كأن قبلته في حد ذاتها هي كل ما أراد قوله.....

ابتعد عنها قليلا بينما تشبثت كف تميمة الصغير بخصلة من شعر حلا الطويل و جذبتها ... لا تريد أن تتركها .... فضحكت حلا وهي تميل برأسها الى الصغيرة اتقاءا للألم.....

مد ادهم يده ليتحسس بطن حلا برفق وهو يقول مبتسما " لماذا تقفين طويلا ؟....."

ردت حلا مبتسمة " لم اقف الا للتو ..... لقد مللت الجلوس ..... متى ستوقف أحكامك العرفية ضدي ؟..... الا يكفي أنني أعمل من المنزل ؟....."

رد ادهم بجدية " يجب أن تكوني ممتنة لأنني أسمح لك بالعمل أصلا .....مجرد نظرك لشاشة الحاسوب طويلا يضايقني "

ابتسمت اكثر .....وهمست " إنها تتحرك..... "

ابتسم ادهم ومد يده سريعا ليضعها على بطنها من جديد ... حين شعر بركلة قوية تضرب يده فانتعش قلبه و ذابت عيناه ..... يبدو أنها ستكون قوية تلك الصغيرة .....و لم ستكون ضعيفة ؟؟..... فأمها هي القوة بحد ذاتها ..... أمها التى رباها بنفسه.....

رفع عينيه العميقتين اليها فأبصر دموعها و قد انهمرت على وجهها ..... ولم يسألها عن سببها ..... قديما أيضا كان يتجنب سؤالها عن سبب دموعها ... قد يكون بسبب معرفته السبب ..... ذلك الألم الذي كان يخشاه و يتجنبه.....

أما الآن فو لا يسألها لأنه موقنا من السبب ..... ما اجمل دموعها الآن كلما نظرت اليه ..... وهل يلومها ؟..... لولا أن رجولته تمنعه لكان شاركها إياها كلما نظر اليها.....

لقد تاها طويلا الى عادا الى بعضهما ..... الي سكنت أحضانه التى تنتمي اليها.....

قاطع أفكارهما الصامتة صوت سابين و هي تأتي من خلفهما قائلة بسعادة

" أين صغيرتي ؟.....لقد أنهيت مكالمة العمل بأعجوبة "

ناولها ادهم الصغيرة وهو يقول متذمرا بدعابة " أنتِ تنجبين و نحن نرعاها من أجلك .....نحن في خدمتك دائما سيدتي "

عبست سابين وهي تلكم ذراعه و تقول بحدة " الا تكمل عملا طيبا دون تذمر أبدا .....صدقت مقولة أن الخال والد بالفعل!!! "

مدت حلا يدها لتدلك مكان لكمة سابين على ذراع ادهم وهي تقول بلهفةٍ غاضبة

" لا تقتربي من حبيبي ثانية..... "

ابتسم ادهم اليها بحب بينما رفعت سابين عينيها الى السماء تلتمس الصبر و هي تقول بملل

" غرامكما أصبح كالمرض..... "

ثم نزلت الي الحديقة تبحث عن احمد ..... فوجدت فارس جالسا يهمس رقةٍ شيئا أضحك سما الجالسة على حجره بينما احمر وجهها بشدة .... همست سابين بحنق

" موجة الحماقة قد ضربت الجميع اليوم ..... أين اذن زوجي الهمام لنمثل مشهدا أحمقا نحن أيضا "

أخيرا وجدته في زاوية الحديقة .... كان واقفا بجانب دارين التى أصرت أميرة على حضورها ... حتى أنها تقريبا هددتها بغضبها عليها إن لم تحضر اليوم الأسبوعي لإجتماع العائلة.....

نظرت سابين وهي تحمل طفلتها الى احمد وهو يحيط كتفي دارين بذراعه .... يتكلم معها بهدوء حان ..... تجمد قلب سابين حين رفعت دارين نظرها و التقت عيناهما معا.....

لم يرى غيرها تلك النظرة المشبعة بالكره و النوايا القاتلة ..... ضمت سابين طفلتها اكثر الى صدرها دون وعيا منها ..... متى سينتهي هذا الكابوس ..... لكن كيف سينتهي و عمار قد بدأ آخر جديد.....

أقسمت سابين في نفسها .... لو تجرأ أحد على مس سعادتها التى وجدتها أخيرا فلن تتوانى عن استحضار سابين القديمة .... التى لا يردعها رادع.....

كان عمار ايضا يقف بعيدا ليراقب تلك النظرات المتبادلة بينهما ..... وقد رأى مشاعر دارين جلية لعينيه .... انتابه الغضب الذى صار مألوفا لديه مؤخرا .....

استدار بعنف وهو يلتقط هاتفه من جيبه و يطلب رقما ..... و نظر بطرف عينه ليرى انتفاضة دارين و هي تنظر الى هاتفها ثم ترفع عينيها مجفلة تنظر من حولها في خوف و كأنه قد ضبطها متلبسة .....الى أن رأته ..... فالتفتت لأحمد تهمس له شيئا فأومأ برأسه ..... وهو يراقبها عاقدا حاجبيه وهي تبتعد بتعثر لترد على هاتفها.....

جلست سابين تهدىء نفسها من الغضب الذي انتابها بسبب نظرات دارين .....الى أن جاءت حلا و جلست بهدوء بجوارها تعتصر أصابعها .. تنظر لسابين ثم تعاود النظر أمامها ... قالت أخيرا بتردد

" سابين..... "

نظرت اليها سابين و قالت " هاتِ ما لديكِ يا حلا ..... أنا واثقة من أنه شيئا لن يعجبني "

قالت حلا بخفوت و حذر " أمي..... "

لم تمهلها سابين كما توقعت و هتفت بحدة " كنت أعرف ..... لا أريد سماع أي شيء عنها بعد الآن "

ابتلعت حلا ريقها لكنها صممت على المتابعة " سابين أرجوك ..... إنها تحتاج الى المساعدة , أنا متأكدة من ذلك ..... قلبي يخبرني "

نظرت اليها سابين بحنق و قالت " اذن فلتسكتي قلبك الساذج ..... أنها تستطيع حماية نفسها جيدا "

ارتجفت حلا قليلا و همست تنظر أمامها الى البعيد

" هل رأيته ؟..... أنه غير طبيعي أبدا ..... لقد رأيت الشر في نظراته , وتلك النظرات أنا أستطيع فهمها جيدا "

ظلت سابين صامتة فترة ثم قالت بقسوة " هي اختارته بنفسها ..... إنها في السابعة و الاربعين و تتزوج من رجلٍ في الأربعين .... وطبعا لأنه وعدها بالكثير ..... لابد لها أن تدفع الثمن اذن "

قالت حلا بسرعة و هي ترتعش أكثر " ولما يتزوج رجل مثله من امرأة تكبره بسبع سنوات ..... صدقيني إنه غير مريح أبدا "

لم ترد سابين ... فتابعت حلا بحزن

" لقد رفض ادهم تماما أن يتدخل في الأمر, كما أنه منعني من رؤيتها ثانية بعد زواجها به ..... لم أعهده بهذه القسوة من قبل "

ردت سابين بشرود " لقد قام اذن بشيء صائب في النهاية..... "

نظرت حلا الى القسوة الظاهرة على ملامح سابين .... وعرفت أنه لا مجال لتدخلها ..... سألت نفسها كيف تستطيع سابين أن تكون بهذه القسوة .... إن كان هناك من يجب الا يسامح أو يتجاوز عن ما مضى .....فستكون هي .....لكن و لأنها هي .....فهي لا تتحمل ما تتخيله من صورٍ مؤلمة لما قد تكون ايثار تحياه الآن ..... لا شيء يبرر ما يصيبها ..... وهي شبه متيقنة من أنه يصيبها مكروه.....

لقد رأته مرة ..... ونظرت الى عينيه ..... وكانت تلك النظرة كفيلة لأن تعرف ..... أنه مريض .... فقد عاشت مع مريضٍ مثله من قبل.....

انتهت بحمد الله